

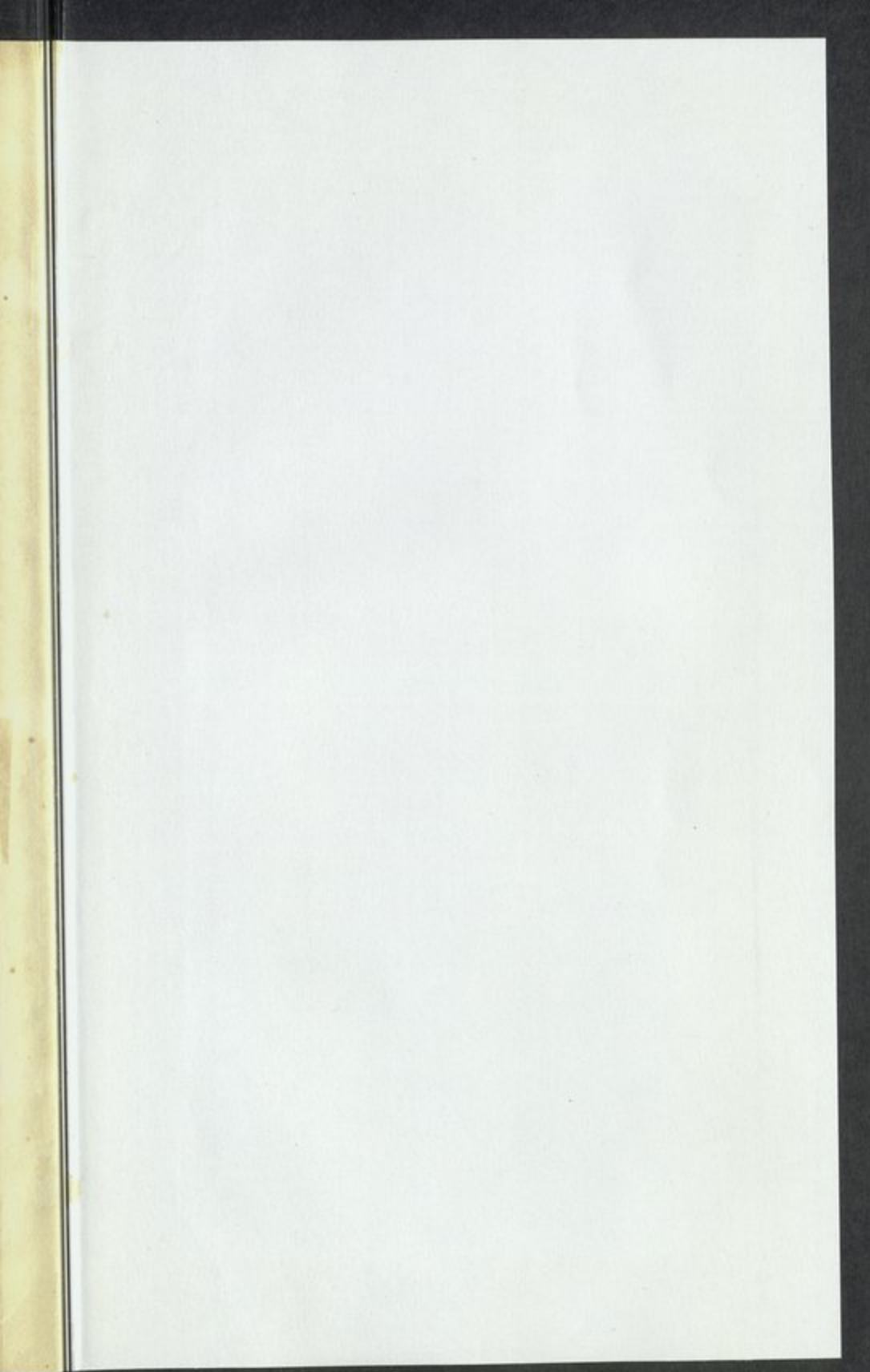
AUB Libraries

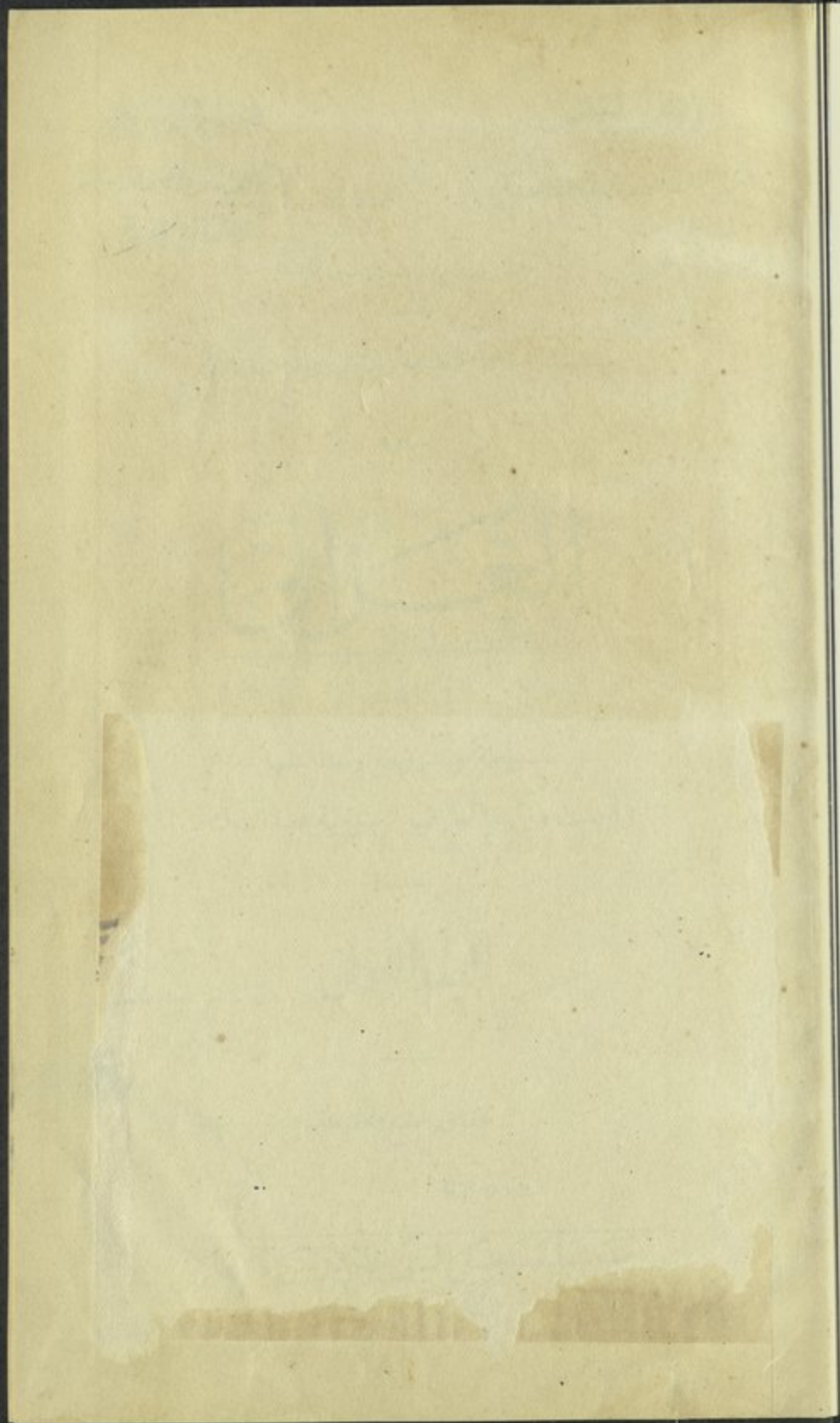
A.U.B. LIBRARY

AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT



AUB. LIBRARY





Cart. July 1940

الوقت من فقهيت

الإذاعة العامة في مصر

مكتبة الفكرة والثقافة الأدبية

مدير إدارة الصحافة والنشر

والثقافة المصرية

مطبوعات دار المأمون

189.3  
G41YrA  
v.1-3  
C.1

سلسلة زعماء الفلسفة والأدب والأخلاق

حلقة

# الغزالي

في مجلدين

مضبوطة ومشروحة ومعلقة عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

١ - ٢

المجلد الأول

حقوق الطبع محفوظة

58019

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

East. July 1940





## اعتراف بالمجمل

تدين هذه السلسلة من سلسلة زعماء الفلسفة والآدب  
والأخلاق العربية لمكتبة القراءة والثقافة الأديبية إلى حضرة  
صاحب المعالى الأستاذ الجليل على زكى العرابى باشا وزير  
المعارف ، ووكيله الأستاذ العالم محمد العشاوى بك ،  
وحضرات معاونيهما لأيجاد فى تقرير مبدأ مراجعة الوزارة  
لأصولها النهائية خدمة للثقافة واللغة والآدب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَا بَعْدُ

فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا بَانِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ  
فِي عَدِهِ : لَوْ غَيَّرْتُ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا الْكَانَ سُبْحَانَ ،  
وَلَوْ قُدَّ مَهَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكَ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا  
مِنْ أَعْظَمِ الْعَبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِبْلَالِ النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ  
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

## الإهداء

إلى ملوك المسلمين  
 إلى أقبال المسلمين  
 إلى زعماء الأصلاح الإسلامى  
 إلى العنكرة الإنسانية المحترمة المتواضعة  
 إلى رُوح الغزاة المسلم المتصوف  
 ثم إلى حضرات أصحاب الدولة والمعالى والسعادة الذين أحسنوا إلى فى إخراج هذا الكتاب  
 ثم إلى حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدق باشا إذ مكنتنى - حفظه الله - فى فترة محنتى  
 من الانصراف إلى ذلك النوع من الحياة الإسلامية الحادية، فى عزلة وتسامح  
 ومحبة وعفوان.

وإلى حضرتى صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا الذى أعادنى إلى الخدمة  
 وعلى ماهر باشا الذى حاول انصافى - واللذين بعثا بك فى نفسى  
 شيئاً من الأمل فى إبراز ما وقفت عليه فى تلك الفترة الحالدة من سنى  
 حياتى، من قراءات ومطالعات وثقافات  
 وإلى حضرة صاحب السعادة الاقصادى الكبير محمد طلعت حرب باشا  
 الذى حببانى بعطفه وعونيه ومروءته حين قتل الإخوان وشكر الزمان

١ اقبال : جمع قبيل وهو الرئيس ودون الملك

٢ ثقافات : جمع ثقافة بمعنى ما عرّفه الانسان ووطنه

٣ شكر الزمان : تغير عن حال تسرى حال كثره

إلى حضرة صاحب المعالي الأستاذ النايب الكبير علي زكي العراقي باشا  
وزير المعارف ، في وزارة الأئمة ، الذي بعث في شخصي الضعيف ،  
بمفترضة من مبدأ مراجعة أئمة اللغة في وزارته ، ما عمل على  
إحيائه من مؤلفات العرب . وشخصيات الإسلام معنى  
الأمل فيما يفسر عنه الجهد والمجاهدة ، والصبر والمجاهدة ،  
لخدمة اللغة والثقافة والوطن  
ثم أخيراً وأولاً

إلى زعيم الوطنية في مصر ، ورهيز الصلاح والتقوى في الشرق  
ومثال المحبة الإنسانية السامية في الإسلام . أستاذي  
وزعمي ووئيلي نعمتي ، حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا  
أهدي هذا الكتاب

الخادم المخلص الأمين

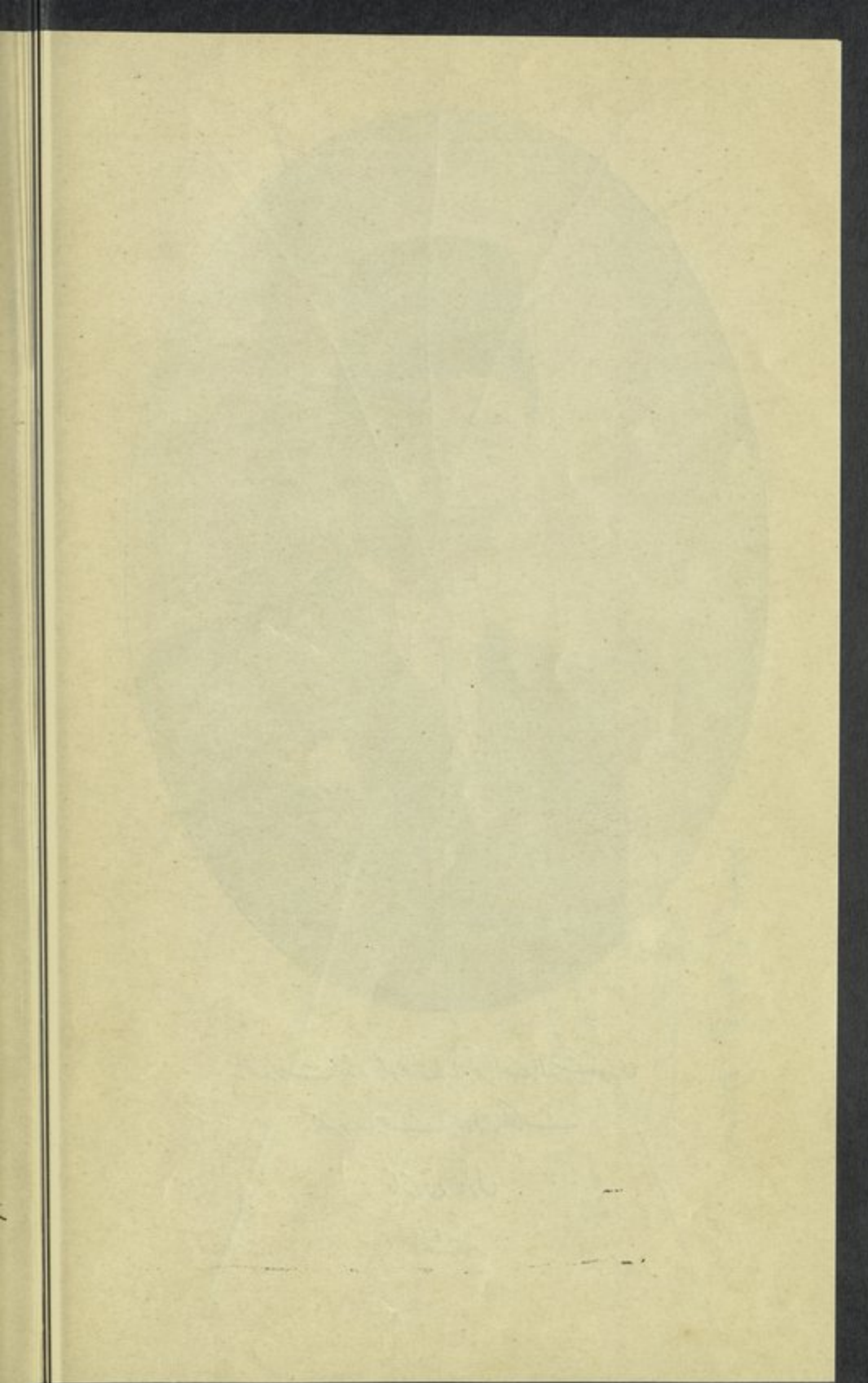
أحمد فريد رفاعي

ربيع الآخر سنة ١٣٥٥

دار المأمون في  
يولييه سنة ١٩٣٦



صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ فِي فِجْرِ الْعَهْدِ الدِّيَسْتُورِيِّ  
سَخْفَرَةَ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ الْمَلِكِ  
فَارُوقِ الْأَوَّلِ  
حَفِظَ اللَّهُ



كَلِمَةٌ فَضِيلَةٌ مَوْلَانَا الْأُسْتَاذِ الْأَكْبَرِ  
الْشَيْخِ مُحَمَّدِ مُصْطَفَى الْمَرَاغِيِّ شَيْخِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِيِّ

إِذَا ذُكِرَتْ أَسْمَاءُ الْعُلَمَاءِ ، أُتِّجَتْ الْفِكْرُ إِلَى مَا أَمْتَازُوا  
بِهِ مِنْ فُرُوعِ الْعِلْمِ ، وَشُعَبِ الْمَعْرِفَةِ : فَإِذَا ذُكِرَ ابْنُ سَيِّدِنَا ،  
أَوْ الْفَارَابِيُّ ، خَطَرَ بِالْبَالِ فَيَلْسُوفَانِ عَظِيمَانِ مِنْ فَلَاسِفَةِ  
الْإِسْلَامِ ؛ وَإِذَا ذُكِرَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ خَطَرَ بِالْبَالِ رَجُلٌ صُوفِيٌّ ،  
لَهُ فِي التَّصَوُّفِ آرَاءٌ لَهَا خَطَرُهَا ؛ وَإِذَا ذُكِرَ الْبُخَّارِيُّ ،  
وَمُسْلِمٌ ، وَأَحْمَدُ ، خَطَرَ بِالْبَالِ رِجَالٌ لَهُمْ أَقْدَارُهُمْ فِي  
الْحِفْظِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْأَمَانَةِ ، وَالذِّقَّةِ ، وَمَعْرِفَةِ الرِّجَالِ .

أَمَّا إِذَا ذُكِرَ الْغَزَالِيُّ ، فَقَدْ تَشَعَّبَتِ النَّوَاحِي ، وَلَمْ  
يَخْطُرْ بِالْبَالِ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، بَلْ خَطَرَ بِالْبَالِ رِجَالٌ مُتَعَدِّدُونَ ،  
لِكُلِّ وَاحِدٍ قُدْرَتُهُ وَوَقِيمَتُهُ .

يَخْطُرُ بِالْبَالِ الْغَزَالِيُّ ، الْأَصُولِيُّ ، الْحَادِقُ ، الْمَاهِرُ ؛  
وَالْغَزَالِيُّ الْفَقِيهُ الْحَرُّ ؛ وَالْغَزَالِيُّ الْمُتَكَلِّمُ إِمَامُ السُّنَّةِ ،

وَحَامِي حَمَاهَا؛ وَالغَزَالِي الاجتماعي، الخبير بأحوال العالم،  
وَحَفِيَّاتِ الضَّمَائِرِ، وَمَكْنُونَاتِ الْقُلُوبِ، وَالغَزَالِي  
الْفَيْلسُوفُ، أَوِ الَّذِي نَاهَضَ<sup>(١)</sup> الْفَلَسَفَةَ، وَكَشَفَ مِمَّا فِيهَا  
مِنْ زُخْرُفٍ وَزَيْفٍ<sup>(٢)</sup>، وَالغَزَالِي المُرَبِّي، وَالغَزَالِي الصُّوفِي  
الزَّاهِدُ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: إِنَّهُ يَخْطُرُ بِالْبَالِ رَجُلٌ هُوَ  
دَائِرَةُ مَعَارِفِ عَصْرِهِ، رَجُلٌ مُتَعَطِّشٌ إِلَى مَعْرِفَةِ كُلِّ شَيْءٍ،  
نَهْمٌ<sup>(٣)</sup> إِلَى جَمِيعِ فُرُوعِ الْمَعْرِفَةِ. وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِمَّا  
قَالَهُ الْغَزَالِيُّ عَنِ نَفْسِهِ فِي كِتَابِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الضَّلَالِ: «وَلَمْ  
أَزَلْ فِي عُنُقِ مَوَانِ شَبَابِي مِنْذُ رَاهَقْتُ الْبُلُوغَ، وَقَدْ أَنَاَفَتِ<sup>(٤)</sup>  
السَّنُ الْأَنَ عَلَى الْخُمْسِينَ، أَقْتَحِمُ لُجَّةَ هَذَا الْبَحْرِ الْعَمِيقِ،  
وَأَخُوضُ غَمْرَتَهُ<sup>(٥)</sup>، خَوْضَ الْجُسُورِ، لَا خَوْضَ الْجَبَانِ  
الْحُدُورِ، وَأَتَوَغَّلُ فِي كُلِّ مُظْلِمَةٍ، وَأَتَهَجِّمُ عَلَى كُلِّ  
مُشْكِلَةٍ، وَأَتَقَحَّمُ<sup>(٦)</sup> عَلَى كُلِّ وَرَطَةٍ، وَأَتَفَحَّصُ عَقِيدَةَ كُلِّ  
فِرْقَةٍ، وَأَكْشِفُ أَسْرَارَ مَذْهَبِ كُلِّ طَائِفَةٍ؛ لِأَمِيرٍ بَيْنَ

(١) ناهض الفلسفة: قاومها (٢) الزيف: رداءة الفذل لما به من غش

(٣) نهْم: شره (٤) أنافت السن: زادت (٥) غمرته: كثيرته ومعظمه

(٦) أتقحم: أهجم



مَحِقِّ وَمُبْطِلٍ ، وَمُتَسِّنِّ وَمُبْتَدِعٍ ، لَا أُغَادِرُ بَاطِنِيًّا إِلَّا  
وَأَحِبُّ أَنْ أُطْلِعَ عَلَى بَطَانَتِهِ ، وَلَا ظَاهِرِيًّا إِلَّا وَأُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ  
حَاصِلَ ظَهَارَتِهِ ، وَلَا فِلَسْفِيًّا إِلَّا وَأَقْصِدُ الْوُقُوفَ عَلَى كُنْهِ  
فِلَسْفَتِهِ ، وَلَا مُتَكَلِّمًا إِلَّا وَأَجْتَهِدُ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى غَايَةِ  
كَلَامِهِ وَمُحَاوَلَتِهِ ، وَلَا صُوفِيًّا إِلَّا وَأَخْرِصُ عَلَى الْمُثُورِ عَلَى  
سِرِّ صَفْوَتِهِ ، وَلَا مُتَعَبِّدًا إِلَّا وَأَتَرَصَّدُ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ  
حَاصِلُ عِبَادَتِهِ ، وَلَا زَنْدِيقًا<sup>(١)</sup> إِلَّا وَأَتَجَسَّسُ وَرَاءَهُ لِتَلَبُّهِ إِلَيَّ  
أَسْبَابِ جُرْأَتِهِ فِي تَعْطِيلِهِ<sup>(٢)</sup> وَزَنْدِيقَتِهِ «

وَمَعَ أَنَّ الْفِلَسْفَةَ لَيْسَتْ هِيَ الْفَرَعُ الْبَارِزَ عِنْدَ  
الْغَزَالِيِّ مِنْ فُرُوعِ الْمَعْرِفَةِ ، فَقَدْ قِيلَ عَنْهُ مِنْ أَسَاطِينِهَا<sup>(٣)</sup>  
الْغَرَبِيِّينَ :

« لَمْ تُنْتِجِ الْفِلَسْفَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِكْرًا مُبْتَدِعًا  
كَالْغَزَالِيِّ » وَقِيلَ عَنْهُ : « إِنَّ أَمْثَالَ الْغَزَالِيِّ مُعْضِلَةٌ فِي نَظَرِ  
الْفِلَسْفَةِ ، فَأَشْخَاصُهُمْ حَقَائِقُ رُوحِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحٍ » .

(١) الزنديق : من يبطن الكفر ويظهر الإيمان (٢) مذهب التعطيل :  
هو الذي ينكر أصحابه صفات البارئ تعالى أولًا يثبتونه (٣) الاساطين :  
جمع اسطوانة ، وهي في اللغة العمود . والمراد هنا كبار العلماء وثقاتهم

وَيَعُدُّ الْغَزَالِيَّ بِحَقِّ ، إِمَامَ أَهْلِ الْبَيَانِ ، فِي الْأَسْلُوبِ الْعِلْمِيِّ ، وَالْأَسْلُوبِ الْاجْتِمَاعِيِّ ، وَقَدْ حَرَصَ أَشَدَّ الْحَرْصِ عَلَى إِفْهَامِ الْقَارِئِينَ وَإِقْنَاعِهِمْ بِمَا يُرِيدُ إِبْلَاغَهُمْ إِيَّاهُ ، فَجَانَبَ التَّعْقِيدَ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ الْفَنِّيَّةَ ، وَأَكْثَرَ مِنْ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ فِي تَقْرِيْبِ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ ، كَمَا يَعُدُّ بِحَقِّ ، إِمَامَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ حَاوَلُوا تَقْرِيْبَ الْفَلْسَفَةِ ، وَمُدْرَكَاتِ الصُّوفِيَّةِ ، إِلَى عَقَائِدِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِهِ .

وَقَدْ نَصَبَ<sup>(١)</sup> الْأُدْكُتُورُ أُحْمَدُ فَرِيدُ الرَّفَاعِيُّ نَفْسَهُ لِبَحْثِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْفَدَّةِ ، وَعَرَضَ آثَارَهَا عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْجُمْهُورِ .

وَالْأُسْتَاذُ أُحْمَدُ فَرِيدُ الرَّفَاعِيُّ - بِمَا هِيَ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الدَّرْسِ ، وَمَا وَفَّقَ لَهُ مِنْ بَعَثِ مَكُونِ الشَّخْصِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - قَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُبْرِزَهُ لِلنَّاسِ بِرَأْيٍ صَافِيَةٍ ، تَمَثَّلُ فِيهَا شَخْصِيَّةُ الْغَزَالِيِّ ، وَتَظْهَرُ فِيهَا رُوحُهُ الْقَوِيَّةُ الْوَثَابَةُ ، غَيْرَ نَاسٍ أَنْ يَرْنَ حُجْبَجِ خُصُومِ الْغَزَالِيِّ ، وَأَنْ

يُنَاقِشَهَا فِي رِفْقٍ وَأَنَاةٍ ، لَمْ يُوَفِّقْ لَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ  
عَرَضُوا<sup>(١)</sup> لِدِرَاسَةِ الشَّخْصِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْفَدَّةِ .

وَهُوَ حِينَ يَكْتُبُ سِيرَةَ الْغَزَالِيِّ ، يُفَصِّلُهَا تَفْصِيلاً  
مَبْنِيّاً عَلَى خَيْرِ مَا تُكْتُبُ بِهِ سِيرُ الرِّجَالِ ، وَيَعْرِضُهَا لِلنَّاسِ  
سِلْسِلَةً وَأَضِحَةً ، لِيُمْكِنَ لَهُمْ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهَذَا السَّفَرِ  
الْحَافِلِ بِجَلَالِ الْأَعْمَالِ فِي شَتَى مَرَاجِلِهِ ، نَاشِئاً فِي الْعِلْمِ ،  
وَمُتَدَرِّجاً فِي مَدَارِجِهِ ، وَمُتَشَكِّكاً فِي مَعْلُومَاتِهِ ،  
وَمُتَعَطِّشاً لِدِرَاسَةِ عُلُومِ عَصْرِهِ ، وَمُتَبَاعِداً عَنِ الْجَاهِ  
وَالسُّلْطَانِ ، وَمُعْتَزِلاً فِي دَارِهِ ، وَمُتَّصِوفاً ، وَمُدْرَساً بَاحِثاً ،  
وَفَيْلسُوفاً حَكِيماً ، وَمُرْشِداً كَبِيراً .

وَيَذْكُرُ كُتُبَ الْغَزَالِيِّ فَيَدْرُسُهَا دِرَاسَةً الْمُتَفَهِّمِ  
لِمَرَامِيهَا ، الْمَوْضِحِ لِمَقَاصِدِهَا ، وَيَجْلُو لِلنَّاسِ مَا فِيهَا مِمَّا  
يُهَدِّبُ الْخُلُقَ ، وَيُنِيرُ الطَّرِيقَ لِلْمُسْتَرْشِدِ ، وَيُثَقِّفُ  
الْعَقْلَ ، وَيُنَمِّي الْمَدَارِكَ ، وَيَصْقِلُ الْإِيمَانَ ، وَيُقَوِّي الْيَقِينَ .  
وَيَذْكُرُ مَا اسْتَدْرَكَ خُصُومُ الْغَزَالِيِّ عَلَيْهِ ، مِنْ حِوَارٍ

(١) عرضوا : تعرضوا وتصدوا

وَحِجَابٍ ، كَفَرُوهُ بِهِ حِينًا ، وَجَهَلُوهُ بِهِ آخَرَ ، فَيَتَمَهَّدُ  
لِتِلْكَ الشَّبَهَةِ <sup>(١)</sup> فَيُبْحَثُهَا وَيَكْشِفُ غَايِضَهَا ، وَلَا يُبْقِي عَلَى  
شَيْءٍ مِنْهَا .

وَمَا كَانَ الْجَدَلُ بَيْنَ الْغَزَالِيِّ وَخُصُومِهِ نِزَاعًا بَيْنَ  
أَشْخَاصٍ فَلَا يُقَامُ لَهُ وَزْنٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ نِزَاعٌ بَيْنَ فِكْرَتَيْنِ ،  
أَوْ كَمَا يُسَمَّى فِي الْعِلْمِ الْخُذِيثِ ، نِزَاعٌ بَيْنَ آرَاءِ مَدْرَسَتَيْنِ .  
فَالْغَزَالِيُّ ، مِزَاجٌ <sup>(٢)</sup> مِنْ عُلُومِ شَيْءٍ ، أَنْضَجَهَا الْبَحْثُ ،  
وَصَقَلَهَا التَّفْكِيرُ ، وَأَصْفَتَهَا تِجَارِبُهُ وَشَكُوكُهُ الْقَاسِمِيَّةُ  
الَّتِي عَانَاهَا فِي نَشَأَتِهِ ، وَالَّتِي وَصَفَهَا وَصْفًا دَقِيقًا فِي كِتَابِهِ  
« الْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ » ، وَخُصُومُهُ لَا يَسِيرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ  
الَّتِي يَسِيرُ فِيهَا ، وَلَا يَشْعُرُونَ بِلَذَّةِ مَا ذَاقَ الْغَزَالِيُّ مِنْ  
عُلُومِ رُوحِيَّةٍ ، وَتَصَوُّفٍ مِزَاجُهُ بِالْفَلَسَفَةِ .

فَمُهْمَةٌ الذُّكُورِ الرَّفَاعِيِّ فِي إِبَانَةِ هَذِهِ النُّظَرِيَّاتِ ،  
وَوَزْنِهَا جَيِّدًا ، مُهْمَةٌ لَيْسَتْ بِالسَّهْلَةِ ، وَلَا بِالْيَسِيرَةِ ؛  
لِأَنَّهُ أُسْتَطَاعَ أَنْ يَعْضَرَ لِرَأْيِ الْغَزَالِيِّ وَنُظَرِيَّاتِهِ فِي

(١) الشبهه : جمع شبهة ، وهي الالتباس (٢) مزاج : خليط

أَفَلَسَفَةَ ، فَيُوَكِّدُ لِلنَّاسِ أَنَّ الْغَزَالَ شَأْيٌ فَلَا سِفَةَ الْغَرْبِ  
وَسَبَقَهُمْ بِأَجْيَالٍ فِي تَقْرِيرِ بَعْضِ النُّظَرِيَّاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ ، عَلَى  
وَجْهِ أَمْتَاكَ بِهِ هُوَ ، وَهُوَ صَبَّغَهَا بِالتَّصَوُّفِ الَّذِي رَأَى فِي  
آخِرِ حَيَاتِهِ أَنَّهُ الْعِلْمُ ، وَالْعِلْمُ كُلُّهُ . وَأَنْ يُفَهِّمَ الْجَاهِدِينَ  
الْمُكَابِرِينَ أَنَّ فَلَا سِفَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَضَعُوا مِنَ النُّظَرِيَّاتِ  
فِي التَّرْبِيَةِ ، وَتَهْدِيْبِ الطِّفْلِ مَا يُوفِي عَلَى الْغَايَةِ فِي هَذَا الشَّانِ ،  
وَفِي نِظَامِ الدَّوْلَةِ ، وَشُؤُونِ الْحَيَاةِ ، مَا يَكْفُلُ لِلنَّاسِ  
السَّعَادَةَ وَالْهَنَاءَ .

وَفِي الْكِتَابِ بَحُوثٌ كَثِيرَةٌ ، تُعْتَبَرُ عَرْضًا عَامًّا  
لِحَيَاةِ الْغَزَالِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَيَتِمُّ بِهَا أَحْسَنُ  
تَمَثُّلٍ .

وَلَوْ نُدِبَ الْمَفْكَرُونَ لِمِثْلِ مَا نَدَبَ الْدُّكْتُورُ  
الرُّفَاعِيُّ نَفْسَهُ لِلْقِيَامِ بِهِ ، لَكَانَ لَنَا سِلْسِلَةٌ مِنْ دِرَاسَةٍ  
عَمِيْقَةٍ ، لِإِبْطَالِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَقَادَتِهِ ؟

محمد مصطفى

المراغبي

٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٥

١٧ يونيو سنة ١٩٣٦

## مُقَدِّمَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى  
رَسُولِهِ الْكَرِيمِ . « وَبَعْدُ » فَهَذَا مُوجَزٌ مِنَ التَّصْدِيرِ ،  
بَلْ هُوَ تَعْجِيزٌ مِنَ الْأَعْجَازِ ، وَتَوَاضَعٌ صَغِيرٌ فِي تَوَاضَعٍ  
كَبِيرٍ ، وَاعْتِرَافٌ بِقِلَّةِ الْبِضَاعَةِ ، إِزَاءَ إِمَامِ الْعَصْرِ وَالسَّاعَةِ ،  
وَأَبْتِهَالٌ إِلَى الْوَاحِدِ الصَّمَدِ أَنْ يُوفَّقَنَا إِلَى حُسْنِ الْإِصَابَةِ ،  
وَهَدَفِ الْإِجَابَةِ ، وَيُؤْمِنَ الْإِفَادَةَ بِمَنَّهُ وَفَضْلِهِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى النُّيْسَابُورِيُّ ، أَحَدُ تَلَامِيذِ حُجَّةِ  
الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيِّ : « لَا يَعْرِفُ الْغَزَالِيُّ وَفَضْلُهُ إِلَّا مَنْ بَلَغَ ①  
- أَوْ كَادَ يَبْلُغُ - الْكَمَالَ فِي حَقْلِهِ » فَمَاذَا عَمَى أَنْ يَقُولَ  
ضَعِيفٌ مِثْلِي فِيمَا سَطَّرَ وَحَاوَلَ ؟ وَأَيُّ خَطَرٍ <sup>(١)</sup> لِصَنْعِهِ فِيمَا  
جَمَعَ وَتَنَاوَلَ ؟ وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي التَّمْهِيدِ لِقَوِيٍّ يَنْزِعُ مِنْ  
قُوَّتِهِ ، وَقَدِيرٍ بِالرَّأْيِ يُصَدِّرُ عَنْ غَزِيرِ شِرْعَتِهِ <sup>(٢)</sup> . إِلَّا أَنْ

(١) قدر وقيمة (٢) الشريعة: مورد الما ، والكلام على المجاز

سَفَرَنَا هَذَا ، قَدْ جَمَعَ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ إِمَامَ الْإِسْلَامِ فِي  
حَاضِرِهِ « الْأُسْتَاذَ الْمَرَاغِيَّ » وَحُجَّةَ الْإِسْلَامِ فِي غَايِرِهِ  
الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ ، عَلَى تَوَافُقٍ فِي الْفَضْلِ وَتَطَابُقٍ ، وَتَوَائِبٍ  
إِلَى الْكَمَالِ وَتَسَابُقٍ ، فَكَأَنَّ التَّمَهِيدَ مَنَارٌ يَكْشِفُ  
السَّيْفِينَ ، وَيَتَيَّنُ الْأَزْوَاقَ ، وَيُلْقِي بِضَوْئِهِ السَّنَى الْمَشْرِقِ ،  
فَيَعْمُرُ صَفْحَةَ الْمَوْجِ الْمُصْطَفَقِ ، وَيَهْدِي الْمُسَافِرَ وَالسَّائِحَ ،  
وَالْعَادِيَّ وَالرَّائِحَ ، إِلَى شَاطِئِ الْيَقِينِ ، وَسِدْرَةِ الْمُتَمَتُّهِ .  
أَوْ كَأَنَّهُ تَعَانَقُ الْأَغْصَانِ وَالْأَشْجَارِ ، وَمُنَاغَاةُ الْبَلَابِلِ  
وَالْأَطْيَارِ ، وَكَأَنَّكَ مَعَهُ فِي أَعْبَقِ شَمِيمٍ <sup>(١)</sup> ، وَأَرْقٍ نَسِيمٍ ،  
بَلْ كَأَنَّكَ فِيهِ فِي تَرْتِيلٍ وَتَرْنِيمٍ ، وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ .  
وَإِنِّي لَضَعِيفُ الْبَيَانِ فِي « الْحُجَّتَيْنِ » عَاجِزٌ أَمَامَ نُبُوغِ  
الْأَمْتَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، مَا تَحَ <sup>(٣)</sup> مِنْ فَيْضِ الْعَلَامَتَيْنِ ، ضَعِيفٌ إِزَاءَ  
الْجُهَيْدَيْنِ <sup>(٤)</sup> ، مُهْتَدٍ بِسَنَى النَّيِّرَيْنِ .

وَعَلِمَ اللَّهُ أَنِّي قَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أُسَهِّبَ فِي التَّصْدِيرِ ،

(١) أي في مشموم منتشر الرائحة (٢) الأئمة الرجل الجامع للخير  
والامام (٣) ماتح : مستخرج ومستمد (٤) الجهيدين . منى جهيد .  
وهو الناقد العارف بتمييز الجيد من الردي

فَعَجَزَنِي فِيهِ مَنْطِقُ الْأَعْجَازِ فِي الْحَالَتَيْنِ ، وَأَلْزَمَنِي التَّوَاضُعُ  
فِي صِغَرِهِ الْخُشُوعَ أَمَامَ الْعَظَمَتَيْنِ الْمُتَوَاضِعَتَيْنِ فِي جَلَالِ  
التَّوَاضُعِ وَكِبَرِهِ ، فَانْتَنَيْتُ <sup>(١)</sup> وَلَمْ أَحَاوِلْ ، وَوَلَيْتُ وَلَمْ  
أُطَاوِلْ ، وَأَذْبَرْتُ وَلَمْ أَصَاوِلْ <sup>(٢)</sup> ، وَقَدْ عُمرَ تَوَاضُعِي  
بِهِدْيٍ مِنَ الْجَذَلِ وَالسُّرُورِ ، وَسَنَى مِنَ الْغِبْطَةِ وَالْحُبُورِ ،  
لِلظَّفَرِ بِهَذَا الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ، وَذِيكَ التَّصْدِيرِ مِنَ الشُّدُورِ ،  
وَاللَّبَابِ دُونَ الْقُشُورِ ، وَالْمُتَعَةِ بِمَا حَوَى مِنْ لُطْفٍ مَدْخُلِ ،  
وَرَفَقِ تَنَاوُلِ ، وَسَمَاحَةِ مَنْطِقِ ، وَرَجَاحَةِ تَفْكِيرِ ، جَاعِلًا  
مِنْهُ كِتَابِي كَالهَامِشِ ، وَالْأَصْلِ فِيهِ كَالْتَدْوِيلِ ، وَبِرَاعَةِ  
الِاسْتِهْلَالِ مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ الْبَارِزَةِ فِيمَا طَالَعَنَابَهُ أُسْتَاذُنَا  
الْجَلِيلُ ، الْحُجَّةُ الثَّلَاثَةُ فِي ذَاتِهَا وَالِدَّلِيلُ ، لِيَكُونَ الْكِتَابُ  
كُلُّهُ فِي التَّجْزِئَةِ وَالتَّفْصِيلِ ، حُجَجًا لِلْإِسْلَامِ فِي الْمُتَرَجِّمِ  
لَهُ ، وَالْمُعَبَّرِ عَنْهُ ، وَالْمُجْتَهَدِ فِيهِ ، وَالْمُصَدِّقِ لِمَا بَيْنَ  
يَدَيْهِ ، وَالْمُنْتَفِعِ بِهِ مَعَ الْمُتَنْفِعِينَ ، هُدًى وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .

اصمد فريبر رفاعي

دار المأمور { ربيع الآخر سنة ١٣٥٥  
يوليه سنة ١٩٣٦

(١) رجعت (٢) صال على قرنه : سطا



## مختصر الغزالي

### لمحات تمهيدية

(١) - العصر العباسي وأثر الفلسفة فيه

يَحْسُنُ بِنَا قَبْلَ أَنْ نَعَالِجَ الْكَلَامَ فِي حَيَاةِ حُجَّةِ  
الإسلام أبي حامد الغزالي ، أن نلِمَ في إيجازِ بسِلسِلةِ  
التدرُّجِ الفِلسَفيِّ ، الَّذِي مَهَّدَ اظْهُورِ شَخْصِيَّتِهِ الْبَارِزَةِ ،  
وَأَنْ تَقِفَ فِي اخْتِصَارٍ عَلَى أَدْوَارِ التَّكْوِينِ الَّتِي سَبَقَتْهُ ،  
حَتَّى تَتَبَيَّنَ عَوَامِلُهَا فِيهِ ، وَنَسْتَخْلِصَ الْأَفَاعِيلَ<sup>(١)</sup> الَّتِي أَثَرَتْ  
فِي ذَهْنِهِ وَنَفْسِهِ ، وَالْمَرَاحِلَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ ظُهُورَهُ ....  
فَإِنَّ لِدَلِّكَ كُلَّهُ بِلَا رَيْبٍ صِلَةَ وَثِيقَةً بِنَشُوءِهِ وَتَكْوِينِهِ .

الفلسفة قبل  
ظهور الغزالي

كَانَ ظُهُورُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ فِي النُّصْفِ الثَّانِي مِنَ  
الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ ، أَي فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الثَّلَاثِ  
مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ  
وَأَرْبَعِمِائَةٍ هَجْرِيَّةً وَقَدْ سَبَقَ ظُهُورُهُ ائْتِشَارُ الْفِلسَافَةِ  
الْيُونَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْفِلسَفَاتِ الْقَدِيمَةِ ، كَفِلسَافَةِ الْهِنْدِ ،

(١) الأفاعيل : جمع أفعال أو أفعال : صيغة تختص بما يتعجب منه .

قال السعد في حواشي الكشاف : وهو عربي ، وقيل مولد .

وَفَلَسَفَةِ الْفُرْسِ كَذَلِكَ ، - إِذَا نَحْنُ تَرَحَّصْنَا فِي التَّعْبِيرِ -  
إِذْ لَمْ تَكُنْ تَكُنْ هَذِهِ الْفَلَسَفَةُ فِي الْوَاقِعِ غَيْرَ مَا نَقَلَهُ الْفُرْسُ  
مِنَ الْفَلَسَفَاتِ الَّتِي عَيْنَاهَا ، وَمَا أَصَابُوهُ مِنْ مَدْرَسَةِ  
الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَتَرَجُّوهُ عَنِ الشَّرْيَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا نَقَلَهُ  
الْعَرَبُ فِي نَهَايَةِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَصَدَرَ الْعَهْدُ الْعَبَّاسِيُّ  
مِنَ عُلُومِ الْأُمَّمِ الَّتِي غَزَوْهَا ، وَالْأَقْطَارِ الَّتِي أَخْضَعُوهَا  
لِسُلْطَانِهِمْ وَأَدْخَلُوهَا فِي دَائِرَةِ إِمْبَرَاطُورِيَّتِهِمْ ، وَكَانَ  
شَأْنُهُمْ فِيهَا وَمَعَهَا شَأْنُ الْإِمْتِزَاجِ وَالتَّفَاعُلِ وَاللِّقَاحِ  
وَالْتَّوَالِدِ ، وَكَانَ حَالُهُمْ إِزَاءَهَا وَحَالِهَا إِزَاءَهُمْ أَنْ انْقَلَبَ  
الْعَازِي مَغْرُوبًا ، وَالْفَاتِحُ مَفْتُوحًا ، وَالغَالِبُ بِنَفْسِهِ مَغْلُوبًا .  
وَكَانَ لِهَذَا النُّقْلِ عَنِ الْخُضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ أَثَرُهُ بِلَاشِكِ  
فِي صَبْغِ ثِقَافَتِهِمْ بِلَوْنِ جَدِيدٍ ، فَقَدْ كَانَ كُلُّ دَابِ الدَّوْلَةِ  
الْأُمَوِيَّةِ قَبْلَهُمْ الْبَحْثُ فِي الدِّينِ ، وَكَانَتْ ثِقَافَتُهُمْ فِي  
جَوْهَرِهَا دِينِيَّةً فِقْهِيَّةً لَا أَثَرَ فِيهَا لِلْمَوْضُوعَاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ  
وَالْكُورِيَّةِ ، إِذْ كَانَ عَصْرُهُمْ فِي جُمَّلَتِهِ قَرِيبًا مِنْ عَصْرِ  
التَّسْلِيمِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْإِقْتِنَاعِ وَالْإِذْعَانِ ، وَحُكْمِ السُّنَّةِ  
وَالْقُرْآنِ : عَصْرُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ .

ولكن الدولة العباسية لم تلبث أن غيرت وجوه التفكير العلمي، بسبب تأثير ثقافتها بما أدخل الفرس عليها من علوم الحضارات الأخرى، للتخفيف من حدة الاندماجات الدينية، والتيارات اللغوية، والمناظرات القرآنية والتفسيرية والشريعة، التي يصح لك أن تقدرها في أمن من همة الغلو، وفي قرب من إصابة الواقع، بأنها كانت ملك<sup>(١)</sup> ثقافة الأمويين ولباب مشغلهم، وقد رأينا الناس في عهد أبي جعفر المنصور ثم في عهد الرشيد والمأمون والذين جاءوا من بعدهم جد متاثرين بهذا العنصر الطاريء والوجه الجديد من العلم والتفكير، بسبب كثرة ما جاء به النقلة من مختلف أبواب الثقافات الفارسية عامة والأغريقية خاصة، في الفلسفة والأخلاق إلى جانب عنايتهم بالعلوم الطبية والكيميائية وغيرها من الثقافات الهندية وغيرها.

ولقد تمت<sup>(٢)</sup> حركة النقل، وذكّت<sup>(٣)</sup> بهضة

(١) الملك: بالكسر والفتح - قوام الشيء ونظامه وما يعتمد عليه فيه

(٢) زادت وتضاعفت (٣) انقذت وحميت

الترجمة في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، وانتشرت  
كتب « أفلاطون » و « أرسطو » و « بطليموس »  
و « جالينوس » وأمثالهم من الأغارقة الغابرين .

وكان أثر هذه الحركة العلمية القوية الناهضة باديًا  
في ناحيتين : ناحية التوسُّع والابتكار والكشف - وكان  
ذلك مقصودًا على العلم - لم المادّي كالتطبِّ والكيمياء  
« والفسيولوجيا » و« علم المعادن » ، فقد جاءوا في ذلك كله  
بما لم يحمي به اليونان من قبلهم - وناحية التطوُّر  
والإذكار<sup>(١)</sup> والنظر في غير ذلك من نواحي العلم  
والثقافة ، كالأخلاق والمنطق و« علم النفس » وأشباهاها بما  
يندمج في حدود الفلسفة .

وقد حفظوا ما نقلوه من المورِد الإغريقي بالدراسة  
المتعمقة ، والبحث المستقصى<sup>(٢)</sup> ، والعناية البالغة بالنظر  
والتناول الدقيق ، حتى جاءت الحضارة الغربية ، فأخذت  
عندهم ما استحدثوا ، ونقلت عنهم ما حفظوا من الفلسفة

العناية بالفلسفة  
اليونانية

(١) ادكر واذكر: بمعنى ذكر (٢) المستوعب: المعين

الإغريقية، وأستظهروه<sup>(١)</sup> وحرصوا عليه من الضياع،  
سواء أكان ذلك عن طريق الأندلس، أم الحروب  
الصليبية؟؟.

وكان أشد ما تأثر العرب به في القرن الثاني والثالث  
هو الفلسفة اليونانية، وبخاصة فلسفة أفلاطون الحديثة،  
وكان أكبر دعواتها والمروجين لها أفلاطون في القرن  
الثالث من الميلاد.

وأول من توفّر من المسلمين على دراسة الفلسفة  
هو الكندي، وكانت الفلسفة التي تأثر بها هي  
الأفلاطونية الحديثة التي تقدّم ذكرها، وكانت مزيجاً  
من الفلسفة والتصوف الديني، وهذا هو ماحببها إلى  
النفوس العربية، وجعل العرب يؤثرونها على سواها من  
سائر فلسفات الإغريق.

وقد نقل الكندي كتباً كثيرة عن اليونان، كما وضع  
عدة مؤلفات، وتأثر كذلك بتعاليم أرسطو وفلسفته،

وَحَضَرَ عَهْدَ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ ، وَبَلَغَ عَدْدُ كُتُبِهِ فَوْقَ  
الْمِائَتَيْنِ وَالْخَمْسِينَ ، كَمَا عَدَّهَا ابْنُ النَّدِيمِ فِي فِهْرِسْتِهِ ،  
وَكَمَا يَبَيِّنُهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ أَخْبَارِ الْحُكَمَاءِ .

وَلَقَدْ جَاءَ بَعْدَئِذٍ « الْفَارَابِيُّ » وَلَيْسَ مِنْ قَصْدِنَا أَنْ  
تَتَحَدَّثَ عَنْهُ الْآنَ ، وَكُلُّ مَا يَجِبُ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِ هُوَ  
أَنَّ الْفِيلَسُوفَ أَبَانَ نَصْرَ الْفَارَابِيَّ قَدْ حَضَرَ عَهْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ،  
وَأَنَّ وِفَاتَهُ كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَنَّهُ قَدْ  
دَرَسَ الْفَلَسَفَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَفَّرَ عَلَيْهَا ، وَأَخْلَدَ إِلَى الْبَحْثِ  
فِي تَعَالِيمِ أَرِسْطُو وَشُبِّهِ ، حَتَّى لَقَدْ رُويَ أَنَّهُ وَجِدَ  
كِتَابَ أَرِسْطُو فِي « النَّفْسِ » وَقَدْ كُتِبَ عَلَيْهِ بِحِطِّ  
الْفَارَابِيِّ : إِنِّي قَرَأْتُ الْكِتَابَ مِائَةَ مَرَّةٍ .

وَلَقَدْ لُقِّبَ الْفَارَابِيُّ بِالْمُعَلِّمِ الثَّانِي ، أَيْ أَنَّهُ يُجِئُ بَعْدَ  
أَرِسْطُو فِي الْقِيَمَةِ وَالتَّقْدِيرِ الْفَلَسَفِيِّ ، لِأَنَّ أَرِسْطُو هُوَ  
الْمُعَلِّمُ الْأَوَّلُ .

وَكَانَ كُلُّهُمْ الْفَارَابِيُّ أَنْ يُثَبِّتَ اتِّفَاقَ الْفَلَسَفَةِ  
وَالْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا حَقٌّ ، وَالْحَقُّ لَا يَتَعَدَّدُ ، كَمَا

الفارابي

كَانَ رَأْيُهُ فِي ذَلِكَ مُنْصَرِفًا إِلَى إِقْنَاعِ الْمُسْلِمِينَ بِقَبُولِ الْإِعْتِقَادِ  
بِهَذَا التَّوْفِيقِ .

وَلَا يَقْوَتَنَّكَ - وَأَنْتَ مَاضٍ فِي عَرْضِ فَلَسَفَةِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ  
الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ ، وَآخِذٌ فِي عَرْضِ قِصَّةِ الْفَلَسَفَةِ - أَنْ  
تَذْكُرَ الْأَثَرَ الْكَبِيرَ الَّذِي حَدَثَ فِي تَطَوُّرِ الْفَلَسَفَةِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ بِسَبَبِ تَعَالِيمِ «إِخْوَانِ الصَّفَاءِ» وَهُمْ جَمَاعَةٌ  
سَرِيَّةٌ أَقَامُوا فِي الْبَصْرَةِ مَهْدِ الثَّقَافَاتِ الدَّخِيلَةِ<sup>(١)</sup> عَلَى الْإِسْلَامِ  
وَكَانَ مَنْزِلُهَا بَهَا فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ مِنَ الْهِجْرَةِ ،  
أَوْ حَوْلَى ذَلِكَ التَّأْرِيخِ ، وَقَدْ آثَرُوا التَّجَافِي<sup>(٢)</sup> عَنِ النَّاسِ ،  
وَالْإِزْوَاءَ عَنِ الْعَامَّةِ ، لِيُخْلِدُوا<sup>(٣)</sup> إِلَى التَّفَكُّيرِ فِي أَفْقٍ هَادِيٍّ  
مُطْمَئِنٍّ ، وَبِمَنْجَاةٍ<sup>(٤)</sup> مِنْ حُجُبِ الْحَيَاةِ وَضَوْضَائِهَا ، وَبِعِزْلِ  
عَنْ لَوْثٍ<sup>(٥)</sup> أَخْلَاقِيَّهَا وَأَحَايِلِهَا ، وَكَانَ دُسْتُورُهُمْ : « أَنْ  
الشَّرِيعَةَ قَدْ دَنَسَتْ بِالْجَهَالَاتِ ، وَأَخْتَلَطَتْ بِالضَّلَالَاتِ  
وَلَا سَبِيلَ إِلَى غَسْلِهَا وَتَطْهِيرِهَا إِلَّا بِالْفَلَسَفَةِ ، لِأَنَّهَا حَاوِيَةٌ  
لِلْحِكْمَةِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ ، وَالْمَصْلَحَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَأَنَّهُ مَتَى

(١) الغربية (٢) البعد (٣) ليخلصوا : ليميلوا ويركنوا (٤) بعزل

(٥) اللوث : الشر

أَنْظَمَتِ الْفَلَسَفَةَ الْيُونَانِيَّةَ ، وَالشَّرِيعَةَ الْعَرَبِيَّةَ ، فَقَدْ  
حَصَلَ الْكَمَالُ » .

الإسماعيلية

وَقَدْ وَضَعَ « إِخْوَانُ الصِّفَاءِ » كُتُبًا كَثِيرَةً كَانَتْ  
تَعَالِيهِمْ فِيهَا خَلِيطًا مِنَ الْأَفَلَاطُونِيَّةِ الْخَدِيثَةِ ، وَالنُّزُوعِ  
الرُّوحِيِّ « التَّصَوُّفِ » حَتَّى ذَهَبَ فَرِيقٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ إِلَى  
أَنَّ هَذِهِ الْجُمُعِيَّةَ قَدْ تَكُونُ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِ  
« الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ » أَوْ فَرِيقًا مِنْ دُعَاةِ الْبَاطِنِيَّةِ ، وَقَدْ ذَهَبَ  
بَعْضُ الرُّوَاةِ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْمَغُولَ عِنْدَ فَتْحِهِمْ قَلْعَةَ  
« أَلْمُوتِ » - وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ فِي حَوْزَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ - عَرَّوْا  
عَلَى كَثِيرٍ مِنْ نُسَخِ الْكُتُبِ وَالرِّسَالَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا  
« إِخْوَانُ الصِّفَاءِ » فَكَانَ ذَلِكَ لَدَيْهِمْ بِمِثَابَةِ تَأْيِيدِ لِسُبُهَتِهِمْ ،  
وَتَحْقِيقِ لِظَنِّهِمْ . مِمَّا لَا نَتَعَرَّضُ لَهُ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ،  
أَوْ تَعْقِيبِ <sup>(١)</sup> أَوْ تَفْنِيدِ ، فِي هَذَا التَّمْهِيدِ التَّارِيخِيِّ  
الْبَحْثِ <sup>(٢)</sup> .

وَمِنْ أَسْمَاءِ أَيْضًا بِالْفَلَسَفَةِ ، الرَّئِيسُ أَنْ سِينَا

ابن سينا

(١) التعقيب : التنديد وتبيين العيوب والاعلاط (٢) البحث : الخالص .



البُخَارِيُّ ، وَ كَانَ مَوْلَاهُ عَامَ سَبْعِينَ وَ ثَلَاثِينَ ، وَ وَفَاتَهُ  
عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ وَ أَرْبَعِينَ ، فَهُوَ بِجَانِبِ عِلْمِهِ الْوَاسِعِ  
بِالطَّبِّ ، كَانَ كِتَابُهُ « الْقَانُونُ » هُوَ الْعُمْدَةُ فِي هَذَا الْعِلْمِ  
فِي الْقُرُونِ الْوُسْطَى فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ عَلَى السَّوَاءِ ، وَقَدْ  
بَحَثَ فِي فِلْسَفَةِ أَرِسْطُو ، وَوَضَعَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِي عُلُومِ  
الْمَنْطِقِ وَالْإِلَهِيَّاتِ .

وَأَشْهُرُ مَنْ تَأَثَّرَ بِالفِلْسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ | ابن مسكويه  
أَبْنُ « مَسْكُويهِ » وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ  
وَ أَرْبَعِينَ ، فَقَدْ بَحَثَ فِي تَعَالِيمِ أَفْلَاطُونِ وَ أَرِسْطُو  
وَجَالِينُوسَ ، وَ أَرَادَ أَنْ يَمِزَّجَ هَذِهِ التَّعَالِيمَ بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ ،  
فَأَلَّفَ كِتَابَهُ الْمَعْرُوفَ « تَهْدِيْبُ الْأَخْلَاقِ وَ تَطْهِيْرُ  
الْأَعْرَاقِ » وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ مَا تَأَثَّرَ بِهِ ، تَعَالِيمُ أَرِسْطُو  
حَتَّى لَقَدْ جَاءَ بِفِقْرَاتٍ مِنْ تَعَالِيمِهِ فِي صُلْبِ كِتَابِهِ ، كَمَا  
أَقْتَبَسَ فِي « النَّفْسِ » شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ بَحْثِهِ وَمَنَاحِيهِ .

\*\*\*

وَ قَامَتْ فِي الْقَرْنَيْنِ : الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ لِلْهِجْرَةِ حَرَكَهٗ علماء الكلام

جَدِيدَةٌ ، أَحَدُهَا عُلَمَاءُ الْكَلَامِ <sup>(١)</sup> وَأَجْدَلِيُونَ ، وَقَدْ أَرَادُوا  
بِهَا الْقَضَاءَ عَلَى الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَمُحَارَبَةَ تَعَالِيمِ أَرِسْطُو  
وَأَفْلَاطُونِ فِيمَا يَتَّصِلُ بِالْإِلَهِيَّاتِ ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ بُحُوثٌ  
كَلَامِيَّةٌ ، وَمُنَاقَشَاتٌ جَدَلِيَّةٌ فِي الْعِلَّةِ وَالْمَعْمُولِ ، وَالزَّمَانِ  
وَالْمَكَانِ ، وَالْحَرَكَةِ وَالشُّكُونِ ، وَالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ ، وَالذَّوْرِ  
وَالتَّسْلُسِ وَمَا إِلَيْهَا . وَلَمْ تَكُنْ بُحُوثُهُمْ مُعَارِضَةً  
لِلْفَلَسَفَةِ وَحَدِّثُهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَصَدُوا بِهَا إِلَى تَسْفِيهِ  
مَذَاهِبِ الْمُعْتَزَلَةِ وَالزَّنَادِقَةِ ، وَالْحَنَابِلَةِ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَغَيْرِهَا  
مِنْ مَذَاهِبِ الْوَقْتِ وَمُعْتَقَدَاتِ الزَّمَانِ .

الاشعري

وَقَدْ أَشْهَرَ فِي هَذَا الْعَهْدِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ  
الْأَشْعَرِيَّ ، مِنْ سُلَالَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، الَّذِي حَكَمَ  
بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَعَلِيٍّ ، وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ رَأْسَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ  
الْأَشَاعِرَةِ ، وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ ، حَتَّى بَلَغَ  
الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، ثُمَّ هَجَرَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ رَيْبٌ <sup>(٢)</sup> أَبِي عَلِيٍّ  
الْجَبَّاتِيِّ مِنْ كِبَارِ أَهْلِهِمْ ، وَكَانَتْ وَقْفَاتُهُ سَنَةً أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ

(١) المراد بالكلام هنا علم التوحيد (٢) الريب : ابن الزوجة

وثلثمائة ، أى قبل مولد الغزالي بأكثر من مائة وعشرين سنة .

الباقلي

وكذلك أشهر في أواخر القرن الثالث أبو بكر محمد بن الطيب الباقلي المصري ، وكان شيخاً من شيوخ العلم والدين ، نقل مذهب الأشعرية ، وناظر بعض المعترزة بحضرة عضد الدولة بن بويه الديلمي بشيراز ، ثم أوفده عضد الدولة إلى ملك الروم بجمعة من مهام الدولة ، فقام بسفارته<sup>(١)</sup> خير قيام ، وكان له هناك شأن ألفت إليه الأنظار ، وكان موضع الحفاوة والإكبار ، وله مؤلفات عدة ، أشهرها وأبناها كتابه « إعجاز القرآن » وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة .

وأشهر كذلك غيرها كثير من جهابذة العلماء ، وأصحاب العارضة<sup>(٢)</sup> والبراعة في المناظرات ، ومجالس الجدل والمناطقة من الفقهاء .

وفي هذا الدور من تطور الفلسفة ، ظهر الإمام

ظهور الغزالي

(١) السفارة : السعى في الصلح بين القوم (٢) العارضة : البيان واللسن والبدية .

الغزالي متأثراً بروح العصر ، وهو جهد المتكلمين في  
مُحاربة الفلسفة ، والعمل على دحضها <sup>(١)</sup> ، وتقنين مزاعمها  
وبراھينها ، فكان أكبر من درس الفلسفة اليونانية  
وحمل عليها من جميع نواحيها ، وأظهر مناقاتها <sup>(٢)</sup> لتعاليم  
الدين ، ودعا الناس إلى الإنابة <sup>(٣)</sup> لدينهم الصحيح ، فأحدث  
أثراً عظيماً في أهل عصره ، إذ ردّهم إلى الكتاب والسنة  
وحبب إليهم التصوف ، رافعاً نفوسهم إلى آفاقه الروحية  
حيث تصفوا العقول من مادية الحياة ، وتطهروا النفوس  
من الأوضار والأدران .

جميع دضر  
وهو نسخ النسخ  
وما يعلق بالكتاب

• لقد كان ظهور الغزالي في العصر العباسي الثالث ،  
وقد رأينا من سير التاريخ في الدولة العباسية ، أن عصرها  
الأول كان دور النقل والتوسُّع ، والاستحداث والتجديد ،  
بنقل الفرس وغيرهم من الذين دخلوا في دين العرب ، فهم  
الذين اشتغلوا بالترجمة والنقل ، ومنج الثقافة العربية  
بغيرها من الثقافات .

(١) قهرها وتقنيدها (٢) مخالفتها (٣) الانابة : الرجوع

وَجَاءَ الْعَصْرُ الثَّانِي - فَكَانَ دَوْرَ التَّطْيِيقِ ، وَمُحَاوَلَةَ  
التَّقْرِيبِ بَيْنَ الْفَلَسَفَةِ وَالدِّينِ ، وَكَانَ أَكْبَرُ أَعْلَامِهِ  
الْكِنْدِيُّ كَمَا مَرَّ بِكَ .

مخاربة الفلاسفة

شجرة الحلال

وَلَكِنْ بظُهُورِ الْغَزَالِيِّ فِي الْعَصْرِ الثَّلَاثِ ، ظَهَرَتْ  
فَوْرَةٌ<sup>(١)</sup> جَدِيدَةٌ ، وَهِيَ فَوْرَةُ الْغَضَبِ لِلدِّينِ عَلَى الْفَلَسَفَةِ ،  
وَقَدْ تَأَثَّرَ الْغَزَالِيُّ فِيهَا بِنَشْأَةِ صُوفِيَّةٍ رُوحِيَّةٍ هَيَّئَتْ لَهُ مِنْ  
الْبَيْئَةِ ، وَتَأَثَّرَتْ<sup>(٢)</sup> لَهُ مِنْ الْوَرَاثَةِ وَالتَّكْوِينِ ، فَزَرَعَتْ  
بِهِ إِلَى دِرَاسَةِ كُلِّ مَا سَبَقَهُ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ، وَأَقْوَالِ أَصْحَابِهَا ،  
ثُمَّ عَادَتْ بِهِ رُوحَانِيَّةً إِلَى جَوْهَرِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ ذَاتِهِ  
فَاسْتَحْوَذَتْ هَذِهِ التَّعَالِيمُ عَلَيْهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ نَفْسِهِ  
فَكَانَتْ فِي مُحَارَبَتِهِ لِلْفَلَسَفَةِ عِمَادَ كُتُبِهِ ، وَمُسْتَقَى تَعَالِيمِهِ ،  
وَمَوَارِدَهُ الْغُزْرَ<sup>(٣)</sup> الْمَتَدَقِّقَةَ .

(١) فورة كشورة وزنا ومعنى (٢) تهيأت (٣) الغزر : جمع غزيرة

٢ - أرسطو وموجز فلسفته

صلة فلسفته  
بالغزالي

مرَّ بك في هذه اللّمحات الموطّئة للبحث في حياة  
الغزالي وتواحي تفكيره ، أن فلسفة أرسطو هي التي  
شاعت في العصر العباسي عقب نقلها إلى العربية ،  
وأحدثت أكبر الأثر في ثقافته ، وتكوين أعلام  
كتابه وفلسفته ، فيحسن كذلك أن نبين لك معالم  
هذه الفلسفة ، في كثير من الأجزاء ، لتكون الصورة  
الأمثلة لديك للعصر الذي تقدم ظهور الغزالي كاملة  
الأجزاء ، بارزة الأجزاء ، واضحة الدقائق (١) .

سيرته

كان ظهور أرسطو أو أرسططاليس في القرن الرابع  
قبل الميلاد في بعض ثغور مقدونيا ، وكان أبوه  
يقوم ما خوس طبيباً للملك فأنصل أرسطو في نشأته بالقصر  
وأختلط « بفيلبس » أبي الإسكندر ، وهما يومئذ فتیان  
ناشئان ، ولكنه ما لبث أن ذاق ألم اليم برحيل أبيه

(١) الموافق الغامضة ، والتي تعوزها في كشفها الدقة

فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَكَفَلَهُ<sup>(١)</sup> وَلِيُّ أَمْرِهِ « بَرُوفْسَانْسُ » وَبَعَثَ  
بِهِ إِلَى أَثِينَا لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، فَأَخَذَ فِيهَا عَنْ أَفْلَاطُونِ عِشْرِينَ  
سَنَةً حَتَّى وَافَتْهُ الْمُنِيَّةُ مُعَلِّمَةً .

\* \* \*

ترجمته  
للاسكندر

وَقَدْ عَاهَدَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ « فِيلِبِسُ » بَعْدَ ذَلِكَ بِأَعْوَامٍ ،  
أَمَرَ تَعْلِيمَ ابْنِهِ الْأِسْكَندَرَ الْأَكْبَرَ وَتَثْقِيفَهُ ، فَفَعَلَ  
حَتَّى تَقَلَّدَ الْأِسْكَندَرُ الْمَلِكَ ، فَرَجَعَ أَرِسْطُو إِلَى أَثِينَا  
وَأَسَّسَ بِهَا مَدْرَسَةً لَهُ سُمِّيَتْ مِنْ بَعْدِ بِمَدْرَسَةِ « الْمَشَائِينِ »  
بِسَبَبِ عَادَةِ أَرِسْطُو وَلَازِمَتِهِ ، وَهِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي أَثِينَا  
الْدَّرْسِ يَمْشِي ذُهُوبًا<sup>(٢)</sup> وَجَيْئَةً<sup>(٣)</sup> أَمَامَ التَّلَامِيذِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ  
وَقَدْ لَبِثَ يُعَلِّمُ النَّاسَ فِي مَدْرَسَتِهِ هَذِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً  
مُتَوَالِيَةً حَتَّى وَفَاتِهِ .

\* \* \*

وَفِي هَذَا الدَّوْرِ مِنْ حَيَاتِهِ وَضَعَ كُتُبَهُ الْمَشْهُورَةَ ، وَجَوَّهَ بَعْضَهُ  
وَوَطَّدَ فِلْسُفَتَهُ . وَنَحْسَبُهُ بَدَأَ أَوَّلًا بِالْمَنْطِقِ<sup>منطق</sup> ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ

(١) أى أخذه فى عهده ورعايته (٢) و (٣) ذهابا ورجينا

<sup>metaphysics</sup> العلوم الطبيعية ، وتوفر بعد ذلك على فلسفته الأخلاقية ،  
<sup>metaphysics</sup> ونظرياته في السياسة وما وراء الطبيعة .

\* \*

وأكثرت ما ذهب إليه كان تصحيحاً لفلسفة أستاذه  
 أفلاطون ، إذ لم يجعل بحثه أو نظره في الطبيعة كما فعل  
 معلمه مجرد تأمل لعالم المثل المجرد ، ولكنه أحاله  
 حسيًا ، وحاول أن تكون فلسفته طبيعية وعقلية معًا  
 فانتجت محاولته ابتكار علم جديد كان هو السباق إليه  
 وهو علم المنطق ، أو السبيل القويمة المفضية إلى الحقيقة  
 التي ينشدها ، إذ ينتقل به الفكر من المقدمات إلى  
 النتائج الصحيحة .

\* \*

ويسمى أرسطو المعلم الأول لهذا السبب ، وهو أنه  
 كان أول من علم الناس المنطق ، ولم يكن من قبله  
 علمًا .

\* \*



نظرية المثل

Idealism

وَقَدْ بَحَثَ أَرِسْطُو فِيمَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ ، فَتَنَاولَ نَظْرِيَّةَ  
أَفْلَاطُونِ فِي « الْمَثَلِ » بِالتَّحْلِيلِ وَبَيَّنَّ وَجُوهَ اِخْطَا فِيهَا  
وَتَوَلَّى الرَّدَّ عَلَيَّهَا وَتَقْنِيدَهَا ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الوجودَ مَلِيٌّ  
بِأَشْيَاءَ لَاعَدَّ لَهَا ، وَمِنْ شَأْنِ الفَلَسَفَةِ أَنْ تُوضِّحَ لَنَا كَيْفَ  
وُجِدَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ، وَلَكِنَّ نَظْرِيَّةَ أَفْلَاطُونِ تَقُولُ :  
إِنَّ وَرَاءَ هَذَا الْعَالَمِ عَالَمًا آخَرَ هُوَ عَالَمُ « الْمَثَلِ » (١) فَهِيَ  
عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ تَضَاعَفُ المَوْجُودَاتِ ، وَتَزِيدُ اِخْتِرَاةً فِي  
فَهْمِ مُنْشِئِهَا ، وَمَا أَفْلَاطُونُ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَشْبَهُ بِرَجُلٍ شَقَّ  
عَلَيْهِ أَنْ يَعُدَّ كَمِيَّةً مِنَ الْأَشْيَاءِ فَضَاعَفَ عَدَدَهَا ، وَهُوَ  
يَحْسَبُ أَنَّهُ بِذَلِكَ قَدْ سَهَّلَ وَذَلَّلَ أَمْرَ عَدَّهَا ؟

\*\*\*

وَكَانَ أَفْلَاطُونُ مِنْ قَبْلِهِ فِي نَظْرِيَّةِ « الْمَثَلِ » يَأْخُذُ  
الْأَشْيَاءَ الَّتِي تُدْرِكُ بِالْحَسِّ فَيَعْمَمُهَا وَيَدْعُوهَا ثَانِيَةً لِأَنَّهَا  
وَلَا فَارِقَ عِنْدَهُ بَيْنَ اِلْحْصَانِ فِي الْحَقِيقَةِ وَمِثَالِ اِلْحْصَانِ إِلَّا

(١) ربما كان معنى رأى أفلاطون على ظاهره أن كل كائن له مثال ،

فالشخص شخصان : ذات ومثل

مِنْ حَيْثُ التَّخْصِيسُ وَالتَّعْمِيمُ ، فَجَاءَ أَرِسْطُو - فَقَالَ بَأَنَّ  
الْأَشْيَاءَ تُدْرِكُ بِالْحَسِّ ، وَأَنَّ الْمُثَلَ هِيَ صُورَةٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ ،  
وَلَيْسَتْ الْأَشْيَاءُ صُورَةً مِنَ « الْمُثَلَ » .

\* \* \*

وَقَدْ فَصَلَ أَفَلَاطُونُ الْمُثَلَ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَجَعَلَهَا عَالَمًا  
مُسْتَقِلًّا ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مِثَالٍ عَالَمًا مُسْتَقِلًّا ، وَقَالَ أَرِسْطُو  
فِي أُعْتَرَاضِهِ : إِنَّ مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ (١) يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِيهَا  
لَا خَارِجَةً عَنْهَا ، وَإِنَّ الْحَقَائِقَ الْكُلِّيَّةَ : كَالْعَدْلِ ، وَالْحَرَارَةَ  
وَالْبُرُودَةَ ، وَحَقِيقَةَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ لَهَا وُجُودٌ خَارِجِيٌّ (٢) ،  
وَإِنَّمَا الْمَوْجُودُ فِي الْخَارِجِ هُوَ الْمُفْرَدَاتُ ، كَالشَّيْءِ الْخَارِ ،  
وَالشَّيْءِ الْبَارِدِ ، وَالْإِنْسَانِ أَعْنَى أَفْرَادِهِ ، وَأَمَّا الْحَقَائِقُ  
الْكُلِّيَّةُ ، فَهَذِهِ لَيْسَ لَهَا مِنْ وُجُودٍ إِلَّا فِي أَذْهَانِنَا : مِثَالُ ذَلِكَ :  
أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا  
وَهُوَ مَا نُسَمِّيهِ الْإِنْسَانِيَّةَ ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ لَا تُوجَدُ مُسْتَقِلَّةً  
وَحْدَهَا ، وَإِنَّمَا تُوجَدُ فِي الْأَفْرَادِ ، كَالْحَرَارَةِ تُوجَدُ فِي الْخَارِ ،

تفضيها  
والاعتراض عليها

(١) حقيقة الأشياء (٢) أي بل هي أمور معنوية اعتبارية

وَالْبُرُودَةَ فِي الْبَارِدِ وَهَكَذَا ، وَهَذِهِ الْإِنْسَانِيَّةُ لَا بُدَّ مِنْ  
أَنْ تَتَحَقَّقَ فِي كُلِّ فَرْدٍ لِيَكُونَ إِنْسَانًا ، وَإِذَا سُلِبَتْ مِنْهُ  
لَمْ يَبْقَ كَذَلِكَ ، وَلَا ضَرُورَةٌ لِمَا ذَهَبَ أَفْلَاطُونُ إِلَيْهِ ،  
مِنْ أَنْ كُلِّ مَا تَتَصَوَّرُهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ صُورَةٌ  
قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا فِي الْخَارِجِ ، فَإِنَّا نَتَصَوَّرُ مَا أَيْسَ لَهُ وُجُودٌ  
خَارِجِيٌّ ، كَجَبَلٍ مِنْ يَأْفُوتِ أَوْ بَحْرٍ مِنْ زَيْبِقٍ أَوْ مَا  
أَشْبَهَ ذَلِكَ .

\*\*\*

وَقَدْ انْتَقَلَ أَرِسْطُو مِنْ هَذَا إِلَى أَسَاسِ فِلْسَافَتِهِ وَهُوَ *المادة والصورة*  
*substance + form*  
*matter* « الْمَادَّةُ وَالصُّورَةُ » فَقَالَ : إِنَّ الْمَادَّةَ وَالصُّورَةَ لَا تَنْفَصِلَانِ  
فَلَا صُورَةَ مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ ، وَلَا مَادَّةَ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ ، وَكُلُّ  
مَوْجُودٍ فِي الْخَارِجِ يَتَكَوَّنُ مِنْهُمَا ، وَهُمَا لَيْسَتَا مُنْفَصِلَتَيْنِ  
إِلَّا فِي الذَّهْنِ ، وَنَحْنُ نَفَكِّرُ فِيهِمَا مُنْفَصِلَتَيْنِ لِكَيْ  
نَفْهَمَهُمَا فَقَطَّ .

\*\*\*

وَلَيْسَ يَعْنِي أَرِسْطُو بِالصُّورَةِ الشَّكْلَ ، وَلَكِنَّهُ سِلْسَلَةُ التَّرْقِي

يَعْنِي بِهَا جَمِيعَ صِفَاتِ الشَّيْءِ ، مِنْ لَوْنٍ وَخِفَةِ وَجَمَالٍ وَقُبْحٍ  
وَمَا إِلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ ، وَعَلَاقَةُ كُلِّ  
جُزْءٍ بِالْكُلِّ . أَمَّا الْمَادَّةُ فَهِيَ مَا اتَّصَفَ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ  
وَأَشْبَاهِهَا .

\* \* \*

وَيَقُولُ أَرِسْطُو إِنَّ الْعَالَمَ سِلْسِلَةٌ تَرَقِّي الْمَادَّةَ ،  
مِنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ أَرْقَى مِنْهَا ، فَالْعَالَمُ دَرَجَاتٌ ، بَعْضُهَا  
فَوْقَ بَعْضٍ ، فَمَا كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ ، يَكُونُ  
قَدْ غَلَبَتْ صُورَتُهُ مَادَّتَهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي الدَّرَجَةِ الدُّنْيَا (١)  
يَكُونُ قَدْ غَلَبَتْ مَادَّتُهُ صُورَتَهُ ، حَتَّى إِذَا وَصَلْنَا إِلَى نِهَائِهِ  
الْحَضِيضِ ، وَصَلْنَا إِلَى مَادَّةٍ لَا صُورَةَ لَهَا ، وَإِذَا بَلَّغْنَا الذَّرْوَةَ  
الْعُلْيَا ، وَجَدْنَا صُورَةَ لَا مَادَّةَ لَهَا ، وَالذَّرْوَةَ الْعُلْيَا  
لِلْمَوْجُودَاتِ ، أَوِ الصُّورَةَ الْمُجَرَّدَةَ هِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا  
أَرِسْطُو « اللهُ »

\* \* \*

الله أو غاية  
الغايات

وَكَلَّمَا قَرَّبَ الشَّيْءُ مِنْ كَمَالِ الصُّورَةِ ، كَانَ أَقْرَبَ  
إِلَى الْحَقِيقَةِ ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ مَثَلًا أَوْ فِكْرَةً أَوْ عَقْلًا ، وَإِذَا  
كَانَ هُوَ الْعِلَّةَ الْعَائِيَّةَ ، كَانَ هُوَ غَايَةَ الْغَايَاتِ ، وَهُوَ الَّذِي  
يَسْمَعُ إِلَيْهِ وَيَقْصِدُهُ كُلُّ مَوْجُودٍ . وَإِذَا كَانَ هُوَ الْعِلَّةَ  
الْمُحَرِّكَةَ ، كَانَ هُوَ الْمُحَرِّكَ الْأَوَّلَ لِلْعَالَمِ ، وَمَصْدَرَ كُلِّ  
حَرَكَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَحَرِّكًا ، إِذْ لَوْ كَانَ مُتَحَرِّكًا  
لَتَحَرَّكَ إِلَى غَايَةٍ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ غَايَةُ الْغَايَاتِ .

\*\*\*

وَلَيْسَ يَعْني بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُ مُحَرِّكُ الْعَالَمِ » أَنَّهُ يَدْفَعُهُ  
دَفْعَةً آيَةً مِنْ خَلْفِهِ ، بَلْ يَعْني أَنَّهُ يَجْذِبُهُ إِلَى غَايَتِهِ ،  
وَالْعَالَمُ لَا أَوَّلَ لَهُ فِي الزَّمَنِ ، وَإِنَّمَا سَبَقَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْبِقُ  
الْمُقَدِّمَةُ النَّتِيجَةَ ، وَكَذَلِكَ لَا نِهَايَةَ لِلْعَالَمِ ، إِذْ لَوْ كَانَتْ  
لَهُ نِهَايَةٌ ، لَكَانَتْ نِهَايَتُهُ صُورَةً مُجْرَدَةً ، وَهِيَ لَا وُجُودَ  
لَهَا فِي الْخَارِجِ .

\*\*\*

يَقُولُ أَرِسْطُو إِنَّ اللَّهَ فِكْرَةٌ ، وَلَكِنْ فِكْرَةٌ أَيْ  
صورة الصورة  
وفكرة الفكرة

شَيْءٌ؟؟ إِنَّهُ لَمَا كَانَ صُورَةً مُجَرَّدَةً ، لَمْ يَكُنْ صُورَةً  
لِمَادَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ صُورَةُ الصُّورَةِ . فَهُوَ بِالتَّالِيِ فِكْرَةٌ  
الْفِكْرَةِ ، وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ الْمَفَكَّرُ  
وَالْمَفَكَّرُ فِيهِ ، وَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ الْفَانِيَّ يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ ،  
فَإِنَّ اللَّهَ كَذَلِكَ يُفَكِّرُ فِي الْفِكْرِ ، وَلَا يُفَكِّرُ فِي  
شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ ، وَهُوَ يُحْيِي فِي سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ ، وَسَعَادَتُهُ هِيَ  
تَفَكِيرِهِ الدَّائِمُ فِي سَعَادَتِهِ .

\*\*\*

الوجود المطلق وَقَدْ تَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ : هَلِ اللَّهُ فِي فِلْسَفَةِ أَرِسْطُو

« مُشَخَّصٌ » ؟ وَهُوَ سُؤَالٌ لَمْ يَتَعَرَّضْ أَرِسْطُو لَهُ ، وَإِنَّمَا

أَثَارُهُ الْمُحَدِّثُونَ ، وَقَدْ اُخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَرَجَّحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ

أَنَّهُ عِنْدَ أَرِسْطُو كَذَلِكَ ، مُسْتَدِلًّا بِمَا وَرَدَ فِي كَلَامِ

أَرِسْطُو ذَاتِهِ مِنَ التَّعْبِيرِ عَنِ اللَّهِ بِالْمَوْجُودِ الْمُطْلَقِ ،

وَأَنَّهُ يُحْيِي فِي سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ . وَلَا يَصِحُّ أَنْ نَعُدَّ هَذَا التَّعْبِيرَ

« مَجَازِيًّا » ، لِأَنَّ أَرِسْطُو كَانَ يَعِيبُ عَلَى أَفْلَاطُونِ فِي

فِلْسَفَتِهِ الْمَجَازِ وَالْتَّشْبِيهِ .

\* \*

وَآخَرُونَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ فِي تَقْدِيرِ أَرِسْطُو، لَيْسَ  
« مُشَخَّصًا » لِأَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ « بِالصُّورَةِ الْمَجْرَدَةِ »

\* \*

وَهَذَا الْأِضْطِرَابُ فِي تَخْرِيجِ كَلَامِ أَرِسْطُو يَدُلُّ عَلَى  
أَنَّ تَحْدِيدَ مَعْنَى اللَّهِ فِي فَلْسَفَتِهِ، غَيْرُ وَاضِحٍ وَلَا صَرِيحٍ.

\* \*

الحركة والزمان  
والمكان

وَأَنْتَقَلَ أَرِسْطُو بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْكَلَامِ عَنِ الْحَرَكَةِ  
وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَهُوَ بَرَى أَنَّ الْحَرَكَةَ هِيَ سَيْرٌ  
الْمَادَّةِ إِلَى الصُّورَةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٍ: الْحَرَكَةُ الَّتِي  
تَوَرَّرُ فِي عُنْصُرِ الشَّيْءِ إِيجَادًا وَإِعْدَامًا، وَالْحَرَكَةُ الَّتِي  
تُغَيِّرُ الْكَيْفَ، وَالْحَرَكَةُ الَّتِي تُغَيِّرُ الْكَمَّ، وَحَرَكَةُ  
الْإِنْتِقَالِ أَوْ تَغْيِيرِ الْمَكَانِ وَهِيَ أَهْمُهَا.

\* \*

نظرية النشوء  
والارتقاء

وَيَرَى أَرِسْطُو أَنَّ الْعَالَمَ مُتَدَرِّجٌ فِي الرُّتْقِ، بَعْضُهُ  
أَرْقَى مِنْ بَعْضٍ فِي الْوُجُودِ وَفِي الْقِيَمَةِ، فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى هَذَا

الْعَالَمِ نَظْرَةً نُشُوءَ وَأَرْتَقَاءَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ  
 تَحْوِيلَ النَّوْعِ مِنْ شَيْءٍ إِلَى آخَرَ أَرْقَى مِنْهُ بِمُرُورِ الزَّمَنِ ،  
 فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الرَّأْيُ الْحَدِيثُ ، وَإِنَّمَا اعْتِقَادُ أَرِسْطُو هُوَ  
 . أَنْ الْأَجْنَاسَ وَالْأَنْوَاعَ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ ، فَأَفْرَادُ النَّاسِ يُوَلَدُونَ  
 . وَيَمُوتُونَ ، وَلَكِنَّ النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ ، وَكَذَلِكَ  
 الشَّيْءُ فِي النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ ، وَمِنْ ثَمَّ لَا تَحْوِيلَ فِي نَوْعٍ إِلَى  
 نَوْعٍ بِفِعْلِ الزَّمَنِ كَمَا يَقُولُ « دَاروين » بَلِ التَّرَقِّي عِنْدَ  
 . أَرِسْطُو هُوَ تَرَقِّي فِي الْفِكْرَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ  
 سِلْسِلَةً أَوْ سُلَّمًا ذَا دَرَجَاتٍ ، وَلَكِنْ لَا تَحْوِيلَ فِيهِ  
 . الْأَنْوَاعِ إِلَى أُخْرَى أَرْقَى مِنْهَا بِمَرِّ الزَّمَانِ .



وَفِي تَقْسِيمِ الْأَنْوَاعِ جَعَلَ أَرِسْطُو النَّبَاتَ أَحَطَّ دَرَجَاتٍ  
*Nutrition - reproduction*  
 الْجِسْمِ الْمُعْضَوِيِّ ، لِأَنَّهُ مُقْتَصِرٌ عَلَى التَّغْدِي وَالنَّسْلِ ، ثُمَّ  
*touch*  
 يَلِي النَّبَاتَ فِي الرَّقِيِّ الْحَيَوَانُ ، لِأَنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ بِالْحَسِّ ،  
*sensations*  
 وَيَتَّبِعُ وُجُودَ الْحَسِّ ، الشُّعُورُ بِاللَّذَّةِ وَالْأَلَمِ ، لِأَنَّ اللَّذَّةَ  
 إِحْسَاسًا سَارًّا ، وَالْأَلَمَ تَقْيِضًا ، وَيَتَّبِعُ هَذَا وُجُودَ الدَّافِعِ

• تقسيم الأنواع



إِلَى الْبَحْثِ عَنِ اللَّذَّةِ وَتَجَنُّبِ الْأَلَمِ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا <sup>local movement</sup>  
بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْحَرَكَةِ ، وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ الْحَيَوَانِ قَادِرًا  
عَلَى التَّنْقُلِ بِعَكْسِ النَّبَاتِ .

\*\*\*

وَيَلِي الْحَيَوَانِ فِي الرُّقِيِّ الْإِنْسَانُ ، وَلَهُ مَا لِلْحَيَوَانِ  
وَالنَّبَاتِ مِنْ تَغْذِيَةٍ وَنَسْلِ وَحِسِّ ، ثُمَّ يَزِيدُ عَلَيْهَا الْعَقْلَ ،  
وَهُوَ الْمُمَيِّزُ لَهُ عَنِ سَائِرِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ .

\*\*\*

وَمِنْ هُنَا تَكَلَّمَ عَنِ الْعَقْلِ وَالْمُخَيَّلَةِ<sup>(١)</sup> وَالْحَافِظَةِ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ  
تَحَدَّثَ عَنِ « النَّفْسِ » أَوْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْقُوَى ، فَقَالَ : إِنَّ  
النَّفْسَ هِيَ صُورَةُ الْمَادَّةِ ، وَلَمَّا كَانَتِ الصُّورَةُ لَا تَنْفَصِلُ  
عَنِ الْمَادَّةِ ، فَلَا وُجُودَ لِنَفْسٍ بِلَا بَدَنِ ، لِأَنَّهَا وَظِيفَةُ الْجِسْمِ ،  
- وَلِهَذَا - أَنْكَرَ نَظْرِيَّةَ فَيْثَاغُورَسَ وَأَفِلَاطُونَ فِي  
« التَّنَاسُخِ » . وَبِخَاصَّةِ حُلُولِ الْأَرْوَاحِ فِي أَجْسَامِ الْحَيَوَانِ .

النفس

(١) الخيلة : القوة التي تخيل الأشياء وتصورها وهي مرآة العقل  
(٢) الحافظة : قوة تستبق الصور في الذهن لتظهر عند ما يدعوها داع ،  
وظهورها يسمى ذكرا



وَقَدْ تَنَاوَلَ أَرِسْطُو الْأَخْلَاقَ ، فَبَحَثَ أَوَّلًا فِي مَعْنَى  
« أَخْيَرِ » كَمَا بَحَثَ مُعَلِّمُهُ أَفْلَاطُونُ مِنْ قَبْلُ فِيهِ ، وَلَكِنْ  
إِذَا كَانَ هَذَا قَدْ أُحْتَقَرَ عَالَمَ الْحُسِّ وَمَا فِيهِ ، وَنَظَرَ إِلَى عَالَمِ  
فَوْقَ عَالَمِهِ ، فَإِنَّ أَرِسْطُو كَانَ مُجِبًّا لِلْحَقِيقَةِ ، وَالْوَاقِعِ ،

١٠ الخبير؟



فَنَحَا فِي فِلْسَفَتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ مَنْحَى سَهْلِ التَّنَاوُلِ عَلَى  
الْجُمُورَةِ (١) وَالسَّوَادِ .



يَقُولُ أَرِسْطُو إِنَّ النَّاسَ يَمْلُونَ لِنَايَةِ ، وَقَدْ تَكُونُ  
هَذِهِ النَّايَةُ وَسَبِيلَةً لِنَظِيرِهَا وَهَلْمٌ . . . ، وَلَكِنْ يَذْبَعِي أَنْ  
تَكُونَ فِي النِّهَايَةِ غَايَةً أَخْيَرَةً أَيْسَتْ وَسَبِيلَةً لِشَيْءٍ ، وَهَذِهِ  
تُسَمَّى غَايَةَ النَّايَاتِ ، وَقَدْ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهَا السَّعَادَةُ ،  
وَإِنْ كَانُوا فِي فِهْمِهَا جِدًّا مُخْتَلِفِينَ ، فَقَوْمٌ يَرَوْنَهَا فِي حَيَاةِ اللَّذَّةِ  
وَآخَرُونَ فِي الْفِرَارِ مِنَ اللَّذَّةِ ، وَلَمْ يَقْطَعْ أَرِسْطُو فِي ذَلِكَ

السعادة

(١) الجمهرة : اجتماع الجمهور ، والسواد : عامتهم

بِقَوْلٍ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : إِنَّ خَيْرَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ فِي لَذَّةِ حَوَاسِّهِ  
فَحَسْبُ ، لِأَنَّ الْإِحْسَانَ وَحْدَهُ هُوَ وَظِيفَةُ الْحَيَوَانِ ،  
لَا الْإِنْسَانَ ، وَأَمَّا وَظِيفَةُ الْإِنْسَانِ الَّتِي أُمْتَازَ بِهَا فَهِيَ الْعَقْلُ  
وَعَمَلُهُ هُوَ الْخَيْرُ لِلْإِنْسَانِ .

\*\*\*

الفضيلة  
وَلَيْسَ الْإِنْسَانُ حَيَوَانًا ذَا عَقْلٍ فَقَطْ ، بَلْ لَمَّا كَانَ فِي النَّوْعِ  
الرَّاقِي مِنْهُ مَا فِي السَّافِلِ وَيُرِيدُ ، إِذْ فِيهِ الْمَلَكَاتُ الَّتِي فِي  
النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ ، فَهُوَ يَتَغَذَّى كَالنَّبَاتِ ، وَيُحْسِبُ كَالْحَيَوَانِ  
وَجَبَّ أَنْ تَكُونَ الْفَضِيلَةُ نَوْعَيْنِ : نَوْعًا رَفِيمًا يَتَوَافَرُ فِي  
حَيَاةِ الْعَقْلِ ، وَالتَّفْكِيرِ ، وَالْفَلَسَفَةِ ، وَآخَرَ يَتَمَلَّقُ بِالغِذَاءِ  
وَالْحَسِّ ، وَوَجَبَ أَنْ تَخْضَعَ الْفَضِيلَةُ فِي هَذَا النَّوْعِ الْآخَرَ  
لِلشَّهَوَاتِ ، كَمَا تَخْضَعُ رَغَبَاتُ الْحَسِّ لِحُكْمِ الْعَقْلِ .

\*\*\*

وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ أَرْقَى لِسَبَبَيْنِ : لِأَنَّهُ أَوْلَا فَضِيلَةَ الْعَقْلِ ،  
وَبِهِ صَارَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا ، وَلِأَنَّهُ فَضِيلَةٌ فِيهَا تَشْبَهُ «بِاللَّهِ» ،  
إِذْ حَيَاةُ اللَّهِ هِيَ حَيَاةُ الْفِكْرِ الْخَالِصِ .

\* \*

وَمِنْ نَمِّ تَكُونُ السَّعَادَةُ مِنْ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مَعًا...  
وَلَا يُنْكَرُ أَرِسْطُو أَثَرَ الظُّرُوفِ الْخَارِجِيَّةِ فِي السَّعَادَةِ ،  
فَإِنَّ الْفَقْرَ وَالْمَرَضَ وَسُوءَ الْحُظِّ، تَحْوُلُ دُونَ بُلُوغِ السَّعَادَةِ  
كَمَا أَنَّ أَسْدَادَهَا هِيَ وَسَائِلُ السَّعَادَةِ . لَا السَّعَادَةُ ذَاتَهَا .  
أَيُّ أَنهَا تُصْبِحُ بِهَا قَرِيبَةً التَّنَاوُلِ ، وَتُغْمَى بِغَيْرِهَا عَصِيَّةً<sup>(١)</sup>  
مُتَأَيَّةً .

\* \*

وَقَدْ عَارَضَ « أَرِسْطُو » الْفَيْلَسُوفَ « سُقْرَاطَ » الَّذِي  
جَاءَ قَبْلَهُ فِي ذَهَابِهِ إِلَى أَنَّ الْفَضِيلَةَ فِي الْمَعْرِفَةِ ، وَأَنَّ  
الْمَعْرِفَةَ وَحْدَهَا كَافِيَةٌ لِلسَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ  
إِذَا فَكَّرَ تَفَكُّيرًا مُسْتَقِيمًا عَمِلَ عَمَلًا مُسْتَقِيمًا ، فَقَالَ :  
إِنَّ سُقْرَاطَ قَدْ أَغْفَلَ عَامِلَ الشَّهْوَةِ فِي الْإِنْسَانِ ، فَقَدَّ  
يُحْسِنُ التَّفَكُّيرَ وَيَهْتَدِي إِلَى الصَّوَابِ بِهِ ، وَلَكِنْ تَتَغَلَّبُ  
عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ فَتُغْرِيه . وَعِنْدَ أَرِسْطُو : أَنَّ وَسِيلَةَ التَّغَلُّبِ

الفضيلة والمعرفة

عَلَى الشَّهْوَةِ بِالْعَقْلِ، هِيَ وَسِيلَةُ الْمَرَانَةِ وَالرِّيَاضَةِ، إِذْ تَتَسَّى  
رِيَاضَةُ الشَّهْوَةِ وَتَذْنِيبُهَا بِضَبْطِ النَّفْسِ وَتَحْكِيمِ الْعَقْلِ  
وَالِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، وَكَلَّمَا طَالَ إِخْضَاعُ الشَّهْوَةِ لِسُلْطَانِ الْعَقْلِ  
اعْتَادَتْ الْخُضُوعَ، وَهُوَ لِهَذَا يُعْرَفُ لِلْعَادَةِ قِيَمَتَهَا وَشَأْنَهَا،  
وَيَقُولُ: إِنَّ تَعْوِيدَ الْإِنْسَانِ طَيِّبِ الْعَادَاتِ هُوَ السَّبِيلُ الْوَحِيدَةُ  
لِتَكْوِينِ الْإِنْسَانِ الطَّيِّبِ.

\*\*\*

وَلَا غِنَى عِنْدَ أَرْسَطُو عَنْ الشَّهْوَةِ وَالْعَقْلِ مَعًا، وَمِنْ  
هُنَا يَرَى أَنَّ الزَّهْدَةَ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ يُرِيدُونَ اسْتِنْصَالَ<sup>(٢)</sup> الشَّهْوَةِ  
عَلَى ضَلَالٍ، لِأَنَّهُمْ يَنْسَوْنَ أَنَّ الشَّهْوَةَ عُنْصُرُ أَسَاسِ  
فِي الْإِنْسَانِ، وَاسْتِنْصَالُهَا هَدْمٌ لِأَحَدِ عُنَاصِرِ تَكْوِينِهِ.

\*\*\*

وَمِنْ الْعُلُوِّ مُحَارَبَةُ الشَّهْوَةِ حَتَّى تَمُوتَ، وَإِطَاعَتُهَا  
حَتَّى تَتَغَلَّبَ عَلَى الْعَقْلِ، وَالْفَضِيلَةُ إِذْنٌ فِي الْأَخْذِ مِنْ

(١) جمع زاهد: وهو من بجانب متع الحياة ويعف عن شهواتها

(٢) أى محوها أصلا.

الأُمُورِ بِالْوَسَطِ وَهُوَ الْإِعْتِدَالُ .

\*\*\*

نظرية الأوساط  
وَقَدْ أَقَامَ أَرِسْطُو مِنْ هَذَا نَظْرِيَّةَ الْأَوْسَاطِ ، وَهِيَ  
أَنَّ كُلَّ فَضِيلَةٍ إِنَّمَا هِيَ وَسَطٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ .

\*\*\*

عَلَى أَنَّ اعْتِدَالَ إِنْسَانٍ قَدْ يَكُونُ إِسْرَافًا بِالنِّسْبَةِ لِسِوَاهُ  
أَوْ بِالْعَكْسِ ، فَلَا غِنَى إِذْنُ عَنْ تَرْكِ الْأَمْرِ لِشَخْصٍ  
لِيَهْتَدِيَ بِنَفْسِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْوَسَطِ الَّذِي يُوَالِيهِ<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وَلَمْ يَفْعَلْ أَرِسْطُو مَا فَعَلَ أَفْلَاطُونُ مِنْ نَاحِيَةِ حَصْرِ  
الْفَضَائِلِ وَعَدَّهَا ، وَإِنَّمَا قَالَ بِأَنَّ الْفَضِيلَةَ تَخْتَلِفُ تَبَعًا  
لِظُرُوفِ الْحَيَاةِ .

\*\*\*

وَقَالَ أَرِسْطُو بِجُرِيَّةِ الْإِرَادَةِ ، عَلَى تَقْيِضِ مَا ذَهَبَ سُقْرَاطُ  
إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ التَّفَكِيرَ الصَّحِيحَ كَمَا قُلْنَا يَسْتَتْبِعُ الْعَمَلَ  
حرية الإرادة

(١) أي يناسبه .

الصَّالِحِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ أَنْ لَيْسَ لِلْمَرْءِ إِزَادَةٌ فِي اخْتِيَارِ  
الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . فَذَهَبَ أَرِسْطُو إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ  
عَمَلِ الْخَيْرِ وَعَمَلِ الشَّرِّ ، وَقَادِرٌ عَلَى إِيْتْيَانِ كُلِّ مِنْهُمَا ، وَلَمْ  
بَعْرِضْ أَرِسْطُو بَعْدَ هَذَا لِلْمَسَائِلِ الْجَدَلِيَّةِ ، الَّتِي أَثَارَهَا  
الْفَلَسِيفَةُ الْمُتَأَخَّرُونَ بِسَبِيلِ حُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ .

\*\*\*

وَتَنَاوَلَ أَرِسْطُو سِيَاسَةَ الدَّوْلَةِ ، فَعَيَّنَ أَنْوَاعَ  
السُّكُومَاتِ ، وَلَمْ يُعَيِّنِ الْمَثَلَ الْأَعْلَى لِلدَّوْلَةِ ، وَإِنَّمَا فَضَّلَ  
حُكُومَةَ الْفَرْدِ ، وَإِنْ عَدَّهَا مُتَعَذِّرَةً أَوْ عَسِيرَةً عَلَى الْأَقْلِّ .  
إِذْ قَلَّ أَنْ يُوجَدَ الْحَكِيمُ الْعَادِلُ الصَّالِحُ لِهَذَا الْحُكْمِ ، أَوْ  
بِمَعْنَى آخَرَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا النُّوعَ يُلْفَى  
فِي الْأُمَّمِ الْمُتَبَدِّلَةِ ، إِذْ تَرَى فِي الْجَمَاعَةِ فَرْدًا يَفُوقُ الْآخَرِينَ  
فِي أَخْلَاقِهِ وَصِفَاتِهِ فَيَحْكُمُهُمْ .

\*\*\*

وَيَلِي هَذَا النُّوعَ عِنْدَ أَرِسْطُو الْحُكُومَةُ الْأَرِسْطِقْرَاطِيَّةُ ،  
( ٤ - الغزالي - أول )

وَدُونَهَا فِي نَظَرِهِ الْحُكُومَةُ الْجُمْهُورِيَّةُ قَائِلًا : إِنَّهَا كَانَتْ  
أَنْسَبَ أَنْوَاعِ الْحُكُومَاتِ لِلْمُدُنِ الْيُونَانِيَّةِ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهَا ،  
وَمَرَاتِبِ رُقِيَّتِهَا .

٣ - الْأَفْلَاطُونِيَّةُ الْحَدِيثَةُ

\* \*

أَسْلَفْنَا لَكَ فِي اللَّحَقَةِ الْأُولَى أَنَّ فَلَاسِفَةَ الْعَرَبِ فِي  
النَّشْأَةِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ ، تَأَثَّرُوا مِنْ فَلَاسِفَةِ  
الْيُونَانِ الْقَدِيمَةِ بِمَذْهَبِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ . بِجَانِبِ  
فَلَاسِفَةِ أَرِسْطُو . وَالْآنَ نُحَدِّثُكَ فِي إِيجَازٍ عَنِ هَذِهِ  
الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، وَنَشْأَتِهَا وَحُدُودِهَا .

\* \*

ظَهَرَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي صَدْرِ الْعَصْرِ الْمَسِيحِيِّ  
مَذْهَبُ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، وَقَدْ سُمِّيَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ جَاءَ  
وَلَيْدَ تَعَالِيمِ أَفْلَاطُونَ . وَإِنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ قَوَاعِدِ



الْفَلَسَفَةِ الْاَفْلَاطُونِيَّةِ ، بَلْ مَزَجَ بِهَا اِلْهَامَ الشَّرْقِ  
وَاخْيَلَتْهُ .

\*\*\*

وَكَانَ مُؤَسَّسُ هَذَا الْمَذْهَبِ « اُومِنْيُوسُ سَاكَّاسُ »  
وَهُوَ اَوَّلُ الْمُعَلِّمِينَ الْاِسْكَنْدَرِيِّينَ الَّذِيْنَ حَاوَلُوا التَّوْفِيقَ  
بَيْنَ تَعَالِيمِ اَرِسْطُو وَاَفْلَاطُوْنَ . وَكَانَتْ وِفَاتُهُ سَنَةَ  
اِثْنَتَيْنِ وَاَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ مِيْلَادِيَّةً .

\*\*\*

أفلوطين

وَأَشَدُّ اَنْصَارِهِ وَمُؤَيِّدِيْ مَذْهَبِهِ تَلْمِيْذُهُ اَفْلُوْطِيْنُ ، وَهُوَ  
غَيْرُ اَفْلَاطُوْنَ الَّذِيْ مَرَّ بِكَ كَمَا لَا يَخْفَى ، وَيَمِيْلُ كَثِيْرٌ مِّنْ  
النَّاسِ اِلَى عَدِّ اَفْلُوْطِيْنِ مُؤَسَّسَ الْمَذْهَبِ وَصَاحِبَهُ ، وَمِنْ  
ثُمَّ جَاءَتْ تَسْمِيَّتُهُ بِالْاَفْلَاطُوْنِيَّةِ اَلْحَدِيْثَةِ

\*\*\*

وَكَانَ مَوْلِدُ اَفْلُوْطِيْنِ عَامَ خَمْسَةِ وَمِائَتَيْنِ مِنْ مَوْلِدِ  
الْمَسِيْحِ فِي « لِيْكَوْبُولِيْسَ » وَهِيَ اَسْيُوْطُ الْاَنَ . وَتَلَقَّى  
الْعِلْمَ فِي الْاِسْكَنْدَرِيَّةِ وَلاَزَمَ اُسْتَاذَهُ اَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ

سِنِينَ ، وَصَحِبَ الْحَمَلَةَ الَّتِي وَجَّهَهَا الْإِمْبَرَاطُورُ جُورْدَانُ  
لِقِتَالِ الْفُرْسِ . عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْفَلَسُفَةِ الْفَارِسِيَّةِ ،  
وَفَلَسَفَاتِ الْهِنْدِ عَنْ مَصَادِرِهَا الصَّحِيحَةِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يَأْخُذَ .



وَلَمَّا عَادَ مِنْ سَفَرِهِ نَزَحَ إِلَى رُومَةَ حَيْثُ أَقَامَ وَأَسَّسَ  
مَدْرَسَتَهُ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ  
مِنَ الْعِيْلَادِ .



وَلَمْ يَعْرِفِ الْعَرَبُ عَنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا وَلَكِنَّهُمْ عَرَفُوا  
مَذْهَبَهُ ، وَسَمَّوْهُ مَذْهَبَ الْإِسْكَانْدَرِيِّينَ . وَكَانَ الشَّهْرُ سِتَانِيًّا  
إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ عَنْهُ الشَّيْخُ الْيُونَانِيُّ .



وَيُقَالُ إِنَّ الْإِمْبَرَاطُورَ جَالِينُوسَ قَدَّرَهُ أَرْفَعَ التَّقْدِيرِ ،  
وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ أَنْ يُقْطِعَهُ إِقْلِيًّا مِنَ الدَّوَالَةِ لِإِنْشَاءِ عَلَيْهِ  
مَا كَانَ يُرِيدُ أَفْلَاطُونُ أَنْ يُنْشِئَهُ مِمَّا سَمَّاهُ فِي فَلْسَفَتِهِ

بِالْمَدَنِيَّةِ الْفَاضِلَةِ ، أَوْ الدَّوْلَةِ الرَّاعِدَةِ

\*\*\*

وَقَضَى أَفْلُوطينُ الْحَيَاةَ فِي تَرْهَدٍ وَتَقَشْفٍ وَنُسْكٍ ، فَمَا  
كَانَ يَنَامُ إِلَّا قَدَرَ حَاجَةِ الْبَدَنِ اضْطِرَّارًا وَكَرَاهِيَةً ، وَمَا كَانَ  
يَأْكُلُ إِلَّا قَدَرَ مَا يُقِيمُ أَوْدَهُ ، وَيُمْسِكُ أَرْمَاقَهُ (١) .

\*\*\*

وَمَا أَذِنَ يَوْمًا لِرِسَامٍ أَنْ يُصَوِّرَهُ فَأَثَلًا فِي ذَلِكَ إِنَّهُ  
لَا يَزِيدُ فِيهَا يَفْعَلُ عَلَى رَسْمِ ظِلِّ لِظِلِّ ، وَشَبَحَ لِشَبَحٍ ،  
وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا . وَيَدْعُ الصَّوْمَ يَوْمًا .

\*\*\*

أَمَّا مَذْهَبُهُ فَيَنْزِعُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ كَثِيرٌ  
الظَّوَاهِرِ ، دَائِمُ التَّحَوُّلِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يُوْجَدْ بِنَفْسِهِ ، بَلْ لَا بَدَأَ  
لَهُ مِنْ عِلَّةٍ سَابِقَةٍ لَوْجُودِهِ ، وَأَنَّ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ وَاحِدٌ  
لَا تَدْرِكُهُ الْعُقُولُ ، وَلَا تَبْلُغُ كُنْهَ حَقِيقَتِهِ الْأَذْهَانَ ،  
لَا يَحْدُهُ حَدٌّ ، وَهُوَ أَرْزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ ، فَوْقَ الْمَادَّةِ  
وَفَوْقَ الرُّوحِ ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَلَمْ يَحُلَّ فِيهَا خَلْقٌ ، وَلَيْسَ

(١) أرماف : جمع رمق ، وهو بقية الحياة .

ذَاتًا وَلَا هُوَ صِفَةٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ الْإِرَادَةُ الْمُطْلَقَةُ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ  
عَنْ إِرَادَتِهِ ، وَهُوَ عِلَّةُ الْعِلَلِ وَلَا عِلَّةَ لَهُ ، وَهُوَ فِي كُلِّ  
مَكَانٍ وَلَيْسَ لَهُ مَكَانٌ .

\*\*\*

وَلَمَّا كَانَ الشَّبَهُ مُنْقَطِعًا بِيَدِهِ وَبَيْنَ الْأَشْيَاءِ ، عَجَزْنَا أَنْ  
نَصِفَهُ بِغَيْرِ الصِّفَاتِ السَّالِبَةِ . فَمَا هُوَ مَادَّةٌ وَلَا هُوَ حَرَكَةٌ  
وَلَا سُكُونٌ . وَلَيْسَ هُوَ فِي زَمَانٍ وَلَا فِي مَكَانٍ ، وَلَيْسَ  
صِفَةً لِأَنَّهُ سَابِقٌ لِكُلِّ الصِّفَاتِ ، وَلَوْ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ صِفَةٌ  
مَا لَكَانَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا لَهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ ، أَوْ بِمَعْنَى آخَرَ كَانَ  
ذَلِكَ تَحْدِيدًا لَهُ ، وَهُوَ لِأَنهَاءِ لِحُدُودِهِ ، يُخَالِفُ كُلَّ شَيْءٍ ،  
وَيَسْمُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَالَمِ ، وَلِأَنَّهُ غَيْرُ  
مَحْدُودٍ ، لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ مُبَاشَرَةً . وَإِلَّا اضْطُرَّ إِلَى  
الِاتِّصَالِ بِهِ ، مَعَ أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنْهُ لَا يَنْزِلُ إِلَى مُسْتَوَاهُ ، وَلِأَنَّهُ  
وَاحِدٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ الْعَالَمُ الْمُتَعَدِّدُ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ  
أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْعَالَمَ ، لِأَنَّ الْخَلْقَ عَمَلٌ أَوْ إِنْشَاءُ شَيْءٍ لَمْ  
يَكُنْ ، وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي التَّغْيِيرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ - وَاللَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ

صفات الوجدانية



علة العالم  
وفوق العالم

يَقُولُ أَفْلُوطينُ إِنَّ اللَّهَ عِلَّةُ الْعَالَمِ ، بَيْنَمَا يَقُولُ فِي  
نَاحِيَةِ أُخْرَى ، إِنَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّصَلَ بِهِ  
أَيَّ اتِّصَالٍ ، وَلِلتَّوْفِيقِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ وَمَا  
يَتَفَرَّعُ عَنْهُمَا وَهُوَ كَيْفَ نَشَأَ الْعَالَمُ إِذَنْ عَنِ اللَّهِ ؟ يُجِيبُ  
أَفْلُوطينُ لِاجْتِنَاءِ فِي إِجَابَتِهِ إِلَى الشُّعْرِ وَالِاسْتِعَارَةِ وَالتَّمْثِيلِ ،  
فَيَقُولُ : إِنَّ تَفَكُّرَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ وَكَمَالِهِ نَشَأَ عَنْهُ فَيْضٌ ،  
وَهَذَا الْفَيْضُ صَارَ هُوَ الْعَالَمَ ، وَكَمَا يَبْعَثُ اللَّهيبُ صَوْبًا ،  
وَالثَّلْجُ بَرْدًا ، كَذَلِكَ انبَعَثَ مِنَ اللَّهِ شُعَاعٌ كَانَ هُوَ الْعَالَمَ ،  
وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْكَوْنُ قَدْ انبَثَقَ مِنَ اللَّهِ انبِثَاقًا طَبِيعِيًّا  
بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي هَذِهِ الضَّرُورَةِ أَيُّ  
مَعْنَى مِنْ مَعَانِي الاِضْطِرَّارِ وَالِإِزَامِ ، وَلَيْسَ فِي الْخَلْقِ  
مَعْنَى الْحُدُوثِ . فَلَيْسَ يَقْتَضِي تَغْيِيرًا فِي اللَّهِ ، وَلَمَّا كَانَ  
كُلُّ كَائِنٍ قَدْ تَفَرَّعَ هَكَذَا مِنَ الْكَائِنِ الْأَوَّلِ وَهُوَ اللَّهُ -  
فَهُوَ يَمِيلُ بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْعُودَةِ إِلَى أَصْلِهِ وَمَبْعَثِهِ الَّذِي كَانَ

قَدْ صَدَرَ عَنْهُ وَلَا يَنْفَكُ يُحَاوِلُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ . أَمَا ذَلِكَ  
الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ فَمُسْتَقَرٌّ فِي نَفْسِهِ ، مُكْتَفٍ بِهَا ، لَا يَتَّصِلُ  
بِمَا تَفَرَّعَ عَنْهُ مِنْ أَشْيَاءَ . وَهَذِهِ الْكَائِنَاتُ الَّتِي صَدَرَتْ عَنِ  
اللَّهِ تَكُونُ سَلَمًا نَازِلًا مِنْ دَرَجَاتِ الْكَمَالِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ  
أَقْلُ كَمَا لَا بِمِثْلِهِ ، وَيَسْتَمِرُّ التَّنَاقُصُ حَتَّى يَنْعَدِمَ الْكَمَالُ  
فِي آخِرِ السَّلْمِ انْعِدَامًا تَامًا حَيْثُ يَفْنَى النُّورُ فِي الظَّلَامِ

\*\*\*

وَأَوَّلُ شَيْءٍ انْبَثَقَ <sup>(١)</sup> مِنَ الْوَاحِدِ هُوَ الْعَقْلُ ، وَلِهَذَا  
الْعَقْلُ وَظِيْفَتَانِ ، التَّفَكِيرُ فِي اللَّهِ ، وَالتَّفَكِيرُ فِي نَفْسِهِ ،  
وَقَدْ خَلَعَ أَفْلُو طِينُ عَلَى هَذَا الْعَقْلِ شَيْئًا مِنْ خَصَائِصِ الْمِثَالِ  
الَّذِي شَرَحَهُ أَفْلَاطُونُ .

العقل

\*\*\*

وَمِنْ هَذَا الْعَقْلِ انْبَثَقَتْ نَفْسُ الْعَالَمِ ، وَهِيَ لَيْسَتْ  
مُجَسَّدَةً ، وَلَا قَابِلَةً لِلْقِسْمَةِ . وَلِهَذَا النَّفْسُ مَيْلَانِ ، مَيْلٌ  
نَحْوَ الْأَعْلَى إِلَى الْوَاحِدِ ، وَإِلَى أَسْفَلَ نَحْوَ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ ،

النفس

وَقَدْ انْبَثَقَتْ مِنْهَا النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ الَّتِي تَسْكُنُ هَذَا الْعَالَمَ -  
فَنَفْسُ الْعَالَمِ - كَالْعَقْلِ - تَنْتَعِي إِلَى الْعَالَمِ الْإِلَهِيِّ الرُّوحِيِّ  
الَّذِي يَقَعُ فَوْقَ الْحَسِّ ، وَهِيَ تَعِيشُ عَيْشَةً خَالِدَةً ، لَا تَحُدُّهَا  
حُدُودُ الزَّمَنِ ، إِلَّا أَنَّهَا دُونَ الْعَقْلِ دَرَجَةً ، فَهِيَ تَقِفُ عَلَى  
هَامِشِ الْعَالَمِ الرُّوحِيِّ قَرِيبَةً مِنْ حُدُودِ هَذَا الْعَالَمِ  
الْمَحْسُوسِ ، وَلَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ جُثْمَانِيَّةً فِي ذَاتِهَا ، إِلَّا أَنَّهَا تَمِيلُ  
إِلَى الْأَشْيَاءِ الْجُثْمَانِيَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَهِيَ تَقِفُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ  
مِنْ جِهَةِ وَالْعَقْلِ مِنْ جِهَةٍ وَسَيْطًا ، تَنْقُلُ الْعِلَلَ وَالْأَسْبَابَ  
الَّتِي تَبْدَأُ مِنَ الْعَقْلِ فَتُوصِلُهَا إِلَى الْأَشْيَاءِ .

\*\*\*

الطبيعة

وَمِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ الْأُولَى - أَوْ نَفْسِ الْعَالَمِ - خَرَجَتْ  
نَفْسٌ ثَانِيَّةٌ دَعَاهَا أَفْلُوطِينُ الطَّبِيعِيَّةُ ، وَهِيَ الَّتِي تَشْتَرِكُ  
وَحُدُّهَا مَعَ الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ . كَمَا تَمْتَرِجُ نَفُوسُنَا مَعَ جُسُومِنَا ،  
وَهَذِهِ النُّفُوسُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ النُّفُوسِ الْجُزْئِيَّةِ  
الْمُوزَعَةِ عَلَى السَّكَّائِنَاتِ ، هِيَ أَدْنَى مَرَاتِبِ الْعَالَمِ الرُّوحِيِّ ،

وَالْخُطْوَةُ الَّتِي تَلِيهَا مُبَاشَرَةٌ هِيَ الْمَادَّةُ ، وَهِيَ أْبَعْدُ  
الْكَائِنَاتِ عَنِ الْكَمَالِ .

\*\*\*

وَيَقُولُ أَفْلُوطينُ: إِنَّ ابْتِشَاقَ النُّفُوسِ الْجُزْئِيَّةِ عَنِ نَفْسِ  
العَالَمِ ، هُوَ كَابْتِشَاقِ الضَّوِّ مِنْ مَرَكَزِهِ . فَكَلَّمَا بَعْدَ عَنِ  
الْمَرَكَزِ ضَعُفَ حَتَّى يَصِيرَ ظَلَامًا ، وَهَذَا الظَّلَامُ التَّامُّ  
الَّذِي انْحَسَرَ عَنْهُ ضَوْءُ النَّفْسِ هُوَ الْمَادَّةُ ، فَالْمَادَّةُ ضَوْءٌ  
سَلْبِيٌّ ، وَهَكَذَا يَسْبَحُ أَفْلُوطينُ فِي أُخِيلَتِهِ وَتَمَثِيلَاتِهِ  
الشَّعْرِيَّةِ .

\*\*\*

وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ الْمَادَّةَ هِيَ مَصْدَرُ التَّعَدُّدِ ، وَهِيَ سَبَبُ  
الشُّرُورِ ، لِأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدَمِ ، وَالْعَدَمُ أَشَدُّ دَرَجَاتِ النِّقْصِ ،  
وَالنِّقْصُ هُوَ الشَّرُّ ، فَالْمَادَّةُ إِذْ هِيَ مَنْشَأُ الشُّرُورِ جَمِيعًا ،  
وَعَايَةَ الْحَيَاةِ هِيَ التَّحَرُّرُ<sup>(١)</sup> مِنْ رِبْقَةٍ<sup>(٢)</sup> الْمَادَّةِ ، وَأَوَّلُ خُطْوَةٍ  
إِذْ لِكَ التَّحَرُّرِ ، هِيَ التَّخَلُّصُ مِنْ سُلْطَانِ الْجِسْمِ وَالْحَوَاسِ .

المادة

(١) أى التخلص (٢) الربقة : العروة من الربق « الحبل »



وَمِنْ هَذَا تَنْشَأُ الْفَضَائِلُ الْإِعْتِيَادِيَّةُ .

\* \* \*

وَالْخُطْوَةُ الثَّانِيَّةُ : هِيَ الْفِكْرُ وَالْفَلَسَفَةُ ، وَالثَّلَاثَةُ : هِيَ أَوْجُ التَّصَوُّفِ  
أَنْ تَسْمُوَ النَّفْسُ فَوْقَ التَّفَكُّيرِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ أَوْ الْعِلْمِ  
الَّذِي أَوْ اللَّقَانَةِ (١) ، وَتَلِيهَا الْخُطْوَةُ أَوْ الدَّرَجَةُ الْأَخِيرَةُ ،  
وَهِيَ الْفَنَاءُ فِي اللَّهِ بِالْهَيَامِ وَالذُّهُولِ وَالغِيَابِ وَالْوَجْدِ ،  
وَذَلِكَ هُوَ أَوْجُ التَّصَوُّفِ ، وَتَصِلُ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ الرَّاقِيَّةُ  
السَّامِيَّةُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ فِي لَحْظَاتٍ مِنْ الْحَيَاةِ ، ثُمَّ تَعُودُ  
إِلَى حَالَتِهَا الْبَشَرِيَّةِ الْمَأْلُوفَةِ .

\* \* \*

وَقَدْ ذَكَرَ أَفْلُوطينُ أَنَّهُ سَمَا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ أَرْبَعَ  
مَرَّاتٍ ذَاقَ فِيهَا نَشْوَةَ الْإِتِّحَادِ بِاللَّهِ أَوْ الْفَنَاءِ فِيهِ ، وَأَذْرَكَ  
سَاعَاتِ التَّجَلِّيِّ الَّتِي لَا تُوصَفُ .

\* \* \*

وَقَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ أَفْلُوطينَ فَلَاسِفَةٌ يُنْقَحُونَ فِي هَذَا انْتِباع المذهب

(١) اللقانة : من لقن ككرم . وهي هنا بمعنى الإيحاء الداخلي

الْمَذْهَبِ وَيُهَذَّبُونَ، وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِهِمْ فُورْفُورِيُوسُ  
وَيَامْبَلِيكُوسُ وَسِرْيَانُوسُ

\* \* \*

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ قِيَامِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ انْتِشَارُ  
مَذْهَبِ الشَّكِّ قَبْلَهُ، إِذْ لَمَّا أُيْقِنَ الْعَقْلُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ  
الْوُصُولَ إِلَى الْحَقِّ بِتَفْكِيرِهِ وَبِحُجَّتِهِ، حَاوَلَ مَعْرِفَتَهُ  
بِالْكَشْفِ وَالْإِلْهَامِ، وَالسُّكْرِ الرُّوحِيِّ أَوْ النَّشْوَةِ  
الْهِيَامِيَّةِ.

الشك

\* \* \*

وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الْفَلْسَفَةِ يُخَالِفُ الْفَلْسَفَةَ مِنْ أُسَاسِهَا  
لَأَنَّهُ أَدْنَى إِلَى النُّوعِ الدِّينِيِّ، وَبِهِ أَشْبَهُ، وَنَهْهُ أَقْرَبُ.

على هامش السيرة

## عصر الغزالي

العصور الثلاثة  
للدولة العباسية

هُوَ الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ الثَّلَاثُ كَمَا أَسَافَنَّا لَكَ ، وَهُوَ مِنْ

عَهْدِ الْعَبَّاسِيِّينَ يَسْكَادُ يُعَدُّ الْمَرْحَلَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْ مَرَاجِلِهِ ،

إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ الْعِلْمِيِّ ، وَنَاحِيَّتِهِ الثَّقَافِيَّةِ ، إِذْ لَمْ

يَسْكُنِ الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ الرَّابِعُ غَيْرَ مَرَّحَلَةَ الشَّيْخُوخَةِ وَدَوْرِ

الْفَنَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ الْبَارِزِ فِي سِيَاقِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَثِقَافَةِ

الْعَرَبِ :

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ الْعَصْرُ الْأَوَّلُ فِي حُكُومَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ دَوْرَ

الْفِرَاسِ وَالْحُرْثِ وَالتَّعْبِيدِ<sup>(١)</sup> وَإِطْلَاقِ مَاءِ الرُّمَى فِي حِيَاضِ

الثَّقَافَةِ وَحُقُولِ الْفِكْرِ بِمَا رَاحَ النُّقْلَةُ يَجِيئُونَ بِهِ مِنْ

الثَّقَافَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ

الْفُرْسِ ظَلَمُوا عَلَى دِينِهِمْ ، أَوْ أُنْدَجَّجُوا فِي الدِّينِ الْجَدِيدِ وَلُغَتِهِ

\* \* \*

(١) أى التذليل والتسهيل

وَكَانَ الدَّوْرُ الثَّانِي ، دَوْرَ الحِصَادِ وَجَنِي الثَّمَرِ ، وَكَانَ  
أَعْلَامُهُ مِنَ المُسْلِمِينَ اسْتَعْمَلُوا الثَّقَافَاتِ المَنْقُوْلَةَ ، وَأَنْتَفَعُوا  
بِالدَّمِ الجُدِيدِ الَّذِي خَفِقَتْ بِهِ آدَابُ الدِّينِ وَثَقَّافَتُهُ .

\*\*\*

وَمَا لَبِثَتْ العِنَايَةُ بِالحَرَكَةِ الفِكرِيَّةِ الَّتِي ابْتَدَأَتْ  
مِنْ أَعْلَى ، وَظَهَرَتْ مِنْ جَانِبِ الخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ ، وَبِخَاصَّةِ  
فِي عَهْدِ المَأْمُونِ ، أَنْ امْتَدَّتْ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ إِلَى الشَّعْبِ  
نَفْسِهِ ، وَأُرْعِيَّةِ ذَاتِهَا ، بِمَا تَبِعَ الاِسْتِعْمالَ بِالْآدَابِ  
وَالثَّقَافَاتِ مِنَ النُّبُوغِ فِيهِ ، وَالْوَلُوعِ بِهِ ، وَإِقْبَالِ النَّاسِ  
عَلَيْهِ ، وَاسْتِرْوَاجِ النُّفُوسِ إِلَى النُّهْلِ مِنْهُ .

\*\*\*

وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يُحْدِثَ هَذَا نَوْعًا مِنَ التَّبَرُّمِ <sup>(١)</sup> بِالقَيْدِ  
وَالتَّحَلُّلِ <sup>(٢)</sup> مِنَ الصَّفَدِ <sup>(٣)</sup> ، وَالخُرُوجِ مِنْ غُلِّ التَّقْلِيدِ ،  
وَلَكِنْ لِلحُرِّيَّةِ كَمَا لَا يَخْفَى مَضَارُّهَا ، كَمَا أَنَّ لَهَا مَنَافِعَهَا ،

الرغبة في  
التحرر الفكري

(١) أي التشاؤم منه والتمرد عليه (٢) أي التخلص (٣) هو القيد والغل

فَإِنَّ الْأِسْرَافَ فِيهَا مَتَلَفَةٌ لِحَسَنَاتِهَا ، وَمُسْتَعْلَى (١) سَيِّئُ  
 لِمَزَايَاهَا وَأَنْعُمِهَا ، وَأَذَى بَالِغٌ مِنْ سَرَاحِهَا الْمُطْلَقِ وَإِبَاحَتِهَا ،  
 فَلَمَّا أُطْلِقَ الْفِكْرُ يَوْمَئِذٍ مِنْ قِيُودِهِ ، وَخُلِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 الْجُمُودِ عَلَى تَقْلِيدِهِ ، لَقَدْ كَانَتْ سَوَاءً (٢) ذَلِكَ وَضَرُّهُ  
 تَنْوَعُ الْبِدْعِ ، وَتَفَرُّقُ الشَّيْعِ ، وَزَجْمَةُ الطَّرَائِقِ ، وَتَصَادُمُ  
 الْمَذَاهِبِ ، وَتَعَدُّدُ الْمِلَلِ وَالنَّجْلِ ، وَذَهَابُ النَّاسِ مَعَ  
 التَّسَامُحِ إِلَى مَا لَا سَمَاحَةَ فِيهِ ، وَإِغْرَاقَهُمْ فِي مَا يُخْشَى الْفَرْقُ  
 وَالتَّهْلُكَةُ بِهِ ، وَإِمْعَانَهُمْ فِي مُتَعِ الْحَيَاةِ الْفِكْرِيَّةِ إِلَى  
 حَدٍّ بَعِيدٍ يَدْنُهُ وَبَيْنَ الْإِسْتِقْلَالِ فَارِقٌ عَظِيمٌ

\*\*\*

وَقَدْ انْقَلَبَتِ السَّمَاحَةُ الْفِكْرِيَّةُ ، الَّتِي بَرَزَتْ بِجَلَالِهَا  
 فِي عَهْدِ الْأُمَمُونَ ، حَتَّى لَقَدْ انْتَصَرَ لِلْمُعْتَزِلَةِ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ  
 الْقُرْآنِ ، إِلَى إِبَاحَةِ مُسْرِفَةِ مُطْلَقَةٍ مِنَ الْأَعْيُنَةِ (٣) فِيمَا  
 تَرَادَفَ مِنَ الْعُهُودِ بَعْدَهُ ، وَتَكَاثَرَ مِنَ النَّجْلِ وَالْمَذَاهِبِ

(١) مصدر ميمي للاستغلال (٢) أى عورة وصغار (٣) جمع عنان وهو المقود .

القرن العاشر  
 بول الخراب  
 لا يمشي  
 ياردا عينا  
 راما البنية الحسنة  
 شغل في شغل  
 اله جدر دجوي  
 عليه لغة الهم  
 ربان الذي  
 حيا يندى  
 الدر المسافر

لا يستعان  
 علم الامن بالحق  
 البري بالوجه الاول  
 الرنة في الفم الذي  
 الرنة والوجه  
 فسر الفكر

ظهور المذاهب  
 والنحل

الْفِكْرِيَّةِ عِقَبَ عَهْدِهِ ، إِذْ ضَمَفَ النُّزُوعَ الْعَاطِفِيَّ ، وَقَوَى  
 النُّزُوعَ الذَّهْنِيَّ ، وَبَعَدَ أَنْ كَانَ الدِّينُ مُتَمَسِّكًا مِنَ الرُّوحِ  
 وَالْقَلْبِ وَالخَطِيرِ ، جَاءَتِ الْفَلَسَفَةُ فَاسْتَحْوَذَتْ عَلَى الذَّهْنِ  
 وَالتَّصَوُّرِ وَالْفِكْرِ ، فَاخْتَلَفَتْ وَجُوهُ النَّظَرِ ، وَتَرَامَتْ <sup>(١)</sup>  
 أَفْطَارُ الرَّأْيِ ، وَاتَّسَعَتْ حُدُودُ التَّأْوِيلِ ، فِي غَيْرِ تَقْيِيدٍ أَوْ  
 خَوْفٍ مِنْ سُلْطَانٍ رَقِيبٍ ، أَوْ خَشْيَةٍ مِنْ زَاجِرٍ أَوْ عِقَابٍ

\* \*

وَقَدْ مَرَّ بِكَ فِي اللَّمَحَةِ الْأُولَى مِنْ لَمَحَاتِ التَّمْيِيدِ ، أَنْ  
 آرَاءَ الْفَلَّاسِفَةِ كَانَتْ قَدْ انْتَشَرَتْ قَبْلَ ظُهُورِ الْغَزَالِيِّ ، إِذْ  
 عَمَدَ إِلَيْهَا أَمْثَالُ الرَّئِيسِ ابْنِ سَيِّنَا ، وَالْفَارَابِيِّ وَأَشْبَاهِهِمَا ،  
 فَجَبَّبُوهَا إِلَى أَهْلِ ذَلِكَ الْجِيلِ وَشَبَابِهِ ، وَبَثُّوَهَا فِي النُّفُوسِ  
 بِأَدَاةِ الْفِكْرِ رُوحِيَّةٍ وَكِتَابِهِ ، وَكَانَ هَذَا هُوَ الْجُنُوحَ  
 إِلَى التَّجْدِيدِ . وَأَبْتِدَاءُ الْحَرْبِ الْمَشْبُوبَةِ عَلَى التَّقْلِيدِ .

\* \*

(١) أى اتسعت

نظير  
 اجتناب  
 انهم  
 قال  
 في  
 الغزالي  
 والريفي في  
 ما يرمض اليه  
 وما يشبهه  
 في  
 الغزالي قد  
 تصور ما  
 في  
 كذا

التميز  
 السيد  
 التي في الدينة  
 العداوة  
 سرور العديين

وَلَكِنَّ أَهْلَ التَّمْلِيدِ وَهُمْ فُقَهَاءُ الدِّينِ وَالْعُلَمَاءُ فِيهِ ، أَهْلُ التَّقْلِيدِ  
وَالْمُتَوَفِّرُونَ عَلَيْهِ ، وَالْمَلِخُونَ فِيهِ ، خَشُوا أَنْ يَزُولَ فِي  
الدَّوْلَةِ سُلْطَانُهُمْ إِذَاهُمْ تَرَكَوا الْمَدَى يَنْفَسِحُ لِلرُّوحِ  
الطَّارِيءِ ، وَالنُّزُوعِ الْجَدِيدِ ، كَمَا أَشْفَقُوا مِنْ سَرِيَانِهِ إِلَى  
الْعَامَّةِ ، وَانْتِقَالِهِ إِلَى السَّوَادِ وَالْجُمُهرَةِ ، فَيُفْسِدُ عَلَيْهِمْ  
عَقَائِدَهُمْ ، وَيَذْهَبُ بِمَبَادِيئِهَا مِنْهُمْ ، وَيُغَيِّرُ عَلَى مَكَانِهِمْ  
السِّيَاسِيَّ فِي الْمَجْتَمَعِ وَعِنْدَ حَاكِمِيهِ ، فَرَأَوْا أَنْ يَقَاوِمُوهُ  
وَمَضَوْا يُجَارِبُونَهُ لِيَعْلَبُوهُ ، وَيَحْشِدُونَ كُلَّ قُوَاهُمْ  
لِيَسْتَأْصِلُوهُ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَذَلِكَ فِي  
فَرَقٍ ، وَفِي طَبِيعَتِهِمْ خُصُومَةٌ وَلَدَدٌ ، وَكَانَ  
لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ عَصَبِيَّتُهُ ، وَلِكُلِّ مَذْهَبٍ حَمَاسَتُهُ  
لِدَانِهِ ، وَغَضَبَتُهُ لِفِكْرَتِهِ ، وَنَفْحُهُ عَنْ طَرِيقَتِهِ ، فَالْحَنْفِيَّةُ  
أَوْ أَصْحَابُ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ ، يُنَاضِلُونَ وَيُنَاهِضُونَ  
الْشَافِعِيَّةَ ، وَهَذِهِ لِاتِّطِيقِ وَجُودِ مَذْهَبٍ آخَرَ مَعَهَا ، حَتَّى  
دَفَعَ هَذَا التَّنَاحُرُ <sup>(١)</sup> الْمَذْهَبِيَّ يَوْمَئِذٍ إِلَى قِتْنٍ ، وَأَثَارَهُ زَاهِرٌ <sup>(٢)</sup>

(١) أى النخاصم والبغضاء . (٢) أى قلاقل .

وَجَعَلَ الْعِرَاقَ أُتُونَ <sup>(١)</sup> نِزَاعٍ مَحْتَدِمٍ ، وَاشْتِجَارٍ مُتَفَاقِمٍ ،  
وَتَخَاصُمٍ لَا يَنْطَفِئُ لَهُ سَمِيرٌ .

\* \* \*

وَكَانَتِ الْمَالِكِيَّةُ - مَذْهَبُ مَالِكٍ - فِي نَاحِيَةِ  
وَخَدَهَا مِنَ الشَّرْقِ الْإِسْلَامِي فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ ،  
لَا تَشْتَرِكُ فِي هَذَا النَّزَاعِ وَلَكِنْ تَخْشَاهُ ، وَلَا تَقَاسِمُ فِيهِ  
لِبُعْدِ النَّوَى وَنَأْيِ الْمَسَافَةِ ، وَلَكِنْ تَخَافُ عَدْوَاهُ .

\* \* \*

وَهَاجَ هَائِجُ الْجَدَلِ ، وَنَارَتْ نَائِرَةُ الْحَوَارِ الْمُشْتَدِّ  
الْمُسْتَعْرِبِ بَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ ، ثُمَّ بَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ  
وَفَرَقِيهَا ، وَبَيْنَ بَعْضِ الْمُعْتَزَلَةِ وَبَعْضِهَا ، وَبَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ  
وَالْحَنَابِلَةِ فِي بَعْدَادَ وَنَوَاحِيهَا .

\* \* \*

وَفِي وَسَطِ هَذِهِ الْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُفَقِّهَاءِ ، وَالْجَدَلِ الْقَائِمِ  
بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَأَسَاطِينِ الدِّينِ ، ذَرٌّ <sup>(٢)</sup> قَرْنُ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ

ظهور الفلسفة

(١) وقد تشدد التاء : أخذود الجيار والخصاص ونحوه

(٢) ذر قرن الشمس : ظهر .



وَمَا صَحِبَهَا مِنَ الْمُتَقُولِ عَنِ فَلْسَفَةِ الْفُرْسِ وَفَلْسَفَةِ الْهِنْدِ ،  
فَكَانَتْ عَدُوًّا مُشْتَرَكًا قَدْ بَرَزَ لِهَؤُلَاءِ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا  
مُتَنَابِذِينَ وَالْعَدُوُّ عَلَى الْأَبْوَابِ ، مُعَزِّقِ الْوَشَائِجِ <sup>(١)</sup> وَأَخْطَرُ  
مُحَدِّقٍ بِهِمْ سَوَاءً بِسَوَاءٍ ، وَلَمْ يَكُونُوا قَدْ دَرَسُوا نَوَاحِيَهُ  
أَوْ تَغَلَّفُوا مِنْهُ فِي السَّرِّ وَالْجَوْهَرِ وَاللَّبَابِ .

\* \* \*

وَفِي هَذَا الْمُحِيطِ الْغَرِيبِ ، مُحِيطِ الْفِتَنِ وَالتَّحَارُرِ <sup>△</sup> نَشْأَةُ الْغَزَالِي  
الْفِكْرِيِّ ، نَشْأَةُ الْغَزَالِيِّ وَدَرَجَ ، فَكَانَتْ نَشْأَتُهُ بَيْنَ هَرَجٍ  
وَهَرَجٍ <sup>(٢)</sup> ، وَخِلَافٍ مُشْتَعِلٍ مُسْتَعِرٍ ، كَانَتْ بَعْدَادُ مِنْهُ عَلَى  
خَطَرٍ ، وَقَدْ نَهَلَ هُوَ مِنْ ذَاتِ الْمَوْرِدِ وَالْمَصْدَرِ ، فَدَرَسَ  
عُلُومَ الدِّينِ حَتَّى اسْتَمْسَكَ مِنْهَا ، وَتَفَقَّهَ فِيهَا ، كَمَا دَرَسَ  
الْفَلْسَفَةَ وَمُخْتَلِفَ نَوَاحِيهَا ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ التَّطْبِيقِ خَالَفَ  
الْجِيلَ وَالْمَعْرَ ، وَاخْتَطَّ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا آخَرَ ، فَكَانَ جَدِيدًا <sup>△</sup>  
عَلَى زَمَانِهِ كَكُلِّ مُصْلِحٍ ، غَرِيبًا فِي جِيلِهِ كَكُلِّ هَادٍ  
وَمَفْكَرٍ ، فَإِنَّ الظَّاهِرَةَ الثَّابِتَةَ فِي حَيَاةِ النُّوَاعِجِ ، وَبُرُوزِ

(١) العلافات (٢) يقال بينهم هرج ومرج : أى فتنة واضطراب .

الْأَفْذَاذِ النَّادِرِينَ ، أَنَّهُمْ يُجَيِّثُونَ عَلَى غَيْرِ (١) غِرَارٍ وَيُظْهِرُونَ  
أَغْرَبَ مَظْهَرٍ .

\* \* \*

وَقَدْ صَوَّرْنَا لَكَ عَصْرَ الْغَزَالِيِّ مِنْ إِحْدَى نَوَاحِيهِ ، وَهِيَ  
النَّاحِيَةُ الدِّيْنِيَّةُ ، وَلَمْ نُصَوِّرْهُ لَكَ مِنْ نَاحِيَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ ،  
وَنَحْنُ مُتَنَاوِلُو تَصْوِيرِهَا الْآنَ فِي إِجْمَازٍ مُخْتَصِرٍ

\* \* \*

△ كَانَ عَصْرُ الْغَزَالِيِّ فِي الْوَاقِعِ هُوَ دَوْرُ الْإِنْجِلَالِ  
الْعَبَّاسِيِّ وَبِدَايَةِ نِهَآئِيَّتِهِمْ ، وَأَوَائِلِ خَوَاتِيمِهِمْ ، فَقَدْ أَخَذَ الْعُنْصُرُ  
الْتِرْكِيُّ يَتَغَلَّبُ يَوْمًا وَيَنْمُو أُثْرُهُ ، وَتَقْوَى شَوْكَتُهُ ،  
وَيَتَمَكَّنُ سُلْطَانُهُ ، حَتَّى اسْتَوْلَوْا عَلَى بَعْدَادَ ، وَبَسَطُوا ظِلَالَ  
حُكْمِهِمْ عَلَى الْعِرَاقِ ، قَبْلَ مَوْلِدِ الْغَزَالِيِّ بِثَلَاثِ سِنِينَ .

الناحية السياسية  
لعصر الغزالي

\* \* \*

وَكَانَ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ الْجَدِيدِ هُمُ السَّلَاجِقَةُ ، وَقَدْ  
كَانَتْ عَشِيرَتُهُمْ خَمْسَةَ يَبُوتٍ ، وَهِيَ السَّلَاجِقَةُ الْكُبْرَى ،

السلاجقة

(١) على غير غرار : على غير مثال وطريقة شأن المبرزين في كل الامم .

وَهُؤُلَاءِ مَلَكَوْا خُرَّاسَانَ ، وَالرَّيَّ وَالْجِبَالَ وَالْعِرَاقَ ،  
وَالْجَزِيرَةَ ، وَقَارِسَ ، وَالْأَهْوَازَ ، وَسَلَاجِقَةَ كَرْمَانَ ثُمَّ  
سَلَاجِقَةَ الْعِرَاقِ وَسَلَاجِقَةَ سُورِيَةَ وَسَلَاجِقَةَ الرُّومِ .



وَقَدْ أَسَّسَ هَذِهِ الدَّوْلَةَ رُكْنُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ  
الْمَعْرُوفُ « بَطْغَرَلْ بَك » عَامَ تِسْعَةِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
هَجْرِيَّةً ، وَظَلَّتْ قَائِمَةً السُّلْطَانَ (١) زُهَاءَ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ حَتَّى  
انْقَرَضَتْ سَنَةَ سَبْعِمِائَةٍ عَلَى أَيْدِي آلِ عُثْمَانَ وَالْمَغُولِ (٢) .



وَكَانَ مَوْلِدُ الْغَزَالِيِّ عَقِبَ ظُهُورِ « بَطْغَرَلْ بَك » فَاتَّحَجَّ  
بَغْدَادَ بِإِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَلَمْ يَتَّصِلْ بِهِ ، إِذْ كَانَ  
يَوْمَئِذٍ فِي عَهْدِ الطَّلَبِ وَالتَّحْصِيلِ . وَلَكِنَّهُ حَضَرَ عَهْدَ  
عَضِدِ الدِّينِ أَبِي شُجَاعِ إِبْرَاهِيمَ أَرْسِلَانَ ، وَعَهْدَ جَلَالِ الدِّينِ  
أَبِي الْفَتْحِ مَلِكِ شَاهٍ ، وَنَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، وَرُكْنِ الدِّينِ

(١) زهاء : قبر (٢) المغول : جيل من الناس . من نسل مغول بن  
النجبة خان بن ترك بن يافت بن نوح عليه السلام - جمع مغل

أَبِي الْمُظَفَّرِ بَرَكِيَا رُوقٍ ، وَرُكْنِ الدِّينِ مَلِكِ شَاهِ الثَّانِي ،  
وَمُحَمَّدِ بْنِ مَلِكِ شَاهِ .

\* \* \*

وَكَانَ الْبِأَرْسِلَانَ وَاسِطَةَ عِقْدِ الدَّوْلَةِ السُّلْجُوقِيَّةِ ،  
وَكَبِيرَ عُمْدِهَا ، وَزَعِيمَ سَادَاتِهَا ، وَفِي عَهْدِهِ أُسِّسَتِ الْمَدَارِسُ  
النِّظَامِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ الْغَزَالِيُّ مُعَلِّمًا فِيهَا كَبِيرَ الشَّانِ ،  
مَسْمُوعَ الرَّأْيِ ، رَفِيعَ الْمَكَانَةِ .

المدارس النظامية

\* \* \*

وَلَمْ يَكُنْ لِلْسَّلَاجِقَةِ - وَهُمْ الطَّارِثُونَ عَلَى الدِّينِ - عِلْمٌ  
بِأَسْرَارِهِ ، أَوْ خُبْرٌ بِمَسَائِلِهِ ، أَوْ مَعْرِفَةٌ بِمَعْلُومِهِ ، فَكَانَ  
ذَلِكَ بِلَارِيْبٍ مَدْعَاةً إِلَى حَاجَتِهِمْ إِلَى تَقْرِيْبِ الْفُقَهَاءِ ،  
وَالِاسْتِعَانَةِ بِالْمُعَلِّمَاءِ ، فَانْقَسَحَ بِذَلِكَ الْمَجَالُ لَهُؤُلَاءِ ،  
وَتَرَامَتْ الْمَنَادِحُ <sup>(١)</sup> أَمَامَهُمْ ، لِيَبْلُغُوا مَكَانًا مِنَ السُّلْطَانِ ،  
وَيُصِيبُوا حَظًّا مِنَ النُّفُوزِ ، وَيَجِدُوا عِنْدَ وِلَاةِ الْأَمْرِ دَالَّةً  
وَشَأْنًا عَظِيمًا .

الفقهاء

(١) المنادح : جمع مندوحة وهي ما اتسع من الارض



فورة الخصومات  
والمنافسات

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ فَتَحَ أَبْوَابًا  
مِنَ اللَّدِّ وَالْخُصُومَةِ، وَأَثَارَ تَيَّارَاتٍ مِنَ الدَّسَائِسِ وَالسَّكِيدِ،  
فَغَلَبَ رُوحَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالتَّنَافُسِ الْأَنِيمِ بَيْنَ الَّذِينَ  
حَاوَلُوا الْإِسْتِبَاقَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَتَرَكَضُوا<sup>(١)</sup> يَطْلُبُونَ الزُّلْفَى  
عِنْدَ أَهْلِ النُّفُوزِ.



فترة التحصيل

فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي أَشْتَدَّتْ فِيهِ هَذِهِ الزَّوَابِعُ النَّفْسِيَّةُ  
وَمَا تَبِعَهَا مِنَ الْعَاصِفِ الْجَدَلِيِّ، وَالْحَرْبِ الْكَلَامِيَّةِ، وَالْحَزْبِيَّةِ  
الْفِكْرِيَّةِ، كَانَ ظُهُورُ الْغَزَالِي، بَعْدَ أَنْ اسْتَقَى مِنَ الْمَعِينِ  
ذَاتِهِ، وَوَرَدَ الْعَيْنَ نَفْسَهَا، فِي دَوْرِ الْإِسْتِعْدَادِ، وَفَتْرَةِ  
التَّعَلُّمِ وَالتَّحْصِيلِ، وَقَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ  
الْمُضْطَرِّبِ، وَيَدُورَ بَعَيْنِهِ مُلْتَمِسًا مَنَهَلًا غَيْرَ ذَلِكَ الْمَنَهَلِ  
السَّكْدِرِ، وَالْمَعِينِ الْهَائِجِ الْمَشُوبِ، وَقَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى  
الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ، فَيَتَوَفَّرَ عَلَى دِرَاسَتِهَا فِيمَا نَقَلَ التَّرَاجِمَةُ

(١) تراكضوا : تدافعوا ونسابقوا

عَنهَا فِي صَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَأَزْهَرَ أَدْوَارَهَا ، وَفِي لُغَةِ  
الْفُرْسِ بِالذَّاتِ ، وَكَانَ يَعْرِفُهَا وَيَحْدِقُهَا ، وَقَدْ وَضَعَ فِيهَا  
بَعْدُ بَعْضَ كُتُبِهِ فِيهَا ، فَكَانَ ظُهُورُهُ يَوْمَئِذٍ فِي بَدَايَةِ  
المُحَاوَلَاتِ الَّتِي جَرَتْ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ فِي سَبِيلِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ  
الدِّينِ وَالْفَلَسَفَةِ .



وَكَانَ الْمُعْتَزَلَةُ بَيْنَ الْكَشَافِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ أَحْرَارِ  
الفِكْرِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ وَجَدَتْ آرَائِهِمْ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً فِي  
العَهْدِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَأَصَابَتْ شَأْنَا كَبِيرًا ، وَأُحْدِثَتْ أَثْرًا جَدِيدًا ،  
فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَنَهَضَتْهُمُ الْعَقْلِيَّةَ ، وَقَدْ سُمِّيَ أَصْحَابُهَا  
بِالْمُعْتَزَلَةِ ، فِيمَا رَوَى الرُّوَاةُ عَنْ نَشَأَتِهَا ، لِأَنَّ وَاصِلَ بْنَ  
عَطَاءٍ كَانَ يَجْلِسُ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَكَانَ بَيْنَ مَا  
اِخْتَلَفَ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِ مَعَ الْجُمُهِرَةِ وَالْإِجْمَاعِ ، أَنَّ  
الْأَوَّلِينَ كَانُوا يَقُولُونَ بِتَكْفِيرِ مُرْتَكِبِ الْكِبَايِرِ ،  
وَكَانَ الْآخَرُونَ يَقُولُونَ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَلَكِنَّهُ فَاسِقٌ ، وَلَمْ  
يَكُنْ بَدَأُ مِنْ أَنْ يَشْتَرِكَ وَاصِلٌ فِي حَوَارِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ

المعتزلة

خَرَجَ عَلَيْهِمَا مَعًا ، فَقَالَ : إِنَّ الْفَاسِقَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَأَمُومٍ  
وَلَا كَافِرٍ ، وَلَكِنَّهُ مَنزَلَةٌ بَيْنَ الْأَمْرَلَتَيْنِ ، فَطَرَدَهُ  
الْحَسَنُ مِنْ مَجْلِسِهِ فَأَعْتَزَلَ عَنْهُ ، وَجَلَسَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ  
فَقَبِلَ لَهُمَا وَلَا تَبَاعِهِمَا « مُعْتَزَلَةٌ » وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ  
رَوَايَاتٌ أُخْرَى فِي أَسْبَابِ التَّسْمِيَةِ وَدَلِيلِهَا ، كَمَا أَنَّ حُرِّيَّةَ  
تَفْكِيرِهِمْ لَمْ تَقِفْ عِنْدَ حَدِّ الدِّينِ فِي ذَاتِهِ وَمَبَادِيهِ ،  
وَلَكِنَّهَا تَجَاوَزَتْهُ إِلَى أَحْتِرَامِ الْحُرِّيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ ، وَتَغْلِيْبِهَا  
عَلَى الْأَشْخَاصِ ، حَتَّى أَبَاخُوا لِأَنْفُسِهِمْ نَقْدَ صَحَابَةِ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحُكْمَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَبَحَثَ  
سِرَّهُمْ وَأَرَائِهِمْ ، فِي غَيْرِ أَحْتِجَازٍ أَوْ رَاعَاةِ تَقَالِيدٍ .

\*\*\*

وَكَانَ الْمُعْتَزَلَةُ أَكْثَرَ النَّاسِ إِفَادَةً مِنَ الْفَلَسَفَةِ  
الْيُونَانِيَّةِ ، وَهُمْ الَّذِينَ صَبَّغُوهَا بِلَوْنٍ مِنَ الدِّينِ ، وَأَسْتَعَانُوهَا  
عَلَى جَدْلِهِمْ وَنَظَرِيَّاتِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَوْجَدُوا عِلْمَ الْكَلَامِ  
فِي الْإِسْلَامِ .

\*\*\*

صنعتهم بالفلسفة  
اليونانية

وَقَدْ حَدَّثْنَاكَ فِي اللَّمَحَاتِ عَنِ رَسَائِلِ «إِخْوَانِ الصِّفَاءِ»  
 وَنَحْنُ قَائِلُونَ هُنَا بِسَبِيلِ الْحَدِيثِ عَنْ عَصْرِ الْغَزَالِيِّ :  
 إِنَّ هَؤُلَاءِ رَاخُوا يُحَاوِلُونَ فِي رَسَائِلِهِمْ تِلْكَ ، نَشْرَ مَبَادِي  
 الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَإِذَا عَمَّهَا فِي النَّاسِ . وَجَذَبَ الْعَامَّةَ إِلَى  
 فَهْمِهَا وَالتَّأَثُّرِ بِهَا ، مُحَاوِلِينَ بِذَلِكَ تَقْدِ الدِّينِ وَالدِّسَّ عَلَيْهِ  
 وَالْكَيِّدَ لِتَعَالِيهِ بِجَانِبِ الطَّمَنِ فِي النِّظَامِ الْأَجْتِمَاعِيِّ  
 السَّائِدِ يَوْمَئِذٍ ، وَمُقَاوِمَةَ الْحُكْمِ الْقَائِمِ ، وَالْحُضَّ عَلَى  
 مُعَارَضَتِهِ ، وَأَخْرُوجَ عَلَيْهِ .

\* \* \*

وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي أَنَّ انْتِمَاءَ الْإِمَامِ الْأَشْعَرِيِّ إِلَى  
 مَذْهَبِ «الْمُعْتَرِلَةِ» وَتَوَفُّرِهِ عَلَى الْمَسَائِلِ الْفَلَسَفِيَّةِ قَبْلَ  
 نُهُوضِهِ لِلدِّفَاعِ عَنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، قَدْ أُحْدِثَ أَثْرًا  
 لَا يُسْتَهَانَ بِهِ فِي إِدْخَالِ شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ  
 عَلَى عُلُومِ الْكَلَامِ كَنظَرِيَّةِ «الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ» وَهِيَ  
 بَعْضُ فِلْسَفَةِ الْيُونَانِ عِنْدَ الطَّبِيعِيِّينَ .

\* \* \*

الاستدلال بالجوهر الفردي  
 لا يصلح كدليل على  
 صحة المذاهب  
 العقلية  
 بل هو دليل على  
 ضعفها



وَقَدْ تَبِعَ هَذَا اسْتِحْجَالَ الدَّفَاعِ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
دُونَ الرُّجُوعِ إِلَى الشَّوَاهِدِ وَالْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَلَكِنَّ  
ذَلِكَ أَيْضًا اقْتَضَى تَغْيِيرًا يَسِيرًا فِي النِّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ  
لِكَيْ تَتَأَلَّفَ هِيَ وَمَقاصِدُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِنْ ثَمَّ سَعَى  
هُؤُلَاءِ فِي إِخْضَاعِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ لِتِلْكَ النِّظَرِيَّاتِ ،  
كَمَا سَعَوْا فِي تَغْيِيرِ هَذِهِ حَتَّى تَتَّفِقَ مَعَ تَعَالِيمِ الدِّينِ .

\* \*

يَبْدُ<sup>(١)</sup> أَنَّ فَرِيقًا مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ ، رَأَوْا هَذَا التَّطَوُّرَ  
الْجَدِيدَ ، فَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْهِ وَلَمْ يَطْمَئِنُّوا إِلَى نَتَائِجِهِ ، فَهَضَبُوا  
إِلَى الْمُنَادَاةِ بِالْعِبَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ ، أَوْ بِالْكَشْفِ الْبَاطِنِيِّ  
وَالْمُشَاهَدَةِ الْمَحْضَةِ ، فَنَشَأَتْ طَرِيقَةُ « الصُّوفِيَّةِ » وَهِيَ  
نَهْجٌ مِنَ الْعِبَادَةِ قَدْ اخْتَلَطَ بِعَنَاصِرٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْفِرْسِ  
وَالْهِنْدِ .

\* \*

وَقَدْ تَأَثَّرَ الْغَزَالِيُّ بِهَذَا الرُّوحِ الصُّوفِيِّ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهِ  
الْعِبَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ  
أَوْ النُّصُوفِ

(١) بيد: غير .

بَلْ كَانَ هَذَا الْوَجْهُ مِنْ ثِقَافَةِ الْعَصْرِ ، هُوَ الَّذِي أَنْطَبَعَ عَلَى  
 صَفْحَةِ نَفْسِهِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ خَاطِرِهِ مُنْذُ نَشْأَتِهِ ، بَلْ هُوَ  
 الَّذِي نَزَعَ بِهِ عَنْ سُلُوكِ مَنَهِجِ فُقَهَاءِ عَصْرِهِ ، وَتَلَمَّاءِ  
 الْكَلَامِ إِلَى مُحَارَبَةِ الْفَلَسَفَةِ لِتَغْلِيْبِ الدِّينِ ، إِلَى مَسَلِكِ  
 خَاصٍّ لَمْ يُشَارِكُوهُ فِيهِ ، وَهُوَ مُقَاوِمَةُ الْفَلَسَفَةِ بِالرُّوحِ ،  
 وَمُحَارَبَتُهَا بِالْعَقِيدَةِ الْخَالِصَةِ ، وَالْكَفَاحِ دُونَهَا بِتَفْكِيرِهِ  
 الْمُبْتَكِرِ ، وَأَسْلُوبِهِ الْفَدَّ ، وَمَسَلِكِهِ النَّادِرِ الْأَوْحَدِ ،  
 حَتَّى شَهِدَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ الْفَرَنْسِيِّ « أَرْنِسْت رِيْبَان » بِأَنَّهُ  
 الْوَحِيدُ بَيْنَ الْفَلَسَفَةِ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِي أَنْتَهَجَ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا  
 خَاصًّا فِي التَّفْكِيرِ .



المصلح غريب في قوله  
 لَقَدْ كَانَ الْغَزَالِيُّ غَرِيبًا فِي عَصْرِهِ كَكُلِّ مُصْلِحٍ ،  
 وَكَانَ حَكِيمًا دِينِيًّا أَكْثَرَ مِنْهُ فَيَأْسُونَا . وَمِنْ وَجْهِ  
 غَرَابَتِهِ عَلَى عَصْرِهِ ، بِجَانِبِ مَا تَقَدَّمَ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ ،  
 أَنَّهُ يَدْنِمَا كَانَ الْفُقَهَاءُ قَدْ أَصْبَحُوا « لَاهُوتًا » يَعِيشُونَ .

وَسَطَ الْمَعْمِيَّاتِ<sup>(١)</sup> وَالْأَسْرَارِ ، وَيَأْبُونَ أَنْ يُقَرَّبُوا الدِّينَ  
لِأَذْهَانِ النَّاسِ جَمِيعًا ، خَافَةَ عَلَى سُلْطَانِهِمْ أَنْ تَنْكَشِفَ  
السُّدُولُ عَنْهُ ، وَخَشِيَةَ مِنْ نُفُوذِهِمْ أَنْ تَتَمَزَّقَ الْحُجُبُ الَّتِي  
يَسْتَتِرُ خَلْفَهَا ، كَانَ هُوَ مُنْصَرِفًا بِكُلِّ قُوَاهُ وَلُطْفِ حِيلَتِهِ  
إِلَى تَقْرِيبِ الدِّينِ بَيْنَ الْعَقْلِ الْإِعْتِيَادِيِّ ، وَكَشْفِ دِفَائِقِهِ  
أَمَامَ أَذْهَانِ الْعَامَّةِ ، لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نُورًا وَفُرْقَانًا ، وَمَمُورِدًا  
عَامًّا ، وَمَنْهَلًا لِلْجَمِيعِ ، عَذَبَ الْمُسْتَقِي ، صَافِيَ الْأَمِينِ .

\* \* \*

وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي نَظَرَ إِلَيْهِ الْعَلَمَةُ الْمُسْتَشْرِقُ  
لَمْ يَكُنْ كَشَافًا  
الْكَبِيرُ « دَنْكَانَ مَا كَدُولَانْد » أَسْتَاذُ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ فِي  
جَامِعَةِ « هَارْتْفُورْد » ، إِذْ قَالَ فِي رِسَالَتِهِ الضَّافِيَّةِ عَنْ حَيَاةِ  
الْفِرَاقِ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ « كَشَافًا » وَلَا أَوَّلَ مَنْ رَكِبَ  
الطَّرِيقَ ، وَأَهْتَدَى إِلَى النُّجْدِ<sup>(٢)</sup> ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا كَبِيرَ  
الشَّخْصِيَّةِ ، شَدِيدِ التَّأْيِيرِ النَّفْسِيِّ ، نَهَجَ سَبِيلًا مَطْرُوقَةً  
فَجَعَلَهَا مَشْرَعًا عَامًّا وَمَحَجَّةً وَاضِحَةً ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ

(١) المعميات : الاسرار، سئل الاصمعي فقال : هو شيء لا يحاضر  
به العلماء . (٢) النجد : أى الطريق الواضح المرتفع

شَخْصِيَّتِهِ ، وَقُوَّةَ خَلْقِيَّتِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ تَمَّ مِنْ هُمْ أُبْرَعُ  
مِنْهُ ، وَأَدَقُّ مَنْطِقًا ، وَأَفْقَهُ مِنْهُ عِلْمًا ، وَأَكْثَرُ مِنْهُ  
مَوَاهِبَ ، مِنْ قَدِيسِينَ <sup>(١)</sup> وَمُتَدَيِّنِينَ

\* \* \*

وَلَكِنَّهُ بِفَضْلِ تَجَارِيْبِهِ الْخَاصَّةِ ، وَخَبْرَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ ،  
قَدْ أَوْتِيَ شُعُورًا شَامِلًا فِي قُوَّتِهِ عَظِيمًا فِي حُدُودِهِ ، وَتَرَامِي  
أَفَاقِهِ ، شُعُورًا بِالْحَقَائِقِ الدِّينِيَّةِ حَتَّى إِنَّ قُوَّةَ شَخْصِيَّتِهِ  
الَّتِي كَانَتْ يَوْمًا مُجَاهِدَةً مُحَارَبَةً مُنَاصِلَةً لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنْ  
الْقَلْقِ ، ثُمَّ ضَاقَتْ وَتَضَامَّتْ وَأَشْتَدَّتْ سُلْطَانًا وَآثَرًا ،  
لَمْ تَلْبَثْ أَنْ اِكْتَسَحَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَهَا ، فَإِذَا الدِّينُ  
الْإِسْلَامِيُّ يَسْتَقْبِلُ بِظُهُورِهِ عَصْرًا جَدِيدًا ، وَحَيَاةً مُنْتَشِئَةً  
زَاهِرَةً .

الغزالي يفتح  
عصرًا جديدًا

\* \* \*

(١) جمع قديس، أي كثير القداسة والبطاهرة

« حَيَاتُهُ وَسِيرَتُهُ »

وَوَدَّ الْأَمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزَالِيَّ  
سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ وَتِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَالْفِ  
مِبْلَادِيَّةً ، فِي مَدِينَةِ « طُوسِ » <sup>(١)</sup> بِوَلَايَةِ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ  
مِنْ أَصْلِ فَارِسِيٍّ ، وَإِنْ لَمْ يُحَدِّثْنَا التَّارِيخُ عَنْ مَوْطِنِهِ الْأَوَّلِ  
وَمُنْحَدَرِهِ <sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ أَبُوهُ رَجُلًا صَالِحًا ، لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنَ  
كَسْبِ يَدِهِ فِي عَمَلِ غَزَلِ الصُّوفِ . وَكَانَ لَهُ دُكَّانٌ يَبِيعُ  
فِيهِ الصُّوفَ بِسُوقِ الصَّوَّافِينَ بِطُوسٍ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْعَقَقِيِّ  
لِلْمَقْرِيزِيِّ وَمَنْ تَمَّ لِقَبِّ بِالْغَزَالِيِّ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ نِسْبَةً  
إِلَى صِنَاعَتِهِ وَمُحْتَرَفِهِ ، وَإِنْ أَشْتَهَرَ هَذَا اللَّقْبُ بِتَخْفِيفِ  
الزَّايِ إِلَى الْيَوْمِ وَلَعَلَّ هَذِهِ كَانَتْ نِسْبَةً إِلَى بَلَدٍ يُسَمَّى  
« غَزَالَةَ » وَرُبَّمَا كَانَتْ قَرْيَةً صَغِيرَةً مِنْ قَرْيِ طُوسٍ .  
وَكَانَتْ طُوسٌ تُتَأَلَّفُ كَمَا يَقُولُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي مُعْجَمِ  
الْبُلْدَانِ - مِنْ أَلْفِ قَرْيَةٍ ، وَتَحْسَبُ هَذِهِ النِّسْبَةُ أَصَحَّ مِنْ

(١) هي اليوم خراب بضاحية مدينة « مشهد » الحديثة المعروفة

(٢) منحدره : مكان انحداره .

الأولى، لأنها هي التي غلبت وشاعت وحمّلت<sup>(١)</sup> النسبة  
الماخوذة من الحرفة والصناعة .

\*  
\*

وجعل أبوه يعشى مجالس المتفقهة ، ويختلف إلى  
مجامعهم ، ويتوقر على خدمتهم ، ويتلبب<sup>(٢)</sup> في قضاء حاجاتهم ،  
ويبادر إلى التفقه عليهم بما يمكنه ، وكان إذا سمع  
كلامهم بكى وتضرع ، وسأل الله أن يرزقه ولداً ويجعله  
فقيهاً ، وكان يحضر كذلك مجالس الوعظ ، فإذا أصغى إلى  
الوعاظ نديت عيناه واستهل دمه ، وسأل الله أن يرزقه  
ابناً واعظاً .

والده

\*  
\*

وكانما سمع الله له ، فاستجاب ، إذ رزق بولدين :  
أبي حامد هذا وأخيه أحمد . وفعل ناموس الوراثة أثره ،  
وأحدث سلطانه وأفاعيله ، فانطبعت النفس القوية في  
ثمرها ، واستقام الفرعان على جذعهما ، وتوزعت خواص

الاخوان  
أبو حامد وأحمد

(١) حملت : خفيت (٢) يتلبب ويتشمر . والمراد يبالغ .

الشَّجَرَةَ عَلَى غُصْنَيْهَا ، فَقَدْ نَشَأَ الصَّغِيرَانِ عَلَى مَا كَانَ أَبُوهُمَا  
 يُرِيدُهُمَا ، وَيَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَا ، فَإِنَّ أَحْمَدَ أَخَا الْغَزَالِيِّ  
 - فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ - لَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ النَّشْأَةِ أَنْ طَافَ الْبِلَادَ وَاتَّصَلَ  
 بِالصُّوفِيَّةِ مِنْ مِيعَةِ <sup>(١)</sup> الشَّبَابِ ، وَصَحِبَ الْمَشَايخَ ، وَآثَرَ  
 الْخُلُوعَ ، وَسَكَنَ إِلَى الْغَزَاةِ ، حَتَّى انْفَتَحَ لَهُ الْكَلَامُ  
 عَلَى أَسَالِيبِ الْمُتَصَوِّفَةِ . وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَمَالَتْ  
 الْقُلُوبُ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَتِ النُّفُوسُ عَلَيْهِ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ ، فَعَقَدَ  
 مَجْلِسَ الْوَعْظِ وَظَهَرَ لَهُ الْقَبُولُ ، وَأَزْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى حُضُورِ  
 مَجْلِسِهِ ، وَأَنَّ صَاعِدَ بْنَ فَارِسٍ ، دُونَ مَجَالِسِهِ بِبَغْدَادَ  
 فَكَانَتْ ثَلَاثَةً وَثَمَانِينَ .

\*\*\*

وَذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي وَفِيَّاتِهِ : أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ  
 كَرَامَاتٍ وَإِشَارَاتٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَالَ  
 إِلَى الْوَعْظِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ قَارِئًا قَرَأَ يَوْمًا بَيْنَ  
 يَدَيْهِ « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

(١) مِيعَةُ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ .

رَحْمَةِ اللَّهِ « فَقَالَ : شَرَّفَهُمْ بِبِأَيِّ الإِصَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ :  
يَا عَبَادِي ثُمَّ أَنْشَدَ :

وَهَانَ عَلَيَّ اللُّؤْمُ فِي جَنْبِ حُبِّهَا  
وَقَوْلُ الأَعَادِي إِنَّهُ لَخَلِيعُ  
أَصْمُ إِذَا نُودِيَتْ بِأَسْمِي وَإِنِّي  
إِذَا قِيلَ لِي يَا عَبَدَهَا لَسَمِيعُ

\*\*\*

وَيَرَوُونَ أَنَّهُ حَكَى يَوْمًا فِي مَجْلِسٍ وَعَظِهِ أَنَّ بَعْضَ  
العُشَاقِ كَانَ مُشْعُوًّا بِحُسْنِ صُورَةِ مَعْشُوقِهِ ، وَكَانَ هَذَا  
مُوَافِقًا لَهُ ، فَجَاءَهُ يَوْمًا بِكُرَّةٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْظِرْ إِلَى وَجْهِى ،  
فَأَنَا الْيَوْمَ أَحْسَنُ مِنِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَقَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ  
نَظَرْتُ فِي العِرَاةِ فَاسْتَحْسَنْتُ وَجْهِى ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىَّ ،  
فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِكَ قَبْلِي لَا تَصْلُحُ لِي .

\*\*\*

وَلَعَلَّ هَذِهِ الحِكَايَةَ تُمَثِّلُ نِهَايَةَ الفَنَاءِ فِي الحُبِّ ،  
وَوَغَايَةَ العَمَلِ إِلَى الأَسْتِثْنَاءِ بِهِ .





وَكَانَ يَنْصَحُ أَخَاهُ أَبَا حَامِدٍ بِقَوْلِهِ :

إِذَا صَحِبْتَ الْمُلُوكَ فَالْبَسْ

مِنَ التَّوَقِّي أَعَزَّ مَلْبَسٌ

وَأَدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى

وَأُخْرِجْ إِذَا مَا أُخْرِجْتَ أَخْرَسْ



وَلَكِنَّ أَبَاهُمَا لَمْ يُمَتَّعْ بِفُسْحَةٍ فِي الْأَجْلِ حَتَّى

يَشْهَدَهُمَا وَقَدْ بَلَغَا مَا يَتَمَنَّاهُ لِهَمَا ، وَيَرْجُو إِلَى اللَّهِ فِيهِمَا ،

وَإِذْ قَضَى نَحْبَهُ وَهُمَا صَغِيرَانِ .



وَمِمَّا هُوَ أَدْلُ عَلَى فِعْلِ الْوَرَاثَةِ فِي تَكْوِينِ الْغَزَالِيِّ وَأَخِيهِ ،

أثر الوراثه

فَصَلَّا عَنْ أَثَرِهَا الظَّاهِرِ فِيمَا شَابَهَا فِيهِ أَبَاهُمَا : أَنَّ الْعِلْمَ فِي

الْأُسْرَةِ وَالتَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ لَمْ يَنْتَدِئَا بِهِ ، وَلَمْ يَسْتَفْتِحَا بِأَخِيهِ ،

وَلَكِنَّهُمَا ظَهَرَا فِي الْأُسْرَةِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ

المُسْتَشْرِقُ مَا كَدُولَانْدُ ، وَتَقْلَهُ عَنِ الْعَالِمِ الْأَلْمَانِيِّ

« وَسْتَنْفِيْلِدَ » فِي كِتَابِهِ عَنِ الشَّافِعِيَّةِ ، فَقَدْ حَدَّثَنَا هَذَا  
أَنَّهُ كَانَ فِي الْأُسْرَةِ عَمٌّ لِلغَزَالِيِّ أَخْلَدَ إِلَى الْعِلْمِ ، وَسَكَنَ  
إِلَى التَّفَقُّهِ فِيهِ ، وَكَانَ لِعَمِّهِ هَذَا ابْنٌ - وَرِثَ هَذَا التَّرْوَعُ  
عَنْهُ ، وَقَدْ سَمِيَ الْأُسْتَاذُ « وَسْتَنْفِيْلِدُ » الْعَمُّ بِالغَزَالِيِّ  
الْكَبِيرِ ، وَقَالَ : إِنْ وَفَاتَهُ كَانَتْ عَامَ خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ  
وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَلَسَكِنَّ مَا كَدُّوْلَانْدَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ  
لَمْ يَسْكُنْ عَمًّا لِلغَزَالِيِّ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَمًّا لِأَبِيهِ ، وَأَنَّ شُهْرَةَ  
الطَّبَقَةِ التَّالِيَةِ مِنَ الْأُسْرَةِ الْغَزَالِيَّةِ أَيْ أَبِي حَامِدٍ وَأَخِيهِ -  
أَخْلَتِ<sup>(١)</sup> الْأُولَى وَحَجَبَتْهَا ، وَغَلَبَتْ فِي الْمَجْدِ عَلَيْهَا ، حَتَّى إِنْ  
السُّبُكِيِّ وَأَبْنَ الذَّهَبِيِّ وَغَيْرَهُمَا أَنْكَرُوا وَجُودَ تِلْكَ  
الطَّبَقَةِ إِطْلَاقًا ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَقَعَ فِي الْأُسْرَةِ  
قَبْلَ ظُهُورِ الْغَزَالِيِّ وَأَخِيهِ

\* \* \*

وَلَمَّا حَضَرَ الْمَوْتَ أَبُو الْغَزَالِيِّ ، دَفَعَ بَوْلَدَيْهِ إِلَى صَدِيقٍ  
لَهُ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ ، وَوَصَّاهُ بِرَيْدِيَّتَيْهِمَا وَتَلَشُّدَيْهِمَا ، وَالْعِنَايَةَ

بعد وفاة أبيه

(١) أخلت : أسقطت نهايتها .

بِتَعْلِيمِهِمَا ، بِعَاسَاهُ أَنْ يُخَلِّقَهُ لَهُمَا ، فَقَدْ كَانَ الْعِلْمُ طَلِبَةً <sup>(١)</sup>  
نَفْسِهِ مِنْ مَطْلَعِ الْحَيَاةِ ، وَبُعِيَةِ خَاطِرِهِ مِنَ الصَّبَا ،  
وَلَكِنَّهَا لَمْ تُتَمَّحْ لَهُ ، وَلَمْ يَتَهَيَّأْ سَبِيلَهَا أَمَامَهُ ، فَهُوَ يُطَلِّبُهُ  
لِوَلَدَيْهِ ، وَيَرْجُو مِنْ اللَّهِ أَلَّا يَعِزَّ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمَا مَا عَزَّ مِنْ  
قَبْلُ عَلَيْهِ .



وَقَدْ رَأَيْتَا فِي الْمُقَفِّيِّ لِلْمَقْرِي زِيْ أَنْصَ وَصِيَّةَ أَبِي الْعَزَالِيِّ <sup>وصية أبي العزالي</sup>  
<sup>لصديقه</sup>  
إِلَى صَدِيقِهِ وَهِيَ قَوْلُهُ : « مَا كُنْتُ لِأَتَأَسَّفَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
الدُّنْيَا كَأَسْفِي عَلَى الْخَطِّ ، وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ مُعَامِلِينَ ،  
وَقَدْ اسْتَدْرَكَتْ بَعْضَ مَا فَاتَنِي فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ،  
وَأَحِبُّ مِنْكَ أَنْ تُتَمَّعَ بِهِمَا مَا عَلِيَهُمَا ، وَلَا عَلَيْكَ إِلَّا يَقَعَ  
لَهُمَا شَيْءٌ بَعْدَ تَعْلُمِهِمَا » .



فَأَمَّا قَضَى نَحْبَهُ <sup>(٣)</sup> أَقْبَلَ الْمُتَّصِفُ عَلَى تَعْلِيمِهِمَا ، إِلَى أَنْ

(١) الطلبة : ما يتطلبه الإنسان (٢) ألا يعز : ألا يشق .

(٣) قضى نحبه : مات

كَمُلَ مِنَ الْكِتَابَةِ نَصِيبُهُمَا فَفَنِي مَا كَانَ خَلْفَ أَبُوهُمَا  
بِحَيْثُ تَعَدَّرَ عَلَيْهِمَا مِمَّنْ قُوَّتُهُمَا .

\*\*\*

يَبْدَأُ الْعَلَّامَةَ « لِيُوَافِرَ يَقَانِسَ » يَقُولُ: إِنَّ أَبَا الْعَزَّالِيِّ  
كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَاسْكِنَا لَمْ نَقِفْ عَلَى شَيْءٍ يَثْبُتُ هَذَا  
الرَّأْيَ، وَإِنَّمَا نَفَادُهُ وَشَيْكَا<sup>(١)</sup> دَلِيلٌ عَلَى قَلْبِهِ، وَقَدْ رَأَيْنَا فِي  
كِتَابِ السَّيِّدِ مُرْتَضَى « إِنْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ » أَنَّهُ كَانَ  
نَزْرًا يَسِيرًا .

\*\*\*

وَكَانَ الصَّدِيقُ رَجُلًا كَرِيمَ النَّفْسِ أَمِينًا عَلَى الْوَدِيعَةِ ،  
فَمَا زَالَ يَرْعَى الْأَخْوِينَ وَيَكْفُلُهُمْ حَتَّى نَفِدَ الْمَالُ كُلُّهُ ،  
فَنَصَحَ لَهُمَا بِدُخُولِ مَدْرَسَةِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَالتَّمَكُّسِ الْقُوَّتِ .

\*\*\*

وَفِي الْمُقَفَّى أَنَّهُ قَالَ لَهُمَا: « إِعْلَمَا أَنِّي قَدْ انْفَقْتُ  
عَلَيْكُمَا مَا كَانَتْ لَكُمَا ، وَأَمَّا أَنَا فَرَجُلٌ مِنَ الْفَقْرِ

(١) وشيكا : سريعا .

والتَّجْرِيدِ بِحَيْثُ لَيْسَ لِي مَالٌ فَأِوَأَسِيكُمَا وَأَصْلِحْ حَالَكُمَا ،  
فَمَا لَكُمَا إِلَّا تَلَجَّآ إِلَى مَدْرَسَةٍ ، فَأَنْكُمَا طَالِبَانِ لِلْفِقْهِ ،  
عَسَاهُ يَحْضُلُ أَكُمَا مِقْدَارُ قُوَّتِكُمَا » ، فَقَعَلَا فَبَكَانَ ذَلِكَ  
سَبَبَ سَعَادَتِهِمَا

\*\*\*

وَنَحْسَبُ أَنَّ نِظَامَ الْمَدَارِسِ يَوْمَئِذٍ كَانَ يَقْضِي بِأَنَّ  
يَكْفُلَ لِلطَّالِبِ وَأَمْجَاوِرِ سَدِّ رَمَقِهِ وَبَعْضَ قُوَّتِهِ ، كَشَأْنِ  
الْأَزْهَرِ فِيمَا نَعْرِفُ ، أَوْ تَجْرِي عَلَيْهِمْ بَعْضُ الْأَغْذِيَةِ كَمَا  
كَانَ الْأَمْرُ فِي أُسْبَانِيَا لِعَهْدِ « سَرْفِينْتِس » وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا  
الرَّأْيَ مَا رَوَاهُ الشَّيْطِيُّ عَنْ ابْنِ السُّبْكِيِّ مِنْ أَنَّ نِظَامَ  
الْمُلْكِ لَمْ يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ مَنْ أَنْشَأَ الْمَدَارِسَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ  
عَلَى الْأَرْجَحِ أَوَّلَ مَنْ قَرَّرَ عِلَاوَةَ<sup>(١)</sup> لِلطَّالِبِ .

\*\*\*

وَقَدْ حَدَّثَنَا الْغَزَالِيُّ فِيمَا بَعْدُ ، أَيَّ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ عَهْدَ  
الطَّلَبِ ، وَغَادَرَ حُدُودَ الشَّبَابِ ، كَيْفَ تَوَفَّرَ مِنَ النَّشْأَةِ الْأُولَى

(١) علاوة : زيادة .

هُوَ وَأَخُوهُ أَحْمَدُ عَلَى دِرَاسَةِ الْفِقْهِ؟ قَائِلًا لَهُ: كَلِمًا عَاوَدَتْهُ  
ذِكْرِي هَذَا الشَّطْرَ مِنْ حَيَاتِهِ: طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَابْتَدَأَ  
أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ.

\*\*\*

وَوَصَفَ لَنَا الْغَزَالِي كَذَلِكَ فِي أَعْتِرَافَاتِهِ الَّتِي ضَمَّنَهَا  
كِتَابَهُ «الْمُنْقِذَ مِنَ الضَّلَالِ»: كَيْفَ ذَهَبَ مِنَ الشَّبَابِ  
يَلْتَمِسُ الْفَكَكَ مِنَ التَّقْلِيدِ، وَيَطْلُبُ الْعِلْمَ عَنْ يَقِينٍ؟  
وَكَيْفَ بَدَأَ الطَّلَبَ مِنْ عُنُقِ الشَّبَابِ مُنْذُ رَاهِقٍ (١) قَبْلَ  
الْعَشْرِينَ وَلَمَّا يَزَلْ غَضَّ الْأَهَابِ.

الفكك من  
التقليد

\*\*\*

وَقَدْ قَرَأَ طَرْفًا مِنَ الْفِقْهِ فِي طُوسٍ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ  
الرَّازِ كَاتِبِي، ثُمَّ نَزَحَ إِلَى جُرْجَانَ إِلَى الْإِمَامِ أَبِي نَاصِرٍ  
الْإِسْمَاعِيلِيِّ، وَكَانَ يُدَوِّنُ مَا يَتَلَقَّاهُ مِنْهُ فِي مُذَكَّرَاتِهِ  
وَكُتُبِهِ، وَكَانَتْ تُسَمَّى التَّعْلِيقَةَ، دُونَ أَنْ يُودِعَهُ  
الذَّاكِرَةَ، أَوْ يُعْنَى بِاسْتِظْهَارِهِ وَأَسْتِذْكَارِهِ:

(١) راهق: من المراهقة، قارب الحلم «البلوغ»

\* \*

وَنَحْسَبُ هَذَا الْإِهْمَالَ مِنَ النَّشْأَةِ : أَسْتَمَكَنَّ مِنْهُ إِهْمَالُ الْاسْتِذْكَارِ  
 حَتَّى كَانَ بَعْضَ خَوَاصِّهِ ، إِذْ ظَهَرَتْ آثَارُهُ فِي كُلِّ تَوَالِيْفِهِ  
 وَمُدَوِّنَاتِهِ ، حَتَّى لَقَدَاتُهُمْ مِنْ خُصُومِهِ وَحَسَدَاتِهِ <sup>(١)</sup> وَالنَّافِسِينَ <sup>(٢)</sup>  
 عَلَيْهِ : أَنَّهُ كَانَ يُزَيِّفُ مَا يَرَوِيهِ ، وَيَصْطَنَعُ مَا يَحْكِيهِ عَنْ  
 غَيْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي هَذِهِ التُّهْمَةِ <sup>(٣)</sup> غُلُوبٌ ، وَعَلَيْهَا مَسْحَةٌ <sup>(٤)</sup>  
 إِسْرَافٍ .

\* \*

*Handwritten notes in Arabic script, including the word 'إسراف' and other illegible text.*

٤

واقعة مع بعض الصور

وَقَدْ أَعْطَتْهُ الْحَيَاةُ دَرَسًا مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ أَثْمَرَ وَأَجْدَى  
 عَلَيْهِ طِيلَةَ عُمُرِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِيمَا كَانَ عَائِدًا إِلَى طُوسٍ مِنْ  
 جُرْجَانَ إِذْ بَاغَتْهُ عَلَى الطَّرِيقِ جَمَاعَةٌ مِنَ اللَّصُوصِ جَرَدُوهُ  
 بِمَا كَانَ مَعَهُ ، وَأَنْزَعُوا مِنْهُ الْمِخْلَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحْوِي  
 كُتُبَهُ وَأَوْرَاقَهُ وَمُدَّ كَرَاتِهِ وَمُدَوِّنَاتِهِ ، وَقَدْ حَكَى هُوَ بِنَفْسِهِ  
 الْقِصَّةَ فِي تَأَثُّرٍ شَدِيدٍ بِهَا وَبَيَانٍ بَلِيغٍ ، فِي سَدَاجَةِ

(١) حسدته : جمع حاسد (٢) النافسين : الحاقدين ، جمع نافس .  
 (٣) التهمة : ما يتهم به الانسان وينسب اليه . (٤) المسحة : بفتح الميم  
 الاثر الظاهر .

سَازِجٍ فِي بِلَاغَتِهِ . وَهُوَ إِذْ يَقُولُ . قُطِعَ عَلَيْنَا الطَّرِيقُ ،  
وَأَخَذَ الْعَيَارُونَ<sup>(١)</sup> جَمِيعَ مَا مَعِيَ وَمَضُوا فَتَبِعْتُهُمْ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ  
مُقَدِّمُهُمْ وَقَالَ : ارْجِعْ وَيْحَكَ وَإِلَّا هَلَكَتَ ، فَقُلْتُ  
لَهُ : أَسَأَلُكَ بِالَّذِي تَرْجُو السَّلَامَةَ مِنْهُ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ تَعْلِيْقِي  
فَقَطًّا ، فَمَا هِيَ بَشْيءٌ تَتَّفَعُونَ بِهِ ، فَقَالَ لِي : وَمَا هِيَ تَعْلِيْقَتُكَ ؟  
فَقُلْتُ كُتِبَ فِي تِلْكَ الْمِخْلَافَةِ هَاجَرْتُ لِسَمَاعِيهَا وَكُنَّا بِسِتْهَا  
وَمَعْرِفَةِ عَالِمِيهَا ، فَضَحِكَ وَقَالَ : كَيْفَ تَدْعِي أَنَّكَ عَرَفْتَ  
عَالِمَهَا وَقَدْ أَخَذْنَاهَا مِنْكَ ، فَتَجَرَّدْتَ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ، وَبَقِيَتْ  
بِلَا عِلْمٍ ؟ - ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ أَصْحَابِيهِ فَسَلَّمَ إِلَيَّ الْمِخْلَافَةَ . وَهَذَا  
مَنْطِقُ أَنْطَقَهُ اللَّهُ لِيُرْشِدَنِي فِي أَمْرِي ، فَلَمَّا وَافَيْتَ<sup>(٢)</sup> طُوسَ  
أَقْبَلْتُ عَلَى الْأَشْتِغَالِ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى حَفِظْتُ جَمِيعَ مَا  
عَلَّقْتُهُ ، وَصِرْتُ بِحَيْثُ لَوْ قُطِعَ عَلَيَّ الطَّرِيقُ لَمْ أَتَجَرَّدَ  
مِنْ عِلْمِي .

\* \* \*

(١) العيارون : جمع عيار : الكثير التطواف والحركة

(٢) وافيت : أنيت .



وهذه سذاجة في التصوير بديمة في الحق ورائعة ،  
 ولست أخذها مأخذ الأستاذ ما كدولاند، أو انظر إليها  
 نظر الذي يحسبها منقصة في رجل كالغزالي ، ومعابا من  
 ناحية الاعتماد في العلم على الاستظهار وهو آفته ، وعلى  
 الكتب يعاودها لأنها مشغلة عن النظر والتفكير  
 وإعمال الرأي ، ولكني أنزع<sup>(١)</sup> في فهمها إلى ناحية القيمة  
 الروحية للكتب عند المتوفرين تليها ، والمولعين بها ،  
 والمؤثرين لها على متع كثيرة ، ولذا ذات متعدّدة ، فإن  
 الحرص على الكتاب عند عارف قدره يكاد يبلغ حد  
 الإيثار ولو خير بينه وبين شيء أنفس منه مادة لئن به ،  
 ولم تسؤل له النفس عنه غناء .



وأقام النزالي في طوس ثلاث سنين ، يعاود قراءة  
 مذكراته ومطالعة أوراقه ومذاكرة ما في كُنْاشته  
 « تعلّيقته » وقد قال الذين أنتصرؤاله ودافعوا عنه ، إزاء

(١) انزع : من باب ضرب : أميل .

تَهْمَةٌ خُصُومِهِ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ الْمَعْنَى ، وَلَا يَسْتَظْهِرُ اللَّفْظَ  
فَكَانَ إِذَا مَا عَادَ يَسْتَشْهِدُ بِشَيْءٍ مِمَّا وَعَاهُ لَمْ يَجِيءْ بِهِ  
عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُؤَدِّبُهُ بِمِثَارَةٍ مِنْ عِنْدِهِ وَيَصُوغُ  
لَهُ الْاَلْفَظَ الَّذِي يُرْفِقُ غَايَتَهُ ، وَيَأْتِي بِعُرَادِهِ .

\*\*\*

وَحَرَجَ مِنْ طُوسٍ فِي صُحْبَةِ شَبَابٍ مِنْ رُفَقَاءِ الطَّلَبِ ،  
وَصَحْبِهِ فِي الْمَذَاكِرَةِ وَالتَّحْصِيلِ يُرِيدُونَ نَيْسَابُورَ ، وَفِي تِلْكَ  
الْمَدِينَةِ اتَّصَلَ بِإِمَامِ الْحَرَمِينَ أَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ ، وَهُوَ  
الَّذِي عَهَدَ نِظَامُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ بِالإِشْرَافِ عَلَى الْمَدْرَسَةِ  
النِّظَامِيَّةِ ، فَقَرَّبَهُ إِلَى الْإِمَامِ إِلَيْهِ ، وَوَطَّأ لَهُ فِي طَلَبِهِ ، وَمَكَّنَ  
لَهُ فِي مَحَبَّتِهِ وَحَنَانِهِ ، وَابْتِجَاءً يُجَاوِزُ الْإِمَامَ حَتَّى وَفَاتِهِ فِي  
الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَيْبَعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ  
وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

نيسابور  
والانصال بامام  
الحرمين

لقد حضر محاضرة  
لمرة عند  
الحرمين .

\*\*\*

وَنَجِدُ مِنْ وَاجِبِنَا أَنْ نُحَدِّثَكَ هُنَا عَنْ نِظَامِ الْمَلِكِ لَمَّا  
لَهُ مِنْ وَثِيقِ صِلَةٍ بِدَشَاةِ الْغَزَالِيِّ وَالْأَدْوَارِ الْأُولَى مِنْ حَيَاتِهِ

مُعْتَمِدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى ابْنِ خِدْكَانَ .

\* \*

وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ  
الْمُلَقَّبُ نِظَامَ الْمَلِكِ قَوْمِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ .

\* \*

ذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ فِي تَرْجَمَةِ  
الرَّادِ كَانَ أَنَّهَا بَلِيدَةٌ صَغِيرَةٌ بِنَوَاحِي طُوسٍ ، قِيلَ إِنَّ  
نِظَامَ الْمَلِكِ كَانَ مِنْ نَوَاحِيهَا ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الدَّهَاقِينِ (١)  
وَأَشْتَغَلَ بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ عَلِيِّ بْنِ  
شَادَانَ الْمُعْتَمِدِ عَلَيْهِ بِمَدِينَةِ بَلْخِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ فَكَانَ  
يُصَادِرُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَقَصَدَ دَاوُدَ بْنَ  
مِيكَائِيلَ السَّلْجُوقِيَّ ، وَالِدَ السُّلْطَانِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ ، فَظَهَرَ  
لَهُ مِنْهُ النُّصْحُ وَالْمَحَبَّةُ ، فَسَلَّمَهُ إِلَى وَالدِهِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ وَقَالَ  
لَهُ : ائْخِذْهُ وَالِدًا ، وَلَا تُخَافَهُ فِيمَا يُشِيرُ بِهِ ، فَلَمَّا مَلَكَ  
أَلْبُ أَرْسِلَانَ ، دَبَّرَ أَمْرَهُ فَأَحْسَنَ التَّدْيِيرَ ، وَبَقِيَ فِي خِدْمَتِهِ

(١) الدهاقين : جمع دهقان ، رئيس الاقليم .

عَشْرَ سِنِينَ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو أَرْسِلَانَ ، وَأَزْدَحَمَ أَوْلَادُهُ عَلَى  
الْمَلِكِ وَطَدَّ الْمَمْلَكَةَ لِوَلَدِهِ مَلِكٌ شَاهٌ ، فَصَارَ الْأَمْرُ  
كُلُّهُ لِنِظَامِ الْمَلِكِ ، وَلَيْسَ لِلسُّلْطَانِ إِلَّا التُّخْتُ<sup>(١)</sup> وَالصَّيْدُ ،  
وَأَقَامَ عَلَى هَذَا عِشْرِينَ سَنَةً ، وَدَخَلَ عَلَى الْإِمَامِ الْمُقْتَدِي  
بِاللهِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ يَا حَسَنُ ، رَضِيَ  
اللهُ عَنْكَ ، بَرِيضاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَكَانَ مَجْلِسُهُ  
عَامِراً بِالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْإِنْعَامِ عَلَى  
الصُّوفِيَّةِ ، وَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقَالَ : أَنَا نَاصُوفِيٌّ وَأَنَا فِي  
خِدْمَةِ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَوَعَظَنِي وَقَالَ :

\* \* \*

أَخْدُمُ مَنْ تَنْفَعُكَ خِدْمَتُهُ ، وَلَا تَشْتَعِلْ بِعَمَّنْ تَأْكُلُهُ  
الْكِلَابُ غَدًا ، فَلَمْ أَعْلَمْ مَعْنَى قَوْلِهِ ، فَشَرِبَ ذَلِكَ  
الْأَمِيرُ مِنَ الْعَدِي إِلَى اللَّيْلِ ، وَكَانَتْ لَهُ كِلَابٌ كَالسَّبَاعِ  
تَقْتَرِسُ الْغُرَبَاءَ بِاللَّيْلِ . فَعَلِبَهُ الشُّكْرُ فَنَجَّحَ وَحَدَّهُ فَلَمْ  
تَعْرِفُهُ الْكِلَابُ فَمَزَقَتْهُ ، فَعَلِمَتْ أَنَّ الرَّجُلَ كَوَشِفَ بِذَلِكَ ،

(١) التخت : سرير الملك وعرشه .

فَأَنَا أَخْدُمُ الصُّوفِيَّةَ لَعَلِّي أَظْفَرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ .

\*\*\*

وَكَانَ إِذَا سَمِعَ الْإِذَانَ أَمْسَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا هُوَ فِيهِ .  
وَكَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ ، أَبُو الْعَمَّالِي وَأَبُو  
الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ ، صَاحِبُ الرِّسَالَةِ ، بَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِمَا ،  
وَأَجْلَسَهُمَا فِي مَسْنَدِهِ <sup>(١)</sup> ، وَبَنَى الْمَدَارِسَ وَالرُّبُطَ <sup>(٢)</sup> ،  
وَالْمَسَاجِدَ فِي الْبِلَادِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَنْشَأَ الْمَدَارِسَ ،  
فَاقْتَدَى بِهِ النَّاسُ ، وَشَرَعَ فِي عِمَارَةِ مَدْرَسَتِهِ فِي بَيْتِغَدَادَ  
سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِينَ ، وَتَوَجَّهَ صُحْبَةً مَلِكٌ شَاهَ  
إِلَى أَصْبَهَانَ حَيْثُ قُتِلَ غِيلَةً <sup>(٣)</sup> ، وَقِيلَ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَيْهِ  
مَنْ قَتَلَهُ ، فَإِنَّهُ سَمَّ طَوَّلَ حَيَاتِهِ ، وَأَسْتَكْبَرَ مَا بِيَدِهِ مِنَ  
الْإِقْطَاعَاتِ ، وَلَمْ يَعِشِ السُّلْطَانُ بَعْدَهُ سِوَى خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ  
يَوْمًا « وَرَأَاهُ » شِبْلُ الدَّوَلَةِ أَبُو الْهَيْجَاءِ مُقَاتِلُ بْنُ عَطِيَّةَ  
ابْنِ مُقَاتِلِ الْبَكْرِيِّ فَقَالَ :

(١) مسنده : متسكنه أى مجلسه الخاص . (٢) الربط : جمع رباط :

المتسكنة . (٣) قتل غيلة : خدعة وغدرا .

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ لَوْلَوْ  
نَفِيَسَةً صَانَهَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَرَفِ  
عَزَّتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامَ قِيَمَتَهَا  
فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدَفِ

\*\*\*

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ قُتِلَ بِسَبَبِ تَلَجِ الْمَلِكِ أَبِي الْغَنَائِمِ  
الْمُرْزَبَانَ بْنِ خَسْرُو فَيْرُوزَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ دَارِسْتِ ،  
فَإِنَّهُ كَانَ عَدُوَّ نِظَامِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ كَبِيرَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ  
خُدُومِهِ مَلِكِ شَاهٍ ، فَلَمَّا قُتِلَ رَبُّهُ مَوْضِعَهُ <sup>(١)</sup> فِي الْوِزَارَةِ ، ثُمَّ  
إِنَّ غُلَمَانَ نِظَامِ الْمَلِكِ وَثَبُّوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَقَطَعُوهُ  
إِرْبَا إِرْبَا . <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وَالآنَ نَعُودُ بِكَ إِلَى حَيَاةِ الْغَزَالِيِّ ، وَنَذْهَبُ بِكَ إِلَى  
مَدِينَةِ نَيْسَابُورَ حَيْثُ أَسْمَعْتُ فِيهَا آفَاقَ الطَّلَبِ أَمَامَ

(١) رتبته موضعه : جعله مكانه . (٢) إربا إربا : بسكون الراء :

عضوا عضوا .

الغزالي الشاب، وهو يومئذ في الثامنة والعشرين،  
 وتمددت نواحي التحصيل، فقد درس المذاهب واختلافاتها،  
 وتعلم الجدل وأساليبه، والمنطق وأصوله، وقرأ الفلسفة  
 ونظرياتها. ولعله بدأ في هذا الدور من الحياة يجرب  
 الكتابة، ويتهيأ للتأليف.

\* \*

وقد برز الغزالي في الحلقة من رفقائه وصحبه في  
 الدراسة، متفوقاً غالباً عليهم، بأدى المقدرة من فوقهم،  
 يرقى سلم الشهرة صعوداً<sup>(١)</sup> ويجوز الطريق قداماً<sup>(٢)</sup> مغذاً<sup>(٣)</sup>  
 السير.

\* \*

ويلوح لنا أنه اشتغل بعد ذلك صبيّاً للإمام في التعليم.  
 أو مساعداً، يقرأ على إخوانه، ويعلمهم في غيبة الأستاذ  
 أو في محضره، حتى مرض وانضاه<sup>(٤)</sup> السقام، ولقد رأينا

(١) صعوداً : بعد صعود (٢) قداماً : أمام (٣) مغذاً : مسرعاً

(٤) انضاه : هزله .

رغم انه بدأ في العشرين  
 صدر العبد خاضع  
 بالدين

أَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنْ أبنَاءِ الرَّيفِ كَثِيرًا ، وَكَمْ شَهِدْنَا مِنْ شَبَابِ  
مِنْ فِتْيَةِ الْقُرَى يَنْحَدِرُونَ إِلَى الْخَضِرِ . أَقْوِيَاءُ أَشِدَاءُ الْأَسْرِ (١) ،  
مُكْتَمِلِي الْعَافِيَةِ ، فَلَا يَلْبَثُونَ مِنْ فَرَطٍ إِنِّهَمَا كِهِمْ فِي  
الدَّرَسِ ، وَإِ كِبَابِهِمْ عَلَى الْمَذَاكِرَةِ وَالتَّخْصِيلِ ، وَأَنْزَوَاهُمْ  
إِلَى الْعِلْمِ وَالْإِسْتِظْهَارِ ، أَنْ يَذْبُلُوا وَتَهِنَ قُوَاهُمْ ، وَتَشْحَبَ  
أَلْوَانُهُمْ ، وَتَضَعِفَ مَنِيَّتُهُمْ (٢) ، فَلَا يَسْتَرِدُّوْهَا طِيْلَةَ الْحَيَاةِ .  
وَمَحْسَبُ أَنَا قَدْ وَجَدْنَا فِي هَذَا الْمَرَضِ أَلْبَا كِرِ  
وَالْعِلَّةِ الَّتِي عَاجَلَتْهُ مِنَ الشَّبِيهِ تَفْسِيرًا لَوْفَاتِهِ ، وَلَمَّا  
يُجَاوِزُ الْخَامِسَةَ وَالْخَمْسِينَ .

المرض الحسبي  
الذي الميم  
لفرط السرسي

\*\*\*

وَقَدْ قَالَ مُعَلِّمُهُ الْأَوَّلُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي تَصْوِيرِهِ

تقدير إستناذه

لواجه

بِالنَّسْبَةِ لِرَفِيقَيْنِ مِنْ رُفَقَاءِ حَلَقَتِهِ : إِنَّ الْغَزَالِيَّ بَحْرٌ

△

مُعْرِقٌ ، وَالْكِيَا أَسَدٌ مُحْدِقٌ ، وَالْخَوَافِي نَارٌ تَحْرِقُ

\*\*\*

(١) الأسر بسكون السكون : القوة

(٢) المنة بضم الميم : القوة



وَيُرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أَيْضًا مُوَازِنًا بَيْنَهُمْ: «إِذَا تَنَاطَرُوا»  
- التَّحْقِيقُ لِلخَوَافِي ، وَأَجْزَائِيَّاتُ لِلغَزَالِيِّ ، وَالْبَيَانُ  
لِلسَّكِيَانِي .

\*\*\*

وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ صَنَّفَ فِي حَيَاةِ أُسْتَاذِهِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ بعض مصنفاته  
أَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ . بَعْضُ كُتُبِهِ : وَأَحْسَبُ الرَّوَايَةَ  
الَّتِي جَاءَ بِهَا الْمُقْرِزِيُّ فِي «مُتَفَاهَا» قَدْ أَخْطَأَتْ الْحَقَّ ، إِذِ  
اسْتَهَارَتْ (١) إِلَى أَنَّهُ وَضَعَ كِتَابَ «الْمَنْحُولِ» ، فَإِنَّ هَذَا  
الْكِتَابَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وُضِعَ بَعْدُ ، وَلَهُ قِصَّةٌ سَنَأْتِي عَلَيْهَا  
فِي الْفَصْلِ الَّذِي نُفَرِّدُهُ لِكِتَابِهِ وَتَوَالِيْفِهِ .

\*\*\*

وَيَقُولُ الْمُقْرِزِيُّ بِسَبِيلِ هَذَا : إِنَّ الْجُوَيْنِيَّ قَالَ  
لَهُ لَمَّا رَأَى الْكِتَابَ « دَفَنْتَنِي وَأَنَا حَيٌّ » ، هَلَّا  
صَبَرْتَ حَتَّى أَمُوتَ ، لِأَنَّ كِتَابَكَ غَطَّى عَلَى كِتَابِي .

(١) استهارت : ضعفت وتكسرت .

\*\*\*

الغزالي بنيسابور  
وَلَمْ نَرَ لِأَبِي الْمَعَالِي كِتَابًا مَعْرُوفًا حَتَّى تَصِحَّ  
الرُّوَايَةُ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا ، وَبَدَأَ الْغَزَالِيُّ وَهُوَ بَنِيْسَابُورَ  
يُحْسُ دَيْبَ الشُّكِّ ، كَمَا تَحَدَّثَ بِذَلِكَ فِي أَعْرَافَاتِهِ  
الَّتِي ضَمَّنَهَا كِتَابَهُ « الْمُنْقِذَ مِنَ الضَّلَالِ » - حَيْثُ  
يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَمَاتِهَا : وَقَدْ كَانَ التَّعَطُّشُ إِلَى دَرْكِ حَقَائِقِ  
الْأُمُورِ دَأْبِي وَدَيْدَنِي مِنْ أَوَّلِ أَمْرِي ، وَرَيْعَانِ عُمْرِي ،  
غَرِيزَةٌ وَفِطْرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَضِعَتْ فِي جِبِلَّتِي ، لَا بِاخْتِيَارِي  
وَجِبِلَّتِي ، ثُمَّ هُوَ يَجْرِي عَلَى هَذَا السِّيَاقِ ، فَيَتَحَدَّثُ عَنْ  
الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ فَيَقُولُ : ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ مَا لَا أَعْلَمُهُ  
عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، وَلَا أَتَيْقَنُهُ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْيَقِينِ ،  
فَهُوَ عِلْمٌ لَا ثِقَّةَ بِهِ ، وَلَا أَمَانَ مَعَهُ ، وَكُلُّ عِلْمٍ لَا أَمَانَ  
لَهُ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ يَقِينِي .

\*\*\*

يَبْدَأُ أَنَّ الْعِلْمَ « مَا كُدُّوْلَانَدَ » يَذْهَبُ إِلَى أَنْ  
متى ابتداء شكه ؟

الغزالي لا بدَّ من أن يكون قد وصل إلى مرحلة الشكِّ  
قبل عامِ أربعةٍ وعشرينَ وأربعمائةٍ ، أي قبل مُناهزته هـ  
الرابعةَ والعشرينَ ، وأن هذا الشكَّ الذي أتت به جاء  
إثرَ تطوُّرٍ شديدٍ على نفسه ، وتفاعلٍ طويلٍ المدى ،  
ولكنَّ « ماكدولاند » يرجِّحُ أن الغزالي ظلَّ طيلة بقائه  
في أكنافِ إمامِ الحرَمينِ صوفياً مؤمناً ، متمسِّكاً  
بعقيدتهِ وبقِيَمِه .

\* \*

والظاهرُ أن وفاةَ معلِّمه هيأت له سبيلاً إلى وفاة معلمه  
الظهورِ ، واكتسابِ الشهرةِ في المجتمعِ ، لأنها  
أطلقتُه من إساره ، وفكَّته من قيوده ، وأخرجته هـ  
من نيسابور مهدِ بُوغه . يلمسُ تجربةَ الحظِّ ، ويبحثُ  
عن طريقِ الشهرةِ والمجدِ ، وهداهُ القدرُ إلى معسكرِ  
الوزيرِ نظامِ الملكِ الذي حدَّثناك عنه ، والذي حملَ  
أعباءَ الدولةِ السلجوقيةِ ، واضطلعَ بها أكثرَ من

السر  
السر

عَشْرِينَ سَنَةً ، فَقَدْ وَزَرَ مِنْ قَبْلُ لِأَلْبِ أُرْسِلَانَ بَعْدَ  
وَفَاةِ طُغْرُلِ بِكَ مُؤَسَّسَهَا الْأَوَّلِ .

\*\*\*

وَكَانَتْ مَرُوءٌ وَيَسَابُورُ قَدْ سَقَطْنَا فِي أَيْدِي  
السَّلَاجِقَةِ سَنَةَ تِسْعِ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ .  
وَقَدْ دَخَلَ طُغْرُلُ بَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعِ وَأَرْبَعِينَ ، أَيْ قَبْلَ  
مَوْلِدِ الْغَزَالِيِّ بِثَلَاثِ سِنِينَ ، وَوُدِيَ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأُطْلِقَ  
أَخْلِيْقَةً مِنْ تَأْثِيرِ الشَّيْخَةِ وَسُلْطَانِيَا عَلَيْهِ . فَلَمْ تَحُلْ سَنَةٌ  
سَبْعِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ ، حَتَّى كَانَ السَّلَاجِقَةُ قَدْ بَسَطُوا  
سُلْطَانَهُمْ عَلَى غَرْبِي آسِيَا كُلِّهَا ، مِنْ أَفْغَانِسْتَانَ حَيْثُ كَانَتْ  
الْغَزْنَوِيَّةُ ، سَائِدَةً النُّفُوزِ إِلَى حُدُودِ مِصْرَ فِي ظِلِّ  
الْفَاطِمِيِّينَ .

\*\*\*

وَكَانَ أَلْبُ أُرْسِلَانَ عِنْدَ وَفَاتِهِ قَدْ ضَمَّنَ الْمَلِكَ  
لِابْنِهِ مَلِكُ شَاهُ ، فَبَقِيَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَزِيرًا لَهُ ، وَكَلَبَتْ

اتساع سلطان  
السلاجقة

ملك شاه

نِظَامُ الْمَلِكِ إِلَى مَقْتَلِهِ فِي الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ  
وَتَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ أَحْلَاكِهِمِ الْأَمْرَ ، وَالسَّيِّدَ الْمُطْلَقَ ،  
وَالْمُتَصَرِّفَ لَا مَرَدَّ لِمَشِيئَتِهِ . وَيَوْمَ مَصْرَعِهِ سَقَطَتْ  
الدَّوْلَةُ كُلُّهَا مُتَدَاعِيَةً ، وَقَامَتِ الْفِتْنُ ، وَحَلَّ فِي الدَّوْلَةِ  
الْإِنْقِسَامُ .

\* \* \*

٥ وَقَدْ فَقَدَ الْعَلِمُ بِمَوْتِ نِظَامِ الْمَلِكِ نَصِيرًا عَظِيمًا ، وَفَاةَ نِظَامِ الْمَلِكِ  
وَمِعْوَانًا حَدِيثًا حَانِيًا ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَسَّسَ الْمَدَارِسَ  
النُّظَامِيَّةَ لِتَأْيِيدِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، كَمَا بَنَى الْفَاطِمِيُّونَ  
الْجَامِعَ الْأَزْهَرَ ، فِي أَوْاسِطِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ ، أَيْ قَبْلَ  
ذَلِكَ بِمِائَةِ سَنَةٍ ، لِتَأْيِيدِ مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ ، وَكَانَ  
غَرَضُ نِظَامِ الْمَلِكِ فِي إِنْشَاءِ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ (١)  
سِيَاسِيًّا بِجَانِبِ الْعَالِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ مِنْهُ ، فَقَدْ ذَهَبَ يَغْمُرُ

(١) الربط : جمع رباط : وهي ثكنات الجيش المرابط تجاه العدو ، والحيل الخمسة فافوقها .

الْعُلَمَاءَ وَالرُّهَادَ بِفَضْلِهِ ، لِيَنْشُرُوا الدَّعْوَةَ لَهُ فِي الشَّامِ  
وَالْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ .

\* \* \*

قصته مع الخيام وَلَسْنَا بِحَاجَةٍ هُنَا فِي هَذَا الْمُضْطَرَبِ الضَّيِّقِ إِلَى  
ذِكْرِ قِصَّتِهِ مَعَ عُمَرَ أَحْيَامٍ ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ الصَّبَّاحِ ، وَكَيْفَ  
لَقِيَهُمَا فِي نَشَاتِهِ بِنَيْسَابُورَ ، وَكَانَ قَدْ أَنْحَدَرَ إِلَيْهَا لِطَلَبِ  
الْعِلْمِ عَلَى الْإِمَامِ النَّيْسَابُورِيِّ وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ <sup>(١)</sup> عُلَمَاءِ  
خُرَّاسَانَ ، فَتَوَثَّقَتْ بَيْنَهُمُ الْمَوَدَّةُ ، وَكَانَ أَحْيَامُ مِنْ أَهْلِ  
نَيْسَابُورَ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ مِنْ أَبِي نَاسِكٍ مُتَقَشِّفٍ ، فَأَقْبَلَ  
الْحُسَيْنُ يَوْمًا عَلَى عُمَرَ أَحْيَامٍ وَصَاحِبِهِ يُحَدِّثُهُمَا عَنِ  
الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمَصِيرِ ، فَاتَّفَقَ الثَّلَاثَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ يَسْبِقُ  
صَاحِبِيهِ إِلَى الْعِزِّ <sup>(٢)</sup> وَالسُّلْطَانِ <sup>(٣)</sup> وَأَجْلَاهِ <sup>(٤)</sup> فَعَلَيْهِ أَنْ  
يَقْسِمَ بِمَا فِيمَا يَدْنُهُمْ عَلَى السَّوَاءِ .

(١) جِلَّةٌ : جمع جليل ، وهو العظيم ويجمع كذلك على أجلة وأجلاء .  
وقيل إن الجلال يكون في المعاني ، والعظم يكون في الأجسام ، ومع هذا  
إذا قيل رجل جليل : كان المراد منه رفيع الشأن : (٢) العز . القوة  
والغلبة (٣) السلطان : قوة الملك (٤) الجاه : القدر والمنزلة

\* \* \*

وَقَدْ قَيَّضَ اللَّهُ ذَلِكَ لِنِظَامِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يُصِْبْ فَوْزَ نِظَامِ الْمَلِكِ  
صَاحِبَاهُ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَتِيَاهُ يُدْكَرَانِهِ بِالْوَعْدِ ، وَيَرْجُوَانِ  
إِلَيْهِ الْوَفَاءَ .

\* \* \*

نَقُولُ إِنَّا بَعِيرٌ حَاجَةٌ إِلَى التَّوَسُّعِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ . رَأَى الْمُؤَلِّفُ  
وَالْمَجْبِيُّ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا كَامِلًا ، فَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ أَهْلِ  
الرَّأْيِ وَالْبَحْثِ يَقْطَعُ بِأَنَّ الْقِصَّةَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ فِي  
مَجْمُوعِهَا ، وَإِنْ صَحَّ أَنَّ عُمَرَ تَفِيًّا <sup>(١)</sup> حِينَئِذٍ مِنَ الدَّهْرِ فِي  
ظِلَالِهِ ، وَأَسْتَعَانَهُ فِي بَعْضِ الشُّؤُونِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَفِي نَظَرِيَّتِهِ  
فِي عِلْمِ الْجُبْرِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَطْلَعَهُ عَلَى رُبَاعِيَّاتِهِ ، إِذْ كَانَ  
فِي خَيْفَةٍ مِنْ إِظْهَارِهَا بِسَبَبِ رُوحِ الْعَصْرِ وَتَزْوِجِهِ .

\* \* \*

ح فِي ظِلِّ هَذَا الْوَزِيرِ الْعَظِيمِ تَفِيًّا الْعَزَالِي ، عَيْشَةُ الْعَزَالِي

(١) تَفِيًّا : تَقَلَّبَ وَتَتَبَعَ الظَّلَالِ مَتَمَتَعًا فِيهَا

وَمَحَّتْ جَنَاحَهُ الْقَوِيُّ عَاشَ ، وَإِلَى أَكْنَافِهِ <sup>(١)</sup> أَخْلَانِيَّةٌ <sup>(٢)</sup>  
 أَوْى ، وَقَدْ رَأَيْنَا فِي كِتَابِ «الْمُقَفَّى» الَّذِي تَقَدَّمَ لِالْاِقْتِبَاسِ  
 مِنْهُ «وَصَفَا حَسَنًا» لِمَقْدَمِ الْغَزَالِيِّ عَلَى نِظَامِ الْمَلِكِ ، فَنَحْنُ  
 هُنَا نَأْقِلُوهُ .



فَلَمَّا مَاتَ أَبُو الْمَعَالِي ، خَرَجَ الْغَزَالِيُّ إِلَى الْعَسْكَرِ  
 - لَعَلَّهُ يُرِيدُ الْمَعْسُكَرَ - قَاصِدًا الْوَزِيرَ نِظَامَ الْمَلِكِ ،  
 وَنَظَرَ الْأَيِّمَةَ وَالْكِبَارَ فِي مَجْلِسِهِ ، وَقَهَرَ <sup>(٣)</sup> الْخُصُومَ ،  
 وَظَهَرَ كَلَامُهُ عَلَى الْكُلِّ ، وَأَعْرَفَ بِفَضْلِهِ الْخَاصَّ <sup>(٤)</sup>  
 وَالْعَامَّ <sup>(٥)</sup> ، وَتَلَقَّاهُ نِظَامُ الْمَلِكِ بِالْقَبُولِ ، وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ  
 النُّفُوسِ ، وَأَجَلَّهُ إِجْلَالَ الرُّؤُوسِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ التَّدْرِيسَ  
 بِمَدْرَسَتِهِ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا ،  
 فَتَقَدَّمَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ - لَعَلَّهُ خَطَأً فِي النُّسْخِ -

التدريس في  
المدرسة النظامية

(١) الأكناف: جمع كنف: وهو الجانب والظل والناحية. (٢) الخانية:  
 الرحيمة المشفقة من الخنوب بمعنى الشفقة (٣) قهر: غلب. (٤) الخاص:  
 الوجيه والكبير، وخواص القوم كبرواؤهم ووجهواؤهم (٥) العام مضاد  
 للخاص ومقابل له



وَالصَّحِيحُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدَرَسَ  
بِالنِّظَامِيَّةِ — فَأَعْجَبَ الْكُلُّ بِحُسْنِ كَلَامِهِ ، وَكَمَالِ  
فَضْلِهِ ، وَعِبَارَتِهِ الرَّشِيقَةِ ، وَمَعَانِيهِ الدَّقِيقَةِ ، وَإِشَارَاتِهِ  
اللطيفة ، وَنُكْتِهِ الطَّرِيفَةِ .

\*\*\*

فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْفُقَهَاءُ إِلَيْهِ ، وَفَرَعُوا مِنْ تَهْنِئَتِهِ وَالشَّكْرِ  
عَلَيْهِ ، قَالُوا لَهُ لَقَدْ عَلِمَ سَيِّدُنَا أَنَّ الْعَادَةَ لِكُلِّ مَنْ  
وَلِيَ التَّدْرِيسَ فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ ، أَنْ يَمْعَلَ لِلْفُقَهَاءِ دَعْوَةً ،  
وَيُحْضِرَهُمْ سِمَاطًا <sup>(١)</sup> جَرِيًّا عَلَى رَسْمٍ مِنْ سَبَقٍ مِنْ  
الْأَئِمَّةِ ، وَأَنْتَ مِنْ أَفْضَلِ مَنْ يَنْزِلُهَا ، وَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ  
دَعْوَتِكَ فِي كَمَالِ النِّعْمَةِ ، كَرُّتَبْتِكَ فِي رَتَبٍ مِنْ سَبَقٍ  
مِنَ الْأَئِمَّةِ ، فَقَالَ لَهُمْ سَمْعًا وَطَاعَةً ، وَلَكِنْ عَلَى  
أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ إِلَيْكُمْ وَالتَّعْيِينُ  
لِي ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ التَّعْيِينُ إِلَيْكُمْ ، وَالتَّقْدِيرُ لِي ،

(١) السباط : الشيء المصطف : وسباط الطعام ما يبسط ليوضع عليه

فَقَالُوا: بَلِ التَّقْدِيرُ لَكَ ، وَالتَّعْيِينُ لَنَا ، فَتُرِيدُ الدَّعْوَةَ  
 الْيَوْمَ ، فَقَالَ لَهُمْ وَالتَّقْدِيرُ مِنِّي حِينَئِذٍ - عَلَى حَسَبِ  
 الْمُسْكَنَةِ<sup>(١)</sup> - أَنْ أُحْضِرَ لَكُمْ خُبْزًا وَخَلًّا وَبَقْلًا ، فَقَالَ  
 الْفُقَهَاءُ لَا وَاللَّهِ - بَلِ التَّعْيِينُ لَكَ وَالتَّقْدِيرُ لَنَا ، وَتُرِيدُ  
 أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنَ الْجَمْلَانِ<sup>(٢)</sup> كَذَا ، وَمِنْ  
 الدَّجَاجِ كَذَا ، وَمِنْ الْحُلُوبِ كَذَا ، فَقَالَ: سَمِعْنَا لَكُمْ  
 وَطَاعَةً ، وَالتَّعْيِينُ بَعْدَ سَنَتَيْنِ ، فَقَالُوا عَجَزْنَا ، وَقَدْ  
 سَلَّمْنَا الْكُلَّ إِلَيْكَ ، لَعَلِمْنَا أَنَّنَا إِنْ جَرَيْنَا مَعَكَ عَلَى  
 قَاعِدَةِ النَّظَرِ ، حُلَّتْ يَدَيْنَا وَبَيْنَ الظَّفَرِ<sup>(٣)</sup> مِنْ هَذِهِ  
 الدَّعْوَةِ . بِقِضَاءِ الْوَطْرِ

\* \* \*

وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَأْخُذُونَ الْعِلْمَ عَنْهُ ، وَأَسَمَعَتْ  
 حَلَقَاتُ دَرْسِهِ ، وَأَشْتَهَرَ بِفَتَاوَاهِ الشَّرْعِيَّةِ ، الَّتِي أَحْكَمَ  
 فُتْيَاهَا ، وَتَقَصَّى تَعَالِيمَ الشَّرْعِ فِي إِصْدَارِهَا ، وَأَنْكَمَشَ<sup>(٤)</sup>

شهره  
 الفزالي

(١) المسكنة : القوة والطاقة (٢) الجملان جمع حمل بالتحريك : ولد  
 الشاة (٣) الظفر : الفوز (٤) انكمش النخ : جد وأكب

فِي التَّوَلِّيفِ ، وَأَخْلَدَ <sup>(١)</sup> إِلَى التَّصْنِيفِ ، وَكَانَتْ حَيَاتُهُ  
يَوْمَئِذٍ حَيَاةَ طَمَأْنِينَةٍ وَدَعَةٍ ، وَعَيْشُهُ عَيْشَ بُلْهِنِيَّةٍ <sup>(٢)</sup>  
وَسَكِينَةٍ <sup>(٣)</sup>



مرضه الفجائي ، وَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ إِذْ أُصِيبَ فَجَاءَهُ بِمَرَضٍ طَارِيءٍ ،  
وَحَلَّتْ بِهِ عِلَّةٌ مَجْهُولَةٌ غَرِيبَةٌ ، حَتَّى أُعْتِقِلَ <sup>(٤)</sup> مَنْطِقُهُ ،  
وَجَافَى الطَّعَامَ فَلَا يَسْتَمِرُّهُ ، وَبَطَلَتْ مَعَهُ قُوَّةُ هَضْمِهِ ،  
وَحَتَّى أَيْأَسَ مِنْ شِفَائِهِ أَطْبَاءُهُ وَأَسَاتِئُهُ <sup>(٥)</sup> : فَقَالُوا هَذَا  
أَمْرٌ يَنْزِلُ فِي الْقَلْبِ ، وَالْأَجْرَاءُ فِي حَيَاتِهِ ، إِذَا أَمَّ  
يَتَغَلَّبُ عَلَى مَشَاغِلِ نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُخَفِّفْ مِنْ وَطْأَةِ إِجْهَادِ  
ذَهْنِهِ ، أَوْ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ فِي أُعْتِرَافَاتِهِ ، إِذَا أَمَّ يَتَرَوَّجُ  
السُّرَّ عَنِ الْهَمِّ <sup>(٦)</sup> الْمَلِيمِ <sup>(٧)</sup> .

(١) أَخْلَدَ : سَكَنَ (٢) الْبُلْهِنِيَّةُ : نَعُومَةُ الْعَيْشِ (٣) السَّكِينَةُ :  
الطَّمَأْنِينَةُ (٤) اُعْتَقَلَ مَنْطِقَهُ : عَجَزَ لِسَانَهُ عَنِ النُّطْقِ (٥) الْاِسَاءَةُ : جَمْعُ  
أَسٍ وَهُوَ الطَّبِيبُ (٦) الْهَمُّ : الْحُزْنُ (٧) الْمَلِيمُ : النَّازِلُ

\* \* \*

وَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ مِنْ حَيَاتِهِ ، يُعَادِرُ △ خروجه من بغداد  
بَغْدَادَ فَجَاءَهُ قَاصِدًا الْحَجَّ ، وَقَدْ أَنَابَ أَخَاهُ أَحْمَدَ عَلَى  
مَوْضِعِهِ ، مِنْ الْمَدْرَسَةِ النُّظَامِيَّةِ ، وَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ  
يَمْلِكُهُ ، فَلَمْ يَحْمَلْ مَعَهُ إِلَّا مَا يَكْفِي لِقُوتِهِ ،  
وَيَسُدُّ مَقَافِرَهُ ، وَيُقِيمُ أَوْدَ (١) بَنَاتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ رُزِقَ  
بَنِينَ ، وَكَتَبَ بِمَا تَرَكَهُ فِي بَغْدَادَ وَفَقِيَّةً ، يَتَّقَاضِي  
فِيهَا الرِّبْعَ ، أَوْ يَتَّقَاضَاهُ وَرَثَتُهُ إِذَا تَرَكَ وَارِثًا ، فَإِذَا  
لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ ، فَلِلْمُسَبَّحَةِ أَوْ الْمَدْرَسَةِ فِي  
بَغْدَادَ .

\* \* \*

وَعَجِبَ أَهْلُ عَصْرِهِ وَالْفُقَهَاءُ فِي الْعِرَاقِ لِهَذِهِ الْعِزْلَةِ عزلة الغزالي  
الْفُجَائِيَّةِ ، الَّتِي آثَرَهَا وَلَمْ يَفْقَهُوا سِرَّهَا ، وَقَدْ بَلَغَ  
مَنْصِبًا دِينِيًّا رَفِيعًا ، وَأَوْفَى فِي مَسْكَانِهِ مِنَ الشُّهُرَةِ

(١) الأود : الاعوجاج ، والمراد ما يقيم حياتهن

وَأَصْبَتِ عَلَى الْقِمَّةِ <sup>(١)</sup> وَالْأَوْجِ <sup>(٢)</sup> ، فَرَّاحَ الْقَوْمِ  
يَتَأَوَّلُونَ السَّبَبَ ، وَيُكْثِرُونَ مِنَ التَّخَبُّطِ وَالِاسْتِنْبَاطِ ،  
وَكَانَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَوْضِعَهُ مِنَ الْوَلَاةِ ، وَيُشَاهِدُونَ  
إِلْحَاحَ هَؤُلَاءِ فِي التَّمَلُّقِ بِهِ ، وَالِانْكِبَابِ عَلَيْهِ ،  
يَقُولُونَ : هَذَا أَمْرٌ سَمَاوِيٌّ ، وَلَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا  
عَيْنٌ أَصَابَتْ الْإِسْلَامَ فِيهِ .

\*\*\*

زهده  
في الحياة

وَقَدْ عَرَضَ الْغَزَالِيُّ إِيَّاهُ فِي أُعْتِرَافَاتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا  
بَعْدَ أَنْ جَاوَزَ الْخَمْسِينَ مِنَ الْعُمْرِ ، وَهِيَ فِي كِتَابِهِ  
« الْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالِ » ، فَتَقَى كُلُّ هَذَا التَّأْوِيلِ ،  
وَسَخَّرَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ الْإِسْتِنْبَاطَ ، وَالْتَفْسِيرَ وَالتَّعْلِيلَ ،  
وَرَدَّ <sup>(٣)</sup> رَغْبَتَهُ يَوْمَئِذٍ فِي الْعُزْلَةِ إِلَى تَطَوُّرِ نَفْسِي شَدِيدِ  
السُّلْطَانِ عَلَيْهِ ، حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى اعْتِقَادِ أَنْ لَا مَطْمَعَ لَهُ  
فِي سَعَادَةِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، وَكَفِّ النَّفْسِ

(١) القمة: أعلى كل شيء. (٢) الأوج: العلو والارتفاع (٣) زد: أرجع

عَنِ الْهَوَى ، وَأَنَّ رَأْسَ ذَلِكَ كُؤْلُهُ ، قَطَعُ عَلاَقَةَ الْقَلْبِ  
عَنِ الدُّنْيَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ  
الْجَاهِ وَالْمَالِ ، وَالْهَرَبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَالْمَعْلَاقِ .

\* \* \*

وَهُوَ فِي بَيَانِ أَحَاسِيْسِهِ <sup>(١)</sup> فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ ،  
وَعَوَامِلِ نَفْسِهِ يَقُولُ :

ثُمَّ تَفَكَّرْتُ فِي نَيْتِي فِي التَّدْرِيسِ ، فَإِذَا هِيَ غَيْرُ  
خَالِصَةٍ لَوْجِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، بَلْ بَاعَتْهُمَا وَمُحَرَّرَكُهُمَا طَلَبُ  
الْجَاهِ ، وَأَنْتَشَارُ الصِّبْتِ ، فَتَيَقَّنْتُ أَنِّي عَلَى « شَفَا جُرْفٍ  
هَارٍ » وَأَنِّي قَدْ أَشْفَيْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَى النَّارِ ، إِنْ لَمْ أُشْتَفَلْ  
بِتَلَا فِي الْأَحْوَالِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَتَفَكَّرُ فِيهِ مُدَّةً وَأَنَا بَعْدُ  
عَلَى مَقَامِ الْإِخْتِيَارِ ، أَصَمُّ الْعِزْمِ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ  
بَغْدَادَ ، وَمُفَارَقَةِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ يَوْمًا : وَأَهْلِي الْعِزْمِ

الاعترافه بأسباب  
عزله

(١) أحاسيسه : أى انخفاض صوته (٢) شفى على النار : أشرف عليها :  
ومنه قولهم فلان شفى على الموت : أى أشرف عليه

يَوْمًا ، وَأَقْدَمُ<sup>(١)</sup> فِيهِ رِجْلًا ، وَأَوْخَرُ عَنْهُ أُخْرَى ، لَا  
تَصْدُقُ لِي رَغْبَةٌ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ بُكْرَةً<sup>(٢)</sup> ، إِلَّا  
وَيَحْمِلُ عَلَيْهَا جُنْدُ الشَّهْوَةِ حَمْلَةً ، فَتَفْتُرُهَا عَشِيَّةً<sup>(٣)</sup>  
فَصَارَتْ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا تَجَادُ بِنِي بِسَلْسِلِهَا إِلَى الْمَقَامِ ،  
وَمُنَادِي الْإِيمَانِ يُنَادِي : الرَّحِيلَ ، الرَّحِيلَ ، فَلَمْ يَبْقَ  
مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ السَّفَرُ الطَّوِيلُ ،  
وَجَمِيعُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ رِيَاءٌ وَتَخْيِيلٌ<sup>(٤)</sup> .  
فَإِنْ لَمْ تَسْتَعِدَّ الْآنَ لِلْآخِرَةِ ، فَمَتَى تَسْتَعِدُّ ؟ وَإِنْ  
لَمْ تَقْطَعْ الْآنَ هَذِهِ الْعَمَلَاتِ ، فَمَتَى تَقْطَعُ ؟ فَعِنْدَ ذَلِكَ  
تَنْبَعِثُ الدَّاعِيَةُ ، وَيَنْجَزِمُ الْعَزْمُ عَلَى الْهَرَبِ وَالْفِرَارِ .

\*\*\*

ثُمَّ يَعُودُ الشَّيْطَانُ وَيَقُولُ : هَذِهِ حَالَةٌ عَارِضَةٌ ، وساوسه

(١) أصل المثل : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى وتقديره : تقدمها  
تارة وتؤخرها أخرى يضرب للمتردد بين أمرين (٢) البكرة : أول  
النهار . (٣) العشيّة : آخر النهار . (٤) الرياء والتخييل : النفاق والكبر :

إِيَّاكَ أَنْ تُطَاوِعَهَا ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةٌ الزَّوَالِ ، فَإِنْ أذَعَنْتَ  
لَهَا ، وَتَرَكْتَ هَذَا أَلْجَاءَ الْعَرِيضِ ، وَالشَّانَ الْمَنْظُومَ  
الْخَالِيَّ عَنِ التَّكْدِيرِ وَالتَّنْغِيصِ ، وَالْأَمْنَ السَّلْمَ الصَّافِيَّ  
عَنْ مُنَازَعَةِ الْخُصُومِ ، رُبَّمَا انْتَفَقَتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ ،  
وَلَا يَتَبَسَّرُ لَكَ الْمَعَاوَدَةُ .

فَلَمْ أَزَلْ أَتَرَدُّدُ بَيْنَ تَجَادِبِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ،  
وَدَوَاعِي الْآخِرَةِ ، قَرِيبًا مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، أَوْلَهَا رَجَبُ  
سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَفِي هَذَا الشَّهْرِ جَاوَزَ  
الْأَمْرُ حَدَّ الْإِخْتِيَارِ إِلَى الْإِضْطِرَارِ .

\* \* \*

والاجتماع إلى الله  
وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ الْغَزَائِلِيَّ عِلَّتَهُ الَّتِي كَانَ يَشْكُو  
مِنْهَا ، وَهِيَ - كَمَا أَسْلَفْنَا عَلَيْكَ - الْعُقْلَةُ فِي اللِّسَانِ ،  
وَكَرَاهِيَةُ الطَّعَامِ ، وَالْأَسْتِسْلَامُ لِلْحُزْنِ وَالْهَمِّ ،  
أَسْتَطْرَدَ قَائِلًا : ثُمَّ لَمَّا أَحْسَسْتُ بِعَجْزِي ، وَسَقَطَ  
بِالْكُلِّيَّةِ اخْتِيَارِي ، اتَّجَأْتُ إِلَى اللَّهِ التَّجَاءِ الْمُضْطَرِّ



الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ ، فَأَجَابَنِي الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا  
دَعَاهُ ، وَسَهَّلَ عَلَيَّ الْأِعْرَاضَ عَنِ الْجَاهِ ، وَالْمَالَ  
وَالْأَوْلَادِ وَالْأَصْحَابِ ، وَأَظْهَرْتُ عَزَمَ الْخُرُوجِ إِلَى  
مَكَّةَ ، وَأَنَا أُدِيرُ<sup>(١)</sup> فِي نَفْسِي سَفَرَ الشَّامِ ، حَدَرًا أَنْ  
يَطْلِعَ الْخَلِيفَةُ وَمُجْمَلَةُ الْأَصْحَابِ عَلَيَّ عَزَمِي فِي الْمَقَامِ  
بِالشَّامِ ، فَتَلَطَّفْتُ بِلَطَائِفِ الْحَيْلِ فِي الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَادَ  
عَلَى عَزَمِ أَلَّا أُعَاوِدَهَا أَبَدًا .

ذَلِكَ هُوَ بَيَانُ الْغَزَالِيِّ نَفْسِهِ لِأَسْبَابِ خَرْجَتِهِ  
مِنْ بَغْدَادَ ، وَهُوَ كَمَا تَرَى يَجْعَلُهَا لِثَوْرَةٍ نَفْسِيَّةٍ  
أَسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ ، وَنَزَعَةٍ جَدِيدَةٍ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ ،  
وَقَدْ ذَهَبَ فِي تِلْكَ الْأَعْتِرَافَاتِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى التَّلْمِيحِ  
لِمَا كَانَ الْبَعِيدُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَظُنُّونَهُ يَوْمَئِذٍ فِي  
أَمْرِ سَفَرِهِ الْغَرِيبِ ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ لَا سِتْشِمَارَهُ الْأِعْرَاضَ مِنْ  
جِهَةِ الْوَلَاةِ ، فَيَنْفِيهِ بِإِثْبَاتِ مَا كَانَ الْقَرِيبُونَ يَشْهَدُونَهُ

مِنْ حُبِّهِ الْوُلَاةَ لَهُ ، وَإِلْحَاحِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْبَقَاءِ ، وَإِنْ  
لَمْ يَتَعَرَّضْ هُوَ لِنَفْيِهِ .

\*\*\*

عَلَى أَنَّ الْعَلَامَةَ مَا كَدُولَانِدَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ  
لِهَذَا السَّفَرِ سَبَبٌ سِيَاسِيٌّ ، أَوْ كَانَ مِنْ خَوْفِ  
وَأَسْتِشْعَارِ ، وَخَشْيَةِ الْأَذَى ، فَقَدْ كَانَ الْمَوْفِقُ  
السِّيَاسِيُّ يَوْمَئِذٍ حَرَجًا جِدًّا خَطِيرًا ، وَكَانَتْ الْأَحْوَالُ  
مُضْطَّرَبَةً قَلِقَةً لَا تَبَعَتْ عَلَى الْأَطْمِئِنَانِ ، عَقِبَ وَفَاةِ  
نِظَامِ الْمَلِكِ الْوَزِيرِ السَّلْجُوقِيِّ الْقَوِيِّ الْمَبْسُوطِ السُّلْطَانِ ،  
وَمَمَاتِ السُّلْطَانِ « مَلِكِ شَاه » عَلَى إِثْرِهِ ، وَتَقَلُّدِ بَرَكِيَارُوقِ  
الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِرُكْنِ الدِّينِ أَبِي  
الْمُظْفَرِ ، وَفِي الْعَامِ ذَاتِهِ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ الْخَلِيفَةُ  
الْمُسْتَظْهِرُ ، فَوَقَعَتِ الْخُصُومَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَرَكِيَارُوقِ ،  
فَلَمَّا تَنَازَعَ هَذَا وَعَمَّهُ تَشُّشٌ ، انْتَصَرَ الْمُسْتَظْهِرُ لِعَمِّهِ  
عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَمْ تَدْبَثِ الدَّائِرَةُ أَنْ دَارَتْ عَلَى تَشُّشٍ ،  
فَانْهَزَمَ وَقُتِلَ .

سبب سياسي  
Δ لخروجه من  
بغداد

وَفِي ظُرُوفٍ كَهَذِهِ ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ  
قَدْ طَوَى الْجَوَانِحَ <sup>(١)</sup> عَلَى مَوْجِدَةٍ <sup>(٢)</sup> ، وَيَسْتَتْبَعُ ذَلِكَ  
أَنْ يَخْشَى أُمَّةَ السُّلْطَانِ وَالْعَمَاءِ الْكِبَارِ فِي الدَّوْلَةِ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ - الْإِسْتِهْدَافَ <sup>(٣)</sup> لِنَقْمَتِهِ ، وَيَدْفَعُهُمُ الْخَوْفُ  
إِلَى الْإِحْذَارِ مِنْ هَذَا الظَّرْفِ وَشِدَّتِهِ .

وَجَرَتْ فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَذَلِكَ أَحْدَاثٌ سِيَاسِيَّةٌ  
أَدَّتْ إِلَى مُجَادَبَاتٍ وَأَشْتِبَاكَاتٍ ، كَانَ النُّزَالِيُّ مُتَّصِلًا  
بِبَعْضِ شُؤْنِهَا ، فَقَدْ حَدَّثَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ  
وَأَرْبَعِمِائَةٍ أَنْ أَنْهَزَمَ الْفُونْسُو مَلِكُ قَشْتَالَةَ أَوْ كَاسْتِيلَ ،  
الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ فِي أُسْبَانِيَا بِلقَبِ السَّيِّدِ « كَامِيْدُور »  
وَالَّذِي كَانَتْ وَفَاتُهُ عَامَ ثَلَاثَةِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ  
الْهِجْرَةِ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ وَأَلْفٍ مِنَ الْمِيلَادِ ، وَكَانَتْ  
هَزِيمَتُهُ فِي مَوْقِعَةِ الزَّلَّاقَةِ ، وَالْجَاهُ أَمْرَاءُ الْأَنْدَالُسِ ، أَوْ

(١) الجوانح : جمع جانحة : وهي الأضلاع تحت التراب مما يلي الصدر .

(٢) على موجدة : أى على غضب (٣) الاستهداف : التعرض

رُؤْسَاءِ الطَّوَائِفِ ، إِلَى التَّقَهُّرِ وَالْإِذْبَارِ ، وَقَدْ أَعَانَهُمْ عَلَيْهِ  
سُلْطَانُ الْمَغْرِبِ الْمُرَابِطُ يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ .

وَلَمَّا خَمَدَتْ وَقْدَةُ الْحَرْبِ ، رَجَعَ يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ  
إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّهُ عَادَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ :  
فَأَلْحَقَ الْأَنْدَلُسَ بِسُلْطَانِهِ ، وَطَمِعَ فِي أَنْ يُلَقَّبَ بِأَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ .

وَيَرَوَى ابْنُ الْأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ الْكَامِلِ بِسَبِيلِ  
هَذَا الْحَادِثِ : أَنَّ عُلَمَاءَ عَصْرِهِ ، نَصَحُوا يَوْمئِذٍ لَهُ ، أَنْ  
يَلْتَمِسَ الْإِذْنَ لَهُ بِاللَّقَبِ ، مِنْ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ ، حَتَّى يَصِحَّ  
وَيَثْبُتَ لَهُ ، فَفَعَلَ وَأَجَازَ لَهُ الْخَلِيفَةُ مَا أَرَادَ ، وَقَلَّدَهُ  
الَّلَّقَبَ الَّذِي طَلَبَ .

\* \* \*

وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ إِذَا صَحَّ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ حَدَثَ بَعْدَ  
سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ . وَهُوَ التَّارِيخُ الَّذِي عُنِيَ فِيهِ  
الْفَزَالِيُّ لِلتَّدْرِيسِ فِي الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ بِبَعْدَادَ ، وَكَانَ فِيهِ

عمل سياسي  
يؤديه الفزالي

الإمام البارز في الدولة ، والمفتي العلم في مسند الإفتاء ،  
فلا بد من أن يكون طلب ابن تاشفين قد عرض  
عليه ، ليصدر فيه فتواه ، إذ لا يفتي أحد في طلب  
كهذا متعلق بلقب سيادة شرعية في بعض نواحي  
المملكة غير الأئمة والعلماء .

وقد ذكر ابن خلدون في هذا المعرض ، أن ابن  
تاشفين استفتى علماء من غير المغرب ، وكان منهم الغزالي  
والطراطوشي ، فأفتوه بحقه في طلبه ، وخلع رؤساء  
الطوائف ، وبعث الخليفة إليه بأمر التقليد .



وهذا هو على الأقل عمل سياسي ، رأينا الغزالي عمل آخر يتصل  
بالسياسة  
مشاركاً لأول مرة فيه . ولكن كان هناك حادث آخر ،  
ظهر فيه اشتراكه في الدعاية السياسية ، نزولاً على  
إرادة الدولة ، وحكم الولاة ، وذلك أن الخليفة  
المستظهر ، عهد إليه عقب ولايته الحكم بأن يضع  $\Delta$

كِتَابًا يَرُدُّ بِهِ عَلَى مَذْهَبِ التَّعْلِيمِيَّةِ ، كَمَا كَانَ الْبَاطِنِيَّةُ  
أَوْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ يُسَمَّرْنَ فِي خُرَاسَانَ ، وَكَانَ شَأْنُ هَذِهِ  
الْفِرْقَةِ قَدْ بَدَأَ يَأْخُذُ صِبْغَةً <sup>(١)</sup> سِيَاسِيَّةً ، بَعْدَ أَنْ كَانَ  
بَدَأَ ظُهُورَ هَذَا الْمَذْهَبِ دِينِيًّا خَالِصًا ، يَقُولُ : إِنَّ لِكُلِّ  
ظَاهِرٍ بَاطِنًا ، وَلكُلِّ شَرْعٍ تَأْوِيلًا ، وَلَكِنَّ أَصْحَابَهُ  
رَاحُوا بَعْدَ ذَلِكَ يَتَحَدَّثُونَ الْخَلْقَ « بِالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ »  
وَكَانَ هَذَا يَتَهَدَّدُ مَرَّةً كَثْرَةَ الْخِلَافَةِ ، لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ  
مِنَ التَّعَالِيمِ ، وَبِخَاصَّةِ فِكْرَةِ الْإِمَامَةِ .

وَقَدْ شَهِدَ الْغَزَالِيُّ فِي اعْتِرَافَاتِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ  
لَهُمْ ، إِلَّا لِأَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ جَازِمٌ مِنْ حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ ،  
بِتَصْنِيفِ كِتَابٍ يَكْشِفُ حَقِيقَةَ مَذْهَبِهِمْ ، فَلَمْ يَسَعَهُ  
مُدَافَعَتُهُ .



وَخَرَجَ الْغَزَالِيُّ مِنْ بَعْدَادَ وَهُوَ مُتَأَثِّرٌ بِتَرْعِيهِ

تصوفه

(١) صبغة سياسية : لونا سياسيا.

الْجَدِيدَةِ ، فَكَانَ اُعْتِرَازُهُ الْحَيَاةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ ، وَاقْبَالَهُ  
عَلَى الْخَلْوَةِ وَالْوَحْدَةِ وَالتَّفَكِيرِ فِي اللَّهِ ، وَاحْتِقَارُهُ لِلدُّنْيَا ، △  
وَتَوَدُّعُهُ الْعَيْشَ النَّاصِرَ الرَّخِيَّ الرَّغِيدَ ، وَأَنْطِلَاقَهُ مِنْ  
الْمَنْصِبِ الرَّفِيعِ الْمَحِيدِ ، كَانَ ذَلِكَ كَمَلُهُ دَوْرًا خَطِيرًا فِي  
حَيَاتِهِ ، بَلْ اِنْقِلَابًا عَظِيمَ الْأَثَرِ ، وَتَحَوُّلًا بَعِيدَ الْمَدَى .  
وَقَدْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ ، إِذْ عَادَ فِي  
سَنَةِ ثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى الدِّينِ وَحُدُودِهِ ، لَاعِنًا الْمُعْتَرِزَةَ ، مُتَسَخِّطًا  
عَلَيْهَا ، نَافِضًا يَدَهُ مِنْهَا ، وَاسْكِنَ اِنْقِلَابَ الْأَشْعَرِيِّ لَمْ  
يَسْكُنْ فِي مِثْلِ خَطَرِ اِنْقِلَابِ الْغَزَالِيِّ ، فَإِنَّ هَذِهِ الدَّوْرَةَ  
الْفُجَائِيَّةَ فِي حَيَاةِ أَبِي حَامِدٍ ، قَدْ فَتَحَتْ عَهْدًا جَدِيدًا فِي  
حَيَاةِ الْإِسْلَامِ ، وَسَنَفَرْدُ لِعِزَّةِ الْغَزَالِيِّ ، وَتَطَوُّرَاتِ نَفْسِهِ  
وَعَقَلِيَّتِهِ فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ فَضْلًا خَاصًّا فِيمَا يُسْتَأْخَرُ مِنْ  
فُصُولِ هَذَا الْكِتَابِ .

غَادَرَ أَبُو حَامِدٍ بَغْدَادَ وَقَصَدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ <sup>(١)</sup> وَأَدَّى

تجوّاله في  
المدائن

فَرِيضَةَ الْحَجِّجِ .

وَدَخَلَ دِمَشْقَ سَنَةِ تِسْعَ وَثَمَانِينَ ، وَهُوَ خِلَالَ ذَلِكَ

△ كُلِّهِ ، يَعِيشُ عَيْشَ التَّقَشُّفِ ، وَيَحْيَا حَيَاةَ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ،

وَيَقُولُ الْمُقْرِيئِيُّ فِي « الْمُقَفِّي » : إِنَّهُ جَعَلَ - وَهُوَ فِي دِمَشْقَ -

يَفْكَفُ فِي زَاوِيَةٍ فِي مَنَارَةِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ ، وَيَلْبَسُ

الْقِيَابَ الْخَشِينَةَ ، « وَيَتَقَلَّلُ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ » وَأَعْتَزَلَ

النَّاسَ ، وَأَخَذَ فِي تَصْنِيفِ كِتَابِهِ « إِحْيَاءُ الْعُلُومِ » وَذَهَبَ

يَطُوفُ الْمَشَاهِدَ ، وَيَزُورُ التُّرْبَ وَالْمَسَاجِدَ ، وَيَرُوضُ <sup>(٢)</sup>

نَفْسَهُ عَلَى الْمَجَاهِدَاتِ ، وَيُكَلِّفُهَا مَسَاقَّ الْعِبَادَاتِ ، إِلَى

أَنْ لَانَ لَهُ صَعْبُهَا ، وَسَهَلَ لَهُ بَعْدُ ضَيْقُ رَحْبِهَا ، وَكَانَ

يُكثِرُ الْجُلُوسَ بِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ نَصْرِ الْمُقَدِّسِيِّ بِالْجَامِعِ

(١) هذا ما رأينا إجماع المراجع عليه . ولكن ما كدولاند يخالفها

- ويذكر أن الغزالي لم يحج بعد رحيله عن بغداد مباشرة . وإنما قصد

إلى الحج بعد زيارة بيت المقدس (٢) يروض : يعود



الأموي ، فعرفت بالغزالية من ذلك الوقت ، وكانت  
من قبل تدعى الناصرية ، وهي بقرب باب الرحمة ، وأقام  
نحوًا من عشر سنين .

\*\*\*

وخلال هذه الفترة ، وضع أمهات كتبه وتواليا فيه ،  
ومنها إحياء علوم الدين « وهذا ما اجتمع عليه أكثر  
الذين تحدّثوا عن الغزالي من متقدمي المؤرّخين ،  
كابن الأثير ، وابن الذهبي ، وأبي القاسم بن عساكر  
مؤلف تاريخ دمشق ، الذي توفي سنة إحدى وسبعين  
وخمسماية للهجرة ، وعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي  
خطيب نيسابور ، وكان صاحبًا له ، وأحد معاصريه .

\*\*\*

العودة الى  
الوطن

وعاد الغزالي إلى وطنه خراسان ، فعاش حينًا من الدهر  
في عزلة ، منتبذًا الناس ، منهمكا في التأمل والمجاهدة  
والتفكير ، ولكنه كلما حاول من الناس فرارًا التمسوه

لِيَأْخُذُوا عَنْهُ ، وَيَطْلُبُوا الْعِلْمَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ فَخْرُ الْمَلِكِ عَلِيُّ  
ابْنُ نِظَامِ الْمَلِكِ جَمَالَ الشَّهَدَاءِ ، قَدْ صَارَ وَزِيرًا لِسِنَجِرِ بْنِ  
«مَلِكِشَاه» فِي نَيْسَابُورَ ، بَعْدَ أَنْ وَزَرَ مِنْ قَبْلِهِ لِبَرَ كِيَارُوقَ ،  
فَعَهَّدَ فَخْرُ الْمَلِكِ إِلَى أَبِي حَامِدٍ بِالتَّدْرِيسِ فِي الْمَدْرَسَةِ  
النِّظَامِيَّةِ ، وَقَدْ مَاتَ الْوَزِيرُ فَخْرُ الْمَلِكِ قَتِيلًا مِنْ يَدِ أَحَدِ  
الْبَاطِنِيِّينَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ هِجْرِيَّةً ، فَلَعَلَّ  
أَقْرَبَ تَارِيخٍ مِنَ الصَّحِيحِ لِمَعَاوَدَةِ الْغَزَالِيِّ التَّدْرِيسَ فِي  
الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ ، هُوَ ذُو الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ  
وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ فِي السَّنَوَاتِ الْعَشْرِ الَّتِي قَضَاهَا فِي  
فِي الْعُرْلَةِ وَالنُّسُكِ وَالطَّوَافِ وَالتَّجَوَّابِ ، ذَهَبَ إِلَى  
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ حَيْثُ أَقَامَ فِتْرَةً مِنَ الدَّهْرِ ، وَكَانَ يَنْتَوِي  
الرَّحِيلَ مِنْهَا إِلَى السَّاطَانَ يُوْسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ  
عَدْلِهِ ، وَلِأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ الْفِتْوَى فِي تَقْلِيدِهِ لَقَبَ  
السُّلْطَنَةِ الَّذِي أَرَادَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِوَفَاتِهِ ، عَادَ إِلَى

التَّجْوَالِ فِي الْآفَاقِ ، وَالضَّرْبِ <sup>(١)</sup> فِي الْأَمْصَارِ .

\* \*

وَذَكَرَ مَا كَدُّو لَانْدُ أَيْضًا : أَنَّ أَبَا حَامِدٍ كَانَ رَفِيقَهُ فِي سَفَرِهِ  
مُسْتَصْحِبًا مَعَهُ فِي سَفَرِهِ وَتَجْوَالِهِ ، مُنْذُ خَرَجَ مِنْ نَيْسَابُورَ  
وَرَحَلَ عَنْ بَغْدَادَ رَفِيقًا لَهُ ، كَانَ يَأْخُذُ الْعِلْمَ عَنْ إِمَامِ  
الْحَرَمَيْنِ مَعَهُ ، وَهُوَ أَبُو طَاهِرٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُطَهَّرِ  
الْشَّبِينِيِّ ، وَحَضَرَ مَعَهُ الْعِرَاقَ وَالشَّامَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ  
فِي جُرْجَانَ ، حَيْثُ رَاحَ يُعَلِّمُ وَيَعْظُمُ النَّاسَ ، إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ  
عَامَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

\* \*

تلميذه  
في  
دمشق

وَقَدْ ذَكَرَ السَّيِّدُ مُرْتَضَى فِي كِتَابِهِ « اتِّحَافِ السَّادَةِ  
الْمُتَّقِينَ ، فِي شَرْحِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » تَلْمِيزًا آخَرَ  
لِلغَزَالِيِّ ، أَخَذَ عَلَيْهِ فِي دِمَشْقَ ، وَلَا زَمَهُ طِيلَةَ مَقَامِهِ ، وَهُوَ  
أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ السَّلْمِيِّ ، الْمَلْقَبُ  
بِجَمَالِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ أَيْدَ هَذِهِ الرَّوَايَةَ الْعَلَامَةُ الْمُسْتَشْرِقُ

(١) من ضرب في الأرض : خرج ذاهبا

الْأَلْمَانِيُّ « مِهْرِن » فِي بَحْثِهِ عَنِ الْغَزَالِيِّ ، وَرَوَى أَنَّ الْغَزَالِيَّ  
حِينَمَا غَادَرَ الشَّامَ قَالَ : « خَلَفْتُ بِالشَّامِ شَابًّا إِنْ عَاشَ  
كَانَ لَهُ شَأْنٌ » يُرِيدُ جَمَالَ الْإِسْلَامِ .

\*\*\*

وَذَكَرَ الْمُقْرِيزِيُّ فِي « الْمُتَّقَى » أَنَّ أَبَا حَامِدٍ رَجَعَ  
إِلَى بَغْدَادَ وَعَقَدَ بِهَا مَجَالِسَ لِلوَعْظِ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ  
الْحَقِيقَةِ بِكَلَامٍ أَطْرَبَ الْأَنَامَ ، وَأَعْجَبَ الْأَخَاصَ وَالْعَامَمَ ،  
وَحَدَّثَ بِكِتَابِ الْأَحْيَاءِ وَغَيْرِهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ  
عِنْدَهُ إِسْنَادٌ ، وَلَا طَلَبَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ .

في بغداد

\*\*\*

وَعَادَ الْغَزَالِيُّ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَدَرَسَ بِالْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ  
بِنَيْسَابُورَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى طُوسٍ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحَنِينِ إِلَيْهَا  
بَعْدَ طَوْلِ غِيَابٍ ، وَقَدْ كَانَتْ رُجْعَاهُ إِلَيْهَا - بَعْدَ تِلْكَ الْعِزْلَةِ  
الْمُسْتَطِيلَةِ ، وَالْتِطَوَافِ الدَّائِبِ ، وَالْتَنَقُّلِ فِي أَدْوَارٍ مُتَعَدِّدَةٍ  
مِنَ التَّفَكِيرِ بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَالتَّرَدُّدِ ، وَالْإِزْتِبَاكِ وَالتَّشَكُّكِ ،

في خراسان

ثُمَّ الْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ - رَجْعَةً رَجُلٍ جَدِيدٍ ، جَرَّبَ كَثِيرًا ،  
وَأُمْتَحَنَ الْعَقْلَ فِي أَكْثَرِ نَوَاحِي تَفْكِيرِهِ ، وَأَغْلَبَ  
أَتَجَاهَاتِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَقِرَّ ، وَلَمَّا يَحْمَدِ السَّرِي (١) عِنْدَ  
الصَّبَاحِ .

\* \* \*

محاربه  
للفلسفة

كَانَ الْغَزَالِيُّ فِي تَطَوُّافِهِ فِي مُخْتَلِفِ أَقْطَارِ الْفِكْرِ ،  
وَأَفَاقِ الْعِلْمِ ، قَدْ جَرَّبَ الْفَلَسَفَةَ فَلَمْ تَرْقُهُ إِذْ وَجَدَهَا  
نَاقِصَةً لَا تُوفِي إِلَى غَايَةٍ ، وَلَا تَهْدِي إِلَى يَقِينٍ ، وَلَا تَنْقَعُ (٢)  
عُذَّةَ الصَّدْيَانِ ، وَلَا تَشْفِي عَطَشَ الظَّمَّانِ ، فَمَا زَالَ يُقَارِعُ (٣)  
مَذَاهِبَ الْفَلَسَفَةِ حَتَّى صَرََعَهَا ، وَأَنْثَنَى عَنْهَا مُعْرِضًا ، وَمَا  
وَنَى فِي مُحَارَبَتِهَا بِأَسْلِحَتِهَا ، حَتَّى تَرَ كَمَا جَرَحَى دَامِيَةً ،

\* \* \*

وَلَقَدْ بَلَغَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي تَوَلَّى فِيهِ الرَّدَّ عَلَى الْفَلَّاسِفَةِ ، دَافِئَ هَيُومٍ

(١) السرى : سير عامة الليل . وابن السرى : المسافر ليلا  
(٢) تنقع : تشفى وغلة الصديان : شدة العطش وحرارته .  
(٣) يقارع : يقاوم بالأدلة .

وَهُوَ « التَّهَافُتُ » أَقْصَى حُدُودِ الشَّكِّ ، فَسَبَقَ زَعِيمَ  
الْفَلَّاسِفَةِ الشُّكِّيِّينَ ، وَهُوَ « دَافِئِدْ هِيَوْمَ » بِسَبْعِمِائَةِ  
سَنَةٍ ، فِي الرَّدِّ عَلَى نَظَرِيَّةِ الْعِلَّةِ وَالْمَعْدُولِ ، وَقَدْ وَعَى مِنْ  
قَبْلُ عُلُومِ الدِّينِ ، فَلَمْ يَرْتَضِ عَقْلُهُ الْإِنْصِياعَ لِلتَّقْلِيدِ ،  
وَلَمْ يَقْبَلْ أَخْذَ الْقَضَايَا مَاخِذَ التَّسْلِيمِ .

\*\*\*

وَقَدْ عَادَ أَبُو حَامِدٍ إِلَى طُوسٍ ، مُزْمِعًا سَفَرًا فِكْرِيًّا  
جَدِيدًا ، مُعْتَرِمًا سِيَاحَةً فِي الدِّينِ طَرِيفَةً<sup>(١)</sup> فَرِيدَةً ،  
وَذَلِكَ أَنْ يَتَوَفَّرَ عَلَى دِرَاسَةِ الْحَدِيثِ ، وَالنَّظَرِ فِي السَّيْرَةِ  
النَّبَوِيَّةِ . وَمَا نَحَسَبُهُ قَدْ عَالَجَ دِرَاسَتَهَا مِنْ قَبْلُ ، وَلَا أُطَالَ  
النَّظَرَ فِيهَا خِلَالَ شَبَابِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ  
أَبُو الْعَمَالِيِّ الْجَوِينِيِّ أُسْتَاذَهُ الْأَوَّلَ ، قَدْ اخْتَصَّ بِهَذَا  
النَّوْعِ مِنَ الدَّرَاسَةِ ، وَلَمْ يَدَبَّحَرَ فِي هَذَا الضَّرْبِ مِنْ  
الْبُحُوثِ .

دراسة  
الحديث

(١) الطريفة مؤنث الطريف : والطريف : الحديث المكتسب

الغريب أى حديثه جديدة

\*\*\*

الاخلاد الى  
الصوفية

وَقَدْ ذَكَرَ السُّبُكِيُّ فِي كِتَابِ «الطَّبَقَاتِ» ،  
كَمَا أَشَارَ الْمُقْرِيزِيُّ فِي «الْمُقَفَّى» أَنَّ الْغَزَالِيَّ عِنْدَ مَا بِهِ  
إِلَى طُوسٍ ، اتَّخَذَ إِلَى جَانِبِ دَارِهِ مَدْرَسَةً لِلْفُقَهَاءِ ،  
وَخَانِقَاهُ<sup>(١)</sup> لِلصُّوفِيَّةِ ، وَوَزَعَ أَوْقَاتَهُ عَلَى وَظَائِفَ ، مِنْ خَتْمِ  
الْقُرْآنِ ، وَمُجَاسَسَةِ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ ، وَالتَّدْرِيسِ لَطَلِبَةِ  
الْعِلْمِ ، وَإِدَامَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ ، وَأَسْتَدْعَى  
أَبَا الْفَتْيَانِ عُمَرَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الرُّوسَائِيَّ الدَّهِسْتَانِيَّ  
مِنْ بَلَدِهِ إِلَى طُوسٍ ، فَأَكْرَمَهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ صَحِيحَ  
الْبُخَارِيِّ ، وَصَحِيحَ مُسْلِمٍ .

\*\*\*

ضعف  
صحته

وَكَانَتْ حِدَّةُ ذَكَائِهِ ، وَطُولُ إِكْبَابِهِ عَلَى الْعِلْمِ  
وَالدَّرْسِ ، وَشِدَّةُ حِرْمَانِهِ النَّفْسَ مُتَعَّ الْحَيَاةِ ، وَحَمْلُهُ  
عَلَيْهَا بِأَقْسَى ضُرُوبِ التَّجَرِبَةِ وَالِامْتِحَانِ ، وَإِيمَانُهُ  
فِي الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ ، وَالِالْحَاحِ فِي الطَّوَافِ وَالتَّجْوَالِ

(١) الخانقاه : التي نقول عنها بالعامى «الخانكة» أى ملجأ أو توكية.

قَدْ نَهَكَتْ قُوَاهُ وَأَضْنَتْ بَدَنَهُ ، وَأَتْلَفَتْ صِحَّتَهُ ،  
وَاسْتَنْفَدَتْ مُنْتَهُ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ حَيَاتُهُ فِي طُوسٍ مَعَ  
ذَلِكَ كُلِّهِ حَيَاةَ سَكِينَةٍ وَسَلَامٍ ، فَقَدْ حَدَّثَنَا تَلْمِيذُهُ  
وَصَاحِبُهُ الْوَفِيُّ الصَّادِقُ عَبْدُ الْغَافِرِ كَيْفَ أَنَّ عَيْشَهُ  
يَوْمَئِذٍ كَانَ غَائِمَ الْأَفْقِ ، مُكْفَرٍ الصَّفْحَةِ ، كَدِرًا مُرْتَقًا  
غَشِيَهُ الْأَجْدَلُ وَالْخِصَامُ ، وَالْحَسَدُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْوَقِيعَةُ<sup>(٢)</sup>  
وَالدَّسُّ وَالْكَيْدُ ، وَنَحَسَبُ ذَلِكَ قَدْ بَدَأَ يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ  
مِنْ نَاحِيَةِ حُسَّادِهِ ، وَالنَّافِسِينَ عَلَيْهِ مُنْذُ نَزَلَ بَنِي سَابُورَ .  
بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ عَزَلَتِهِ ، وَرُجِعَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَيْضًا  
هُوَ سَبَبَ تَقْلَّتِهِ مِنْهَا إِلَى طُوسٍ .

\* \* \*

وَقَدْ رَوَى السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِهِ « الْأَنْسَابِ » قِصَّةً  
تَلُوحُ لَنَا أَنَّهَا مِصْدَاقٌ لِمَا تَحَدَّثَ بِهِ تَلْمِيذُ أَبِي حَامِدٍ  
وَصَاحِبُهُ وَخَلِيطُهُ الْأَمِينُ عَبْدُ الْغَافِرِ .  
يَقُولُ السَّمْعَانِيُّ سَمِعْتُ أَبَا نَصْرِ الْفَضْلَ بْنَ الْحُسَيْنِ

نقوره  
من البيضة

(١) منته : أى قوته . (٢) الوقيعة . اغتياب الناس



أَبْنِ عَلِيٍّ الْمُتَمَرِّ مُدَاكِرَةً - بِمَرَوْ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى  
الْإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ مُودِّعًا ، فَقَالَ لِي : أَحْمِلْ هَذَا الْكِتَابَ  
إِلَى الْمُعِينِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَيْهَقِيِّ ، ثُمَّ قَالَ : وَفِيهِ شِكَايَةٌ  
عَلَى الْعَزِيزِ الْمُتَوَلَّى لِلْأَوْقَافِ بِطُوسٍ . وَكَانَ ابْنُ أَخِي  
الْمُعِينِ ، فَقُلْتُ لَهُ : كُنْتُ بِهَرَاةَ عِنْدَ عَمَّةِ الْمُعِينِ ، وَكَانَ  
الْعَمَّانُ الطُّوسِيُّ جَاءَ بِمَحْضَرٍ فِي الشَّنَاءِ عَلَى الْعَزِيزِ وَعَلَيْهِ  
خَطُّكَ ، وَكَانَ عَمُّهُ قَدْ طَرَدَهُ وَهَجَرَهُ ، فَلَمَّا رَأَى خَطُّكَ وَتَنَاءَكَ  
عَلَيْهِ ، قَرَّبَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ ، فَقَالَ الْإِمَامُ الْعَزَازِيُّ : سَلِّمْ  
الْكِتَابَ إِلَى الْمُعِينِ وَأَقْرَأْ عَلَيْهِ هَذَا الْبَيْتَ :

وَلَمْ أَرْ ظَلَمًا مِثْلَ ظَلْمِ يَنَالِنَا

يُسَاءُ إِلَيْنَا ثُمَّ نُؤَمَّرُ بِالشُّكْرِ

\*\*\*

وفاته

١٥٠  
١٥٠  
١٥٠  
٥٥

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ الْعَزَازِيِّ بِطُوسٍ يَوْمَ  
الْإِثْنَيْنِ رَابِعِ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَسٍ وَخَمْسِمِائَةٍ  
الْمُوَافِقِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ دَيْسَمْبَرِ سَنَةِ أَلْفٍ وَمِائَةٍ وَإِحْدَى

عَشْرَةَ مِيلَادِيَّةً ، وَقَدْ وَصَفَ أَخُوهُ أَحْمَدُ ، كَيْفَ حَضَرَهُ  
الْمَوْتُ ؟ وَنَقَلَ هَذِهِ الرُّوَايَةَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ  
« الثَّبَاتِ عِنْدَ الْمُعْلَمَاتِ »



وَنَحْنُ نَأْقِلُونَ هُنَا هَذَا الوَصْفَ الرَّائِعَ لِوَفَاةِ رَجُلٍ  
عَظِيمٍ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَثْنَيْنِ وَقْتَ الصُّبْحِ ، تَوَضَّأَ  
أَخِي أَبُو حَامِدٍ وَصَلَّى وَقَالَ : عَلَى بِالْكَفَنِ فَأَخَذَهُ وَقَبَلَهُ  
وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً لِلدُّخُولِ عَلَى  
الْمَلِكِ ، ثُمَّ مَدَّ رِجْلَيْهِ ، وَأَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَمَاتَ قَبْلَ  
الْإِسْفَارِ ، وَسُبْحَانَ مَنْ لَهُ الْبَقَاءُ .

وصف  
مئنته

وَدُفِنَ الْإِمَامُ فِي ظَاهِرِ الطَّابِرَانَ وَهِيَ قَلْعَةٌ فِي خَارِجِ  
الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ رَوَى السَّمْعَانِيُّ أَنَّهُ زَارَ قَبْرَهُ بِهَا .  
وَيَرَى الْعُلَمَاءُ مَا كُنْدُولَانْدُ أَنَّ هَذِهِ الرُّوَايَةَ  
الرَّائِعَةَ ، عَلَى بَسَاطَتِهَا لِمْشْهَدِ مَنِّيَّتِهِ وَمَحْضَرِ آخِرَتِهِ ، وَوَدَاعِ  
دُنْيَاهُ ، لَمْ تُرْضِ خِيَالَ الْمُتَحَيِّلِينَ ، وَلَمْ تَرُقْ تَصَوُّرَاتِ

الْمُتَّصِرِينَ ، فَاخْتَرَعَتْ لِدَلِكِ اخْتِرَاعَاتٌ ، وَرُسِمَتْ صُورُ  
لَهَا وَتَخَيَّلَاتٌ ، إِرْضَاءً لِلْعَاطِفَةِ ، وَمُبَالَغَةً فِي إِظْهَارِ الْكِرَامَةِ  
وَسَدَاجَةِ رُوحِ الْإِجْلَالِ .

\*\*\*

دفنه وما  
قبل فيه

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى الْأَزْهَرِيُّ قَالَ : وَجَدْتُ فِي كِتَابِ  
بَهْجَةِ النَّاطِرِينَ وَأَنْسِ الْعَارِفِينَ ، لِلْعَارِفِ بِاللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ  
الْعَظِيمِ الْأَزْهَرِيِّ مَا نَصَّهُ : وَمِمَّا حَدَّثَنَا بِهِ مَنْ أَدْرَكْنَا مِنْ  
الْمَشِيخَةِ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَامِدٍ الْغَزَالِيَّ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ  
أَوْصَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالِدِّينِ كَانَ يَخْدُمُهُ ، أَنْ  
يُحْفِرَ قَبْرَهُ فِي مَوْضِعِ بَيْتِهِ ، وَيَسْتَوْصِيَ أَهْلَ الْقُرَى الَّتِي  
كَانَتْ قَرِيبَةً إِلَى مَوْضِعِهِ ذَلِكَ ، بِحُضُورِ جَنَازَتِهِ ، وَأَلَّا  
يُبَاشِرَهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقْبَلَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْفَلَاحَةِ بِيَلَادِ  
الْعِرَاقِ ، يُفَسِّلُهُ اثْنَانِ مِنْهُمَا ، وَيَتَقَدَّمُ الثَّلَاثُ لِلصَّلَاةِ  
عَلَيْهِ بِغَيْرِ أَمْرٍ وَلَا مَشُورَةٍ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ فَعَلَ الْخَادِمُ  
كُلَّ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَحَضَرَ النَّاسُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِحُضُورِ

جَنَازَتِهِ رَأَوْا ثَلَاثَةَ رِجَالٍ خَرَجُوا مِنَ الْفَلَاةِ . فَعَمَدَ اثْنَانِ  
مِنْهُمْ إِلَى غُسْلِهِ ، وَاخْتَفَى الثَّلَاثُ وَلَمْ يَظْهَرْ ، فَلَمَّا غُسِّلَ  
وَأُذْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ ، وَحُمِلَتْ جَنَازَتُهُ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ ، ظَهَرَ  
الثَّلَاثُ مُلْتَفًا فِي كِسَائِهِ ، وَفِي جَانِبِهِ عِلْمٌ أَسْوَدٌ ، مُعَمَّمًا  
بِعِمَامَةٍ صُوفٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى النَّاسُ بِصَلَاتِهِ ، ثُمَّ سَلَّمَ  
وَأَنْصَرَفَ ، وَتَوَارَى عَنِ النَّاسِ . وَكَانَ بَعْضُ الْفُضَّلَاءِ  
مِنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِمَّنْ حَضَرَ الْجَنَازَةَ مَيَّزَهُ بِصِفَاتِهِ وَلَمْ  
يَعْرِفْهُ إِلَى أَنْ سَمِعَ بَعْضُهُمْ بِاللَّيْلِ هَاتِفًا يُنَادِي ، إِنَّ ذَلِكَ  
الرَّجُلَ الَّذِي صَلَّى بِالنَّاسِ هُوَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ  
أَبْنُ إِسْحَاقَ الشَّرِيفُ ، الَّذِي جَاءَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى  
مِنَ عَيْنِ الْقَطْرِ ، وَأَنَّ الَّذِينَ غَسَلُوهُ هُمَا صَاحِبَاهُ ، أَبُو  
شُعَيْبٍ أَيُّوبُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الزَّمُورِ ، وَأَبُو عَيْسَى  
وَصِيَّهُ .

وَقَدْ رَاجَتْ بَعْدَ وَفَاتِهِ رِوَايَاتٌ وَأَقَاصِيصٌ عَنْ  
كَرَامَاتِهِ ، لَمْ نَشَأْ أَنْ نَتَعَرَّضَ لَهَا فِي هَذَا الْبَابِ .

\* \* \*

مجدد القرن  
الخامس

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ أَبَا حَامِدٍ الْغَزَالِيَّ  
قَدْ أَحَدَتْ دَوِيًّا فِي عَصْرِهِ ، وَتَرَكَ أَثْرًا بَاقِيًّا مِنْ بَعْدِهِ  
حَتَّى عُدَّ عِنْدَ كَثِيرٍ «مُجَدِّدَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ» أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ  
حَدِيثِ أُسْنَدٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ  
اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ  
يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا - قَالَ الْعِرَاقِيُّ وَغَيْرُهُ : إِنَّ سَنَدَهُ  
صَحِيحٌ - أَيْ يُقَيِّضُ لَهَا عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ مِنْ  
الْهِجْرَةِ أَوْ غَيْرِهَا رَجُلًا كَانَ أَوْ أَكْثَرَ يُبَيِّنُ السَّنَةَ مِنَ  
الْبِدْعَةِ ، وَيُكْثِرُ الْعِلْمَ ، وَيَنْصُرُ أَهْلَهُ ، وَيُذَكُّ أَهْلَ  
الْبِدْعَةِ ، قَالُوا وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَالِمًا بِالْمَعْلُومِ الدِّينِيَّةِ ،  
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، فَكَانَ فِي الْمِائَةِ الْأُولَى عُمَرُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ الشَّافِعِيُّ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ الْأَشْعَرِيُّ أَوْ  
ابْنُ سُرَيْجٍ ، وَفِي الرَّابِعَةِ الْإِسْفَرَايِينِيُّ أَوْ الصُّعْلُوكِيُّ أَوْ الْبَاقِلَانِيُّ .  
وَفِي الْخَامِسَةِ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١) .

(١) هكذا في الأتحاف .

عُزَاتُهُ وَأَعْبَرِافَاتُهُ

فترة  
روحية

تَقَدَّمَ لَكَ فِي حَدِيثِنَا بِسَبِيلِ حَيَاةِ الْإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ  
وَسِيرَتِهِ ، أَنَّهُ بَعْدَ مَرَضٍ فَجَأَهُ فَحَبَسَ لِسَانَهُ ، وَعَقَلَ  
بَيَانَهُ ، وَبَغَضَ إِلَيْهِ الطَّعَامَ ، اعْتَمَلَتْ (١) فِي نَفْسِهِ ثَوْرَةً  
مُتَمَرِّدَةً طَافِيَةً ، مَلَكَتْ عَلَيْهِ وَجْدَانُهُ ، وَحَفَزَتْهُ إِلَى  
تَرْكِ الْإِسْتِغَالِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَنْقِطَاعِ وَالْإِسْتِغَالِ  
بِالْآخِرَةِ ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْعُزَاةُ الطَّوِيلَةُ الْأَمْدِ ، الَّتِي  
طَافَ فِيهَا الْبِلَادَ وَالْأَمْصَارَ ، تَطَوَّافَ الشَّارِدِ الْهَائِمِ  
لَا يَرِيمُ (٢) وَلَا يَجْلُدُ (٣) فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ عَلَى الْبَقَاءِ .

وَنَحْنُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْكِتَابِ ، نُحِبُّ أَنْ نَقِفَ  
قَلِيلًا عِنْدَ هَذَا الدَّوْرِ الْخَطِيرِ مِنْ حَيَاتِهِ ، لِنَعْرِضَ لَكَ  
أَثَرَ هَذِهِ الْعُزَاةِ فِي نَفْسِهِ وَمَبْلَغَ سُلْطَانِهَا عَلَى خَاطِرِهِ ،  
وَالثَّمَرَ الَّذِي أَثْمَرَتْهُ ، فَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهَا ، وَلَا يَزَالُونَ  
مُنْتَفِعِينَ .

(١) اعتملت اضطرت (٢) لا يريم: لا يفارق ولا يترك (٣) لا يجلد: لا يصبر

لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ مِنْ حَيَاتِهِ هِيَ فِتْرَةٌ رُوحِيَّةٌ  
صَافِيَّةٌ مِنْ أَكْدَارِ الدُّنْيَا ، نَقِيَّةٌ مِنْ شَوَائِبِ الْمَادَّةِ ،  
فَقَدْ أَقْبَلَ فِيهَا عَلَى مَذْهَبِ الصُّوفِيَّةِ يَعْبُ<sup>(١)</sup> مِنْهُ عَبَّاءٌ ،  
وَيَنْدَمِجُ فِيهِ أَنْدِمَاجًا ، وَلَمْ تَقْتَصِرْ صُوفِيَّتُهُ عَلَى النِّظَرِ ،  
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ صُوفِيَّةً عَمَلِيَّةً ، تَجَرَّدَ لَهَا وَأَكْبَّ عَلَيْهَا  
وَأَلْحَ فِيهَا أَشَدَّ الْأَلْحَاجِ .

\* \* \*

فذلِكَ  
صوفيَّة

وَلَمْ تَكُنْ الصُّوفِيَّةُ مَذْهَبًا جَدِيدًا يَوْمَئِذٍ ، وَلَا  
طَرِيقَةً فِي الْعِبَادَةِ طَارِئَةً ، وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ فِي الْوَاقِعِ  
مَزْجِيًّا مِنْ عِبَارَاتٍ كَثِيرَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، مِنْهَا مَا يَمُتُّ إِلَى  
الْهِنْدِ ، وَمَا وَجِدَ أَصْلَهُ فِي فَارِسَ ، وَمِنْهَا مَا يَنْتَسِبُ إِلَى  
الْأَعْرَبِ ، حَتَّى لَقَدْ رَدَّ فَرِيقٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ فِي تَارِيخِهَا  
لِقِطْعَةَ الصُّوفِيَّةِ ، إِلَى تَرْكِيبِ مَزْجِيٍّ مِنْ كَلِمَتَيْنِ  
يُونَانِيَّتَيْنِ وَهُمَا « نِسُ صُوفِي » أَي الْحِكْمَةُ الدِّينِيَّةُ ،  
أَوِ الْفَلَسَفَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ آخَرُونَ رَدُّوَهَا

(١) يعب الماء : يشربه بدون مص - والمراد أنه ينهمك في درسه .

إِلَى مَا أَلْفَ أَصْحَابُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي عَيْشِهِمْ وَتَقَشُّفِهِمْ .  
مِنْ إِيْلَافِ لِبْسِ الصُّوفِ أَوْ بَيْعِهِ لِلنَّاسِ .

\* \* \*

مَنْزِلَتُهُ الصُّوفِيَّةُ  
وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هِيَ أَرْقَى مَدَارِجِ  
الْعِبَادَاتِ ، وَأَسْمَى مَرَاتِبِ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ ، وَالَّذِينَ  
يَعْتَرِضُونَ عَلَيْهَا قَائِلِينَ إِنَّهَا لَا تَتَّفِقُ هِيَ وَتَعَالِيمُ الدِّينِ ،  
وَلَا تُسَايِرُ رُوحَ الْإِسْلَامِ ، بِدَعْوَى تَزْهِيدِهَا فِي الْحَيَاةِ  
وَإِعْرَاضِهَا عَنْ شُؤْنِهَا ، يُخْطِئُونَ فَهَمَّ حَقِيقَتِهَا ، وَيَوْهَمُونَ (١)  
فِي إِذْرَاكِ رُوحِهَا وَلُبِّهَا ، فَإِنَّ الصُّوفِيَّةَ لَا تُحْرَمُ الْأَخْذَ  
مِنَ الدُّنْيَا بِنَصِيبٍ ، وَلَكِنْ إِذَا مَا تَجَرَّدَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا  
النَّصِيبِ رَاضِيًا مُخْتَارًا ، وَأَقْبَلَ بِكُلِّيَّةٍ نَفْسِهِ عَلَى التَّمَاسِ  
الْآخِرَةِ ، فَذَلِكَ هُوَ السُّمُوُّ النَّفْسِيُّ ، الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ  
إِلَّا الْأَصْفِيَاءُ ، وَالَّذِينَ رُكِبَتْ مَعَادِنُهُمْ مِنَ الْجَوْهَرِ  
الْخَالِي مِنَ الزَّيْفِ ، وَتَطَهَّرَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ كَافَّةِ شَوَائِبِ  
الْأَرْضِ ، وَعَالَمِ الْفَنَاءِ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْكَرَ فَضْلُ



الصَّوْفِيَّةِ ، مِنْ أَجْلِ بُعْدِ قِيَمَةِ مَدَارِجِهَا <sup>(١)</sup> وَسُمُوقِ <sup>(٢)</sup> مَرَاتِبِهَا  
فَإِنَّ ذَلِكَ مَنْطِقٌ لَا يَسْتَقِيمُ ، وَحُجَّةٌ لَا جِيءُ إِلَيْهَا  
أَلْمَادِيُونَ ، لِبَسْتَوَى عِنْدَهُمُ النَّاسُ فِي أَقْدَارِ الْحَيَاةِ  
وَشَوَائِبِهَا الْكِدْرَةِ ، وَمَعِينِهَا الْمُرْتَقِ <sup>(٣)</sup> الْمُلُوثِ ،  
الْبَعِيدِ مِنَ الطُّهْرِ وَالصَّفَاءِ .

\* \* \*

طلب  
الحقيقة

لَقَدْ كَانَ الْعَزَالِيُّ مِنَ النَّشْأَةِ ، بِفَضْلِ قُوَّةِ خَاطِرِهِ ،  
وَشُفُوفِ نَفْسِهِ ، وَرِقَّةِ وُجْدَانِهِ ، طَالِبَ حَقِيقَةِ ، وَمُلْتَمِسَ  
مَعْرِفَةٍ ، فَلَمَّا دَرَسَ الْفِقْهَ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ سَكِينَةَ نَفْسِهِ ،  
عَادَ يُكَبُّ عَلَى الْفَلَسَفَةِ بَاحِثًا نَاطِرًا مُنْقَبًا <sup>(٤)</sup> مُسْتَقْصِيًا <sup>(٥)</sup>  
وَلَكِنَّهَا لَمْ تُرْسِلْ قَبَسًا مِنَ الضِّيَاءِ يَهْدِيهِ النَّجْدَيْنِ ،  
وَيَكْشِفُ لَهُ أَسْرَارَ الْكَوْنِ ، وَيُمِيطُ عَنِ مُسْتَدَقِّ  
شُؤْنِ الْحَيَاةِ .

(١) مدارج : جمع مدرجة وهي المسلك والمذهب ، يقال هذا الأمر  
مدرجة لهذا : أى يتوصل به إليه . (٢) السموق : العلو . (٣) المرتق :  
الكدر . (٤) المنقب : الباحث عن الشيء المدقق . (٥) المستقصى :  
البالغ فى الأمر غاية .

وَمَا نَحْسَبُ رَجُلًا كَالْغَزَالِيِّ فِي طَبِيعَةِ مِرَاجِهِ ،  
وَشُفُوفِ حِسِّهِ ، كَانَ مُسْتَطِيعًا أَنْ يُقْنِعَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ  
وَاجِدٌ سَلَامَتَهَا وَسَكِينَتَهَا فِي مُجَرَّدِ التَّفَكِيرِ وَبَحْتِ التَّأَمُّلِ  
إِذْ لَمْ تَكُنْ غَرِيزَتُهُ الدِّينِيَّةُ تَهْتَاجُ<sup>(١)</sup> فِيهِ ، وَتَتَّبَعْتُ  
فِي أَعْمَاقِهِ ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ شَيْءٌ يُقْنِعُهُ أَوْ يُرْضِيهِ ، إِلَّا  
مَا كَانَ مُقْنِعًا لِعَقْلِهِ ، مُرْضِيًا لِشُعُورِهِ نَافِذًا فِي خَاطِرِهِ .  
وَمِنَ الْخَطَايَا أَنْ نَعُدَّهُ مَعَ ذَلِكَ خَارِجًا عَلَى الْفَلَسَفَةِ ،  
أَوْ رَجُلًا رَأَى النُّورَ فَوَلَّاهُ ظَهْرَهُ ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ بَعْدَ  
أَنْ سَارَ فِيهِ شَوْطًا ، وَقَطَعَ إِلَيْهِ مَرَاجِلَ ، لِيَعُودَ إِلَى  
الظُّلْمَةِ الَّتِي كَانَتْ مُحِيطَةً بِهِ ، وَيَرْجِعَ إِلَى الْهَلَكَةِ<sup>(٢)</sup>  
الطَّخِيَاءِ<sup>(٣)</sup> الَّتِي أُكْتَنِفَتْهُ مِنْ قَبْلُ . فَلَمْ يَكُنِ الْغَزَالِيُّ  
يَوْمًا عَالِمًا بَارِدَ الْخَاطِرِ ، هَادِيءِ الْمِرَاجِ ، كَأَفْأَرَابِيِّ أَوْ  
أَبْنِ سِينَا أَوْ أَبْنِ رُشْدٍ ، وَمَا خَضَعَ يَوْمًا أَوْ دَانَ بِالطَّاعَةِ  
لِلتَّفَكِيرِ الْمُطْلَقِ ، لِأَنَّهُ مَادَرَسَ الْفَلَسَفَةِ دِرَاسَةً مُؤْمِنٍ

(١) تهتاج : تنور (٢) الهلكة : الظلمة . (٣) شدة الظلمة .

بِهَا ، وَلَكِنَّهُ التَّمَسَ فِيهَا النِّجَاةَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ، وَالخُرُوجَ  
مِنَ الحَلَاكِ إِلَى النُّورِ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا أَحَسَّ يَقْظَةَ قَلْبِهِ ،  
وَأَنْتَبَاهَ نَفْسِهِ ، صَاحَ وَدَارَ بِعَيْنِهِ يَطْلُبُ الْهُدَى ، فَلَمْ  
يَلْبَثْ أَنْ أَلْفَى <sup>(١)</sup> نَفْسَهُ قَائِمًا وَحَدَهُ وَسَطَ الكَوْنِ  
الْمُتْرَابِي مِنْ حَوْلِهِ ، وَمَا كَانَ فِي وَسْطِ مِثْلِهِ إِلَّا أَنْ  
يَمْضَى فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَارَ فِيهِ مِنَ الْبَادِرَةِ <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

بَلْ مِنَ الخَطِئِ كَذَلِكَ أَنْ يُعَدَّ الْغَزَالِيُّ عَالِمًا خَائِنًا <sup>التهم المنسوبة إليه</sup>  
مُنَاقِقًا ، كَمَا حَلَا لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَتَّهَمُوهُ ، ذَاهِبِينَ إِلَى  
أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ غَيْرَ مَا يُعْلِنُ ، وَيُبْطِنُ غَيْرَ مَا يُظْهِرُ ،  
وَأَنَّ لَهُ عَقِيدَةً سَرِيَّةً لَا يُفْضِي بِهَا إِلَى النَّاسِ ، فَإِنَّ قِصَّتَهُ  
تَرِنُ رَيْنَ الصَّدْقِ ، فِي غَيْرِ خَرَسٍ <sup>(٣)</sup> الزَّيْفِ مِنَ الْأَوَّلِ  
إِلَى الْآخِرِ ، كَمَا أَنَّ تَطَوُّرَهُ النَّفْسِيَّ ظَلَّ وَاضِحًا جَلِيلًا  
لَا خَفَاءَ بِهِ .

(١) ألقى : وجد (٢) البادرة : هي ما يبدر من الانسان حالة الغضب  
والمراد أول عمره (٣) الخرس : عدم القدرة على الكلام والمراد عدم الصوت

\* \* \*

الانصال  
الشخصى بالله

△ وَقَدْ رَامَ الْوُقُوعَ عَلَى هَادٍ فِي آيَةٍ نَاحِيَةٍ مِنَ الْفِكْرِ  
لِيَهْدِيَهُ إِلَى الْحَقِّ فَلَمْ يَجِدْ ، فَلَا عَجَبَ إِذَا هُوَ غَادَرَ  
ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى التَّمَاسِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، وَالِاتِّصَالِ الشَّخْصِيِّ  
بِهِ فِي غَيْرِ وَسَاطَةِ وَلَا طَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ ، بَلْ عَنْ  
الصُّوفِيَّةِ أَوْ التَّجَرُّدِ الرُّوحِيِّ ، وَالِانْبِعَاطِ بِالنَّفْسِ إِلَى سَبْرِ  
غَوْرِ الْكَوْنِ ، وَالِاجْتِهَادِ فِي كَشْفِ الْأُحْجُبِ عَنْ حَقِيقَتِهِ  
الصَّمَدِيَّةِ ، وَصِفَاتِهِ الشَّامِلَةِ .

\* \* \*

حياة  
جديدة

هُنَاكَ أَنْفَسَحَ الطَّرِيقُ أَمَامَ عَيْنِهِ ، وَتَقَادَفَتِ الشُّقَّةُ  
الْمُسْتَطِيلَةُ عَلَى بَصَرِهِ ، وَهُنَاكَ بَدَأَتْ حَيَاتُهُ الْجَدِيدَةُ  
فِي ظِلَالِ الْعُزْلَةِ ، وَالتَّقَشُّفِ وَالنُّسْكِ ، وَهُوَ يُحَدِّثُنَا  
فِي كِتَابِ أَعْرَافَاتِهِ ، وَهُوَ « الْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ »  
كَيْفَ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ مَذَهَبِ التَّعْلِيمِيَّةِ أَوْ الْبَاطِنِيَّةِ ،  
أَقْبَلَ عَلَى طُرُقِ الصُّوفِيَّةِ بِكُلِّ هِمَّتِهِ ، وَقُوَى خَاطِرَهُ  
وَتَفَكَّرَهُ .

\* \*

بواعث نزوعه  
إلى التصوف

وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي أَنَّ عَوَامِلَ كَثِيرَةً أَصْطَلَحَتْ  
عَلَى نَفْسِهِ ، فَتَزَعَتْ بِهِ إِلَى سُلُوكِ هَذَا الطَّرِيقِ ، فَقَدْ  
كَانَ مَوْطِنُهُ الْأَصْلِيُّ فَارِسَ ، مُنْعَمِيسًا فِي الصُّوفِيَّةِ ، مُتَأَثِّرًا  
بِهَا كُلَّ التَّأَثُّرِ ، جَانِحًا إِلَيْهَا أَشَدَّ الْجُنُوحِ ، كَمَا كَانَ  
أُسْتَاذُهُ الْقَدِيمُ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوَيْنِيُّ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ صُوفِيًّا ،  
وَقَدْ رَأَيْنَا صَدِيقَ أَبِيهِ الَّذِي كَفَلَهُ وَقَامَ عَلَى تَنْشِئَتِهِ (١) مِنْ  
الْحَدَاثَةِ مَعَ أَخِيهِ أَحْمَدَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ .

\* \*

نفسيته قبل  
العزلة

وَقَدْ رَوَى السَّيِّدُ مُرْتَضَى شَيْئًا كَثِيرًا عَنْ دِرَاسَةِ  
أَبِي حَامِدٍ فِي الصُّوفِيَّةِ ، كَمَا تَحَدَّثَ صَدِيقُهُ عَبْدُ الْغَافِرِ  
أَبْنُ أَسْمَاعِيلَ الْفَارِسِيُّ ، طَوِيلًا عَنْ أَسَاتِدَتِهِ فِيهَا ، فَذَكَرَ  
أَنَّ مُعَلِّمَهُ الْأَكْبَرَ ، كَانَ الْإِمَامَ الزَّاهِدَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَضْلَ  
أَبْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْفَارَمَذِيِّ بِطُوسٍ ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ  
يَاقُوتٌ فِي مُعْجَمِهِ ، عِنْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى بَلَدِهِ فَارَمَذَ .

(١) تنشئته : تربيته .

وَيُرَوَى أَنَّ الْفَارَمِذِيَّ هَذَا كَانَ مِنْ أَشْهَرِ تَلَامِيذِ  
الْقَشِيرِيِّ ، صَاحِبِ الرِّسَالَةِ الْمَشْهُورَةِ بِاسْمِهِ « الرِّسَالَةِ  
الْقَشِيرِيَّةِ » وَقَدْ تُوفِيَ الْفَارَمِذِيُّ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ  
وَأَرْبَعِينَ بِطُوسٍ ، عَلَى مَا رَوَى السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ  
« الْأَنْسَابِ » .

وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ الْغَافِرِ كَيْفَ أَنَّ أَبَا حَامِدٍ بَعْدَ أَنْ  
أَمَعَنَ وَأَوْغَلَ فِي دِرَاسَةِ الْعِلْمِ وَالتَّبَحُّرِ فِيهِ عَافَهُ وَتَبَرَّمَ  
بِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ آيَةَ جَدْوَى لَهُ ، فَدَارَ بَعَيْنِهِ يَتَأَمَّسُ  
مَا يُجِدِي عَلَى نَفْسِهِ ، وَيُعِدُّهُ لِزَادِ الْآخِرَةِ ، فَاهْتَدَى  
بِهَدْيِ الْفَارَمِذِيِّ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ ، وَأَشْرَكَ فِي حَلَقَاتِ  
الْأَذْكَارِ مَعَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ كُلِّ مَا سَلَكَ شَيْئًا  
تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسُهُ ، وَالظَّاهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوَقْتَ لَمْ  
يَكُنْ حَانَ بَعْدَ لِهَذَا الدَّوْرِ الْمُنْتَظَرِ فِي حَيَاتِهِ ، وَأَنَّ  
عَقْلَهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَأَهَّبَ وَأَسْتَعَدَّ لِلتَّفْشِيحِ لِضِيَاءِ الرُّوحِ  
وَلَا نَضِيجِ الْقَبُولِ ، فَمَا عَتَمَ <sup>(١)</sup> أَنْ عَادَ إِلَى سَابِقِ دِرَاسَتِهِ ،

(١) فاعتم : فما لبث .

زَيْنُ الْحُجَجِ وَيَقْسُ الْأَدْلَةَ ، وَيَحُلُّ مُعْضَلَاتِ الْمَشَاكِلِ  
الْفَقْهِيَّةِ ، وَيَنْظُرُ فِي مَذَاهِبِ الْفَلَسَفَةِ .

وَلَكِنَّهُ أُخِيرًا - أَوْ عِنْدَ مَا حَانَتْ السَّاعَةُ ، كَمَا  
يُحَدِّثُنَا عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ خَطِيبُ نَيْسَابُورَ - أَنْفَتَحَ  
أَمَامَهُ بَابُ الْخَوْفِ ، وَأَسْتَشَعَرَ الْوَجَلَ (١) ، وَأَذِنَ  
تَطَوُّرُ نَفْسِهِ بِدُخُولِهِ فِي رِحَابِ الصُّوفِيَّةِ ، وَسُلُوكِ  
طَرِيقِهَا ، غَيْرَ مُتَرَاجِعٍ وَلَا مُسْتَأْخِرٍ .

\* \* \*

وَكَانَ لِأَبِي حَامِدٍ شَيْخٌ يُدْعَى يُوسُفَ النَّسَاجِ ،  
وَمِمَّا وَجِدَ بِحِطِّ قُطْبِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَرْدَبِيلِيِّ - كَمَا  
وَرَدَ فِي إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ لِلْسَّيِّدِ مُرْتَضَى - أَنَّهُ  
قَالَ ، قَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ : كُنْتُ فِي بَدَايَةِ أَمْرِي  
مُنْكَرًا لِأَحْوَالِ الصَّالِحِينَ ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ ، حَتَّى

(١) الوجل : الخوف

( ١٠ - الغزالي - أول )

شيخه  
النساج

صَحِبْتُ شَيْخِي يُوسُفَ النَّسَاجَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَصُقُّلِنِي  
بِالْمُجَاهِدَةِ حَتَّى حَضَيْتُ بِالْوَارِدَاتِ ، فَرَأَيْتُ اللَّهَ فِي  
الْمَنَامِ ، فَقَالَ لِي يَا أَبَا حَامِدٍ : فَقُلْتُ أَوِ الشَّيْطَانُ يُكَلِّمُنِي ؟  
قَالَ لَا ، بَلْ أَنَا اللَّهُ الْمُحِيطُ بِجِهَاتِكَ الَّتِي ، ثُمَّ قَالَ  
يَا أَبَا حَامِدٍ : ذَرِ مَسَاطِرَكَ ، وَأَصْحَبِ أَقْوَامًا جَعَلْتَهُمْ  
فِي أَرْضِي مَحَلَّ نَظَرِي ، وَهُمْ الَّذِينَ بَاعُوا الدَّارِينَ بِجُوبِي  
قُلْتُ : بَعِزَّتِكَ إِلَّا أَذَقْتَنِي بَرْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ ، قَالَ  
قَدْ فَعَلْتُ : وَالْقَاطِعُ يَبْنِيكَ وَيَبْنِيهِمْ تَشَاغُلَكَ بِحُبِّ الدُّنْيَا  
فَأَخْرُجْ مِنْهَا مُخْتَارًا ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا صَاحِرًا ، فَقَدْ  
أَفْضَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارًا مِنْ جِوَارِ قُدْسِي ، فَاسْتَيْقَظْتُ  
فَرِحًا مَسْرُورًا ، وَجِئْتُ إِلَى شَيْخِي يُوسُفَ النَّسَاجِ ،  
فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْمَنَامَ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ يَا أَبَا حَامِدٍ : هَذِهِ  
الْوَاخِنَا مَسْحَنَاهَا فِي الْبِدَايَةِ بِأَرْجُلِنَا ، بَلْ إِنْ صَحِبْتَنِي  
سَيُكْحَلُ بَصْرُ بَصِيرَتِكَ بِإِثْمِدِ التَّنَائِيدِ حَتَّى تَرَى الْعَرْشَ  
وَمَنْ حَوْلَهُ ، ثُمَّ لَا تَرْضَى بِذَلِكَ حَتَّى تُشَاهِدَ مَا لَا تُدْرِكُهُ



الْأَبْصَارُ ، فَتَصَفَّوْا مِنْ الْأَكْدَارِ طَبِيعَتِكُمْ ، وَتَرَقَى عَلَى  
طَوْرِ عَقْلِكُمْ ، وَتَسْمَعِ الْخِطَابَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى كَمُوسَى  
إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

\* \* \*

الحلوة  
والمجاهدة

وَنَقَلَ الشَّعْرَانِي فِي كِتَابِهِ الْأَجْوِبَةِ الْمَرْضِيَّةِ ، عَنْ  
الْحَسَنِ الْأَكْبَرِ مَا نَصَّهُ : وَكَانَ الْغَزَالِيُّ يَقُولُ : لَمَّا  
أَرَدْتُ أَنْ أَنْخَرِطَ فِي سِلْكِ الْقَوْمِ ، وَأَشْرَبَ مِنْ شَرَابِهِمْ  
نَظَرْتُ إِلَى نَفْسِي فَرَأَيْتُ كَثْرَةَ حُجُبِهَا ، - وَلَمْ يَكُنْ  
لَهُ شَيْخٌ إِذْ ذَاكَ - ، فَدَخَلْتُ الْخَلْوَةَ ، وَاشْتَمَلْتُ  
بِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَانْقَدَحَ لِي مِنْ  
الْعِلْمِ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَصْفَى وَأَرْقُ مِنْهُ مِمَّا كُنْتُ أَعْرِفُهُ  
فَنَظَرْتُ فِيهِ ، فَإِذَا فِيهِ قُوَّةٌ فِقْهِيَّةٌ ، فَرَجَعْتُ إِلَى  
الْخَلْوَةِ ، وَاشْتَمَلْتُ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالرِّيَاضَةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ،  
فَانْقَدَحَ لِي عِلْمٌ آخَرٌ ، أَرْقُ وَأَصْفَى مِمَّا حَصَلَ عِنْدِي  
أَوَّلًا ، فَفَرِحْتُ بِهِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فِيهِ ، فَإِذَا فِيهِ قُوَّةٌ

نَظَرِيَّةٌ ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْخُلُوعِ ثَلَاثًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ،  
فَأَتَقَدَّحَ لِي عِلْمٌ آخَرٌ ، هُوَ أَرْقٌ وَأَصْفَى ، فَنَظَرْتُ فِيهِ  
فَإِذَا فِيهِ قُوَّةٌ مَمْرُوجَةٌ بَعِلْمٍ ، وَلَمْ أَتُحَقِّقْ بِأَهْلِ الْعُلُومِ  
الَّذِيئِيَّةِ ، فَقُلْتُ : إِنَّ الْكِتَابَةَ عَلَى الْمَحْوِ لَيْسَتْ  
كَالْكِتَابَةِ عَلَى الصَّفَاءِ الْأَوَّلِ ، وَالطَّهَارَةِ الْأُولَى ، وَلَمْ  
أَتَمَيَّزْ عَنِ النُّظَارِ إِلَّا بِبَعْضِ أُمُورٍ .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَامِدٍ ،  
مَا كَانَ أَكْثَرَ إِنْصَافَهُ وَتَحَرُّزَهُ مِنَ الدَّعْوَى »

وَمِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْأَخِيرَةِ ، يَتَبَيَّنُ لَكَ مَبْلَغُ  
مُجَاهَدَتِهِ لِلْخِلَاصِ مِنْ دِرَاسَاتِهِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْفِقْهِيَّةِ ، وَمُحَاوَلَةِ  
التَّجَرُّدِ النَّفْسِيِّ ، أَسْتَعْدَادًا لِمَا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ .

\*\*\*

وَقَدْ وَصَفَ هَذِهِ الْمُجَاهَدَاتِ وَالْمُحَاوَلَاتِ فِي

كيف وصف  
رياضته النفسية

أَعْتِرَافَاتِهِ فِي كِتَابِ « الْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالِ » فَقَالَ : إِنَّهُ  
قَدْ وَجَدَ أَنَّ الْعِلْمَ بِطَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ

العرفان

العملِ بها ، فابتدأ بتحصيلِ علمهم من مُطالعةِ كتبهم ،  
فقرأ كتاب « قوتِ القلوب » لِأبي طالبِ المكيِّ ،  
وكتب الحارثِ المحاسبيِّ ، والمتفرقاتِ المأثورةَ عن  
الجنيدِ ، والشبليِّ ، وأبي يزيدِ البسطاميِّ ، وغيرِ ذلك  
من كتبِ مشايخهم ، كما حصل ما يُمكن أن يحصلَ  
من طريقهم بالسماعِ ، فكانت نديجةُ ذلك كله ،  
إذراكه أن أخصَّ خواصهم ، لا يُمكنه الوصولُ إليه  
بالتعلمِ المُجردِ ، بل بالذوقِ ، وهو في اصطلاحهم  
« نورُ عرفانيِّ » يقذفه الحقُّ بتجليه في قلوبِ أوليائه  
فيُفرقون به بين الحقِّ والباطلِ ، بغيرِ حاجةٍ إلى  
الاعتمادِ على كتابٍ أو نحوه ، كما يُدركُ بالحالِ ، وهي  
عند المتصوفةِ ، معنى يردُّ على القلبِ من غيرِ تصنعٍ  
ولا اجتلابٍ ولا اكتسابٍ ، من طربٍ أو حُزنٍ ، أو  
قبضٍ أو بسطٍ ، ويزولُ الحالُ بظهورِ صفاتِ النفسِ ،  
فإذا دام وصار ملكةً سُميَ مقامًا ، فالأحوالُ مواهبُ ،

وَالْمَقَامَاتُ مَكْسِبٌ ، وَالْأُولَى تَأْتِي مِنْ عَيْنِ الْجُودِ ،  
وَالثَّانِيَةُ بِيَذَلِ الْمَجْهُودِ ، وَأَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى بُلُوغِ هَذِهِ  
الْخَوَاصِّ بِغَيْرِ الْعَمَلِ الْمُقْتَرِنِ بِالْعِلْمِ ، فَإِنَّ تَمَّ فَارِقًا  
بَيْنَ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الزُّهْدِ وَشُرُوطِهَا وَأَسْبَابِهَا ، وَيَبِينُ  
أَنْ تَكُونَ حَالِكًا هِيَ الزُّهْدُ وَالْعَزُوفُ <sup>(١)</sup> وَالْإِعْرَاضَ  
عَنِ الدُّنْيَا ، وَمَا فِيهَا مِنْ لَذَاتٍ وَمُتَعٍ كَثِيرَةٍ .

وَفِي هَذَا يَقُولُ الْعَزَالِيُّ فِي أَعْتِرَافَاتِهِ : فَعَلِمْتُ  
يَقِينًا أَنَّهُمْ أَرْبَابُ الْأَحْوَالِ ، لَا أَصْحَابُ الْأَقْوَالِ ،  
وَأَنْ مَا يُمَكِّنُ تَحْصِيلَهُ بِطَرِيقِ الْعِلْمِ قَدْ حَصَلَتْهُ ، وَلَمْ  
يَبْقَ إِلَّا مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ بِالسَّمَاعِ وَالتَّعَلُّمِ ، « بَلْ  
بِالدُّوْقِ وَالسُّلُوكِ » ، وَكَانَ قَدْ حَصَلَ مَعِيَ مِنَ الْعُلُومِ  
الَّتِي مَارَسْتُهَا ، وَالْمَسَالِكِ الَّتِي سَلَكَتُهَا فِي التَّفْتِيْشِ  
عَنْ صِنْفِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ ، « إِعْمَانٌ يَقِينِي  
بِاللَّهِ تَعَالَى » وَبِالنَّبُوءَةِ ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَهَذِهِ الْأَحْوَالُ

(١) العزوف : الانصراف عن الشيء

الثَلَاثَةُ مِنَ الْإِيمَانِ ، كَانَتْ قَدْ رَسَخَتْ فِي نَفْسِي ، لَا  
بَدِيلَ مُعَيَّنٍ مُجَرَّدٍ ، بَلْ بِأَسْبَابٍ وَقَرَائِنَ وَتَجَارِبَ ،  
لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ تَفَاصِيلُهَا .

وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ عِنْدِي أَنْ لَا طَمَعَ لِي فِي سَعَادَةِ  
الْآخِرَةِ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ، وَكَفِّ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى ،  
وَأَنْ رَأْسَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، قَطْعُ عِلَاقَةِ الْقَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا ،  
بِالتَّجَانِي عَنِ دَارِ النُّرُورِ . وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ،  
وَالْإِقْبَالَ بِكُنْهِهِ الْهِمَّةَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ  
إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْعِبَاهِ وَالْعَمَالِ ، وَالْهَرَبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ  
وَالْعَوَاقِقِ ، ثُمَّ لَاحَظْتُ أَحْوَالِي ، فَإِذَا أَنَا مُنْغَمِسٌ فِي  
الْعَمَلَاتِقِ ، وَقَدْ أَحْدَقْتُ بِي مِنَ الْجَوَانِبِ ، وَلَاحَظْتُ  
أَعْمَالِي وَأَحْسَنْهَا التَّدْرِيسُ وَالتَّعْلِيمُ ، فَإِذَا أَنَا فِيهَا مُقْبِلٌ  
عَلَى عُلُومٍ غَيْرِ مُهِمَّةٍ ، وَلَا نَافِعَةٍ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ .  
وَقَدْ مَرَّ بِكَ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ كَيْفَ أَجْمَعَ أَمْرَهُ  
عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ بَغْدَادَ التِّمَاسَا لِلْعَزَلَةِ ، وَبَدَأَ حَيَاةَ

التَّطَوُّافِ وَالتَّجَوُّابِ ، مُنْقَطِعًا إِلَى الْعِبَادَةِ ، وَالتَّقَرُّبِ  
إِلَى اللَّهِ بِالتَّجَرُّدِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالرَّغَبَاتِ ، وَالطَّمَعِ فِي  
الدُّنْيَا ، وَعُرُوضِهَا الْفَانِيَةِ ، وَكَيْفَ لَبِثَ عَلَى ذَلِكَ  
عَشْرَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ فِي عَيْشٍ خَشِنٍ ، وَطُولٍ تَنْقُلُ  
وَتَجْوَالِ .

وَفِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ الْخَطِيرَةِ مِنْ حَيَاتِهِ ، أَنْكَشَفَتْ  
لَهُ فِي خِلَالِ نَجْوَاهُ وَخَلَوَاتِهِ لِلْعِبَادَةِ ، وَالتَّكْوِينِ عَلَى  
ذِكْرِ اللَّهِ ، أُمُورٌ وَصَفَهَا فِي اعْتِرَافَاتِهِ بِقَوْلِهِ : إِنَّهَا  
لَا يُمَكِّنُ إِحْصَاؤُهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا ، وَلَكِنَّهُ يَذْكَرُ  
يَسِيرًا مِنْهَا لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهِ .

\*\*

وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ فِي اعْتِرَافَاتِهِ : إِنِّي عَلِمْتُ يَقِينًا  
أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمُ السَّالِكُونَ لِطَرِيقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً ،  
وَأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحْسَنُ السَّيْرِ ، وَطَرِيقَهُمْ أَصَوَّبُ الطَّرِيقِ ،  
وَأَخْلَاقُهُمْ أَرْكَى الْأَخْلَاقِ ، بَلْ لَوْ جُمِعَ عَقْلُ الْمُعْلَاهِ ،

الصوفية  
في تفديره

وَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ ، وَعِلْمُ الْوَاقِفِينَ عَلَى أَسْرَارِ الشَّرْعِ  
مِنَ الْعُلَمَاءِ ، يُغَيِّرُوا شَيْئًا مِنْ سِيرِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ ،  
وَيَبَدِّلُوهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، فَإِنَّ  
جَمِيعَ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ ، فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ ،  
مُقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِ مَشْكَاةٍ <sup>(١)</sup> النَّبُوَّةِ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ نُورِ  
النَّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ، وَبِالْجُمْلَةِ  
فَمَاذَا يَقُولُ الْقَائِلُونَ فِي طَرِيقَةِ طَهَارَتِهَا - وَهِيَ أَوْلُ  
شُرُوطِهَا - تَطْهِيرُ الْقَلْبِ بِالْكَلِمَةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ،  
وَمِفْتَاحُهَا الْجَارِي مِنْهَا تَجْرِي التَّحْرِيمِ مِنَ الصَّلَاةِ <sup>(٢)</sup>  
اسْتِغْرَاقُ الْقَلْبِ بِالْكَلِمَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَآخِرُهَا الْفَنَاءُ  
بِالْكَلِمَةِ فِي اللَّهِ ، وَهَذَا آخِرُهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا يَكَادُ

(١) المشكاة : السكوة غير النافذة في الحائظ بوضع فيها المصباح .  
والعمود الذي يكون المصباح على رأسه . والحديدة التي توضع  
فيها فتيلة

(٢) يعني أن مفتاح هذه الطريقة هو استغراق القلب بذكر الله كلمة  
كما أن مفتاح الصلاة هو تكبيرة التحريم التي تبدأ الصلاة بها .

يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَخْتِيَارِ وَالْكَسْبِ فِي أَوَائِلِهَا ، وَهِيَ  
عَلَى التَّحْقِيقِ أَوَّلُ الطَّرِيقَةِ ، وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ كَالدَّهْلِيزِ  
لِلسَّالِكِ إِلَيْهِ .

وَمِنْ أَوَّلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ تَبْتَدِيءُ الْمُكَاشَفَاتُ ،  
حَتَّى إِنَّهُمْ فِي يَقْظَتِهِمْ يُشَاهِدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَأَرْوَاحَ  
الْأَنْبِيَاءِ ، وَيَسْمَعُونَ مِنْهُمْ أَصْوَاتًا وَيَقْتَبِسُونَ مِنْهُمْ قَوَائِدَ ،  
ثُمَّ يَرْتَقِي الْحَالُ ، مِنْ مُشَاهَدَةِ الصُّورِ وَالْأَمْثَالِ ، إِلَى  
دَرَجَاتٍ يَضِيقُ عَنْهَا نِطَاقُ النُّطْقِ ، فَلَا يُحَاوِلُ مُعَبَّرٌ  
أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهَا إِلَّا إِذَا اشْتَمَلَ لَفْظُهُ عَلَى خَطَأٍ صَرِيحٍ  
لَا يُمَكِّنُهُ الْأَحْتِرَازُ عَنْهُ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ يَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَى قُرْبٍ يَكَادُ  
يَتَخَيَّلُ مِنْهُ طَائِفَةُ الْحُلُولِ ، وَطَائِفَةُ الْأَتِّحَادِ ، وَطَائِفَةُ  
الْوُصُولِ وَكُلُّ ذَلِكَ خَطَأٌ ، وَقَدْ بَدَّنَا وَجْهَ الْخَطَأِ فِيهِ  
فِي كِتَابِ « الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى » بَلِ الَّذِي لَابَسْتَهُ تِلْكَ  
الْحَالَةُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَزِيدَ عَلَى أَنْ يَقُولَ :



وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكَرُهُ

فَظُنُّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبَرِ (١)

\*\*\*

إدراك  
الصوفية بالذوق

« وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ لَمْ يُرْزَقْ مِنْهُ شَيْئًا بِالذَّوْقِ ،  
فَلَيْسَ يُدْرِكُ مِنْ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْأَسْمَ ، وَكَرَامَاتُ  
الْأَوْلِيَاءِ هِيَ عَلَى التَّحْقِيقِ بَدَايَاتُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَانَ ذَلِكَ  
أَوَّلَ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، حِينَ أَقْبَلَ  
عَلَى غَارِ حِرَاءَ ، حِينَ كَانَ يَخْلُو فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَتَعَبَّدُ حَتَّى  
قَالَتْ الْعَرَبُ : « إِنَّ مُحَمَّدًا عَشِيقَ رَبِّهِ » ؟

« وَهَذِهِ حَالَةٌ يَتَحَقَّقُهَا بِالذَّوْقِ ، مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهَا ،  
فَمَنْ لَمْ يُرْزَقِ الذَّوْقَ فَيَتَيَقَّنُهَا بِالتَّجْرِبَةِ وَالتَّسَامُعِ ،  
إِنَّ أَكْثَرَ مَعَهُمُ الصُّحْبَةَ ، حَتَّى يَفْهَمَ ذَلِكَ بِقِرَائِنِ  
الْأَحْوَالِ يَقِينًا ، وَمَنْ جَالَسَهُمْ اسْتَفَادَ مِنْهُمْ هَذَا الْإِيمَانَ ،  
فَهُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ ، وَمَنْ لَمْ يُرْزَقِ صُحْبَتَهُمْ

فَلْيَعْلَمْ إِمْكَانَ ذَلِكَ يَقِينًا بِشَوَاهِدِ الْبُرْهَانِ ، عَلَى  
مَا ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ « عَجَائِبِ الْقَلْبِ ، مِنْ كُتُبِ  
إِخْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » .

وَالْتَحْقِيقُ بِالْبُرْهَانِ عِلْمٌ ، وَمُلَابَسَةُ عَيْنِ تِلْكَ الْحَالَةِ  
ذَوْقٌ ، وَالْقَبُولُ مِنَ النَّسَائِعِ وَالتَّجْرِبَةُ بِحُسْنِ الظَّنِّ  
إِيمَانٌ .

« فَهَذِهِ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ » « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »

وَوَرَاءَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ جُهَالٌ ، هُمُ الْمُنْكَرُونَ لِأَصْلِ  
ذَلِكَ ، الْمُتَعَجِّبُونَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ، يَسْتَمِعُونَ  
وَيَسْتَخْرُونَ ، وَيَقُولُونَ الْعَجَبُ ؟ إِنَّهُمْ كَيْفَ يَهْدُونَ (١) ؟  
وَفِيهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى  
إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ  
آنِفًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا  
أَهْوَاءَهُمْ » .

(١) يهدون : يتكلمون كلاما لا أصل له

وَنَحْسَبُ هَذَا الَّذِي تَقَلَّنَاهُ لَكَ مِنْ أَعْتِرَافَاتِهِ بِسَبِيلِ  
مَا تَأْتَى (١) لَهُ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ ، يَدُلُّكَ  
عَلَى حَقِيقَةِ حَالِهِ النَّفْسِيَّةِ فِي عَزَلَتِهِ ، وَيُؤَدِّي لَكَ جَانِبًا  
مِنْ صُورَةِ حَيَاتِهِ ، فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ مِنْ شَأْنِهِ وَأَدْوَارِ  
عُمُرِهِ ، وَهِيَ صُورَةٌ صَوَّرَهَا هُوَ فِي أَعْتِرَافَاتِهِ - كَمَا  
رَأَيْتَ - فِي أَدَقِّ الْبَرَاعَةِ ، وَأَعْجَبِ الْاِفْتِنَانِ ، وَأَسْحَرِ  
الْبَيَانِ ، كَأَنَّكَ تَلْمِسُ شُعُورَهُ لَمَسًا فِي ثَنَائَا وَصْفِهِ ،  
وَخِلَالَ رِقَّةٍ تَعْبِيرِهِ .

لَقَدْ ذَاقَ الْغَزَالِيُّ الصُّوفِيَّةَ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَمُلَابَسَةٍ ،  
وَتَجَرَّدَ لَهَا مِنْ كُلِّ مُتَعِ الْمَادَّةِ ، وَلِذَاذَاتِ الْجَسَدِ ، حَتَّى  
أَرْتَقَى بِهَا إِلَى دَرَجَةِ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ ، وَإِنْ  
كُنَّا نَحْسَبُهُ لَمْ يَرُقْ بِهَا إِلَى دَرَجَاتِ السُّلُوكِ وَالْوُصُولِ ،  
لِأَنَّهُ لَمْ يَصِفْهَا وَلَمْ يُبَيِّنْ حَالَاتِهَا ، كَمَا فَعَلَ ابْنُ سِينَا  
فِي كِتَابِ « الْإِشَارَاتِ » ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ دَرَجَاتِ  
الْاِتِّحَادِ وَالْفَنَاءِ مَبْلَغَ « الْحَلَّاجِ » .

وَقَدْ رَأَيْنَا الْغَزَالِيَّ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ يَنْشِي عَنْ عَزَلَتِهِ  
وَيُعَاوِدُ النَّاسَ ، وَيَسْتَأْنِفُ التَّدْرِيسَ بَعْدَ طِيلَةٍ انْقِطَاعِ ،  
وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي  
أَوْتِيَهَا فِي الْعُزْلَةِ ، فَظَلَّ صُوفِيًّا إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ

\* \* \*

وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنِ الدَّوَاعِجِ الَّتِي دَفَعَتْهُ إِلَى تَرْكِ  
الْعُزْلَةِ ، وَالْبَوَاعِثِ الَّتِي حَفَزَتْهُ إِلَى اسْتِنْفَافِ حَيَاةِ  
الْعِلْمِ فِي الْحَقِّ ، فَقَالَ فِي اعْتِرَافَاتِهِ : ثُمَّ إِنِّي لَمَّا وَاظَبْتُ  
عَلَى الْعُزْلَةِ وَالْخُلُوعِ قَرِيبًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ، بَانَ لِي فِي  
أَثْنَاءِ ذَلِكَ - عَلَى الضَّرُورَةِ مِنْ أَسْبَابٍ لَا أَحْصِيهَا ، مَرَّةً  
بِالدُّوقِ ، وَمَرَّةً بِالْعِلْمِ الْبُرْهَانِيِّ ، وَمَرَّةً بِالْقَبُولِ الْإِيمَانِيِّ -  
أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ بَدَنِ وَقَلْبٍ ، وَأَعْيَى بِالْقَلْبِ  
حَقِيقَةَ رُوحِهِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، دُونَ اللَّحْمِ  
وَالدَّمِ الَّذِي يُشَارِكُ فِيهِ أَلْمِيتَ وَالْبَهِيمَةَ ، وَأَنَّ الْبَدَنَ  
لَهُ صِحَّةٌ بِهَا سَعَادَتُهُ ، وَمَرَضٌ فِيهِ هَلَاكُهُ ، وَأَنَّ الْقَلْبَ

لماذا ترك  
العزلة

كَذَلِكَ لَهُ صِحَّةٌ وَسَلَامَةٌ ، وَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ  
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، وَلَهُ مَرَضٌ فِيهِ هَلَاكُهُ الْأَبَدِيُّ  
وَالْأُخْرَوِيُّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ »  
وَأَنَّ الْجَهْلَ بِاللَّهِ سُمْ مُهْلِكٌ ، وَأَنَّ مَعْصِيَةَ اللَّهِ بِمُتَابَعَةِ  
الْهَوَى دَاوَهُ الْمُرِضُ ، وَأَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَرِيَاقُهُ (١)  
الْمُحْيِي ، وَطَاعَتُهُ بِمُخَالَفَةِ الْهَوَى دَوَاؤُهُ الشَّافِي ، وَأَنَّهُ  
لَا سَبِيلَ إِلَى مُعَالَجَتِهِ بِإِزَالَةِ مَرَضِهِ وَكَسْبِ صِحَّتِهِ  
إِلَّا بِأَدْوِيَةٍ ، كَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى مُعَالَجَةِ الْبَدَنِ إِلَّا  
بِذَلِكَ ، وَكَمَا أَنَّ أَدْوِيَةَ الْبَدَنِ تُؤَثِّرُ فِي كَسْبِ الصِّحَّةِ  
بِخَاصِّيَّةٍ فِيهَا ، لَا يُدْرِكُهَا الْعُقْلَاءُ بِبِضَاعَةِ الْعَقْلِ ، بَلْ يَجِبُ  
فِيهَا تَقْلِيدُ الْأَطِبَّاءِ الَّذِينَ أَخَذُوهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ  
أَطْلَعُوا بِخَاصِّيَّةِ النُّبُوَّةِ عَلَى خَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ ، فَكَذَلِكَ بَانَ  
لِي عَلَى الضَّرُورَةِ أَنَّ أَدْوِيَةَ الْعِبَادَاتِ بِحُدُودِهَا وَمَقَادِيرِهَا  
الْمَحْدُودَةِ الْمُقَدَّرَةِ مِنْ جِهَةِ الْأَنْبِيَاءِ لَا يُدْرِكُ وَجْهُ تَأْثِيرِهَا  
بِبِضَاعَةِ عَقْلِ الْعُقْلَاءِ ، بَلْ يَجِبُ فِيهَا تَقْلِيدُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ

أَدْرَكُوا تِلْكَ الْخَوَاصَّ بِنُورِ النُّبُوَّةِ لَا بِبِضَاعَةِ الْعَقْلِ ..  
وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَلَا أَنْبِيَاءَ أَطِبَّاءَ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ ، وَإِنَّمَا  
فَائِدَةُ الْعَقْلِ وَتَصَرُّفُهُ ، أَنَّهُ عَرَفَ ذَلِكَ ، وَشَهِدَ لِلنُّبُوَّةِ  
بِالتَّصَدِيقِ ، وَلِنَفْسِهِ بِالْعَجْزِ عَنِ دَرَكِ مَا يُدْرِكُ مَعِينُ  
النُّبُوَّةِ ، وَأَخَذَ بِأَيْدِينَا فَسَلَّمْنَا إِلَيْهَا تَسْلِيمَ الْعِمْيَانِ إِلَى  
الْقَائِدِينَ ، وَتَسْلِيمَ الْمَرْضَى الْمُتَحِيرِينَ إِلَى الْأَطِبَّاءِ  
الْمُسْتَفِيقِينَ . وَإِلَى هُنَا مَجْرَى الْعَقْلِ وَمُخْطَاطُهُ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ  
عَنْ مَا بَعْدَ ذَلِكَ ، إِلَّا عَنْ تَفْهَمِ مَا يُلْقِيهِ الطَّبِيبُ  
إِلَيْهِ .

\*\*\*

فَهَذِهِ أُمُورٌ عَرَفْنَاهَا بِالضَّرُورَةِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى  
الْمُشَاهَدَةِ . فِي مُدَّةِ الْخَلْوَةِ وَالْعِزْلَةِ ، ثُمَّ رَأَيْنَا فُتُورَ  
الْإِعْتِقَادَاتِ فِي أَصْلِ النُّبُوَّةِ ، ثُمَّ فِي حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ ، ثُمَّ  
بِالْعَمَلِ بِمَا شَرَحْتُهُ النُّبُوَّةُ ، وَتَحَقَّقْنَا شُيُوعَ ذَلِكَ بَيْنَ  
الْخَلْقِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى أَسْبَابِ فُتُورِ الْخَلْقِ وَضَعْفِ إِيمَانِهِمْ ،  
فَإِذَا هِيَ أَرْبَعَةٌ :

أسباب ضعف  
الإيمان

(١) الْخَوْضُ فِي عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ (٢) الْخَوْضُ فِي طَرِيقِ  
التَّصَوُّفِ (٣) الْإِنْتِسَابُ إِلَى دَعْوَى التَّعْلِيمِ (٤) مُعَامَلَةٌ  
الْمُوسُومِينَ<sup>(١)</sup> بِالْعِلْمِ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ .  
فَإِنِّي تَبِعْتُ مُدَّةَ آحَادٍ أُخْلِقِ ، أَسْأَلُ مَنْ يُقْصِرُ  
مِنْهُمْ فِي مُتَابَعَةِ الشَّرْعِ ، وَأَسْأَلُ عَنْ شُبُهَتِهِ ، وَأُبْحَثُ  
عَنْ عَقِيدَتِهِ وَسِرِّهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا لَكَ تُقْصِرُ فِيهَا ؟ فَإِنْ  
كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ ، وَاسْتَعْدَّ لَهَا وَتَبِعَهَا بِالذُّنْيَا ،  
فَهَذِهِ حِمَاةٌ ، فَإِنَّكَ لَا تَبِيعُ الْإِنْسَانَ بِوَاحِدٍ ، فَكَيْفَ  
تَبِيعُ مَا لَانَهَايَةَ لَهُ بِأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ ؟ وَإِنْ كُنْتَ لَا  
تُؤْمِنُ فَأَنْتَ كَافِرٌ ، فَدَبَّرْ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ الْإِيمَانِ ،  
وَأَنْظِرْ مَا سَبَبُ كُفْرِكَ الْخَفِيُّ ؟ الَّذِي هُوَ مَذْهَبُكَ  
بِاطِنًا ، وَهُوَ سَبَبُ جُرْأَتِكَ ظَاهِرًا ، وَإِنْ كُنْتَ لَا  
لَا تُصْرِّحُ بِهِ تَجَمُّلاً بِالْإِيمَانِ ، وَتَشْرَفًا بِذِكْرِ الشَّرْعِ .  
فَقَائِلٌ يَقُولُ : هَذَا أَمْرٌ لَوْ وَجِبَتْ الْمَحَافِظَةُ عَلَيْهِ ، لَأَكَانَ

(١) الموسومين : المتصفين

العلماء أجدر بذلك ، وفلان من المشاهير بين  
الفضلاء لا يصلي ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل  
أموال الأوقاف ، وأموال اليتامى ، وفلان يأكل  
إذرار<sup>(١)</sup> السلطان ، ولا يحترز عن الحرام ، وفلان  
يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة ، وهلم جرا إلى  
أمثاله .

وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويؤمن أنه قد  
بلغ مبلغا ترقى عن الحاجة إلى العبادة .

وقائل ثالث يتعمل بشبهة أخرى من شبهات أهل  
الإباحة ، وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

وقائل رابع لقي أهل التعليم فيقول: الحق مشكل ،  
والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس  
بعض المذاهب أولى من بعض ، وأدلة العقول  
متعارضة ، فلا ثقة برأي أهل الرأي ، والداعي إلى

(١) إدرار السلطان : الخيرات الكثيرة



التَّعْلِيمِ مُتَحَكِّمٌ لَا حُجَّةَ لَهُ ، فَكَيْفَ أَدْعُ الْيَقِينَ  
بِالشَّكِّ ؟

وَقَائِلُ خَامِسٌ يَقُولُ : أَسْتُ أَفْعَلُ هَذَا تَقْلِيدًا ،  
وَلَكِنْ قَرَأْتُ عِلْمَ الْفَلَسَفَةِ ، وَأَذْرَكْتُ حَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ ،  
وَأَنَّ حَاصِلَهَا يَرْجِعُ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ ، وَأَنَّ  
الْمَقْصُودَ مِنْ تَعْبُدَاتِهَا ، ضَبْطُ عَوَامِّ الْخَلْقِ وَتَقْيِيدُهُمْ عَنِ  
التَّقَاتِلِ وَالتَّنَازُعِ ، وَالاسْتِرْسَالِ فِي الشَّهَوَاتِ ، فَمَا أَنَا  
مِنَ الْعَوَامِّ الْجُهَالِ حَتَّى أُدْخَلَ فِي حَجْرٍ <sup>(١)</sup> التَّكْلِيفِ ،  
وَإِنَّمَا أَنَا مِنَ الْحُكَمَاءِ ، أَتَّبِعُ الْحِكْمَةَ وَأَنَا بَصِيرٌ بِهَا ،  
مُسْتَعْنٍ فِيهَا عَنِ التَّقْلِيدِ .

هَذَا مُنْتَهَى إِيمَانٍ مَنْ قَرَأَ مَذْهَبَ فِلْسَفَةِ الْإِلَهِيِّينَ  
مِنْهُمْ ، وَتَعَلَّمَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ ابْنِ سِينَا ، وَأَبِي نَصْرِ  
الْفَارَابِيِّ ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَجَمِّلُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَرُبَّمَا  
تَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَحْضُرُ الْجَمَاعَاتِ ،

وَيُقِيمُ الصَّلَوَاتِ ، وَيُعَظُّ الشَّرِيعَةَ بِلِسَانِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَعَ  
ذَلِكَ لَا يَتْرُكُ شُرْبَ الخَمْرِ ، وَأَنْوَاعًا مِنَ الفِسْقِ  
وَالْفُجُورِ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ : إِنْ كَانَتِ النُّبُوَّةُ غَيْرَ صَحِيحَةٍ  
فَلِمَ تَصَلَّى ؟ فَرُبَّمَا أَجَابَكَ قَائِلًا : لِرِيَاضَةِ الجَسَدِ ، وَلِعَادَةِ  
أَهْلِ البَلَدِ ، وَحِفْظِ المَالِ وَالوَالِدِ ، وَرُبَّمَا قَالَ : الشَّرِيعَةُ  
صَحِيحَةٌ ، وَالنُّبُوَّةُ حَقٌّ ، فَيُقَالُ فَلِمَ تَشْرَبُ الخَمْرَ ؟  
فَيَقُولُ : إِنَّمَا نُهِيَ عَنِ الخَمْرِ ، لِأَنَّهَا تُورِثُ العِدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ ،  
وَأَنَا بِحِكْمَتِي مُحْتَرِزٌ <sup>(١)</sup> عَنِ ذَلِكَ ، وَإِنِّي أَقْصِدُ بِهِ تَشْحِيدَ  
خَاطِرِي ، حَتَّى إِنْ أَبْنَى سِينَا ذَكَرَ فِي وَصِيَّةٍ لَهُ كَتَبَ  
فِيهَا : أَنَّهُ عَاهَدَ اللهُ عَلَى كَذَا وَكَذَا ، وَأَنْ يُعَظَّمَ الأَوْضَاعَ  
الشَّرْعِيَّةَ ، وَلَا يُقَصَّرَ فِي العِبَادَاتِ الدِّينِيَّةِ ، وَلَا يَشْرَبَ  
تَلَهِيًّا ، بَلْ تَدَاوِيًّا وَتَشَافِيًّا ، فَكَانَ مُنْتَهَى حَالَتِهِ ، فِي  
صَفَاءِ الإِيمَانِ ، وَالتَّزَامِ العِبَادَاتِ ، أَنْ أُسْتَشْنَى شُرْبَ  
الخَمْرِ لِعَرَضِ التَّشَافِي ، فَهَذَا إِيمَانٌ مَنْ يَدَّعِي الإِيمَانَ

مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَخَذَعَ بِهِمْ جَمَاعَةٌ ، زَادَهُمْ أَخِذَاعًا ضَعْفُ  
أَعْتِرَاضِ الْمُعْتَرِضِينَ عَلَيْهِمْ ، إِذْ أَعْتَرَضُوا بِمُجَاحَدَةِ عِلْمِ  
الْهَنْدَسَةِ وَالْمَنْطِقِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لَهُمْ ، عَلَى  
مَا يَبَيِّنَا عِلَّتَهُ مِنْ قَبْلُ .

فَلَمَّا رَأَيْتُمْ مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ ، مَنْ ضَعْفَ إِيمَانَهُمْ إِلَى  
هَذَا أَحَدٍ بِهَذِهِ الْأَسْبَابِ ، وَرَأَيْتُمْ نَفْسِي مُلَبَّةً <sup>(١)</sup> بِكَشْفِ  
هَذِهِ الشُّبْهَةِ ، حَتَّى كَانَ إِفْضَاحُ <sup>(٢)</sup> هَوْلَاءِ أَيْسَرَ عِنْدِي مِنْ  
شَرِبَةِ مَاءٍ ، لِكَثْرَةِ خَوْضِي فِي عُلُومِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ،  
أَعْنِي طُرُقَ الصُّوفِيَّةِ وَالْفَلَّاسِفَةِ ، وَالتَّعْلِيمِيَّةِ وَالْمُتَوَسِّمِينَ  
مِنَ الْعُلَمَاءِ ، انْقَدَحَ فِي نَفْسِي أَنَّ ذَلِكَ مُتَعَيَّنٌ فِي هَذَا  
الْوَقْتِ مَحْتُومٌ ، فَمَاذَا تُغْنِيكَ الْخَلْوَةُ وَالْعَزَاةُ ، وَقَدْ عَمَّ  
الدَّاءُ ، وَمَرِضَ الْأَطِبَّاءُ ، وَأَشْرَفَ الْخَلْقُ عَلَى الْهَلَاكِ .  
ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي : مَتَى تَشْتَغِلُ أَنْتَ بِكَشْفِ هَذِهِ  
النَّمَةِ ؟ وَمُصَادَمَةِ هَذِهِ الظُّلْمَةِ ، وَأَزْمَانُ زَمَانِ الْفِتْرَِةِ ،  
وَالدَّوْرُ دَوْرُ الْبَاهِلِ ، وَلَوْ أَشْتَغَلْتَ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ ،

(١) ملبة : متجهة (٢) المصدر المعروف في اللغة « فضح »

عَنْ طُرُقِهِمْ إِلَى الْحَقِّ لَعَادَاكَ أَهْلُ الزَّمَانِ بِأَجْمَعِهِمْ ،  
وَأَنَّى تُقَاوِمُهُمْ ؟ وَكَيْفَ تُعَايِشُهُمْ ؟ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا  
بِزَمَانٍ مُسَاعِدٍ ، وَسُلْطَانٍ مُتَدَيِّنٍ قَاهِرٍ ، فَتَرَحَّصْتُ  
بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى الْعُزْلَةِ ، تَعَلُّلاً  
بِالْعَجْزِ عَنْ إِظْهَارِ الْحَقِّ بِالْحُجَّةِ ، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ  
حَرَكَ دَاعِيَةَ سُلْطَانِ الْوَقْتِ مِنْ نَفْسِهِ ، لَا بِتَحْرِيكِكَ مِنْ  
خَارِجٍ ، فَأَمَرَ أَمْرَ الْإِزَامِ بِالنُّهُوضِ إِلَى نَيْسَابُورَ ، لِتَدَارُكَ  
هَذِهِ الْفِتْرَةَ ، وَبَلَغَ الْإِزَامُ حَدًّا كَانَ يَنْتَهِي - لَوْ أُضْرَرْتُ  
عَلَى الْخِلَافِ - إِلَى حَدِّ الْوَحْشَةِ ، فَخَطَرَ لِي أَنْ سَبَبَ  
الرُّخْصَةَ قَدْ ضَعُفَ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَاعِثُكَ عَلَى  
مُلَازِمَةِ الْعُزْلَةِ الْكَسَلِ وَالِاسْتِرَاحَةِ ، وَطَلَبُ عِزَّةِ  
النَّفْسِ ، وَصَوْنُهَا عَنْ أَذَى الْخَلْقِ ، وَلَمْ تُرَخِّصْ لِنَفْسِكَ  
إِلَّا الْمُسْرِمَةَ مُعَانَاةَ الْخَلْقِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ، « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا  
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » آيَةً ،  
وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ وَهُوَ أَعَزُّ خَلْقِهِ : « وَلَقَدْ

كذَّبت رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا ،  
 حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ  
 مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ « وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » بِسْمِ اللَّهِ  
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، يَس ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ « إِلَى قَوْلِهِ :  
 « إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ » . فَشَاوَرْتُ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةً مِنْ  
 أَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَالْمُشَاهِدَاتِ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى الْإِشَارَةِ  
 بِتَرْكِ الْعُزْلَةِ ، وَالْخُرُوجِ مِنَ الزَّوَايَةِ ، وَأَنْصَفَ إِلَى  
 ذَلِكَ مَنَامَاتٌ مِنَ الصَّالِحِينَ كَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ ، تَشْهَدُ بِأَنَّ  
 هَذِهِ الْحُرْكََةَ مَبْدَأُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، قَدَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمِائَةِ ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِإِخْيَاءِ  
 دِينِهِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ <sup>(١)</sup> ، فَاسْتَحْكَمَ الرَّجَاءُ ، وَغَلَبَ  
 حُسْنُ الظَّنِّ بِسَبَبِ هَذِهِ الشَّهَادَاتِ ، وَيَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى  
 الْحُرْكََةَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، لِلْقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْأَمِيمِ فِي

(١) يشير إلى الحديث النبوي الشريف القائل « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة .

ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ تِسْعَ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَبَلَغَتْ  
مُدَّةَ الْعِزَّةِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَذِهِ حَرَكَةٌ قَدَرَهَا  
اللَّهُ تَعَالَى ، وَهِيَ مِنْ عَجَائِبِ تَقْدِيرَاتِهِ الَّتِي لَمْ  
يَكُنْ لَهَا أَنْقِدَاحٌ فِي الْقَلْبِ فِي هَذِهِ الْعِزَّةِ ، كَمَا لَمْ  
يَكُنِ الْخُرُوجُ مِنْ بَغْدَادَ ، وَالنُّزُوعُ عَنْ تِلْكَ الْأَحْوَالِ  
مِمَّا خَطَرَ إِمْكَانُهُ أَضْلًا بِالْبَالِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُقَلِّبُ  
الْقُلُوبِ وَالْأَحْوَالِ ، وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ  
أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ (١) ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنِّي وَإِنْ رَجَعْتُ إِلَى  
نَشْرِ الْعِلْمِ فَمَا رَجَعْتُ ، فَإِنَّ الرَّجُوعَ عَوْدٌ إِلَى مَا كَانَ ،  
وَكَنتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنْشَرُ الْعِلْمَ الَّذِي بِهِ يُكْسَبُ  
الْجَاهُ ، وَأَدْعُو إِلَيْهِ بِقَوْلِي وَعَمَلِي ، وَكَانَ ذَلِكَ قَصْدِي  
وَرِيَّتِي ، وَأَمَّا الْآنَ فَأَدْعُو إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي بِهِ يُتْرَكُ  
الْجَاهُ ، وَيُعْرَفُ بِهِ سُقُوطُ رُتْبَةِ الْجَاهِ ، هَذَا هُوَ الْآنَ

(١) جاء في صحيح مسلم في الجزء الثاني بالصفحة ٣٠١ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف شاء » . « عن ابن عمرو »

نَيْتِي وَقَصْدِي وَأَمْنِيَّتِي ، يَعْلَمُ اللهُ ذَلِكَ مِنِّي ، وَأَنَا ابْنِي  
أَنْ أَصْلِحَ نَفْسِي وَغَيْرِي ، وَلَسْتُ أَذْرِي ، أَصِلُ إِلَى مُرَادِي  
أَمْ أَخْتَرَمُ<sup>(١)</sup> دُونَ غَرَضِي ، وَلَسَكِنِّي أَوْ مِنْ إِيْمَانٍ يَقِينٍ  
وَمُشَاهَدَةٍ أَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ،  
وَأَنِّي لَمْ أَتَحَرَّكَ وَلَسَكِنَّهُ حَرَّ كَنِّي ، وَأَنِّي لَمْ أَعْمَلْ  
لَسَكِنَّهُ اسْتَعْمَلَنِي ، فَاسْأَلُهُ أَنْ يُصْلِحَنِي أَوْلًا ، ثُمَّ  
يُصْلِحَ بِي وَيَهْدِيَنِي ثُمَّ يَهْدِيَ بِي ، وَأَنْ يُرِيَنِي الْحَقَّ  
حَقًّا ، وَيَرْزُقَنِي أَتْبَاعَهُ ، وَيُرِيَنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا ، وَيَرْزُقَنِي  
أَجْتِنَابَهُ .

هَذَا مَا حَدَّثَ بِهِ الْغَزَالِيُّ ، فِي كِتَابِ « الْمُنْقِذِ مِنَ  
الضَّلَالِ » بِسَبِيلِ دَوَافِعِهِ إِلَى مُعَاوَدَةِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ  
بَعْدَ الْعُزْلَةِ الْمُسْتَطِيلَةِ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُفْهَمَ  
النَّاسَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ عَادَ إِلَى النَّاسِ ، فَقَدْ رَجَعَ إِلَيْهِمْ  
كَمَا كَانَ أَمْرُهُ مِنْ قَبْلُ وَشَأْنُهُ ، وَلَسَكِنَّهُ عَادَ بِنَفْسِ  
جَدِيدَةٍ ، تَأَثَّرَتْ بِالْعُزْلَةِ ، فَلَنْ تَتَحَوَّلَ عَمَّا تَأَثَّرَتْ بِهِ ،

وَلَنْ تَتَبَدَّلَ بِالْمُرَاجَعَةِ خَلْقًا جَدِيدًا ، وَقَدْ رَأَيْتَ فِيمَا  
سَلَفَ مِنْ فُضُولِ هَذَا الْكِتَابِ ، أَنَّهُ فِيمَا قَضَى مِنْ  
الدَّهْرِ عَقِبَ رُجْعَاهُ مِنْ تَطَوُّفِهِ ، قَدْ ظَلَّ صُورِيًّا  
أَكْثَرَ مِنْهُ عَالِمًا بِحَاجَتِهِ ، وَمُتَعَبِّدًا أَكْثَرَ مِنْهُ دَارِسًا  
مُتَفَقِّهًا ، فَقَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْفَاسُ الصُّوفِيَّةُ وَأَرْوَاحُهَا ،  
وَعَوَامِلُهَا وَمُؤَثِّرَاتُهَا حَتَّى آخِرِ أَيَّامِهِ

\*\*\*

وَيَكْفِي فِي بَيَانِ فَضْلِ هَذِهِ الْعِزَّةِ الَّتِي آثَرَهَا ،  
وَالنَّزْعَةَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي تَابَعَهَا ، أَنَّهُ وَضَعَ خِلَالَهَا أَكْبَرَ  
تَوَالِيْفِهِ ، وَهُوَ كِتَابُ « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » ، فَإِنَّ ذَلِكَ  
الْكِتَابَ أَجَلٌ مَاخْرَجَ مِنْ قَلَمِ الْغَزَالِيِّ ، وَأَرْوَعُ مَا كَانَ  
مِنْ عِلْمِهِ وَبَحْثِهِ وَدِرَاسَتِهِ .

فضل العزلة  
في حياة الغزالي

وَفِي هَذِهِ الطَّوْفَةِ الْمُسْتَطِيلَةِ ، وَضَعَ أَبُو حَامِدٍ كَذَلِكَ  
وَهُوَ فِي بَيْتِ الْمُقَدِّسِ كِتَابَهُ « الرِّسَالَةَ الْقُدْسِيَّةَ »  
وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ وَضَعَ كِتَابَ الْإِحْيَاءِ وَهَذِهِ



الرَّسَالَةَ ، قَبْلَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، لِأَنَّ  
الصَّلِيبِيِّينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي سَعْبَانَ مِنْ  
تِلْكَ السَّنَةِ ، بَعْدَ أَنْ وَقَعَتْ لِلْفَاطِمِيِّينَ فِي نِزَاعِهِمْ  
مَعَ السَّلَاجِقَةِ .

\* \* \*

المجالس  
الغزالية

وَقَدْ عَادَ الْغَزَالِيُّ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ عِزْلَتِهِ بِرُوحِ الْعِزْلَةِ  
ذَاتِهَا ، فَجَلَسَ فِي بَعْدَادَ يُعَلِّمُ النَّاسَ « الْإِحْيَاءَ » وَيَجْلِسُ  
مَجَالِسَ الْوَعْظِ ، وَلَهُ تَصْنِيفٌ يُسَمَّى « الْمَجَالِسَ الْغَزَالِيَّةَ »  
رَوَى الشُّبْكِيُّ فِي طَبَقَاتِهِ : أَنَّ النَّاسَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ  
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّ سَعِيدَ بْنَ فَارِسِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ  
الْبَّانِ ، كَانَ يَجْلِسُ فِي نَاحِيَةِ يَدُونِ مَوَاعِظُهُ ، حَتَّى عَدَّ  
مِنْهَا ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ وَمِائَةً ، ثُمَّ قَرَأَهَا عَلَيْهِ فَسَحَّحَهَا لَهُ ،  
وَأَجَازَ لَهُ تَعْلِيمَهَا .

\* \* \*

قلب يخفق

وَهَكَذَا رَأَيْنَا الْغَزَالِيَّ بِعِزْلَتِهِ قَدْ غَيَّرَ مَجْرَى حَيَاتِهِ ،

وَجَعَلَ تَطَوُّرَهُ الْفِكْرِيَّ مُتَّصِلًا أَدَقَّ الصَّلَةِ بِتَطَوُّرِهِ الرُّوحِيِّ ،  
مُوجِّهًا لِعَقْلِهِ فِي طَرِيقِ قَلْبِهِ ، وَذِهْنِهِ فِي نَاحِيَةِ حِسِّهِ ،  
وَإِيمَانِهِ صَوَّبَ وَجْدَانِهِ ، حَتَّى لَيْشَعُرُ النَّاسُ - إِذَا مَا أَلْتَمَسُوا  
فَهْمَهُ ، وَعَالَجُوا إِذْرَاكَ أَعْتِقَادِهِ فِي كُتُبِهِ وَتَوَالِيفِهِ -  
بِأَنَّهَمُ أَمَامَ قَلْبٍ يَخْفِقُ ، وَعَاطِفَةٍ تَدْفُقُ ، وَوَجْدَانٍ  
زَاخِرِ الْمَوْجِ مُصْطَفَقٍ <sup>(١)</sup> ، وَإِقْنَاعٍ يَدْخُلُ أَلْبَّ <sup>(٢)</sup> بِكُلِّ  
لُطْفٍ وَرَفْقٍ ، وَإِيمَانٍ فَيَسَّضُ ثَجَّاجٍ <sup>(٣)</sup> مُتَعَمِّقٍ ، يَحْمِلُ  
الْأَنْفُسَ مَعَ الْتَفْحَاتِ الْعُلُويَّةِ إِلَى سَاحِلِ الْإِيمَانِ ، وَشَاطِئِ  
الْيَقِينِ .



وَقَدْ تَقَلْنَا لَكَ شُذُورًا مِّنْ أَعْتِرَافَاتِهِ الَّتِي أَوْدَعَهَا  
كِتَابَ « الْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالِ » ، وَهُوَ كِتَابٌ نَحْسِبُهُ إِلَى  
عَهْدِهِ ، كَانَ قَرِيدًا فِي الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، أَوْحَدَ نَوْعِهِ  
فِي الْأَدَبِ الْعِلْمِيِّ ، مُنْقِطِعَ الشَّبِيهِ فِي مُؤَلَّفَاتِ الدِّينِ ،

وصف كتاب  
المنقذ  
من الضلال

(١) مصطفق : متلاطم (٢) اللب : العقل (٣) ثجاج : شديد  
الانصباب

وهو قصة حياة فكرية ، وصورة نفس في نزاع  
مستمر ، وبحث دائب في الحقيقة ، والتماس مستطيل  
للمعرفة ، بل هو قصة الشكوك ، والهواجس النفسية  
المضطربة المتدافعة ، ونفحات الإيمان واليقين الخطيرة  
المنعشة المشجعة ، قصة الضياء وكيف انطفأ ثم  
عادت أشعته خاطفة لامة ، وصورة النفس العائدة إلى  
الإيمان الرجعة ، بعد درجات متلاحقة منوعة ، بين  
شكٍ و يقين ، و يقينٍ وشكٍ ، إلى أن استقرت النفس  
منها أخيراً عند إيمان ثابت مكين .

\*\*\*

وقد رأيت العلامة « مكدولاند » يقول في اعتذار وبيان  
تقديرها: إنها أشبه الأشياء بما يُسميه الفِرَنجَةُ « أبولوجياً »  
أي أنها اعتذار وبيان ، واستغفار وأطمئنان ، وأنها من حيث  
النوع والاستطراد ، والنسيج والمنحى والأسلوب ،  
تقع في مرتبة واحدة مع ترجمة « نيومان » لحياته ،

وَصُورَتِهِ عَنِ نَفْسِهِ وَذَاتِهِ ، وَأَنَّ الْكِتَابَ دِفَاعٌ عَنْ  
حَيَاةِ الْكُتَابِ صُوفِيًّا إِزَاءَ خُصُومِهِ وَمُحَاجِّبِهِ <sup>(١)</sup> ،  
وَأَعْدَائِهِ وَمُخَاصِمِيهِ ، « مِنْ فَلَاسِفَةٍ وَقُقَهَاءَ ، وَدِينِيَّينَ  
وَعُلَمَاءَ » | وَكَانَتْهُ أَيْضًا دِفَاعٌ عَنِ الدِّينِ فِي جَوْهَرِهِ وَذَاتِهِ ،  
فِي وَقْتِ تَشَكُّكِ فَاشٍ وَقُتُورِ عَامٍ ، وَرَيْبِ مُخْتَلِفَةٍ  
وِظُنُونٍ . وَبَيَانٌ لِلطَّرِيقِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَهُ  
الْمُؤْمِنُ ، وَالْحُجُجِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُطْمَئِنُّ  
الْمُعْتَقِدُ ، إِزَاءَ الْجَحْدَةِ وَالْمُتَشَكِّكِينَ وَالْمُتَظَنِّينَ .

لَقَدْ وَصَفَ الْغَزَالِيُّ فِي أُعْرَافَاتِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي  
أَسْلُوبٍ سَهْلٍ ، عَلَيْهِ طَابَعُ الصِّدْقِ ، وَتَهَبُّ مِنْ خِلَالِهِ  
أَرْوَاحُ الْحَقِيقَةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْبَسَاطَةِ وَالنَّقَاءِ ، فَهِيَ قِصَّةُ  
الْمِ نَفْسِيٍّ ، وَسِجَالٍ <sup>(٢)</sup> طَوِيلٍ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْعَاطِفَةِ ،  
وَالذَّهْنِ وَالْإِلْهَامِ ، إِذْ بَدَأَ بِالشَّكِّ فِي غَيْرِ إِصْرَارٍ عَلَيْهِ ،  
وَلَكِنِ فِي لَهْفَةٍ عَلَى النِّجَاةِ مِنْهُ ، وَأُنْتَهَى بِالْإِيمَانِ فِي  
رِضْوَانٍ بِهِ ، وَفَرِحَ لَهُ ، وَبَيَّنَّ بِهِ .

(١) المحاجة : المجادلة (٢) السجالات : المعارضة وال مباراة والمفاخرة



وَقَدْ وَضَعَ الْغَزَالِيُّ هَذِهِ الْأَعْتِرَافَاتِ ، بَعْدَ رِحْلَةٍ كِتَابِ شَيْخِ  
عَقْلِيَّةٍ قَلْبِيَّةٍ ، فِي آفَاقِ الْفِكْرِ وَالدِّينِ ، وَقُبَيْلَ نِهَآيَةِ  
الْأَجَلِ ، وَخِتَامِ الْعُمُرِ ، وَمُنْطَفَأِ نُورِ الْحَيَاةِ ، وَهُوَ  
لِذَلِكَ كِتَابُ شَيْخِ ، وَأَيْسَ بِكِتَابِ شَابِّ ، وَأَعْتِرَافُ  
نَضِيحِ <sup>(١)</sup> لَا أَسْتِرْسَالَةَ عَقْلِ فِيهِ <sup>(٢)</sup> . وَقَدْ أُكْسِبَتْهُ  
الرِّزَانَةُ وَقَارَ الْمَفْكَرِ ، وَوُضُوحَ الْمُتَزِّنِ <sup>(٣)</sup> ، وَأَخْتِلَافَ  
السِّيَاقِ ، وَأَنْسِجَامِ الْأَجْزَاءِ وَالطَّبَاقِ ، وَوَحْدَةَ الْفَرَضِ ،  
وَأَسْتِقَامَةَ النَّهْجِ ، وَسَلَامَةَ الطَّرِيقِ .



لَقَدْ رَأَى صَاحِبُ هَذِهِ الْأَعْتِرَافَاتِ ، أَخْتِلَافَ  
الْمَذَاهِبِ فِي عَصْرِهِ ، وَتَبَايُنَ وُجُوهِ الْفَاسَفَةِ وَالنَّظَرِ  
فِي زَمَانِهِ ، فَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، أَمَامَ بَحْرِ  
مُتَلَاطِمِ اللَّجِّ ، مُتَقَاذِفِ الْمَوْجِ ، أَكْثَرُ مَنْ خَاصَّهُ

(١) يقال فلان نضيج الرأي أى محكمه (٢) الفجج : الناقص الذى لم يتم نضجه (٣) المتزن : أصيل الرأي

عَرِقَ فِيهِ ، فَلَمْ يَجِبْنَ وَلَمْ يَنْزَوْا عَنْ مَخَاضِهِ ، وَلَمْ يَخْشَ  
الْإِنْدِفَاعَ نَحْوَهُ ، وَأَحْتِمَالَ غَمْرَاتِهِ ، وَالْإِذْلَاجَ فِي ظُلُمَاتِهِ ،  
إِذْ أَحْسَّ دَافِعًا خَفِيًّا يَدْفَعُهُ إِلَيْهِ ، وَبَاعِثًا قَوِيًّا يَمَعْتُهُ  
عَلَيْهِ ، وَشَعَرَ<sup>(١)</sup> مِنَ النِّشَاطَةِ الْعَلْمِيَّةِ بِخَلِيطٍ مِنَ الشُّكِّ فِي  
نَفْسِهِ يَلْتَقِي بِخَلِيطٍ مِنَ الْإِيمَانِ ، فَكَانَتْ بَوَادِرُ الشُّكِّ  
عِنْدَهُ التَّحَلُّلَ مِنْ رَوَابِطِ التَّقْلِيدِ ، وَأَخَذَ الْمَذَاهِبِ  
وَالْآرَاءِ قَضَايَا مُسَلِّمًا بِهَا ، وَقَبُولِ الدِّينِ ثِرَاتًا مُنْحَدِرًا  
مِنَ الْآبَاءِ إِلَى الْبَنِينَ ، وَالذَّهَابَ إِلَى أَنْ الْيَقِينَ لَا يَمُتُّ  
إِلَّا بِانْكِشَافِهِ لِلْعَقْلِ ، وَأَنْحِسَارِ اللُّثْمِ عَنْ وَجْهِهِ  
لِلْبِدَاهَةِ وَالتَّفَكُّيرِ ، فَهُوَ فِي ذَلِكَ سَابِقٌ عَلَى مَذْهَبِ  
« دِيكَارْت » الْفِيلَيْسُوفِ الْمُحَدَّثِ مُتَقَدِّمٌ « كُنْتُ » فِي  
تَحْدِيدِ الْعَقْلِ ، وَصِلْتَهُ بِالْحَقَائِقِ وَالْيَقِينَ .

\* \* \*

وَلَكِنَّ الْغَزَالِيَّ فِي اعْتِرَافَاتِهِ هَذِهِ ، لَا يَسْتَعِينُ  
الْعَقْلَ وَحْدَهُ عَلَى الْمَحْسُوسِ ، وَلَسَكِنَّهُ يَسْتَعِينُ الْعَقْلَ

على غرار  
هيوم

وَالْحَدْسُ<sup>بِوَهْمَاتِهِ</sup> مَعَا ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَظَلَّ عَلَى سَفْسَطَتِهِ<sup>(١)</sup> مَجْرَدٌ  
رَجُلٍ مُرْتَابٍ مُتَشَكِّكٍ ، عَلَى غِرَارٍ<sup>(٢)</sup> «دَافِئِدْ هِيَوْمَ» ، لَا  
أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ «الْمُنْقِذُ  
مِنَ الضَّلَالِ» :

\* \* \*

النور الخفي

وَعَادَتِ النَّفْسُ إِلَى الصَّحَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ ، وَرَجَعَتِ  
الضَّرُورِيَّاتُ الْعُقْلِيَّةُ مَوْثُوقًا بِهَا عَلَى أَمْنٍ وَبِقِيْنٍ ، وَلَمْ  
يَكُنْ ذَلِكَ بِنِظْمِ دَلِيلٍ ، وَتَرْتِيبِ كَلَامٍ ، بَلْ بِنُورٍ  
يَقْدِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الصَّدْرِ ، وَذَلِكَ النُّورُ هُوَ مِفْتَاحُ  
أَكْثَرِ الْمَعَارِفِ ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْكَشْفَ مَوْقُوفٌ عَلَى  
الْأَدِلَّةِ الْمُجَرَّدَةِ ، فَقَدْ ضَيَّقَ رَحْمَةَ اللَّهِ الْوَاسِعَةَ ، وَلَمَّا  
سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الشَّرْحِ وَمَعْنَاهُ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ »

(١) السفسطة : قياس مركب من الوهميات ، والغرض منه إفحام  
الخصم وإسكانه . « يونانية » . (٢) غرار : أى مثال وطريقة .

صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ « سُورَةَ الْأَنْعَامِ . قَالَ : هُوَ نُورٌ يَقْذِفُهُ  
 اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ ، فَقِيلَ : وَمَا عَلَامَتُهُ ؟ فَقَالَ : «التَّجَافِي  
 عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ (١) » ، وَهُوَ  
 الَّذِي قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيهِ : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى  
 خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ (٢) » ،  
 فَمِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَبَ الْكَشْفُ ، وَذَلِكَ  
 النُّورُ يَنْبَجِسُ (٣) مِنَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ،  
 وَيَجِبُ التَّرْصُدُ (٤) لَهُ ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
 « إِنْ لَرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا  
 لَهَا (٥) . »

(١) أخرج هذا الحديث ابن جرير ، وعبد الرزاق ، وابن حاتم ،  
 وساقه الامام ابن كثير بأسانيد في تفسيره ، ثم قال : فهذه طرق لهذا  
 الحديث مرسلة ومتصلة ، يشد بعضها بعضا . (٢) ورد هذا الحديث في  
 مسند الامام أحمد هكذا « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ، فألقى عليهم  
 من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل »  
 (٣) ينبجس : يخرج بكثرة (٤) الارصاد والترصد : الترقب (٥) ورد في  
 الفتح الكبير للسيوطي هكذا ! « إن لربكم في أيام دهركم نفحات  
 فتعرضوا لها ، لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا » ورواه  
 الطبراني عن محمد بن مسleme .



وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ ، أَنْ يُعْلَمَ كَمَالَ  
الْجِدِّ فِي الطَّلَبِ ، حَتَّى يُنْتَهَى <sup>(١)</sup> إِلَى طَلَبِ مَا لَا يُطَلَبُ ،  
فَإِنَّ الْأَوَّلِيَّاتِ لَيْسَتْ مَطْلُوبَةً ، فَإِنَّهَا حَاضِرَةٌ ، وَالْحَاضِرُ  
إِذَا طُلِبَ فَقَدْ وَخُتَفَى ، وَمَنْ طَلَبَ مَا لَا يُطَلَبُ ، فَلَا  
يَتَّهِمُ بِالتَّقْصِيرِ فِي طَلَبِ مَا يُطَلَبُ .

وَهَكَذَا اعْتَمَدَ الْغَزَالِيُّ عَلَى « الْكَشْفِ الْبَاطِنِيِّ »  
فِي الْإِنْتِقَالِ مِنْ مَرَحَلَةِ الشَّكِّ إِلَى مَرَحَلَةِ الْيَقِينِ ،  
وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُشْبِهُ الْفَيْلَسُوفَ الْفَرَنْسِيَّ « دِيكَارْت »  
فِي طَرِيقَتِهِ ، وَاتِّجَاهِ تَفْكِيرِهِ ، كَمَا تَرَى فِي كِتَابِ  
« التَّائِمَاتِ » .

\*\*\*

الْحَدْسُ <sup>(٢)</sup> الْفِكْرِيُّ هُوَ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ : مِفْتَاحُ الْمَعْرِفَةِ ،  
مِفْتَاحُ الْمَعْرِفَةِ ،  
وَلَكِنْ قَدْ يُكَذِّبُ حَاكِمُ الْعَقْلِ حَاكِمَ الْحَدْسِ ،  
وَقَدْ يَكُونُ وَرَاءَ حَاكِمِ الْعَقْلِ حَاكِمٌ آخَرٌ يُكَذِّبُهُ

(١) حتى ينتهي : حتى يتوصل . (٢) الحدس : الظن للؤكد

كَذَلِكَ ! ، وَقَدْ يَتَسَلَّسَلُ الْأَمْرُ هَكَذَا إِلَى مَا لَا آيَةَ  
لَهُ ، فَمِنَ الْمُحْتَمِّ إِذْنُ أَنْ نَتَّقَ بِالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَنُسَلِّمَ  
بِالْأَوَّلِيَّاتِ .

\* \* \*

وَلِأَنَّ نِطَاقَ الْعَقْلِ مَحْدُودٌ ، وَلِعَجْزِهِ عَنِ حَلِّ  
سَائِرِ الْمُعْضِلَاتِ ، جَعَلَ الْغَزَالِيُّ الْإِيمَانَ يَرْجِعُ إِلَى  
الْكَشْفِ الْبَاطِنِيِّ ، عَلَى حَدِّ مَذْهَبِ الصُّوفِيَّةِ  
وَأَعْتِقَادِهِمْ .

الكشف  
الباطني

وَلَكِنَّ الْغَزَالِيَّ يَجْعَلُهُ طَرِيقَةَ الْكَشْفِ الْبَاطِنِيِّ  
مَصْدَرَ الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ ، ذَهَبَ فِي حُرِّيَّةِ التَّفْكِيرِ إِلَى  
التَّحْذِيرِ مِنَ التَّمَجُّلِ بِتَكْفِيرِ كُلِّ مَنْ يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ ،  
وَلَيْسَ أَبْلَغَ فِي التَّسَامُحِ الْفِكْرِيِّ ، وَالتَّرَفُّعِ عَنِ  
الْأَخْذِ بِالتَّقْلِيدِ ، وَأَحْتِرَامِ الْحَقِّ فِي ذَاتِهِ ، بِنِصْصِ النَّظَرِ  
عَنِ مَصْدَرِهِ ، مِمَّا قَالَهُ الْغَزَالِيُّ فِي أُغْتِرَافَاتِهِ ، وَهُوَ « أَنْ  
طَائِفَةٌ مِنَ الضُّعَفَاءِ ظَنَّتْ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ مُدَوَّنًا

فِي كُتُبِ الْمُخَالَفِينَ لَهُمْ فِي الرَّأْيِ ، وَجَبَّ أَنْ يُجْرَ  
وَلَا يُذْكَرَ ، بَلْ يُنْكَرَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَذْكَرُهُ ، إِذْ لَمْ  
يَسْمَعُوهُ أَوْلَا إِلَّا مِنْهُمْ ، فَسَبَقَ إِلَى عُقُولِهِمُ الضَّعِيفَةِ  
أَنَّهُ بَاطِلٌ ، لِأَنَّ قَائِلَهُ مُبْطَلٌ ، كَالَّذِي يَسْمَعُ مِنْ  
النَّصْرَانِيِّ قَوْلَ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَيْسَى رَسُولُ اللَّهِ »  
فِيُنْكَرُهُ وَيَقُولُ : « هَذَا كَلَامُ النَّصْرَانِيِّ » وَلَا يَتَوَقَّفُ  
رَيْثَمَا يَتَأَمَّلُ أَنَّ النَّصْرَانِيَّ كَافِرٌ بِاعْتِبَارِ هَذَا الْقَوْلِ ، أَوْ  
بِاعْتِبَارِ إِنْكَارِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا إِلَّا بِاعْتِبَارِ إِنْكَارِهِ ، فَلَا يَنْبَغِي  
أَنْ يُخَالَفَ فِي غَيْرِ مَا هُوَ بِهِ كَافِرٌ ، مِمَّا هُوَ حَقٌّ فِي  
نَفْسِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَيْضًا حَقًّا عِنْدَهُ ، وَهَذِهِ عَادَةٌ ضَعْفَاءُ  
الْعُقُولِ ، يَعْرِفُونَ الْحَقَّ بِالرَّجَالِ ، لَا بِالرَّجَالِ بِالْحَقِّ .  
وَالْعَاقِلُ يَقْتَدِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ  
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - حَيْثُ قَالَ « لَا تَعْرِفِ  
الْحَقَّ بِالرَّجَالِ ، بَلْ أَعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ » وَالْعَاقِلُ

الْعَاقِلُ يَعْرِفُ الْحَقَّ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي نَفْسِ الْقَوْلِ، فَإِنْ كَانَ  
حَقًّا قَبْلَهُ، سِوَاهُ كَانَ قَائِلُهُ مُبْطِلًا أَوْ مُحِقًّا، بَلْ رُبَّمَا  
يَحْرِصُ عَلَى انْتِزَاعِ الْحَقِّ مِنْ أَقْوِيلِ أَهْلِ الضَّلَالِ، عَلِمًا  
بِأَنَّ مَعْدِنَ الذَّهَبِ الرَّغَامُ <sup>(١)</sup>، وَلَا بَأْسَ عَلَى الصَّرَافِ  
إِنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي كَيْسِ «الْقَلَابِ» <sup>(٢)</sup> وَأَنْتَزَعَ الْإِبْرِيذَ  
أَخْلَاصَ مِنَ الزَّيْفِ وَالْبَهْرَجِ، إِذْ كَانَ وَائِقًا بِبَصِيرَتِهِ،  
وَإِنَّمَا يَزْجُرُ عَنْ مُعَامَلَةِ الْقَلَابِ الْقَرَوِيُّ، دُونَ الصَّيْرِيِّ  
الْبَصِيرِ، وَيَمْنَعُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ، الْأَخْرَقُ <sup>(٣)</sup> دُونَ  
السَّبَّاحِ الْمَاهِرِ، وَيُصَدُّ <sup>(٤)</sup> عَنْ مَسِّ الْحَيَّةِ الصَّبِيِّ، دُونَ  
الْمُعْزَمِ <sup>(٥)</sup> الْبَارِعِ .

وَلَعَمْرِي لَمَّا غَلَبَ عَلَى أَكْثَرِ الْخَلْقِ ظَنُّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ  
الْحَدَاقَةَ وَالْبِرَاعَةَ وَكَمَالَ الْعَقْلِ، وَتَمَامَ الْآلَةِ، فِي تَمْيِيزِ  
الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَجَبَّ حَسَمُ

(١) الرغام : التراب (٢) القلب : سوار للمرأة غير ملوى ، مستعار  
من قلب النحلة لبياضه (٣) الأخرق : الأحمق (٤) ويصد : ويمنع .  
(٥) المعزم : الذي يقرأ العزائم « الرقي »

أَلْبَابِ بَزَجْرِ الْكَافَّةِ عَنِ مُطَالَعَةِ كُتُبِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ  
مَا أُمْكَنَ .

\* \* \*

الأوليات  
المغلبية

وَمِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ ، أَنَّ الْغَزَالِيَّ يَطْلُبُ الْعِلْمَ عَنْ  
طَرِيقِ الْأُولِيَّاتِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَيُنْزِعُهُ مِنَ التَّقْيِيدِ بِسُلْطَانِ  
التَّقْلِيدِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُقَيِّدُهُ بِسُلْطَانِ الدِّينِ ، فَيُكْفِرُ  
الْفَلَّاسِفَةَ فِي عُلُومِهِمْ ، مَخَافَةَ مَا قَدْ يَنْجُمُ<sup>(١)</sup> عَنِ الْإِيمَانِ  
بِهَا مِنَ الزَّيْغِ<sup>(٢)</sup> وَالضَّلَالِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ بَزَجِرُ الْعَامَّةِ  
عَنِ الرِّيَاضِيَّاتِ ، لِإِنِّهَا وَإِنْ لَمْ تَتَّصِلْ بِالدِّينِ ، لَا تَزَالُ  
مِنْ مَبَادِيءِ عُلُومِ الْفَلَّاسِفَةِ ، وَقَدْ يَسْرِي إِلَى الدِّينِ  
شَرُّهُمْ وَشَوْمُهُمْ ، فَقَلَّ مَنْ يَخُوضُ فِيهَا ، إِلَّا وَيَنْخَلِعُ<sup>(٣)</sup>  
مِنَ الدِّينِ ، وَيَنْحَلُّ عَنِ رَأْسِهِ لِجَامِ التَّقْوَى .

\* \* \*

مناقشة  
الفلاسفة

وَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْفَلَّاسِفَةِ فَاتَّقَدَّ فِرْقَهُمْ ، وَنَاقَشَ

(١) ينجم : ينشأ (٢) الزيغ : الشك والميل عن الحق . (٣) ينخلع :  
يتحول ويحيد عنه .

مَذَاهِبِهِمْ وَنَظَرِيَّاتِهِمْ ، كَمَا قَسَمَهَا فِي أُعْتِرَافَاتِهِ « كِتَابِ  
الْمُنْقِذِ » وَجَعَلَ مُنَاقَشَتَهُ لَهَا تَحْتَ ضِيَاءِ الدِّينِ ، وَفِي  
حُدُودِ اعْتِقَادِهِ صِحَّةَ الْكَشْفِ الْبَاطِنِيِّ ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْهَا  
بِالْبَحْثِ الْمُجَرَّدِ وَالْحَقِيقَةِ الْخَالِصَةِ ، لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ  
عِنْدَهُ تَتَّبِعُ الْمُعَاقِدَ الدِّينِيَّةَ ، أَمَا الثِّقَةُ بِالْعَقْلِ الْمَحْضِ  
فَتَكَادُ تَنَعَّدِمُ لَدَيْهِ .

وَلَنْ لَمْ يَكُنِ الْغَزَالِيُّ أَوْلَ مَنْ رَدَّ عَلَى الْفِرَقِ  
وَالْفَلَسَفَةِ ، لَقَدْ كَانَ أَقْوَى مَنْ تَنَاوَلَ ذَلِكَ وَأَضْطَلَعَ <sup>(١)</sup> بِهِ ،  
فَأَفْلَقَتْ <sup>(٢)</sup> حُجَّتُهُ ، وَقَوَى جَانِبَهُ ، يَدْنَمَا ضَعْفَ جَانِبِ  
الْمُنْكَرِينَ ، وَأَبْدَى مِنْ قُوَّةِ الْعَارِضَةِ ، وَشِدَّةِ النُّقْدِ ،  
وَصَلَابَةِ الْعُودِ ، وَجَبْرُوتِ الْفِكْرِ ، وَمَتَانَةِ الْحُجَّةِ ، مَا  
حَطَمَ بِهِ الْفَلَسَفَةَ ، وَأَقَامَ بِهِ صَرْحَ الدِّينِ <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وَلَمْ يَهْجُرِ الْغَزَالِيُّ صُوفِيَّتَهُ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ ،

استمساكه  
صوفيته

(١) اضطلع به : نهض به (٢) أفلق : أفلق الرجل في الامر كان حاذقا

وماهرا والحجة : قويت . (٣) الصرح : البناء العالى

وَإِنَّمَا لَزِمَهَا لُزُومَ إِيمَانٍ صَحِيحٍ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ خُصُومُهُ  
مِنَ الْفُقَهَاءِ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى التَّقْيِضِ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ فِيهِ ،  
فَقَالُوا : إِنَّهُ هَجَرَهَا وَبَدَّهَا فِي أُخْرِيَاتِ أَيَّامِهِ ، وَلَعَلَّ ابْنَ  
تَيْمِيَّةٍ - وَهُوَ أَحَدُ خُصُومِهِ ، الَّذِينَ أَلْحُوا<sup>(١)</sup> فِي خُصُومَتِهِ ،  
وَكَتَبُوا الْفُصُولَ الطُّوَالَ فِي تَقْدِيهِ ، وَتَعَقَّبَ الْمَاخِذَ  
عَلَيْهِ - كَانَ السَّابِقَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ قَدْ تَرَكَ الصُّوفِيَّةَ  
فِي السَّنِينَ الْأَوَاخِرِ مِنْ حَيَاتِهِ ، وَأَنَّهُ تَبَيَّنَ أَنَّ طَرِيقَتَهَا  
لَا تُحْصَلُ مَقْصُودُهُ ، فَطَلَبَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الْأَثَارِ  
النَّبَوِيَّةِ ، وَأَخَذَ يَشْتَغِلُ بِالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَكَانَ كَارِهًا  
مَا وَقَعَ فِي كِتَابِهِ ، مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، مِمَّا أَنْكَرَهُ  
النَّاسُ عَلَيْهِ .

\* \* \*

وَأُحْسِبُ فِي هَذَا رُوحًا مِنَ التَّجَنِّيِ<sup>(٢)</sup> وَمَسًّا مِنْ  
الِاتِّهَامِ بِغَيْرِ حَقِيقَةٍ ، فَإِنَّ الْغَزَالِيَّ فِي الْوَاقِعِ لَمْ يَهْجُرِ

(١) أَلْحُوا فِي خُصُومَتِهِ : أَقْبَلُوا عَلَى تَعَقُّبِهَا وَنَقَدَهَا (٢) التَّجَنِّيُّ :

ادِّعَاءُ الذَّنْبِ عَلَى مَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ

الصُّوفِيَّةَ كَمَا قُلْتُ ، وَلَمْ يَشْتَغِلْ بِتَحْقِيقِ مَسْأَلَةِ النُّبُوَّةِ  
دُونَهَا ، وَلَكِنَّهُ قَرَّرَ أَنَّ أَكْثَرَ خَوَاصِّ النُّبُوَّةِ ، إِنَّمَا  
يُدْرِكُ بِالذُّوقِ ، مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ التَّصَوُّفِ ، وَمَضَى  
يُدَلُّ عَلَى صِحَّةِ النُّبُوَّةِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَغَيْرِهِ فَقَالَ :  
إِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ يَجْهَلُ مَا يُحِيطُ بِهِ مِنْ  
الْمَوْجُودَاتِ ، ثُمَّ لَا تَلَبُّثُ إِذْرًا كَاتَهُ أَنْ تَتَنَوَّعَ بِتَنَوُّعِ  
أَجْنَاسِ الْمَوْجُودَاتِ ، فَقُوَّةُ الْحِسِّ ، تُدْرِكُ عَالَمَ  
الْمَحْسُوسَاتِ ، وَقُوَّةُ التَّمْيِيزِ تُدْرِكُ أُمُورًا زَائِدَةً عَلَى  
الْحِسِّ ، وَيُدْرِكُ الْعَقْلُ الْوَاجِبَ وَالْجَائِزَ وَالْمَحَالَ ،  
وَلَكِنْ وَرَاءَ طَوْرِ (١) الْعَقْلِ قُوَّةٌ أُخْرَى ، لِإِذْرَاكِ الْغَيْبِ  
وَمَا سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، فَمَنْ إِذْنُ أَرْبَعِ مَرَاتِبَ  
لِلْإِذْرَاكِ ، أذْنَاهَا مُدْرَكَاتُ الْحِسِّ ، وَأَعْلَاهَا مُدْرَكَاتُ  
النُّبُوَّةِ .

\*  
\*  
\*

(١) الطور : الحد بين الشيبين .



التدليل على  
صحة النبوة

وَالْبُرْهَانُ عَلَى وُجُودِ مُدْرَكَاتِ النُّبُوَّةِ وَوُجُودِ  
مَعَارِفِ ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتِمَّ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ  
الْإِدْرَاكِ ، كَالطَّبِّ وَالنُّجُومِ ، فَإِنَّ مَنْ يَبْحَثُ عَنْهُمَا ،  
يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ ، أَنَّهُمَا لَا يُدْرَكَانِ إِلَّا بِالْهَامِ إِلَهِيٍّ .  
وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْإِنْسَانِ وَجَدْنَا فِيهِ نَمُودَجًا مِنْ  
هَذَا الْإِدْرَاكِ ، وَهُوَ « النَّوْمُ » فَإِنَّ النَّائِمَ يُدْرِكُ مَا  
سَيَكُونُ مِنَ الْغَيْبِ ، وَيَرَى وَيَسْمَعُ ، مَعَ أَنَّ بَصَرَهُ  
وَسَمْعَهُ فِي حَالَةِ غَفْلَةٍ ، فَكَمَا أَنَّ الْعَقْلَ طَوْرًا  
تُدْرِكُ بِهِ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَعْقُولَاتِ ، بَعِيدَةً عَنِ الْحِسِّ ،  
كَذَلِكَ النُّبُوَّةُ طَوْرًا آخَرَ يَظْهَرُ فِيهِ نُورُ الْغَيْبِ ، وَلَا  
يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ ، فَالزُّوْيَا كَعِلْمِ الطَّبِّ وَالنُّجُومِ ، تَدْرِكُ  
عَلَى أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ شَيْئًا مِنْ خَوَاصِّ النُّبُوَّةِ ، وَهِيَ  
تُقَرَّبُ هَذَا الْإِدْرَاكِ مِنَ الْعَقْلِ .

وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا الْغَزَا إِلَى ابْتَدَاءِ بِالشَّكِّ وَالتَّعَطُّشِ (١) إِلَى

(١) التَّعَطُّشِ : الْإِشْتِيَاقُ .

مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ ، وَحَلَّ عَقْلُهُ وَحِسَّهُ وَتَفَكِيرَهُ مِنْ  
رَوَابِطِ التَّقْلِيدِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ نَمَّ عِلْمًا يَقِينِيًّا<sup>(١)</sup> ، وَلَا  
وَسِيلَةً ، لِيُمَبِّزَ الْحَقَّ مِنْ عَكْسِهِ ، فَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ  
هَذَا الْعِلْمِ وَيَتَلَمَّسُهُ<sup>(٢)</sup> ، لِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ لَا ثِقَّةَ بِهِ ،  
وَلَا أَمَانَ مَعَهُ ، ثُمَّ أَنْتَهَى بَعْدَ تَطَوُّافٍ مُسْتَطِيلٍ ، فِي أُفُقِ  
الْفِكْرِ ، إِلَى الْإِيمَانِ الْعَمِيقِ بِالدِّينِ وَالنُّبُوَّةِ ، فَأَنْكَمَشَ<sup>(٣)</sup>  
فِي بَحْثِ خَوَاصِّهَا ، وَدِرَاسَةِ أَحَادِيثِهَا الشَّرِيفَةِ .

\* \* \*

وَمِثْلُ هَذَا وَقَعَ فِي الْمَسِيحِيَّةِ ، فَقَدَرْنَا رَأْيَنَا فَيَلَسُوفًا  
إِيطَالِيًّا كَبِيرًا ، بَدَأَ حَيَاتَهُ الْفِكْرِيَّةَ بِالشَّكِّ وَالتَّجَرُّدِ  
مِنَ التَّقْلِيدِ ، ثُمَّ أَنْتَهَى بِهِ مَطَافُ الْفِكْرِ إِلَى الْإِيمَانِ  
الْمُطْلَقِ الْعَمِيقِ ، فَوَضَعَ كِتَابًا خَالِدًا فِي حَيَاةِ الْمَسِيحِ  
كَانَ لَهُ عَقَبَ ظُهُورِهِ أَكْبَرُ الْأَثَرِ عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ ،

كتاب الفرنجة  
الذين كتبوا  
عن المسيح

△

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ «رِينَان» مِنْ قَبْلِهِ ، قَدْ تَنَاوَلَ هَذِهِ النَّاحِيَةَ مِنْ

رينان

(١) يقينيا : ثابتا عن طريق الجزم . (٢) يتلمسه : يتطلبه مرة بعد  
أخرى . (٣) انكمش : أسرع ولم يأل جهدا .

التَّارِيخِ الدِّينِيِّ . وَتَرْجِمَ حَيَاةَ الْمَسِيحِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَمْزُجُ  
التَّرْجُمَةَ بِرُوحِ الْمُلْحِدِ<sup>(١)</sup> السَّاخِرِ ، وَالْمُتَهَكِّمِ<sup>(٢)</sup> اللَّادِعِ  
بِتَهَكُّمِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ تَارِيخُهُ كِتَابَ مُؤْمِنٍ ، وَلَكِنَّهُ  
جَاءَ كِتَابَ تَحْلِيلٍ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْأَحْدِيثَةِ ، فِي كَثِيرٍ مِنْ  
الشَّكِّ ، وَبَعْدٍ مِنَ الْيَقِينِ .

وَلَكِنَّ هَذَا الْفَيْلَسُوفَ الَّذِي عَيْنَاهُ ، لَمْ يَأْتِ  
بِتَارِيخِ حَيَاةِ الْمَسِيحِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِهِ  
ثَمَرَةً إِيْمَانٍ قَوِيٍّ ، وَنِتَاجَ<sup>(٣)</sup> أَعْتِقَادٍ مَكِينٍ .

\*\*\*

وَهَذَا الْفَيْلَسُوفَ الَّذِي نَحَدُّثُكَ عَنْهُ ، هُوَ الْإِيطَالِيُّ  
بَايِنِي « جِيُوفَانِي بَايِنِي » وَكِتَابُهُ الْحَالِدُ هُوَ الَّذِي ضَهَرَ فِي  
الْعَالَمِ الْمَسِيحِيِّ سَنَةَ أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةٍ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ مِيلَادِيَّةً  
فَبَهْرَهُ<sup>(٤)</sup> وَأُحْدِثَ دَوِيًّا فِيهِ ، وَعَجَبًا عَاجِبًا ، حَتَّى لَقَدْ

( ١ ) الملحد : الجاحد . المنكر . ( ٢ ) المتهمك : المستهزئ . ( ٣ ) نتاج :  
بكسر النون اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها . والمراد الفائدة  
والثمرة المترتبة . ( ٤ ) بهره : فتنه وأخذ بلبه

قِيلَ فِيهِ: مَنْ شَاءَ فَلْيَسْمَعْ الرَّعْدَ قَاصِفًا<sup>(١)</sup>، وَالصَّرَاحَةَ  
مَائِلَةً، وَالْبَلَاعَةَ بَادِيَةً، وَالْإِيمَانَ وَالْأَمَلَ وَالْحُبَّ  
قَائِمَاتٍ عَلَى غُرُوشِهَا، وَمَنْ كَانَ ظَمَانًا إِلَى الْمَعْرِفَةِ  
جَائِعًا، فَلْيَقْرَأْ كِتَابَ «بَايِنِي» فِي تَارِيخِ حَيَاةِ  
الْمَسِيحِ، سِوَاهُ كَانَ الْقَارِيءُ مَسِيحِيًّا أَمْ غَيْرَ مَسِيحِيٍّ،  
فَإِنَّ الْجَوَاهِرَ لَيْسَتْ وَقْفًا عَلَى أَحَدٍ دُونَ أَحَدٍ.

\* \* \*

وَمِنْ عَجِيبِ التَّمَائِلِ وَالتَّوَافُقِ فِيمَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ،  
أَنَّ «جِيُوفَاتِي بَايِنِي» الَّذِي آمَنَ بِالْمَسِيحِ بَعْدَ الشَّكِّ  
فِيهِ، قَدْ وَضَعَ أَعْتِرَافَاتٍ يَكْشِفُ خِلَالَهَا سَبِيلَ إِنْقَازِهِ  
مِنَ الضَّلَالِ، عَلَى غِرَارِ مَا فَعَلَ الْغَزَالِيُّ وَجَرَى، وَهِيَ  
أَعْتِرَافَاتٌ بَلِيغَةٌ سَاحِرَةٌ الْبَيَانَ، يَتَجَلَّى عَلَيْهَا طَابَعُ  
الصُّدُقِ وَرُوحِ الْإِيمَانِ.

تمائل بينه  
وبين الغزالي

\* \* \*

اعترافات  
بابني

وَلَعَلَّ أْبْلَغَ مَا حَوَتْ هَذِهِ الْأَعْتِرَافَاتُ ، وَصَفُ  
الْمُوَلَّفِ لِحَيْرَتِهِ فِي نَشَاتِهِ بَيْنَ الْكُتُبِ ، وَتَنَقُّلِهِ فِي  
أَدْوَارِ الْقِرَاءَةِ ، وَتَرَدُّدِهِ عَلَى فُرُوعِ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ ،  
وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ صَالٌّ شَارِدٌ هَائِمٌ<sup>(١)</sup> ، يُحَاوِلُ الْأِسْتِقْرَارَ  
فِي مَطَافِهِ الْمُسْتَطِيلِ ، فَلَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

وَمَنْ يَقْرَأْ أَعْتِرَافَاتِهِ ، يَجِدُ خِلَالَهَا رُوحًا صَادِقًا  
يَعْمُرُهَا ، وَقُوَّةً مُصَارِحَةً بَلِيغَةً مُتَّقِدَةً تَسْرِي فِيهَا ،  
وَيَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ الْجَدِيدَ إِنَّمَا خَاضَ ثَوْرَةَ  
نَفْسِيَّةٍ رَهِيْبَةٍ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَاحِلِ السَّكِينَةِ الرُّوحِيَّةِ  
الْشَامِلَةِ . الَّتِي غَيَّرَتْ شَأْنَهُ ، وَجَاءَتْ بِهِ خَلْقًا جَدِيدًا .  
وَنَحْنُ مُورِدُونَ هُنَا فِقْرًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْتِرَافَاتِ ،  
لِتَكُونَ بِجَانِبِ أَعْتِرَافَاتِ الْغَزَالِيِّ فِيصِلًا<sup>(٢)</sup> بَيْنَ أَدَبِ  
الْمُشَارِقَةِ وَأَدَبِ الْمَغَارِبَةِ ، فِي النَّاحِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ  
بِالنَّفْسِ الثَّائِرَةِ .

(١) هائم : متجبر (٢) فيصلا : قضاء فاصلا بينهما

فِي يَوْمٍ أَحَدٍ مِنْ شَهْرِ أُغْسُطَسَ الصَّائِفِ<sup>(١)</sup> الْمُسْتَعْرِ  
الْوَقْدَةِ ، كُنْتُ قُبَيْلَ الْأَصِيلِ أُتَنَزَّهُ وَخِدِي كَمَا دَتِي ،  
حَزِينًا كَثِيبًا فِي أَكْبَرِ شَوَارِعِ فُلُورَنَسَا ، وَأَنَا أُسِيرُ  
مُطْرِقًا مَجْهُودًا ، بَرِمًا<sup>(٢)</sup> نَاقِمًا مِنَ الْحَرِّ ، وَمِنَ الْبَشْرِ ،  
وَتِلْكَ سَادَةٌ نَهَضَ النَّاسُ فِيهَا مِنْ نَوْمَةِ الظَّهِيرَةِ ،  
مُتَبَلِّدِينَ<sup>(٣)</sup> لِيَخْرُجُوا مِنْ دُورِهِمْ مَعَ خُدَعِ الْأَمَلِ فِي أَنْ  
يَجِدُوا نَسَمَةَ هَوَاءٍ أَوْ طَرَاوَةَ مَسَاءٍ ... وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ  
أَحَدًا ، بَلْ كُنْتُ أَبْغَضُ كُلَّ أَحَدٍ ، وَكُنْتُ قَيْسِحَ  
الْثُوبِ ، دَمِيمَ الصُّورَةِ ، أَصْفَرَ اللَّوْنِ ، شَاحِبَ الْأَدِيمِ ،  
تَرْتَسِمُ أَدِلَّةُ السُّخْطِ وَالنُّفُورِ وَالْتَّبَرُّمِ وَالْمَلَالِ عَلَى وَجْهِهِ ،  
وَفِي ثَنَائِيَا مَلَاحِي ، وَكَانَ النَّاطِرُ إِلَى شَكْلِي يَحْتَقِرُنِي ،  
وَالْمَارُّ بِي يَقْتَحِمُنِي<sup>(٤)</sup> ، وَيَنْبُو<sup>(٥)</sup> نَاطِرُهُ عَنِّي . كُنْتُ أَشْعُرُ  
بِأَنْ لَا أَحَدَ يُحِبُّنِي ، وَلَا أَحَدَ فِي وَسْعِهِ أَنْ يُحِبِّبَنِي ،

(١) الصائف : الحار . (٢) برما : ضجرا إذا سامة وملل .  
(٣) متبلدين : متحيرين متلهفين . (٤) يقتحمني : يحتقرني . (٥) ينبو  
ناظره : يتعجبني ويتباعده .

وَكَانَ النَّاسُ يَتَزَاوَرُونَ<sup>(١)</sup> عَنِّي ، وَلَا سِيَّمَا الْفَتَيَاتُ  
 الصَّبَاحُ الْمِلَاحُ ، فِي ثِيَابِهِنَّ الْحُمْرِ ، وَأُرْدِيَتِهِنَّ<sup>(٢)</sup> الْبَيْضِ ،  
 وَصَفَحَاتِهِنَّ<sup>(٣)</sup> الْأَسْمُرِ ، وَأَسْنَانِهِنَّ الْمُلْتَمِعَةَ . . لَقَدْ كُنْتُ  
 قَالِسِيَّاتٍ فِي ضِحْكَاتِهِنَّ السَّاخِرَةِ مِنِّي ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ  
 رَنِينَهَا مُدَوِّيًّا فِي أُذُنِي ، وَكُنْتُ أَتَأَلَّمُ وَالنَّاسُ جَمِيعًا  
 فِي جَدَلٍ<sup>(٤)</sup> وَهَنَاءَ ، وَقَدْ جَعَلْتُ أُثُورُ وَأَحِسُّ دَمِي يَغْلِي  
 فِي أَعْرَاقِي ، فَاصْبِحُ مِنْ أَعْمَاقِي ، - كَلَّا - لَنْ يَكُونَ هَذَا ،  
 لِإِنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ ، وَأَنَا أَيْضًا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ عَظِيمًا  
 وَسَعِيدًا ، وَهَنْ تَطْنُونُ فِي أَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْحَقِيقِيُّ ، الَّذِينَ  
 تَمُرُّونَ بِي ، مُزْدَهِينِ<sup>(٥)</sup> خِيَلَاءَ ؟ سَتَرُونَ مَاذَا أَنَا غَدًا  
 صَانِعٌ ؟ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ أَعْظَمَ مِنْكُمْ وَأَسْمَى مِنْكُمْ  
 وَفَوْقَكُمْ جَمِيعًا .

(١) يتزاورون عنى : يعدلون عنى وينحرفون . (٢) أرديتهن البيض : جمع رداء ، وهو اسم لما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة ونحوهما .  
 (٣) صفحاتهن : جمع صفحة وهى الوجه . (٤) جدل : فرح وسرور .  
 (٥) مزدهين : معجبين مستخفين طربا .

« أَنَا صَغِيرٌ ، وَأَنَا دَمِيمٌ ، وَأَنَا فَقِيرٌ ، وَلَكِنِّي لِي  
 نَفْسًا . . . وَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ سَتَجْعَلُكُمْ غَدًا تَلْتَفُونَ  
 إِلَيْهَا ؟ وَتُرْهِفُونَ السَّمْعَ ، يَوْمَ أَصْبَحُ شَيْئًا مَذْكَورًا  
 وَتَظْلُمُونَ أَنْتُمْ لَا شَيْءَ ، وَسَاءَ عَمَلُ أَنَا ، وَأَنْشِيءُ ،  
 وَأَصْبِحُ أَكْبَرَ مِنْ كِبَارِكُمْ ، وَتَظْلُمُونَ أَنْتُمْ تَأْكُلُونَ  
 وَتَشْرَبُونَ ، وَتَتَنَزَّهُونَ كَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ فَأَعْلُونَ . . . .  
 وَمَتَى مَرَرْتُ غَدًا بِكُمْ سَيَنْظُرُ الْجَمِيعُ صَوْبِي <sup>(١)</sup> ،  
 وَتَضْحَكُ الْفَتَيَاتُ لِي ، وَيَقِفُ الرِّجَالُ خُشَعًا رَافِعِي  
 قُبَعَاتِهِمْ حَاسِرِينَ ، إِذَا أَنَا أُجْتَزَيْتُمْ <sup>(٢)</sup> أَنَا ، أَنَا نَفْسِي . أَنَا  
 الرَّجُلُ الْعَظِيمُ ، أَنَا النَّابِغَةُ ، أَنَا « الْبَطْلُ »

\* \*

تِلْكَ زَفْرَةٌ مِنْ زَفَرَاتِ النَّفْسِ الطُّمُوحِ <sup>(٣)</sup> التَّوْبَةُ <sup>(٤)</sup>

نفس عطشى  
 إلى  
 مورد الحقيقة

إِلَى الْمَجْدِ ، أَطْلَقَهَا « بَايِنِي » ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى رَأْسِ

(١) صوبى : جهتى ، أى إلى (٢) اجتزتهم : مرت بهم . (٣) النفس

الطموح : الشبهة فى طلب المعالى . (٤) التوبة : المسارعة بالمبادرة .



الْحَلَقَةَ الرَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ مَطَالِعِ <sup>(١)</sup>  
الْصَّبَا كَانَ مُوَلَعًا بِالْقِرَاءَةِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَى عَادَةٍ  
الْصَّبِيَّانِ مِنَ التَّمَسِّ اللَّهْوِ فِي الْكُتُبِ ، وَالْإِ كِبَابِ  
عَلَى الْقَصَصِ وَالتَّهَاوِيلِ <sup>(٢)</sup> بَلِ أَرْتِيَادًا <sup>(٣)</sup> لِنُجْمَةِ الْعِلْمِ ،  
وَبَحْثًا وَرَاءَ الْمَعْرِفَةِ ، بَلِ كَانَ يَحْلُمُ وَيُفَكِّرُ ، وَيَتَأَمَّلُ  
وَيُطِيلُ التَّفَكِيرَ ، وَكَانَ أَبُوهُ كَافِرًا ، فَكَبِرَ وَلَمْ  
يَسْمَعْ مَوْعِظَةً ، وَلَمْ يَحْضُرْ يَوْمًا صَلَاةً ، وَلَكِنْ تِلْكَ  
الْكُتُبُ الْقَلِيلَةَ ، الَّتِي أَهْتَدَى إِلَيْهَا مِنَ الْحَدَاثَةِ ، لَمْ  
تَكُنْ تُنْقِعُ <sup>(٤)</sup> غَلَّةَ نَفْسِهِ ، أَوْ تُطْفِئُ أَوَارَ <sup>(٥)</sup> قَلْبِهِ ،  
وَإِذَا هُوَ بَعْدَ طَوْلِ اصْطِبَارٍ <sup>(٦)</sup> يَدْخُلُ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ  
مَكْتَبَةً « فُلُورَنَسَا » الْعَامَّةَ ، وَهِيَ تَحْوِي مِائَتًا مِنْ

(١) مطالع الصبا : أوائله ، جمع مطلع . (٢) التهاويل : الألوان  
المتخلفة ، وزينة التصاوير والنقوش والحلى . (٣) الارتياذ : طلب الشيء  
والنجمعة : طلب الكلا في موضعه - اسم من النجوم - وتستعمل فيما  
يرحل إليه . (٤) تنقع غلة نفسه : أي تروى عطشها وحرارتها - والمراد  
أنه لم يعجب بها ولم تشف غليله . (٥) الأوار : بالضم ، العطش الشديد  
(٦) الاصطبار : تسكف الصبر .

الْكُتُبِ ، فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ انْتِصَارِ عَظِيمٍ لَهُ ، وَيَوْمَ  
سُرُورٍ بَالِغٍ . دَخَلَ تِلْكَ الْمَكْتَبَةَ ، وَفِي نَفْسِهِ مِنْ  
الِاحْتِرَامِ لَهَا مَا لَمْ يَشْعُرْ بِهِ عِنْدَ مَا كَانَ صَغِيرًا ،  
حَتَّى لَقَدْ جَلَسَ عِنْدَ أَوَّلِ مَقْعَدِ خَالِ وَجَدَهُ ، وَقَرَأَ  
سَاعَةً وَلَمْ يَفْقَهْ مِمَّا قَرَأَ شَيْئًا ، مِنْ فَرْطِ ذَهَلْتِهِ <sup>(١)</sup> ،  
وَبَالِغِ فَرَحِهِ ، وَعَجَبِهِ وَسُرُورِهِ .

\* \* \*

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي الْكُتُبِ مَا كَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ ،  
كَمَا لَمْ يَجِدْ الْغَزَالِيَّ مِنْ قَبْلِهِ فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ وَالْعِلْمِ  
التَّقْلِيدِيِّ هَدَى نَفْسِهِ الشَّاكَّةَ الْمُسْتَرِيبَةَ الْمُتَمَرِّدَةَ ،  
فَكَانَتْ تِلْكَ خَيْبَةً هَدَّتْ مِنْ عَزِيمَتِهِ ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ  
مَدَارِجِ الْحَيَاةِ ، رَمَتْهُ فِي أَوْدِيَةِ الْخَيَالِ ، وَحَيْرَةً فَاجِعَةً  
مُلْحَعَةً <sup>(٢)</sup> ، أَوْلَدَتْ تَشَاؤُمًا وَسُخْطًا وَيَأْسًا أَلِيمًا فِي نَفْسِهِ  
الْحَابِرَةِ الضَّالَّةِ الشَّارِدَةِ .

اجتداء  
الشك

(١) من فرط ذهله : أى من كثرة تدله وغيابه عن رشده .

(٢) ملححة : دأمة مضايقة .

وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ ، بَعْدَ أَنْ ثَابَ (١) الْعَقْلُ قَلِيلًا  
إِلَيْهِ ، وَتَسَاءَلَ عَنِ الْحَيَاةِ وَأَسْبَابِهَا وَأَعْرَاضِهَا ، وَلَمْ يَسْمَعْ  
جَوَابًا ، بَلْ سَمِعَ هَذَا السُّؤَالَ الَّذِي لَا يُجِدِي ، الْمُتَرَدِّدَ  
عَلَى لِسَانِ كُلِّ مُتَشَائِمٍ مُتَشَكِّكٍ ضَجِرٍ مُتَبَرِّمٍ : هَلْ  
تَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْحَيَاةَ أَنْ يُحْيَا بِهَا ؟ وَهَلْ هَذِهِ الْعَيْشَةُ جَدِيرَةٌ  
بِأَنْ يُعَاشَ فِيهَا ؟ لَقَدْ كَانَتْ الْحَيَاةُ تَعْدُنِي قَلِيلًا وَلَا تَهْبِئُنِي  
شَيْئًا . فَارْتَمَيْتُ فِي حِضْنِ هَذِهِ الْحَيَاةِ التَّعَسَةِ الشَّقِيَّةِ ،  
فَمَا لَبِثْتُ أَنْ انْكَشَفَتْ لِي عَنِ الْفَرَاعِ وَالْأَلَمِ  
الْكَمِينِ .

\* \* \*

وَقَدْ قرَأَ فِلْسَفَةَ « شُوبِنَهَوْر » فَلَيسُوفِ التَّشَاوُمِ ،  
وَكَبِيرِ الْمُتَشَائِمِينَ ، فَتَأَثَّرَ بِهَا ، ثُمَّ عَادَ فَطَرَحَهَا عَنْهُ ظَهْرِيًّا  
وَأَحْتَقَرَهَا ، وَوَضَعَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ  
كِتَابَهُ « غَسَقُ الْفَلَاسِفَةِ » فَكَانَ كِتَابًا كَافِرًا مُلْحِدًا ،  
يُعْطَلُ الْأَذْيَانَ جَمِيعًا .

(١) ثاب العقل : أي رجع

وَلَكِنَّهُ اُنْتَقَلَ بَعْدُ إِلَى دَوْرِ اليَقَظَةِ مِنْ اَلْحُلْمِ  
اَلْمُسْتَطِيلِ ، فَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ اُحْسَبُنِي كَأَنِّي قُطْبُ (١)  
اَلْعَالَمِ ، وَاليَوْمَ تَبَيَّنَ لِي اَنَّنِي كُنْتُ صَحِيَّةَ خُرَافَةٍ (٢)  
اِسْكَالَامٍ عَقِيمٍ ، وَجَدَلٍ سَخِيفٍ ، وَسَفْسَطَةٍ (٣) فَارِغَةٍ  
جَوْفَاءَ .

وَلَعَلَّهُ قَدْ اُغْنَانَا عَنْ وَصْفِهِ ، بِمَا وَصَفَ هُوَ بِهِ  
نَفْسَهُ ، عَلَى طَرِيقَتِهِ اَلْفَذَّةِ ، وَفِي صَرَاحَتِهِ اَلْعَجِيبَةِ ،  
وَبَاغْتِرَافَاتِهِ اَلنَّادِرَةِ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ كَلِّهِ ، قَرِيعَ (٤)  
دَهْرِهِ ، وَنَسِيحَ وَحْدِهِ (٥)

\* \* \*

قَالَ : وَلَمَّا كَانَ اَلْوَجْهُ مِرَآةَ اَلنَّفْسِ ، كَمَا قَالَتْ  
حِكْمَةُ اَلْأُمَّمِ ، فَمَا اُحْسَبُ اَحَدًا يَعْجَبُ مِنْ اَنَّنِي « بَايِنِي »

صعلوك  
الفلسفة

(١) قطب العالم : أى سيدهم الذى يدور عليه أمرهم . (٢) خرافة أى  
حديث باطل . (٣) السفسطة : قياس مؤلف من الوهميات - والغرض منه  
إلغام الخصم وإسكاته وهى كلمة يونانية . (٤) قريع دهره : مختار من أهل  
عصره . (٥) نسيح وحده : أى منفرد بخصال محمودة لا يشركه فيها  
غيره

سَفَاحٌ <sup>(١)</sup> الْفَصَاحَةِ ، وَرَيْبَ الصَّحَافَةِ ، وَوَيْدَ الْفَنِّ ،  
 وَصُعُوكَ <sup>(٢)</sup> الْفَلَسَفَةِ ، وَعَرِيْدَ <sup>(٣)</sup> الْأَسْيَاسَةِ ، وَوَبْشَ <sup>(٤)</sup>  
 الثَّقَافَةِ ، لَا يَدَعُ فُرْصَةً تَمُرُّ إِلَّا أفتَحَمَهَا ، وَلَا سَبِيلًا  
 إِلَى الْفِكْرِ إِلَّا أَوغَلَ <sup>(٥)</sup> فِيهِ إِلَى الْحُمَاةِ <sup>(٦)</sup> وَلَا يَغْرُبَنَّ <sup>(٧)</sup>  
 عَنْ أَحَدٍ أَنْ هَذَا « الْبَهِيمَ » هُوَ أَغْلَظُ جَمِيعِ الْأَوْبَاشِ  
 وَالْأَعْلَاجِ <sup>(٨)</sup> الَّذِينَ يَقْتَاتُونَ مِنْ أَرْضِ إِيطَالِيَا ، بَلْ فِي  
 الْحَقِّ أَنَّ هَذَا الْعَيْرَ <sup>(٩)</sup> ، بَلْ هَذَا الْكَلْبَ الْمَنُومَ <sup>(١٠)</sup>  
 فِي كِتَابَةِ كُلِّ مَا يُفَكِّرُ فِيهِ ، وَقَوْلِ كُلِّ مَا يَتَّصِرُهُ ،  
 لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ فِي أَفْقِ التَّفَكِيرِ وَالْبَحْثِ وَالنُّظَرِ .

(١) سفاح الفصاحة : أى مقتدر على الكلام . (٢) صعوك الفلسفة :  
 فقيرها . (٣) عرييد السياسة : العرييد ، الكثير العريدة ، ومؤدى  
 نديمه فى سكره - أى أنه يعربد فى السياسة عريدة السكران ويؤدى  
 أذاه . (٤) وبش الثقافة : الوبش واحد الأوباش ، أى الأخلاط  
 والسفلة كالأوشاب . (٥) أوغل فيه : ذهب وأمعن . (٦) الحمأة : الطين  
 الأسود النتن يكون فى البئر فيكدر ماءها فينزع . كناية عن الامعان  
 والبحث والتنقيب . (٧) لا يغربن : لا يبعدن . (٨) الأعلاج : جمع  
 علاج ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم . (٩) العير : الحمار الوحشى  
 والأهلى - قيل : وغلب على الوحشى (١٠) الكلب : الحريص حرص  
 الكلب وفيه طمع . والنهوم : اللولع بالشئ .

\* \* \*

حياة المسيح

وَفِي عَامٍ وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ  
مِيلَادِيَّةً ، ظَهَرَ كِتَابُهُ « حَيَاةُ الْمَسِيحِ » مُعْجِزَةً مِنْ  
مُعْجِزَاتِ الدَّهْرِ فِي عُمُقِ الْإِيمَانِ ، وَسَلَاسَةِ الْبَيَانِ ،  
وَعُورِ<sup>(١)</sup> الْوُجْدَانِ ، وَكَانَ « بَايِنِي » قَدْ أَلْفَ كِتَابًا  
آخَرَ قَبْلَهُ مُنْذُ سِنِينَ ، لِيَحْكِيَ حَيَاةَ رَجُلٍ مُتَمَرِّدٍ ،  
وَنَفْسٍ ثَائِرَةٍ ، أَحَبَّتْ أَنْ تَرْتَفِعَ إِلَى مَقَامِ الْأُلُوْهِيَّةِ ،  
فَإِذَا هُوَ يَضَعُ كِتَابًا جَدِيدًا ، يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ فِيهِ إِلَى  
أَشَدِّ تَوَاضُعِ الْبَشَرِيَّةِ .

لَقَدْ اسْتَحَالَتْ الْكِبْرِيَاءُ الْمُتَمَارِيَّةُ ، وَالْخَيْسَلَةُ  
الْمُتَمَادِيَّةُ ، تَوَاضَعًا وَدِيمًا ، وَرِضْوَانًا ذَلِيلًا وَقُنُوعًا<sup>(٢)</sup> .  
وَهَذَا بِذَاتِهِ مَا عَرَا<sup>(٣)</sup> الْغَزَالِي فِي حَيَاتِهِ ، فَلَمَّا  
وَجَدَ سُلْطَانَهُ الدِّينِيَّ قَدْ عَلَا وَشَمَلَ النَّاسَ وَأَحْسَنَهُ  
الدَّوْلَةَ ، فَرَّ هَارِبًا مِنْهَا ، وَأَنْزَوَى عَنِ الْمُجْتَمَعِ ، وَرَاحَ

(١) غور الوجدان : غور الشيء نهاية عمقه . (٢) قنوعا : تذلا

وسؤالا . (٣) ما عرا الغزالي : أى الذى عرض له وأصابه .

يَطْلُبُ الْعُزْلَةَ ، رَاضِيًا بِالْخُمُولِ ، جَانِحًا إِلَى الضَّعَةِ  
وَالْقَنُوعِ ، مُتَجَرِّدًا مِنْ لَذَاذَاتِ النَّفْسِ ، وَمُتَمَعِّحًا حَيَاةً .

\* \* \*

وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّ « بَايِدِي » هَذَا جَاءَ فِي أَوَّلِ الْقَرْنِ  
الْحَاضِرِ ، لِيَكُونَ تَقَابُلًا غَرِيبًا لِرَجُلٍ غَيْرِهِ ، كَانَ عَلَى  
النَّقِيضِ مِنْهُ نَشَاءٌ وَبِدَايَةٌ وَأَنْتِهَاءٌ ، وَذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ  
الْفِيلِسُوفُ الْأَلْمَانِيُّ « فِرْدَرِيكُ نَيْتْشَه » فَإِنَّ هَذَا  
الْفِيلِسُوفَ هَجَمَ عَلَى تَعَالِيمِ الْمَسِيحِ فِي نِهَايَةِ أَمْرِهِ ،  
وَحَارَبَ الْمَسِيحِيَّةَ حَرْبًا نَكَرَاءً<sup>(١)</sup> ، مُسْتَطِيلَةَ الْأَمَدِ ، وَإِنْ  
كَانَ قَدْ بَدَأَ مُتَدِينًا فِي نَشَأِهِ<sup>(٢)</sup> قَوْمِ مُتَدِينِينَ صَالِحِينَ ،  
فَقَدْ كَانَ أَبُوهُ قِسْيَسًا ، وَتَعَلَّمَ هُوَ فِي دُورِ الْقَسَاوِسَةِ ،  
وَلَكِنَّهُ مَالَبَثَ أَنْ هَبَطَ مِنْ جِبَالِ الْأَلْبِ ، حَيْثُ كَانَ  
يَتَلَقَّى الْعِلْمَ فِي سُوَيْسِرَةِ ، حَتَّى أَخَذَ يَتَرْتَّمُ فِي أَشْعَةِ الشَّمْسِ

(١) حرباً نكراً : شديدة . (٢) نشأ : جمع نائىء الصغير إذا جاوز  
حد الصغر وشب .

بَأَشُودَتِهِ ، مُنَادِيًا فِيهَا بِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الَّذِي طَعَنَ  
أَحْيَاةَ فِي صَمِيمِهَا ، وَأَنَّ تَعَالِيمَهُ لَا تَصْلُحُ لَهَا ، بَلْ تَهْدِمُهَا  
مِنْ أَسَاسِهَا ، وَظَلَّ يُحَارِبُ الْفِكْرَةَ الْمَسِيحِيَّةَ طِيلَةَ حَيَاتِهِ  
الْفِكْرِيَّةِ ، حَتَّى ذَهَبَ لُبُّهُ <sup>(١)</sup> ، وَقَضَى أُخِيرًا نَجْبَهُ <sup>(٢)</sup>  
فِي أَحَدِ مُسْتَشْفَيَاتِ الْمَجَانِينِ .

\*\*\*

وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي أَنَّ تَعَالِيمَ الْمَسِيحِيَّةِ ، قَدْ  
أَنْطَوَتْ عَلَى رُوحِ عَالٍ رَفِيعٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَأَنَّ الْإِمَامَ  
الْفِرَازِيَّ قَدْ تَأَثَّرَ بِهَا فِيمَا تَأَثَّرَ مِنْ الْعَوَامِلِ وَالْأَفَاعِيلِ ،  
الَّتِي رَدَّتْهُ مِنَ التَّشَكُّكِ الْمَطْلُوقِ إِلَى الْإِيمَانِ الْمَطْلُوقِ ،  
ثُمَّ نَزَعَتْ بِهِ حَاسَةً الْإِيمَانِ إِلَى الصُّوفِيَّةِ الْمُتَجَرَّدَةِ <sup>(٣)</sup>  
الْمُتَفَانِيَّةِ فِي اللَّهِ . وَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ،  
يَذْكُرُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَسِيحِ  
كَأَحَدِ الْمُعَلِّمِينَ الصُّوفِيِّينَ الْكِبَارِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ،

المسيحية  
والصوفية

(١) لبه : عقله . (٢) قضى نجبه : مات . (٣) الصوفية المتجردة :

الحالية من الشوائب .



وَيَسْتَشْهِدُ بِأَدْبِهِ الصُّوفِيَّ ، وَتَعَالِيمِهِ السَّامِيَّةِ ، فِي الْخُلُقِ  
وَالْمَعَامَلَاتِ ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الذَّرَّةِ الْفَاخِرَةِ  
يَقُولُ « أَعْتَبِرُوا بِعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ  
يَمْلِكْ إِلَّا ثَوْبًا وَاحِدًا لَبِسَهُ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يَأْخُذْ  
مَعَهُ فِي كُلِّ سِيَاحَاتِهِ إِلَّا كَوْزًا وَسَبْجَةً <sup>(١)</sup> وَمُشْطًا ،  
وَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلًا يَشْرَبُ مِنْ نَهْرٍ بِحَفْنَتَيْهِ ، فَطَرَحَ  
الْكُوزَ وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ ثَانِيًا ، ثُمَّ رَأَى رَجُلًا يُمَشِّطُ  
لِحْيَتَهُ بِأَصَابِعِهِ ، فَطَرَحَ الْمُشْطَ وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ ثَانِيًا ،  
وَكَانَ يَقُولُ دَائِمًا : حِصَانِي قَدَمَايَ ، وَيُؤْوِي مَغَاوِرُ <sup>(٢)</sup>  
الْأَرْضِ ، وَطَعَامِي خُضْرَتُهَا ، وَشَرَابِي مِنْ مَاءِ أَنْهَارِهَا ،  
وَمَقَرِّي <sup>(٣)</sup> بَيْنَ بَنِي آدَمَ .

\* \* \*

وَكَانَ الْغَزَالِيُّ يَسْتَشْهِدُ بِقَوْلِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ،  
وَتَعَالِيمِ الْمَسِيحِ ،  
وَتَعَالِيمِ الْمَسِيحِ ،

(١) الكوز : إناء صغير مستدير مجتمع له عروة . والسبجة :  
خرزات منظومة في سلك للتسبيح . والمشط - مثل الميم - : آلة من خشب  
أو غيره ذات أسنان يمشط به . (٢) مغاور الارض : جمع مغار ومغارة :  
الكهف . (٣) مقرى . موضع استقرارى وسكنى .

لَا يَسْتَقِيمُ حُبُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ ، كَمَا  
لَا يَسْتَقِيمُ الْمَاءُ وَالنَّارُ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ ، وَقَوْلُهُ : أَنْظَرُوا  
إِلَى الطَّيْرِ لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَدَّخِرُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَرْزُقُهَا يَوْمًا بِيَوْمٍ ، فَإِنْ قُلْتُمْ نَحْنُ أَكْبَرُ بَطُونًا فَانظَرُوا  
إِلَى الْأَنْعَامِ ، كَيْفَ قَيَّضَ اللَّهُ لَهَا هَذَا الْخَلْقَ لِلرِّزْقِ .

\*  
\*  
\*

وَنَحْسَبُ الَّذِينَ يَرَوْنَ فِي الْأَدَبِ الْمَسِيحِيَّ اسْتِحْآلَةً  
عَمَلِيَّةً ، وَتَنَاوُضًا لِلْحَيَاةِ ، وَغُلُوبًا فِي تَعَالِيمِ الزُّهْدِ وَالنُّسْكِ ،  
أَخْرَجَهَا مَخْرَجَ الْخِيَالِ ، وَجَعَلَهَا عَصِيَّةً عَلَى التَّنْفِيدِ ، قَدْ  
غَلَبُوا هُمْ أَيْضًا فِي النَّجْيِ <sup>(١)</sup> عَلَيْهَا ، وَأَسْرَفُوا فِي وَصْفِهَا  
دُونَ أَنْ يَنْتَبَهُوا إِلَى الْحِكْمَةِ الْأَوَّلِيَّةِ مِنْهَا ، وَهِيَ أَنْ  
هَذِهِ الْأَدَابُ هِيَ الْأَوْجُ <sup>(٢)</sup> وَالْقَمَّةُ فِي الرُّفْعَةِ الْخُلُقِيَّةِ ،  
وَأَنَّ بُلُوغَ أَسْمَى مَرَاتِبِهَا ، لَا يَتَأْتَى <sup>(٣)</sup> إِلَّا لِلْقَلِيلِ مِمَّنْ

المسحبة  
والحياة

(١) النجنى : الادعاء . (٢) الأوج : العلو والارتفاع . (٣) لا يتأتى  
لا يتهبأ .

أَجْتَبَى اللَّهُ وَهَدَى ، وَمَسَكَنَهُمْ مِنْ نَفُوسِهِمْ ، وَعَلَبَهُمْ  
 عَلَى هَوَاهُمْ ، فَرَاضُوهُ وَأَذَلُّوهُ ، وَتَقَدَّمُوا يَسْلُكُونَ  
 الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ ، غَيْرَ وَاجِدِينَ مِنْ سُلُوكِهِ نَصَبًا <sup>(١)</sup>  
 وَلَا رَهَقًا <sup>(٢)</sup> ، وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ أَنْ يُعَالِجَ النَّاسُ  
 فِي جَهْرَتِهِمْ وَكَافَتِهِمْ أَخْلَاقَهُمْ عَلَى نَحْوِ مِنْ هَذَا الْعِلَاجِ ،  
 وَيَرُوضُوا <sup>(٣)</sup> نَفُوسَهُمْ عَلَى جِهَةٍ مِنْ هَذَا الْأَدَبِ الرَّفِيعِ .  
 وَلَيْسَ مُمَكِّنًا أَنْ تَكُونَ الْإِنْسَانِيَّةُ كُلِّهَا نَاسِكَةً  
 زَاهِدَةً ، مُنْصَرِفَةً إِلَى الْعِبَادَةِ كَلِيَّةً ، كَمَا لَا يُمَكِّنُ  
 أَنْ تَرُوحَ كُلُّهَا مُسْرِفَةً فِي الْهَوَى ، نَزَاعَةً إِلَيْهِ ، شَرِيرَةً  
 فَاسِدَةً . وَكُلُّ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنَ الْأَوْجِجِ يَجِدُ لَهُ مَحَلًّا ،  
 وَكُلُّ مَنْ يَأْخُذُ بِهَذِهِ التَّعَالِيمِ الْفَاضِلَةِ هَوْنًا مَا ، يُصِيبُ  
 مِنْ فَضْلِهَا مَوْضِعًا ، وَحَسَبُ الْأَذْيَانِ أَنْ تَضَعَ الْمَثَلُ  
 الْعُمَلِيَّ فِي الْعِبَادَةِ وَالْأَخْلَاقِ ، لِأَنَّهَا بِهِذَا أُخْتَصَّتْ ، وَمِنْ  
 أَجْلِهِ وُضِعَتْ ، وَإِلَيْهِ يُنَادِي الْمُسْلِمُونَ وَالْأَئِمَّةُ وَالْأَنْبِيَاءُ .

(١) النصب : التعب (٢) الرهق : اسم من الارهاق : وهو حمل الانسان  
 على مالا يطيقه (٣) يدللون نفوسهم

« آراؤه وفلسفته »

تقدمة

لَيْسَ فِي مُكْنَتِنَا <sup>(١)</sup> ، وَلَا فِي مَيْسُورِنَا ، وَنَحْنُ  
نُخْرِجُ لِلنَّاسِ كِتَابًا مَحْدُودًا ، فِي حَيَاةِ هَذَا الْإِمَامِ الْعَظِيمِ  
وَأَثَرِهِ الْخَالِدِ ، الَّذِي أَحْدَثَهُ فِي الْعَالَمِ ، وَتَرَكَهُ قَائِمًا  
بَارِزًا خَالِدًا مِثْلَهُ ، مَحِيدًا كَأَسْمِهِ صَالِحًا ، يُؤْتِي كُلَّ يَوْمٍ  
ثَمَرًا وَلَا يَنْفَدُ مِنْهُ الثَّمَرُ ، وَيُؤَثِّرُ فِي الْأَنْفُوسِ بِتَعَالِيمِهِ  
دَائِبَ <sup>(٢)</sup> الْأَثَرِ - لَيْسَ فِي مَقْدُورِنَا أَنْ نَأْتِيَ فِي هَذَا  
الْبَابِ بِخُلَاصَةٍ وَافِيَةٍ لِلْفَلَسَفَةِ الْغَزَالِيَّةِ فِي سَائِرِ دَقَائِقِهَا  
وَجُمَلَةِ نَوَاحِيهَا ، وَعَدِيدِ جِهَاتِهَا ، بَلْ نَحْنُ مِنْهَا كَالنَّاطِرِ فِي  
بَلُورَةٍ سَنِيَّةٍ <sup>(٣)</sup> الضِّيَاءِ ، كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْهَا بَيْصَرُهُ ،  
وَجَدَ أَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً مَزِيجَةً ، وَأَشِعَّةً مُنْكَسِرَةً  
مُنْعَكِسَةً ، كَأَنَّهُ فِي عَالَمٍ مُخْتَلِطٍ زَاخِرٍ <sup>(٤)</sup> بِالْأَنْوَارِ  
وَالْأَضْوَاءِ .

(١) مكنتنا : استطاعتنا ومقدورنا (٢) دائب : مستمر (٣) سنية :

مؤنث السني . وهو الرفيع (٤) زاخر : مملوء

وَقَدْ وَضَعَ الْغَزَالِيُّ الْخَصِيبُ<sup>(١)</sup> الذَّهْنَ ، الْقَوِيَّ  
الْعَقْلَ ، الْجَبَّارَ التَّفَكِيرَ ، عَشْرَاتٍ مِنْ الْكُتُبِ فِي  
حَيَاتِهِ ، وَلِكُلِّ كِتَابٍ مِنْهَا فِكْرَتُهُ ، وَفِي كُلِّ مِنْهَا  
بَعْضُ تَعَالِيمِهِ وَنَظَرَاتِهِ ، فَلَيْسَ فِي وَسْئِنَا أَنْ نَلِمَ<sup>(٢)</sup>  
بِجَمِيعِ حُدُودِهِ ، وَلَكِنَّا مُحَاوِلُونَ عِلَاجًا ، مُعَالِجُونَ  
تَنَاوُلًا ، مُتَلَطِّفُونَ فِي الْإِجْمَالِ ، مُتَرَفِّقُونَ فِي الشَّرْحِ  
وَالتَّصْوِيرِ .

\* \* \*

وَقَدْ نَظَرَ قَبْلَنَا مِثْلُ نَظَرِنَا ، إِلَى فَضْلِ الْغَزَالِيِّ  
وَقِيَمَتِهِ فِي عَالَمِ التَّفَكِيرِ ، وَافِقِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ،  
فَقَالُوا شَيْئًا كَثِيرًا فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ ابْنُ  
السُّبُكِيِّ ، رَاوِيًا عَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ سَيِّدَ عَصْرِهِ ، وَلِسَانَ وَقْتِهِ ،  
وَبَرَكَتَةَ رِفَاقِهِ : إِنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الخصيب : الكثير الانتاج (٢) نلم : نحيط

فِي النَّوْمِ ، وَقَدْ بَاهَى <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُوسَى  
وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ وَقَالَ : أُنِي أُمْتِكُمَا  
حَبْرٌ <sup>(٢)</sup> مِثْلُ هَذَا ؟ قَالَا : لَا . وَسُئِلَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ أَبُو  
الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيُّ ، عَنِ الْغَزَالِيِّ فَقَالَ : أَنَا أَشْهَدُ لَهُ  
بِالصَّدِّيقِيَّةِ <sup>(٣)</sup> الْعُظْمَى .

وَتَقَلَ الْمَنَاوِيُّ عَنِ الْقُطْبِ الْيَافِعِيِّ ، عَنْ بَعْضِ  
الْعُلَمَاءِ الْجَامِعِينَ بَيْنَ عِلْمِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . أَنَّهُ قَالَ :  
لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدَ النَّبِيِّ لَسَكَانَ الْغَزَالِيُّ .

\*\*\*

وَشَهِدَ لَهُ الْقُطْبُ <sup>(٤)</sup> مُحْيِي الدِّينِ بْنِ الْعَرَبِيِّ ، وَنَاهِيكَ  
بِهِ أَنَّهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الطَّرِيقَةِ وَسَادَتِهِمْ ، وَتَقَلَ عَنْهُ أَنَّهُ  
كَانَ يَرَى الْمُنَاسَبَةَ وَيَقُولُ بِهَا ، فَرَأَى فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ

ابن العربي  
وشهادته  
للغزالي

(١) باهى : فاخر (٢) الحبر : العالم الصالح (٣) الصديقية :  
نسبة إلى الصديق . والصديق الكامل في الصدق ، والذي يصدق قوله  
بالعمل . (٤) القطب : نجم بين الجدى والفرقدين تبين عليه القبلة والمراد  
أنه فذ لا يضارع

حَمَامَةٌ وَغُرَابًا لَصِقَ أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ ، وَأُنْسَ بِهِ ، وَلَمْ  
يَسْتَوْحِشْ مِنْهُ ، فَقَالَ : اجْتِمَاعُهُمَا لِمُنَاسَبَةٍ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمَا  
بِيَدِهِ فَدَرَجًا<sup>(١)</sup> ، فَإِذَا بِكُلِّ مِنْهُمَا عَرَجٌ ، قَالَ : وَالْمُنَاسَبَةُ<sup>(٢)</sup>  
فِي مَسَاقِ الْأَنْبِيَاءِ صَحِيحَةٌ ، وَمَعْرِفَتُهَا مِنْ مَقَامَاتِ خَوَاصِّ  
أَهْلِ الطَّرِيقَةِ ، وَهِيَ غَامِضَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ ،  
حَتَّى بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى ، قَالَ : وَالْقَائِلُونَ بِهَا مِنْ  
طَرِيقَتِنَا عُظَمَاءُ أَهْلِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْأَدَبِ ، وَلَا تَكُونُ  
إِلَّا بَعْدَ كَشْفِ عِلْمِي ، وَمَشْهَدِ مَلَكَوْتِي .

\*\*\*

الأقطاب  
الثلاثة

وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : الْأَقْطَابُ ثَلَاثَةٌ ،  
قُطْبُ الْمَعْلُومِ كَحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيُّ ، وَقُطْبُ الْأَحْوَالِ  
كَأَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ ، وَقُطْبُ الْمَقَامَاتِ كَعَبْدِ الْقَادِرِ  
الْجِيلَانِيِّ .

وَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي جَوَابِ كِتَابِ أَبِي الْعَفِيفِ

(١) درجا : مشيا (٢) المناسبة من النسبة ، وهي إيقاع النعلق بين الشبطين  
( ١٤ - الغزالي - أول )

الْمَطْرِيِّ ، وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ الْغَزَالِيِّ مَآئِصُهُ : « وَمَاذَا يَقُولُ  
الْإِنْسَانُ وَفَضْلُهُ وَأَسْمُهُ قَدْ طَبَّقَ <sup>(١)</sup> الْأَرْضَ ؟ وَمَنْ  
خَبَرَ كَلَامَهُ عَرَفَ أَنَّهُ فَوْقَ أَسْمِهِ » .

\* \* \*

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى النِّسَابُورِيُّ تَلْمِيزُ الْغَزَالِيِّ :  
لَا يَعْرِفُ الْغَزَالِيَّ وَفَضْلَهُ ، إِلَّا مَنْ بَلَغَ أَوْ كَادَ أَنْ يَبْلُغَ  
الْكَمَالَ فِي عَقْلِهِ ، قَالَ ابْنُ السَّبْكِ : يُعْجِبُنِي هَذَا  
الْكَلَامُ ، فَإِنَّ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى مَنْزِلَةِ مَنْ هُوَ  
أَعْلَى مِنْهُ فِي الْعَقْلِ ، يَحْتَاجُ إِلَى الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ ، فَبِالْعَقْلِ  
يُمَيِّزُ ، وَبِالْفَهْمِ يَقْضِي ، وَلَمَّا كَانَ عِلْمُ الْغَزَالِيِّ فِي الْعَالِيَةِ  
الْقُصْوَى ، أَحْتَاجَ مَنْ يُرِيدُ الْإِطْلَاعَ عَلَى مِقْدَارِهِ ، أَنْ  
يَكُونَ هُوَ تَامَّ الْعَقْلِ ، وَأَقُولُ لَا بُدَّ مَعَ تَمَامِ الْعَقْلِ  
مِنْ مُدَانَاةٍ مَرْتَبَتِهِ فِي الْعِلْمِ لِمَرْتَبَةِ الْآخِرِ ، وَحِينَئِذٍ  
فَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَ الْغَزَالِيِّ قَدْرَ الْغَزَالِيِّ

معرفة  
الغزالي



إِذْ لَمْ يَجِبْ بَعْدَهُ مِثْلُهُ ، ثُمَّ أَمْدَانِي لَهُ إِنَّمَا  
يَعْرِفُ قَدْرَهُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ ، لَا بِقَدْرِ الْغَزَالِيِّ  
نَفْسِهِ . سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْوَالِدَ يَقُولُ : لَا يَعْرِفُ  
قَدْرَ الشَّخْصِ فِي الْعِلْمِ إِلَّا مَنْ سَاوَاهُ فِي رُتْبَتِهِ ،  
وَخَالَطَهُ مَعَ ذَلِكَ ، قَالَ : وَإِنَّمَا يَعْرِفُ بِمِقْدَارِ مَا أُوتِيَ  
هُوَ . وَكَانَ يَقُولُ لَنَا : لَا أَحَدَ مِنَ الْأَصْحَابِ يَعْرِفُ قَدْرَ  
الشَّافِعِيِّ كَمَا يَعْرِفُهُ الْمُزَنِّيُّ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ الْمُزَنِّيُّ مِنْ قَدْرِ  
الشَّافِعِيِّ بِمِقْدَارِ قُوَى الْمُزَنِّيِّ ، وَالزَّائِدُ عَلَيْهَا مِنْ قُوَى  
الشَّافِعِيِّ ، لَمْ يُدْرِكْهُ الْمُزَنِّيُّ . وَكَانَ يَقُولُ أَيْضًا ،  
لَا يَقْدُرُ <sup>(١)</sup> أَحَدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ قَدْرِهِ إِلَّا  
اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مِقْدَارِهِ بِمِقْدَارِ  
مَا عِنْدَهُ هُوَ ، قَالَ : فَأَعْرِفُ الْأُمَّةَ بِقَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ  
قَالَ : وَإِنَّمَا يَعْرِفُ أَبُو بَكْرٍ مِنْ مِقْدَارِ الْمُصْطَفَى صَلَّى

(١) لا يقدر : لا يعرف قدره

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُوَى أَبِي بَكْرٍ ، وَتَمَّ  
أُمُورُهُ<sup>(١)</sup> تَقْصُرُ عَنْهَا قُوَاهُ ، لَمْ يُحِطْ بِهَا عِلْمُهُ ، وَتُحِيطُ بِهَا  
عِلْمُ اللَّهِ .

\* \* \*

وَأَكْبَرُ فَضْلِ الْغَزَالِيِّ فِيمَا نَعْرِفُ ، عَلَى ضِيَاءِ ،  
مَا أَسْتَشْهَدُنَا بِهِ فِيمَا أَسْلَفْنَاكَ لَكَ ، أَنَّهُ الْعَالِمُ الْمُسْلِمُ  
الْكَبِيرُ ، وَالْإِمَامُ الْحُجَّةُ الثَّبْتُ<sup>(٢)</sup> الْعَظِيمُ ، وَالْمُفَكِّرُ  
الْجَبَّارُ الذَّهْنِ النَّابِغَةُ ، الَّذِي هَدَمَ<sup>(٣)</sup> الْفَلَسَفَةَ الْقَدِيمَةَ  
لِيُقِيمَ الدِّينَ وَيُعَلِّيَ بِنَاءَهُ ، وَيُقَوِّيَ أَرْكَانَهُ ، وَأَنَّهُ خَالَفَ  
سِوَاهُ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فِي أَنَّهُ لَمْ يُحَاوِلِ التَّقْرِيبَ بَيْنَ  
الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، وَفَضَّ النِّزَاعَ بَيْنَ الْفِكْرِ وَالْعَاطِفَةِ ،  
وَلَكِنَّهُ انْقَضَ<sup>(٤)</sup> عَلَى الْفَلَسَفَةِ فَهَدَمَهَا بِمَعَاوِلِهِ ،  
وَأَسْتَأْثَرَ<sup>(٥)</sup> بِالدِّينِ فَجَعَلَهُ وَحْدَهُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَأَقَامَهُ

هادم  
الفلسفة

(١) تقصر : تعجز . (٢) الثبت : بالتحريك ، الحججة في العلم ، يقال  
هو ثبت من الاثبات . (٣) هدم : أتى عليها من أساسها (٤) انقض :  
وذب (٥) استأثره وبه : فضله على سواه

مُنْتَصِرًا<sup>(١)</sup> دَاحِرًا كُلَّ مُحَاوَلَاتِ الْعَقْلِ وَشُكُوكِهِ .

\* \* \*

رأى  
ماكدولاند  
في الغزالي

وَقَدْ لَخَّصَ الْعَلَمَةُ « مَا كَدُولَانْدُ » جُهُودَ الْغَزَالِيِّ  
وَحَصَرَهَا فِي أَرْبَعَةِ أُمُورٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ أَوْلَا عَادَ بِالنَّاسِ  
مِنَ الْجُرْمِي فِي إِثْرِ النَّظَرِيَّاتِ ، وَالْجَدَلِ وَالْفِقْهِ ، وَالْمَنْطِقِ  
وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ ، وَأَخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرِيقِ ، إِلَى  
الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَالِاتِّصَالِ الْمَلَابِسِ لِلدِّينِ وَالسُّنَّةِ  
وَالْكِتَابِ ، بَلْ إِلَى رُوحِ الدِّينِ ذَاتِهِ وَجَوْهَرِهِ  
وَلِبَابِهِ<sup>(٢)</sup> ، دُونَ الْقُشُورِ وَالسُّطُوحِ وَالْأَغْشِيَّةِ ، وَالْمَسَائِلِ  
النَّظَرِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الْمَقْدِ ، وَإِنَّ مَا وَقَعَ فِي أَوْزُبَا عِنْدَ  
تَحْطِيمِ نِيرِ<sup>(٣)</sup> الْفَلَسَفَةِ الْمَذْهَبِيَّةِ فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى ، بَلْ  
إِنَّ مَا هُوَ الْيَوْمَ بِالذَّاتِ وَقَعَ بِسَبِيلِ هَذَا وَنَحْوِهِ ،  
قَدْ وَقَعَ بِالْفِعْلِ فِي الْإِسْلَامِ لِعَهْدِ إِمَامَةِ الْغَزَالِيِّ وَزَعَامَتِهِ

(١) داحرا : طاردا ومبععا (٢) لبابه : خلاصته (٣) النير : بكسر  
النون ، الحشبة توضع على عنق الثور بأداتها ، والكلام على التشبيه

الْفِكْرِيَّةِ ، وَقِيَامِهِ بِدَعْوَتِهِ ، وَأَدَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ فِي  
وُسْعِهِ أَنْ يَكُونَ فَقِيهَاً مَعَ الْفُقَهَاءِ ، وَمَذْهَبِيًّا مَعَ  
الْمُتَمَذِّهِينَ ، وَلَكِنَّ طَرِيقَتَهُ فِي الْحَقِّ وَفَضْلَهُ ، مُنْحَصِرَانِ  
فِي تَوْفُرِهِ عَلَى إِزْرَارِ تَعَالِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَجَعَلَهَا  
أَسَاسًا عِلْمِيًّا ، لَا تَحْوُلَ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلَ لَهُ ، وَقَدْ ظَهَرَ  
دَائِمًا أَنَّ الْإِنْطِلَاقَ مِنَ الْبَحْثِ النَّظْرِيِّ عَنِ الْحَقَائِقِ  
وَالْجَدَلِ فِيهَا ، وَالْحِوَارِ الْمُقِيمِ عَلَيْهَا ، إِلَى الْأَخْذِ بِهَذِهِ  
الْحَقَائِقِ الْأَسَاسِيَّةِ ، فِي غَيْرِ جَدَلٍ عَقِيمٍ ، وَبَحْثِ غَيْرِ  
مُجْدٍ<sup>(١)</sup> ، هُوَ فِي الْوَاقِعِ الْفِرَارُ مِنَ النَّزْعَةِ الْمَذْهَبِيَّةِ ،  
وَالْتَخَلُّصُ مِنْ نِيرِهَا<sup>(٢)</sup> الْمُسْتَبَدِّ الْأَلِيمِ .

وَقَدْ حَاوَلَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ذَلِكَ  
بِالذَّاتِ قَبْلَ الْغَزَالِيِّ بِمِائَتَيْ سَنَةٍ ، كَمَا حَاوَلَهُ ابْنُ رُشْدٍ  
كَذَلِكَ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ رَحِيلِهِ ، وَكَمَا فَعَلَ فِي عَهْدِنَا  
هَذَا « أُسْبُرَنْجِرُ » إِذْ أَرَادَ أَنْ يُدْخِلَ حَيَاةً جَدِيدَةً عَلَى

(١) غير مجد : غير نافع ولا مفيد (٢) النير : الحشبة المعترضة في عنق

الإسلام في الهند فلم يوفق وعاد فاشلا ، ونحسبه لم  
ينجح لأن المهمة كانت شاقة عصبية<sup>(١)</sup> عليه ، أو لأنه  
لم يكن له من الإيمان والشخصية ، ما كان للغزالي  
من ذلك كله .

\* \* \*

أثر الخوف  
من عقاب  
الله

وثانياً : أن الغزالي في وعظه وأخلاقياته ، وتعاليمه  
النفسية عاد فأدخل عنصر الخوف ، فقد جعل في كتابه  
« المنقذ من الضلال » وغيره من الكتب ، يوكّد  
وجوب إلقاء الرثب<sup>(٢)</sup> والوجل<sup>(٣)</sup> في نفوس العامة ،  
منادياً بأن الأمر لم يعد يستوجب الملاينة والمصانعة  
والرفق والتأميل<sup>(٤)</sup> والتفاؤل ، بل لقد وجب أن تبين  
للناس حقيقة الجحيم ، وعذابها الأليم ، فقد أحسها  
هو في نفسه ، وشعر بها في أعماقه ، وقد رأيناها كيف

(١) العصب : الصعب الشديد : ومنه قوله تعالى : هذا يوم عصب :  
أى صعب شديد (٢) الرعب : شدة الخوف . (٣) الوجل : الخوف والرعب  
وجمه أوجال (٤) التأميل : الرجاء

تَجَرَّدَ مِنَ الْمُتَمَعِ <sup>(١)</sup> ، وَأَخْضَعَ النَّفْسَ لِلزُّهْدِ وَالنُّسْكِ ،  
وَالْحِرْمَانِ ، وَجَعَلَ الْخَوْفَ مِنَ النَّارِ الْبَاعِثَ الْأَكْبَرَ  
عَلَى هِدَايَتِهِ ، وَاجْتِنَابِهِ الضَّلَالَ وَالْهَوَى .

\*\*\*

وَتَالِيًا : أَنَّ الصُّوفِيَّةَ بَلَغَتْ بِفَضْلِهِ وَنُفُوزِهِ وَتَأْثِيرِهِ  
مَكَانًا ثَابِتًا وَطَيِّدًا <sup>(٢)</sup> فِي الْإِسْلَامِ .

إعلاء مكانة  
الصوفية △

وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي أَنَّهُ لَمْ يَسْكُنْ أَوْلَ مَنْ أَدْخَلَهَا  
فِي الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ كَانَتْ قَائِمَةً قَبْلَ ظُهُورِهِ ، وَقَدْ  
حَدَّثْنَاكَ عَنْ أَبِي الْمَعَالِي الْجَوْزِيِّ الْمَلَقَّبِ بِإِمَامِ الْخُرَمِيِّ  
كَيْفَ كَانَ صُوفِيًّا ، كَمَا كَانَ الْقَشِيرِيُّ كَذَلِكَ مِنْ  
الْمُتَّصِفَةِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِهِ ،  
وَكَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا الْغَزَالِيَّ عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَ عَنْهُمْ  
كَأَنَّا مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ .

\*\*\*

وَلَكِنْ كَمَا أَدْخَلَ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ عِلْمَ الْكَلَامِ

الأشعري  
والغزالي

(١) المتع: ملاذ الحياة (٢) وطيدا: ثابتا مقويا .

فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ الْمَرْحَلَةَ الْأَخِيرَةَ ، مِنْ شَوْطِ بَعِيدِ  
الْمَدَى ، وَتَطَوُّرِ مُسْتَطِيلِ السَّعَةِ ، أَنْتَهَى بِقِيَامِهِ هُوَ  
وَتَبْرِيزِهِ ، وَتَقْرِيرِهِ هُوَ وَتَعَزِيزِهِ ، كَذَلِكَ قِيَضَ (١)  
اللَّهُ لِلتَّصَوُّفِ إِمَامَنَا الْغَزَالِيَّ ، لِيَجْعَلَ لِلطَّرِيقَةِ مَكَانًا  
ثَابِتًا مُعْتَرَفًا بِهِ ، مُقَرَّرًا فِي طُرُقِ الْإِسْلَامِ ، وَمَنَاهِجِ  
عِبَادَاتِهِ وَمَذَاهِبِهِ .

وَإِلَى هَذَيْنِ الْإِمَامَيْنِ الْأَشْعَرِيِّ وَالْغَزَالِيَّ ، أَصْبَحَ  
يُنْسَبُ أَخْطَرُ نَقْطَتَيْ دَوْرَانِ فِي تَارِيخِ الدِّيَانَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
فَقَدْ كَانَ كِلَاهُمَا حُجَّةً (٢) وَكَانَ كِلَاهُمَا عَظِيمًا ، وَإِمَامًا  
هَادِيًا ، وَكَانَ كِلَاهُمَا ذَا شَخْصِيَّةٍ كَبِيرَةٍ الْخَطَرِ ، جَلِيلَةٍ  
السُّلْطَانِ ، وَإِنْ كَانَ الْعَجَبُ الْعَاجِبُ (٣) فِي أَمْرِهِمَا أَنَّهُمَا كَانَا  
مَعَ ذَلِكَ طِفْلَيْنِ مِنْ أَطْفَالِ الْعَصْرِ ، وَصَغِيرَيْنِ مِنْ صِغَارِ  
الْجِيلِ .



(١) قِيَضَ : هِيَ (٢) حُجَّةٌ : أَيِ بُوْتُقِ بَعَامِهِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ فِي الْمَعْضَلَاتِ

(٣) الْعَاجِبُ : الْمَدْهَشُ

وَأَلُوَجُهُ الرَّابِعُ مِنْ أَثَرِ الْغَزَالِي وَوَقِيمَةِ عَمَلِهِ :  
أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَدْنَى الْفَلَسَفَةَ ، وَقَرَّبَ بِحُوتِهَا  
الدِّيَنِيَّةَ أَوْ الإِلَهِيَّاتِ ، مِنْ مُتَنَاوَلِ الذُّهْنِ الْعَادِي ، وَتَعَاطَى  
النَّاسِ عَامَّةً لَهَا ، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلِهِ مَخْفُوفَةً بِالْأَسْرَارِ ،  
مُسَكَّنَةً بِالْغُمُوضِ وَالرَّهْبَةِ ، كَأَنَّهَا عِلْمٌ « لَاهُوتِي » (١)  
لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُ أَصْحَابِهِ وَالرَّاسِخِينَ (٢) فِيهِ ، لِمَا كَانَ  
لِإِصْطِلَاحَاتِهَا مِنَ الْغَرَابَةِ عَلَى الْأَذْهَانِ ، حَتَّى لِنَتَقْتَضِيَ  
مَعْرِفَتَهَا الدَّرْسَ الْمُجْهِدَ ، وَالِاسْتِظْهَارَ الشَّاقَّ ، وَكَانَ  
مِنْ الصَّعْبِ عَلَى الطَّالِبِ وَالنَّاشِءِ وَالْمُبْتَدِئِ ، وَالْقَارِئِ  
الِاعْتِيَادِيَّ أَنْ يَفْهَمَ أَوَّلَ وَهَلَةٍ (٣) رِسَالَةٍ فِي الْفَلَسَفَةِ  
أَوْ بَحْثًا فِي آيَةٍ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيهَا الْمُتَمَدِّدَةِ ، فَقَدْ انْتَقَلَتْ  
النَّظَرِيَّاتُ وَالْمَذَاهِبُ ، وَالْأَفْكَارُ الْيُونَانِيَّةُ بِأَكْثَرِ

(١) علم اللاهوت : علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وسمواته وأعمال  
عنايته والتعاليم التي يجب الاعتقاد بها والواجبات التي يلزمنا تميمها .  
(٢) الراسخين : أي الذين أتوا علما فضلوا به غيرهم وأمسوا أعلاما  
يقتدى بهم (٣) أي أول كل شيء



مُصْطَلَحَاتِهَا ، وَتَعْبِيرَاتِهَا إِلَى الشَّرِيَايَةِ أَوْلَا ، وَمِنْ  
هَذَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَوْجَبَ هَذَا الْإِنْتِقَالَ كَثِيرًا مِنْ  
التَّضْحِيفِ وَالتَّعْرِيبِ ، وَفِي ذَلِكَ مَجْهَدَةٌ وَمَشَقَّةٌ وَعَمَلٌ  
شَدِيدٌ ، وَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ طَوْلِ دِرَاسَةٍ ، وَتَقْصِيرِ  
مُتَوَاصِلٍ ، قَبْلَ مَعْرِفَةِ مُصْطَلَحَاتِ الْجَدَلِ ، وَالْإِلْمَامِ  
بِعِلْمِ الْمُنَظَرَةِ .

\*\*\*

تهافت  
الفلاسفة

فَلَمَّا جَاءَ الْغَزَالِيُّ ، غَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ ، أَوْ حَاوَلَ  
تَغْيِيرَهُ ، فَإِنَّ كِتَابَهُ « تَهَافُتَ الْفَلَسَفَةِ » ، لَمْ  
يُوضِعْ لِطُلَّابِ الْفَلَسَفَةِ وَحَدَثِهِمْ ، وَلَمْ يُؤَافِ لِلْبَاحِثِينَ  
حَاصَةً . وَلَكِنَّهُ كَتَبَ لِلْعُمُومِ ، وَقُرَّبَتْ مَوَارِدُهُ  
وَمَنَاهِلُهُ لِسَائِرِ الْوُرَادِ وَالْقَاصِدِينَ ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي  
مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ بِالذَّاتِ ، وَهَذَا هُوَ مَا أَغْضَبَ  
الْفَلَيْسُوفَ أَبْنَ رُشْدٍ وَأَحْفَظَهُ <sup>(١)</sup> عَلَى الْغَزَالِيِّ ، وَدَفَعَ

(١) أحفظه : أغضبته

وإن في هذا الكتاب شيئا من عمقها وعمقها ما لا يوجد

في غيره من اشغال الغزالي

الاسم الشهير في الفلسفة هو ابن رشد  
شأنه العزيم من الفلاسفة  
فما لا يوجد في غيره  
من اشغال الغزالي

بِهِ إِلَى تَقْدِهِ ، وَالتَّحَامُلِ عَلَيْهِ . وَجَمَعَهُ يُحْبِذُ إِحْرَاقَ  
كُتُبِهِ ، وَإِعْدَامَ تَوَالِيفِهِ ، وَمِنْ هُنَا يَسْمَاؤُ (١) الْغَزَالِيُّ  
عَنِ ابْنِ رُشْدٍ ، فِي أَنَّهُ أَفَيْلَسُوفُ الْحُرِّ السَّمْحِ (٢)

الْفِكْرِ .



يَدْنَمَا كَانَ ابْنُ رُشْدٍ مِنَ الْمُحَافِظِينَ الَّذِينَ يَأْبُونَ  
إِلَّا أَنْ يَخْلُقُوا « أَرِسْتُقْرَاطِيَّةً » لِلْعِلْمِ ، وَهُوَ أَمْرٌ غَرِيبٌ  
فِي الْحَقِّ مِنْ فَيْلَسُوفٍ مِثْلِهِ ، أَخَذَ عَنِ أَرِسْطُو ، وَهُوَ  
الْمُنَادِي بِحُرِّيَّةِ الْعِلْمِ وَشَعْبِيَّتِهِ ، وَدِيمُقْرَاطِيَّةِ أَصْحَابِهِ .  
وَقَدْ كَانَ ابْنُ رُشْدٍ يُرِيدُ مِنَ الدَّوْلَةِ أَنْ تَتَدَخَّلَ  
بِسُلْطَانِهَا ، لِتَمْنَعَ تَنَاوُلَ مَوْضُوعَاتِ الْفَلَسَفَةِ فِي الْكُتُبِ  
الْمَوْالَفَةِ لِلْعَامَّةِ ، كَمَا تُصَادِرُ أَنْتِشَارُ التَّوَالِيفِ الْفَلَسَفِيَّةِ ،  
وَتَعْمَلُ عَلَى وَقْفِ ذُبُوعِهَا وَتَدَاوُلِهَا ، وَقَدْ عَرَضَ ابْنُ  
رُشْدٍ لِهَذَا كُلِّهِ فِي كِتَابِهِ « فَصْلُ الْمَقَالِ » ، وَغَيْرِهِ مِنْ

أرسطراطية  
العلم

(١) يمتاز عنه : يفضلُه ويفوقُه (٢) السَّمْحُ الْفِكْرُ : التَّسْعُ التَّفَكِيرُ

من غير أتمت .

رَسَائِلِهِ ، وَنَحَسِبُ هَذَا هُوَ السَّبَبَ الَّذِي جَعَلَ ابْنَ  
رُشْدٍ ، ضَعِيفَ الْأَثَرِ فِي عَصْرِهِ ، فَلَمْ يَشْتَهَرْ مِنْ كُتُبِهِ  
غَيْرُ رَدِّهِ عَلَى كِتَابِ « التَّهَافُتِ لِلْغَزَالِيِّ » ، وَمَا تَعَرَّضَ  
فِيهِ لِابْنِ سَيْنَا وَأَنْفَارَابِيِّ ، إِذْ كَانَ أَبُو حَامِدٍ يَرَاهُمَا مِنْ  
الْكَفَّارِ ، وَكَانَتْ مَسْأَلَةُ « قَدِيمِ الْعَالَمِ » هِيَ مِثَارٌ (١)  
الْخِلَافِ بَيْنَهُمَا وَيَبْدَهُ .

\* \* \*

ظاهر  
الشرع

وَلَسْنَا نُتَكْرَرُ أَنَّ الْغَزَالِيَّ قَدْ نَصَحَ فِي مَوَاضِعَ  
كَثِيرَةٍ مِنْ تَوَالِيْفِهِ بِالْحَدَرِ وَالْإِحْتِرَاسِ وَالْحَيْظَةِ فِي  
شَرْحِ الْفَلَسَفَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ وَالتَّعَالِيمِ ، وَالْأَدِلَّةِ  
وَالْبَرَاهِينِ الْجَدَلِيَّةِ لِلْعَامَّةِ ، وَالَّذِينَ لَمْ يُؤْتُوا الْإِسْتِعْدَادَ  
لِتَلَقُّنَهَا وَإِذْرَاقِهَا وَفَهْمِهَا ، وَلَكِنَّ الثَّابِتَ الصَّحِيحَ ،  
أَنَّ الْغَزَالِيَّ لَمْ يَبْلُغْ فِي ذَلِكَ مَبْلَغَ ابْنِ رُشْدٍ مِنْهُ ، فَقَدْ  
كَانَ هَذَا يَقُولُ بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَامَّةِ ، أَنْ يَشْتَرِكُوا فِي  
عِلْمِ الْجَدَلِ وَالْبَحْثِ فِي الْمَسَائِلِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَإِنَّمَا يَجِبُ

(١) مِثَارُ الْخِلَافِ : مَنْشُؤُهُ .

أَنْ يَكُونَ فَهْمُهُمْ مَقْصُورًا عَلَى الْقُرْآنِ حَتَّى بِحَرِّ فَيْتِهِ  
وَأُصُوبِهِ ، عَلَى حِينِ كَانَ الْغَزَالِيُّ يَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ مَضَى  
الزَّمَنُ الَّذِي كَانَتْ تَحْتَجِبُ فِيهِ آرَاءُ الْفَلَسَفَةِ ، وَحَانَ أَنْ  
تَخْرُجَ الْفَلَسَفَةُ إِلَى الْفِضَاءِ ، وَتَنْكَشِفَ لِلنَّاسِ عَامَّةً ،  
إِذَا كُنَّا نُرِيدُ حَقًّا لِلدِّينِ النُّجَاةَ مِنْ كُفْرِ الْكَافِرِينَ  
وَالْإِلْحَادِ <sup>(١)</sup> الْمَلَا حِدَةَ .

وَقَدْ رَأَيْنَا كَيْفَ بَدَأَ الْغَزَالِيُّ مُتَشَكِّكًا ؛ ثُمَّ  
كَيْفَ أَنْتَهَى مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ ، وَنَحْنُ عَارِضُونَ <sup>(٢)</sup>  
أَلَا نَلِمَا أَحَدَهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ الْمَتَنَاقِضَيْنِ ابْتِدَاءً  
وَأَنْتِهَاءً .

\* \* \*

لَقَدْ أَنْشَأَ الْغَزَالِيُّ مَسْرَحًا دِينِيًّا خُلِقِيًّا شَاهِقَ الْبُنْيَانِ  
سَامِقَ الْجُدْرِ ، كَانَ لَهُ أُبْرُزُ مَحَلٍّ فِي حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ ،  
وَتَطَوَّرَ الْفِكْرِيُّ ، إِذْ تَنَاوَلَ فِيهِ جَمِيعَ نَوَاحِي الْحَيَاةِ ،

أخلاقيات  
الغزالي

(١) إلحاد الملاحة : أى ميلهم عن الطريق السوى ( ٢ ) عارضون :

فَوَضَعَ لَهَا أُخْلَاقًا وَتَعَالِيمَ ، وَسَمَّنَ لَهَا آدَابًا وَمَعَالِمَ ،  
وَحَلَّلَهَا أَعْمَقَ تَحْلِيلٍ ، وَنَزَعَ <sup>(١)</sup> فِي تَحْلِيلِهَا إِلَى النَّاحِيَةِ  
النَّفْسِيَّةِ دُونَ نَاحِيَةِ الْفَلَسَفَةِ .

\*\*\*

وَقَدْ عَالَجَ الْغَزَالِيُّ مَوْضُوعَ الْخِلَافِ بَيْنَ الْفَلَسَفَةِ  
وَالدِّينِ ، وَكَانَ هَذَا الْمَوْضُوعُ مَشْغَلَةَ الْعُصُورِ ، وَمَدَارَ  
الْبَحْثِ ، وَمِحْوَرَ النِّزَاعِ ، فَجَاءَ هُوَ فَتَوَفَّقَ إِلَى حَلِّ  
مَقْبُولٍ دَلَّ عَلَى قُوَّةِ الْحُجَّةِ ، وَشِدَّةِ الْعَارِضَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَتَسَّاعِ  
مَدَى التَّفَكِيرِ ، فَقَدْ ظَلَّ طَوِيلًا حَارًّا بَيْنَ الدِّينِ  
وَالْفَلَسَفَةِ ، وَإِذَا كَانَتْ نَاحِيَةُ الدِّينِ عِنْدَهُ غَالِبَةً عَلَى  
النَّاحِيَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ ، فَإِنَّ عَقْلَهُ الْخَصِيبَ ، وَبَصَرَهُ النَّافِذَ ،  
وَعَاطِفَتَهُ النَّقِيَّةَ ، لَمْ تَطْمئنَّ إِلَى مَذَاهِبِ الْمُتَكَلِّمِينَ ،  
وَتَكَلَّفَهُمُ الْأَدِلَّةَ الْجَدَلِيَّةَ عَلَى حَقِيقَةِ الدِّينِ ، وَإِنَّمَا

(١) نزع : مال (٢) العارضة : البيان والاسن ، والقدرة على

تَشَكُّكَ فِيهَا جَمِيعًا تَشَكُّكَ يَدُكُ عَلَى عُمُقِ نَظَرِهِ فِي  
نِظَامِ الْكَوْنِ وَأَسْرَارِهِ ، وَيَتَّصِلُ بِمَسَائِلِ أُسَاسِيَّةٍ فِي  
الْفَلَسَفَةِ ، لَمْ يَفْطَنَ إِلَيْهَا الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ قَبْلِهِ ، فَقَدْ  
بَحَثَ الْغَزَالِيُّ فِي نَظَرِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَمَعْيَارِ الْيَقِينِ ، وَتَوَصَّلَ  
بَعْدَ التَّشَكُّكِ إِلَى بَيَانِ حَقِيقَةِ الْعَالَمِ عَنْ طَرِيقِ  
الْحَدْسِ (١) الْبَاطِنِيِّ بِأُسْلُوبٍ يُشْبِهُ أُسَالِيبَ الْفَلَسَافَةِ  
الْمُعَلِّمِينَ وَالْأَسَاطِينِ (٢) .

وَقَدْ أَنْمَأَ الْغَزَالِيُّ عَنْهُمْ جَمِيعًا ، بِأَنَّهُ أُعْطِيَ كُلَّ  
شَيْءٍ حَقَّهُ ، فَلَمْ يَذْهَبْ مَذْهَبَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، أَوْ عُلَمَاءِ  
الْكَلَامِ ، فِي إِخْضَاعِ الْعَقْلِ وَمُدْرَكَاتِهِ لِعَقَائِدِ الدِّينِ ،  
وَلَمْ يَنْجُ (٣) نَحْوَ الْفَلَسَافَةِ فِي حَضَرِ الْإِيمَانِ الدِّينِيِّ فِي  
ضِمْنِ قَوَائِنِ الْعَقْلِ وَأَحْكَامِهِ ، وَلَمْ يَنْصَرِفِ أَنْصِرَافَ  
الصُّوفِيِّينَ إِلَى نَاحِيَةِ الْكَشْفِ الْبَاطِنِيِّ وَحَدَهُ ، دُونَ  
الْمَعْلُومِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَالْعِبَادَاتِ الدِّينِيَّةِ .

(١) الحدس : الظن المؤكد (٢) الأساطين : جمع أسطوانة والمراد كبار

العلماء (٣) لم ينج : أى لم يسلك ما سلكوه .

\*\*\*

الحقائق  
العلمية

وَلَمْ يُنْكَرِ الْغَزَالِيُّ الْحَقَائِقَ الْعِلْمِيَّةَ ، سِوَاهِ الرِّيَاضِيَّةِ  
مِنْهَا وَالطَّبِيعِيَّةِ ، بَلْ يَقُولُ إِنَّ : الْحِسَابَ وَالْهَنْدَسَةَ وَالْفَلَكَ  
وَالطَّبِيعِيَّاتِ ، هِيَ عُلُومٌ حَقِيقِيَّةٌ لَا شَكَّ فِي صِحَّةِ  
بَرَاهِينِهَا ، وَفَضْلِ اسْتِنْتِجَاتِهَا ، وَلَكِنْ مِنْ الْخَطْلِ (١)  
إِفَامَةُ الْعِلْمِ عَلَى الْإِعْتِقَادِ ، كَمَا لَا يَجُوزُ حَصْرُ الدِّينِ  
فِي ضِمْنِ أَحْكَامِ الْعَقْلِ وَبَرَاهِينِ الْمُنْطَقِ ، إِذْ لِكُلِّ مِنَ  
النَّاحِيَتَيْنِ مَصْدَرٌ خَاصٌّ ، فَأَمَّا الْعِلْمُ فَيَسْتَنْدُ إِلَى الْعَقْلِ ،  
وَأَمَّا الدِّينُ فَيَنْبَعُ (٢) مِنَ الْقَلْبِ .

\*\*\*

إخضاع  
الدين  
للعقل

وَلِلتَّدْلِيلِ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الرَّأْيِ ، اتَّجَأَ الْغَزَالِيُّ  
إِلَى مُنَاقَشَةِ الْفَلَّاسِفَةِ فِي مُحَاوَلَتِهِمْ إِخْضَاعَ الدِّينِ لِلْعَقْلِ ،  
فَاعْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي عِشْرِينَ مَسْأَلَةً ، أوردَهَا فِي كِتَابِهِ  
« تَهَافُتِ الْفَلَّاسِفَةِ » ، مُخَالَفَةً لِلدِّينِ ، وَرَأَى ثَلَاثًا مِنْهَا

(١) الخطل : فساد الرأي (٢) ينبعث : فيندفع

يَجِبُ تَكْفِيرُهُمْ فِيهَا ، وَأَمَّا الْبَاقِيَاتُ فَهِيَ عِنْدَهُ فِي  
حُكْمِ الْبِدْعِ (١) .

\* \* \*

وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ الثَّلَاثُ الَّتِي تُوجِبُ التَّفَكِيرَ ،  
هِيَ قِدَمُ الْعَالَمِ وَأَزَلِيَّتُهُ ، وَأَقْتِصَارُ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى  
الْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ ، وَالْإِنْكَارُ حَشْرِ الْأَجْسَادِ ،  
وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الْأَخِيرَةُ لَبَسَتْ كَبِيرَةَ شَأْنٍ مِنْ وَجْهَةِ  
الْفَلَسَفَةِ .

موجبات  
التفكير

important

\* \* \*

وَقَدْ تَعَرَّضَ الْغَزَالِيُّ لِمُنَاقَشَةِ الْمَسْأَلَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ  
مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ ، فَتَنَاولَ مَسْأَلَةَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ  
فَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقًا كَمَا جَعَلَ الْفَلَّاسِفَةُ ، إِذْ يَذْهَبُونَ  
إِلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ نِهَآيَةً ، وَأَنَّ الْمَكَانَ مَحْدُودٌ ، عَلَى حِينِ  
يَقُولُونَ: إِنَّ الزَّمَانَ لَا أِبْتِدَاءَ لَهُ وَلَا انْتِهَاءَ ، وَفِي ذَلِكَ

مسألة الزمان  
والمكان

قول  
الغزالي

(١) البدع : جمع بدعة وهي الاحداث في الدين



يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ فِي تَهَافُتِ الْفَلَسَفَةِ ، كَمَا أَنَّ  
 الْبُعْدَ الْمَكَانِيَّ تَابِعٌ لِلْجِسْمِ ، فَالْبُعْدُ الزَّمَانِيُّ تَابِعٌ  
 لِلْحَرَكَةِ ، وَهُوَ أَمْتِدَادُ الْحَرَكَةِ ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ أَمْتِدَادُ  
 أَقْطَارِ الْجِسْمِ . . فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْبُعْدِ الزَّمَانِيِّ الَّذِي  
 تَنْقَسِمُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ ، عَنِ الْإِضَافَةِ إِلَى « قَبْلُ » وَ « بَعْدُ » ،  
 وَبَيْنَ الْبُعْدِ الْمَكَانِيِّ الَّذِي تَنْقَسِمُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ ، عَنِ  
 الْإِضَافَةِ إِلَى « فَوْقُ » وَ « تَحْتُ » .

وَمَعْنَى هَذَا - أَنَّ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ عِبَارَةٌ عَنِ  
 الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ ، أَوْ هُمَا عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلَاقَاتِ  
 بَيْنَ تَصَوُّرَاتِنَا ، وَهَذَا قَالَ فَرِيقٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ : إِنَّ  
 رَأْيَ الْغَزَالِيِّ فِي هَذَا يَدْنُو (١) كَثِيرًا مِنْ نَظَرِيَّةِ  
 الْفَيْلَسُوفِ « كَانَتْ » الَّتِي تَقُولُ : إِنَّ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ  
 لَيْسَا مِنَ الْمَعَانِي الْأَكْلِيَّةِ ، بَلْ صُورٌ سَابِقَةٌ لِلتَّجْرِبَةِ ،  
 نَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى إِدْرَاكِ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ .

(١) يدنو : يقرب

دوره عليه السلام  
 نظرية  
 للمكان  
 معرفته الله  
 دوره الحكيم  
 نما  
 وعاد الضمير المحمدي  
 نظرية كانت  
 تندرج منه  
 الفلزات  
 الخ  
 الزمان

انك صرنا لاجل  
السلام

نظرية السببية  
والمعجزات  
والرد على  
الفلاسفة

عَلَى أَنَّ أَهَمَّ مَسْأَلَةٍ فِلْسَفِيَّةٍ تَعْرِضُ الْنِزَالِي لَهَا ،  
هِيَ السَّبَبِيَّةُ ، وَفِيهَا يَقُولُ فِي « التَّهَافُتِ » : إِنَّ الْأَقْتِرَانَ  
بَيْنَ مَا يُعْتَقَدُ فِي الْعَادَةِ سَبَبًا ، وَمَا يُعْتَقَدُ مُسَبَّبًا ، لَيْسَ  
ضُرُورِيًّا عِنْدَنَا ، بَلْ كُلُّ شَيْئَيْنِ لَيْسَ هَذَا ذَاكَ ، وَلَا  
ذَاكَ هَذَا ، وَلَا إِثْبَاتُ أَحَدِهِمَا مُتَضَمِّنٌ لِإِثْبَاتِ الْآخَرِ ،  
وَلَا نَقِيضُهُ مُتَضَمِّنٌ لِنَقِيضِ الْآخَرِ ، فَلَيْسَ مِنْ ضُرُورَةٍ  
وُجُودِ أَحَدِهِمَا وُجُودُ الْآخَرِ ، وَلَا مِنْ ضُرُورَةِ عَدَمِ  
أَحَدِهِمَا عَدَمُ الْآخَرِ ، مِثْلُ الرَّيِّ وَالشَّرْبِ ، وَالشَّبَعِ  
وَالْأَكْلِ ، وَالشِّفَاءِ وَشُرْبِ الدَّوَاءِ . . . وَهَلُمَّ جَرًّا ، إِلَى  
كُلِّ الْمَشَاهِدَاتِ مِنَ الْمُقْتِرِنَاتِ فِي الطَّبِّ وَالنَّجُومِ  
وَالصَّنَاعَاتِ وَالْحَرْفِ ، وَإِنَّ اقْتِرَانَهَا لِمَا سَبَقَ مِنْ  
تَقْدِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِخَلْقِهَا عَلَى التَّسَاوُقِ <sup>(١)</sup> لَا  
لِكَوْنِهَا ضُرُورِيًّا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّخَلُّفِ .

(١) التساووق : النظام والترتيب . ومنها كلمة السياق

وَعَلَى سَبِيلِ زِيَادَةِ الشَّرْحِ يَقُولُ : وَلَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ  
إِلَّا مُشَاهَدَةُ حُصُولِ الْإِحْتِرَاقِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ النَّارِ ،  
وَالْمُشَاهَدَةُ تَدُلُّ عَلَى الْحُصُولِ عِنْدَهُ ، وَلَا تَدُلُّ عَلَى  
الْحُصُولِ بِهِ ، وَأَنَّهُ لَا عِلَّةَ سِوَاهُ .

Δ وَخُلَاصَةُ رَأْيِ الْغَزَالِيِّ فِي هَذَا ، أَنَّهُ حِينَمَا نَشَاهِدُ  
تَعَاقُبَ حَادِثَةٍ بَعْدَ أُخْرَى ، نُسَمِّي أَوْلَاهُمَا سَبَبِيًّا ،  
وَالْأُخْرَى مُسَبَّبِيًّا ، عَلَى أَنَّ مُجَرَّدَ اُعْتِيَادِنَا لِمُشَاهَدَةِ هَذَا  
التَّعَاقُبِ ، لَا يَسْمَحُ لَنَا بِأَنْ نَجْعَلَ الْحَادِثَةَ الْأُولَى عِلَّةً  
لِوُجُودِ الثَّانِيَةِ ، كَمَا يَقُولُ بِذَلِكَ قَانُونُ السَّبَبِيَّةِ ، وَلَا  
يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَدِلَّ مِنْ تَعَاقُبِ شَيْئَيْنِ بِانْتِظَامٍ فِي  
مُشَاهَدَتِنَا ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا لَا يَتَّصَرُّ  
تَغْيِرُهُ دَائِمًا .

وَمَعْنَى هَذَا إِنْكَارُ السَّبَبِيَّةِ فِي حَوَادِثِ الطَّبِيعَةِ ،  
وَلَيْسَ الْغَزَالِيُّ بِالْمُفَكِّرِ الْوَحِيدِ الَّذِي أَرَادَ إِنْكَارَ  
ضَرُورَةِ وُجُودِ هَذَا الْقَانُونِ الَّذِي تَسْتَدِدُّ إِلَيْهِ جَمِيعُ

العلوم ، فقد جاء بعده في القرن الثامن عشر الفيلسوف  
« دافيد هيوم » ، فحذا (١) حذو الغزالي في إنكار  
قانون السببية ، ذاهباً إلى أن ليس ثمة دليل عقلي لدينا  
على ضرورة وجود علاقة بين السبب والمسبب ، وإنما  
اعتياداً رؤىة المسبب معقبا للسبب بانتظام في جميع  
مشاهداتنا ، هو الذي يذهب بنا إلى الظن بأن الأول  
علة وجود الآخر ، ولكن هذه المشاهدات ، لا تكفي  
لإثبات صحة وجود هذه العلاقة بينهما ، كما ينص قانون  
السببية العام .

\*  
\*  
\*

على أن « دافيد هيوم » مع هذا الاعتراض على  
القانون ، ظل متمسكاً به ، وهو في ذلك يقول :  
إن اعتمادنا على صحة قانون السببية إنما نشأ عن غريزة  
وعادة طبيعية في البشر ، تجعلنا نتيقن تيقناً باطنياً بأن

مذهب هيوم  
في قانون  
السببية

(١) حذا حذوه : سار سيرته واتبع خطته

كُلَّ حَوَادِثِ الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُخَالِفَ النُّظَامَ الدَّائِمَ  
الَّتَابِتَ .

\* \* \*

إنكار  
الضرورة  
العقلية

وَقَدْ فَطَنَ الْعَزَائِلُ كَمَا كَانَ إِلَى أَزْإِنْكَارِ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ  
يُودَى أَخِيرًا إِلَى أَرْتِكَابِ مُحَالَاتٍ <sup>(١)</sup> شَنِيعَةٍ ، حَتَّى  
يَجُوزَ عِنْدَنَا انْقِلَابُ الْكِتَابِ حَيَوَانًا ، وَجَرَّةَ الْمَاءِ  
شَجَرَةً تَفَاحٍ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، فَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :  
فِي كِتَابِ « التَّهَابُتِ » إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَنَا عِلْمًا بِأَنَّ هَذِهِ  
الْمُمَكِّنَاتِ لَمْ يَفْعَلْهَا ، وَلَمْ نَدَّعِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ  
وَاجِبَةٌ ، بَلْ هِيَ مُمَكِّنَةٌ ، يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ ، وَيَجُوزُ  
أَلَّا تَقَعَ ، وَأَسْتَمِرَّارُ الْعَادَةِ بِهَا مُدَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، تُرْسِخُ <sup>(٢)</sup>  
فِي أَذْهَانِنَا جَرِيَانَهَا عَلَى وَفْقِ الْعَادَةِ الْمَاضِيَةِ ، تَرَسِّخًا  
لَا تَنْفَكُ عَنْهُ . . . إِنَّهُ لَمْ يَنْبُتْ مِنَ الشَّعِيرِ حِنْطَةٌ ،

(١) محالات : أى أشياء لا تقرها قضايا العقول السليمة (٢) ترسخ :

وَلَا مِنْ بَدْرِ الْكَمْثَرَى تُفَاحٌ . . . وَلَكِنْ مَنْ اسْتَقْرَأَ (١)  
عَجَائِبَ الْمُلُومِ لَمْ يَسْتَبِقِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ مَا يُحْكِي مِنْ  
مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ .

\* \*

وَلَمَّا تَذَرِكُ مِنْ هَذَا ، أَنَّ الدَّفَاعَ الَّذِي بَعَثَ  
الْغَزَالِيَّ عَلَى إِنْكَارِ الضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ فِي قَانُونِ السَّبِيَّةِ  
هُوَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَتْرَكَ مَجَالًا لِلْمُعْجَزَاتِ النَّبَوِيَّةِ ، فَلَمْ  
يَرَبَّأَسًا لِهَذَا مِنْ إِخْضَاعِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لِعَقِيدَتِهِ الدِّيْنِيَّةِ .

المعجزات  
النبوية

\* \*

لَقَدْ كَانَ الدِّينُ هُوَ الْمَسِيْطِرَ (٢) الْأَوَّلَ ، عَلَى عَقْلِ  
الْغَزَالِيِّ وَتَفْكِيرِهِ ، وَمَا قَامَتْ شُكُوكُهُ الْأُولَى فِي  
أَحْكَامِ الْعَقْلِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الدَّفَاعِ عَنِ الدِّينِ وَحَقِيقَتِهِ ،  
وَقَدْ اسْتَطَاعَ رَدَّ أَصْلِ الدِّينِ إِلَى الْكَشْفِ الْبَاطِنِيِّ  
وَالْإِيْمَانِ الْقَلْبِيِّ ، وَلَكِنَّهُ عَجَزَ عَنِ تَحْدِيدِ نِطَاقِ كُلِّ

نطاق العقل  
ونطاق الدين

(١) استقرأ : تتبع (٢) المسيطر : المهيمن

مِنَ الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالْوُفُوفِ بِهِمَا عِنْدَ الْحَدِّ الْأَلَزِمِ ، إِنَّهُ  
لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي إِخْضَاعِ الْعَقْلِ لِلدِّينِ عِنْدَ مَا اضْطُرَّ إِلَى  
إثْبَاتِ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ، عَلَى تَقْيِيزِ مَا فَعَلَ الْفَلَّاسِيفَةُ ،  
إِذْ كَانُوا يُخْضِعُونَ الدِّينَ لِلْعَقْلِ ، إِذَا وَجَدُوا بَيْنَهُمَا  
تَبَايُنًا .

\*\*\*

وَقَدْ تَصَدَّى أَبُو رُشْدٍ لِلرَّدِّ عَلَى الْغَزَالِيِّ بِالنِّسْبَةِ  
عَلَى الْغَزَالِيِّ

لِهَذِهِ الْمُعْجَزَاتِ ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ « تَهَافَّتِ التَّهَافَّتِ » :

فَيَكُونُ تَصْدِيقُ النَّبِيِّ أَنْ يَأْتِيَ بِالْخَارِقِ ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ

عَنِ الْإِنْسَانِ ، مُمَكِّنٌ فِي نَفْسِهِ ، وَلَيْسَ يُحْتَاجُ فِي ذَلِكَ

أَنْ نَضَعَ أَنَّ الْأُمُورَ الْمُمْتَنِعَةَ فِي الْعَقْلِ مُمَكِّنَةٌ فِي حَقِّ

الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي صَحَّ وُجُودُهَا ،

وَجَدْتَهَا مِنْ هَذَا الْأَجْنَسِ ، وَأَيُّهَا (١) فِي ذَلِكَ كِتَابُ

اللَّهِ الْعَزِيزِ ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَوْنُهُ خَارِقًا مِنْ طَرِيقِ

(١) أيُّها: أكثرها بياناً

المراد بكتابتها  
لما جرت عليه طبعها  
التي كتبت في  
صحة السور

السَّمَاعِ ، كاتِقْلَابِ الْعَصَا حَيَّةً ، وَإِنَّمَا ثَبَتَ كَوْنُهُ مُعْجِزًا  
بِطَرِيقِ الْحِسِّ وَالْإِعْتِبَارِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ وَجِدَ ، وَيُوجَدُ  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَبِهَذَا فَاقَتْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ سَائِرَ  
الْمُعْجِزَاتِ ، فَلَيْسَتْكَتَفِ بِهَذَا مَنْ لَمْ يَقْتَنِعْ بِالسُّكُوتِ  
عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . وَلْيَعْرِفْ أَنَّ طَرِيقَ الْخَوَاصِّ فِي  
تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ طَرِيقٌ آخَرٌ ، قَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ « أَبُو حَامِدٍ »  
فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ ، وَهُوَ الْفِعْلُ الصَّادِرُ مِنَ الصِّفَةِ الَّتِي  
سُمِّيَ فِيهَا النَّبِيُّ نَبِيًّا ، الَّذِي هُوَ الْإِعْلَامُ بِالْغُيُوبِ ،  
وَوَضْعُ الشَّرَائِعِ الْمُوَافِقَةِ لِلْحَقِّ ، وَالْمُفِيدَةَ مِنَ الْأَعْمَالِ  
مَا فِيهِ سَعَادَةٌ جَمِيعِ الْخَلْقِ .

\* \* \*

وَقَدْ حَاوَلَ <sup>(١)</sup> الْغَزَالِيُّ تَعْلِيلَ الْمُعْجِزَاتِ تَعْلِيلًا  
طَبِيعِيًّا ، فَقَالَ فِي « التَّهَافُتِ » ، وَكَذَلِكَ إِحْيَاءُ الْمَيِّتِ  
وَقَلْبُ الْعَصَا ثُعْبَانًا مُمَكِّنٌ بِهَذَا الطَّرِيقِ ، وَهُوَ أَنَّ

تعلييل  
المعجزات

(١) حاول : أى طلب الشيء بحيلة



الْمَادَّةَ قَابِلَةً لِكُلِّ شَيْءٍ ، فَالْتَّرَابُ وَسَائِرُ الْعِنَاصِرِ  
تَسْتَحِيلُ نَبَاتًا ، ثُمَّ النِّبَاتُ يَسْتَحِيلُ عِنْدَ أَكْلِ الْحَيَوَانَ  
لَهُ دَمًا ، ثُمَّ الدَّمُ يَسْتَحِيلُ مَنِيًّا ، ثُمَّ يَنْصَبُ الْمَنِيُّ فِي  
الرَّحِمِ فَيُخَلَقُ حَيَوَانًا ، وَهَذَا بِحُكْمِ الْعَادَةِ وَاقِعٌ فِي  
زَمَنِ مُتَطَوَّلٍ ، فَلِمَ يُحِيلُ الْخَضَمُ أَنْ يَكُونَ فِي مَقْدُورَاتِ  
اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدَبَّرَ الْمَادَّةَ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ ، فِي وَقْتِ  
أَقْرَبَ مِمَّا عُهُدَ فِيهَا ؟

وَقَدْ أَجَابَ الْغَزَالِيُّ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فِي مَوْضِعٍ  
آخَرَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَتْرُكُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ فِي  
أَفْعَالِهَا ، وَتَتْرُكِبُ الْأَعْوَصَ <sup>(١)</sup> وَالْأَبْعَدَ » كَمَا قَالَ أَيْضًا :  
وَهَكَذَا كَانَ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي  
دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ بِالْعَشَائِرِ وَالْعَصَائِبِ ، وَهُمْ الْمُؤَيَّدُونَ  
مِنَ اللَّهِ بِالْكَوْنِ كُلِّهِ لَوْ شَاءَ ، وَلَكِنَّهُ أُجْرِيَ الْأُمُورَ  
عَلَى مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ .

(١) الأعوص : الأصعب والأشد .

\* \* \*

إثبات  
حقيقة الله

وَقَدْ عَرَضَ الْغَزَالِيُّ فِي « التَّهَافُتِ » ، لِإثْبَاتِ حَقِيقَةِ  
الْإِلَهِ ، وَهِيَ السَّبَبِيَّةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي أُعْتَرِفَ بِهَا ، وَهِيَ  
تَرْجِعُ إِلَى إِزَادَةِ حُرَّةٍ ، وَأَخْتِيَارٍ تَامٍ وَمَعْرِفَةٍ شَامِلَةٍ ،  
فَإِنَّ « الْمُبْدَأَ الْأَوَّلَ » ، أَيِ اللَّهِ هُوَ عَالِمٌ قَادِرٌ  
مُرِيدٌ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ .

وَهُوَ يَقُولُ فِي « التَّهَافُتِ » ، رَدًّا عَلَى مَنْ يَطْلُبُ  
الْحُجَّةَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ : إِنَّ هَذَا فُضُولٌ وَطَمَعٌ فِي غَيْرِ  
مَطْمَعٍ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِمَّا لَا تَتَّسِعُ لَهُ الْقُوَى  
الْبَشَرِيَّةُ ، وَفِي النَّاسِ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ  
الْإِلَهِيَّةَ لَا تُنَالُ بِنَظَرِ الْعَقْلِ ، بَلْ لَيْسَ فِي قُوَّةِ الْبَشَرِ  
الْإِطْلَاعُ عَلَيْهَا ، وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُ الْغَزَالِيُّ أَنَّ الْكَشْفَ  
الْبَاطِنِيَّ ، وَالْيَقِينَ الشَّخْصِيَّ ، مِمَّا يُثَبِّتُ لَنَا وُجُودَ اللَّهِ ،  
لِأَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ هِيَ قَبَسٌ <sup>(١)</sup> مِنْ نُورِ اللَّهِ . وَقَدْ

(١) قبس: أى نور

أَكْتَفَى الْغَزَالِي بِاِقْتِبَاسِ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ  
الْوَجْدَانِيَّةِ عَنِ الصُّوفِيَّةِ ، وَلَمْ يُوَافِقْ عَلَى مَذَاهِبِهِمْ  
الْمُخْتَلِفَةَ فِي الْحُلُولِ وَالْاِتِّحَادِ وَالْوُصُولِ ، كَمَا ذَكَرَ  
فِي كِتَابِهِ « الْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ » ، وَلَمْ يَعْتَرَفْ بِنَظَرِيَّةِ  
وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، الَّتِي تَجْعَلُ الطَّبِيعَةَ أَيْضًا جُزْءًا مِنَ الْقُوَّةِ  
الْإِلَهِيَّةِ .

\* \* \*

وَقَدْ خَالَفَ الْغَزَالِي أَيْضًا فَلَاسِفَةَ الْإِسْلَامِ فِي الْجُزْئِيَّاتِ <sup>علم</sup> <sub>الجزئيات</sub>  
قَوْلِهِمْ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ إِلَّا نَفْسَهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ  
الْجُزْئِيَّاتِ الْمُنْقَسِمَةَ بِانْقِسَامِ الزَّمَنِ إِلَى الْآنِ ، وَإِلَى  
مَا كَانَ ، وَمَا سَيَكُونُ ، وَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ  
خَلَقَ الْعَالَمَ مِنْ لَا شَيْءٍ ، فَإِنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ حَوَادِثَ  
الْعَالَمِ عِبَارَةً عَنِ تَحَوُّلٍ دَائِمٍ فِي أَعْرَاضِ الْجَوْهَرِ وَصُورِهِ  
أَيِ الْمَادَّةِ نَفْسِهَا ، ثُمَّ عَنِ انْتِقَالٍ مِنْ مُمَكِّنٍ إِلَى مُمَكِّنٍ  
سِوَاهُ .

وَلَكِنَّ الْغَزَالِيَّ يَتَسَاءَلُ : أَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ جَدِيدٌ

فِي الْعَالَمِ؟ أَلَا تُكُونُ الْعُقُولُ الَّتِي يُقَسِّمُهَا أَبُو سَيْنَا إِلَى  
دَرَجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، شَيْئًا جَدِيدًا مُطْلَقًا ؟

حَقًّا إِنَّ الْأَسْبَابَ وَالْمُسَبَّبَاتِ لَا نِهَآيَةَ لَهَا ، وَلَا  
يَسْتَطِيعُ الْفِكْرُ الْإِحَاطَةَ بِهَا .

وَيَجِبُ الْأَعْتِرَافُ بِأَنَّ نِظَامَ الصُّورِ وَالْعُقُولِ الَّذِي  
فَضَّلَهُ أَبُو سَيْنَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقِفَ إِزَاءَ ائْتِقَادَاتِ الْغَزَالِيِّ  
وَصَائِبِ ائْتِرَاضَاتِهِ .

لَقَدْ قَالَ فَلَاسِفَةُ الْإِسْلَامِ : إِنَّ حَقِيقَةَ اللَّهِ هِيَ  
الْعَقْلُ وَالْعِلْمُ ، أَمَا الْإِرَادَةُ فَإِنَّهَا تَنْشَأُ عَنِ الْحَاجَةِ ، وَلِذَلِكَ  
هِيَ نَقْصٌ ، وَلَسَكِنَّ الْغَزَالِيَّ يَرَى أَنَّ وَحْدَةَ الْحَقِيقَةِ  
الْإِلَهِيَّةِ ، إِنَّمَا تَتَمَثَّلُ فِي الْإِرَادَةِ قَبْلَ غَيْرِهَا ، وَهُوَ  
يَقُولُ مُعَارِضًا هُوَ لِأَهْلِ الْفَلَاسِفَةِ : إِنَّ اللَّهَ يُصَرِّفُ الْعَالَمَ ،  
لِأَنَّ إِرَادَتَهُ هِيَ الَّتِي ائْتَصَّتْ وَجُودَهُ .

\*\*\*

وَقَدْ شَرَحَ الْغَزَالِيُّ هَذَا كَلْمَهُ فِي كِتَابِهِ « تَهَافُتِ

كتاب  
المقاصد

الْفَلَّاسِفَةِ « كَمَا قَدَّمْنَا لَكَ ، وَاسْكِنَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِدَى <sup>(١)</sup> »  
لِنَقْدِ تَعَالِيْمِهِمْ ، اِبْتَدَأُ بِتَأْلِيْفِ كِتَابِ « الْمَقَاصِدِ »  
فَأَوْضَحَ فِيهِ حُجَجَهُمْ وَعُلُومَهُمْ ، وَقَدْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ  
فِي التَّصَدَّى لِطَرِيقَةِ التَّمْلِيْمِيَّةِ أَوْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَنَقَدَهَا

\*\*

إِذْ أَلْفَ كُتُبًا عِدَّةً فِي الرَّدِّ عَلَى هَذِهِ الْفِرْقَةِ ،  
مِنْهَا : كِتَابُ الْمُسْتَظْهِرِينَ ، وَكِتَابُ الْقِسْطَاسِ  
الْمُسْتَقِيمِ ، وَكِتَابُ حُجَّةِ الْحَقِّ ، حَتَّى لَقَدْ أُعْرِضَ  
بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ مُبَالَغَةً فِي إِضَاحِ حُجَجِهِمْ ، وَأَتَمَّهُ <sup>(٢)</sup>  
بِأَنَّهُ بِذَلِكَ قَدْ عَمِلَ عَلَى نَشْرِ آرَائِهِمْ وَإِذَاعَتِهَا فِي النَّاسِ ،  
فَرَدَّ عَلَى الْمُعْتَرِضِينَ قَائِلًا ، هَذَا صَحِيحٌ وَلَكِنْ فِي  
شُبُهَةٍ لَمْ تَنْتَشِرْ وَلَمْ تَشْتَهَرْ ، أَمَا إِذَا انْتَشَرَتْ فَالْجَوَابُ  
عَنْهَا وَاجِبٌ .

وَلَمْ يَلْجَأِ الْغَزَالِيُّ إِلَى تَسْفِيهِ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ ، إِلَّا

(١) يتصدى : يتعرض (٢) اتهمه : رماه

لأنهم أتهموا كل من يتولى الرد عليهم بالجهل ، فأراد  
هو أن يبين لهم فهمه لحجبتهم ، فقررها وبسطها أولاً  
ثم فندها (١) ورد عليها بعد ذلك .

\* \* \*

وقد عرض الغزالي لبعض مسائل لهذه الفرقة في  
كتابه « المنقذ من الضلال » ، كدعواهم الحاجة إلى  
التعليم وإلى المعلم ، وكلامهم في الحكم بالنص  
أو بالاجتهاد فناقشهم فيه ، وبين أن البدعة لم تبلغ  
هذا الحد إلا بسوء نصرة الصديق الجاهل ، فقد بعثت  
شدة التعصب أنصار الدين إلى مجاهدة التعليمية في  
كل مقدمات كلامهم ، فجاحدوهم في دعواهم الحاجة  
إلى التعليم والمعلم ، ودعواهم أنه لا يصلح كل معلم ،  
بل لا بد من معلم معصوم ، وظهرت حجبتهم في إظهار  
الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضعف قول المنكرين

الرد  
على التعاليم

(١) فندها : كذبها وخطأها

فِي مُقَابَلَتِهِ ، فَأَغْتَرَّ قَوْمٌ بِذَلِكَ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ مِنْ قُوَّةِ  
مَذْهَبِهِمْ ، وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ عَنِ ضَعْفِ نَاصِرِ  
الْحَقِّ ، وَجَهْلِهِ بِطَرِيقِهِ ، بَلِ الصَّوَابُ الْإِعْتِرَافُ بِالْحَاجَةِ  
إِلَى الْمُعَلِّمِ ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُعَلِّمُ مَعْصُومًا ،  
وَمُعَلِّمَنَا الْمَعْصُومُ هُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،  
فَإِذَا قَالُوا هُوَ كَبِتَ ، فَنَقُولُ : مُعَلِّمُكُمْ غَائِبٌ ، فَإِذَا  
قَالُوا مُعَلِّمَنَا قَدْ عَلَّمَ الدُّعَاةَ <sup>(١)</sup> وَبَشَّهْمُ <sup>(٢)</sup> فِي الْبِلَادِ ، وَهُوَ  
يَنْتَظِرُ مُرَاجَعَتَهُمْ إِنْ اخْتَلَفُوا ، أَوْ أَشْكَلَ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ  
مُشْكَلٌ ، فَنَقُولُ : وَمُعَلِّمَنَا قَدْ عَلَّمَ الدُّعَاةَ ، وَبَشَّهْمُ فِي  
الْبِلَادِ ، وَأَكْمَلَ التَّعْلِيمَ ، إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « الْيَوْمَ  
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي »  
- سُورَةُ الْمَائِدَةِ - وَبَعْدَ كَمَالِ التَّعْلِيمِ لَا يُضْرُّ مَوْتُ  
الْمُعَلِّمِ ، كَمَا لَا تَضُرُّ غَيْبَتُهُ .

\*\*\*

الحكم  
أ يكون بالنس  
أم بالاجماع

أَمَامَ سَأَلِ الْحُكْمِ وَهِيَ أَنْ يَكُونَ بِالنِّصِّ أَوْ بِالِاجْتِهَادِ ،

(١) الدعاة : جمع داع : وهو من يدعو الناس إلى دينه أو مذهبه .

(٢) وبشهم : ونشرهم وفرقهم (٣) أشكل : التبس .

( ١٦ - الغزالي - أول )

وَالنَّصُّ لَمْ يُسْمَعْ ، وَالْإِجْتِهَادُ مَظْنَةٌ <sup>(١)</sup> الْخِلَافِ ، فَقَدْ  
أَجَابَ الْغَزَالِيُّ عَنْهَا بِقَوْلِهِ : نَفَعَلُ مَا فَعَلَهُ مُعَاذُ بْنُ  
جَبَلٍ ، إِذْ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ ،  
فَنَحَكُمُ بِالنَّصِّ عِنْدَ وُجُودِ النَّصِّ ، وَبِالْإِجْتِهَادِ إِذَا لَمْ  
نَجِدْ نَصًّا . △ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا سَأَلَهُ ، بِمِ  
تَقْضِي يَا مُعَاذُ ؟ فَقَالَ : بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنْ  
لَمْ تَجِدْ ؟ قَالَ : بِمَا فِي سُنَّةِ <sup>(٢)</sup> رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنْ  
لَمْ تَجِدْ ؟ قَالَ : أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي <sup>(٣)</sup> ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ،  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُجِبُّ  
رَسُولُ اللَّهِ .

بَلْ نَفَعَلُ مَا يَفْعَاهُ دُعَاتُهُمْ إِذَا بَعُدُوا عَنِ الْإِمَامِ  
إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ ، إِذْ لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِالنَّصِّ ، △

(١) المظنة : موضع الشيء ومألفه الذي يظن فيه وجوده. (٢) سنته :  
أى طريقته وهى أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته  
(٣) رأى : أى قياسى



فَإِنَّ النُّصُوصَ الْمُتَنَاهِيَةَ ، لَا تَسْتَوْعِبُ <sup>(١)</sup> الْوَقَائِعَ غَيْرَ  
الْمُتَنَاهِيَةَ ، وَلَا يُمَكِّنُهُ الرُّجُوعُ فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ إِلَى بَلَدَةِ  
الْإِمَامِ ، وَإِلَى أَنْ يَقْطَعَ الْمَسَافَةَ وَيَرْجِعَ ، فَيَكُونُ  
الْمُسْتَفِي قَدْ مَاتَ ، وَفَاتَ الْإِنْتِفَاعُ بِالرُّجُوعِ ، فَمَنْ  
أَشْكَتْ عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ ، فَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَّا أَنْ يُصَلِّيَ  
بِالْإِجْتِهَادِ ، إِذْ لَوْ سَافَرَ إِلَى بَلَدَةِ الْإِمَامِ لِمَعْرِفَةِ الْقِبْلَةِ ،  
لَفَاتَ وَقْتُ الصَّلَاةِ ، فَإِذْ جَازَتْ الصَّلَاةُ إِلَى غَيْرِ  
الْقِبْلَةِ بِنَاءً عَلَى الظَّنِّ ، وَيُقَالُ : إِنَّ الْمُخْطِئَ فِي الْإِجْتِهَادِ  
لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ ، وَلِلْمُصِيبِ أَجْرَانِ ، فَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ  
الْمُجْتَهَدَاتِ ، وَكَذَلِكَ أَمْرٌ صَرَفَ الزَّكَاةَ إِلَى الْفَقِيرِ ،  
وَرُبَّمَا يَظُنُّهُ فَقِيرًا بِاجْتِهَادِهِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ بَاطِنًا بِإِخْفَائِهِ  
مَالَهُ ، وَلَا يَكُونُ هُوَ مُؤَاخِذًا بِهِ وَإِنْ أَخْطَأَ ، لِأَنَّهُ  
لَمْ يُؤَاخِذْ إِلَّا بِمُوجِبٍ <sup>(٢)</sup> ظَنَّهُ ، فَإِنْ قَالَ : ظَنُّهُ مُخَالَفِهِ  
كَظَنِّهِ ، فَتَقُولُ : هُوَ مَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِ ظَنِّ نَفْسِهِ ، كَالْمُجْتَهَدِ

(١) لا تستوعب : لا تشمل (٢) الموجب : الباعث والداعي .

فِي الْقِبْلَةِ ، يَتَّبِعُ ظَنَّ نَفْسِهِ وَإِنْ خَالَفَهُ غَيْرُهُ ، وَإِنْ قَالَ :  
فَالْمَقْلُدُ يَتَّبِعُ أَبَا حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - أَمْ غَيْرُهُمَا ؟  
فَأَقُولُ : فَالْمَقْلُدُ فِي الْقِبْلَةِ عِنْدَ الْأَشْتِبَاهِ ، إِذَا اخْتَلَفَ  
عَلَيْهِ الْمُجْتَهِدُونَ مَاذَا يَصْنَعُ ؟

فَسَيَقُولُ : لَهُ مَعَ نَفْسِهِ اجْتِهَادٌ فِي مَعْرِفَةِ الْأَفْضَلِ  
الْأَعْلَمِ بِدَلَالِ الْقِبْلَةِ ، فَيَتَّبِعُ ذَلِكَ الْاجْتِهَادَ ، فَكَذَلِكَ  
فِي الْمَذَاهِبِ .

فَرَدُّ الْخَلْقِ إِلَى اجْتِهَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ ضَرُورَةٌ ،  
مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ قَدْ يُخْطِئُونَ ، بَلْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنَا أَحْكَمُ بِالظَّاهِرِ ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى  
السَّرَائِرَ » أَيْ أَنَا أَحْكَمُ بِغَالِبِ الظَّنِّ الْحَاصِلِ مِنْ  
قَوْلِ الشُّهُودِ ، وَرُبَّمَا أَخْطَأُوا فِيهِ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْأَمْنِ  
مِنَ الْخَطَا لِللَّانْبِيَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُجْتَهِدَاتِ ، فَكَيْفَ  
نَطْمَعُ فِي ذَلِكَ ؟

وَلَهُمْ هَاهُنَا سُوءَ الْآلَانِ : أَحَدُهُمَا قَوْلُهُمْ : هَذَا وَإِنْ

صَحَّ فِي الْمُجْتَهَدَاتِ ، فَلَا يَصِحُّ فِي قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ ، إِذِ  
الْمُخْطِئُ فِيهِ غَيْرُ مَعْدُورٍ ، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ ؟ فَأَقُولُ :  
قَوَاعِدُ الْعَقَائِدِ يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ، وَمَا وَرَاءَ  
ذَلِكَ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَالْمُتَنَازَعُ فِيهِ يُعْرَفُ الْحَقُّ فِيهِ  
بِالْوِزْنِ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهِيَ الْمَوَازِينُ الَّتِي  
ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، وَهِيَ خَمْسَةٌ ذَكَرْتَهَا فِي  
كِتَابِ « الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ » . فَإِنْ قَالَ : خُصُومُكَ  
يُخَالِفُونَكَ فِي ذَلِكَ الْمِيزَانِ ، فَأَقُولُ : لَا يُتَوَوَّرُ أَنْ  
يُفْهَمَ ذَلِكَ الْمِيزَانُ ، ثُمَّ يُخَالَفَ فِيهِ أَهْلُ التَّعْلِيمِ ، لِأَنِّي  
اسْتَخْرَجْتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَتَعَلَّمْتُهُ مِنْهُ ، وَلَا يُخَالَفُ فِيهِ  
أَهْلُ الْمَنْطِقِ ، وَلَا يُخَالَفُ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُ ، لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ  
لِمَا يَذْكَرُهُ فِي أُدْلَةِ النِّظَرِيَّاتِ ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَقُّ فِي  
الْكَلَامِيَّاتِ <sup>(١)</sup> . فَإِنْ قَالَ : فَإِنْ كَانَ فِي يَدِكَ مِثْلُ هَذَا الْمِيزَانِ ،  
فَلِمَ لَا تَرْفَعُ الْخِلَافَ بَيْنَ الْخَلْقِ ؟ فَأَقُولُ : لَوْ أَصْغَوْا  
إِلَى لَرْفَعْتُ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ طَرِيقَةَ رَفْعِ

(١) الكلاميات : مسائل علم الكلام « التوحيد »

أَخْلَافٍ فِي كِتَابِ «الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ»، فَتَأْمَلْهُ لِتَعْرِفَ  
أَنَّهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُ يَرْفَعُ أَخْلَافَ قَطْعًا لَوْ أَضَعُوا، وَلَكِنَّهُمْ  
لَا يُضْعُونَ إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ، بَلْ لَقَدْ أَضَعَى إِلَى طَائِفَةٍ  
فَرَفَعَتْ أَخْلَافَ يَدْنِهِمْ، وَإِمَامُكَ يُرِيدُ رَفْعَ أَخْلَافِ يَدْنِهِمْ،  
مَعَ عَدَمِ إِضْعَائِهِمْ، فَلِمَ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى الْآنَ؟ وَلِمَ لَمْ  
يَرْفَعْ عَلَيَّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَهُوَ رَأْسُ الْأُمَّةِ؟ أَوْ يَدَّعِ  
أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ كَافَتِهِمْ عَلَى الْأِضْعَاءِ قَهْرًا، فَلِمَ لَمْ  
يَحْمِلْهُمْ إِلَى الْآنَ؟ وَلِأَيِّ يَوْمٍ أَجَلُهُ؟ وَهَلْ حَصَلَ  
بَيْنَ الْخَلْقِ بِسَبَبِ دَعْوَتِهِ إِلَّا زِيَادَةُ خِلَافٍ أَوْ زِيَادَةُ  
مُخَالَفٍ؟ نَعَمْ، كَانَ يُخْشَى مِنْ أَخْلَافِ نَوْعٍ مِنَ الضَّرَرِ،  
لَا يَنْتَهِي إِلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ وَتَخْرِيْبِ الْبِلَادِ، وَإِتْيَانِ  
الْأَوْلَادِ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَالْإِغَارَةِ<sup>(١)</sup> عَلَى الْأَمْوَالِ،  
وَقَدْ حَدَّثَ فِي الْعَالَمِ مِنْ بَرَكَاتِ رَفْعِكُمْ أَخْلَافَ مَا لَمْ  
يَكُنْ بِمِثْلِهِ عَهْدٌ. فَإِنْ قَالَ: أَدَّعَيْتَ أَنَّكَ تَرْفَعُ أَخْلَافَ بَيْنَ

الخلق ، وَلَكِنَّ الْمُتَحَيِّرَ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الْمُتَعَارِضَةِ ،  
 وَالْإِخْتِلَافَاتِ الْمُتَقَابِلَةِ ، لَمْ يَلْزَمَهُ الْإِصْغَاءُ إِلَيْكَ دُونَ  
 خَصْمِكَ ، وَأَكْثَرُ الْخُصُومِ يُخَالِفُونَكَ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَكَ  
 وَبَيْنَهُمْ ، وَهَذَا هُوَ سُؤَالُهُمُ الثَّانِي . فَأَقُولُ : هَذَا أَوْلَا  
 يَنْقَلِبُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا دَعَوْتَ هَذَا الْمُتَحَيِّرَ إِلَى  
 نَفْسِكَ ، فَيَقُولُ الْمُتَحَيِّرُ : بِمَ صِرْتَ أَوْلَى مِنْ مُخَالِفِيكَ ،  
 وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ يُخَالِفُونَكَ ؟ فَلَيْتَ شِعْرِي ، بِمَاذَا  
 تُجِيبُ ؟ أَتُجِيبُ بِأَنْ تَقُولَ : إِمَامِي مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ ؟  
 فَمَنْ يُصَدِّقُكَ فِي دَعْوَى النَّصِّ ؟ فَإِنْ كَانَ مُتَحَيِّرًا فِي  
 أَصْلِ النُّبُوَّةِ فَقَالَ : هَبْ أَنْ إِمَامَكَ يُدَلِّي <sup>(١)</sup> بِمُعْجَزَةِ عَيْسَى ،  
 فَيَقُولُ : الدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِي أَنِّي أُحْيِي أَبَاكَ فَأَحْيَاهُ ،  
 فَنَاطِقِي <sup>(٢)</sup> بِأَنَّهُ مُحِقٌّ ، فِيمَاذَا أَعْلَمُ صِدْقَهُ ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ  
 كَافَّةً الْخَلْقَ صِدْقَ عَيْسَى بِهِذِهِ الْمُعْجَزَةِ ، بَلْ عَلَيْهِ مِنَ  
 الْأَسْئَلَةِ الْمَشْكَلَةِ مَا لَمْ يُدْفَعْ إِلَّا بِدَقِيقِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ ،  
 وَالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ لَا يُوثِقُ بِهِ عِنْدَكَ ، وَلَا يَعْرِفُ دِلَالَةَ

(١) يدلي : يحتج : (٢) ناطقني : كلمني وقاواني .

الْمُعْجِزَةِ عَلَى الصِّدْقِ مَا لَمْ يُعْرِفِ السِّحْرُ <sup>(١)</sup> ، وَالتَّمْيِيزُ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعْجِزَةِ ، وَمَا لَمْ يُعْرِفْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ  
عِبَادَهُ ، وَسُؤَالُ الْأِضْلَالِ وَالْجَوَابُ عَنْهُ مَشْهُورٌ ،  
فَبِمَاذَا تَدْفَعُ جَمِيعَ ذَلِكَ ؟ وَلَمْ يَكُنْ إِمَامَكَ أَوْلَى  
بِالْمُتَابَعَةِ مِنْ مُخَالَفِهِ ؟ فَيَرْجِعُ إِلَى الْأَدِلَّةِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي  
يُنْكِرُهَا ، وَخَصْمُهُ يُدَلِّي بِمِثْلِ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ وَأَوْضَحَ  
مِنْهَا ، وَهَذَا السُّؤَالُ قَدْ انْقَلَبَ عَلَيْهِمْ انْقِلَابًا عَظِيمًا ،  
لَوْ اجْتَمَعَ أَوْلَاهُمْ وَآخِرُهُمْ عَلَى أَنْ يُجِيبُوا عَنْهُ جَوَابًا لَمْ  
يَقْدِرُوا عَلَيْهِ .

وَإِنَّمَا نَشَأُ الْفَسَادَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الضَّعْفَةِ ، نَاطِرُوهُمْ <sup>(٢)</sup>  
فَلَمْ يَشْتَفِلُوا بِالْقَلْبِ ، بَلْ بِالْجَوَابِ ، وَذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ  
فِيهِ الْكَلَامُ ، وَلَا يَسْبِقُ سَرِيعًا إِلَى الْأَفْهَامِ ، فَلَا  
يَصْلُحُ لِلْإِفْحَامِ <sup>(٣)</sup> فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَهَذَا هُوَ الْقَلْبُ ،

(١) السحر: الباطل في صورة الحق (٢) ناظروهم: جادلوهم

(٣) للإفحام: أفحمه أسكته بالحجة في خصومة أو غيرها

فَهَلْ عَنْهُ جَوَابٌ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ، جَوَابُهُ أَنَّ الْمُتَحَيِّرَ  
لَوْ قَالَ: أَنَا مُتَحَيِّرٌ وَلَمْ يُعَيِّنِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي هُوَ مُتَحَيِّرٌ  
فِيهَا، يُقَالُ لَهُ أَنْتَ كَمَرِيضٍ، يَقُولُ: أَنَا مَرِيضٌ،  
وَلَا يَذْكُرُ عَيْنَ مَرَضِهِ وَيَطْلُبُ عِلَاجَهُ، فَيُقَالُ لَهُ:  
لَيْسَ فِي الْوُجُودِ عِلَاجٌ لِلْمَرَضِ الْمَطْلُوقِ، بَلْ إِمْرَاضٌ  
مُعَيَّنَةٌ، مِنْ صُدَاعٍ أَوْ إِنْهَالٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، فَكَذَلِكَ  
الْمُتَحَيِّرُ، يَنْبَغِي أَنْ يُعَيِّنَ مَا هُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيهِ، فَإِنْ عَيَّنَ  
الْمَسْأَلَةَ، عَرَفْتَهُ الْحَقَّ بِالْوِزْنِ بِالْمَوَازِينِ الْخَمْسَةِ، الَّتِي  
لَا يَفْهَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا وَيَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ الْمِيزَانُ الْحَقُّ،  
الَّذِي يُوثِقُ بِكُلِّ مَا يُوزَنُ بِهِ، فَيَفْهَمُ الْمِيزَانَ، وَيَفْهَمُ  
أَيْضًا مِنْ صِحَّةِ الْوِزْنِ، كَمَا يَفْهَمُ مُتَعَلِّمُ الْحِسَابِ نَفْسَ  
الْحِسَابِ، وَكَوْنِ الْمُحَاسِبِ الْمُعَلِّمِ عَالِمًا بِالْحِسَابِ  
وَصَادِقًا فِيهِ، وَقَدْ أَوْضَحْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ «الْقِسْطَاسِ  
الْمُسْتَقِيمِ» فِي مِقْدَارِ عِشْرِينَ وَرَقَةً، فَلْيَتَأَمَّلْ (١).

(١) فليتاأمل : فلينظر فيه بعين الفكر والروية

\* \*

وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْآنَ بَيَانَ فَسَادِ مَذْهَبِهِمْ ، فَقَدْ  
ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « الْمُسْتَظْهِرِينَ » أَوَّلًا ، وَفِي  
كِتَابِ « حُجَّةِ الْحَقِّ » ثَانِيًا : وَهُوَ جَوَابُ كَلَامِ لَهُمْ  
عُرِضَ عَلَيَّ فِي بَعْدَادَ ، وَفِي كِتَابِ « مُفَصَّلِ الْخِلَافِ » ،  
الَّذِي هُوَ اثْنَا عَشَرَ فَصَلًا ، ثَالِثًا : وَهُوَ جَوَابُ كَلَامِ  
عُرِضَ عَلَيَّ بِهِمْ ذَانَ . وَفِي كِتَابِ « الدَّرَجِ » الْمَرْفُوعِ  
بِالْجَدَاوِلِ ، رَابِعًا : وَهُوَ مِنْ رَكِيكِ كَلَامِهِمُ الَّذِي عُرِضَ  
عَلَيَّ بِطُوسٍ ، وَفِي كِتَابِ « الْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ » . خَامِسًا :  
وَهُوَ كِتَابٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ ، مَقْصُودُهُ بَيَانُ مِيزَانِ الْعُلُومِ ،  
وَإِظْهَارُ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ لِمَنْ أَحَاطَ بِهِ .

مفصل  
الخلافة

\* \*

بَلِ الْمَقْصُودُ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ مِنْ  
الشِّفَاءِ الْمُنْجِي مِنَ ظُلُمَاتِ الْمِرَاءِ ، بَلْ هُمْ مَعَ عَجْزِهِمْ  
عَنْ إِقَامَةِ الْبُرْهَانِ عَلَى تَعْيِينِ الْإِمَامِ ، طَالَمَا جَارَيْنَاهُمْ (١)

الامام  
المعصوم

(١) جاريناهم : وافقناهم وانفقنا معهم



فَصَدَّقْنَاهُمْ فِي الْحَاجَةِ إِلَى التَّعْلِيمِ ، وَإِلَى الْمَعْلَمِ الْمَعْصُومِ  
وَأَنَّهُ الَّذِي عَيْنُوهُ ، ثُمَّ سَأَلْنَاهُمْ عَنِ الْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمُوهُ  
مِنْ هَذَا الْمَعْصُومِ ، وَعَرَضْنَا عَلَيْهِمْ إِشْكَالَاتٍ <sup>(١)</sup> فَلَمْ  
يَفْهَمُوهَا ، فَضَلَّاهُ عَنِ الْقِيَامِ بِحِلَّهَا ، فَلَمَّا عَجَزُوا أَحَالُوا عَلَى  
الْإِمَامِ الْغَائِبِ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ السَّفَرِ إِلَيْهِ .  
وَالْعَجَبُ أَنَّهُمْ ضَيَّعُوا عُمرَهُمْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَفِي  
التَّبَجُّحِ <sup>(٢)</sup> بِالظَّفَرِ بِهِ ، وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا عَنْهُ شَيْئًا أَصْلًا ،  
كَالْمُتَضَمِّخِ <sup>(٣)</sup> بِالنَّجَاسَةِ ، يَتَعَبُّ فِي طَلَبِ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا  
وَجَدَهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ ، وَبَقِيَ مُتَضَمِّخًا بِالْخَبَائِثِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِمْ ، فَكَانَ حَاصِلُ  
مَا ذَكَرَهُ مِنْ رَكِيكِ فِلْسَفَةِ « فَيْثَاغُورِسَ » وَهُوَ رَجُلٌ  
مِنْ قُدَمَاةِ الْأَوَائِلِ ، وَمَذْهَبُهُ أُرْكُ <sup>(٤)</sup> مَذَاهِبِ الْفَلَّاسِفَةِ  
وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ « أَرِسْطَاطَالِيسُ » بَلِ اسْتَرَكَّ كَلَامَهُ

(١) إشكالات : اعتراضات . (٢) التبجح : الافتخار والتباهي .

(٣) المتضمخ : التلطيخ . (٤) أرك : أضعف .

وَأُسْتَرَدَّاهُ ، وَهُوَ الْمَحْكِيُّ فِي كِتَابِ « إِخْوَانِ الصِّفَاءِ »  
وَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ حَشْوُ الْفَلَسَفَةِ .

فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَتَعَبُ طُولَ الْعُمُرِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ،  
ثُمَّ يَقْنَعُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الرَّكِيكِ<sup>(١)</sup> الْمُسْتَغْتِ ، وَيَظُنُّ بِأَنَّهُ  
ظَفِرَ بِأَقْصَى مَقَاصِدِ الْعُلُومِ ، فَهُوَ لِأَيُّهَا جَرَّبْنَاهُمْ  
وَسَبَرْنَا<sup>(٢)</sup> ظَاهِرَهُمْ وَبَاطِنَهُمْ ، فَرَجَعَ حَاصِلُهُمْ إِلَى  
أُسْتِدْرَاجِ<sup>(٣)</sup> الْعَوَامِّ ، وَضَعْفَاءِ الْعُقُولِ ، يَدِينِ الْحَاجَةَ إِلَى  
الْمُعَلِّمِ ، وَمُجَادَلَتِهِمْ فِي إِنْكَارِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّعْلِيمِ بِكَلَامِ  
قَوِيٍّ مُفْهِمٍ ، حَتَّى إِذَا سَاعَدَهُمْ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَى الْمُعَلِّمِ  
سَاعَةً ، وَقَالَ : هَاتِ عِلْمَهُ ، وَأَفِدْنَا مِنْ تَعْلِيمِهِ ، وَقَفَّ  
وَقَالَ : « الْآنَ إِذَا سَلَّمْتَ لِي هَذَا فَاطْلُبْهُ ، فَإِنَّمَا غَرَضِي  
هَذَا الْقَدْرُ فَقَطْ » إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ لَافْتَضَحَ<sup>(٤)</sup>  
وَلَعَجَزَ عَنِ حَلِّ أَدْنَى الْأَشْكَالَاتِ ، بَلْ عَجَزَ عَنِ فَهْمِهِ  
فَضَلَّ عَنْ جَوَابِهِ .

(١) المستغت : الرديء . (٢) سبره : خبره . (٣) استدراج العوام :  
خداعهم (٤) افتضح : انكشفت مساويه

فَهَذِهِ حَقِيقَةُ حَالِهِمْ ، فَاخْبِرْهُمْ تَقْلِيمُ (١) فَلَمَّا  
خَبَرْنَاهُمْ نَفَضْنَا أَيْدِيَ عَنْهُمْ .

\* \* \*

وَكَذَلِكَ رَدُّ الْغَزَالِي عَلَى مَذَاهِبِ الْفَلَسِيفَةِ ، وَآرَاءِ  
الْفِرْقِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْإِسْلَامِ ، حَتَّى ظَهَرَتْ حُجَّتُهُ ،  
وَضَعُفَتْ حُجُجُ خُصُومِهِ ، وَمَا نَحَسَبُ أَحَدًا قَامَ مِنْ  
بَعْدِهِ فِي الشَّرْقِ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُحْيِيَ عُلُومَ الْفَلَسِيفَةِ كَمَا  
أَحْيَا هُوَ عُلُومَ الدِّينِ .

\* \* \*

نראה  
الحوار

وَقَدْ جَرَى فِي مُنَاقَشَتِهِمْ عَلَى أُسْلُوبِ مِنَ الْحِوَارِ  
نَزِيهِ . وَطَرِيقَةٍ فِي الْمُنَاطَرَةِ عَفَّةٍ (٢) ، وَأَدَبٍ فِيهَا  
مَحْمُودٍ جَلِيلٍ ، وَعَرَضَ أَوَّلًا لِلْفِتَنِ الَّتِي كَانَتْ مُسْتَقَرَّةً  
بَيْنَ الْفُقَهَاءِ ، فَهَجَّنَهَا (٣) جَمِيعًا وَقَالَ : إِنَّهَا لَيْسَ مِمَّا يُوَصَّلُ

(١) تَقْلِيمُ أَي تَبْغِضُهُمْ . مِنْ التَّقْلِي وَهُوَ الْبَغْضُ . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ  
مَقْتَبَسَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ « أَخْبِرْهُ تَقْلَاهُ » (٢) عَفَّةٌ : خَالِيَةٌ مِنَ  
الشَّبَهَاتِ (٣) هَجَّنَهَا . عَلَّمَهَا وَقَبَّحَهَا

إِلَى اللَّهِ ، وَيُطَهِّرُ الْقَلْبَ ، وَيَجْعَلُ الْإِنْسَانَ كَامِلًا ، وَإِنَّ  
مَا يُفِيدُ الْإِنْسَانَ هُوَ الْكَلَامُ فِي جِهَادِ النَّفْسِ ، وَتَحْلِيلَتِهَا  
بِجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ ، وَتَحْلِيلَتِهَا عَنْ دَنَسِهَا ، فَالْعِلْمُ بِمُحْدُودِ  
هَذِهِ الْأُمُورِ وَحَقَائِقِهَا وَأَسْبَابِهَا وَثَمَرَاتِهَا وَعِلَاجِهَا هُوَ  
الْعِلْمُ الْحَقُّ ، وَهُوَ فَرَضٌ عَيْنٌ فِي فَتْوَى عَلَمَاءِ الْآخِرَةِ

\*\*\*

وَلَوْ سُئِلَ فَقِيهٌ عَنْ مَعْنَى مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، حَتَّى  
عَنِ الْإِخْلَاصِ، أَوْ عَنِ التَّوَكُّلِ (١) ، أَوْ وَجْهِ الْإِحْتِرَازِ  
مِنَ الرِّيَاءِ (٢) لَتَوَقَّفَ فِيهِ ، وَلَوْ سَأَلْتَهُ عَنِ اللَّعَانِ  
وَالظَّهَارِ أَسْرَدَ عَلَيْكَ مُجَلَّدَاتٍ مِنَ التَّفْرِيعَاتِ الدَّقِيقَةِ  
الَّتِي تَنْقُضِي أُنْدَهُورُ وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا ، وَهُوَ  
لَا يَزَالُ يَتَعَبُ لَيْلاً وَنَهَارًا فِي حِفْظِهَا وَدَرَسِهَا ، وَيَعْمَلُ  
عَمَّا هُوَ مُهِمٌّ فِي نَفْسِهِ فِي الدِّينِ ، وَإِذَا رُوجِعَ فِيهِ  
قَالَ : اُسْتَعْلَمْتُ بِهِ لِأَنَّهُ عِلْمُ الدِّينِ وَفَرَضُ الْكِفَايَةِ ،

أدب  
الفقهاء

(١) التوكل : تفويض الامور إلى الله (٢) الرياء : اظهار خلاف  
ما بالباطن كالنفاق

وَيَلْبَسُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ فِي تَعَامِهِ ، وَالْفَطْنُ يَعْلَمُ  
أَنَّهُ لَوْ كَانَ غَرَضُهُ آدَاءَ حَقِّ الْأَمْرِ فِي فَرْضِ الْكِفَايَةِ ،  
لَقَدَّمَ عَلَيْهِ فَرْضَ الْعَيْنِ ، بَلْ قَدَّمَ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنْ  
فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ ، فَكَمْ مِنْ بَلَدٍ لَيْسَ فِيهِ طَيْبٌ  
إِلَّا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، ثُمَّ لَا تَرَى أَحَدًا يَشْتَغِلُ بِهِ ،  
وَيَتَهَاتَرُونَ<sup>(١)</sup> عَلَى عِلْمِ الْفَقِيهِ ، لَا سِيَّمَا اخْتِلَافَاتِ  
وَأَجْدَلِيَّاتِ ، وَالْبَلَدُ مَشْحُونٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ . . . فَلَيْتَ  
شِعْرِي ، كَيْفَ يُرَخِّصُ فُقَهَاءُ الدِّينِ فِي الْأَشْتَغَالِ بِفَرْضِ  
كِفَايَةٍ قَدْ قَامَ بِهِ جَمَاعَةٌ وَإِهْمَالِ مَا لَا قَائِمَ بِهِ ؟ هَلْ  
لِهَذَا سَبَبٌ إِلَّا أَنَّ الطَّبَّ لَيْسَ يَتَيَسَّرُ بِهِ الْوُصُولُ إِلَى  
تَوَلَّى الْأَوْقَافِ وَالْوَصَايَا ، وَحِيَازَةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ، وَتَقْلُدِ  
الْقَضَاءِ وَالْحُكُومَةِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ ، وَالتَّسَلُّطِ  
بِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ .

(١) يتهازون : يكذب بعضهم بعضا

\* \* \*

البدع

وَأَنْحَى<sup>(١)</sup> الْغَزَالِيَّ أَيْضًا عَلَى عُلَمَاءِ الْكَلَامِ فَقَالَ - :  
إِنَّ حَاصِلَ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي  
يُنْتَفَعُ بِهَا ، يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ وَالْأَخْبَارُ ، وَمَا خَرَجَ  
عَنْهَا فَهَوَ : إِمَّا مُحَاوَلَةٌ مَذْمُومَةٌ وَهِيَ مِنَ الْبِدَعِ ، وَإِمَّا  
مُشَاغِبَةٌ بِالتَّعَلُّقِ بِمُنَاقِضَاتِ الْفِرَاقِ لَهَا ، وَتَطْوِيلٌ بِنَقْلِ  
الْمَقَالَاتِ الَّتِي أَكْثَرُهَا تُرَاهَاتُ<sup>(٢)</sup> ، وَهَدْيَانَاتُ<sup>(٣)</sup> ،  
تَزْدَرِيهَا<sup>(٤)</sup> الطَّبَاعُ ، وَتَمْجُّهَا<sup>(٥)</sup> الْأَسْمَاعُ ، وَبَعْضُهَا  
خَوْضٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ . وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْهُ مَأْلُوفًا  
فِي الْمَصْرِ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ الْخَوْضُ فِيهِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ  
الْبِدَعِ وَلَكِنْ تَغَيَّرَ الْآنَ حُكْمُهُ ، إِذْ حَدَّثَتِ الْبِدَعُ  
الْمَصَارِفَةَ عَنِ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، وَنَبَغَتْ جَمَاعَةٌ

(١) أنحى الخ : أقبل عليهم . (٢) المشاغبة : المخاصمة والمشاركة .

(٣) ترهات : جمع ترهة : وهي الباطل . (٤) هديانات : كلام غير

معمول . (٥) تزدريها : تحتقرها . (٦) تمججها : تطرحها وتعرض عنها

لَفَقُّوا<sup>(١)</sup> لَهَا شُبُهًا ، وَرَتَّبُوا فِيهَا كَلَامًا مُؤَلَّفًا ، فَصَارَ ذَلِكَ  
الْمَحْظُورُ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ مَأْذُونًا فِيهِ ، بَلْ صَارَ  
مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي يُقَابَلُ بِهِ  
الْمُبْتَدِعُ إِذَا قَصَدَ الدَّعْوَةَ عَلَى الْبِدْعَةِ ، وَذَلِكَ إِلَى حَدِّ مَحْدُودٍ .

\* \* \*

معرفة الحق

وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا : إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ  
لَا تَحْصُلُ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ ، بَلْ يَكَادُ يَكُونُ  
الْكَلَامُ حِجَابًا عَلَيْهِ ، وَمَانِعًا مِنْهُ ، وَإِنَّمَا الْوُصُولُ إِلَيْهِ  
بِالْمُجَاهَدَةِ<sup>(٢)</sup> . . . ثُمَّ أُورِدَ أُعْتِرَاصًا عَلَى نَفْسِهِ ، وَهُوَ :  
كَيْفَ تَنْزِلُ بِهِدْيِنِ الْعُلَمَاءِ ، الْفِقْهِ وَالْتَوْحِيدِ إِلَى هَذَا  
الْحَدِّ ؟ مَعَ أَنَّ عُلَمَاءَ الْأُمَّةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْفَضْلِ ، هُمْ  
الْفُقَهَاءُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ ، وَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ ،  
فَكَيْفَ تَنْزِلُ دَرَجَاتِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْمَنَرَةِ السَّافِلَةِ

(١) لفقوا : صنعوا حديثا من عند انفسهم وزخرفوه بالباطل  
(٢) المجاهدة : يريد مجاهدة النفس : أى بذل النفس فى رضى الحق  
( ١٧ - الغزالي - أول )

بِالْإِضَافَةِ إِلَى عِلْمِ الدِّينِ ؟ وَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :  
 ٥ إِيْلَمْ أَنَّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ بِالرَّجَالِ ، حَارَ فِي مَتَاهَاتٍ <sup>(١)</sup>  
 الضَّلَالِ . فَأَعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ إِنْ كُنْتَ سَالِكًا  
 طَرِيقَ الْحَقِّ ، وَإِنْ قَنِعْتَ بِالتَّقْلِيدِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا أَشْتَهَرَ  
 مِنْ دَرَجَاتِ الْفَضْلِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَلَا تَعْفُلْ عَنِ الصَّحَابَةِ  
 وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ ، فَقَدْ أَجَمَعَ الَّذِينَ عَرَضَتْ <sup>(٢)</sup> بِذِكْرِهِمْ  
 عَلَى تَقَدُّمِهِمْ ، وَأَنْتَهُمْ لَا يُدْرِكُ فِي الدِّينِ شَأُوهُمْ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا  
 يُشَقُّ <sup>(٤)</sup> غُبَارُهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ تَقَدُّمُهُمْ بِالْكَلامِ ،  
 وَالْفِقْهِ ، بَلْ بِعِلْمِ الْآخِرَةِ وَسُلُوكِ طَرِيقِهَا .



وَقَدْ بَحَثَ الْغَزَالِيُّ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْ إِلَى  
 شُيُوعِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْجَدَلِ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمَتَكَلِّمِينَ ، لِأَنَّ

الفقهاء

(١) المتاهات : جمع متاهة : أى مضلة يضل فيها السالك (٢) عرضت  
 بذكرهم : أى لم تصرح ولكن عنيتهم بكلامك . (٣) الشأو : المنزلة  
 والدرجة (٤) لا يشق غبارهم : مثل يضرب لمن لا قرن له بجاريه



الأشياء إذا ظهرت للناس أسبابها ، وكانت أسباباً  
مُزْرِيةً<sup>(١)</sup> ، سهل رُجوعُ النَّاسِ عنها ، فقال :

\*\*\*

لَمَّا انْتَقَلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى مَنْ لَمْ يَكُونُوا فِي  
عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْفِتَاوَى  
أَنْفُسِهِمْ فُقَهَاءَ ، أَحْتَاجُوا إِلَى مَنْ يُعِينُهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ  
لِيُؤَلِّمُوهُمْ الْقَضَاءَ وَالْحُكُومَاتِ ، فَرَأَى أَهْلُ تِلْكَ  
الْأَعْصَارِ عِزَّ الْعُلَمَاءِ ، وَإِقْبَالَ الْأَئِمَّةِ وَالْوُلَاةِ عَلَيْهِمْ ،  
فَأَشْرَأُوا<sup>(٢)</sup> لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، تَوْصِلاً إِلَى دَرَكِ<sup>(٣)</sup> الْعِزِّ ،  
وَنَيْلِ أَلْجَاهِ ، مِنْ قِبَلِ الْوُلَاةِ ، فَأَكْبُوا<sup>(٤)</sup> عَلَى الْفِتَاوَى  
وَعَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْوُلَاةِ ، وَتَعَرَّفُوا إِلَيْهِمْ ، وَطَلَبُوا  
الْوَلَايَاتِ ، وَالصَّلَاتِ<sup>(٥)</sup> ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْأَقْبَالِ فِي  
تِلْكَ الْأَعْصَارِ ، عَلَى الْفِتَاوَى وَالْأَقْضِيَةِ ، لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ  
إِلَيْهِمَا فِي الْوَلَايَاتِ وَالْحُكُومَاتِ ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَهُمْ

(١) مزرية : معيبة (٢) اشترأوا : مدوا أعناقهم « اتجهوا بشغف »  
(٣) درك العز : أي لحاقه (٤) أكبوا : أقبلوا ومجتهدين (٥) الصلوات : جمع  
صلة ، وهي العطية .

مِنَ الصُّدُورِ<sup>(١)</sup> وَالْأَمْرَاءِ مَنْ يَسْمَعُ مَقَالَاتِ النَّاسِ فِي  
قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ . وَمَا لَتْ نَفْسُهُ إِلَى سَمَاعِ الْحُجَجِ فِيهَا ،  
فَعَلِمَتْ رَغْبَتَهُ إِلَى الْمُنَازَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ فِي الْكَلَامِ ،  
فَأَكْبَّ النَّاسُ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَأَكْثَرُوا فِيهِ  
التَّصَانِيفَ<sup>(٢)</sup> ، وَرَتَّبُوا فِيهِ طُرُقَ الْمُجَادَلَاتِ ، وَزَعَمُوا  
أَنَّ غَرَضَهُمُ الذَّبُّ<sup>(٣)</sup> عَنِ الدِّينِ ، وَالنُّضَالُ عَنِ السُّنَّةِ ،  
وَقَمَعَ الْمُبْتَدِعَةَ ، كَمَا زَعَمَ مَنْ قَبْلَهُمْ أَنَّ قَصْدَهُمْ مِنْ  
الِاشْتِغَالِ بِالْفِتَاوَى الدِّينِ ، وَتَقَلُّدِ أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ ،  
إِسْفَاقًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَلَصِيحَةٍ لَهُمْ ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ  
مِنَ الصُّدُورِ مَنْ لَمْ يَسْتَنْوِبِ الْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ ،  
وَفَتَحَ بَابَ الْمُنَازَرَةِ فِيهِ ، لِمَا كَانَ قَدْ تَوَلَّدَ<sup>(٤)</sup> مِنْ  
فَتْحِ بَابِهَا مِنَ التَّمَضُّبَاتِ الْفَاحِشَةِ ، وَالْخُصُومَاتِ  
الْفَاشِيَةِ ، وَالْمُفْضِيَةِ<sup>(٥)</sup> إِلَى إِهْرَاقِ الدِّمَاءِ<sup>(٦)</sup> ، وَتَخْرِيبِ

(١) الصدور : جمع صدر وهو الرجل العظيم (٢) التصانيف : التواليف

« المؤلفات » (٣) الذب عن كذا : الدفاع عنه (٤) تولد : نشأ (٥) المفضية :

المؤذية ، السببة . (٦) اهراق الدماء : إسالتها بسبب النزاع

الْبِلَادِ ، وَمَا تَنَفَّسَهُ إِلَى الْمُنَظَرَةِ فِي الْفِقْهِ ، وَبَيَانَ  
الْأُولَى مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَأَبِي حَنِيفَةَ عَلَى الْخُصُوصِ ،  
وَتَسَاهَلُوا فِي اخْتِلَافٍ مَعَ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ ،  
وَزَعَمُوا أَنَّ غَرَضَهُمْ اسْتِنْبَاطُ دَقَائِقِ الشَّرْعِ ، وَتَقْرِيرُ  
عِلَلِ الْمَذَاهِبِ ، وَتَمْهِيدُ أَصُولِ الْفَتَاوَى ، وَهُمْ مُسْتَمِرُّونَ  
عَلَيْهِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَلَسْنَا نَدْرِي مَا الَّذِي يُحَدِّثُ اللَّهُ فِيْمَا بَعَدَنَا مِنْ  
الْأَعْصَارِ ، فَهَذَا هُوَ أَلْبَاعِثُ عَلَى الْإِكْبَابِ عَلَى اخْتِلَافِ  
وَالْمُنَظَرَاتِ لَا غَيْرُ ، وَلَوْ مَالَتْ نُفُوسُ أَرْبَابِ الدُّنْيَا  
إِلَى اخْتِلَافِ مَعَ إِمَامٍ آخَرَ مِنَ الْأَيْمَةِ ، أَوْ إِلَى عِلْمِ آخَرَ  
مِنَ الْعُلُومِ ، مَا لَوْا أَيْضًا مَعَهُمْ ، وَلَمْ يَسْكُتُوا عَنِ  
التَّعَلُّلِ <sup>(١)</sup> بَأَنَّ مَا اشْتَغَلُوا بِهِ هُمْ ، عِلْمُ الدِّينِ وَأَنَّ  
لَا مَطْلَبَ لَهُمْ سِوَى التَّقَرُّبِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ .  
وَقَدْ رَأَى الْغَزَالِيُّ أَنَّ الْمُنَظَرِينَ قَدْ يَلْبَسُونَ <sup>(٢)</sup>

(١) التعلل : إيداء العلة والسبب. (٢) يلبسون على الناس : يخلطون  
عليهم ويوقعونهم في الاشتباه .

عَلَى النَّاسِ ، لِلرَّفِيعِ مِنْ قِيَمَةِ مُنَاطَرَاتِهِمْ ، وَيَسْتَنْدُونَ فِي  
تَسْوِيغِهَا إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا كَانَتْ يَفْعَلُهَا السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ ،  
وَالكِبَارِ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ ، فَقَالَ : إِنَّ  
الْوُصُولَ إِلَى الْحَقِّ مَحْمُودٌ ، وَالْمُنَاطَرَةَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ  
مَحْمُودَةٌ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ لِذَلِكَ شُرُوطًا ، وَوَضَعَ لِلْمُنَاطَرَةِ  
مَبَادِيَّ وَآدَابًا ، وَهِيَ آدَابُ سَامِيَّةٌ وَدُسْتُورٌ<sup>(١)</sup> فِكْرِيٌّ  
رَفِيعٌ ، وَنَحْنُ نَاقِلُونَ هُنَا تِلْكَ الشُّرُوطَ :

\* \* \*

آداب المناظرة

أَوَّلًا - أَلَا يَشْتَغَلُ بِهَا ، « وَهِيَ مِنْ فُرُوضِ  
الْكَفَايَةِ<sup>(٢)</sup> » مَنْ لَمْ يَتَفَرَّغْ مِنْ فُرُوضِ الْأَعْيَانِ<sup>(٣)</sup> ،  
فَإِنَّ مَنْ عَلَيْهِ فَرَضٌ عَيْنٍ فَاشْتَغَلَ بِفَرَضِ كِفَايَةٍ ، وَزَعَمَ  
أَنَّ مَقْصِدَهُ الْحَقُّ ، فَهُوَ كَذَّابٌ ، وَمَثَلُهُ مَنْ يَتْرُكُ الصَّلَاةَ  
فِي نَفْسِهِ ، وَيَتَجَرَّدُ فِي تَحْصِيلِ الثِّيَابِ وَنَسْجِهَا ، وَيَقُولُ :

(١) الدستور : القانون يجري العمل بموجبه . (٢) فرض الكفاية :  
هو الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين . (٣) فرض العين : الذي  
يتعين على كل مكلف أدائه .

غَرَضِي أَنْ أُسْتَرَّ مَنْ يُصَلِّيَ غُرْيَانَا وَلَا يَجِدُ ثَوْبًا ، فَإِنَّ  
ذَلِكَ رُبَّمَا يَتَّفِقُ ، وَوُقُوعُهُ مُمَكِّنٌ ، كَمَا يَزْعُمُ الْفَقِيهَةُ أَنَّ  
وُقُوعَ النُّوَادِرِ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا الْبَحْثُ فِي الْخِلَافِ مُمَكِّنٌ .  
وَالْمُسْتَعْمِلُونَ بِالْمُنَظَرَةِ مُهْمِلُونَ لِأُمُورٍ هِيَ فَرَضٌ عَيْنٌ  
بِالِاتِّفَاقِ .

ثَانِيًا - الْأَيْرَى فَرَضَ كِفَايَةً أَهَمُّ مِنَ الْمُنَظَرَةِ  
فَإِنَّ رَأَى مَا هُوَ أَهَمُّ وَفَعَلَ غَيْرَهُ ، عَصَى بِفِعْلِهِ ، وَكَانَ  
مِثْلُهُ مِثْلَ مَنْ يَرَى جَمَاعَةً مِنَ الْعِطَاشِ أَشْرَفُوا عَلَى  
الْهَلَاكِ ، وَقَدْ أَهْمَلَهُمُ النَّاسُ . وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِهِمْ بِأَنْ  
يَسْقِيَهُمُ الْمَاءَ ، وَأَشْتَمَلَ بِتَمَلُّمِ الْحِجَابَةِ <sup>(١)</sup> ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ  
فُرُوضِ الْكِفَايَةِ ، وَأَنَّهُ لَوْ خَلَا الْبَلَدُ عَنْهَا لَهَلَكَ النَّاسُ ،  
وَإِذَا قِيلَ لَهُ : إِنَّ فِي الْبَلَدِ جَمَاعَةً مِنَ الْحَجَّامِينَ ، وَفِيهِمْ  
غُنْيَةٌ <sup>(٢)</sup> ، فَيَقُولُ : هَذَا لَا يُخْرِجُ الْفِعْلَ عَنِ كَوْنِهِ  
فَرَضَ كِفَايَةً ، فَحَالٌ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا ، وَيُهْمِلُ الْأَشْتِمَالَ

(١) الحجامة : العالجة بالمحجم وأخذ الدم . (٢) غنية : كفاية

بِالْوَاقِعَةِ الْمَلْمُومَةِ <sup>(١)</sup> بِجَمَاعَةِ الْعِطَاشِ ، كَحَالِ الْمُشْتَعْلِ  
بِالْمُنَظَرَةِ وَفِي الْبَلَدِ فُرُوضُ كِفَايَةٍ لَا قَائِمَ بِهَا .

ثَالِثًا — أَنْ يَكُونَ الْمُنَظَرُ مُجْتَهِدًا يَفْتِي بِرَأْيِهِ ،  
لَا بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ ، حَتَّى إِذَا ظَهَرَ لَهُ  
أَلْحَقُ فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ تَرَكَ مَا يُوَافِقُ رَأْيَ الشَّافِعِيِّ ،  
وَأَفْتَى بِمَا ظَهَرَ لَهُ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الصَّحَابَةُ وَالْأَئِمَّةُ ،  
فَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ رُتْبَةُ الْاجْتِهَادِ ، وَهُوَ حُكْمُ <sup>(٢)</sup> كُلِّ  
أَهْلِ الْعَصْرِ ، وَإِنَّمَا يُفْتَى فِيهَا يُسْأَلُ عَنْهُ ، نَاقِلًا عَنْ مَذْهَبِ  
صَاحِبِهِ ، فَلَوْ ظَهَرَ لَهُ ضَعْفُ مَذْهَبِهِ لَمْ يَحْزُ لَهُ أَنْ  
يَبْزُكَهُ ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَهُ فِي الْمُنَظَرَةِ ؟ وَمَذْهَبُهُ مَعْلُومٌ ،  
وَلَيْسَ لَهُ الْفَتْوَى بِغَيْرِهِ ، وَمَا يُشْكَلُ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ يَلْزَمُهُ  
أَنْ يَقُولَ فِيهِ : لَعَلَّ عِنْدَ صَاحِبِ مَذْهَبِي جَوَابًا عَنْ هَذَا ،  
فَأِنِّي لَسْتُ مُسْتَقِلًّا بِالْاجْتِهَادِ فِي أَصْلِ الشَّرْعِ .

رَابِعًا — أَلَّا يُنَظَرَ إِلَّا فِي مَسْأَلَةٍ وَاقِعَةٍ أَوْ قَرِيبَةٍ

(١) الملمة: النازلة بهم. (٢) الحكم: هنا الحال. (٣) يشكل عليه:  
يلتبس ويختلط.

مِنَ الْوُقُوعِ غَالِبًا ، وَلَا نَرَى الْمُتَنَظِّرِينَ يَهْتَمُونَ  
بِالْمَسَائِلِ الَّتِي تَعْمُ الْبُلُوَى بِالْفَتْوَى فِيهَا ، بَلْ يَطْلُبُونَ  
الطُّبُولِيَّاتِ <sup>(١)</sup> الَّتِي تُسْمَعُ ، فَيَتَسَعُّ مَجَالَ الْجَدَلِ فِيهَا  
كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ ؟ وَرُبَّمَا يَتَرُكُونَ مَا يَكْثُرُ وَقُوعُهُ ،  
وَيَقُولُونَ : هَذِهِ مَسْأَلَةٌ جُزْئِيَّةٌ أَوْ هِيَ مِنَ الزَّوَايَا <sup>(٢)</sup>  
وَلَيْسَتْ مِنَ الطُّبُولِيَّاتِ ، فَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ  
الْمَطْلَبُ هُوَ الْحَقُّ ، ثُمَّ يَتَرُكُونَ الْمَسْأَلَةَ لِمَا ذَكَرُوا .  
وَالْمَقْصُودُ فِي الْحَقِّ أَنْ يَقْصُرَ الْكَلَامُ ، وَيَبْلُغَ الْغَايَةَ  
عَلَى الْقُرْبِ ، لَا أَنْ يَطُولَ .

خَامِسًا - أَنْ تَكُونَ الْمُنَظَرَةُ فِي الْخُلُوةِ أَحَبَّ  
إِلَيْهِ وَأَهَمَّ مِنَ الْمَحَافِلِ ، وَبَيْنَ أَظْهَرِ الْأَكَابِرِ وَالسَّلَاطِينِ  
فَإِنَّ الْخُلُوةَ أَجْمَعُ لِلْفَهْمِ ، وَأُخْرَى بِصَفَاءِ الدَّهْنِ وَالْفِكْرِ  
وَدَرَكِ الْحَقِّ ، وَفِي حُضُورِ الْجَمْعِ مَا يُجَرِّكُ دَوَاعِيَ

(١) الطبوليّات : المراد منها صحب الجدل الذي يشبه صوت الطبل .

(٢) الزوايا : الأركان - والمراد : المسائل القليلة الظهور .

الرَّيَاءَ<sup>(١)</sup> ، وَيُوجِبُ الْجِرْصَ عَلَى نُصْرَةِ كُلِّ وَاحِدٍ نَفْسَهُ ،  
مُحِقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلًا ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ جِرْصَهُمْ عَلَى  
الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ لَيْسَ لِلَّهِ ، وَأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَخْلُو  
بِصَاحِبِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً فَلَا يُكَلِّمُهُ ، وَرُبَّمَا يَقْتَرِحُ عَلَيْهِ  
فَلَا يُجِيبُ ، وَإِذَا ظَهَرَ مُقَدَّمٌ<sup>(٢)</sup> أَوْ انْتَضَمَ مَجْمَعٌ ، لَمْ  
يُعَادِرْ فِي قَوْمِ الْإِحْتِيَالِ مَنْزَعًا<sup>(٣)</sup> حَتَّى يَكُونَ هُوَ  
الْمُتَخَصِّصَ بِالْكَلَامِ .

سَادِسًا - أَنْ يَكُونَ فِي طَلَبِ الْحَقِّ كِنَاشِدِ  
ضَالَّةٍ<sup>(٤)</sup> لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَنْ تَظْهَرَ الضَّالَّةُ عَلَى يَدِهِ أَوْ  
عَلَى يَدِ مَنْ يُعَاوَنُهُ ، وَيَرَى رَفِيقَهُ مُعِينًا لَا خَصْمًا ،  
وَيَشْكُرُهُ إِذَا عَرَفَهُ الْخَطَأَ ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْحَقَّ ، كَمَا  
لَوْ أَخَذَ طَرِيقًا فِي طَلَبِ ضَالَّتِهِ ، فَنَبَّهَهُ صَاحِبُهُ إِلَى  
ضَالَّتِهِ فِي طَرِيقٍ آخَرَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَشْكُرُهُ وَلَا يَذْمُهُ ،

(١) الرياء : النفاق (٢) المقدم : السابق لآخواته . (٣) المنزع : مكان

المنزع (٤) ناشد ضالة : الباحث عما فقد منه



وَيُكْرِمُهُ وَيَفْرَحُ بِهِ - أَمَا الْمُنَاطِرُونَ الْيَوْمَ ، فَأَنْتَ  
تَرَى كَيْفَ يَسْوُدُ وَجْهُ أَحَدِهِمْ إِذَا اتَّصَحَّ الْحَقُّ عَلَى  
لِسَانِ خَصْمِهِ ؟ وَكَيْفَ يَخْجَلُ بِهِ ؟ وَكَيْفَ يَجْتَهِدُ فِي  
مُجَاحَدَتِهِ <sup>(١)</sup> بِأَقْصَى قُدْرَتِهِ ؟ وَكَيْفَ يَذُمُّ مَنْ أَفْحَمَهُ <sup>(٢)</sup>  
طُولَ عُمُرِهِ .

سَابِعًا - أَلَّا يَمْنَعُ مُعِينَهُ فِي النَّظَرِ مِنَ الْإِنْتِقَالِ  
مِنْ دَلِيلٍ إِلَى دَلِيلٍ ، وَمِنْ إِشْكَالٍ إِلَى إِشْكَالٍ ،  
وَيُخْرِجَ مِنْ كَلَامِهِ جَمِيعَ دَقَائِقِ الْبَدَلِ الْمُبْتَدَعَةِ <sup>(٣)</sup> ،  
فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ : هَذَا لَا يَلْزَمُنِي ذِكْرُهُ ،  
وَهَذَا يُنَاقِضُهُ كَلَامُكَ الْأَوَّلُ ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْكَ ، فَإِنَّ  
الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ الْمُنَاقِضِ لِلْبَاطِلِ يَجِبُ قَبُولُهُ - وَأَنْتَ  
تَرَى جَمِيعَ الْمَجَالِسِ تَنْقِضِي فِي الْمُدَافَعَاتِ وَالْمُجَادَلَاتِ ،  
حَتَّى يَقْبَلِ الْمُسْتَدِلُّ بِعِلَّةٍ يَظُنُّهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا الدَّلِيلُ  
عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ فِي الْأَصْلِ مُعَمَّلٌ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ ؟ فَيَقُولُ :

(١) المجاهدة: شدة إنكار الشيء. (٢) أفحمه: أسكته (٣) المبتدعة:  
المنشأة المخترعة.

هَذَا مَا ظَهَرَ لِي ، فَإِنْ ظَهَرَ لَكَ مَا هُوَ أَوْضَحُ مِنْهُ وَأَوْلَى  
فَإِذْ كُرُهُ ، حَتَّى أَنْظَرَ فِيهِ ، فَيُصِرُّ الْمُعْتَرِضُ . وَيَقُولُ :  
فِيهِ مَعَانٍ سِوَى مَا ذَكَرْتَهُ ، وَقَدْ عَرَفْتُهَا وَلَا أَذْكَرُهَا ،  
إِذْ لَا يَلْزِمُنِي ذِكْرُهَا ، وَيَقُولُ الْمُسْتَدِلُّ : عَلَيْكَ <sup>(١)</sup>  
إِيرَادَ مَا تَدَّعِيهِ وَرَاءَ هَذَا ، وَيُصِرُّ الْمُعْتَرِضُ عَلَى أَنَّهُ  
لَا يَلْزِمُهُ ، وَيَتَوَخَّى <sup>(٢)</sup> مَجَالِسَ الْمُنَاطَرَةِ بِهَذَا الْجِنْسِ  
مِنَ السُّؤَالِ وَأَمْثَالِهِ ، وَلَا يَدْرِي الْمُسْكِنُ أَنْ قَوْلُهُ :  
أَعْرِفُهُ وَلَا أَذْكَرُهُ ، « إِذْ لَا يَلْزِمُنِي ذِكْرُهُ » كَذِبٌ  
عَلَى الشَّرْعِ ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ ، وَإِنَّمَا  
يَدَّعِيهِ لِعَجْزِ خَصْمِهِ فِيهِ فَهُوَ فَاسِقٌ كَذَّابٌ ، عَصَى اللَّهَ  
وَتَعَرَّضَ لِسُخْطِهِ ، بِدَعْوَاهُ مَعْرِفَةَ هُوَ خَالٍ عَنْهَا ، وَإِنْ  
كَانَ صَادِقًا فَقَدْ فَسَقَ بِإِخْفَائِهِ مَا عَرَفَ مِنْ أَمْرِ الشَّرْعِ ،  
بَعْدَ أَنْ سُئِلَ عَنْهُ ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ لَا يَلْزِمُنِي ، أَيْ فِي  
شَرِّعِ الْجَدَلِ ، الَّذِي أَبْتَدَعْنَاهُ بِحُكْمِ التَّشْهِي وَالرَّغْبَةِ

(١) عليك : اسم فعل أمر بمعنى إلزم (٢) يتوخى : يتحري ويقصد.

فِي طَرِيقِ الْإِحْتِيَالِ ، وَالْمُصَارَعَةِ بِالْكَلَامِ لَا يَلْزَمُنِي .  
ثَامِنًا - أَنْ يُنَاطَرَ مَنْ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِسْتِفَادَةَ ، مِمَّنْ  
هُوَ مُشْتَغِلٌ بِالْعِلْمِ ، وَالغَالِبُ أَنَّهُمْ يَحْتَرِزُونَ <sup>(١)</sup> مِنْ  
مُنَاطَرَةِ الْفُحُولِ وَالْأَكَابِرِ ، خَوْفًا مِنْ ظُهُورِ الْحَقِّ عَلَى  
السَّنَنِهِمْ ، فَيَرْغَبُونَ <sup>(٢)</sup> فِي مَن دُونَهُمْ ، طَمَعًا فِي تَرْوِيجِ <sup>(٣)</sup>  
الْبَاطِلِ عَلَيْهِمْ .

\*\*\*

هَذِهِ هِيَ الْمَبَادِيءُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي وَضَعَهَا الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ  
أَدَبِ رَفِيعِ - الْحُجَّةُ الْعَظِيمُ - وَهَذَا هُوَ الْأَدَبُ الرَّفِيعُ الَّذِي  
سَنَّهُ ، وَدُسْتُورُ السُّلُوكِ الْعَالِي الَّذِي أَقَامَهُ لِلْمُنَاقَشَاتِ  
وَالْمُنَاطَرَاتِ ، وَجَمَالِيسِ الْجَدَلِ وَالْبَحْثِ ، وَلَوْ اتَّبَعَ  
الْمُنَاطِرُونَ هَذِهِ الْمَبَادِيءَ السَّامِيَةَ لَكَانَ خَيْرًا ،  
وَلَخَرَجَتِ الْمُنَاطَرَاتُ مُجْدِيَّةً <sup>(٤)</sup> صَالِحَةً طَيِّبَةً الثَّمَرَةَ ،

(١) يحترزون : يتحفظون . ويتوقون (٢) يرغبون : يرغب في  
في الشيء : أحبه . ورغب عن الشيء : كرهه (٣) ترويح الباطل : تكثيره  
وشبوعه (٤) مجدية : نافعة مفيدة

عَظِيمَةَ الْفَائِدَةِ ، وَلَكِنَّا لِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ قَدْ جَرَيْنَا فِي  
مُنَاطَرَاتِنَا وَمُسَاجَلَاتِنَا <sup>(١)</sup> عَلَى النُّحُو <sup>(٢)</sup> الَّذِي صَوَّرَهُ  
الْغَزَالِيُّ أَدَقَّ تَصْوِيرٍ ، فَشَاعَتْ فِيهَا الْخُصُومَاتُ ، وَفَشَا  
اللَّدْدُ <sup>(٣)</sup> ، حَتَّى فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ ، أَوْ لِحَاجَةِ بِهِ إِلَى  
جَدَلٍ وَخِلَافٍ ، إِذْ جَعَلَ كُلُّ مَنَاهِمَهُ ، وَتُصَارَى جُهْدِهِ ،  
فِي الْحِوَارِ وَالزَّرَاعِ ، التَّغْلِبَ عَلَى خَصْمِهِ ، وَالتَّفَوُّقَ عَلَى  
مُنَاطِرِهِ ، بِمَا يَلْبِسُهُ <sup>(٤)</sup> عَلَيْهِ ، أَوْ يَحْتَالُ بِهِ عَلَى إِصَاعَةِ  
الْحَقِّ يَدْنِهِمَا ، لِيُظَلَّ عَلَيْهِ مُخْتَصِمِينَ آخِرَ الْحَيَاةِ .



وَقَدْ وَضَعَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ « الْأَحْيَاءِ »  
أَسَاسًا قَوِيًّا لِلْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ ، وَقَوَاعِدَ عَالِيَةً ، يَبْنِيَانِ  
عَلَيْهَا مَا يُرِيدَانِ أَنْ يَشْتَغَلَا بِهِ ، فَجَاءَتْ هَذِهِ التَّعَالِيمُ  
سَامِيَةً ، لَا تَقِلُّ عَنْ نَظَرِيَّاتِ الْمُؤَدِّينَ ، وَعُلَمَاءِ التَّرْبِيَةِ

المعلم والمتعلم

(١) المساجلات : المباراة والمفاخرة (٢) النحو : النظام أو الطريقة .

(٣) اللدد : شدة الخصومة والعداء (٤) ما يلبسه : ما يحلط عليه ويضله به

وَالْبِدَاجُوجِيَا <sup>(١)</sup> ، كَمَا حَوَتْ تَحْلِيلًا نَفْسِيًّا دَقِيقًا ، لَا  
يَأْتِي مِثْلُهُ إِلَّا مِنْ مِثْلِ الْغَزَالِيِّ ، الَّذِي أُشْتَغَلَ بِأَرْفَعِ  
مَرَاتِبِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ أَكْثَرَ دَهْرِهِ .

فَقَالَ فِي أَدَبِ الْمُتَعَلِّمِ وَوَجِبِهِ :

أَوَّلًا - أَنْ يُقَدِّمَ طَهَارَةَ نَفْسِهِ عَنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ ،

فَإِنْ كَانَ الطَّالِبُ رَدِيءَ الْخُلُقِ ، فَمَا أَبْعَدُهُ عَنِ الْعِلْمِ .

الْحَقِيقِيُّ النَّافِعُ ، وَمَهْمَا كَانَ الْخُلُقُ رَدِيئًا ، فَإِنَّ التَّعَالِيمَ

الْفُنِّيَّةَ لَا تَزِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا رَدَاءَةً وَخُبثًا <sup>(٢)</sup>

ثَانِيًا - أَلَّا يَتَكَبَّرَ عَلَى الْعِلْمِ ، أَوْ يَتَأَمَّرَ <sup>(٣)</sup> عَلَى

الْمُعَلِّمِ ، بَلْ يُلْقَى زِمَامَ <sup>(٤)</sup> أَمْرِهِ بِالْكَلْبِيَّةِ إِلَيْهِ فِي

كُلِّ تَفْصِيلٍ ، وَيُذْعَنُ <sup>(٥)</sup> لِنُصْحِهِ إِذْ عَانَ الْمَرِيضُ الْجَاهِلُ

لِلطَّيِّبِ الْعَالِمِ الْحَازِقِ <sup>(٦)</sup> ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَوَاضَعَ

لِعِلمِهِ ، وَيَطْلُبَ الثَّوَابَ وَالشَّرْفَ بِخِدْمَتِهِ ، وَلَا يَنْبَغِي

(١) البداجوجيا : علم التربية الحديثة (٢) الحُبث : الرداءة والمسكر .

(٣) يتأمر : يتسلط ويتحكم (٤) الزمام : مقود الدابة - والمراد : قياده

والإشراف عليه (٥) يذعن : ينقاد (٦) الحاذق : الماهر المتقن لصناعته .

أَنْ يَسْأَلَهُ إِلَّا إِذَا أَدِنَ لَهُ ، فَإِنَّ سُؤَالَ الطَّالِبِ عَمَّا لَمْ  
تَبْلُغْ مَرْتَبَتَهُ إِلَيْهِ مَذْمُومٌ .

ثالثًا - أَنْ يَحْتَرِزَ الْخَائِضُ <sup>(١)</sup> فِي الْعِلْمِ فِي مَبْدَأِ  
الْأَمْرِ عَنِ الْأِضْغَاءِ إِلَى اخْتِلَافِ النَّاسِ ، سَوَاءً كَانَ  
مَخَاضَ فِيهِ مِنْ عُلُومِ الدُّنْيَا ، أَمْ مِنْ عُلُومِ الْآخِرَةِ ؟  
وَذَلِكَ يُدْهِشُ عَقْلَهُ ، وَيُمِيرُ <sup>(٢)</sup> ذِهْنَهُ وَيُغَيِّرُ رَأْيَهُ ،  
وَيُؤَسِّسُهُ مِنَ الْأَذْرَاكِ وَالْإِطْلَاعِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُتَقَنَّ  
أَوَّلًا الطَّرِيقَةَ الْوَاحِدَةَ الْمَرْضِيَّةَ عِنْدَ اسْتِزَادِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ  
ذَلِكَ يُصْنَعِي <sup>(٣)</sup> إِلَى الْمَذَاهِبِ وَالشُّبُهَةِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ لَمْ  
يَسْكُنْ اسْتِزَادَهُ مُسْتَقِيلًا بِاخْتِيَارِ رَأْيٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا عَادَتُهُ  
نَقْلُ الْمَذَاهِبِ وَمَا قِيلَ فِيهَا ، فَلْيَحْذَرْ مِنْهُ ، فَإِنَّ  
إِضْلَالَهُ أَكْثَرُ مِنْ إِرْشَادِهِ ، إِذْ لَا يَصْلُحُ الْأَعْمَى لِقَوْدِ  
الْعُمِّيَّانِ وَإِرْشَادِهِمْ ، وَمَنْ هَذَا حَالُهُ يُعَدُّ فِي عَمَى الْخَيْرَةِ  
وَتِيهِ <sup>(٥)</sup> الْجَهْلِ .

(١) الخائض : الداخل والمقتحم (٢) يمير : يفسد (٣) يصغى : يستمع

(٤) الشبهه : جمع شبهة . وهو ما التبس عليك من الامر (٥) التيه : الضلال والكبر

رابعاً - أَلَا يَدْعَ الطَّالِبُ فَنًّا مِنَ الْفُنُونِ الْمَحْمُودَةِ ،  
وَلَا نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِهِ ، إِلَّا وَيَنْظُرَ فِيهِ نَظْرًا يَطَّلِعُ بِهِ  
عَلَى مَقَاصِدِهِ وَغَايَتِهِ ، ثُمَّ إِنْ سَاعَدَهُ الْعُمُرُ ، طَلَبَ التَّبَحُّرَ (١)  
فِيهِ وَاسْتَوْفَاهُ ، وَتَطَرَّفَ (٢) مِنَ الْبَقِيَّةِ ، فَإِنَّ الْعُلُومَ  
مُتَعَاوِنَةٌ ، وَبَعْضُهَا مُرْتَبِطٌ بِبَعْضٍ ، وَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ فِي  
أَحْصَائِهَا الْإِنْفِكَالِكَ عَنْ عِدَاوَةِ ذَلِكَ الْعِلْمِ بِسَبَبِ جَهْلِهِ ،  
فَإِنَّ النَّاسَ أَعْدَاءُ لِمَا جَهِلُوا

خامساً - أَلَا يَخُوضَ فِي فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ دَفْعَةً ،  
بَلْ يُرَاعِي التَّرْتِيبَ ، وَيَبْتَدِئُ بِالْأَهَمِّ ، فَإِنَّ الْعُمُرَ إِذَا  
لَمْ يَتَسَّعَ لِجَمِيعِ الْعُلُومِ ، فَالْحَزْمُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ أَحْسَنَهُ .

سادساً - أَلَا يَخُوضَ فِي فَنٍّ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ الْفَنَّ  
الَّذِي قَبْلَهُ ، فَإِنَّ الْعُلُومَ مُرْتَبَةً تَرْتِيبًا ضَرُورِيًّا ، وَبَعْضُهَا

(١) التبجحر: التوسع (٢) تطرف: الاصل في التطرف أن ترعى الناقاة  
أطراف المرعى ولا تختلط بالنوق ، والمراد بالتطرف هنا الاخذ بنصيب قليل  
( ١٨ - الغزالي - أول )

طَرِيقٌ إِلَى بَعْضٍ ، وَالْمَوْفَقُ مَنْ رَاعَى ذَلِكَ التَّرْتِيبَ  
وَالْتَدْرِيجَ .

سَابِعًا - أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الْمُعَلِّمِ فِي أَحْصَاءِ تَحْلِيَةِ  
بَاطِنِهِ وَتَجْمِيلِهِ بِالْفَضِيلَةِ ، وَفِي الْمَالِ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى - وَلَا يَقْصِدُ بِهِ الرِّيَاسَةَ وَالْمَالَ وَأَجْرَهُ ، وَمُمَارَاةَ (١)  
السُّفَهَاءِ ، وَمُبَارَاةَ الْأَقْرَانِ (٢) .

أَمَّا مَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَوْ الْمُرْشِدِ الْأَخْذُ بِهِ فَهُوَ :  
أَوَّلًا - الشَّفَقَةُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ وَأَنْ يُجْرِيَهُمْ مُجْرَى  
بَنِيهِ .

ثَانِيًا - أَلَّا يَطْلُبَ عَلَى إِفَادَةِ الْعِلْمِ أَجْرًا ، وَلَا  
يَقْصِدَ بِهِ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ، بَلْ يُعَلِّمُ لَوَجْهِ اللَّهِ خَالِصًا ،  
وَأَلَّا يَرَى لِنَفْسِهِ مَنَّةً عَلَى طَلَبَتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَنَّةُ  
لَازِمَةً عَلَيْهِمْ ، بَلْ يَرَى الْفَضْلَ لَهُمْ إِذْ هَدَبُوا (٣)  
قُلُوبَهُمْ لِأَنَّ تَمَقُّرَبَ إِلَى اللَّهِ بِزَرْعِ الْعُلُومِ فِيهَا .

(١) المماراة : المجادلة والطنن في القول (٢) الأقران : جمع قرن وهو  
الصاحب (٣) هدبوا قلوبهم : أخلصوها من الشوائب



ثَالِثًا - أَلَا يَدَعُ مِنْ نُصْحِ الْمُتَعَلِّمِ شَيْئًا ،  
وَذَلِكَ بَأَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ التَّصَدَّى لِرُتْبَةٍ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا ،  
وَالتَّشَاغُلِ بِعِلْمٍ خَفِيَ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنَ الْجَلِيِّ

رَابِعًا - وَهِيَ مِنْ دَقَائِقِ صِنَاعَةِ التَّعْلِيمِ ، أَنْ يَزْجُرَ  
الْمُتَعَلِّمُ عَنْ سُوءِ الْأَخْلَاقِ بِطَرِيقِ التَّعْرِيفِ مَا أَمْكَنَ  
وَلَا يُصْرَحَ ، وَبِطَرِيقِ الرَّحْمَةِ لَا بِطَرِيقِ التَّوْبِيخِ ،  
فَإِنَّ التَّصْرِيحَ يَهْتِكُ <sup>(١)</sup> حِجَابَ الْهَيْبَةِ ، وَيُورِثُ الْجُرْأَةَ  
عَلَى الْهُجُومِ بِالْخِلَافِ ، وَيُهَيِّجُ الْحِرْصَ عَلَى الْإِضْرَارِ

خَامِسًا - أَنْ الْمُتَكَفَّلَ بِيَعُضِ الْعُلُومِ ، يَنْبَغِي  
لَهُ أَلَّا يَقْبَحَ فِي نَفْسِ الْمُتَعَلِّمِ الْعُلُومَ الَّتِي وَرَاءَهُ ، كَعِلْمِ  
اللُّغَةِ إِذْ عَادَتْهُ تَقْيِيحُ الْفِقْهِ ، وَمُعَلِّمِ الْفِقْهِ عَادَتْهُ  
تَقْيِيحُ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ ، وَمُعَلِّمِ الْكَلَامِ يُنْفَرُ  
عَنِ الْفِقْهِ ، فَهَذِهِ أَخْلَاقٌ مَذْمُومَةٌ لِلْمُعَلِّمِينَ يَنْبَغِي أَنْ  
تُجْتَنَبَ ، وَالْمُتَكَفَّلُ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ يَنْبَغِي أَنْ يُوسَّعَ عَلَى  
الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعَلُّمِ فِي غَيْرِهِ .

(١) يهتك : يفضح

سَادِسًا - أَنْ يَقْتَصِرَ بِالْمُتَعَلِّمِ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِ ،  
فَلَا يُلْقَى إِلَيْهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ عَقْلُهُ فَيَنْقَرُهُ ، أَوْ يَتَحَبَّطُ (١)  
عَقْلُهُ .

سَابِعًا - أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ الْقَاصِرَ يَنْبَغِي أَنْ يُلْقَى إِلَيْهِ  
أَجْلِيُّ اللَّائِقِ بِهِ ، وَلَا يُذَكَّرَ لَهُ أَنْ وَرَاءَ هَذَا تَدْقِيقًا ،  
وَهُوَ يَدَّخِرُهُ عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْتَرُ (٢) رَغْبَتُهُ فِي أَجْلِيٍّ  
وَيُسَوِّشُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ ، وَيُوهِمُ إِلَيْهِ الْبُخْلَ بِهِ عَنْهُ ، إِذْ  
يَظُنُّ كُلُّ أَحَدٍ ، أَنَّهُ أَهْلٌ لِكُلِّ عِلْمٍ دَقِيقٍ ، فَمَا مِنْ  
أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ عَنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي كَمَالِ عَقْلِهِ ،  
وَأَشَدَّهُمْ حِمَاقَةً وَأَضْعَفُهُمْ عَقْلًا هُوَ أَفْرَحُهُمْ بِكَمَالِ  
عَقْلِهِ .

ثَامِنًا - أَنْ يَكُونَ الْمُعَلِّمُ عَامِلًا بِإِمَامِهِ ، فَلَا  
يُكَذِّبُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ ، وَكُلُّ مَنْ تَنَاولَ شَيْئًا وَقَالَ  
لِلنَّاسِ لَا تَتَنَاوَلُوهُ فَإِنَّهُ سُمُّ زَعَافٍ (٣) ، سَخِرَ النَّاسُ

(١) تحببطه : أفسده (٢) يفتتر : يضعف (٣) سم زعاف : قاتل سريعا

مِنْهُ وَأَتَمُّوهُ ، وَزَادَ حِرْصُهُمْ عَلَى مَا نُهَوُّوا عَنْهُ

\*\*\*

وَهَذِهِ مَبَادِيٌّ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ عَلَى سَهُولَتِهَا وَإِيجَازِهَا  
تَكَادُ تُعَلِّمُ بِفَلَسَفَةِ التَّأْدِيبِ وَالتَّهْذِيبِ كُلِّهَا ، وَتَلْحَقُ  
آرَاءَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِيهَا ، وَقَدْ دَلَّ بِهَا الْغَزَالِيُّ عَلَى مَعْرِفَةِ  
وَرَيْقَةِ بِنَفْسِيَّةِ الْمُعَلِّمِ وَالتَّمَعُّلِ ، وَاسْتَقْصَى <sup>(١)</sup> فِيهَا  
جَمِيعَ أَسَالِيبِ الْإِغْرَاءِ وَالتَّرْغِيبِ ، وَعَوَامِلِ التَّنْفِيرِ  
وَالتَّرْهِيْبِ كَافَّةً ، وَقَدْ كَتَبَ فُصُولًا طَوَالًا فِي هَذِهِ  
النَّاحِيَةِ لَمْ نَشَأْ أَنْ نَعْرِضَهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً ، مَخَافَةَ الإِطَالَةِ  
فَاجْتَرَأْنَا <sup>(٢)</sup> بِهِذِهِ لِأَنَّهَا تُعْنِي فِي هَذَا الْبَابِ .

\*\*\*

وَاللَّامَامُ الْغَزَالِيُّ آرَأَهُ فِي النَّفْسِ ، نَضَحَتْ <sup>(٣)</sup> مِنْ  
تَعْرِيفِ النَّفْسِ قَبْلَ <sup>(٤)</sup> التَّصَوُّفِ الْمَصْحُوبِ بِالنَّقْلِ عَنِ الدِّينِ ، وَقَدْ رَأَيْنَاهُ  
فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ يَنْحُو <sup>(٥)</sup> نَحْوَ التَّحْلِيلِ الْفَلْسَفِيِّ ، وَهُوَ

(١) استقصى الأمر : بلغ غاية (٢) فاجترأنا : فاكتمينا (٣) نضحت :  
خرجت وظهرت (٤) من قبل : من جهة وناحية . (٥) ينحو : يقصد  
والمراد هنا : ينسج على منواله

مَا أَهْتَمَّ بِهِ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الْفَلَاسِيفَةِ ، وَقَلِيلٌ مِنْ  
مُتَأَخِّرِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ التَّشْرِيحِ <sup>(١)</sup> الْعَمَلِيِّ ،  
وَهُوَ مَا أَهْتَمَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ فَلَاسِيفَةِ الْفَرَنْجَةِ لِعِهْدِنَا  
هَذَا .

قَالَ الْغَزَالِيُّ : إِنَّ هُنَاكَ أَرْبَعَةً مِنَ الْأَسَامِي تَخْتَلَفُ  
مُسَمَّيَاتُهَا ، وَهِيَ : الْقَلْبُ ، وَالنَّفْسُ ، وَالرُّوحُ ، وَالْعَقْلُ  
أَمَّا الْقَلْبُ : فَحَقِيقَتُهُ الْجِسْمِيَّةُ مَعْلُومَةٌ ، وَتَسْتَوِي  
فِيهِ الْحَيَوَانَاتُ ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى  
« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ  
وَهُوَ شَبِيدٌ » فَهُوَ لَطِيفَةٌ <sup>(٢)</sup> رَبَّانِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ لَهَا بِهَذَا  
الْقَلْبِ الْجِسْمَانِيُّ تَعَلُّقٌ ، وَتِلْكَ اللَّطِيفَةُ هِيَ حَقِيقَةُ  
الْإِنْسَانِ ، وَأَمَّا عِلَاقَتُهَا بِالْقَلْبِ الْجِسْمَانِيِّ فَمِمَّا حَارَ فِيهِ <sup>(٣)</sup>  
الْغَزَالِيُّ أَوْ لَمْ يَشَأْ إِظْهَارَهُ .

(١) التشریح: تقطیع الشیء وفصل بعضه عن بعض (٢) اللطيفة الانسانية :  
هي النفس الناطقة المسماة عند الصوفية بالقلب. (٣) فما حار فيه : أى تحير  
وتردد فيه .



الرَّوْحُ يُرَادُ بِهَا مَعْنِيَانِ : أَحَدُهُمَا جِسْمٌ لَطِيفٌ  
مَنْبَعُهُ تَجْوِيفُ الْقَلْبِ ، فَيَنْتَشِرُ بِالْعُرْوِقِ  
الضَّوَارِبِ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ ، وَجَرِيَانِهِ فِي الْبَدَنِ .  
وَفِيضَانُ أَنْوَارِ الْحَيَاةِ وَالْحُسِّ (١) مِنْهَا عَلَى الْأَعْضَاءِ  
يُشْبِهُ فِيضَانَ النَّوْرِ مِنَ السَّرَاجِ الَّذِي يُدَارُ فِي زَوَايَا  
الْبَيْتِ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْتَهِي إِلَى جُزْءٍ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا وَيَسْتَنِيرُ  
بِهِ ، وَالْحَيَاةُ مِثَالُهَا النَّوْرُ الْخَاصِلُ فِي الْحِيطَانِ ، وَالرَّوْحُ  
مِثَالُهَا السَّرَاجُ ، وَسَرَيَانُ الرُّوحِ وَحَرَكَتُهَا فِي الْبَاطِنِ  
مِثْلُ حَرَكَةِ السَّرَاجِ فِي جَوَانِبِ الْبَيْتِ بِتَحْرِيكِ مُحَرِّكِهِ .  
وَالثَّانِي وَهُوَ اللَّطِيفَةُ الْعَالِمَةُ الْمُدْرِكَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ  
وَهُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي مِنَ مَعَانِي الْقَلْبِ .

وَالنَّفْسُ يُرَادُ بِهَا مَعْنِيَانِ : أَحَدُهُمَا الْمَعْنَى الْجَمْعُ  
لِقُوَّةِ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ فِي الْإِنْسَانِ . وَالثَّانِي تِلْكَ

اللَّطِيفَةُ الَّتِي هِيَ الْإِنْسَانُ بِالْحَقِيقَةِ وَلَهَا أَوْصَافٌ  
بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا، فَهِيَ الْمُطْمَئِنَّةُ <sup>(١)</sup>، وَهِيَ اللَّوَامَةُ <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وَلِلْعَقْلِ أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ - أَوْلَاهَا - ذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي  
اسْتَعَدَّ بِهِ الْإِنْسَانُ إِقْبُولَ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ، وَتَدْوِيرِ  
الصَّنَاعَاتِ الْخَفِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ، وَهُوَ الْغَرِيزَةُ أَوْ هُوَ  
الْإِسْتِعْدَادُ، وَلَا نَظْنَ أَحَدًا يُنْكَرُ هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى  
الْمَادِّيِّينَ أَنْفُسَهُمْ، قَالَ: وَنِسْبَةُ هَذِهِ الْغَرِيزَةِ إِلَى  
الْعُلُومِ كَنِسْبَةِ الْعَيْنِ إِلَى الرُّؤْيَا. وَالثَّانِي: الْعُلُومُ  
الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَى الْوُجُودِ فِي ذَاتِ الطِّفْلِ الْمُمَيِّزِ.  
وَقَدْ صَحَّحَ الْغَزَالِيُّ هَذَا الْإِطْلَاقَ، وَتَنَبَّأَ أَنْ يَكُونَ  
الْعَقْلُ هُوَ هَذِهِ الْعُلُومُ لَيْسَ غَيْرُ. وَالثَّلَاثُ: الْعُلُومُ  
الْمُسْتَفَادَةُ مِنَ التَّجَارِبِ. وَالرَّابِعُ: أَنْ تَنْتَهِيَ تِلْكَ

العقل

(١) المطمئنة: الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، وهي النفس

للمؤمن. (٢) اللوامة: المتقية التي تلوم على التقصير في التقوى.

الغريزة إلى أن يعرف المرء عواقب الأمور ويقمع<sup>(١)</sup>  
الشهوة.

ولم يتعرض الغزالي لتعريف المخ ووظائفه، ولا  
لتلافيه<sup>(٢)</sup>، فلم يتحدث عنها مطلقاً، ونحسبه عدها  
مجرد آلة للإدراك، كبقية الآلات التي تعمل في الجسم  
بتدبير الروح.



ولعل أكبر ما خلد الغزالي، ورفع شأنه في العالم،  
وأبقى على أثره الأدبي في الناس إلى اليوم، توفقه على  
بحث الأخلاق، فقد انقطع لدراسة الأخلاق عدة  
سنين، في فترة العزلة، وأخرج للناس فيها كتاباً قيماً  
خالداً، باقياً على الزمن الباقي من الزمن، وهو كتاب  
« إحياء علوم الدين » فإن هذا الكتاب هو في الحق  
أجمع كتاب لمعاني الأخلاق، وأجل تصوير نفسي

(١) يقمع الشهوة: يقهرها وينلها. (٢) تلايف المخ: ما التوى  
فيه بعضه على بعض.

لَهَا ، وَتَحْلِيلِ دَقِيقٍ لِدَقَائِقِهَا ، وَشَرْحِ وَافٍ لِمُخْتَلَفِ  
نَوَاحِيهَا ، وَقَدْ أَنْتَحَى الْغَزَالِيُّ فِي فِلْسَفَةِ الْأَخْلَاقِ  
النَّاحِيَةَ الدِّيْنِيَّةَ مِنْ حَيْثُ النِّظَرُ وَالتَّقْدِيرُ ، وَالنَّاحِيَةَ  
التَّحْلِيلِيَّةَ النُّفْسِيَّةَ مِنْ حَيْثُ التَّنَاوُلُ وَالْوَصْفُ وَالتَّفْسِيرُ .  
وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ الْفِلْسَفَةُ الْمُجَرَّدَةُ ، وَلَا مِنْ  
حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ وَاقْبِسَةُ <sup>(١)</sup> الْأَحْضَارَةِ ، كَمَا رَأَيْنَاهُ قَدْ  
مَزَجَ الْبَحْثَ فِي كَثِيرٍ مِنْ ضُرُوبِهَا وَآدَابِهَا بِرُوحِ  
صُوفِيَّةٍ مُتَأَثِّرَةٍ فِي ذَلِكَ بِمَسْلَكِهِ يَوْمئِذٍ وَطَرِيقِ  
تَفْكِيرِهِ .

وَنَحْسَبُ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِأَخْلَاقِيَّاتِهِ بِالتَّخَطُّطِ أَوْ  
التَّعْيِيبِ ، وَقَالُوا بِأَنَّهَا لَا تَجْرِي مَجْرَى الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ  
أَجْدِيدَةٍ ، قَدْ وَهَمُوا فِي الْغَزَالِيِّ ، وَأَخْطَئُوا تَقْدِيرَهُ ،  
وَنَظَرُوا إِلَى الْمَبَادِيِّ الَّتِي وَصَفَهَا بِعَيْنِ عَصْرِهِمْ ، وَعُلُومِ  
جِيلِهِمْ الْمُتَأَخَّرِ ، وَمَبَادِيَّهُمْ الْأَدْيِثَةَ ، وَلَمْ يُرَاعُوا الزَّمَانَ

(١) الأقبسة : جمع قياس وهو تقدير الشيء بأخر



الَّذِي عَاشَ الْغَزَالِي فِيهِ ، وَلَا الْبَيْتَةَ الَّتِي أَحْتَوَتْهُ ، وَلَا  
الطَّابِعَ <sup>(١)</sup> الَّذِي أَنْطَبَعَ بِهِ تَفْكِيرُهُ ، وَالتِّيَّارَ الَّذِي  
سَارَتْ فِيهِ نَفْسُهُ .

\* \* \*

وَقَدْ شَهِدْنَا قَوْمًا يَعِيبُونَ عَلَى اخْتِلَافَاتِ الْغَزَالِي <sup>الغزالي ومطالب الحياة</sup>  
أَنَّهَا لَا تَتَّفِقُ مَعَ مُقْتَضِيَّاتِ الْحَيَاةِ ، فَأَحْسَسْنَا أَنَّ هَوْلَاءَ  
أَيْضًا قَدْ غَلَوْا فِي تَحَايِلِ اخْتِلَافِهِ ، وَجَاوَزُوا الْقَصْدَ  
وَالِإِعْتِدَالَ ، فَلَوْ أَنَّ الْأَخْلَاقَ وَصِفَتْ عَلَى مُقْتَضَى  
مَطَالِبِ الْحَيَاةِ فِي عَصْرِنَا هَذَا ، لَكَانَتْ مُوَحِّشَةً <sup>(٢)</sup>  
عَنِيفَةً بَعِيدَةً مِنَ الْفَضِيلَةِ عَلَى مَا يَصِحُّ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ  
مَعَانِيهَا الْعَامَّةِ .

\* \* \*

مبادئ ونيتية وَالْأَخْلَاقُ فِي تَقْدِيرِ هَوْلَاءِ الْغَيُورِينَ عَلَى الْحَيَاةِ تُصْبِحُ

(١) الطابع : الميسم والعلامة (٢) الموحشة : الكثيرة الوحشة والمراد

أنها غير مألوفة

« نَيْتِشِيَّةٌ » طَائِعِيَّةٌ تَمْجُو مِنْ قَوَائِمِ الْفَضَائِلِ الْمُتَوَاضِعِ <sup>(١)</sup>  
عَلَيْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَتُنْبِتُ فِي مَكَانِهَا مِنَ الرَّذِيلَةِ كَثِيرًا.  
فَقَدْ ذَهَبَ « نَيْتِشَه » فِي فَلْسَفَتِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ ، وَبَحْثِهِ فِيمَا  
وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَذْهَبًا عَجَبًا فِي تَبْوِيبِ الْفَضَائِلِ ،  
فَمَحَا فِيهَا وَأَثَبَتْ ، وَعَدَلَ وَأَلْفَى ، وَتَحَدَّثَ عَنْهَا بِتَقْسِيمِ  
جَدِيدٍ ، فَقَالَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْفَضَائِلِ : إِنَّهَا مِنْ آدَابِ  
السَّادَةِ ، وَحَكَمَ عَلَى أُخْرَى بِأَنَّهَا آدَابُ الصَّبِيَّةِ ، وَلَوْ  
أَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ جَرَتْ عَلَى هَذَا الْخُلُقِ « النَيْتِشِيُّ » فِي  
سَبِيلِ إِنْشَاءِ الْإِنْسَانِ الْأَعْلَى أَوْ مَا سَمَّاهُ هُوَ « السُّوْبِرِمَانُ »  
مَا صَلَحَ الْعَالَمُ الْإِنْسَانِيُّ ، وَمَا اسْتَقَامَ شَأْنُهُ ، فَإِنَّ نَيْتِشَه  
لَمْ يَضَعْ فِي تَصْمِيمِهِ حِسَابًا « لِلضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ » وَلَمْ  
يَتْرِكْ لَهُ فُسْحَةً أَوْ تَسَامُحًا فِي فَلْسَفَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى  
الْحَيَاةَ قَدْ عَنَفَتْ <sup>(٢)</sup> وَقَسَتْ وَطَعَتْ ، فَذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ  
حَانَ أَنْ تَكُونَ الْإِنْسَانِيَّةُ عَنِيفَةً هِيَ كَذَلِكَ قَاسِيَةً

(١) المتواضع عليها : المتفق عليها (٢) عنفت : لم تترفق أى تشددت

طَاغِيَةً - وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِإِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ وَفُقْ  
مُقْتَضِيَّاتِهَا ، وَبِالرَّجُوعِ إِلَى تَعَارُيفِهَا الْأَوَّلِيَّةِ ، وَقَوَائِمِهَا  
الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهَا ، بِالْتَّمَدِيلِ وَالْمَحْوِ وَالْإِضَافَةِ وَالْإِثْبَاتِ  
وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ الْغَزَالِيَّ تَأَثَّرَ فِي تَحْدِيدِ آرَائِهِ فِي  
الْأَخْلَاقِ بِالدِّينِ ، وَأَسْتَتَبَعَ نَزْعَاتِهِ <sup>(١)</sup> الصُّوفِيَّةَ ، وَهَذَا  
هُوَ السَّرُّ فِي أَنَّ مَعَانِيَهُ وَنَظَرَاتِهِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ جَاءَتْ  
مُقَيَّدَةً بِتَعَالِيمِ الدِّينِ ، وَلَمْ تَتَّقَيْدَ بِتَعَالِيمِ الْفَلَسَفَةِ .  
وَنَقُولُ الْآنَ : إِنَّ تَحْلِيلَهُ لِلْفَضَائِلِ جَاءَ عَمِيقًا مِنْ  
الْوَجْهَةِ النَّفْسِيَّةِ ، وَيَكَادُ يَكُونُ سَطْحِيًّا مِنْ حَيْثُ  
التَّشْرِيحُ الْفَلَسَفِيُّ ، وَقَدْ ضَمَّنَ كِتَابَهُ « الْإِحْيَاءُ » أَكْثَرَ  
نَظَرَاتِهِ فِي الْأَخْلَاقِ وَتَعَالِيمِهِ ، وَلَمْ يَجْرِ فِيهِ مَجْرَى  
« ابْنِ مَسْكُوتِهِ » فِي أَخْلَاقِيَّاتِهِ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا قَدْ  
رَجَعَ إِلَى أَخْلَاقِ « أَرِسْطُو » وَنَظَرِيَّاتِ « جَالِينُوسِ »  
وَفَلَسَفَةِ الرُّوَائِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ

(١) نزعاته : ميوله

الْفَلَسَفِيَّةِ فِي الْيُونَانِ ، فَإِنَّ الْغَزَالِيَّ جَعَلَ مَرَاجِعَهُ  
مَا أَثَرَ (١) مِنْ كَلَامِ الصُّوفِيَّةِ « كَابِنِ أَدْهَمَ »  
وَ « التَّسْتُرِيِّ » وَ « الْمُحَاسِبِيِّ » ، وَمَا عُرِفَ مِنْ كَلَامِ  
الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ « عَيْسَى » وَ « مُوسَى » وَ « وَدَاوُدَ »

\*  
\*  
\*

وَيُلَاحِظُ الْبَاحِثُ فِي كُتُبِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي وَضَعَهَا  
الْغَزَالِيُّ وَرِسَالَاتِهِ ، أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَرَ الْبَحْثَ عَلَى مُفْرَدَاتِ  
الْفَضَائِلِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ كَثِيرًا لِلْبَحْثِ فِي مَبْدَأِ الْأَخْلَاقِ  
وَأَسَاسِ الْفَضَائِلِ وَغَايَاتِهَا ، فَهُوَ قَدْ تَحَدَّثَ عَنِ الْفَضِيلَةِ  
مِنَ الْوَجْهَةِ النُّوعِيَّةِ ، وَلَمْ يَبْحَثْ فِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ التَّسْكُونِ  
وَالْأَصُولِ .

مفردات  
الفضائل

وَيَسْكُنِي أَنْ نَسْرُدَ هُنَا الْأَبْوَابَ الَّتِي عَالَجَ الْحَدِيثَ  
عَنْهَا فِي كِتَابِهِ الْأَكْبَرِ « الْإِحْيَاءِ » لِلتَّذْلِيلِ عَلَى الْمَنْحَى  
الَّذِي أَتَجَهَّ إِلَيْهِ فِي بَابِ الْأَخْلَاقِ .

\*\*\*

محتويات  
الاحياء

قَسَمَ الْغَزَالِيُّ كِتَابَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ : فَجَعَلَ الْقِسْمَ  
الْأَوَّلَ مِنْهَا لِلْعِبَادَاتِ ، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى كِتَابِ الْعِلْمِ ،  
وَكِتَابِ قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ ، وَكِتَابِ أَسْرَارِ الطَّهَارَةِ ،  
وَكِتَابِ أَسْرَارِ الصَّلَاةِ ، وَكِتَابِ أَسْرَارِ الزَّكَاةِ ،  
وَكِتَابِ أَسْرَارِ الصِّيَامِ ، وَكِتَابِ أَسْرَارِ الْحَجِّ ،  
وَكِتَابِ آدَابِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَكِتَابِ الْأَذْكَارِ  
وَالدَّعَوَاتِ ، وَتَرْتِيبِ الْأُورَادِ فِي الْأَوْقَاتِ .  
وَجَعَلَ قِسْمًا لِلْعَادَاتِ : وَيَشْتَمِلُ عَلَى كُتُبٍ فِي الْأَكْلِ ،  
وَأَدَابِ الزَّوْاجِ ، وَأَحْكَامِ الْكَسْبِ ، وَالْحَلَالِ  
وَالْحَرَامِ ، وَأَدَابِ الصُّحْبَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ مَعَ أَصْنَافِ الْخَلْقِ  
وَالْعَزَلَةِ ، وَأَدَابِ السَّفَرِ ، وَالسَّمَاعِ وَالْوَجْدِ وَالْأَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَدَابِ الْمَعِيشَةِ ،  
وَأَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ .

وَقِسْمًا لِلْمُهْلِكَاتِ : وَيَشْتَمِلُ عَلَى كُتُبٍ فِي شَرْحِ  
عَجَائِبِ الْقَلْبِ ، وَرِيَاضَةِ النَّفْسِ ، وَآفَاتِ الشَّهَوَاتَيْنِ ،  
شَهْوَةِ الْبَطْنِ ، وَشَهْوَةِ الْفَرْجِ ، وَآفَاتِ اللِّسَانِ ، وَآفَاتِ  
الْغَضَبِ ، وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ ، وَذَمِّ الدُّنْيَا ، وَذَمِّ الْمَالِ  
وَالْبُخْلِ ، وَذَمِّ الْجَاهِ وَالرِّيَاءِ ، وَذَمِّ الْكِبَرِ وَالْمُجَبِّ ،  
وَذَمِّ الْغُرُورِ .

وَقِسْمًا لِلْمُنْجِيَّاتِ : وَيَشْتَمِلُ عَلَى كُتُبٍ فِي التَّوْبَةِ  
وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، وَالْفَقْرِ وَالزُّهْدِ  
وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ ، وَالْمَحَبَّةِ وَالشُّوقِ ، وَالْأُنْسِ  
وَالرِّضَا ، وَالنِّيَّةِ وَالصَّدَقِ ، وَالْإِخْلَاصِ ، وَالْمُرَاقَبَةِ  
وَالْمُحَاسَبَةِ ، وَالتَّفَكُّرِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ .

\* \* \*

وَقَدْ وَصَفَ الْغَزَالِيُّ نَفْسَهُ كِتَابَهُ ، وَيَبَيِّنُ أَغْرَاضَهُ  
فِيهِ ، وَأَشَارَ إِلَى اتِّجَاهِهِ مِنْهُ فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ مِنْ قَبْلِهِ  
وَضَعُوا كُتُبًا فِي مِثْلِ كِتَابِهِ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا رَ (١) عَنْهُمْ

غرضه  
من الاحياء

بِأُمُورٍ خَمْسَةٍ : وَهِيَ : أَوَّلًا - أَنَّهُ حَلَّ مَا عَقَدُوهُ ، وَكَشَفَ  
مَا أَجْمَلُوهُ ، وَثَانِيًا - أَنَّهُ رَتَّبَ مَا بَدَّدُوهُ ، وَنَظَّمَ مَا فَرَّقُوهُ  
وَثَالِثًا - أَنَّهُ أَجَازَ <sup>(١)</sup> مَا طَوَّلُوهُ وَضَبَطَ مَا قَرَّرُوهُ ، وَالرَّابِعُ -  
حَذَفَ مَا كَرَّرُوهُ ، وَإِثْبَاتُ مَا حَرَّرُوهُ ، وَالخَامِسُ - تَحْقِيقُ  
أُمُورٍ غَامِضَةٍ ، اُعْتَصَمَتْ <sup>(٢)</sup> عَلَى الْإِفْهَامِ ، وَلَمْ يُتَعَرَّضْ لَهَا  
فِي الْكُتُبِ مُطْلَقًا ، إِذِ الْكُلُّ وَإِنْ تَوَارَدُوا عَلَى مَنْهَجِ  
وَاحِدٍ ، فَلَا مُسْتَنَكِرَ أَنْ يَنْفَرِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ  
السَّالِكِينَ بِالتَّبْيِيهِ إِلَى أَمْرِ يَخُصُّهُ وَيَعْقُلُ عَنْهُ رَفَقَاؤُهُ .

\* \* \*

الانفراط  
والنفريط

وَلَوْ عَدْنَا إِلَى تَحْلِيلِ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَحَدَّثَ  
الْفِرَازِيُّ عَنْهَا ، فِي هَذَا الْبِرِّ نَامِجِ الْخُلُقِيِّ الْوَاسِعِ النَّطَاقِ ،  
وَتَابَعْنَا رَأْيَهُ فِيهَا ، لَعَرَفْنَا أَنَّهُ يَرَى أَنَّ الْفَضَائِلَ إِنَّمَا  
تَخْضَعُ لِحَاكِمِ الْعَقْلِ ، وَهِيَ مُقَيَّدَةٌ بِالشَّرْعِ ، وَأَنَّ  
الرَّدَائِلَ . هِيَ : إِمَّا إِفْرَاطٌ فِي الْفَضَائِلِ أَوْ تَقْرِيضٌ

(١) أجاز : اختصر (٢) اعتصمت : صعبت

فَالشَّجَاعَةُ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ مَثَلًا ، هِيَ فَضِيلَةٌ لِلْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ  
لِكَوْنِهَا قَوِيَّةً ، وَهِيَ مَعَ قُوَّةِ الْحَمِيَّةِ مُنْقَادَةٌ لِلْعَقْلِ الْمُتَادِبِ ٥  
بِالشَّرْعِ فِي إِقْدَامِهَا وَإِحْجَامِهَا ، وَهِيَ وَسَطٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْهَا  
الْمُطَبَقَتَيْنِ <sup>(١)</sup> بِهَا ، وَهُمَا : التَّهَوُّرُ <sup>(٢)</sup> وَالْجُبْنُ ، كَمَا أَنَّ  
الْعِفَّةَ فَضِيلَةً الْقُوَّةِ الشَّهَوَانِيَّةِ ، وَهِيَ وَسَطٌ بَيْنَ الشَّدَّةِ  
وَالْحُمُودِ ، وَقَدْ اسْتَمْتِي الْغَزَالِيُّ مِنْ نَظَرِيَّتِهِ هَذِهِ فِي  
تَعْرِيفِ الْفَضِيلَةِ ، أَلْعَدْلَ فَلَا تَكْتَنِفُهُ <sup>(٣)</sup> إِلَّا رَذِيلَةٌ  
الْجَوْرِ الْمَجَاوِرَةُ لَهُ ، فَالْفَضِيلَةُ بِالْجُمْلَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ  
وَالْتَقْرِيطِ ، وَالْكَمَالُ فِي الْإِعْتِدَالِ ، وَمِعْيَارُ <sup>(٤)</sup> الْإِعْتِدَالِ  
الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ .

وَ كُلُّ مَنْ قَرَأَ تَحْلِيلَ أَرِسْطُو لِلْفَضِيلَةِ وَتَحْدِيدَهُ  
لَهَا بِالْإِعْتِدَالِ ، تَبَيَّنَ هُنَا الصَّلَةُ الَّتِي بَيْنَ أَرِسْطُو  
وَالْغَزَالِيِّ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، فَإِنَّ الْغَزَالِيَّ لَمْ يَقْتَصِرْ فِي

(١) المطبقتين : المحيطتين (٢) التهور : الوقوع في الأمر بقله مبالاة

(٣) تكتنفه : تحيط به (٤) معيار : ميزان



تَحْلِيلِ الْفَضَائِلِ عَلَى الشَّرْعِ ، بَلِ اسْتَقَى بَعْضَ الْإِسْتِقَاءِ  
مِنْ كِتَابِ أَرِسْطُو إِلَى نَيْقُومَانُوسَ .

\*\*\*

وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ ، يَرَى أَنَّ الْخَيْرَ لَيْسَ هُوَ مَا قَرَّرَهُ  
الْعَقْلُ وَالْمَرْعُ ، بَلْ مَا قَرَّرَهُ الْعَقْلُ الْمُتَادِبُ بِالشَّرْعِ ،  
وَهَذَا مَا يَجْعَلُ الشَّرْعَ فَوْقَ الْعَقْلِ ، وَهُوَ مَا يُشْبِهُ  
مَذْهَبَ اللَّاهُوتِيِّينَ <sup>(١)</sup> فِي الْمَسِيحِيَّةِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْخَيْرَ  
تَابِعًا لِإِرَادَةِ الْخَالِقِ ، فَلَيْسَ الْخَيْرُ خَيْرًا لِأَنَّهُ خَيْرٌ فِي  
ذَاتِهِ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ بِإِرَادَةِ اللَّهِ لَهُ .

\*\*\*

وَقَدْ قَسَمَ الْغَزَالِيُّ الْفَرْقَ فِي كِتَابِهِ « مِيزَانِ الْعَقْلِ »  
إِلَى أَرْبَعٍ وَهِيَ :

- (١) فِرْقَةُ الْمُتَّبِعِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ (٢) فِرْقَةُ الْإِلَهِيِّينَ  
الْإِسْلَامِيِّينَ مِنَ الْفَلَسْفَةِ (٣) فِرْقَةُ الصُّوفِيَّةِ (٤) فِرْقَةُ

(١) اللاهوتيين : المنسوبين إلى اللاهوت ، وعلم اللاهوت : علم يبحث  
عن ذات الله وصفاته وشرائعه وأعماله غنايته والتعاليم التي يجب الاعتقاد  
بها والواجبات التي يلزم القيام بها

الْجَمَاهِيرِ الْحَقِيقِي « أَدَهْمَاءَ » الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَوْتَ  
عَدَمٌ مَحْضٌ، ثُمَّ قَرَّرَ أَنَّ الْفَرِيقَ الثَّلَاثَ الْأُولَى مُتَّفِقَاتٌ  
فِي الْقَوْلِ بِأَنَّ الْحَمَاقَةَ كُلَّ الْحَمَاقَةِ فِي فُتُورِ<sup>(١)</sup> الْإِيمَانِ،  
وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي اتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَالْمُعْرِضِينَ عَنِ النَّظَرِ  
فِي الْمَعْقُولَاتِ، شَقِيٌّ فِي الدُّنْيَا، وَشَقِيٌّ فِي الْآخِرَةِ،  
وَأَنَّهُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَ السَّعَادَةِ، وَتَلَسَّتِ  
السَّعَادَةُ مَقْصُورَةً عَلَى الدُّنْيَا، بَلْ هِيَ مِمَّا وَصَفَهُ  
الشَّرْعُ، وَوَعَدَ بِهِ النُّفُوسَ الصَّالِحَةَ فِي الْآخِرَةِ

\* \* \*

وَعَلَيْهِ لَا تُنَالُ السَّعَادَةُ فِي رَأْيِ الْغَزَالِيِّ إِلَّا بِالْعِلْمِ  
وَالْعَمَلِ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مِقْيَاسٌ، فَأَمَّا مَعْيَارُ الْعِلْمِ،  
فَإِنَّهُ يُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْفَاسِدِ، وَمِيزَانُ الْعَمَلِ،  
يُفَرِّقُ بَيْنَ الْعَمَلِ الْمُسْعِدِ وَالْعَمَلِ الْمُسْقِي، وَطَرِيقُ  
الْعَمَلِ الْمُسْعِدِ، هُوَ التَّجَرُّدُ عَنِ عِلَاقِ الدُّنْيَا، وَالتَّرَفُّعُ

△ العلم والعمل

عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَخَالَفَةَ الْهَوَى ، وَالتَّفَكِيرُ فِي اللَّهِ .

\*\*\*

وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ : فِي رِسَالَةِ « كِيمِيَاءِ السَّعَادَةِ » كِيمِيَاءِ السَّعَادَةِ  
إِعْلَمَ أَنَّ سَعَادَةَ كُلِّ شَيْءٍ لَذَّتُهُ وَرَاحَتُهُ ، وَلَذَّةُ كُلِّ  
شَيْءٍ تَكُونُ بِمُقْتَضَى طَبْعِهِ ، وَطَبْعُ كُلِّ شَيْءٍ  
مَا خُلِقَ لَهُ ، فَلَذَّةُ الْعَيْنِ ، فِي الصُّورِ الْحَسَنَةِ ، وَلَذَّةُ  
الْأُذُنِ فِي الْأَصْوَاتِ الطَّيِّبَةِ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْجَوَارِحِ  
بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، وَلَذَّةُ الْقَلْبِ الْخَاصَّةُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ لَهَا ، وَكُلُّ مَا لَمْ يَعْرِفْهُ ابْنُ آدَمَ  
إِذَا عَرَفَهُ فَرِحَ بِهِ ، مِثْلُ الشَّطْرَنْجِ إِذَا عَرَفَهَا فَرِحَ  
بِهَا ، وَلَوْ يُنْهَى عَنْهَا لَمْ يَتْرُكْهَا ، وَلَا يَبْقَى عَنْهَا  
صَبْرٌ ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَقَعَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
فَرِحَ بِهَا وَلَمْ يَصْبِرْ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ ، لِأَنَّ لَذَّةَ  
الْقَلْبِ الْمَعْرِفَةِ ، وَكَلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ أَكْبَرَ كَانَتِ  
اللَّذَّةُ أَكْبَرَ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَرَفَ الْوَزِيرَ

فَرِحَ ، وَلَوْ عَرَفَ الْمَلِيكَ لَكَانَ أَعْظَمُ فَرَحًا ، وَلَيْسَ  
 مَوْجُودٌ أَشْرَفَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لِأَنَّ شَرَفَ  
 كُلِّ مَوْجُودٍ بِهِ وَمِنَهُ ، وَكُلُّ عَجَائِبِ الْعَالَمِ أَثَرٌ مِنْ  
 آثَارِ صَنَعَتِهِ ، فَلَا مَعْرِفَةَ أَعَزُّ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا لَذَّةَ  
 أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَيْسَ مَنْظَرٌ أَحْسَنَ مِنْ مَنْظَرِ  
 حَضْرَتِهِ ، وَكُلُّ لَذَاتِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا مُتَعَلِّقَةٌ بِالنَّفْسِ ،  
 وَهِيَ تَبْطُلُ بِالْمَوْتِ وَلَذَّةَ مَعْرِفَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ مُتَعَلِّقَةٌ  
 بِالْقَلْبِ ، فَلَا تَبْطُلُ بِالْمَوْتِ ، لِأَنَّ الْقَلْبَ لَا يَهْلِكُ  
 بِالْمَوْتِ ، بَلْ تَكُونُ لَذَّتُهُ أَكْثَرَ ، وَضَوْؤُهُ أَكْبَرَ ،  
 لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى الضَّوْءِ .

\* \* \*

وَيَقُولُ الْغَزَالِيُّ بِإِمْكَانِ تَغْيِيرِ الْخُلُقِ ، لِقَوْلِ  
 الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « حَسَنُوا أَخْلَاقَكُمْ »  
 إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا ، لَمَا أَمَرَ بِهِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ  
 الْفِطْرَةَ (١) الْإِنْسَانِيَّةَ قَابِلَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ

إمكان تغيير  
 الخلق

بیت  
 صحت  
 ۲۰

(١) الفطرة: الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته

قَبْلَ التَّرْبِيَةِ أَيْ لَوْنٍ ، فَالْخَيْرُ إِنَّمَا يُكْتَسَبُ بِالتَّرْبِيَةِ  
وَالشَّرُّ كَذَلِكَ يُكْتَسَبُ بِالتَّرْبِيَةِ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ  
بِالْفِطْرَةِ مَيْلٌ خَاصٌّ لَا إِلَى الشَّرِّ وَلَا إِلَى الْخَيْرِ ، وَإِنَّمَا  
يَسْعَدُ أَوْ يَشْقَى بِمَا يُقَدِّمُهُ إِلَيْهِ أَبُوَاهُ .

\* \* \*

وَبِهَذَا يَنْفِي الْغَزَالِيُّ أَثَرَ الْوَرَاثَةِ وَعَوَامِلَهَا ، وَاعْمَلْ  
ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى مَا قَدَّمْنَا إِلَيْكَ مِنْ نُزُوعِهِ إِلَى التَّأَثُّرِ  
بِتَعَالِيمِ الدِّينِ ، وَسَطْحِيَّةٍ <sup>(١)</sup> نَظَرِهِ إِلَى الْأَخْلَاقِ مِنْ  
النَّاحِيَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ .

\* \* \*

عَلَى أَنْ نَظَرِيَّتُهُ فِي بَرَاءَةِ الْفِطْرَةِ مِنَ الْوَالِدِ تَدُلُّ  
عَلَى حُسْنِ إِيمَانِهِ بِالْبَشَرِيَّةِ ، وَصَفَاءِ نَظَرِهِ إِلَى الْخَلْقِيَّةِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ ، فَقَدْ نَفَى الشَّرَّ وَالْقَوْلَ بِأَنَّهُ مُرَكَّبٌ فِي  
الطَّبَاعِ ، وَجَعَلَ اعْتِقَادَهُ خَيْرًا فِي النِّشْأَةِ ، قَائِمًا عَلَى

(١) سطحية نظره : أى نظره نظرا ظاهرا من غير تعمق ولا تدقيق

البراءة وتقاة الخليقة

\*\*\*

وَلَيْسَ لِلْغَزَالِيِّ رَأْيٌ خَاصٌّ فِي الْحُكُومَةِ ، وَلَا  
نَظْرِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ فِي السُّلْطَانِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ وَضَعَ آدَابًا  
بَسِيْطَةً ، وَنَصَّ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ الشَّرَائِطِ تَكَادُ فِي  
جَوْهَرِهَا تَمِيلُ إِلَى « الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ » أَوْ الصَّلَةِ الْوَيْثِقَةِ  
الَّتِي تُدْنِي مَا بَيْنَ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ ، وَصَاحِبِ السُّلْطَانِ  
وَالَّذِينَ يَلِي أَمْرَهُمْ .

الحكومة

\*\*\*

وَقَدْ وَضَعَ الْمُلُوكُ وَوَأَجِبَاتِهِمْ كِتَابًا خَاصًّا دَعَاهُ  
« التَّبَرُّ الْمَسْبُوكُ فِي نَصِيحَةِ الْمُلُوكِ »

آداب الملوك

وَيَرَى الْغَزَالِيُّ أَنَّ يُقَسَّمِ الْمَلِكُ سَاعَ (١) نَهَارِهِ  
أَرْبَعَةً أَشْطُرٍ ، شَطْرًا (٢) لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَشَطْرًا  
لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ السُّلْطَنَةِ وَإِنصَافِ الْمَظْلُومِينَ ، وَاجْتُلُوسِ

(١) ساعة : جمع ساعة . (٢) شطر الشيء : نصفه والمراد هنا الجزء

إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ لِتَدْيِيرِ الْأُمُورِ ، وَسِيَّاسَةِ الْجُمْهُورِ  
وَتَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ وَالْمَرَاسِمِ <sup>(١)</sup> وَالْكِتَابَةِ وَإِنْفَاقِ الرُّسُلِ  
وَالْبُعُوثِ <sup>(٢)</sup> وَشَطْرًا لِلْأَكْلِ وَالنَّوْمِ وَالْتِزُودِ مِنْ  
الدُّنْيَا وَأَخَذِ الْحُظُوظِ مِنَ الْفَرَجِ وَالسُّرُورِ ، وَشَطْرًا  
لِلصَّيْدِ وَلَعِبِ الْكُرَّةِ وَالصُّوَلَجَانِ <sup>(٣)</sup> وَمَا إِلَيْهَا .  
وَيَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ فِي رَأْيِ الْغَزَالِيِّ ، أَنْ يُرَاعِيَ  
الْأُمُورَ التَّالِيَةَ :

أ - أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الْوِلَايَةِ وَخَطَرَهَا ، وَمَا يَكُونُ  
مِنْ سَعَادَتِهِ إِذَا أَحْسَنَ ، وَمِنْ شِقَائِهِ إِذَا أَسَاءَ .

ب - أَلَّا يَقْتَعَ بِرَفْعِ يَدِهِ عَنِ الظُّلْمِ ، بَلْ يَهْدَبَ  
غِلْمَانَهُ ، وَأَصْحَابَهُ ، وَعُمَّالَهُ ، وَنُؤَابَهُ ، فَإِنَّهُ عَنِ ظُلْمِهِمْ  
مَسْئُولٌ .

ج - أَلَّا يَتَكَبَّرَ ، فَإِنَّ التَّكَبُّرَ دَاعِيَةٌ الْغَضَبِ  
وَالْإِنْتِقَامِ .

(١) المراسيم: جمع مرسوم، وهو الكتاب السلطاني (٢) البعثات الجيوش  
التي تبعث، جمع بعث (٣) الصولجان: العصا المنعطفة الرأس

د - أَنْ يَفْرَضَ نَفْسَهُ وَاحِدًا مِنَ الرَّعِيَّةِ فِي كُلِّ مَا يُعْرَضَ عَلَيْهِ ، فَمَا لَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْضَاهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

ه - أَلَا يَشْتَغِلَ بِنَوَافِلِ<sup>(١)</sup> الْعِبَادَةِ وَبِإِبَائِهِ أَحَدٌ مِنْ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ .

و - أَلَا يُعَوِّدَ نَفْسَهُ الْإِشْتَغَالَ بِالشَّهَوَاتِ ، مِنْ لُبْسِ الثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ ، وَأَكْلِ الْأَطْعِمَةِ الطَّيِّبَةِ ، بَلْ يَتَعَوَّدُ الْقَنَاعَةَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، فَلَا عَدْلَ بِلَا قَنَاعَةَ ز - أَنْ يَتَجَنَّبَ الشَّدَّةَ وَالْعُنْفَ ، كُلَّمَا أَمَكَنَ الرِّفْقُ .

ح - أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ تَرْضَى عَنْهُ الرَّعِيَّةُ بِمُوَافَقَةِ الشَّرْعِ .

ط - أَلَا يَطْلُبُ رِضًا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِمُخَالَفَةِ الشَّرْعِ .

(١) النوافل : ما ليس بفرض كالسنن



ي — أَنْ يُعِينَ رَعِيَّتَهُ إِذَا وَقَعَتْ فِي صَائِقَةٍ ، وَأَنْ  
يُنْفِقَ عَلَيْهَا مِنْ خَزَائِنِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي قَحْطٍ <sup>(١)</sup> أَوْ غَلَاءٍ  
لَأَنَّ فِي ذَلِكَ اسْتِبْقَاءَ لِبَطَاعَتِهِمْ وَدَرءًا <sup>(٢)</sup> لِمَطَامِعِ  
الْمُحْتَكِرِينَ <sup>(٣)</sup> .

وَلَا يَسْتَنْكِرُ الْغَزَالِيُّ مِنَ السُّلْطَانِ الْقَسْوَةِ فِي  
مَوْضِعِهَا لِلزَّجْرِ وَالنَّهْيِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ : وَسُلْطَانُ هَذَا  
الزَّمَانِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَوْفَى سِيَاسَةٍ ، وَأَتَمُّ هَيْبَةٍ  
لِأَنَّ أَنَسَ هَذَا الزَّمَانَ لَيْسُوا كَالْمُتَقَدِّمِينَ ، فَإِنَّ زَمَانَنَا  
هَذَا هُوَ زَمَانُ ذَوِي الْقِحَّةِ <sup>(٤)</sup> وَالسُّفَهَاءِ وَأَهْلِ الْقَسْوَةِ  
وَالشَّحْنَاءِ <sup>(٥)</sup> ، وَإِذَا كَانَ السُّلْطَانُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يَدْنُهُمْ  
صَعِيفًا ، أَوْ كَانَ غَيْرَ ذِي سِيَاسَةٍ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ  
يَكُونُ سَبَبَ خَرَابِ الْبِلَادِ ، وَأَنَّ الْخَلَلَ يَعُودُ عَلَى  
الدُّنْيَا وَالدِّينِ .

(١) قحط : أى جذب (٢) درء : أى دفعا (٣) المحتكرين : احتكر  
الشيء : اشتراه وحبسه انتظارا لغلائه (٤) ذوى القحمة : قليلى الحياء  
(٥) الشحنةاء : العداوة والبغضاء

\* \* \*

الحب ومراتبه

وَقَدْ تَحَدَّثَ الْغَزَالِيُّ عَنِ الْحُبِّ فِي مُخْتَلِفِ مَرَاتِبِهِ  
فَجَعَلَ الْحُبَّ لِلَّهِ أَسْمَاهَا ، وَأَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَرْءِ  
أَعْدَاءَهُ يُبْغِضُهُمْ فِي اللَّهِ ، كَمَا أَوْجَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُ  
أَحْبَابٌ يُحِبُّهُمْ فِي اللَّهِ .

وَقَدْ قَسَمَ الْحُبَّ نَاحِيَتَيْنِ : الْحُبُّ إِذَاتِ الْمَحْبُوبِ  
وَالْحُبُّ مِنْ أَجْلِ التَّوَصُّلِ إِلَى مَقْصُودٍ ، وَهَذَا إِذَا أَنْ  
يَكُونَ مَقْصُورًا عَلَى الدُّنْيَا وَحُظُوظِهَا وَمَتَمِّهَا وَلِذَاتِهَا ،  
وَإِذَا أَنْ يَكُونَ مُتَمَلِّقًا بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا أَنْ يَكُونَ  
مُتَمَلِّقًا بِاللَّهِ .

فَقَدْ يُحِبُّ الْمَرْءُ لِذَاتِهِ ، لَا لِفَائِدَةٍ تُرْجَى عِنْدَهُ ،  
وَإِنَّمَا لِمَجَرَّدِ التَّنَاسُبِ فِي الطَّبَاعِ الْبَاطِنَةِ ، وَالتَّوَافُقِ فِي  
الْمَنَازِعِ <sup>(١)</sup> وَالْأَخْلَاقِ الْخَفِيَّةِ ، وَفِي هَذَا النُّوعِ مِنَ  
الْحُبِّ ، حُبُّ الْجَمَالِ لِلْجَمَالِ ذَاتِهِ ، وَهَذَا عِنْدَ الْغَزَالِيِّ  
هُوَ حُبُّ الطَّبَعِ وَشَهْوَةِ النَّفْسِ فِي غَيْرِ سُوءٍ ، وَهُوَ  
مُبَاحٌ لَا يُوصَفُ بِمَدْحٍ وَلَا ذَمٍّ .

(١) المنازع : جمع منزع وهو النزوع « الميل »

وَقَدْ يُحِبُّ الْإِنْسَانُ لِيُنَالَ مِنْ ذَاتِهِ غَيْرُ ذَاتِهِ ، كَمَا  
يُحِبُّ الرَّجُلُ سُلْطَانًا لِانْتِفَاعِهِ بِمَالِهِ أَوْ جَاهِهِ ، وَيُحِبُّ  
خَوَاصَّهُ لِتَحْسِينِهِمْ حَالَهُ عِنْدَهُ .

وَأَلْتَمَسْ لِي إِلَيْهِ إِنْ كَانَ مَقْصُورَ الْفَائِدَةِ عَلَى الدُّنْيَا  
- لَمْ يَكُنْ حُبُّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْحُبِّ لِلَّهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
مَقْصُورَ الْفَائِدَةِ عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ لَا يُقْصَدُ بِهِ إِلَّا  
الدُّنْيَا ، كَحُبِّ التَّمِيمِ لِاسْتِزَادِهِ « فَهُوَ أَيْضًا خَارِجٌ عَنِ  
الْحُبِّ لِلَّهِ » فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ لِيُحْصَلَ الْعِلْمَ مِنْهُ لِنَفْسِهِ  
فَمَحْبُوبُهُ الْعِلْمُ .

وَيُقَسَّمُ الْغَزَالِيُّ هَذَا الْحُبُّ إِلَى مَذْمُومٍ وَمُبَاحٍ  
فَإِنْ كَانَ يُقْصَدُ بِهِ إِلَى أَغْرَاضٍ مَذْمُومَةٍ ، كَقَهْرِ  
الْأَقْرَانِ ، وَحِيَازَةِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ، وَظُلْمِ الرَّعِيَّةِ بِوِلَايَةِ  
الْقَضَاءِ أَوْ سِوَاهُ ، كَانَ الْحُبُّ مَذْمُومًا ، وَإِنْ كَانَ يُقْصَدُ  
بِهِ التَّوَصُّلَ إِلَى مُبَاحٍ فَهُوَ مُبَاحٌ .

وَقَدْ يُحِبُّ الْإِنْسَانُ لَا لِذَاتِهِ بَلْ لِغَيْرِهِ ، وَذَلِكَ

الغَيْرُ لَيْسَ رَاجِعًا إِلَى حُظُوذِهِ فِي الدُّنْيَا ، بَلْ يَرْجِعُ  
إِلَى حُظُوذِهِ فِي الْآخِرَةِ ، كَمَنْ يُحِبُّ أُسْتَاذَهُ لِأَنَّهُ  
يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَتَحْسِينِ الْعَمَلِ ، وَمَقْصُودُهُ  
مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الْفَرُزُ فِي الْآخِرَةِ ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ  
الْمُحِبِّينَ فِي اللَّهِ . وَمِثْلُهُ مَنْ أَحَبَّ زَوْجَهُ لِأَنَّهَا آتَةٌ  
إِلَى مَقَاصِدِ دِينِيَّةٍ ، كَالْتَحَصُّنِ <sup>(١)</sup> وَالْوَالِدِ الصَّالِحِ .

وَلَيْسَ مِنْ شَرَطِ حُبِّ اللَّهِ عِنْدَ الْغَزَايِ الْأَيُّحِ الْمَرْءُ  
فِي الْعَاجِلَةِ حَظًّا الْبَتَّةَ ، بَلْ إِذَا اجْتَمَعَ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ  
مَحَبَّتَانِ : مَحَبَّةُ اللَّهِ ، وَمَحَبَّةُ الدُّنْيَا ، فَاجْتَمَعَ فِي شَخْصٍ  
وَاحِدٍ الْمَعْنِيَانِ جَمِيعًا حَتَّى صَلَحَ لِأَنَّهُ يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ  
وَإِلَى الدُّنْيَا ، فَإِذَا أَحَبَّهُ لِصَلَاحِهِ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَهُوَ  
مِنَ الْمُحِبِّينَ فِي اللَّهِ ، كَمَنْ يُحِبُّ أُسْتَاذَهُ الَّذِي يُعَلِّمُهُ  
الدِّينَ وَيَكْفِيهِ مَهْمَاتِ الدُّنْيَا بِالْمُؤَاسَاةِ فِي الْمَالِ .  
وَقَدْ يُحِبُّ الْإِنْسَانُ فِي اللَّهِ وَنَلَّهِ ، دُونَ أَنْ يُنَالَ

(١) التحصن : التعفف

مِنْهُ شَيْءٌ أَوْ يُتَوَسَّلَ بِهِ إِلَى أَمْرٍ وَرَاءَ ذَاتِهِ ، وَهَذَا أَعْلَى  
الدَّرَجَاتِ .

وَقَدْ بَيْنَ الْعَزَالِيُّ أَلَّا تَعَارُضَ بَيْنَ الْحُبِّ لِلدُّنْيَا  
وَالْحُبِّ لِلْآخِرَةِ ، فَقَالَ : إِذَا لَمْ يَكُنْ حُبُّ  
السَّمَادَةِ فِي الْآخِرَةِ مُنَافِضًا لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى ، فَحُبُّ  
السَّلَامَةِ ، وَالصَّحَّةِ ، وَالْكَفَايَةِ ، وَالْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا  
كَيْفَ يَكُونُ مُنَافِضًا لِحُبِّ اللَّهِ ؟ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ :  
عِبَارَةٌ عَنِ حَالَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا أَقْرَبُ مِنَ الْأُخْرَى ،  
فَكَيْفَ يُتَوَسَّلُ أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ حُظُوظَ نَفْسِهِ غَدًا  
وَلَا يُحِبُّهَا الْيَوْمَ ؟ وَإِنَّمَا يُحِبُّهَا غَدًا ، لِأَنَّ الْغَدَ سَيَصِيرُ  
حَالَةً رَاهِنَةً <sup>(١)</sup> فَالْحَالَةُ الرَّاهِنَةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ  
مَطْلُوبَةً ، إِلَّا أَنْ الْحُظُوظَ الْعَاجِلَةَ مُنْقَسِمَةً إِلَى مَا يُضَادُّ  
حُظُوظَ الْآخِرَةِ ، وَهُوَ الَّذِي احْتَرَزَ <sup>(٢)</sup> عَنْهُ الْأَنْبِيَاءُ  
وَأَمَرُوا بِالِاحْتِرَازِ عَنْهُ ، وَإِلَى مَا لَا يُضَادُّ ، وَهُوَ

(١) حالة راهنة : أى ثابتة دائمة (٢) احترز منه : توقاه ، احترز عنه :

مَا لَمْ يَمْتَنِعُوا عَنْهُ كَالنَّكَاحِ الصَّحِيحِ وَأَكْلِ الْحَلَالِ ،  
وَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَشْتَدَّ حُبُّكَ لِإِنْسَانٍ لِحُمَلَةِ أَعْرَاضِ  
لَكَ تَرْتَبِطُ بِهِ ، وَلَا يَسْتَحِيلُ اجْتِمَاعُ الْأَعْرَاضِ  
الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُمَلَةِ الْحُبِّ لِلَّهِ  
وَلَعَمْرِي هَذَا هُوَ أَبَدُ عُرْفِيقٍ بَيْنَ مَطَالِبِ الدُّنْيَا  
وَمَقَاصِدِ الْآخِرَةِ فِي مَعَانِي الْحُبِّ وَمَرَامِيهِ (١) .



وَيَتَفَرَّعُ عَنْ مَعَانِي الْحُبِّ الْإِخَاءُ ، وَهُوَ عِنْدَ  
الْفِرَازِيِّ أَدَقُّ وَأَوْفَى وَأَجَلُّ مِنْ مَعَانِيهِ وَمَبَادِيهِ وَغَايَتِهِ  
فِي التَّوَرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَحُقُوقِ الْإِنْسَانِ ، حَتَّى لِيرَى  
الْفِرَازِيُّ لِلأَخِ حَقًّا عَلَى أَخِيهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَقَلْبِهِ  
وَلِسَانِهِ ، وَلِكُلِّ حَقٍّ مِنْ هَذِهِ الْحُقُوقِ ، دَرَجَاتٌ  
تَتَفَاوَتُ مَعَ الْحُبِّ قُوَّةً وَضَعْفًا .  
وَأَحْسَبُ فِي هَذَا التَّقْدِيرِ لِلإِخَاءِ رَدْحًا (٢) مِنْ

الإخاء  
الصدقة

(١) مراميه : أغراضه (٢) الردح : أصله الوجدع الخفيف ، والمراد :

الِاشْتِرَاكِيَّةَ <sup>(١)</sup> الَّتِي شَاعَتْ مَبَادِيهَا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ  
 وَقَدْ تَحَدَّثَ الْغَزَالِيُّ أَيْضًا بِسَبِيلِ الْإِخَاءِ عَنِ الصَّدَاقَةِ  
 أَوْ الْأُلْفَةِ ، وَوُجُوبِ التَّخَيُّرِ لَهَا ، فَلَيْسَ يَصَاحُحُ لِلصَّدَاقَةِ  
 كُلُّ إِنْسَانٍ ، وَقَدْ أُوْرِدَ الْغَزَالِيُّ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ وَحِكْمًا  
 غَالِيَةً ، وَوَصَايَا وَنَصَائِحَ سَامِيَةً ، كَوَصِيَّةِ عَلْقَمَةَ لِابْنِهِ  
 وَهِيَ قَوْلُهُ : « يَا بُنَيَّ إِذَا عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرَّجَالِ  
 حَاجَةٌ ، فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ  
 زَانَكَ ، وَإِنْ قَعَدْتَ بِكَ مَوْثُونَةٌ <sup>(٢)</sup> مَا نَكَ ، أَصْحَبْ مَنْ  
 إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً  
 عَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً سَدَّهَا <sup>(٣)</sup> ، أَصْحَبْ مَنْ إِذَا  
 سَأَلْتَهُ أَغْطَاكَ ، وَإِنْ سَكَتَ أَبْتَدَاكَ ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِكَ  
 نَازِلَةٌ وَاسَاكَ ، أَصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَقَ قَوْلَكَ ،  
 وَإِنْ حَاوَلَتْ أَمْرًا آمَرَكَ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا آتَرَكَ <sup>(٥)</sup> »

(١) الاشتراكية : يراد بها النهوض بالطبقة الفقيرة ورفع مستواها حتى تساوي غيرها من الأمة ولهامبادي خاصة ليس هنا محلها (٢) المؤونة ما تقوم به السكفاية من لوازم الحياة (٣) سدّها: أصلحها (٤) أمره مؤامرة واستأمره : شاوره (٥) آترك قدمك واختارك على نفسه

وَأُورِدَ شِعْرًا مَنَسُوبًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنهُ وَهُوَ :

إِنَّ أَخَاكَ أُلْحِقَ مَنْ كَانَ مَعَكَ  
وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا رَيْبٌ <sup>(١)</sup> زَمَانٍ صَدَعَكَ  
شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وَشَدَّدَ الْغَزَالِي فِي أُتْبَادِ <sup>(٢)</sup> النَّفْعِيِّينَ <sup>(٣)</sup> وَالْوُصُولِيِّينَ <sup>(٤)</sup>  
وَالْمَادِيِّينَ أَوْ مُطَلِّبِ الدُّنْيَا فَقَالَ : وَأَمَّا الْحَرِيصُ عَلَى  
الدُّنْيَا فَإِنَّ صُحْبَتَهُ سُمٌّ قَاتِلٌ لِأَنَّ الطَّبَّاعَ مَجْبُورَةٌ عَلَى  
التَّشْبِهِ وَالِاقْتِدَاءِ ، بَلِ الطَّبَّاعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبَّاعِ مِنْ حَيْثُ  
لَا يَدْرِي صَاحِبُهُ ، فَمَجَالَسَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا تُحَرِّكُ  
الْحِرْصَ ، وَمَجَالَسَةُ الزَّاهِدِ تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا . لِذَلِكَ  
تُكْرَهُ صُحْبَةُ طُلَّابِ الدُّنْيَا وَتُطَلَّبُ صُحْبَةُ الْعُلَمَاءِ

(١) الريب : صرف الدهر وحوادثه (٢) اتباز : اعتزال وتنح

(٣) النفعيين : جمع نفعى : المنسوب لانفع أى الخير (٤) الوصوليين :

المتلطفين فى الوصول إلى الناس



وَالْحُكَمَاءُ . قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ  
وَزَارِحْمُهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَحْيَا بِالْحِكْمَةِ كَمَا  
تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيْتَةَ <sup>(١)</sup> بِوَابِلِ <sup>(٢)</sup> الْمَطَرِ .

\* \* \*

وَقَدْ جَاءَ رَأْيُ الْغَزَالِيِّ فِي مَنْزِلَةِ الْمَرْأَةِ مِنْ  
حَقُوقِ الْمَرْأَةِ الْمُجْتَمَعِ مُطَابِقًا لِنَظَرَةِ عَصْرِهِ وَرُوحِ جِيلِهِ ، وَتَشَبُّهِهِ  
بِعَقِيدَتِهِ الدِّينِيَّةِ ، فَلَمْ يَرْتَبْ لَهَا مِنْ الْحُقُوقِ إِلَّا عَلَى  
قَدْرِ <sup>(٣)</sup> ، وَلَمْ يَقُلْ بِتَعْلِيمِهَا إِلَّا نَزْرًا مِنَ الْعِلْمِ ، يَكْفِي  
لِمَعْرِفَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَتَعَالِيمِ الْفَضِيلَةِ وَالْآدَابِ  
وَلَكِنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ عَلَى يَدِ الزَّوْجِ لِلْمَرْأَةِ ، وَلَمْ يَعْضُرْ  
لِتَرْبِيَةِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ .

وَلَمْ يَرِ الْغَزَالِيُّ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَإِنَّمَا  
رَأَى السِّيَادَةَ لِلزَّوْجِ دُونَ زَوْجِهِ ، فِي غَيْرِ طُغْيَانٍ

(١) الأرض الميتة : التي لا ينتفع بها أحد ، لجذبها (٢) وابل المطر :

شديد المطر الضخم القطر (٣) أى مقدار معلوم

وَلَا عُدْوَانَ ، وَقَالَ بَانَ الطَّلَاقُ مُبَاحٌ وَلَكِنَّهُ إِيدَاءٌ ،  
وَلَا يُبَاحُ لِلرَّجُلِ إِيدَاءُ الْمَرْأَةِ إِلَّا بِجِنَايَةٍ مِنْ جَانِبِهَا ،  
أَوْ ضَرُورَةٍ مِنْ جَانِبِهِ ، وَيَسْكَرُهُ الْغَزَالِيُّ لِلزَّوْجِ أَنْ  
يَأْخُذَ مِنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِجْحَافٌ بِهَا ،  
وَتَحَامُلٌ <sup>(١)</sup> عَلَيْهَا ، وَتِجَارَةٌ بِالزَّوْجِ ، كَمَا أُوجِبَ  
عَلَى الرَّجُلِ التَّلَطُّفَ وَالرَّفْقَ بِالْمَرْأَةِ ، مُذَكِّرًا لَهُ بِأَنَّ  
الْمَرْأَةَ لَا تُقَدِّرُ أَنْ تُطَلِّقَهُ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى طَلَاقِهَا مَتَى  
شَاءَ ، وَأَنَّهَا لَا تُقَدِّرُ أَنْ تَأْخُذَ شَيْئًا بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، وَهُوَ  
قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنَّهَا مَا دَامَتْ فِي حِبَالِهِ <sup>(٢)</sup> لَا تُقَدِّرُ  
عَلَى زَوْجِ سِوَاهُ . وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا ،  
وَأَنَّهُ لَا يَخَافُهَا وَهِيَ تَخَافُهُ ، وَأَنَّهَا تَقْنَعُ مِنْهُ بِطَلَاقِهِ  
وَجِهِهِ وَبِالْكَلَامِ اللَّيِّنِ ، وَهُوَ بَعِيدُ مَنَالِ الرِّضَا  
وَأَنَّهَا تُفَارِقُ أُمَّهَا وَأَبَاهَا وَجَمِيعَ أَقْرَبِيهَا لِأَجْلِهِ ، وَهُوَ

(١) تحامل عليها : جور وتكليف بما لا يطيقه (٢) حباله : عصمته

لَا يُفَارِقُ لِأَجْلِهَا أَحَدًا ، وَأَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَتَسَرَّى <sup>(١)</sup>  
وَيَحْتَضِي بِالْجَوَارِي دُونَهَا ، وَأَنَّهَا تَخْدُمُهُ دَائِمًا وَهُوَ  
لَا يَخْدُمُهَا وَأَنَّهَا تُتْلَفُ <sup>(٢)</sup> نَفْسَهَا إِذَا كَانَ مَرِيضًا ، وَهُوَ  
لَا يَغْتَمُّ <sup>(٣)</sup> لَهَا وَلَوْ مَاتَتْ .

وَقَدْ وَضَعَ الْغَزَالِيُّ لِلنِّسَاءِ آدَابًا وَطَائِفَةً مِنَ التَّعَالِيمِ  
فِي حَقِّ الزَّوْجِ وَالْحَيَاةِ الْمَنْزِلِيَّةِ ، تَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ  
نُزُوعِهِ إِلَى التَّسَامُحِ الْفِكْرِيِّ بِجَانِبِ تَشَدُّدِهِ فِي الدِّينِ  
فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى هَذِهِ الْآدَابِ الْحَكِيمَةِ  
فَلْيَلْتَمِسْهَا فِي مَوَاضِعِهَا مِنْ كِتَابِ الْأَحْيَاءِ .



(١) يتسرى : تسرى بالسرية : دخل عليها ، والسرية : الأمة التي  
التي أنزلتها بيتنا (٢) تتلف نفسها : تفتنيها (٣) لا يغم : لا يحزن

﴿ انتهى الجزء الأول من كتاب الغزالي ﴾

ويليه الجزء الثاني وأوله

« الأدب في الدين »

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمترجم ﴾

الدكتور احمد فريد رفاعي

جميع النسخ مجهزة بتوقيع ناشره

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
صفات الوجدانية	٥٤	٥٤
علة العالم وفوق العالم	٥٦	٥٥
العقل	٥٦	٥٦
النفس	٥٧	٥٦
الطبيعة	٥٨	٥٧
المادة	٥٩	٥٨
أوج التصوف	٥٩	٥٩
اتباع المذهب	٦٠	٥٩
الشك	٦٠	٦٠
العصور الثلاثة للدولة العباسية	٦٢	٦١
انتشار الثقافة	٦٢	٦٢
الرغبة في التحرر الفكري	٦٣	٧٢
ظهور المذاهب والنحل	٦٤	٦٣
أهل التقليد	٦٦	٦٥
ظهور الفلسفة	٦٧	٦٦
نشأة الغزالي	٦٨	٦٧
الناحية السياسية لعصر الغزالي	٦٨	٦٨
السلاجقة	٦٩	٦٨
مولد الغزالي	٧٠	٦٩
المدارس النظامية	٧٠	٧٠
الفقهاء	٧٠	٧٠
فورة الخصومات والمنافسات	٧١	٧١
فترة التحصيل	٧٢	٧١
المعزلة	٧٣	٧٢
صلتهم بالفلسفة اليونانية	٧٣	٧٣
إخوان الصفا	٧٤	٧٤
النظريات العامة	٧٥	٧٤

الموضوع	الصفحة	
	الى	من
العبادة العلمية أو التصوف	٧٦	٧٥
المصلح غريب في قومه	٧٧	٧٦
لم يكن الغزالي كشافا	٧٨	٧٧
الغزالي يفتح عصرا جديدا	٧٨	٧٨
حياته وسيرته - مولده وأصله .	٨٠	٧٩
والد الغزالي	٨٠	٨٠
الآخوان أبو حامد وأحمد	٨١	٨٠
أحمد الغزالي وثيء من أخباره	٨٣	٨١
أثر الوراثة	٨٤	٨٣
بعد وفاة أبيه	٨٥	٨٤
وصية أبي الغزالي لصديقه	٨٧	٨٥
نظام المدارس	٨٧	٨٧
دراسة الفقه	٨٨	٨٧
الفكاك من التقاليد	٨٨	٨٨
إهمال الاستذكار	٨٩	٨٩
واقعة مع بعض اللصوص	٩٠	٨٩
صورة بديعة	٩١	٩١
مغادرة طوس	٩٢	٩١
نيسابور والاتصال بامام الحرمين	٩٣	٩٢
نظام الملك	٩٧	٩٣
تفوق الغزالي	٩٧	٩٧
مرض الغزالي	٩٨	٩٧
تقدير أستاذه لمواهبه	٩٩	٩٨
بعض مصنفاة	٩٩	٩٩
الغزالي بنيسابور	١٠٠	١٠٠
شكوك	١٠١	١٠٠
وفاة معلمه	١٠٢	١٠١

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
اتساع سلطان السلاجقة	١٠٢	١٠٢
ملك شاه	١٠٣	١٠٣
وفاة نظام الملك	١٠٤	١٠٤
قصته مع الخيام	١٠٤	١٠٥
فوز نظام الملك	١٠٥	١٠٥
رأى المؤلف	١٠٥	١٠٥
عيشة الغزالي	١٠٦	١٠٦
التدريس فى المدارس النظامية	١٠٧	١٠٧
حكايه له مع الفقهاء	١٠٨	١٠٨
شهرة الغزالي	١٠٩	١٠٩
مرضه الفجائى	١٠٩	١١٠
خروجه من بغداد	١١٠	١١٠
عزلة الغزالي	١١١	١٢١
زهده فى الحياة	١١٣	١١٢
اعترافه بأسباب عزله	١١٤	١١٣
وساوسه	١١٦	١١٤
الالتجاء إلى الله	١١٨	١١٦
سبب سياسى لخروجه من بغداد	١١٩	١١٨
عمل سياسى يؤديه الغزالي	١١٠	١١٩
عمل آخر يتصل بالسياسة	١٢١	١٢٠
تصوفه	١٢٣	١٢٢
تجواله فى المدائن	١٢٣	١٢٣
ابتداء تأليفه	١٢٤	١٢٣
العودة إلى الوطن	١٢٥	١٢٥
رفيفه فى سفره	١٢٥	١٢٥
تلميذه فى دمشق	١٢٦	١٢٦
رجوع الغزالي إلى بغداد	١٢٦	١٢٦

الموضوع	الصفحة	
	الى	من
عودة الغزالي إلى خراسان	١٢٧	١٢٦
محاربه للفلسفة	١٢٧	١٢٧
دافيد هيوم	١٢٨	١٢٧
دراسة الحديث	١٢٨	١٢٨
الاخلاد إلى الصوفية	١٢٩	١٢٩
ضعف صحته	١٣٠	١٢٩
نفوره من البيئه	١٣١	١٣٠
وفاته	١٣٢	١٣١
وصف منيته	١٣٣	١٣٢
دفنه وما قيل فيه	١٣٤	١٣٣
مجدد القرن الخامس	١٣٥	١٣٥
عزلته واعترافاته - فترة روحية	١٣٧	١٣٦
فذلكه صوفية	١٣٨	١٣٧
منزله الصوفية	١٣٩	١٣٨ X
طلب الحقيقة	١٤١	١٣٩ X
التهم المنسوبة إليه	١٤١	١٤١ X
الاتصال الشخصي بالله	١٤٢	١٤٢ X
حياة جديدة	١٤٢	١٤٢ X
بواعث نزوعه إلى التصوف	١٤٣	١٤٣ X
نفسيته قبل العزلة	١٤٥	١٤٣ X
شيخه النساج	١٤٧	١٤٥ X
الخلوة والمجاهدة	١٤٨	١٤٧ X
كيف وصف رياضته النفسية	١٥٢	١٤٨ X
الصوفية في تقديره	١٥٥	١٥٢ X
إدراك الصوفية بالذوق	١٥٨	١٥٥ X
لماذا ترك العزلة ؟	١٦٠	١٥٨
أسباب ضعف الايمان	١٧٠	١٦٠



الموضوع	الصفحة	
	من	الى
فضل العزلة في حياة الغزالي	١٧٠	١٧١
المجالس الغزالية	١٧١	١٧١
قلب يتحقق	١٧١	١٧٢
وصف كتاب المنقذ من الضلال	١٧٢	١٧٣
اعتذار وبيان	١٧٣	١٧٤
كتاب شيخ	١٧٥	١٧٥
قبل ديكارت وكونت	١٧٥	١٧٦
على غرار هيوم	١٧٦	١٧٧
النور الخفي	١٧٧	١٧٩
مفتاح المعرفة	١٧٩	١٨٠
الكشف الباطني	١٨٠	١٨٣
الاوليات العقلية	١٨٣	١٨٣
مناقشة الفلاسفة	١٨٣	١٨٤
استمساكه بصوفيته	١٨٤	١٨٥
اتهامه ظاهرا	١٨٥	١٨٦
التدليل على صحة النبوة	١٨٧	١٨٨
كتاب الفرحة الذين كتبوا عن المسيح	١٨٨	١٨٨
رينان	١٨٨	١٨٩
بايني	١٨٩	١٩٠
تمائل بينه وبين الغزالي	١٩٠	١٩٠
اعترافات بايني	١٩١	١٩٤
نفس عطشى إلى مورد الحقيقة	١٩٤	١٩٦
ابتداء الشك	١٩٦	١٩٧
شوبنهاور	١٩٧	١٩٨
صعلوك الفلسفة	١٩٨	١٩٩
حياة المسيح	٢٠٠	٢٠١
فردريك نيتشه	٢٠١	٢٠٢

الموضـوع	الصفحة	
	الى	من
المسيحية والصوفية	٢٠٣	٢٠٢
الغزالي وتعاليم المسيح	٢٠٤	٢٠٣ —
المسيحية والحياة	٢٠٥	٢٠٤
آراؤه وفلسفته — مقدمة	٢٠٧	٢٠٦
قيمة الغزالي	٢٠٨	٢٠٧ —
ابن العربي وشهادته للغزالي	٢٠٩	٢٠٨
الاقطاب الثلاثة	٢١٠	٢٠٩
معرفة الغزالي	٢١٢	٢١٠ —
هادم الفلسفة	٢١٣	٢١٢
رأى ماكدولاند في الغزالي	٢١٥	٢١٣
آثر الخوف من عقاب الله	٢١٦	٢١٥
إعلاء مكانة الصوفية	٢١٦	٢١٦
الاشعري والغزالي	٢١٧	٢١٦
ديمقراطية العلم	٢١٩	٢١٨
تهافت الفلاسفة	٢٢٠	٢١٩
أرسطراطية العلم	٢٢١	٢٢٠ —
ظاهر الشرع	٢٢٢	٢٢١
أخلاقيات الغزالي	٢٢٣	٢٢٢ —
النزاع بين الفلسفة والدين	٢٢٤	٢٢٣
الحقائق العامة	٢٢٥	٢٢٥
إخضاع الدين للعقل	٢٢٦	٢٢٥
موجبات التفكير	٢٢٦	٢٢٦
مسألة الزمان والمكان	٢٢٧	٢٢٦
نظرية السببية والمعجزات والرد على الفلاسفة	٢٣٠	٢٢٨ —
مذهب هيوم في قانون السببية	٢٣١	٢٣٠
إنكار الضرورة الفعلية	٢٣٢	٢٣١
المعجزات النبوية	٢٣٢	٢٣٢

الموضوع	الصفحة	
	الى	من
نطاق العقل ونطاق الدين	٢٣٣	٢٣٢
رد ابن رشد على الغزالي	٢٣٤	٢٣٣
تعليل المعجزات	٢٣٥	٢٣٤
إثبات حقيقة الله	٢٣٧	٢٣٦
علم الحزنيات	٢٣٨	٢٣٧
كتاب المقاصد	٢٤٠	٢٣٨
الرد على التعليمية	٢٤١	٢٤٠
الحكم أيكون بالنص أم بالاجتهاد؟ وفي الاصل بالاجماع وهو خطأ	٢٤٩	٢٤١
مفصل الخلاف	٢٥٠	٢٥٠
الامام المعصوم	٢٥٣	٢٥٠
نزاهة الحوار	٢٥٤	٢٥٣
أدب الفقهاء	٢٥٥	٢٥٤
البدع	٢٥٧	٢٥٦
معرفة الحق	٢٥٨	٢٥٧
الفقهاء	٢٥٩	٢٥٨
علم الكلام والفتاوى	٢٦٢	٢٥٩
آداب المناظرة	٢٦٩	٢٦٢
أدب رفيع	٢٧٠	٢٦٩
المعلم والمتعلم	٢٧٧	٢٧٠
فلسفة التربية	٢٧٧	٢٧٧
تعريف النفس	٢٧٨	٢٧٧
الروح	٢٨٠	٢٧٩
العقل	٢٨١	٢٨٠
الأخلاق	٢٨٣	٢٨١
مبادئ نيتشية	٢٨٦	٢٨٣
مفردات الفضائل	٢٨٦	٢٨٦
محتويات الاحياء	٢٨٨	٢٨٧

الموضوع	الصفحة	
	الى	من
اعتراض الغزالي من الاحياء	٢٧٩	٢٨٨
الافراط والتفريط	٢٩٠	٢٨٩
العقل والشرع .	٢٩١	٢٩١
الفرق	٢٩٢	٢٩١
العلم والعمل	٢٩٣	٢٩٢
كيمياء السعادة	٢٩٤	٢٩٣
امكان تغيير الخلق	٢٩٥	٢٩٤
انكار أثر الوراثية	٢٩٥	٢٩٥
براهة الفطرة	٢٩٦	٢٩٥
رأى الغزالي في الحكومة	٢٩٦	٢٩٦
آداب الملوك	٢٩٩	٢٩٦
الحب ومراتبه	٣٠٤	٣٠٠
الاخاء والصدقة	٣٠٧	٣٠٤
حقوق المرأة	٣٠٩	٣٠٧

﴿ تم فهرست الجزء الأول من كتاب الغزالي ﴾

مجلة الأحرار سنة ١٩٤٤

مطبوعات دار المناهون

الديوان من قهبيات

مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة

الأدبيات المصيرية

سلسلة زعماء الفلسفة والأدب والأخلاق

حلقة

# الغزل الحيا

في مجلدين

وثالث خصص للمختارات

مضبوطة ومشروحة ومعلقاً عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

## المجلد الثاني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

الموضوع	الصفحة	
	الى	من
اعتراض الغزالي من الاحياء	٢٧٩	٢٨٨
الافراط والتفريط	٢٩٠	٢٨٩
العقل والشرع .	٢٩١	٢٩١
الفرق	٢٩٢	٢٩١
العقل والعمل	٢٩٣	٢٩٢
كيمياء السعادة	٢٩٤	٢٩٣
امكان تغيير الخلق	٢٩٥	٢٩٤
انكار اثر الوراثه	٢٩٥	٢٩٥
براءة الفطرة	٢٩٦	٢٩٥
رأى الغزالي في الخلدومه	٢٩٦	٢٩٦
آداب الملوك	٢٩٩	٢٩٦
الحب ومراتبه	٣٠٤	٣٠٠
الاخاء والصداقه	٣٠٧	٣٠٤
حقوق المرأة	٣٠٩	٣٠٧

العقل والعمل

\* تم فهرست الجزء الأول من كتاب الغزالي \*

مجلد اجزاء و اسلاطه معاً

مطبوعات دار المأهون

الدكتور محمد فوزي الرفاعي

الدفين من ذهب

مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة

مكتبة القراءه والثقافة

المصرية

الأدبية

سلسلة زعماء الفلسفة والأدب والأخلاق

حلقة

# الغزل الحيا

في مجلدين

وثالث خصص للمختارات

مضبوطة ومشروحة ومعلقاً عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

## المجلد الثاني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد فقد حضر

في يوم الاثنين الموافق

لشهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٥

عقدت الجمعية العامة

للمجلس

في مقر الجمعية

وكانت برئاسة

السيد / /

والتوازي

والشكر لله

والصلاة والسلام على

والصلاة والسلام على



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَا بَعْدُ  
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا بِنِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ  
فِي عَهْدِهِ : لَوْ عَمِّرَ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا الْكَانَ مُسْتَحْسَنًا ،  
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرِكَ هَذَا الْكَانَ أُجْمَلَ ، وَهَذَا  
مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيفَاءِ النَّقْصِ عَلَى جَمَلَةِ  
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَحَانِي

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

كتاب الفرائض

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\*\*\*

وَقَدْ لَخَّصَ الْغَزَالِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ تَعَالِيمَهُ الدِّينِيَّةَ الْأَدَبِيَّةَ فِي الدِّينِ  
وَنَصَائِحَهُ الْعَالِيَّةَ فِي رِسَالَةٍ بِمُقَرَّدِهَا أَسْمَاهَا «رِسَالَةٌ  
الْأَدَبِ فِي الدِّينِ» وَهُوَ عِنْدَهُ أَكْمَلُ الْأَخْلَاقِ وَأَعْلَاهَا  
وَأَحْسَنُ الْأَفْعَالِ وَأَبْيَاهَا ، وَهُوَ مَا يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُ  
مِنْ فِعْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ  
وَقَدْ تَنَاوَلَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَبْلِيَّةِ الْكَلَامَ عَنْ  
آدَابِ الْمُؤْمِنِ وَالْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَالْقَارِئِ وَالْمُحَدِّثِ  
وَمَطَالِبِ الْحَدِيثِ وَالْكَتَابِ وَالْوَاعِظِ وَالْمُسْتَمِعِ  
وَالنَّاسِكِ وَالْمُعْتَزِلِ وَالصُّوفِيِّ وَالشَّرِيفِ كَمَا تَحَدَّثَ فِيهَا  
عَنْ آدَابِ النَّوْمِ وَالتَّهَجُّدِ <sup>(١)</sup> وَالخَلَاءِ وَالْحَمَّامِ وَالْوُضُوءِ  
وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالِاعْتِكَافِ وَالْأَذَانَ وَالْإِمَامَةَ  
وَالصَّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ وَالدُّعَاءَ وَالْجُمُعَةَ وَالْخُطْبَةَ وَالْعِيدَ ،

(١) التهجد : الصلاة بالليل تقربا من الله

ثُمَّ آدَابِ الْمَرِيضِ وَالْمُعْزَى وَالْمَشِيْعِ لِلْجَنَازَةِ ،  
وَالْمُتَصَدِّقِ وَالسَّائِلِ وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْمُهْدِي وَالْمُهْدَى  
إِلَيْهِ ، وَآدَابِ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ  
وَآدَابِ التَّاجِرِ وَالصَّيْرِفِيِّ<sup>(١)</sup> وَالصَّائِغِ وَآدَابِ الْأَكْلِ  
وَالشُّرْبِ وَآدَابِ الْمَرْأَةِ وَآدَابِ الْمَعَاشِرَةِ وَالْجَبَّارِ  
وَالْإِخْوَانَ وَالسُّلْطَانَ مَعَ الرَّعِيَّةِ ، وَالرَّعِيَّةَ مَعَ  
السُّلْطَانَ ، وَالْقَاضِي وَالشَّاهِدِ وَآدَابِ الْجِهَادِ ، وَآدَابِ  
الْأَسِيرِ ، وَجَوَامِعَ لِشُدُورِ<sup>(٢)</sup> أُخْرَى مِنَ الْآدَابِ  
وَهَذِهِ الْآدَابُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ التَّعَالِيمِ فِي حُسْنِ  
السُّلُوكِ وَاللِّيَاقِ<sup>(٣)</sup> وَصِلَةَ الْفَرْدِ بِالْمَجْتَمَعِ ، وَقَدْ  
اسْتَقِيمَتْ<sup>(٤)</sup> كَافَّةً مِنَ الدِّينِ وَالْآدَابِ النَّبَوِيَّةِ الْكَرِيمَةِ  
فَجَاءَتْ خُلَاصَةً حَسَنَةً ، وَصَفْوَةً مُخْتَارَةً ، وَرِسَالَةً مِنْ  
أَقْوَمِ الرِّسَالَاتِ .

(١) الصيرفي : الذي يبيع الدراهم والدنانير ويشترها وهو الصراف .

(٢) الشنور : المتفرقات (٣) اللياق : الازوق يقال هذا الأمر لا يليق بك

أى لا يحسن بك حتى يلصق بك (٤) استقيمت أخذت

\* \* \*

وَقَدْ لَزِمَ أَحَدُ الطَّلَبَةِ خِدْمَةَ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ ،  
أَيُّهَا الْوَالِدُ ، وَأَشْتَغَلَ بِالتَّحْصِيلِ وَقِرَاءَةِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ ، حَتَّى جَمَعَ مَا جَمَعَ مِنْ  
دَقَائِقِ الْعُلُومِ وَأَسْتَكْمَلَ مَا أَرَادَ مِنْ فِضَائِلِ النَّفْسِ ، ثُمَّ إِنَّهُ  
فَكَرَّرَ يَوْمًا فِي حَالِ نَفْسِهِ وَخَطَرَ عَلَى بَالِهِ أَنْ قَالَ :  
« إِنِّي قَرَأْتُ أَنْوَاعًا مِنَ الْعُلُومِ ، وَصَرَفْتُ رِيْعَانَ (١)  
عُمُرِي فِي تَعَلُّمِهَا وَجَمْعِهَا ، فَالآنَ يَنْبَغِي أَنْ أَعْلَمَ أَيُّ  
نَوْعٍ مِنْهَا يَنْفَعُنِي غَدًا وَيُؤَانِسُنِي فِي قَبْرِي ؟ وَأَيُّهَا لَا  
يَنْفَعُنِي حَتَّى أَتْرُكَهُ ؟ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ »  
فَأَسْتَمَرَّتْ لَهُ هَذِهِ الْفِكْرَةُ حَتَّى كَتَبَ إِلَى الْإِمَامِ  
الْغَزَالِيِّ اسْتِفْتَاهُ ، وَسَأَلَ عَنْ مَسَائِلَ وَالتَّمَسَّ مِنْهُ نَصِيحَةً  
وَدَعَاهُ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَتْ مُسْتَفْتَاتُ الشَّيْخِ كَالْإِخْيَاءِ وَغَيْرِهِ  
تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَابِ مَسَائِلِي ، لَكِنَّ مَقْصُودِي أَنْ

(١) الريعان من كل شيء أوله وأفضله

يَكْتُبَ الشَّيْخُ حَاجَتِي فِي وَرَقَاتٍ تَكُونُ مَعِيَ مُدَّةَ  
حَيَاتِي ، وَأَعْمَلُ بِمَا فِيهَا مُدَّةَ عُمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
هَذِهِ مُقَدِّمَةٌ رِسَالَةٍ هِيَ أَيْضًا لِلغَزَالِيِّ دَعَاهَا رِسَالَةٌ  
« أَيُّهَا الْوَلَدُ » وَجَعَلَهَا جَوَابًا لِهَذَا الطَّالِبِ الَّذِي  
سَأَلَهُ وَطَلَبَ نَصَائِحَهُ وَالِاسْتِهْدَاءَ بِهِدَاةِهِ ، وَقَدْ أَتَتْ  
هَذِهِ الرِّسَالَةُ أَشْبَهَ بِكِتَابِ « لُورْدُ شِسْتَرَفِيلْد »  
الْمَشْهُورِ فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، وَهُوَ مِنْ وَالِدِهِ إِلَى ابْنِهِ «  
وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ جَعَلَهُ « ذَلِكَ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ  
الْكَبِيرُ » فَصُولًا مُوجَّهَةً إِلَى وَالدِهِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ  
وَلَقَنَهُ فِيهَا جُمْلَةً مِنَ الْآدَابِ رِيَاضَةً<sup>(١)</sup> لِنَفْسِهِ وَتَهْدِيَةً  
لِخُلُقِهِ ، وَمَعْرِفَةً بِأَسَالِيبِ السُّلُوكِ فِي الْجَمَاعَةِ ،  
فَسَكَانَتِ كِتَابًا خَالِدًا لَا يَزَالُ يُقْرَأُ كَأَنَّهُ جَدِيدٌ ،  
وَلَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَلَاوَةُ الْمُبْتَسِكِرِ ، وَجِدَّةُ<sup>(٢)</sup> الشَّيْءِ  
الصَّالِحِ النَّافِعِ فِي كُلِّ الْمَصُورِ وَالْأَجْيَالِ .

(١) رياضة لنفسه : تدليلها ، وجعلها مطبوعة ، وتعليمها .

(٢) الجدة : كون الشيء جديدا

\* \* \*

عَلَى أَنْ الْغَزَالِيَّ بَثَّ فِي رِسَالَةٍ « أَيُّهَا الْوَلَدُ »  
لورد شستر فيلد والغزالي  
رَوْحًا <sup>(١)</sup> مِنْ لَطَائِفِ الصُّوفِيَّةِ وَنَسَائِمِهَا ، فَاخْتَلَفَتْ  
طَرِيقَةُ تَنَاوُلِهِ وَمَنْحَى « لُورْدُ شِسْتِرِفِيلْد » فِي كِتَابِهِ  
وَهُوَ اخْتِلَافٌ وَاضِحٌ أَلْبَاعِثٌ ، فَإِنَّ الْغَزَالِيَّ لَمْ يَنْظُرْ  
فِي رِسَالَتِهِ إِلَّا إِلَى جِهَةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالرِّيَاضَةِ النَّفْسِيَّةِ  
وَالنَّاحِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَهِيَ الْجِهَةُ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَى كُلِّ  
تَعَالِيمِهِ ، وَمَلَكَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكَ تَفْكِيرِهِ ، عَلَى  
حِينَ اتَّجَهَ صَاحِبُ كِتَابٍ « مِنْ وَالِدٍ إِلَى وَلَدِهِ »  
اتِّجَاهًا أَجْتِمَاعِيًّا بَحْثًا ، وَعَرَضَ <sup>(٢)</sup> لِأَدَبِ الْحَيَاةِ وَمَحَاسِنِ  
السُّلُوكِ ، وَلُطْفِ التَّقَالِيدِ وَكَرَامِ الْأَخْلَاقِ .

\* \* \*

وَفِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ التَّأْدِيبِيَّةِ يَتَحَدَّثُ الْغَزَالِيُّ  
الاستغناء  
عن العلم الكثير  
فِيمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْغِنَاءِ <sup>(٣)</sup> عَنِ الْعِلْمِ الْكَثِيرِ ، فَقَالَ :

(١) الروح : نسيم الريح (٢) عرض : تعرض وتصدى (٣) الغناء :  
بالفتح ، الكفافية

إِنَّ هَاشِمًا الْأَصَمَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّقِيقِ الْبَلْخِيِّ رَحْمَةً  
اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا ، فَسَأَلَهُ يَوْمًا قَالَ : صَاحِبَتِي مِنْذُ  
ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا حَصَلَتْ فِيهَا ؟ قَالَ : حَصَلَتْ ثَمَانِي  
فَوَائِدَ مِنَ الْعِلْمِ وَهِيَ تَكْفِينِي مِنْهُ ، لِأَنِّي أَرْجُو  
خَلَاصِي وَنَجَاتِي فِيهَا ، فَقَالَ شَقِيقٌ : مَا هِيَ ؟ قَالَ  
هَاشِمُ الْأَصَمُّ : الْفَائِدَةُ الْأُولَى - أَيْ نَظَرْتُ إِلَى الْخَلْقِ  
فَرَأَيْتُ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَحْبُوبًا وَمَعشُوقًا يَحِبُّهُ وَيَعشَقُهُ ،  
وَبَعْضُ ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ يُصَاحِبُهُ إِلَى مَرَضِ الْمَوْتِ  
وَبَعْضُهُ إِلَى شَفِيرٍ <sup>(١)</sup> الْقَبْرِ ثُمَّ يَرْجِعُ كُلُّهُ وَيَتْرُكُهُ  
فَرِيدًا وَحِيدًا وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،  
فَتَفَكَّرْتُ وَقُلْتُ : أَفْضَلُ مَحْبُوبِ الْمَرْءِ مَا يَدْخُلُ فِي  
قَبْرِهِ وَيُوَاسِسُهُ فِيهِ ، فَمَا وَجَدْتُهُ غَيْرَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ  
فَأَخَذْتُهَا مَحْبُوبًا لِي ، لِتَكُونَ سِرَاجًا فِي قَبْرِي وَتُوَاسِسُنِي  
فِيهِ وَلَا تَتْرُكُنِي فَرِيدًا - الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ - أَيْ

(١) شفير القبر : حافته (٢) سراجا : مصباحا



رَأَيْتُ أُخْلِقَ يَقْتَدُونَ بِأَهْوَاءِهِمْ وَيُبَادِرُونَ إِلَى مَرَادَاتِ<sup>(١)</sup>  
 أَنْفُسِهِمْ ، فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ  
 رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ »  
 وَتَيَقَّنْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ صَادِقٌ فَبَادَرْتُ إِلَىٰ خِلَافِ  
 نَفْسِي وَتَشَمَّرْتُ<sup>(٢)</sup> بِمُجَاهَدَتِهَا ، وَمَا مَتَّعْتَهَا بِهَوَاهَا ،  
 حَتَّىٰ رَضِيَتْ بِطَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَانْقَادَتْ .  
 الْفَائِدَةُ الثَّلَاثَةُ - أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ  
 يَسْمَعِي فِي جَمْعِ حُطَايِمِ<sup>(٣)</sup> الدُّنْيَا ثُمَّ يُمْسِكُهُ قَابِضًا يَدَهُ  
 عَلَيْهِ فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ « مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ<sup>(٤)</sup> وَمَا  
 عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ » فَبَدَّلْتُ مَحْصُولِي مِنَ الدُّنْيَا لِرُجُوعِهِ إِلَى اللَّهِ  
 تَعَالَىٰ فَفَرَّقْتُهُ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ لِيَسْكُونَ ذُخْرًا<sup>(٥)</sup> لِي عِنْدَ  
 اللَّهِ تَعَالَىٰ . الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ - أَنِّي رَأَيْتُ بَعْضَ أُخْلِقِ  
 ظَنَّ شَرَفَهُ وَعِزَّهُ فِي كَثْرَةِ الْأَقْوَامِ وَالْعَشَائِرِ فَاغْتَرَّ بِهِمْ ،

(١) مرادات : جمع مراد : مكان الارتداد ، والمراد نزعات النفوس .

(٢) تشمرت : تهيأت (٣) حطام الدنيا . ما فيها من مال قليل أو كثير

(٤) ينفد : يفنى (٥) الذخر : ما ذخروا وقت الحاجة أي خبيء .

وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ فِي ثَرْوَةِ الْأَمْوَالِ وَكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ  
فَأَفْتَحَرُوا بِهَا ، وَحَسِبَ بَعْضُهُمُ الشَّرْفَ وَالْعِزَّ فِي  
غَضَبِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَظُلْمِهِمْ وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَأَعْتَقَدَتْ  
طَائِفَةٌ أَنَّهُ فِي إِتْلَافِ الْمَالِ وَإِسْرَافِهِ وَتَبْذِيرِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ  
قَوْلَهُ تَعَالَى : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »  
فَاخْتَرْتُ التَّقْوَى ، وَأَعْتَقَدْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ صَادِقٌ  
وَظَنُّهُمْ وَحِسْبَانَهُمْ كُلُّهُ بَاطِلٌ زَائِلٌ .

وَالْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ — أُنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَدُمُ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا وَيَغْتَابُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَوَجَدْتُ ذَلِكَ مِنَ الْخُسْدِ  
فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْعِلْمِ فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى « نَحْنُ  
قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » . فَقُلْتُ إِنَّ  
الْقِسْمَةَ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَزَلِّ فَمَا حَسَدْتُ  
أَحَدًا وَرَضَيْتُ بِقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَالْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ — أُنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يُعَادِي بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا لِغَرَضٍ وَسَبَبٍ فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى : « إِنْ

الشَّيْطَانِ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا « فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا  
تَجُوزُ غَيْرُ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ - أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ أَحَدٍ يَسْعَى  
بِحِدِّهِ ، وَيَجْتَهِدُ بِمُبَالَغَةٍ ، فِي طَلَبِ الْقُوَّةِ وَالْمَعَاشِ ،  
بِحَيْثُ يَقَعُ بِهِ فِي شُبُهَةٍ <sup>(١)</sup> وَحَرَامٍ ، وَيَذِلُّ نَفْسَهُ ،  
وَيُنْقُصُ قَدْرَهُ ، فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ  
فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » فَعَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي عَلَى  
اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ ضَمِنَهُ فَاسْتَعَلْتُ بِعِبَادَتِهِ وَقَطَعْتُ طَمَعِي  
عَمَّنْ سِوَاهُ

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ - أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مُعْتَمِدًا  
عَلَى شَيْءٍ مَخْلُوقٍ ، بَعْضُهُمْ عَلَى الدُّنْيَا وَالذَّرْهَمِ ، وَبَعْضُهُمْ  
عَلَى الْمَالِ وَالْمُلْكِ ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْحِرْفَةِ وَالصَّنَاعَةِ ،  
وَبَعْضُهُمْ عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى :  
« وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ

(١) الشبهة : ما بين الحلال والحرام لعدم ظهور دليل حله أو حرمة

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا « فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى  
فَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ :

فَقَالَ شَقِيقٌ : وَفَقَّكَ اللَّهُ تَعَالَى ، إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ  
التَّوْرَةَ وَالأِنْجِيلَ وَالأَزْبُورَ وَالأَفْرَاقَانَ ، فَوَجَدْتُ الأَكْثَبَ  
الأَرْبَعَةَ تَدُورُ حَوْلَ هَذِهِ الأَفْوَانِدِ الثَّمَانِيَةِ ، فَمَنْ عَمِلَ بِهَا  
كَانَ عَامِلًا بِهَذِهِ الأَكْثَبِ الأَرْبَعَةِ .

\*\*\*

هَذِهِ لَمَعٌ <sup>(١)</sup> مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ مَبَادِي الأِمَامِ العَزَائِي  
وَآرَائِهِ وَتَعَالِيمِهِ وَأَطْرَاقِهِ وَخَوَاطِرِهِ ، وَقَدْ بَثَّهَا فِي كُتُبِهِ  
الأَكْثِيرَةِ ، وَعَدِيدِ تَوَالِيْفِهِ ، وَجَدَّدَ بِهَا الأَقْرَانَ الأَخَامِسَ ،  
وَأَشْعَلَ بِهَا نُفُوسَ مُعَاصِرِيهِ ، وَأَوْقَدَ بِهَا الأَحْمِيَةَ <sup>(٢)</sup> لِلدِّينِ  
وَقَضَى بِهَا عَلَى وَسَاوِسِ الزَّيْغِ <sup>(٣)</sup> وَرُوحِ الرَّيْبِ عِنْدَ  
الَّذِينَ ضَعُفَتْ عَقِيدَتُهُمْ وَرَانَ الهَوَى <sup>(٤)</sup> عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَمَا لَبِثَتْ

لمع خاطفة

(١) لمع : جمع لمعة : قطعة من النبات أخذت في اليبس . والمراد : قدر  
يسير (٢) الحمية : النخوة والأنفة (٣) الزيغ : الميل عن الحق ، والشك  
(٤) ران الهوى على قلوبهم : غلب عليها فخبثت

مِنْ بَعْدِهِ أَنْ وَجَدَتْ أَنْصَارًا لَا عَدَّ لَهُمْ ، وَأُنْحَدَرَتْ  
إِلَى الْأَجْيَالِ التَّالِيَةِ فِي دَوِيٍّ (١) لَا يَنْقَطِعُ وَذِكْرُ  
لِصَاحِبِهَا لَا يَنْطَفِئُ بَرِيْقُهُ ، وَلِكِتَابِهَا أَيْضًا وَجَدَتْ  
خُصُومًا كَثِيرِينَ ، فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُرْزَلُوا مِنْ بُنْيَانِهَا  
الْمَسْكِينِ .



وَقَدْ أَثَمَهُمَ الْغَزَالِيُّ مِنْ خُصُومِهِ وَالنَّفْسَةَ (٢) عَلَيْهِ  
بِهِمْ كَثِيرَةً ، وَحُورِبَتْ كُتُبُهُ وَأُحْرِقَتْ تَوَالِيْفُهُ ،  
وَلَقِيَ جِهَادَهُ الرَّائِعُ الْجَلِيلُ فِي إِعْلَاءِ شَأْنِ الْكِتَابِ  
وَالسُّنَّةِ ، رَهَقًا (٣) وَبَغْيًا وَعُدْوَانًا ، وَلَكِنَّهُ ثَبَتَ  
وَاطْمَأَنَّ وَمَكَثَ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّ نَفْعَهُ عَامٌ مُحَقَّقٌ وَصَلَاحُهُ  
لِلنَّاسِ مُوَكَّدٌ يَقِينٌ .

وَسَنَعَرِضُ لِكُتُبِهِ وَأَمَانَتِهِ الذَّهْنِيَّةِ فِي فُصُولِ  
مُسْتَقَلَّةٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ .

---

(١) دوى: أى صوت (٢) النفسة: جمع نafs: أى حاسد (٣) رهقا: أى إرهابا ومشقة



﴿ تَصَانِيْفُهُ وَتَوَالِيْفُهُ ﴾

سعة السادة

كَانَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ عَالِمًا فَيَاضًا زَاخِرَ الْمَادَّةِ ،  
طَامَ الْعُبَابِ <sup>(١)</sup> مُتْرَامِي التِّيَّارِ فِي الْغُدُوِّ وَالذَّهَابِ مُتَدَفِّقَ  
الْمَنْبَعِ مِنْ أَعْلَى الْقَدَلِ وَأَسْمَقِ <sup>(٢)</sup> الْهَضَابِ ، وَكَانَ  
الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ خَصِيْبًا كَثِيْرَ الثَّمَرِ ، وَفَرَّ الْمَحْضُولِ ،  
غَزِيْرَ الْإِنْتَاِجِ <sup>(٣)</sup> طَيِّبَ الْحَصَادِ ، وَهُوَ فِي الْعِلْمِ حَقًّا  
بِحَرْزِ خِضْمٍ <sup>(٤)</sup> كَأَنَّ الْحَقِيْقَةَ فِيْهِ مِنْ هَذَا التَّشْبِيْهِ أَدَقُّ  
مِنَ الْمَجَازِ ، وَفِي الْفَيْضِ أَوْ قِيَانُوسٍ <sup>(٥)</sup> بَعِيْدُ السَّاحِلِ ،  
قَصِيُّ الضَّفَافِ ، صَعْبُ الْإِجْتِيَّازِ ، بَعِيْدُ الْعُذْرِ <sup>(٦)</sup>  
أُسْتَنْبَاطًا وَكَشْفًا ، حَتَّى لَسَكَانُهُ الْمُحِيْطُ يُفْتَرَفُ  
مِنْهُ أُغْتَرِافًا .

(١) طام العباب : كثير المعنى (٢) أسمع المضاب أعلاها (٣) غزير  
الانتاج : كثير الثمرة : والمراد كثرة المنفعة (٤) بحر خضم كثير الماء  
(٥) الأوقيانوس : البحر المحيط . معرب أكيانس باليونانية - ومعناه  
العمر (٦) العذر : النجح والغلبة . ومنه يقال في الحرب : لمن العذر ؟



وَمَا نَعَرَفُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ تَبَحَّرُوا فِي الْعِلْمِ  
مِثْلَ الْغَزَالِيِّ فِي التَّبَحُّرِ ، وَلَا عَدِيدًا أُحَدِّثُوا بِكِتَابِهِمْ  
مَا أُحَدِّثَ هُوَ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا مِنْ حُسْنِ الْأَثَرِ ، حَتَّى  
لَقَدْ قَالَ الْمَنَاوِيُّ فِي كَثْرَةِ مَحْضُولِ الْغَزَالِيِّ مِنْ  
الْكِتَابِ وَالنُّوَالِفِ وَالرِّسَالَاتِ وَالْتِّصَانِيفِ : إِنَّهُ قَدْ  
أَحْصَيْتُ كُتُبَ الْغَزَالِيِّ وَوُزَعَتْ عَلَى عُمُرِهِ ، فَخَصَّ  
كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَةً كَرَارِيسَ ، وَقَالَ السَّيِّدُ مُرْتَضَى فِي  
التَّعْقِيبِ عَلَى هَذَا الإِحْصَاءِ الْعَجِيبِ : إِنَّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ  
لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، كَانَ جَرِيرَ الطَّبْرِيِّ ، وَأَبْنِ  
شَاهِينَ ، وَأَبْنِ النَّقِيبِ ، وَالنَّوَوِيِّ ، وَالسُّبْكِيِّ ، وَالسُّيُوطِيِّ ،  
وغيرِهِمْ .

وَقَالَ أَيْضًا : إِنَّ لِلْغَزَالِيِّ تَصَانِيفَ فِي غَالِبِ الْفُنُونِ ،  
حَتَّى فِي عُلُومِ الْحَرْفِ وَأَسْرَارِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَخَوَاصِّ  
( ٢ - الغزالي - ثاني )

الْأَعْدَادِ، وَلَطَائِفِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، وَفِي السِّيْمَاءِ (١)  
وغيرها .

\*\*\*

وَلَكِنْ لَا شَكَّ فِي أَنَّ كِتَابًا وَتَوَالِيفَ كَثِيرَةً قَدْ  
دُسَّتْ (٢) عَلَى الْغَزَالِيِّ مِنْ بَعْدِهِ لِتَجْرِي مَجْرَى شُهْرَتِهِ،  
وَأَحْتِيَالًا مِنْ وُضَاعِهَا وَنَاحِلِي نِسْبَتِهَا إِلَيْهِ عَلَى تَرْوِيحِهَا  
بِاسْمِهِ فِي عَظِيمِ ذُيُوعِهِ وَكَبِيرِ مَحْمَدَتِهِ، وَكَانَ الْإِنْتِحَالُ  
وَالْتَزْيِيفُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ أَسْهَلَ شَيْءٍ عَلَى طُلَّابِهِ وَبُغَاثِهِ (٣)  
فَلَمْ تَكُنْ حُقُوقُ التَّأْيِيفِ مَعْرُوفَةً يَوْمَئِذٍ لِلنَّاسِ، وَلَمْ  
تَشْتَهَرْ الْمِطْبَعَةُ حَتَّى يَكُونَ التَّحْقِيقُ فِي أَصُولِ الْكُتُبِ  
وَحَقَائِقِهَا مَيْسُورًا لِمَنْ رَامَهُ مُذَلَّلًا لِلْمُحَقِّقِينَ

\*\*\*

وَقَدْ عَرَضْنَا فِي أَحَادِيثِنَا عَبْرَ (٤) الْفُصُولِ الْمَاضِيَةِ  
فضل كتاب  
الاحياء

(١) السيمياء : علم يطلق على غير الحقيق من السحر - عبرانية .  
(٢) دست : أدخلت خفية (٣) بغاته: طالبه - جمع باغ (٤) عبر الوادى  
وعبره : شاطئه وناحيته : والمراد ، خلال الفصول الماضية



لِبَعْضِ كُتُبِ الْغَزَالِيِّ وَتَوَالِيْفِهِ ، خِلَالَ شُرُوحِنَا لِآرَائِهِ  
وَنَظَرِيَّاتِهِ أَوْ مُضِيْنًا فِي سِيْرَتِهِ ، وَتَنَاوُلِنَا لِتَرْجَمَتِهِ ، وَهِيَ  
الْكُتُبُ الْأَعْلَامُ فِي بَابِهَا ، وَالْمَوْلَفَاتُ الْمَشْهُورَاتُ بَيْنَ  
الْمَنْسُوبَةِ إِلَى صَاحِبِهَا ، فَاقْتَبَسْنَا مِنْ كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ  
الْدِّينِ » وَهُوَ بِلَا رَيْبٍ أَعْظَمُ كُتُبِ الْغَزَالِيِّ وَأَضْخَمُهَا .  
وَأَكْبَرُهَا قَدْرًا ، وَقَدْ وَصَفَهُ كَثِيرٌ وَافْتَنُوا<sup>(١)</sup> فِي وَصْفِهِ  
وَنَعْتِهِ ، وَقَدَّرَهُ عَدِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَبَالَغُوا فِي تَعْيِينِ  
قِيَمَتِهِ ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّهُ لَوْ ذَهَبَتْ كُتُبُ الْإِسْلَامِ وَبَقِيَ  
الْإِحْيَاءُ ، لَأَغْنَى عَمَّا ذَهَبَ . وَتَقِلَّ فِي لَطَائِفِ الْمَنِّ  
عَنِ الْقُطْبِ أَبِي الْحَسَنِ السَّاذِلِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : كِتَابُ  
الْإِحْيَاءِ يُورِثُكَ الْعِلْمَ ، وَكِتَابُ الْقُوْتِ يُورِثُكَ النُّورَ .  
وَقَالَ ابْنُ الشُّبْكِيِّ : وَهُوَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي يَنْبَغِي  
لِلْمُسْلِمِينَ الْإِعْتِنَاءَ بِهَا ، وَإِشَاعَتَهَا لِيَهْتَدِيَ بِهَا الْكَثِيرُ  
مِنَ الْخَلْقِ . وَقَلَمَا يَنْظُرُ فِيهِ نَاطِرٌ إِلَّا تَيَقَّظَ لَهُ فِي

(١) افتنوا : تفننوا وأخذوا في فنون من القول وجاءوا بالأفانين .

الْحَالِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي صَنَفَهَا  
أَهْلُ الْعِلْمِ إِلَّا الْإِحْيَاءُ لَكَفَاهُمْ ، وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ لَهُ  
نَظِيرًا فِي الْكُتُبِ الَّتِي صَنَفَهَا الْفُقَهَاءُ الْجَامِعُونَ فِي  
تَصَانِيْفِهِمْ بَيْنَ النُّقْلِ وَالنَّظَرِ وَالْفِكْرِ وَالْأَثْرِ .

وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي قِيَمَةِ الْكِتَابِ وَسُمُوِّ قَدْرِهِ ،  
وَبَالِغِ شَأْنِهِ ، فَقَدْ حَوَى أَكْثَرَ تَفْكِيرِ الْغَزَالِيِّ  
وَجَوْهَرَهُ ، وَتَضَمَّنَ أَغْلَبَ تَعَالِيمِهِ وَأَرَائِهِ وَمَذُوبِ<sup>(١)</sup>  
خَاطِرِهِ ، وَقَدْ تَقَلَّنَا لَكَ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ مَا ذَكَرَهُ  
الْمُؤَلِّفُ مِنْ غَرَضِهِ فِيهِ ، وَمَرَمَاهُ مِنْهُ ، وَأَتَيْنَا عَلَى  
قَائِمَةِ مَوْضُوعَاتِهِ ، وَأَقْتَبَسْنَا لَكَ شَيْئًا مِنْ فِقْرَاتِهِ<sup>(٢)</sup> ،  
وَقَدْ فَعَلَ الْغَزَالِيُّ شَيْئًا كَهَذَا ، إِذْ أَخْتَصَرَهُ فِي رِسَالَةٍ  
وَكَتَبَ عِدَّةً ، كَالْوَجِيزِ وَالْمَبْسُوطِ وَالْمُرْشِدِ الْأَمِينِ .  
وَقَدْ حَدَّثْنَاكَ أَيْضًا عَنْ كِتَابِهِ « الْمُنْقِذِ مِنَ »

(١) مذوب خاطره : حاصله (٢) فقراته : جمع فقرة : وهي الجملة

الضلالِ » وأقتطفنا شذورا منه في مناسباتِ البَحْثِ ،  
ومَوْضُوعَاتِ التَّحْلِيلِ وَالشَّرْحِ ، بِسَبِيلِ عَزَلَتِهِ وَصُوفِيَّتِهِ  
وَتَعَرُّضِهِ لِنَقْدِ الْمَذَاهِبِ الْفَلَسَفِيَّةِ ، وَوَصَفْنَا ذَلِكَ الْكِتَابَ  
بِأَنَّهُ أُعْرِفَاتٌ مُتَمَعَةٌ ، صَادِقَةٌ عَنْ حَيَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ ،  
وَتَطَوُّرِهِ الذِّهْنِيِّ ، وَخَلَجَاتٍ <sup>(١)</sup> نَفْسِهِ فِي مَرَاكِحِهَا ،  
مِنَ الشَّكِّ الْأَوَّلِ إِلَى نِهَايَةِ الْيَقِينِ .

وَقَدْ عَرَضْنَا فِي الْبُحُوثِ الْمَاضِيَةِ كَذَلِكَ لِكُتُبِهِ  
الْبَارِزَةِ « كِتَهَاتِ الْفَلَسَفَةِ ، وَالْمُسْتَظْهِرِينَ ، وَمِيزَانَ  
الْعَمَلِ ، وَرِسَالَةَ الْأَدَبِ فِي الدِّينِ .

\* \* \*

وَنَحْنُ هُنَا مُورِدُونَ أَسْمَاءَ مَشْهُورِ كُتُبِهِ ، وَأَعْلَامِ  
رِسَالَتِهِ ، مَعَ بَيَانِ مَوْضُوعَاتِهَا وَمَوَادِّهَا ، فِي غَيْرِ  
إِفَاضَةٍ <sup>(٢)</sup> فِيهَا ، حَتَّى لَا يَطُولَ بِنَا نَفْسُ الْكَلَامِ .

(١) خلجات نفسه : ما يختلج ويحتك في صدره من الشك . جمع

خلجة (٢) إفاضة فيها : اندفاع فيها وخوض

إِخْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ : وَهُوَ آيَةٌ عَمَلِهِ ، وَأَرْوَعُ  
مَا خَرَجَ مِنْ تَوَالِيْفِهِ ، وَسُنْفَرْدُ لَهُ حَدِيثًا نَتَنَاوَلُ فِيهِ  
الْكَلَامَ عَنِ مَاهِيَّتِهِ وَشُرُوحِهِ وَخُتَصَرَاتِهِ ، وَالنَّصَارِ  
الْفَزَالِيَّ فِيهِ وَخُصُومِهِ ، بَعْدَ أَنْ نَفَرَّغَ مِنْ إِيرَادِ أَسْمَاءِ  
كُتُبِهِ وَرَسَائِلِهِ .

جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ وَدُرَرُهُ : وَهُوَ كِتَابٌ قِيَمٌ قَرِيبٌ  
مِنْ مَوْضُوعَاتِ الإِخْيَاءِ وَقَدْ وُضِعَ بَعْدَهُ

كِتَابُ الأَرَبِيِّينَ فِي أَصُولِ الدِّينِ : وَهُوَ قِسْمٌ  
مِنْ جَوَاهِرِ الْقُرْآنِ ، وَقَدْ أَجَازَ الْفَزَالِيُّ أَنْ يُكْتَبَ  
مُفْرَدًا ، فَكُتِبَ هَكَذَا ، وَجَعَلُوهُ مُسْتَقِلًّا .

الإِمْلَاءُ عَلَى إِشْكَالِ الإِخْيَاءِ : وَهُوَ الَّذِي رَدَّ بِهِ  
الْفَزَالِيُّ عَلَى أَعْتِرَاضَاتٍ أوردَهَا بَعْضُ مُعَاصِرِيهِ عَلَى مَوَاضِعَ  
مِنَ الإِخْيَاءِ ، وَيَقُولُ السَّيِّدُ المُرْتَضَى فِي كِتَابِهِ « إِتْحَافِ  
السَّادَةِ المُتَّقِينَ » إِنَّ هَذَا الِكِتَابَ أَيضًا يُسَمَّى الأَجْوِبَةَ  
المُسَكَّتَةَ عَنِ الأَسْئَلَةِ المُبْهِتَةِ (١) .

(١) المبهتة : المدهشة المحيرة .

مِيزَانُ الْعَمَلِ : وَهُوَ مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ النَّفْسِ ، وَطَلَبِ  
السَّعَادَةِ الَّتِي لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَيَبَانَ شَرَفُ  
الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ .

وَمِنْهَا جُ الْعَابِدِينَ إِلَى الْجَنَّةِ : قِيلَ إِنَّهُ آخِرُ تَوَالِيْفِهِ  
وَقَدْ رَتَبَهُ عَلَى سَبْعِ عَقَبَاتٍ ، وَقَالَ فِي أَوَّلِهِ ، صَنَفْنَا فِي  
قَطْعِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ  
كُتِبَا كَأَحْيَاءِ الْعُلُومِ ، وَالْقُرْبَى إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَلَمْ  
يُحْسِنُوهَا ، فَأَيُّمَا كَلَامٍ أَفْصَحُ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟  
فَقَدَّ قَالُوا : « أَسَاطِيرُ <sup>(١)</sup> الْأَوَّلِينَ » ، وَأَقْتَضَتْ الْحَالُ  
النَّظَرَ إِلَى كَافَّةِ خَلْقِ اللَّهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَتَرْكِ الْمُمَارَاةِ <sup>(٢)</sup>  
فَابْتَهَلْتُ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يُوقِّعَنِي لِتَأْلِيفِ  
كِتَابٍ يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ ، وَيَحْصُلُ بِقِرَاءَتِهِ الْإِنْتِفَاعُ ،  
فَأَجَابَنِي وَأَطْلَعَنِي بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ عَلَى أَسْرَارِ ذَلِكَ ،

(١) أساطير : جمع أسطورة : القصة التي لا أصل لها والحكاية ، أي

أكاذيب (٢) الممارسة : المجادلة والمخاصمة

وَأَلْهَمَنِي تَرْتِيبًا عَجِيبًا لَمْ أَذْكَرْهُ فِي الَّتِي تَقَدَّمَتْ  
— وَقَدْ شَرَحَ هَذَا الْكِتَابَ شَمْسُ الدِّينِ الْبَلَاطِنْسِيُّ  
مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ ، شَرَحَ صَغِيرًا وَكَبِيرًا ،  
ثُمَّ اخْتَصَرَ الْمَنْهَاجَ فِي جُزْءِ سَمَاءَهُ بُعِيَّةَ الطَّالِبِينَ ، وَلَمْ  
يَذْكَرْهُ ابْنُ السَّبْتِيِّ فِي تَعْدَادِ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَقَالَ الْمُرْتَضَى :  
إِنَّهُ رَأَى فِي كِتَابِ الْمُسَامَرَةِ لِلشَّيْخِ الْأَكْبَرِ مُحَمَّدِ  
الدِّينِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ - قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ - مَا نَصَّهُ : « إِنَّ الشَّيْخَ  
أَبَا حَسَنٍ عَلِيَّ بْنَ خَلِيلِ السَّبْتِيِّ ، كَانَ عَالِمًا بِالْحَقِيقَةِ  
عَارِفًا مَحْمُولًا <sup>(١)</sup> الذِّكْرَ ، رَأَيْتُهُ بِسَبْتَةِ وَتَبَاحَثْتُ مَعَهُ  
وَرَأَيْتُ لَهُ تَصَانِيفَ مِنْهَا : مِنْهَاجُ الْعَابِدِينَ ، الَّذِي  
يُعزَى إِلَى أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ وَلَيْسَ لَهُ ، وَهُوَ غَرِيبٌ  
يُسْتَفَادُ

مُشْكَلَةٌ الْأَنْوَارِ فِي لَطَائِفِ الْأَخْيَارِ - فِي الْمَوْعِظَةِ -  
حَصَرَ مَقْصُودَهُ فِي ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ بَابًا ، قَالَ فِي أُولَاهَا :

(١) مخول الذكر : ضعيف الذكر غير مشتهر

أَنْكَشَفَ لِأَرْبَابِ الْقُلُوبِ أَنْ لَا وُصُولَ إِلَى السَّعَادَةِ  
لِلْإِنْسَانِ ، إِلَّا بِإِخْلَاصِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِلرَّحْمَنِ ،  
فَسَنَّحَ <sup>(١)</sup> فِي خَاطِرِي أَنْ أَجْمَعَ كِتَابًا جَامِعًا لِجَمْعِ  
أَشْيَاءَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَسُنَنِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَكَلِمَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَنُكَّتِ <sup>(٢)</sup>  
الْمَشَائِخِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - وَحِكْمِ أَهْلِ الْعَرِفَانِ ،  
وَأَخَذْتُ مِنْ كُلِّ مَا يُشَوِّقُ الْقَلْبَ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ -  
وَطَاعَتِهِ ، وَيَقْطَعُ لَذَّةَ النَّفْسِ عَنِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا ،  
وَيُرْغِبُهَا فِي الْآخِرَةِ وَدَرَجَاتِهَا ، إِلَى آخِرِ مَا قَالَ :

فَاتِحَةُ الْعُلُومِ : وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فَصْلَيْنِ

تَهَافَّتُ الْفَلَسَفَةَ ، صَدَّرَهُ بِأَرْبَعِ مُقَدِّمَاتٍ ، رَدَّ فِيهَا  
عَلَى الْفَلَسَفَةِ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسَائِلَ الَّتِي تُنَاقِضُ مَذْهَبَهُ  
وَهِيَ عِشْرُونَ مَسْأَلَةً . وَذَكَرَ فِي خَاتِمَتِهِ مَا يَقْطَعُ

(١) سنح : عرض . (٢) نكت : جمع نكتة : اللطيفة المؤثرة في

أَقْوَلُ بِكُفْرِهِمْ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوهِ ، وَقَدْ صَنَّفَ فِي  
الرَّدِّ عَلَيْهِ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ : الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رُشْدِ الْفَيْلَسُوفِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَعْرُوفِ ،  
مُصَنِّفًا قَالِ فِي آخِرِهِ :

لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ - يُرِيدُ الْغَزَالِيَّ - أَخْطَأَ  
عَلَى الشَّرِيعَةِ ، كَمَا أَخْطَأَ عَلَى الْحِكْمَةِ ، وَلَوْ لَا ضَرُورَةُ  
طَلَبِ الْحَقِّ مَا تَكَلَّمْتُ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ تَكَلَّمْتُ فِيهَا بَعْدُ  
فِي الْمُحَاكَمَةِ بَيْنَهُمَا مِنْ عُلَمَاءِ الرُّومِ مُصْطَفَى بْنِ يُوسُفَ  
الْبَرْمُونِيِّ الْمَعْرُوفِ بِخَوَاجَا زَادَةَ ، وَالْمَوْلَى عَلَاءِ الدِّينِ  
الطَّرطُوسِيِّ وَعَلَى الْأَوَّلِ مِنْهَا تَعْلِيْقَةٌ لِابْنِ كَمَالٍ بِأَشَأ .  
مَقَاصِدُ الْفَلَسِيفَةِ - فِي الْمَنْطِقِ وَالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ  
وَالْحِكْمَةِ الطَّبِيعِيَّةِ ، وَقَدْ عَرَّفَ فِيهِ مَقَاصِدَ الْفَلَسِيفَةِ  
وَحَاكَى مِنْ مَعْلُومَاتِهِمْ ، وَأَتَى بِالرُّدُودِ عَلَيْهِمْ ، « فِي  
التَّهَابِتِ » الَّذِي مَرَّ بِكَ .

مِعْيَارُ الْعُلُومِ فِي الْمَنْطِقِ :



مَعَارِجُ الْقُدْسِ ، فِي مَدَارِجِ عِلْمِ النَّفْسِ  
مِعْرَاجُ السَّالِكِينَ : وَهُوَ مُخْتَصَرٌ أَوْزَدَ فِيهِ الْمَوَاعِظُ  
وَالْتَّذْكَيرَ .

مَوَاهِبُ الْبَاطِنِيَّةِ : قَالَ ابْنُ السَّبْتِيِّ : وَهُوَ غَيْرُ كِتَابِ  
الْمُسْتَظْهِرِيِّ : فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ .  
الْمُسْتَظْهِرِيُّ أَوْ فَضَائِحُ الْبَاطِنِيَّةِ ، وَفَضَائِلُ  
الْمُسْتَظْهِرِيَّةِ .

الْمُسْتَصْفَى فِي أُصُولِ الْفِقْهِ — مُؤَلَّفٌ صَحِيحٌ ، رَتَّبَهُ  
عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَأَرْبَعَةِ أَقْطَارٍ وَخَاتِمَةٍ ، فَالْمُقَدِّمَةُ فِيهَا  
التَّوْطِئَةُ وَالتَّمْهِيدُ ، وَالْأَقْطَارُ الْأَوَّلُ فِي الْأَحْكَامِ  
الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى لُبَابِ (١) الْمَقْصُودِ ، وَالثَّانِي فِي الْأَدِلَّةِ  
الْحُكْمِيَّةِ ، وَالثَّلَاثُ فِي ذِكْرِ الْأَشْتِهَارِ وَالْمُنَاسِبَةِ ،  
وَالرَّابِعُ فِي الْإِسْتِمْرَارَاتِ ، وَالْخَاتِمَةُ فِي الْإِيْقَاعَاتِ ،  
وَذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ أَنَّهُ صَنَّفَهُ قَبْلَ الْإِحْيَاءِ ، وَأَخْتَصَرَهُ

(١) اللباب : المختار الخالص من كل شيء

أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْبَلِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى  
وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، وَشَرَحَهُ الْفَاضِلُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ  
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْفَهْرِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ  
وَسَبْعِمِائَةَ ، وَعَلَيْهِ تَعْلِيقَةٌ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْفَرْنَاطِيِّ  
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَمَانِمِائَةَ .

الْمَنْحُولُ فِي الْأُصُولِ - قَالَ ابْنُ السَّبْتِيِّ - الْفَهْرِيُّ  
فِي حَيَاةِ أَسْتَاذِهِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ، وَقَالَ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى  
تَعْلِيقًا عَلَى هَذَا : وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ عِبَارَةِ الْمُسْتَضْفَى  
فِي أَوَّلِهِ أَنَّهُ مُتَأَخَّرٌ عَنِ الْأَحْيَاءِ ، وَكِيمِيَاءُ السَّعَادَةِ ،  
وَجَوَاهِرِ الْقُرْآنِ ، لِأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الْكُتُبَ  
الثَّلَاثَةَ قَالَ : ثُمَّ سَاقَنِي التَّقْدِيرُ الْإِلَهِيُّ إِلَى التَّصَدُّرِ (١)  
لِلتَّدْرِيسِ فَكُتِبَ مِنِّي تَقْرِيرِي فِي عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ .  
فَحَصَلُوا (٢) تَصْنِيفًا لَمْ يَقَعْ مِثْلُهُ فِي تَهْدِيبِ الْأُصُولِ  
فَلَمَّا أَكْمَلُوهُ عَرَّضُوهُ عَلَيَّ وَلَمْ أُخَيِّبْ سَعِيهِمْ ، وَسَمَّيْتُهُ  
الْمَنْحُولَ .

(١) التصدر: التقدم (٢) فحصلوا: فجمعوا والضمير للطلاب

وَالشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ الكُرْدِيِّ الحَنَفِيِّ فِي الرَّدِّ  
عَلَيْهِ مُصَنَّفُ لَطِيفُ المَأْخِذِ <sup>(١)</sup> فِي الخِلَافِيَّاتِ بَيْنَ  
الحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ .

المَبَادِيُّ وَالنَّغَايَاتُ - فِي أَسْرَارِ الحُرُوفِ المَسْكُونَاتِ  
المَجَالِسُ الغَزَالِيَّةُ - ذَكَرَ ابْنُ السَّبْتِيِّ أَنَّهُ لَمَّا  
عَقَدَ مَجْلِسَ الوُعْظِ بِبَعْدَادَ أزدَحَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَكَانَ  
يُدَوِّنُ مَجَالِسَ وَعُظِهِ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ الشَّيْخُ صَاعِدُ بْنُ فَارِسِ  
المَعْرُوفِ بَابِنِ اللَّبَّانِ ، فَبَلَغَتْ مِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ وَثَمَانِينَ مَجْلِسًا ، ثُمَّ  
قَرَأَهَا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَأَجَازَهُ بِهَا بَعْدَ أَنْ صَحَّحَهَا ،  
فَبَيَّضَهَا فِي مَجْلَدَيْنِ ضَخْمَيْنِ .

« المُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ » ، وَالْمُفْصِحُ عَنِ الأَحْوَالِ :  
وَقَدْ مَرَّ بِكَ حَدِيثٌ عَنْهُ ، وَهَذَا نَنْقُلُ مَا كَتَبَهُ السَّيِّدُ  
المُرْتَضَى بِسَبِيلِهِ ، قَالَ : إِنَّهُ بَثَّ فِيهِ غَايَةَ المَعْلُومِ  
وَأَسْرَارَهَا ، وَالْمَذَاهِبَ وَأَعْدَارَهَا <sup>(٢)</sup> ، وَرَدَّ فِيهِ عَلَى

(١) المأخذ : جمع مأخذ ، ويراد به الانتقاد والاعتراض . (٢) أعدارها :

حججها التي يعتد بها : جمع عذر ، وهو الحجة

الْحُكَمَاءُ الْفَلَّاسِفَةِ ، وَنَسَبَهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ .  
الْقِسْطَاسُ الْمُسْتَقِيمُ ، مُخْتَصَرٌ جَعَلَهُ مِيزَانًا لِإِذْرَاكِ  
حَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ .

قَوَاعِدُ الْعَقَائِدِ ، وَهُوَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ، شَرْحُهُ  
السَّيِّدُ رُكْنُ الدِّينِ الْأَسْطَرَّابَاوِيُّ ، وَالْعَلَامَةُ أَحْمَدُ  
أَمِينُ بْنُ صَدْرِ الدِّينِ الشَّرَوَانِيُّ .

كِيمِيَاءُ السَّعَادَةِ - وَالْعُلُومُ بِالْفَارْسِيَّةِ ، وَهُوَ كِتَابٌ  
كَبِيرٌ ، قَالُوا : إِنَّهُ تَرَجَمَ فِيهِ كِتَابُهُ الْأَحْيَاءُ ، وَقَدْ  
تَكَلَّمَ عَنْهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ ، وَلَهُ رِسَالَةٌ بِهَذَا الْعُنْوَانِ  
أَقْتَبَسْنَا لَكَ مِنْهَا فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ شُذُورًا فِي تَعْرِيفِ  
السَّعَادَةِ عِنْدَهُ .

فَيْصَلُ التَّفْرِيقَةِ ، بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدَقَةِ ،  
الْوَسِيطُ فِي فُرُوعِ الْفِقْهِ ، وَهُوَ مُلَخَّصٌ مِنْ  
بَسِيطِهِ مَعَ زِيَادَاتٍ ، وَهُوَ أَحَدُ الْكُتُبِ الْخَمْسَةِ  
الْمُتَدَاوِلَةِ ، شَرْحُهُ تَلْمِيذُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى التَّيْسَابُورِيُّ ،

وَسَمَاهُ الْمُحِيطَ فِي سِتَّةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، وَشَرَحَهُ نَجْمُ  
الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الرَّفْعَةِ ، فِي سِتِّينَ مُجَلَّدًا ،  
وَسَمَاهُ الْمُطَلَبَ ، وَشَرَحَهُ النُّجْمُ الْقَامُوسِيُّ ، وَسَمَاهُ  
الْبَحْرَ الْمُحِيطَ ، وَشَرَحَهُ الظَّهِيرُ جَمَعَرُ بْنُ يَحْيَى  
التَّرَنْتِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَاكِمِ ، وَالْعَزِيزُ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ  
الْمُدَلِجِيُّ ، وَأَبُو الْفَتْوحِ الْعَجَلِيُّ ، وَأَبِرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ  
أَبْنِ أَبِي الدِّيمِ ، وَأَبْنُ الصَّلَاحِ عَلِيُّ الرَّيِّعِ ، وَالْكَمَالُ  
أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَلَبِيِّ الشَّهِيرُ بِأَبْنِ الْأُسْتَاذِ فِي أَرْبَعَةِ  
مُجَلَّدَاتٍ .

الأدبُ في الدينِ - رسالةٌ طُبِعَتْ مَعَ رِسَالَاتِ  
أُخْرَى ، وَقَدْ مَرَّ بِكَ ذِكْرُهَا .

أيُّهَا الْوَالِدُ - رِسَالَةٌ كَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ تَلَامِيذِهِ  
نَاصِحًا لَهُ ، وَذَكَرَ فِيهَا وَصَايَا فِي الزُّهْدِ ، وَالتَّرْغِيبِ  
وَالتَّرْهِيْبِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مُتَرَجِّمٌ مِنَ الْفَارْسِيَّةِ ، وَقَدْ  
طُبِعَتْ مَعَ تَرْجَمَةِ الْأَمَانِيَّةِ فِي فِينَا عَامِ ثَمَانِيَّةٍ وَثَلَاثِينَ

وَتَمَانِمَائَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ وَعَامَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَتَمَانِمَائَةٍ  
بَعْدَ الْأَلْفِ بَعْنَايَةٍ « هَامِرِ بُرْغُشْتَالِ » كَمَا طُبِعَتْ فِي  
الْقَاهِرَةِ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنْ رَسَائِلِ أُخْرَى لِلْغَزَالِيِّ  
بِدَايَةِ الْهَدَايَةِ ، وَتَهْدِيبِ النُّفُوسِ بِالْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ  
وَلِهَذَا الْكِتَابِ مُخْتَصَرٌ ، وَقَدْ شَرَحَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ  
نُورِيُّ الْجَاوِي بِكِتَابِهِ الْمُسَمَّى مَرَاقِي الْعُبُودِيَّةِ .

تَحْصِينُ الْمَأْخِذِ .

تَحْصِينُ الْأَدِلَّةِ .

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ .

حُجَّةُ الْحَقِّ .

حَقِيقَةُ الرُّوحِ .

حَقِيقَةُ الْقَوْلَيْنِ .

خُلَاصَةُ الْوَسَائِلِ ، إِلَى عِلْمِ الْمَسَائِلِ فِي فُرُوعِ  
الْمَذْهَبِ ، أَحَدُ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ ، ذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ  
اخْتَصَرَهُ مِنْ مُخْتَصَرِ الْمُزْنِيِّ ، وَزَادَ عَلَيْهِ .

رِسَالَةُ الْأَقْطَابِ .

رِسَالَةُ الطَّيْرِ .

الرَّدُّ عَلَى مَنْ طَعَنَى .

الرُّسَالَةُ الْقُدْسِيَّةُ ، بِأَدِلَّتِهَا الْبُرْهَانِيَّةُ ، فِي عِلْمِ

الْكَلَامِ ، كَتَبَهَا لِأَهْلِ الْقُدْسِ

السَّرُّ الْمَصُونُ - وَهُوَ مُؤَلَّفٌ صَغِيرٌ رَتَّبَ فِيهِ

الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ يَذْكَرُ بَعْدَ كُلِّ جُمْلَةٍ مِنْهَا : أَعْدَاؤُنَا

لَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا ، لَا بِالنَّفْسِ وَلَا بِالْوَاسِطَةِ ، وَلَا قُدْرَةَ

لَهُمْ عَلَى إِصْصَالِ الشُّوْءِ إِلَيْنَا ، بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ .

شَرْحُ دَائِرَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، الْمُسَمَّاةِ نُجْبَةَ

الْأَسْمَاءِ ، وَيَقُولُ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى فِي كِتَابِ إِتْحَافِ

السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ : إِنَّهُ كِتَابٌ مَشْهُورٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ .

شِفَاءُ الْغَلِيلِ ، فِي بَيَانِ مَسْأَلَةِ التَّعَامِلِ ، رَتَّبَهُ عَلَى

مُقَدِّمَةٍ ، وَخَمْسَةِ أَرْكَانٍ ، فَالْمُقَدِّمَةُ فِي بَيَانِ مَعَانِي

الْقِيَاسِ وَالْعِلَّةِ وَالِدَّلَالَةِ ، وَالرُّكْنُ الْأَوَّلُ فِي إِثْبَاتِ

عِلَّةُ الْأَصْلِ ، وَالثَّانِي فِي الْعِلَّةِ ، وَالثَّلَاثُ فِي الْحُكْمِ ،  
وَالرَّابِعُ فِي الْقِيَاسِ ، وَالخَامِسُ فِي الْفَرْعِ الْمُلْحَقِ  
بِالْأَصْلِ .

كَشْفُ عُلُومِ الْآخِرَةِ .

كَنْزُ الْعُدَّةِ .

الْبَابُ الْمُنْتَخَلُ فِي الْجَدَلِ .

أَقْوَالُ الْجَمِيلِ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ غَيَّرَ الْإِنْجِيلَ .

الْفِكْرَةُ وَالْعِبْرَةُ .

فَوَاتِحُ الشُّورِ .

الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّالِحِ وَغَيْرِ الصَّالِحِ ، ذِكْرُهُ فِي

كِتَابِهِ نَصِيحَةُ الْمُلُوكِ .

الْقَانُونُ الْكُلِّيُّ .

قَانُونُ الرَّسُولِ .

الْقُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ — عَزَّ وَجَلَّ — .

الْقِسْطَانُ الْمُسْتَقِيمُ ، مُخْتَصَرٌ ، جَعَلَهُ مِيزَانًا لِإِدْرَاكِ

حَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ .



## المَكُونُ فِي الْأُصُولِ

مُسَلَّمُ السَّلَاطِينِ

نَصِيحَةُ الْمُلُوكِ: وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِاسْمِ الْبِرِّ الْمَسْلُوكِ

وَيُقَالُ: إِنَّ الْغَزَالِيَّ كَتَبَهُ فِي الْأَصْلِ بِالْفَارِسِيَّةِ ، ثُمَّ

نَقَلَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ الْكُتُبِ

الَّتِي دُسَّتْ عَلَيْهِ ، وَيُسَمَّى أَيْضًا عُمْدَةَ الْمُحَقِّقِينَ ،

وَبُرْهَانَ الْيَقِينِ .

يَأْقُوتُ التَّأْوِيلِ ، فِي تَفْسِيرِ التَّنْزِيلِ ، وَهُوَ أَرْبَعُونَ

مَجْلَدًا .

غَايَةُ الْغَوْرِ فِي مَسَائِلِ الدَّوْرِ - أَلْفَهَا فِي الْمَسْأَلَةِ

السُّرِّيْمِيَّةِ فِي عَدَمِ وَقُوعِ الطَّلَاقِ ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَفْتَى

بِوُقُوعِهِ .

غَوْرُ الدَّوْرِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَهُوَ الْمُخْتَصَرُ

الْأَخِيرُ لَهَا ، أَلْفُهُ يَبْعَدَادُ سَنَةِ أَرْبَعِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

جامعُ الحقائق بتجربةِ العلائق .

زهدُ الفاتح .

مدخلُ السلوك ، إلى منازلِ الملوك .

نورُ الشمعة ، في بيانِ ظهرِ الجمعة .

حقائقُ العلومِ لأهلِ الفهوم .

فضائلُ القرآن .

المعارفُ العقليةُ والحكمةُ الإلهيةُ .

أسرارُ الحجِّ في الفقهِ الشافعيِّ .

محكُّ النظرِ في المنطقِ .

المقصدُ الأسنى في شرحِ أسماءِ اللهِ الحسنى .

آدابُ الصوفيةِ .

الحكمةُ في مخلوقاتِ الله .

خلاصةُ التصانيفِ : ألفه بالغةِ الفارسيةِ ، وترجمه

محمدُ أمينُ الكردى المتوفى سنةِ اثنتينِ وثلاثينِ

وثلاثمائةِ وألفِ هجريةِ .

الذِّرَّةُ الْفَاخِرَةُ فِي كَشْفِ عُلُومِ الْآخِرَةِ .  
الرِّسَالَةُ الدِّينِيَّةُ ، رِسَالَةٌ طُبِعَتْ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ  
الرِّسَائِلِ .

الرِّسَالَةُ الْوَعْظِيَّةُ ، طُبِعَتْ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنْ الرِّسَائِلِ .  
الْقَوَاعِدُ الْعَشْرُ .

الْكَشْفُ وَالتَّبْيِينُ فِي غُرُورِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ،  
وَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى هَامِشِ تَنْبِيهِ الْمَعْتَرِّ لِلشَّعْرَانِي .

الْمُرْشِدُ الْأَمِينُ إِلَى مَوْعِظَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِحْيَاءِ  
عُلُومِ الدِّينِ ، وَقَدْ لَخَّصَ فِيهِ الْإِحْيَاءُ .

مُكَاشَفَةُ الْقُلُوبِ ، الْمَقْرَبُ إِلَى حَضْرَةِ عَلَّامِ  
الْعُيُوبِ .

إِلْجَامُ الْعَوَامِّ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ .

الِاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ .

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ .

الْمَضْنُونُ بِهِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَيُسَمَّى أَيْضًا: الْأَجُوبَةُ

الغزاليَّةَ ، فِي الْمَسَائِلِ الْآخِرَوِيَّةِ .

يَوَاقِيتُ الْعُلُومِ بِالْفَارِسِيَّةِ .

الْوِظَائِفُ فِي بَيَانِ الْعُلُومِ .

النِّيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ .

نِعْمَةُ الْفَقِيرِ .

الْمَنْهَجُ الْأَعْلَى .

مَدَشَأُ الرُّسَالَةِ فِي أَحْكَامِ الزَّيْعِ وَالضَّلَالَةِ .

الْمَوَاعِظُ فِي الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ .

مِنْهَاجُ الرَّشَادِ .

مِنْهَاجُ الْمُتَعَلِّمِ .

مِنْهَاجُ الْقَاصِدِينَ .

مَوَاهِمُ الْبَاطِنِيَّةِ .

مَنْهَجُ الْعَارِفِينَ .

الْمَنَازِلُ السَّائِرَةُ .

الْمُنَادِي وَالصَّامِتُ .

الْمَأْخَذُ فِي الْخِلَافِ بَيْنَ الْحَنْفِيَّةِ .

مَا لَابَدٌ مِنْهُ « فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ » .

مَذْهَبُ أَهْلِ السَّلَفِ .

مَرَاقِي الزُّلْفَى .

مُرْشِدُ الطَّالِبِينَ .

الْمَسَائِلُ الْبَعْدَادِيَّةُ .

الْمَصَارِحُ وَالْمَفَاسِدُ .

الْمِصْبَاحُ فِي الْعَقَائِدِ .

مُصْطَفِيَاتُ الْأَنْوَارِ .

مُعْتَادُ الْعِلْمِ .

الْمُعْتَقَدُ .

الْمِعْرَاجُ .

مَعْيَارُ النَّظَرِ .

مَعَالِيقُ الْمَعْرُورِينَ .

مُعْضِلُ الْخِلَافِ .

الْمَقَاصِدُ .

مَقَامَاتُ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ يَدَيِ الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ .  
كَتَبْتُ الْقَوْمِ وَالسَّرِّ الْمَكْتُومِ .

الْكَافِي فِي الْعِقْدِ الصَّافِي .

الْفَتْوحُ الرَّبَّانِيُّ فِي نَفْخِ الرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ .

الْغَايَةُ وَالنَّهْيَةُ ، وَهِيَ مَجْمُوعَةُ قِصَائِدٍ فِي مَدْحِ

الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

عُدَّةُ الْعِبَادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ

عَقِيدَةُ الصَّبَاحِ

عُنُقُودُ الْمُخْتَصِرِ .

الْعُنْوَانُ .

زَادُ الْآخِرَةِ .

تَدْلِيْسُ إِبْلِيسَ .

التَّجْرِيدُ فِي التَّوْحِيدِ .

التَّأْوِيلَاتُ .

لُجُوهَرُ وَالذَّرَرُ فِي التَّصَوُّفِ .

جَنَّةُ الْأَسْمَاءِ .

حُجَّةُ الْحَقِّ - ذَكَرَهُ فِي الْمُنْقِذِ .

أَسْرَارُ الْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْآيَاتِ الْمَتَلُوَّةِ  
الْقُرْآنيَّةِ .

رُوحُ الْأَشْبَاحِ .

أَخْلَاقُ الْأَبْرَارِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْأَشْرَارِ .

\* \* \*

الضائع منها  
والمشهور  
والمخطوط

هَذَا بَيَانٌ مُفَصَّلٌ لِمَا وَجَدْنَاهُ مِنْ أَسْمَاءِ كُتُبِ  
الغزاليِّ وَتَوَالِيفِهِ ، وَرِسَالَاتِهِ وَتَصَانِيفِهِ ، وَقَدْ ذَهَبَ  
أَكْثَرُهَا ، وَلَمْ يُعْرَفْ غَيْرُ أُبْرُزِهَا وَأَشْهَرِهَا ، وَيَبْنِيهَا  
مَا لَا يَزَالُ مَخْطُوطًا فِي مُسْتَوْدَعِهِ بِالْمَسْكَاةِ الْعَامَّةِ  
وَالْمَتَاحِفِ ، وَعَدِيدٌ مِنْهَا مَفْقُودٌ ضَائِعٌ ، أَوْ مُزَيَّفٌ  
مَنْسُوبٌ إِلَى الْغَزَالِيِّ ، وَمَنْحُولٌ <sup>(١)</sup> وَمُصْطَنَعٌ .

(١) أى منتحل ، منسوب إلى غيره وهو له .



المنون به  
على غير أهله

عَلَى أَنْ هُنَاكَ كِتَابًا يُسَمَّى « الْمَضْنُونِ بِهِ عَلَى غَيْرِ  
أَهْلِهِ » نُسِبَ إِلَى الْغَزَالِيِّ وَكَانَ مَوْضِعَ إِتِهَامٍ لَهُ ،  
سَنَفَرِدُ لَهُ حَدِيثًا خَاصًّا فِيمَا سَبَلِي مِنَ الْكَلَامِ . وَقَدْ  
قَالَ ابْنُ السُّبُكِيِّ : ذَكَرَ ابْنُ الصَّلَاحِ أَنَّهُ مَذْسُوبٌ  
إِلَيْهِ ، وَقَالَ : - مَعَاذَ اللَّهِ - أَنْ يَكُونَ لَهُ ، وَبَيْنَ سَبَبِ  
كُونِهِ مُخْتَلَفًا مَوْضُوعًا <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ ، وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا  
الْكِتَابُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِقَدَمِ الْعَالَمِ ، وَتَفِي عِلْمِ الْقَدِيمِ  
بِالْجُزْئِيَّاتِ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ يُكْفَرُ الْغَزَالِيُّ  
قَائِلَهَا ، فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَقُولَهَا ؟ وَكَذَلِكَ صَرَّحَ  
صَاحِبُ كِتَابِ « تَحْفَةِ الْإِرْشَادِ » بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ عَلَيْهِ ،  
وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِقِيُّ الْمُتَوَفَّى  
سَنَةَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ .



وَلَا يَزَالُ كِتَابُهُ « إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ » أَشْهَرَ

شُر  
الاحياء

(١) موضوعا عليه : أى مكذوبا عليه .



تَوَالِيهِ وَأَرْوَعَهَا ، وَأَكْبَرَهَا قِيَمَةً ، وَلَا يَزَالُ  
النَّاسُ مُنْتَفِعِينَ بِهِ ، رُوَادَ الْخَيْرِ مِنْ قِرَائَتِهِ ، مُنْتَجِعِي <sup>(١)</sup>  
نُجْمَتِهِ ، وَلَا عَجَبَ ، فَقَدْ أَحَدَتْ الْكِتَابُ دَوِيًّا ،  
وَتَرَكَ مِنْ بَعْدِ الْغَزَالِيِّ ضَجَّةً كَبِيرَةً ، وَجَلَبَ أَنْصَارًا  
لَهُ وَخُصُومًا عَلَيْهِ ، وَطَلَبَ خَلْقَ كَثِيرٍ الزُّلْفَى إِلَيْهِ  
بِشُرُوحٍ يُقَدِّمُونَهَا لِمَا حَوَى مِنَ الْمَسَائِلِ ، وَاتَّمَسَّ  
غَيْرُهُمْ خِدْمَتَهُ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِ بِتَذْيِيلَاتٍ <sup>(٢)</sup> لَهُ ،  
وَإِضَافَاتٍ عَلَيْهِ ، وَتُخْتَصَّرَاتٍ فِيهِ .

\* \* \*

وَيُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ اخْتَصَرَهُ هُوَ أَخُوهُ الْمَلَكَبُ <sup>مختصروه</sup>  
بِأَبِي الْفَتْوحِ أَحْمَدَ ابْنَ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ ، الْمُتَوَفَّى بِقَزْوِينَ  
سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، أَيْ عَاشَ بَعْدَ الْغَزَالِيِّ خَمْسَةَ  
عَشَرَ عَامًا ، وَقَدْ سَمِيَ مُوجَزَهُ فِيهِ « لُبَّابَ الْأَحْيَاءِ »

(١) منتجعي نجمته : الانتجاع طلب الكلاء في موضعه ، والنجمه اسم  
من الانتجاع ، والمراد : الانتفاع بما أودع فيه من العلم والتصوف .  
(٢) تذييلات : جمع تذييل : وهو ما يكتب في آخر الكتاب زيادة  
على ما فيه .

وَاخْتَصَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى الْمَوْصِلِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةَ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْيَمِينِيِّ  
وَيَحْيَى بْنُ أَبِي الْخَيْرِ الْيَمِينِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ  
عُثْمَانَ الْبَلْخِيِّ ، وَسَمَاهُ « عَيْنَ الْعِلْمِ » وَعَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ  
عَلِيِّ الْأَخْطِيبُ الْمَرَاغِيُّ وَسَمَاهُ « لُبَّابَ الْأَحْيَاءِ »  
وَالشَّمْسُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ الْعَجَلُونِيِّ الْمَشْهُورِ  
بِالْبَلْبَلِيِّ وَهُوَ شَيْخُ « خَانِقَاهُ » سَعِيدِ السَّعْدَاءِ بِمِصْرَ ، وَتُوفِّيَ  
سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةَ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ أَحْفَظُ السَّخَاوِيِّ :  
إِنَّهُ أَحْسَنُ الْمُخْتَصَرَاتِ .

وَقَدْ اخْتَصَرَهُ الْجَلَالُ الشُّيُوطِيُّ الْحَافِظُ ، وَآخَرُونَ  
نَحَسَبُ أَقْرَبَهُمْ عَهْدًا إِلَى عَصْرِ نَا الشَّيْخِ مُحَمَّدًا جَمَالَ الدِّينِ  
الْقَاسِمِيَّ الدَّمَشَقِيَّ ، وَسَمَاهُ مَوْعِظَةُ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي إِحْيَاءِ  
عُلُومِ الدِّينِ ، وَذَكَرَ فِي مُقَدِّمَتِهِ أَنَّهُ تَذَاكَرَ يَوْمًا  
مَعَ حَكِيمٍ إِمَامٍ بَعْدَ أَنْ بَحَثَ طَوِيلًا عَنْ كِتَابِ  
تَفْسِيرِ يَصِيحُ مِنْهُ الْإِيحَازُ وَالِاخْتِصَارُ وَالِاقْتِبَاسُ ، فَقَالَ

لَهُ الْإِمَامُ مُتَأَسِّفًا ، إِنَّ هَذَا الْمَوْضُوعَ لَمْ يُبْرَزْ فِيهِ  
أَحَدٌ ، إِلَّا أَنْ أَحْسَنَ مَا لَدَيْنَا لِذَلِكَ هُوَ الْإِحْيَاءُ بَعْدَ تَجَرُّبِهِ ،  
وَالْإِمَامُ الَّذِي عَنْهُ الشَّيْخُ هُوَ الْأَسْتَاذُ الْإِمَامُ . الْمَقْفُورُ  
لَهُ الْمُصْلِحُ الْخَالِدُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ مُفْتِي الدِّيَارِ  
الْمِصْرِيَّةِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْقَاسِمِيُّ الدَّمَشَقِيُّ قَدْ أَنْحَدَرَ  
إِلَى الْقَاهِرَةِ يَوْمَئِذٍ وَنَزَلَ فِي ضِيَافَةِ الْإِمَامِ .

\*\*\*

وَهَذَا الْمُخْتَصَرُ الْقِيمُ الْحَسَنُ مَطْبُوعٌ فِي جُزْأَيْنِ . إِنْحَافِ السَّادَةِ  
الْمُتَّقِينَ

وَيَمُنُّ تَوَلَّوْا شَرْحَ كِتَابِ الْإِحْيَاءِ ، عُمْدَةُ

الْمُحَقِّقِينَ ، السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَشْهُورِ

بِمُرْتَضَى ، وَقَدْ سَمَّاهُ : إِنْحَافَ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ بِشَرْحِ

أَسْرَارِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُتَمِّعُ

الَّذِي رَجَعْنَا إِلَيْهِ ، وَأَخَذْنَا عَنْهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ

هَذَا الْكِتَابِ .

وَلَعَلَّ مِنْ الطَّفِ الْمُقَدَّمَاتِ مُقَدَّمَتُهُ ، وَأَجْمَلِ  
أَسَالِيبِ الْإِعْتِذَارِ عِنْدَ الْمُؤَلِّفِينَ أَعْتَدَارُهُ ، وَنَحْنُ  
مُقْتَبِسُوهَا هُنَا ، وَنَاقِلُو طَرَفٍ مِنْهَا ، إِعْجَابًا بِهَا وَتَمَثُّلاً  
وَ تَأْسِيًا بِهَا <sup>(١)</sup> وَتَجْمِلاً .



يَقُولُ السَّيِّدُ مُرْتَضَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وَأَنَا مَعَ  
وَضَعِي هَذَا الْكِتَابَ ، مَا أَبْرَأُ نَفْسِي وَلَا كِتَابِي مِنْ  
خَلَلٍ <sup>(٢)</sup> وَرَيْبٍ ، وَلَا أَيِّعُهُ بِشَرَطِ بَرَاءَتِي مِنْ كُلِّ  
عَيْبٍ ، بَلْ أَعْتَرَفْتُ بِكَمَالِ الْقُصُورِ <sup>(٣)</sup> وَأَسْأَلُ اللَّهَ  
الْصَّفْحَ عَمَّا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ بِهَذِهِ الشُّطُورِ ، وَأَقُولُ  
لِنَظَرِ جَمِيعِي هَذَا ، لَا تَأْخُذَنَّ <sup>(٤)</sup> فِي نَفْسِكَ عَلَى شَيْءٍ  
وَجَدْتَهُ فِيهِ مُعَايِرًا لِلْفَهْمِ ، فَإِنَّ الْفُهُومَ قَدْ تَخْتَلَفُ ،  
وَمَنْ صَنَّفَ قَدْ اسْتَهْدَفَ <sup>(٥)</sup> ، وَأَعْتَذِرُ لَكَ أَيُّهَا الْمُنْصِفُ

مقدمة شرحه

(١) تأسيا : اقتداء . (٢) خلل : نقص وتقصير ، والريب : الشك .

(٣) القصور : العجز . (٤) لا تأخذن في نفسك : أى لا تتأثرن .

(٥) استهدف : صار هدفا وغرضا للاتقاد والاتقاص .

مِنْ خَطَاٍ أَوْ زَلَّةٍ ، فَالْجَوَادُ قَدْ يَكْبُؤُ ، وَالْقَتَى قَدْ  
يَصْبُؤُ <sup>(١)</sup> ، وَلَا يُعَدُّ إِلَّا فُضُولَاتُ الْعَارِفِ ، وَتَدْخُلُ  
الزُّيُوفُ عَلَى أَعْلَى الصِّيَارِفِ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنْ  
الْتَمَعِيبَ عَلَى الْكُتُبِ وَلَا سَيِّئًا الطَّوِيلَةَ ، سَهْلٌ بِالنُّسْبَةِ  
إِلَى تَأْلِيفِهَا ، وَوَضَعَهَا وَتَرْصِيفِهَا <sup>(٢)</sup> ، كَمَا يُشَاهَدُ فِي  
الْأُبْنِيَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَالْهَيَاكِلِ الْعَظِيمَةِ ، حَيْثُ يَعْتَرِضُ  
عَلَى بَانِيهَا ، مَنْ عَرَى فِي فَنِّهِ عَنِ الْقَوَى وَالْقُدْرِ ،  
بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى وَضْعِ حَجَرٍ عَلَى حَجَرٍ . هَذَا جَوَابِي  
عَمَّا يَرِدُ عَلَى كِتَابِي . فَقَدْ كَتَبَ أُسْتَاذُ الْبُلْغَاءِ ، الْقَاضِي  
الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْيَسَّانِيُّ إِلَى الْعِمَادِ الْكُتَّابِ  
الْأَضْبَهَانِيِّ ، مُعْتَدِرًا عَنِ كَلَامِ أُسْتَدْرَكَهُ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ :  
إِنَّهُ وَقَعَ لِي شَيْءٌ ، وَلَا أَدْرِي أَوْقَعَ لَكَ أَمْ لَا ؟ وَهَآنَا  
أَخْبِرُكَ بِهِ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ

(١) يصبو : يميل ويحن . والمراد ، أن كل أحد عرضة للخطأ والنسيان

وما سمى الإنسان اللنسيه ولا القلب الا أنه يتقلب

(٢) ترصيفها : احكامها . (٣) استدركه عليه : أخذه عليه .

كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلْقَالَ فِي غَدِهِ : لَوْ غَيْرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ  
وَلَوْ زِيدَ لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ ، وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ  
أَفْضَلَ ، وَلَوْ تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا مِنْ  
أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيْلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ  
الْبَشَرِ ، فَأَرْجُو مُسَامَحَةَ نَاطِرِيهِ ، فَهَمُّ أَهْلُوهَا ، وَأَوْمَلُ  
جَمِيلَهُمْ فَهَمُّ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجُوهًا . . . »

وَتَوَلَّى شَرْحَهُ كَذَلِكَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ شَيْخِ  
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَيْدَرُوسُ بَا عَلَوِي وَسَمَّاهُ  
« تَعْرِيفَ الْأَحْيَاءِ بِفَضَائِلِ الْأَحْيَاءِ » .

\* \* \*

قَدْ تَعَرَّضَ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ لِلْغَزَالِي فِي كِتَابِ  
الْأَحْيَاءِ ، فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ فِيهِ أَشْيَاءَ قَالَ بِهَا ، وَأَخَذُوا  
عَلَيْهِ مَا أَخَذَ عَدَدُوهَا ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ التَّقَدَّةِ  
الَّذِينَ اسْتَنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازَرِيُّ ،

الرد على غدة  
الاحياء

وَأَبُو الْوَلِيدِ الطَّرُطُوشِيُّ وَغَيْرُهُمَا . وَقَدْ تَنَاوَلَ السَّيِّدُ  
مُرْتَضَى الزَّيْدِيُّ الْجَوَابَ عَلَى مَطَاعِنِهِمْ فِي فَصْلِ  
خَاصٍ نَزَى مِنَ الْفَائِدَةِ وَالْإِنصَافِ اقْتِبَاسَهُ هُنَا .

\*\*\*

أَمَّا الْمَازِرِيُّ فَقَدْ قَالَ مُجِيبًا لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ  
وَحَالِ كِتَابِهِ - الْإِحْيَاءُ - مَا نَصَّهُ :

هَذَا الرَّجُلُ - يَعْنِي الْغَزَالِيَّ - وَإِنْ لَمْ أَكُنْ  
قَرَأْتُ كِتَابَهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُ تَلَامِيذَهُ وَأَصْحَابَهُ ، فَكُلُّ  
مِنْهُمْ يَحْكِي لِي نَوْعًا مِنْ حَالِهِ وَطَرِيقَتِهِ ، أَسْتَشِفُّ  
مِنْهَا سِيرَتَهُ وَمَذْهَبَهُ ، فَقَامَ لِي ذَلِكَ مَقَامَ الْعِيَانِ ،  
فَأَنَا أَقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ حَالِ الرَّجُلِ وَحَالِ كِتَابِهِ ،  
وَذِكْرِ جُمَلٍ مِنْ مَذْهَبِ الْمُؤَلِّفِ وَالْفَلَّاسِفَةِ  
وَالْمُتَّصِفَةِ ، وَأَصْحَابِ الْإِشَارَاتِ ، فَإِنَّ كِتَابَهُ مُتَرَدِّدٌ

( ٤ - الغزالي - نان )

بَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ لَا يَمُدُّوهَا ، ثُمَّ اتَّبِعُ ذَلِكَ بِذِكْرِ  
حَمَلٍ (١) أَهْلِ مَذْهَبٍ عَلَى أَهْلِ مَذْهَبٍ آخَرَ ، ثُمَّ ابْنُ  
عَنْ طُرُقِ الْغُرُورِ ، فَأَكْشِفُ عَمَّا ذُفِنَ مِنْ خِيَالِ  
الْبَاطِلِ لِيُحْذَرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي حِبَالِ صَائِدِهِ .

ثُمَّ أَتْنِي عَلَى الْغَزَالِيُّ بِالْفِقْهِ ، وَقَالَ : هُوَ بِالْفِقْهِ  
أَعْرَفُ مِنْهُ بِأُصُولِهِ . وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلَامِ ، الَّذِي هُوَ  
أُصُولُ الدِّينِ ، فَإِنَّهُ صَنَّفَ فِيهِ أَيْضًا ، وَلَيْسَ بِالْمُسْتَبْحَرِ  
فِيهِ ، وَلَقَدْ فَطِنْتُ لِسَبَبِ عَدَمِ اسْتِبْحَارِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ  
قَرَأَ عِلْمَ الْفَلَسَفَةِ قَبْلَ اسْتِبْحَارِهِ فِي قِنِّ الْأُصُولِ ،  
فَكَسَبَتْهُ قِرَاءَةُ الْفَلَسَفَةِ جَرَاءَةً عَلَى الْمَعَانِي ، وَتَسْهِيلًا  
لِلْهُجُومِ عَلَى الْحَقَائِقِ ، لِأَنَّ الْفَلَسَفَةَ تَمُرُّ مَعَ خَوَاطِرِهَا  
وَلَيْسَ لَهَا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ يَزْعُمُهَا (٢) وَلَا تَخَافُ مِنْ مُخَالَفَةِ  
أُمَّةٍ تَتَّبِعُهَا .

(١) حمل الخ: كروره عليه وانتقاد مذهبه . (٢) يزعمها : ينهاها



وَعَرَّفَنِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ عُكُوفٌ عَلَى  
رَسَائِلِ « إِيخْوَانِ الصِّفَا » ، وَهِيَ إِحْدَى وَخَمْسُونَ  
رِسَالَةً ، وَمُصَنَّفُهَا فَيَلْسُوفٌ قَدْ خَاضَ فِي عِلْمِ الشَّرْعِ  
وَالنَّقْلِ ، فَمَزَجَ مَا بَيْنَ الْعِلْمَيْنِ ، وَذَكَرَ الْفَلَسَفَةَ وَحُسْنَهَا  
فِي قُلُوبِ أَهْلِ الشَّرْعِ بِآيَاتٍ يَتْلُوهَا عِنْدَهَا ، وَأَحَادِيثَ  
يَذْكُرُهَا .

ثُمَّ كَانَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْمَتَأَخِّرِ رَجُلٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ  
يُعْرَفُ بِابْنِ سَيْنَا ، مَلَأَ الدُّنْيَا تَأْلِيْفًا فِي عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ ،  
وَهُوَ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ كَبِيرٌ ، وَقَدْ أَدَّتْهُ قُوَّتُهُ فِي الْفَلَسَفَةِ  
إِلَى أَنْ حَاوَلَ رَدَّ أَصُولِ الْعَقَائِدِ إِلَيْهَا ، وَتَلَطَّفَ جِهْدَهُ  
حَتَّى تَمَّ لَهُ مَا لَمْ يَتِمَّ لِعَيْرِهِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مُجَمَّلًا مِنْ  
دَوَاوِينِهِ .

وَرَأَيْتُ هَذَا الْغَزَالِيَّ يُعَوِّلُ عَلَيْهِ فِي أَكْثَرِ مَا يُشِيرُ

إِلَيْهِ مِنَ الْفَلَسَفَةِ .

« وَأَمَّا مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ فَلَسْتُ أُدْرِي عَلَى مَنْ

عَوَّلَ فِيهَا ؟ »

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عَوَّلَ عَلَى أَبِي حَيَّانَ التُّوحِيدِيِّ ،

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى تَوْهِيَّةِ <sup>(١)</sup> أَكْثَرَ مَا فِي الْأَحْيَاءِ مِنْ

الْأَحَادِيثِ فَقَالَ : عَادَةُ الْمُتَوَرِّعِينَ إِلَّا يَقُولُوا : قَالَ

مَالِكٌ ، قَالَ الشَّافِعِيُّ ، فِيمَا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُمْ !

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُ أَشْيَاءَ مَبْنَاهَا عَلَى

مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي قِصِّ الْأَظْفَارِ ، أَنْ

تَبَدَّأَ بِالسَّبَابَةِ ، لِأَنَّهَا لَهَا الْفَضْلُ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَصَابِعِ

لِكَوْنِهَا الْمُسَبَّحَةَ ، إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ

وَمَا ذَكَرَ فِيهِ أَثَرًا ، وَقَالَ : مَنْ مَاتَ بَعْدَ بُلُوغِهِ وَلَمْ

يَعْلَمْ أَنَّ الْبَارِيَّ قَدِيمٌ مَاتَ مُسْلِمًا إِجْمَاعًا ، وَمَنْ تَسَاهَلَ

فِي حِكَايَةِ هَذَا الْإِجْمَاعِ الَّذِي الْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ

الْإِجْمَاعُ فِيهِ بَعْكَسٍ مَا قَالَ ، حَقِيقٌ إِلَّا يُوثَقَ

بِمَا نَقَلَ .

(١) توهية : تضعيف .

وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ فِي عُلُومِهِ هَذِهِ  
مَا لَا يُسَوِّغُ أَنْ يُودَعَ فِي كِتَابٍ ، فَلَيْتَ شِعْرِي ، أَحَقُّ  
هُوَ أَمْ بَاطِلٌ ؟ فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَصَدَقَ . وَإِنْ كَانَ حَقًّا  
وَهُوَ مُرَادُهُ بِلَا شَكٍّ فَلِمَ لَا يُودَعُ فِي الْكُتُبِ ؟  
الْعُمُوضِهِ وَدِقَّتِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ هُوَ فِهْمَهُ ، فَمَا الْمَانِعُ مِنْ  
أَنْ يَفْهَمَهُ غَيْرُهُ ؟ .

هَذَا هُوَ مُلَخَّصُ كَلَامِ الْمَازَرِيِّ .

\*\*\*

وَيَقُولُ السَّيِّدُ مُرْتَضَى ، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى قَرِيبٍ تقد الطرطوشى  
مِنْهُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ الْإِمَامُ أَبُو الْوَلِيدِ الطَّرْطُوشِيُّ نَزِيلُ  
الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، فَذَكَرَ فِي رِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ مُظَفَّرٍ :  
فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْغَزَالِيِّ ، فَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ  
وَكَامَتَهُ ، فَرَأَيْتُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، قَدْ نَهَضَتْ بِهِ  
فَضَائِلُهُ ، وَاجْتَمَعَ فِيهِ الْعَقْلُ وَالْفَهْمُ ، وَمُمَارَسَةُ الْعُلُومِ  
طَوَّلَ عُمُرِهِ ، وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ طَوَّلَ زَمَانِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ

عَنْ طَرِيقِ الْعُلَمَاءِ ، فَدَخَلَ فِي غُمَارِ (١) الْعَمَالِ ، ثُمَّ  
تَصَوَّفَ فَهَجَرَ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا ، وَدَخَلَ فِي عُلُومِ الْخَوَاطِرِ  
وَأَرْبَابِ الْقُلُوبِ ، وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ شَابَهَا (٢)  
بِأَرَاهِ الْفَلَّاسِقَةِ وَرُمُوزِ الْحَلَّاجِ (٣) . وَجَمَلَ يَطْعَنُ عَلَى  
الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ ، فَلَقَدْ كَادَ يَنْسَلِخُ مِنْ  
الدِّينِ .

فَلَمَّا عَمِلَ الْأَحْيَاءُ عَمْدَ يَتَكَلَّمُ فِي عُلُومِ الْأَحْوَالِ  
وَمَرَامِزِ الصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَ غَيْرَ أُنَيْسٍ بِهَا وَلَا خَيْرٍ  
بِمَعْرِفَتِهَا ، فَسَقَطَ عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ ، وَشَحَنَ كِتَابَهُ  
بِالْمَوْضُوعَاتِ (٤) .

وَهَذِهِ خُلَاصَةٌ نَقَدِ الطَّرْطُوشِيِّ .

(١) في غمار العمال : أى في كثرتهم وجمعهم المتكاثف . (٢) شابها :

خلطها ومزجها . (٣) الحلاج : هو ابن الحلاج منصور التميمي الذي كان

يدعى الألوهية فكان يشير الى جيبته ويقول : ماتحت هذه الجبة الا الله

يعنى نفسه ، وهو مذهب يقال له الحلول . (٤) الموضوعات : الأحاديث

المختلفة .



وَقَدْ تَوَلَّى ابْنُ السُّبُكِيِّ رَدَّ هَذِهِ النَّقَدَاتِ الْمَوْجَّهَةَ دفاع ابن السبكي

إِلَى الْغَزَالِيِّ فَقَالَ : وَأَنَا أَتَكَلَّمُ عَلَى كَلَامِهِمَا - يَعْنِي  
الْمَازَرِيَّ وَالطَّرْطُوشِيَّ - ثُمَّ أَذْكَرُ كَلَامَ غَيْرِهِمَا  
وَأَتَعَقَّبُهُ <sup>(١)</sup> أَيْضًا ، وَأَجْتَهِدُ إِلَّا أَمَدَّي طَوْرَ الْإِنْصَافِ ،  
وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْإِمْدَادَ بِذَلِكَ وَالْإِسْعَافَ ، فَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ  
مُعَاصِرًا لَنَا وَلَا قَرِيبًا ، وَلَا يَبْنِنَا إِلَّا وَصْلَةٌ <sup>(٢)</sup> الْعِلْمِ  
وَدَعْوَةُ الْخَلْقِ إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ ، فَأَقُولُ :

« أَمَّا الْمَازَرِيُّ : فَقَبَّلَ الْخَوْضَ مَعَهُ فِي الْكَلَامِ  
أَقْدَمُ لَكَ مُقَدِّمَةً ، وَهِيَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ ، كَانَ مِنْ  
أَذْكَى الْمَغَارِبَةِ قَرِيحَةً ، وَأَحَدِهِمْ ذَهْنًا ، بِحَيْثُ اجْتَرَأَ  
عَلَى شَرْحِ « الْبُرْهَانِ » لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ، وَهُوَ لُغْزُ  
الْأُمَّةِ ، الَّذِي لَا يَحُومُ حَوْلَ جِهَاهُ ، وَلَا يَدْتُو مِنْ  
نَحْوِ أَثَرِهِ إِلَّا غَوَّاصٌ عَلَى الْمَعَانِي ، ثَاقِبُ الذَّهْنِ ،

(١) أتتبعه : أتبعه وأبين أغلاطه (٢) وصلة العلم : بضم الواو : أى

فَبَرَزَ<sup>(١)</sup> فِي الْعِلْمِ ، وَكَانَ مُصَمِّمًا عَلَى مَقَالَاتِ الشَّيْخِ  
أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، جَلِيلِهَا وَدَقِيقِهَا ، لَا يَتَعَدَّاهَا  
خُطْوَةً ، وَيُبَدِّعُ<sup>(٢)</sup> مَنْ خَالَفَهُ ، وَلَوْ فِي النَّزْرِ الْبَسِيرِ ،  
وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَالِكِي الْمَذْهَبِ ، شَدِيدُ الْمَيْلِ إِلَى  
مَذْهَبِهِ ، كَثِيرُ الْمُنَازَلَةِ<sup>(٣)</sup> عَنْهُ .

وَهَذَانِ الْإِمَامَانِ ، أُعْنِيَ إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ وَتَلْمِيزَهُ  
الْفَزَائِيَّ ، وَصَلَا مِنْ التَّحْقِيقِ وَسَعَةِ الدَّائِرَةِ فِي الْعِلْمِ إِلَى  
الْمُبْلَغِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلُّ مُنْصِفٍ بِأَنَّهُ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ  
أَحَدٌ بَعْدَهُمَا ، وَرُبَّمَا خَالَفَا أَبَا الْحَسَنِ فِي مَسَائِلَ مِنْ  
عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَالْقَوْمُ - أُعْنِيَ الْأَشَاعِرَةَ ، لَا سِيَّمَا  
الْمُغَارِبَةَ مِنْهُمْ - يَسْتَضْعِبُونَ هَذَا الصَّنْعَ ، وَلَا يَرَوْنَ  
مُخَالَفَةَ أَبِي الْحَسَنِ فِي تَقْيِيرِ<sup>(٤)</sup> وَلَا قِطْمِيرِ ، وَرُبَّمَا  
ضَعَّفَا مَذْهَبَ مَالِكٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ ، كَمَا فَعَلَا

(١) برز في العلم : فاق أقرانه فيه . (٢) يبدع من خالفه : ينسبه إلى

البدعة . (٣) المنازلة : الدفاع . (٤) التقير والقطمير : كناية عن الشيء  
القليل .

فِي مَسْأَلَةِ الْمَصَالِحِ <sup>(١)</sup> الْمُرْسَلَةِ ، وَعِنْدَ ذِكْرِ التَّرْجِيحِ  
بَيْنَ الْمَذَاهِبِ ، فَهَذَانِ الْأَمْرَانِ يَعْصُ <sup>(٢)</sup> الْمَازِرِيُّ  
مِنْهُمَا ، وَيَنْضَمُّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الطَّرِيقَ شَتَّى مُخْتَلِفَةٌ ، وَقَلَمًا  
رَأَيْتُ سَالِكِ طَرِيقٍ إِلَّا وَأَسْتَقْبَحَ الطَّرِيقَ الَّتِي لَمْ يَسْلُكْهَا ،  
وَأَمَّ يُفْتَحَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِهَا ، وَيَضَعُ <sup>(٣)</sup> عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ  
أَهْلِهَا ، لَا يَنْجُو مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ  
وَالْتَمَكِّنِ ، وَلَقَدْ وَجَدْتُ هَذَا وَأَعْتَبَرْتُهُ ، حَتَّى فِي  
مَشَايِخِ الطَّرِيقَةِ ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ طَرِيقَةَ الْعَزَالِيِّ هِيَ  
التَّصَوُّفُ وَالتَّعَمُّقُ فِي الْحَقَائِقِ ، وَحُبَّةُ إِشَارَاتِ  
الْقَوْمِ ، وَطَرِيقَةُ الْمَازِرِيِّ الْجُمُودُ عَلَى الْعِبَارَاتِ الظَّاهِرَةِ  
وَالْوُفُوفُ مَعَهَا ، وَالْكُلُّ حَسَنٌ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، إِلَّا أَنْ  
أَخْتَلَفَ الطَّرِيقَيْنِ ، يُوجِدُ تَبَايُنَ الْمَزَاجَيْنِ وَبَعْدَ مَا بَيْنَ  
الْقَلْبَيْنِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ أَنْضَمَّ إِلَيْهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ

(١) المصالح المرسلة : المسائل القياسية التي اختلف فيها الأئمة ولم ينفقوا  
فيها على علة . (٢) يعص : المراد يهيم ويحزن . (٣) يضع الخ : يحط  
من قدرهم

الْمُخَالَفَةِ فِي الْمَذْهَبِ . وَتَوَهَّمِ الْمَازِرِيُّ أَنَّهُ يَضَعُ مِنْ  
مَذْهَبِهِ ، وَأَنَّهُ يُخَالِفُ شَيْخَ السُّنَّةِ الْأَشْعَرِيَّ ، حَتَّى  
رَأَيْتُهُ - أَعْنِي الْمَازِرِيَّ - قَالَ فِي شَرْحِ الْبُرْهَانِ فِي  
مَسْأَلَةٍ خَالَفَ فِيهَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ  
لَيْسَتْ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُعْتَبَرَةِ ، وَلَا الْمَسَائِلِ الْمُهَيْمَةِ  
فِي خَطِّ شَيْخِ السُّنَّةِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ ، فَهُوَ  
الْمُخْطِئُ ، وَأَطَالَ فِي هَذَا ، وَقَالَ فِي الْكَلَامِ عَلَى  
مَا هِيَ الْعَقْلِ فِي أَوَائِلِ الْبُرْهَانِ : وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ  
الْأَشْعَرِيَّ يَقُولُ : الْعَقْلُ : الْعِلْمُ ، وَإِنَّ الْإِمَامَ رَضِيَ  
مَقَالََةَ الْحَرْثِ الْمُحَاسِنِيِّ : إِنَّهُ غَرِيزَةٌ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي  
الْشَّامِ أَنْكَرَهَا ، إِنَّهُ إِنَّمَا رَضِيهَا لِكَوْنِهِ فِي آخِرِ  
عُمُرِهِ قَرَعَ بَابَ قَوْمِ آخِرِينَ - يَعْنِي الْفَلَسِيفَةَ -  
فَلَيْتَ شِعْرِي مَا فِي هَذِهِ الْمَقَالََةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ !

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ - أَعْنِي الْمَازِرِيَّ - فِي آخِرِ  
كَلَامِهِ ، اعْتَرَفَ بِأَنَّ الْإِمَامَ لَا يَنْحُو نَحْوَهُمْ ، وَأَخَذَ



يُحِلُّ مِنْ قَدْرِهِ ، وَلَهُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ كَثِيرٌ ، فَهَذِهِ أُمُورٌ  
تُوجِبُ التَّنَافُرَ بَيْنَهُمْ ، وَتَحْمِلُ الْمُنْصِفَ عَلَى أَلَّا يَسْمَعَ  
كَلَامَ الْمَازِرِيِّ فِيهِمَا إِلَّا بَعْدَ حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ .

وَلَا تَحْسَبْ أَنَا تَفَعَّلُ ذَلِكَ إِزْرَاءً <sup>(١)</sup> بِالْمَازِرِيِّ  
وَحَطًّا مِنْ قَدْرِهِ ، لِأَوَّلِهِ ، بَلْ تَبَيَّنَا لِطَرِيقِ الْوَهْمِ عَلَيْهِ ،  
وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بَيِّنٌ لِمُذْرِهِ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا ظَنَّ بِشَخْصٍ  
سُوءًا قَلَمَّا أَمَعَنَّ النَّظَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِ ، بَلْ يَصِيرُ  
بِأَذْنِي لَمَحَّةٍ <sup>(٢)</sup> يَحْمِلُ أَمْرَهُ عَلَى السُّوءِ ، وَيَكُونُ مُخْطِئًا  
فِي ذَلِكَ ، إِلَّا مَنْ وَفَّقَ اللَّهُ ، فَبَرِيٌّ مِنَ الْأَغْرَاضِ ، وَلَمْ  
يَظُنْ إِلَّا الْخَيْرَ ، وَتَوَقَّفَ عِنْدَ سَمَاعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَذَلِكَ  
مَقَامٌ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ إِلَّا الْأَحَادُ مِنْ الْخَلْقِ ، وَليْسَ  
الْمَازِرِيُّ بِالنَّسْبَةِ لِهَذَيْنِ الْإِمَامَيْنِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، وَقَدْ  
رَأَيْتَ مَا فَعَلَهُ فِي حَقِّ الْإِمَامِ فِي مَسْأَلَةِ الْإِسْتِرْسَالِ ،

(١) إزراء بالمازري : أى لادخال العيب عليه والضعفة منه (٢) اللمحة :

اختلاس النظر الى الشيء

وَ كَيْفَ وَهَمَ <sup>(١)</sup> عَلَى الْإِمَامِ ؟ وَفَهُمَ عَنْهُ مَا لَا تَفْهَمُهُ  
الْعَوَامُّ ، وَفَوْقَ نَحْوِهِ سَهْمَ الْمَلَامِ ، فَإِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ ،  
فَاعْلَمْ أَنَّ مَا دَعَاهُ أَنَّهُ عَرَفَ مَذْهَبَهُ ، بِحَيْثُ قَامَ لَهُ مَقَامَ  
الْعِيَانِ ، كَلَامٌ عَجِيبٌ ، فَإِنَّا لَا نُحِيزُ أَنْ نَحْكُمَ عَلَى  
عَقِيدَةٍ أَحَدٍ بِهَذَا الْحُكْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ  
إِلَّا اللَّهُ ، وَلَنْ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ الْقَرَأْنُ وَالْأَخْبَارُ أَبَدًا .

وَ قَدْ وَفَقْنَا نَحْنُ عَلَى غَالِبِ كَلَامِ الْعَزَالِيِّ ، وَتَأَمَّلْنَا  
كُتُبَ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَاهَدُوهُ وَتَنَاقَلُوا أَخْبَارَهُ ، وَهَمَّ  
بِهِ أَعْرَفُ مِنَ الْمَازَرِيِّ ، ثُمَّ لَمْ تَنْتَهَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ  
غَلْبَةِ الظَّنِّ بِأَنَّهُ رَجُلٌ أَشْعَرِيٌّ الْعَقِيدَةَ خَاصًّا فِي كَلَامِ  
الصُّوفِيَّةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ « وَذَكَرَ جُمَلًا مِنْ مَذَاهِبِ  
الْمُؤَحِّدِينَ وَالْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَّصِفَةِ وَأَصْحَابِ الْإِشَارَاتِ »  
فَأَقُولُ : إِنَّ عَنِّي بِالْمُؤَحِّدِينَ الَّذِينَ يُؤَحِّدُونَ اللَّهَ

(١) وهم على الامام : توهم في قوله غير الحق.

فَالْمُسْلِمُونَ أَوْلَى دَاخِلٍ فِيهِمْ ، ثُمَّ عَظْفُ الصُّوفِيَّةِ عَلَيْهِمْ  
يُوهِمُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُسْلِمِينَ ، وَحَاشَ لِلَّهِ . وَإِنْ عَنِ بِهِمْ  
أَهْلَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَهَمُّ مِنْ خَيْرٍ فَرَقِ الصُّوفِيَّةِ  
الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَيْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَا وَجْهُ عَظْفِ الصُّوفِيَّةِ  
عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ وَإِنْ أَرَادَ أَهْلَ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةَ  
الْمَنْسُوبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى الْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ فَمَعَادُ اللَّهِ ،  
لَيْسَ الرَّجُلُ فِي هَذَا الصَّوْبِ <sup>(١)</sup> وَهُوَ مُصْرَّحٌ بِتَكْفِيرِ  
هَذِهِ الْفِتْنَةِ ، وَلَيْسَ فِي كِتَابِهِ شَيْءٌ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ .  
وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِالْمُتَّبِعِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ، فَأَنَا  
أَوَافِقُهُ عَلَى ذَلِكَ ، لَيْسَ أَقُولُ : إِنْ قَدَّمَهُ فِيهِ رَاسِخٌ ،  
وَلَكِنْ لَا بِالنِّسْبَةِ لِقَدَمِهِ فِي بَقِيَّةِ عُلُومِهِ ، هَذَا ظَنِّي .  
وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّهُ اشْتَعَلَ بِالْفَلَسَفَةِ قَبْلَ اسْتِبْحَارِهِ فِي  
فَنَّ الْأَصُولِ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، بَلْ لَمْ يَنْظُرْ فِي

(١) الصوب : الجهة .

الْفَلَسَفَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُسْتَبْحَرَ فِي فَنِّ الْأُصُولِ ، وَقَدْ  
أَشَارَ فِي كِتَابِهِ « الْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالِ » وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ  
تَوَغَّلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ قَبْلَ الْفَلَسَفَةِ .

ثُمَّ قَوْلُ الْمَازِرِيِّ : قَرَأَ عِلْمَ الْفَلَسَفَةِ قَبْلَ أُسْتَبْحَارِهِ  
فِي عِلْمِ الْأُصُولِ ، بَعْدَ قَوْلِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَسْكُنْ بِالْمُسْتَبْحَرِ  
فِي الْأُصُولِ ، كَلَامٌ يُنَاقِضُ أَوَّلَهُ آخِرُهُ ، وَأَمَّا دَعْوَاهُ  
أَنَّهُ تَجَرَّأَ عَلَى الْمَعَانِي ، فَلَيْسَتْ لَهُ جَرَاءَةٌ إِلَّا حَيْثُ دَلَّهُ  
الشَّرْعُ ، وَمُدَّعَى خِلَافِ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُ الْغَزَالِيَّ ، وَلَا  
يَدْرِي مَعَ مَنْ يَتَحَدَّثُ ؟ وَمِنْ الْجَهْلِ بِحَالِهِ ، دَعْوَى  
أَنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَى كُتُبِ أَبِي حَيَّانَ التَّرْجُمِيدِيِّ ، وَالْأَمْرُ  
بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَسْكُنْ مُعَدَّتُهُ فِي الْأَحْيَاءِ بَعْدَ مَعَارِفِهِ  
وَعُلُومِهِ وَتَحْقِيقَاتِهِ الَّتِي جَمَعَ بِهَا شَمْلَ الْكِتَابِ ،  
وَنَظَّمَ بِهَا مَحَاسِنَهُ ، إِلَّا عَلَى كِتَابِ « قُوتِ الْقُلُوبِ »  
لِأَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ ، وَكِتَابِ « الرَّسَالَةِ » لِلْأُسْتَاذِ

أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ ، الْمُجْمَعِ عَلَى جَلَالَتِهِمَا وَجَلَالَةِ  
مُصَنَّفَيْهِمَا ، وَأَمَّا ابْنُ سَيْنَا فَالْغَزَالِيُّ يُكْفَرُهُ ، فَكَيْفَ  
يُقَالُ إِنَّهُ يَقْتَدِي بِهِ ؟ وَلَقَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ « الْمُنْقِذِ  
مِنَ الضَّلَالِ » أَنَّهُ لَا شَيْخَ لَهُ فِي الْفَلَسَفَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ  
أَطْلَعَهُ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ بِمَجَرَّدِ الْمُطَالَعَةِ فِي أَقَلِّ مِنْ  
سِتِّينَ بَيْعَدَادَ ، مَعَ اسْتِعْمَالِهِ بِالْإِفَادَةِ وَالتَّدْرِيسِ .

« وَقَوْلُهُ : لَا أُذْرِي عَلَى مَنْ عَوَّلَ فِي التَّصَوُّفِ ؟ »

قُلْتُ : عَوَّلَ عَلَى كِتَابِ الْقُوتِ وَالرِّسَالَةِ مَعَ مَا ضَمَّ إِلَيْهِمَا  
مِنْ كَلَامِ مَشَائِخِهِ أَبِي عَلِيِّ الْفَارَمُذِيِّ وَأَمْثَالِهِ ، وَمَعَ  
مَا زَادَهُ مِنْ قَبْلِ<sup>(١)</sup> نَفْسِهِ بِفِكْرِهِ وَنَظَرِهِ ، وَمَا فَتِیحَ  
بِهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ عِنْدِي أَغْلَبُ مَا فِي الْكِتَابِ ، وَلَيْسَ  
فِي الْكِتَابِ لِلْفَلَسَفَةِ مَدْخَلٌ ، وَلَمْ يُصَنَّفْهُ إِلَّا بَعْدَ  
مَا أُزْدَرِيَ<sup>(٢)</sup> عُلُومُهُمْ ، وَنَهَى عَنِ النَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ ، وَقَدْ  
أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ « الْأَحْيَاءِ »

(١) قبل : نجاه وناحية (٢) ازدري : احتقر

ثُمَّ فِي كِتَابِ « الْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالِ »

فَهَذَا رَجُلٌ يُنَادِي عَلَى كَافَّةِ الْفَلَّاسِفَةِ بِالْكَفْرِ، وَلَهُ  
فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمُ الْكُتُبُ الْفَائِقَةُ، وَفِي الذَّبِّ عَنْ  
حَرِيمِ الْإِسْلَامِ الْكَلِمَاتُ الرَّائِقَةُ، ثُمَّ يُقَالُ: إِنَّهُ  
بَنَى كِتَابَهُ عَلَى مَقَالَتِهِمْ، فَيَا لَللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ نَعُودُ  
بِاللَّهِ مِنْ تَعَصُّبِ يَحْمِلُ عَلَى الْوَقِيعَةِ فِي أُمَّةِ الدِّينِ .  
وَأَمَّا مَا عَابَ بِهِ الْأَحْيَاءُ مِنْ وَهْنِ بَعْضِ  
الْأَحَادِيثِ فَالْغَزَالِيُّ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِي  
الْحَدِيثِ: يَدٌ بَاسِطَةٌ، وَعَامَّةٌ مَا فِي الْأَحْيَاءِ مِنَ الْأَخْبَارِ  
وَالْآثَارِ مُبَدَّدٌ فِي كُتُبٍ مِنْ سَبَقَهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالْفُقَهَاءِ  
وَلَمْ يَسْتَبِدَّ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ .

وَقَدْ أَعْتَنَى بِتَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْأَحْيَاءِ بَعْضُ أَصْحَابِنَا  
فَلَمْ يَشِدَّ عَنْهُ إِلَّا الْبَسِيرُ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ فِي قِصِّ الْأَظْفَارِ وَالْأَثَرِ الْمُشَارِ

إِلَيْهِ عَنِ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ ، فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ كَبِيرُ أَمْرٍ وَلَا يُخَالِفُهُ شَرَعٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ فَوَجَدُوهُ لَا يُخْطِئُ ، مَنْ دَاوَمَهُ أَمِينَ مِنْ وَجَعِ الْعَيْنِ .

وَأَمَّا قَوْلُ الْمَازِرِيِّ عَادَةُ الْمُتَوَرِّعِينَ إِلَّا يَقُولُوا : قَالَ مَالِكُ النُّخَعِيُّ ، فَقَلَّمَا قَالَ الْغَزَالِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَبِيلِ الْعِزْمِ ، وَإِنَّمَا يَقُولُ عَنْ وَبِتَقْدِيرِ الْعِزْمِ فَلَوْ لَمْ يَغَائِبْ عَلَى ظَنِّهِ لَمْ يَقُلْهُ ، وَغَايَتُهُ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّ .

وَأَمَّا مَسْأَلَةُ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْلَمْ قَدِمَ الْبَارِي فَفَرَّقُوا بَيْنَ انْتِفَاءِ أَعْتِقَادِهِ بِالْقَدِيمِ وَأَعْتِقَادِهِ أَنْ لَا قَدِيمَ ، وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي أُجْمِعُوا عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ أَعْتَقَدَهُ ، فَمَنْ اسْتَحْضَرَ بِذَهْنِهِ صِفَةَ الْقَدِيمِ وَنَفَاهَا عَنِ الْبَارِي أَوْ حَسِبَهَا مَنْفِيَّةً ، أَوْ شَكَّ فِي انْتِفَائِهَا ، كَانَ كَافِرًا ،

وَأَمَّا السَّادِجُ (١) فِي مَسْأَلَةِ الْقِدَمِ الْخَالِي الْجِلْفُ (٢)  
الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، فَهُوَ الَّذِي أَدْعَى الْغَزَالِي  
الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عَلَى الْجُمْلَةِ ، نَاجٍ مِنْ حَيْثُ مُطْلَقٌ  
الْإِيمَانَ الْجُمْلِيَّ ، وَمِنَ الْبَلِيَّةِ الْعُظْمَى أَنْ يُقَالَ عَنْ مِثْلِ  
الْغَزَالِي أَنَّهُ غَيْرُ مَوْثُوقٍ بِهِ فِي نَقْلِهِ ، فَمَا أُدْرِي  
مَا أَقُولُ ! وَلَا بَأَى وَجْهِ يَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَعْتَقِدُ  
ذَلِكَ فِي هَذَا الْإِمَامِ .

وَأَمَّا تَقْسِيمُ الْمَازِرِيِّ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَشَارَ حُجَّةُ  
الْإِسْلَامِ أَنَّهُ لَا يُودَعُ فِي كِتَابٍ ، فَوَدِدْتُ لَوْ لَمْ  
يَذْكُرْهُ ، فَإِنَّهُ شَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَهَذَا الْمَازِرِيُّ كَانَ رَجُلًا  
فَاضِلًا ذَكِيًّا ، وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُهُ يَقَعُ فِي مِثْلِ هَذَا ،  
أَوْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَنَّ لِلْعُلُومِ دَقَائِقَ نُهِيَ الْعُلَمَاءَ عَنِ الْإِفْصَاحِ  
بِهَا خَشْيَةً عَلَى ضَعْفَاءِ الْخَلْقِ ، وَأُمُورًا أُخْرَى لَا تُحِيطُ بِهَا

(١) الساذج : البسيط . (٢) الجلف : الفظ الغليظ الطبع .



الْعِبَارَاتُ وَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا أَهْلُ الذَّوْقِ ، وَأُمُورًا أُخْرَى لَمْ  
يَأْذَنَ اللَّهُ فِي إِظْهَارِهَا ، وَمَاذَا يَقُولُ الْمَازِرِيُّ فِيمَا خَرَجَهُ  
الْبُحَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الطُّفَيْلِ « سَمِعْتُ عَلِيًّا  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُحِبُّونَ  
أَنْ يُكْذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » ، وَكَمْ مَسْأَلَةَ نَصِّ الْعُلَمَاءِ  
عَلَى عَدَمِ الْإِفْصَاحِ <sup>(١)</sup> بِهَا ، خَشْيَةً عَلَى أَفْهَامِ مَنْ  
لَا يَفْهَمُهَا ، وَرُبَّمَا وَقَعَ الشُّكُوتُ عَنْ بَعْضِ الْعِلْمِ  
خَشْيَةً مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَحْذُورٍ ، وَأَمْثَلَتْهُ تَكَثُّرُ :

\* \* \*

الرد على  
الطرطوشي

وَأَمَّا كَلَامُ الطُّرْطُوشِيِّ فَمِنْ الدَّعَاوَى الْعَارِيَةِ  
عَنِ الدَّلَالَةِ ، وَلَا أُدْرِي كَيْفَ اسْتَجَارَ فِي دِينِهِ أَنْ  
يُنْسَبَ إِلَى هَذَا الْجَبْرِ أَنَّهُ دَخَلَ فِي وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ،  
وَلَا مِنْ أَيْنَ أُطْلِعَ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ شَابَهَا <sup>(٢)</sup> بِأَرَاهُ

(١) عدم الإفصاح بها: أي عدم بيان المراد منها (٢) شابها: أي خلطها

أَفَلَا سِفَةَ ، وَرُمُوزِ الْحَلَّاجِ ، فَلَا أُذْرِي أَيَّ رُمُوزٍ فِي  
هَذَا الْكِتَابِ غَيْرَ إِشَارَاتِ الْقَوْمِ الَّتِي لَا يُنْكِرُهَا  
عَارِفٌ ، وَلَيْسَ لِلْحَلَّاجِ رُمُوزٌ يُعْرَفُ بِهَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ « كَادَ يَنْسَلِخُ مِنَ الدِّينِ » ، فَيَا لَهَا  
كَلِمَةً - وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا - ، وَأَمَّا دَعْوَاهُ أَنَّهُ غَيْرُ أَيْسٍ  
بِمَعْلُومِ الصُّوفِيَّةِ ، فَمِنَ الْكَلَامِ الْبَارِدِ ، فَإِنَّهُ لَا يَرْتَابُ  
ذُو نَظَرٍ فِي أَنَّ الْغَزَالِيَّ كَانَ ذَا قَدَمٍ رَاسِخٍ فِي التَّصَوُّفِ ،  
وَلَيْتَ شِعْرِي إِنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الْغَزَالِيَّ التَّصَوُّفَ  
فَمَنْ يَدْرِيهِ ؟

وَأَمَّا دَعْوَاهُ أَنَّهُ سَقَطَ عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ ، فَوَقْعَةٌ <sup>(١)</sup> فِي  
الْعُلَمَاءِ بِنَعِيرِ دَلِيلٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَنَا بِمَاذَا سَقَطَ ،  
- كَفَاهُ اللَّهُ وَإِيَانَا غَائِلَةَ التَّمَعُّبِ -

وَأَمَّا الْمَوْضُوعَاتُ فِي كِتَابِهِ - فَلَيْتَ شِعْرِي . أَهْوَوَ  
وَاضِعُهَا حَتَّى يُنْكِرَ ؟! إِنْ هَذَا إِلَّا تَعَصُّبٌ بَارِدٌ وَتَشْنِيعٌ  
بِمَا لَا يَرْتَضِيهِ نَاقِدٌ .

(١) وقعة : أى تنقيص وتعد على مقامهم

\* \* \*

وَقَدْ حَمَلَ عَلَى الْغَزَالِيِّ خَلَا هَذَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ،  
وَمَنْ تَكَلَّمَ عَنْهُ مِنْهُمْ وَبَسَطَ لِسَانَهُ فِيهِ « ابْنُ  
الصَّلَاحِ » وَقَدْ ذَكَرَ السَّيِّدُ مُرْتَضَى فِي « إِتْحَافِ السَّادَةِ »  
مَادَفَعَ السُّبُكِيُّ بِهِ عَنِ الْغَزَالِيِّ إِزَاءَ هَذَا النَّاقِدِ الطَّاعِنِ  
فَقَالَ : إِنَّ السُّبُكِيَّ قَالَ فِي كِتَابِ لِلْمَقِيفِ الْمَطْرِيِّ  
الْمَقِيمِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مَا نَصَّهُ :

\* \* \*

مَاذَا يَقُولُ الْإِنْسَانُ فِي الْغَزَالِيِّ وَفَضْلِهِ ، وَأُسْمُهُ  
قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ ، وَمَنْ خَبَرَ كَلَامَهُ عَرَفَ أَنَّهُ فَوْقَ  
أُسْمِهِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ « ابْنُ الصَّلَاحِ » مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ  
وَمِنْ كَلَامِ يُونُسَ الدَّمَشَقِيِّ وَالْمَازَرِيِّ ، فَمَا أَشْبَهُهُ هُوَ لِأَنَّ  
الْجَمَاعَةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ إِلَّا بِقَوْمٍ مُتَعَبِّدِينَ سَلِيمَةٍ قُلُوبُهُمْ  
قَدْ رَكَنُوا إِلَى الْهُوَيْنِيِّ <sup>(١)</sup> ، فَرَأَوْا فَارِسًا عَظِيمًا مِنْ

(١) التَّوَدَّةُ وَالرَّفِيقُ

الْمُسْلِمِينَ قَدْ رَأَى عَدَدًا عَظِيمًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَحَمَلَ  
عَلَيْهِمْ ، وَأَنْعَمَسَ فِي صُفُوفِهِمْ ، وَمَا زَالَ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى  
فَلَّ شَوْ كَتَمَهُمْ وَكَسَرَهُمْ ، وَفَرَّقَ جُوعُهُمْ شَذْرَمَذَرَ (١)  
وَفَلَقَ هَامَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، فَأَصَابَهُ يُسَيْرٌ مِنْ دِمَائِهِمْ ،  
وَعَادَ سَالِمًا فَرَأُوهُ وَهُوَ يَغْسِلُ الدَّمَ عَنْهُ ، ثُمَّ دَخَلَ مَعَهُمْ  
فِي صَلَاتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ ، فَتَوَهَّمُوا بَقَاءَ أَثَرِ دِمِّ عَلَيْهِ  
فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ . هَذَا حَالُ الْغَزَالِيِّ وَحَالُهُمْ ، وَالْكُلُّ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مُجْتَمِعُونَ « فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكَ  
مُقْتَدِرٍ . »

وَأَمَّا الْمَازَرِيُّ فَمَعْدُورٌ لِأَنَّهُ مَغْرِبِيٌّ ، وَكَانَتْ  
الْمَغَارِبَةُ لَمَّا وَقَعَ لَهُمْ كِتَابُ الْإِحْيَاءِ لَمْ يَفْهَمُوهُ فَحَرَّفُوهُ ،  
فَمِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ تَكَلَّمَ الْمَازَرِيُّ ، ثُمَّ إِنَّ الْمَغَارِبَةَ  
بَعْدَ ذَلِكَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَمَدَحُوهُ بِقِصَائِدٍ مِنْهَا قَصِيدَةٌ  
أَوَّلُهَا :

(١) شذر مندر : أى ذهبوا فى كل وجه

أَبَا حَامِدٍ أَنْتَ الْمُحْصَصُ بِالْحَمْدِ  
وَأَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنَا سُنَنَ الرَّشِيدِ  
وَضَعْتَ لَنَا الْإِحْيَاءَ يُحْيِي نُفُوسَنَا  
وَيُنْقِذُنَا مِنْ رَبِقَةِ الْمَرَدِ<sup>(١)</sup> الْمُرْدِي  
وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِقَوْلِهِ : أَنْتَ  
الْمُحْصَصُ بِالْحَمْدِ ، وَلَكِنْ يُتَأَوَّلُ لِقَائِهِ أَنَّهُ أَرَادَ « مِنْ  
بَيْنِ أَقْرَانِهِ أَوْ مِنْ بَيْنِ مَنْ يُتَكَلَّمُ فِيهِ » ، وَأَيْنَ  
نَحْنُ وَمَنْ فَوْقَنَا وَمَنْ فَوْقَهُمْ ، مِنْ فَهْمِ كَلَامِ الْغَزَالِيِّ  
وَالْوُفُوفِ عَلَى مَرْتَبَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالتَّأَلُّهِ<sup>(٢)</sup> وَلَا  
يُنْكَرُ فَضْلُ الشَّيْخِ « ابْنِ الصَّلَاحِ » وَفِقْهُهُ وَحَدِيثُهُ  
وَدِينُهُ وَقَصْدُهُ الْخَيْرَ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ ،  
وَلَا يُنْكَرُ عُلُوُّ رُتَبَةِ الْمَازَرِيِّ ، وَلَكِنْ كُلُّ حَالٍ  
لَا يَعْرِفُهُ مَنْ لَمْ يَذُوقْهُ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَتَكَيَّفُ بِمَا نَشَأَ  
عَلَيْهِ وَوَصَلَ إِلَيْهِ .

(١) للمرد المردى : الشيطان الرجيم (٢) التأله : التعبد والتنسك

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ كَانَ فِي الْإِحْيَاءِ أَشْيَاءٌ يَسِيرَةٌ تُنْتَقَدُ  
فَهِيَ لَا تَرْفَعُ مَحَاسِنَ أَكْثَرِهِ الَّتِي لَا تُوجَدُ فِي كِتَابِ  
غَيْرِهِ . وَكَمْ مِنْ مَنْقَبَةٍ (١) لِلغَزَالِيِّ ...

وَقَدْ أَطَالَ فِي هَذَا الْكَلَامِ فَرَاغَهُ فِي طَبَقَاتِ  
وَلَدِهِ ، يَعْنِي كِتَابَ طَبَقَاتِ ابْنِ الشُّبْكِيِّ فَإِنَّهُ نَفِيسٌ  
فِي الْبَابِ .

وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ تَذْكَرَةِ « اُخْفِظِ جَلَالَ  
الدِّينِ الشُّيُوطِيِّ » قَالَ : وَمِمَّا وَقَعَ لِلْعُلَمَاءِ مِنْ ضَرْبِ الْمَثَلِ  
لِأَهْلِ عَصْرِهِمْ بِالْآيَاتِ مَا وَقَعَ لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيِّ  
فِي كِتَابِهِ « الْإِنتِصَارِ لِمَا فِي الْإِحْيَاءِ مِنَ الْأَسْرَارِ » حِينَ  
أَنْكَرَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ مَوَاضِعَ مِنْهُ .

قَالَ فِي أَوَّلِهِ مَا نَصَّهُ : —



سَأَلَتْ : - يَسْرُكُ اللَّهُ لِمَرَاتِبِ الْعِلْمِ تَصْعَدُ مَرَاقِبَهَا ،

رد الغزالي على  
حسدته وناقديه

(١) منقبة : أى مفخرة .

وَقَرَّبَ لَكَ مَقَامَاتِ الْوَلَايَةِ تَحُلُّ مَعَالِيهَا - فِي بَعْضِ  
 مَا وَقَعَ فِي الْإِمْلَاءِ الْمُلَقَّبِ بِالْإِحْيَاءِ ، مِمَّا أَشْكَلَ عَلَى  
 مَنْ حُجِبَ فَهْمُهُ ، وَقَصَرَ عِلْمُهُ ، وَلَمْ يَفْزُ بِشَيْءٍ مِنْ  
 الْحُظُوظِ الْمَلَكِيَّةِ قِدْحُهُ وَسَهْمُهُ ، وَأُظْهِرَتِ التَّحْزَنُ  
 لِمَا شَاشَ <sup>(١)</sup> بِهِ شَرَّ كَأَنَّ الطَّعَامَ <sup>(٢)</sup> ، وَأَمْثَالَ الْأَنْعَامِ ،  
 وَإِجْمَاعِ الْعَوَامِّ ، وَسُفْهَاءِ <sup>(٣)</sup> الْأَحْلَامِ ، وَعَارِ أَهْلِ  
 الْإِسْلَامِ ، حَتَّى طَعَنُوا عَلَيْهِ ، وَنَهَوْا عَنْ قِرَاءَتِهِ  
 وَمُطَالَعَتِهِ ، وَأَفْتَوْا بِمُجَرَّدِ الْهَوَى ، عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ  
 بِاطْرَاحِهِ وَمُنَابَذَتِهِ ، وَنَسَبُوا مُمْلِيَهُ إِلَى ضَلَالٍ وَإِضْلَالٍ ،  
 وَنَبَزُوا قِرَاءَتَهُ وَمُنْتَحِلِيَهُ بِزَيْغٍ فِي الشَّرِيعَةِ وَأَخْتِلَالٍ ،  
 فَلِيَ اللَّهُ أَنْصِرَافُهُمْ وَمَا بِهِمْ ، وَعَلَيْهِ فِي الْعَرَضِ الْأَكْبَرِ  
 إِيقَافُهُمْ وَحِسَابُهُمْ « فَسَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ  
 وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . بَلْ كَذَّبُوا

(١) شاش : من التشويش . (٢) الطعام : أوغاد الناس وأراذلهم .

(٣) سفهاء الأحلام : صغار العقول .

بِمَالٍ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ. وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا  
إِفْكٌ قَدِيمٌ. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ  
مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ، «وَلَكِنَّ الظَّالِمُونَ  
فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ، وَلَا عَجَبَ فَقَدْ تَوَى<sup>(١)</sup> أَوْلَادُ الطَّرِيقِ  
وَذَهَبَ أَرْبَابُ التَّحْقِيقِ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْغَالِبِ إِلَّا أَهْلُ  
الزُّورِ وَالْفُسُوقِ، مُتَّبِعِينَ بِدَعَاوَى كَاذِبَةٍ، مُتَّصِفِينَ  
بِحِكَايَاتِ مَوْضُوعَةٍ، مُتَرَبِّينَ بِصِفَاتِ مُنَمَّقَةٍ، مُتَّظَاهِرِينَ  
بِظَوَاهِرِ الْعِلْمِ فَاسِدَةٍ، وَمُتَّقَاطِعِينَ بِحُجُبِ غَيْرِ صَادِقَةٍ،  
كُلُّ ذَلِكَ لِطَلَبِ دُنْيَا، أَوْ مَحَبَّةِ ثَنَاءٍ، أَوْ مُعَالَبَةِ نَظَرَاءٍ، قَدْ  
ذَهَبَتِ الْمُوَاصَلَةُ بَيْنَهُمْ بِالْبُرِّ، وَتَأَلَّفُوا جَمِيعًا عَلَى الْفِعْلِ  
الْمُنْكَرِ، وَعُدِمَتِ النَّصَائِحُ مِنْهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَتَصَافَوْا  
بِأَسْرِهِمْ عَلَى الْخَدِيعَةِ وَالْمَسْكِ، إِنْ نَصَحْتَهُمُ الْعُلَمَاءُ  
أَغْرَوْا<sup>(٢)</sup> بِهِمْ، وَإِنْ صَمَتَ عَنْهُمْ الْعُقَلَاءُ أَزْرَوْا<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ،  
أُولَئِكَ الْجَهَالُ فِي عَلَيْهِمْ، الْفُقَرَاءُ فِي طَوْلِهِمْ، الْبُخَلَاءُ

(١) توى : أى هلك (٢) أغرى بهم : أى ألقى العداوة وأفسد بينهم

(٣) أزروا عليهم : أى عابوا عليهم



عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْفُسِهِمْ ، لَا يُفْلِحُونَ وَلَا يَنْجِحُ  
تَابِعُهُمْ ، وَلِذَلِكَ لَا تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مُوَارِثَةُ الصَّدَقِ ، وَلَا تَسْطَعُ  
حَوْلَهُمْ أَنْوَارُ الْوِلَايَةِ ، وَلَا تَحَقِّقُ لَدَيْهِمْ أَعْلَامُ الْمَعْرِفَةِ  
وَلَا يَسْتُرُ عَوْرَاتِهِمْ لِبَاسُ الْخَشْيَةِ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا أَحْوَالَ  
الْقُبَاءِ ، وَمَرَاتِبِ النُّجْبَاءِ ، وَخُصُوصِيَّةِ الْبُدَلَاءِ (١) ،  
وَكَرَامَاتِ الْأَوْلَادِ (٢) وَفَوَائِدِ الْقُطْبِ ، وَفِي هَذِهِ أَسْبَابُ  
السَّعَادَةِ ، وَتَمَمَّةُ الطَّهَارَةِ ، لَوْ عَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ ، لَظَهَرَ  
لَهُمُ الْحَقُّ ، وَعَلِمُوا عِلَّةَ أَهْلِ الْبَاطِنِ ، وَدَاءَ أَهْلِ الْغَضَبِ  
وَدَوَاءَ أَهْلِ الْقُوَّةِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ بَضَائِعِهِمْ ،  
حُجِبُوا عَنِ الْحَقِيقَةِ بِأَرْبَعَةٍ : بِالْجَهْلِ ، وَالْإِصْرَارِ ، وَحُبِّ  
الدُّنْيَا ، وَإِظْهَارِ الدَّعْوَى ، فَالْجَهْلُ أَوْرَثَهُمُ السُّخْفَ (٣) ،  
وَالْإِصْرَارُ أَوْرَثَهُمُ التَّهَاوُنَ ، وَحُبُّ الدُّنْيَا أَوْرَثَهُمْ طُولَ  
الْغُفْلَةِ ، وَإِظْهَارُ الدَّعْوَى أَوْرَثَهُمُ الْكِبَرَ وَالْإِعْجَابَ

(١) إذا شئت معرفة مراتب السالكين في طريق الحق جمل جلاله  
فعليك بالاطلاع على ما كتبه الغزالي في الاحياء بهذا الصدد في كتاب العلم

وَالرِّيَاءَ، «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدٌ». فَلَا يَغُرُّكَ، - أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ،  
وَسَائِهِمْ -، وَلَا يُذْهِلَنَّكَ عَنِ الْإِسْتِغَالِ بِصِلَاحِ نَفْسِكَ  
تَمَرُّدُهُمْ <sup>(١)</sup> وَطُعْنِيَانُهُمْ، وَلَا يُغْوُونَكَ بِمَا زَيْنَ لَهُمْ مِنْ  
سُوءِ عَمَلِهِمْ شَيْطَانُهُمْ، فَكَأَنَّ قَدْ جُمِعَ الْخَلَائِقُ فِي  
صَعِيدٍ، «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ» وَتَلِي  
«لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ  
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» فَيَالَهُ مَوْقِفًا أَذْهَلَ ذَوِي الْعُقُولِ  
عَنِ الْقَالِ وَالْقِيلِ، وَمُتَابَعَةِ الْأَبَاطِيلِ، «فَأَعْرِضْ عَنِ  
الْجَاهِلِينَ. وَلَا تَطِعْ كُلَّ أَفَّاكٍ <sup>(٢)</sup> أَرِيمٍ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ  
أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ  
بِآيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَاصْبِرْ  
حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ  
إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»

(١) تمردهم : عصيانهم وخروجهم عن جادة الطريق (٢) أفَّاك أريم :

كثير الزور والبهتان

\* \* \*

وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَى الْغَزَالِيِّ فِي الْأَحْيَاءِ مَوَاضِعُ مِنْهَا  
مَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ فِي الْأَحْيَاءِ  
مَا هُوَ قَوْلٌ مَدْسُوبٌ إِلَيْهِ ، وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ  
الْعَارِفِينَ فَأُثْبِتَهُ وَسَكَتَ عَلَيْهِ .

وَقَدْ تَعَرَّضَ السَّيِّدُ مُرْتَضَى فِي إِتْحَافِ السَّادَةِ لِهَذِهِ  
الْمَوَاضِعِ فَدَافَعَ عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ بَعْدَ أَنْ أوردَهَا  
وَعَرَّضَ فِيهَا لِأَقْوَالِ الَّذِينَ رَدُّوْهَا وَفَنَّدُوْهَا  
تَفْنِيدًا .

وَنَحْنُ نَاقِلُونَ الْأَعْتِرَاضَاتِ وَالرَّدُّودَ عَلَيْهَا مِنْ  
كِتَابِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى :

\* \* \*

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْأَحْيَاءِ « أَيْسَ فِي الْإِمْسَاقِ الْإِعْتِرَاضِ الْأَوَّلِ  
أَبْدَعُ مِمَّا كَانَ » وَقَدْ قَالُوا هَذَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ فِي  
الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ ، وَهُوَ كُفْرٌ صَرِيحٌ ، وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ

الْقُطْبُ سَيِّدِي عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ  
الْأَجْوِبَةِ الْمَرْضِيَّةِ، عَنْ أئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ بِثَلَاثَةِ  
أَجْوِبَةٍ : الْأَوَّلُ نَقْلًا عَنِ الْقُطْبِ ابْنِ عَرَبِيِّ ، وَالثَّانِي  
عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَبَلِيِّ ، وَالثَّلَاثُ عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ  
الْمَغْرِبِيِّ شَيْخِ الْجَلَالِ الشُّيُوطِيِّ ، وَكُلُّ مِنْ الْأَجْوِبَةِ  
الثَّلَاثَةِ قَدْ أوردَهَا شَيْخُ مَشَائِخِنَا سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مُبَارَكٍ  
السَّجَّامِيُّ فِي كِتَابِهِ « الذَّهَبُ الْإِبْرِيذِيُّ » وَبَسَطَ  
الْكَلَامَ عَلَيْهِ ، وَرَأَيْتُ ذَلِكَ بَعَيْنِهِ فِي كِتَابِ الشَّعْرَانِيِّ  
الْمَذْكُورِ بِحِطِّ أَحَدِ تَلَامِيذَتِهِ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُبَارَكٍ : وَقُلْتُ لِبَعْضِ الْفُقَهَاءِ  
مَا قَوْلُكَ فِي قَوْلِ أَبِي حَامِدٍ « لَيْسَ فِي الْإِمْسَانِ أَبَدْعُ  
مِمَّا كَانَ » فَقَالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَيْهِ الشَّعْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ ،  
فَقُلْتُ إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَمَّا عِنْدَكَ فِيهِ ، فَقَالَ لِي : وَأَيُّ شَيْءٍ  
عِنْدِي فِيهِ ؟ فَقُلْتُ وَيْحَكَ (١) إِنَّهَا عَقِيدَةٌ ، أَرَأَيْتَ

(١) ويحك : ويح كلمة ترحم وتوجع

لَوْ قَالَ الْقَائِلُ : هَلْ يَقْدِرُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى إِيجَادِ  
أَفْضَلَ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ ؟ فَقَالَ : أَقُولُ لَهُ إِنَّ مَقْدُورَاتِ  
اللَّهِ لَا تَنْتَاهِي ، فَيَقْدِرُ عَلَى إِيجَادِ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا الْخَلْقِ  
بِأَلْفِ دَرَجَةٍ وَأَفْضَلَ - مِنْ هَذَا الْأَفْضَلِ ، وَهَكَذَا إِلَى  
مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ ، فَقُلْتُ : وَقَوْلُهُ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أُبْدَعُ  
مِمَّا كَانَ يُنَافِي ذَلِكَ ، فَتَفَطَّنَ لِلْعِبَارَةِ الْمُنْسُوبَةِ لِأَبِي  
حَامِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَهَكَذَا وَقَعَ لِي مَعَ كَثِيرٍ مِنْ  
الْفُقَهَاءِ فَإِذَا سَأَلْتَهُمْ عَنْ عِبَارَةِ أَبِي حَامِدٍ اسْتَشْعَرُوا  
جَلَالَ قَدْرِهِ فَتَوَقَّفُوا ، فَإِذَا بَدَلْتُ الْعِبَارَةَ وَعَبَّرْتُ بِمَا  
سَبَقَ فِي سُؤَالٍ لِلْعَامَّةِ جَزَمُوا بِعِظَمِ الْقُدْرَةِ وَعَدَمِ نِهَآيَةِ  
الْمَقْدُورَاتِ .

قَالَ : وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى  
أَبِي حَامِدٍ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ ، فَطَائِفَةٌ أَنْكَرَتْهَا ، وَطَائِفَةٌ  
أَوْلَتْهَا ، وَطَائِفَةٌ كَذَّبَتْ النِّسْبَةَ إِلَى أَبِي حَامِدٍ وَنَزَّهَتْ<sup>(١)</sup>

(١) نزعت : أي باعدت

مَقَامَهُ عَنْهَا ، وَالْأَوَّلُ هُمْ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ وَمَنْ  
بَعْدَهُمْ وَهَلَمْ جَرًّا ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ تَلْمِيزُهُ  
فِيمَا تَقَلَّهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى  
مَا نَصَّهُ :

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ قَوْلًا عَظِيمًا أَنْتَقَدَهُ  
عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَهُوَ بِشَهَادَةِ اللَّهِ مَوْضِعُ أَنْتِقَادٍ ،  
فَقَدْ قَالَ : لَيْسَ فِي الْقُدْرَةِ أُبْدَعُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ فِي  
الْإِتْقَانِ وَالْحِكْمَةِ ، وَلَوْ كَانَ فِي الْقُدْرَةِ أُبْدَعُ مِنْ هَذَا  
وَأُذْخِرَ لَكَانَ مُنَافِيًا لِلْجُودِ . . . وَنَحْنُ وَإِنْ كُنَّا  
قَطْرَةً فِي بَحْرِهِ « أَيِ الْغَزَالِيِّ » فَإِنَّا لَا نَرُدُّ عَلَيْهِ إِلَّا  
بِقَوْلِهِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَكْمَلَ بِشَيْخِنَا هَذَا فَوَاضِلَ (١)  
الْخَلَائِقِ ، ثُمَّ صَرَفَ بِهِ عَنْ هَذِهِ الْوَاضِحَةِ فِي  
الطَّرَاقِ .

وَمِمَّنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ نَاصِرُ الدِّينِ بْنِ الْمُنِيرِ

(١) فواضل : جمع فاضلة وهي الهبة والنعمة

الإِسْكَندَرِيّ ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ رِسَالَةً سَمَّاهَا « الضِّيَاءُ  
الْمُتَلَالِي فِي تَعْقِبِ الْأَحْيَاءِ لِلْغَزَالِي » وَقَالَ : الْمَسْأَلَةُ  
الْمَذْكُورَةُ لَا تَتَمَشَّى إِلَّا عَلَى قَوَاعِدِ الْفَلَسِيفَةِ  
وَالْمَعْتَزَلَةِ .

وَفِي مُنَاقِضَةٍ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، أَلْفَ السَّيِّدِ السَّمْهُودِيِّ  
رِسَالَةً عَظِيمَةً فِي نَحْوِ سَبْعَةِ كَرَارِيسَ .

وَمِمَّنْ نَقَلَ عَنْهُ أَفْكَارَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ  
الْإِسْلَامِ ، وَالْإِمَامُ بَدْرُ الدِّينِ الزَّرْكَشِيُّ ، وَقَالَ هَذَا  
بِإِنْ كَلِمَاتِ الْعَقْمِ <sup>(١)</sup> الَّتِي لَا يَنْبَغِي إِطْلَاقُ مِثْلِهَا فِي  
حَقِّ الصَّانِعِ ، وَالْكَمَالُ بْنُ أَبِي شَرِيفٍ ، وَالْبُرْهَانُ  
الْبِقَاعِيُّ ، وَالْأَلْفَ رِسَالَةً فِي الْمَسْأَلَةِ سَمَّاهَا « تَهْدِيمَ  
الْأَرْكَانِ » وَغَيْرُهُمْ .

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ — وَهُمْ الْمُتَّبِعُونَ لِأَبِي حَامِدٍ ،  
وَالْمُؤَوَّلُونَ لِكَلَامِهِ عَلَى وَجْهِ صَحِيحٍ فِي ظَنِّهِمْ ، فَأَوْلَاهُمْ

(١) العقيم : التي لا تلد . والمراد بالعقم هنا عدم الانتاج

الإمام أبو حامد نفسه ، فإنه سُئِلَ في زمانه عن  
هذه المسألة ، فأجاب بما هو مسطور في الأجوبة  
المسكتية ، ومنهم محي الدين بن العربي ، وعبد الكريم  
الجيلي ، ومحمد المغربي ، ونقل عنهم الشعرائي ، كما  
سبقت الإشارة إليه ، ومنهم الإمام جلال الدين  
أبو البقاء محمد البكري الشافعي ، والبدْر الزركشي  
أيضاً ، والشيخ سيدي أحمد زروق ، في شرح «قواعد  
العقائد» للغزالي ، والبرهان بن أبي شريف أخوالكمال  
الذي تقدم ذكره في الطائفة الأولى ، والشيخ  
أبو المراهب التونسي ، وشيخ الإسلام زكريا  
الأنصاري ، والحافظ جلال الدين الشيوطي ، والف  
رسالة ناقض بها على البرهان البقاعي سماها «تشييد  
الأزكان» .

وقد سُئِلَ عن هذه المسألة كل من مشايخنا ،  
القطب نجم الدين أبي المكارم محمد بن سالم الحفني



الشَّافِعِيُّ - نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ - وَالسَّيِّدِ الْقُطُبِ أَبِي الْمَرَّاحِمِ -  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُصْطَفَى الْعَيْدَرُوسِيِّ - نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِ - فَاجَابَا  
بِتَأْوِيلِ كَلَامِهِ عَلَى أَحْسَنِ الْمَظْنَنَاتِ .

وَالطَّائِفَةُ الثَّلَاثَةُ - وَهُمْ الذَّاهِبُونَ إِلَى عَدَمِ نِسْبَةِ  
الْمَقَالَةِ إِلَى أَبِي حَامِدٍ ، وَأَنَّهَا مَدْسُوسَةٌ <sup>(١)</sup> فِي كُتُبِهِ ،  
وَمُسْتَنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَضُوهَا عَلَى كَلَامِهِ فِي كُتُبِهِ  
فَوَجَدُوهَا مَعَ كَلَامِهِ عَلَى طَرَفِي نَقِيضٍ <sup>(٢)</sup> ، وَالْعَاقِلُ  
لَا يَعْتَقِدُ النَّقِيضَ ، فَضَّلَا عَنْ أَبِي حَامِدٍ وَعِبَارَاتِهِ الَّتِي  
هِيَ مُنَاقِضَةٌ لِتِلْكَ الْمَقَالَةِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ  
الْإِحْيَاءِ ، وَفِي « الْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالِ » وَفِي « الْمُسْتَصْفَى »  
مِمَّا تَصَدَّى لِجَمْعِهَا جَمِيعًا الْبُرْهَانَ الْبِقَاعِيَّ فِي رِسَالَتِهِ  
الْمَذْكُورَةِ .

هَذَا خُلَاصَةٌ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مُبَارَكٍ

(١) مدسوسة: مكتوبة عليه ، لم يقلها ولم تصدر منه (٢) طرفي نقيض:

أى مناقضة لكلامه كل المناقضة

السَّجِّدِ مَسِيٍّ، وَأَمَّ نَطَوَّلَ بِنُصُوصِ الْأَجْوَابَةِ، وَمَا نُوقِضَتْ  
بِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

\*  
\*  
\*

الاعتراض الثاني

وَقَالَ الْقُطُبُ الشَّعْرَانِيُّ: وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَى الْغَزَالِيِّ  
قَوْلُهُ: يُبَاحُ لِلصُّوفِيَّةِ تَمْزِيقُ ثِيَابِهِمْ عِنْدَ غَلَبَةِ الْحَالِ إِنْ  
قُطِعَتْ قِطْعًا مَرْبَعَةً تَصْلُحُ لِتَرْقِيعِ الثِّيَابِ وَالسَّجَّادَاتِ،  
كَمَا يَجُوزُ تَمْزِيقُ الثَّوْبِ لِیَرْقَعَ بِهِ قَمِيصٌ آخَرُ . قَالَ  
الْمُنْكَرُ: وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ - يَعْنِي  
الْغَزَالِيَّ - كَيْفَ اسْتَلْبَهُ حُبُّ مَذْهَبِ الصُّوفِيَّةِ حَتَّى  
ذَهَلَ عَنِ أَصُولِ الْفِقْهِ وَمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَأَخْتَارَ  
بِدْعَ الصُّوفِيَّةِ عَلَى مَذَاهِبِ الْأُمَّةِ؟، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ  
لَا يَتَّبِعِي الْإِنْكَارَ عَلَيْهِ بِمُوَافَقَةِ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ  
الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَرَضٌ صَحِيحٌ فِي مُعَامَلَةِ أَرْبَابِ  
الْقُلُوبِ، فَإِنَّ الصُّوفِيَّ لَوْ لَا أَنَّهُ رَأَى صَلَاحَ قَلْبِهِ وَحُضُورَهُ  
مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِذَلِكَ، مَا مَزَّقَ ثَوْبَهُ، بَلْ يُنْكَرُ

عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ . وَبِالْجُمْلَةِ : فَلَوْ كَانَ جَمِيعُ أَمْوَالِ  
الدُّنْيَا وَأَمْتَعَتِهَا بِيَدِ الْفَقِيرِ ، وَرَأَى حُضُورَ قَلْبِهِ مَعَ اللَّهِ  
تَعَالَى لِحِظَةٍ بِاتِّلَافِهَا كُلِّهَا ، بِحَرْقِهَا أَوْ رَمْيِهَا فِي الْبَحْرِ ،  
لَكَانَ لَهُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْإِجْتِهَادِ ، وَلَا لَوْمْ إِلَّا عَلَى مَنْ  
يُمَزَّقُ ثِيَابَهُ ، وَيَتْلَفُ مَالَهُ ، إِسْرَافًا وَسَفَهًا <sup>(١)</sup> ، وَرِسْكَ  
مَقَامِ رِجَالٍ ، وَأَنْشَدُوا :

لَوْ ذَاقَ عَاذِلِي <sup>(٢)</sup> صَبَابِي صَبَا <sup>(٣)</sup>

مَعِيَ وَلَكِنْ عَاذِلِي مَا ذَاقَهَا  
فَاعَلِمَ ذَلِكَ ، وَالزَّمِ الْأَدَبَ مَعَ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ فِي  
دَوْلَتِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ .

\*\*\*

قَالُوا : وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْإِحْيَاءِ :  
الْمَقْصُودُ بِالرِّيَاضَةِ تَفْرِيعُ الْقَلْبِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا  
بِالْخَلْوَةِ وَالْجُلُوسِ فِي مَسْكَانٍ مُظْلِمٍ ، فَإِنْ لَمْ يَسْكُنْ

الاعتراض الثالث

(١) سفها : أى جهلا (٢) عاذلى : أى لائى (٣) أى مال معى نحو  
الصبابة والصبابة العشق والهوى

مُظْلِمًا لَفَّ رَأْسَهُ فِي جَيْبِهِ ، أَوْ تَدَثَّرَ بِكِسَاءٍ أَوْ رِدَاءٍ ،  
فَإِنَّهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ يَسْمَعُ نِدَاءَ الْحَقِّ تَعَالَى  
وَيُشَاهِدُ جَلَالَ الرَّبُّوبِيَّةِ .

قَالَ الْمُنْكَرُ : أَنْظِرُوا إِلَى هَذِهِ التَّرَهَاتِ <sup>(١)</sup> الْعَجِيبَةِ ،  
وَكَيفَ صَدَرَتْ مِنْ فِقِيهِ ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ الَّذِي يَسْمَعُهُ  
إِذْ ذَاكَ هُوَ نِدَاءُ الْحَقِّ تَعَالَى ؟ وَأَنْ الَّذِي يُشَاهِدُهُ هُوَ  
جَلَالُ الرَّبُّوبِيَّةِ ؟ وَمَا يُذْرِيهِ أَنْ يَكُونَ مَا يَجِدُهُ  
هُوَ مِنَ الْوَسَاوِسِ وَالْخِيَالَاتِ الْفَاسِدَةِ ؟ وَهَذَا هُوَ  
الْغَالِبُ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ التَّقْلُلَ فِي الْمَطْعَمِ ، فَإِنَّهُ يَغْلِبُ  
عَلَيْهِ الْمَالِيخُولِيَا <sup>(٢)</sup> .

وَالْجَوَابُ : أَنَّ مَا قَالَهُ الْغَزَالِيُّ ، تَبَعًا لِغَيْرِهِ ، صَحِيحٌ ،  
وَأَكْرَمٌ لَهُ شُرُوطٌ عِنْدَ أَهْلِ الطَّرِيقِ ، مِنْ بُلُوغِهِ فِي  
الْوَرَعِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى ، وَمُدَاوَمَتِهِ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ مَعَ

(١) الترهات : جمع ترهة وهي الاباطيل (٢) المالمليخوليا : نوع

من الجنون

الْأَنْفَاسِ ، وَعَدَمِ شُغْلِ قَلْبِهِ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
 وَهُنَاكَ يُخْرَجُ الْعَبْدُ مِنْ مَوَاطِنِ التَّلْبِيسِ <sup>(١)</sup> مِنَ النَّفْسِ  
 وَالشَّيْطَانِ ، وَتَصِيرُ رُوحُهُ مَلَكَيَّةً ، فَيُشَاهِدُ جَلَالَ  
 الرَّبُّوبِيَّةِ كَمَا تُشَاهِدُهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ  
 الْحَضْرَةَ عَلَى مُصْطَلِحِ أَهْلِ اللَّهِ عَرَفَ مَا أَقُولُ ، وَمَنْ  
 لَمْ يَدْخُلْ فَمَعْدُورٌ فِي إِنْكَارِهِ لِعَدَمِ وُجْدَانِهِ ، ذَكَرَهُ  
 الْغَزَالِيُّ نَفْسُهُ .

\* \* \*

وَمَا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا : تَقْرِيرُهُ فِي الْإِحْيَاءِ قَوْلَ الْعَرَّافِ الرَّابِعِ  
 أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ : إِذَا طَلَبَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ، أَوْ  
 سَافَرَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ ، أَوْ تَزَوَّجَ ، فَقَدْ رَكَنَ إِلَى  
 الدُّنْيَا .

قَالَ الْمُنْكَرُ : هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَشْيَاءُ غَيْرُ مُخَالَفَةِ لِقَوَاعِدِ  
 الشَّرِيعَةِ ، وَكَيْفَ لَا يُطَلَبُ الْحَدِيثَ وَقَدْ وَرَدَ : « إِنْ »

(١) التلبيس: الخاط والتدليس وكتمان العيب مع اظهار خلافه

الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ « وَكَيْفَ لَا يُطْلَبُ  
الْمَعَاشُ ، وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَأَنْ أَمُوتَ فِي  
سَمِي رِجْلِي ، أَطْلُبَ كِفَافَ وَجْهِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ  
أَمُوتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، وَكَيْفَ لَا يُطْلَبُ التَّزْوِيجُ ؟  
وَصَاحِبُ الشَّرْعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « تَنَاكَحُوا  
تَنَاسَلُوا » ؟ فَمَا أُدْرِي هَذِهِ الْأَوْضَاعَ مِنَ الصُّوْفِيَّةِ إِلَّا  
عَلَى خِلَافِ الشَّرْعِ .

وَالْجَوَابُ : أَنَّ مِثْلَ الْغَزَالِيِّ لَا يَجْهَلُ مِثْلَ هَذِهِ  
الْأُمُورِ . بِدَلِيلِ مَدْحِهَا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ مِنْ كِتَابِ  
الْإِحْيَاءِ ، وَإِنَّمَا : مَرَادُهُ أَنَّ الدُّخُولَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ  
لَازِمِهِ غَالِبًا دُخُولُ الْآفَاتِ الَّتِي تُحِيطُهَا ، فَإِنَّ مَنْ  
صَلَبَ الْحَدِيثَ لَزِمَتْهُ الرِّيَاسَةُ ، وَصَارَ مُقَدِّمًا عِنْدَ النَّاسِ  
فِي التَّعْظِيمِ وَالْإِكْرَامِ عَلَى مَنْ لَا يُطْلَبُهُ ، وَقَلَّ مَنْ يَتَخَلَّصُ  
مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَيْلِ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَمَّا التَّجَارَةُ وَالْبَيْعُ

وَالشَّرَاءَ مَعَ الْخَلَاصِ مِنَ الْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا ، فَلَا يَكُونُ  
إِلَّا مِمَّنْ كَمَلَ سُلُوكُهُ ، وَدَخَلَ حَضْرَةَ اللَّهِ وَعَرَفَ  
الْمَوَاقِعَ كُلَّهَا ، فَكَلَامُ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ جَرَى عَلَى  
الْغَالِبِ ، فَلَا تَوَمَّ عَلَى الْغَزَالِيِّ فِي تَقْرِيرِهِ إِيَّاهُ . وَأَمَّا  
كَوْنُ التَّزْوِيجِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا ، فَهُوَ ظَاهِرٌ  
لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ يُطْلَبُ لِلِاسْتِمْتَاعِ ، وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ  
إِلَّا بِالْوُقُوعِ فِي الْآفَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَنْهَا بِمَعَزِلِ أَيَّامِ  
عُزُوبَتِهِ ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ مُتَجَرِّدًا عَنِ الْقِيَامِ فِي  
الْأَسْبَابِ الَّتِي تَجَلِبُّ لَهُ أَمْرَ مَعَاشِهِ ، فَإِنَّهُ يَتَلَفُ  
بِالْكُلِّيَّةِ ، وَيَلْزَمُهُ الرِّيَاءُ لِكُلِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ لُقْمَةً ،  
أَوْ خِرْقَةً أَوْ غَيْرَهُمَا ، فَأَبْنَضُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مَنْ يَذُمُّهُ  
عِنْدَهُ ، خَوْفًا أَنْ يَتَغَيَّرَ أَعْتِقَادُهُ فِيهِ ، فَيَقْطَعَ عَنْهُ  
بِرَّهُ ، فَكَأَنَّ عِبَادَةَ هَذَا كُلِّهَا لِأَجْلِ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْهِ .  
فِي الْحَدِيثِ « خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمَائِثِينَ الْخَفِيفُ الْحَاذِرُ »

أَيُّ الَّذِي لَا زَوْجَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا  
« سَيِّئَاتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَنٌ يَكُونُ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ  
زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ » فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ « وَذَلِكَ  
أَنَّهُمْ يُعَيِّرُونَهُ بِضَيْقِ الْمَعِيشَةِ إِلَى أَنْ يُورِدُوهُ مَوَارِدَ  
الْهَلَاكِ »

وَقَدْ اُسْتَشَارَ شَخْصٌ سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَّاصَ فِي  
التَّرْوِيجِ ، فَقَالَ : شَاوِرْ غَيْرِي . فَقَالَ فَفِيهِ : مَا مَنَعَكَ  
أَنْ تُشِيرَ عَلَيْهِ بِفِعْلِ السَّنَةِ ؟ فَقَالَ أَنْتَ مَا حَفِظْتَ إِلَّا كَوْنَهُ  
سُنَّةً ، أَمَا تَنْظُرُ إِلَى الْآفَاتِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ ، مِنْ هَلَاكِ  
الدِّينِ ، وَأَكْلِ الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ (١) .

\* \* \*

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ : تَقْرِيرُهُ قَوْلَ الْجَنِيْدِ « إِذَا  
كَانَ الْأَوْلَادُ عُقُوبَةَ شَهْوَةِ الْحَلَالِ فَمَا ظَنُّكُمْ بِعُقُوبَةِ  
شَهْوَةِ الْحَرَامِ ؟ »

الاعتراض  
الخامس

(١) الشبهات: جمع شبهة وهي التلم يظهر دليل حلها أو حرمتها .



قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : هَذَا غَلَطٌ مِنَ الْجَنِيْدِ وَمَنْ أَقْرَهُ  
عَلَى ذَلِكَ ؟ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ سُنَّةٌ أَوْ مُبَاحٌ ، وَكِلَاهُمَا لَا  
عُقُوبَةَ عَلَى فَعَالِهِ ، جَرِيًّا عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرِيْعَةِ .

وَالْجَوَابُ : أَنَّ مُرَادَ الْجَنِيْدِ الْعُقُوبَةُ الَّتِي تَحْصُلُ  
بِلَازِمِ ذَلِكَ لَا بِعَيْنِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ  
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ <sup>(١)</sup> » وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :  
« إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ »  
وَلَا يُحَذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مِمَّا فِيهِ رَائِحَةُ الْإِثْمِ ، وَمِنْ  
مُصْطَلَحِ الْقَوْمِ ، أَنْ يُؤَاخِذُوا الْمُرِيدَ عَلَى فِعْلِ الْمُبَاحِ ،  
وَيُعَاقِبُوهُ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ يُوقِفُ عَنِ التَّرَقُّ  
وَلِكُلِّ مَقَامٍ رِجَالٌ .

\* \* \*

الاعتراض  
السادس

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا : تَقْرِيْرُهُ قَوْلَ ابْنِ حَمْزَةَ  
الْبَغْدَادِيِّ « إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَدْخَلَ الْبَادِيَةَ

(١) فتننة : أى اختبار وامتحان وابتلاء .

وَأَنَا شَبَعَانٌ وَقَدْ أَعْتَقَدْتُ التَّوَكُّلَ ، لِئَلَّا يَكُونَ  
شِبَعِي زَادًا تَرَوَدْتُ بِهِ »

قَالَ الْمُنْكَرُ : وَمِنَ الْعَجَبِ اعْتِدَارُهُ عَنِ أَبِي حَمْزَةَ  
بِقَوْلِهِ : كَلَامُ أَبِي حَمْزَةَ صَحِيحٌ لَكِنْ مُخْتِاجٌ إِلَى  
شَرْطَيْنِ : أَحَدُهُمَا ، أَنْ تَكُونَ لِلإِنْسَانِ قُدْرَةٌ فِي نَفْسِهِ  
بِحَيْثُ يُمَكِّنُهُ الصَّبْرُ عَنِ الطَّعَامِ أُسْبُوعًا وَنَحْوَهُ ،  
وَالثَّانِي أَنْ يُمَكِّنَهُ التَّقْوَةُ بِالْحَشِيشِ ، وَلَا تَخْلُو  
الْبَادِيَةَ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ الَّذِي مَعَهُ طَعَامٌ بَعْدَ أُسْبُوعٍ أَوْ يَنْتَهِي  
إِلَى مَحَلَّةٍ ، أَوْ حَشِيشٍ يَجِدُ بِهِ مَا يَقْوَتُهُ »

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : أَفْبَحُّ مَا فِي هَذَا الْقَوْلِ صُدُورُهُ مِنْ  
فَقِيهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ لَا يَلْقَى أَحَدًا ، وَقَدْ يَصِلُ ، وَقَدْ  
يَمْرُضُ ، فَلَا يَصْلُحُ لَهُ الْحَشِيشُ ، وَقَدْ يَلْقَاهُ مَنْ  
لَا يُطْعِمُهُ ، وَقَدْ يَمُوتُ فَلَا يَدْفِنُهُ أَحَدٌ .

وَالْجَوَابُ : أَمَّا كَلَامُ أَبِي حَمْزَةَ فَهُوَ فِي نِهَائِهِ

الإِخْلَاصِ ، وَكَذَلِكَ مَا شَرَبَهُ الْغَزَالِيُّ هُوَ صَاحِبٌ  
يَتَمَشَّى عَلَى قَوَاعِدِ الْفِقْهِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ فَلَا  
يَنْهَضُ <sup>(١)</sup> حُجَّةً وَاضِحَةً عَلَى أَبِي حَمْرَةَ وَالْغَزَالِيِّ ، لِأَنَّهُ  
لَوْ حَمَلَ أَيْضًا الزَّادَ يُجُوزُ أَنْ يَقَعَ لَهُ مَا يَقَعُ لِمَنْ لَمْ  
يَحْمِلْهُ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، لَسَكِنَ لَا يَخْفَى أَنَّ  
حَمَلَ الزَّادِ سُنَّةٌ ، وَمَنْ فَعَلَ السُّنَّةَ كَانَ تَحْتَ نَظَرِ اللَّهِ  
بِالْإِمْدَادِ وَاللُّطْفِ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا كَلَّفَهُ ، بِخِلَافِ مَنْ  
لَمْ يَحْمِلْ زَادًا فَإِنَّهُ مَوْكُولٌ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَوْ كَانَ مِمَّنْ  
صَحَّتْ تَجْرِبَتُهُ لِلْحَقِّ تَعَالَى ، فَإِنَّ الْحَقَّ جَلٌّ وَعَلَا  
لَا تَقْيِيدَ عَلَيْهِ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، إِلَّا إِنْ قَبِدَ عَلَى نَفْسِهِ  
بِشَيْءٍ فَلِلْمَعْبُدِ طَلَبُهُ مِنْهُ عُبُودِيَّةً ، وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ  
الْبَصْرِيِّ « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْلِسَ فِي مَسْجِدِهِ وَأَتْرِكَ السَّبَبَ ،  
لِاعْتِقَادِي أَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُنِي ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :  
إِنْ كُنْتَ عَلَى يَقِينِ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
فَأَفْعَلْ ، وَإِلَّا فَالزَّمِ الْحِرْفَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



الاعتراض السابع وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا تَقْرِيرُهُ مَا حَكَاهُ عَنْ  
بَعْضِهِمْ أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ السَّبَّاحِ فِي بَرِيَّةٍ لِيَمْتَحِنَ تَوَكُّلَهُ  
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَهْوَا صَاحِبِ أُمِّ لَا .

قَالَ الْمُنْكَرُ : كَيْفَ يَجُوزُ لِلْفَزَائِلِ أَنْ يَسْكُتَ  
عَمَّا فَعَلَهُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَ تَعَرُّضِهِ لِأَسْبَابِ الْهَلَاكِ ،  
بِمَبِيتِهِ عِنْدَ السَّبَّاحِ ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ جِيَاعًا ،  
وَقَدْ قَالَ تَعَالَى « وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ »  
وَالْجَوَابُ : أَنَّ ذَلِكَ فِي حَقِّ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ الَّذِينَ  
يَغْلِبُ حَالُهُمْ حَالُ السَّبْعِ وَيَرْتَكِبُونَهُ وَيَعْرُكُونَ أَذْنَهُ  
وَيَنْقَادُ لَهُمْ ، بَلْ يَخَافُ هُوَ مِنْهُمْ ، وَهَذَا مَقَامٌ يَبْلُغُهُ  
الْمُرِيدُ أَوَائِلَ دُخُولِهِ فِي الطَّرِيقِ فَيَمْسَحُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ  
النَّخَوْفَ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مُجْمَلَةً وَوَاحِدَةً ، وَقَدْ  
وَقَعَ ذَلِكَ لِجُمْلَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَفَوْقَ هَذَا الْمَقَامِ مَقَامٌ

أَرْفَعُ مِنْ هَذَا ، وَهُوَ الْخَوْفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِي  
وَالْتَبَاعُدُ عَنْهُ ، وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ عَلَيْنَا  
مَا يُؤْذِينَا ، فَتَحَفَّظُ مِنَ الْأَذَى حَسْبَ طَاقَتِنَا ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ  
بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ ، وَنُثَابُ عَلَى ذَلِكَ الْخُذْرِ . وَلَا سِيَّمَا  
إِنْ كَانَ مَشْهُدُ أَحَدِنَا أَنَّ نَفْسَنَا وَدِيْعَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ،  
وَقَدْ أَمَرْنَا بِمُدَافَعَةِ الْأَقْدَارِ عَنْهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

\* \* \*

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا تَقْرِيرُهُ مَا حَاكَاهُ عَنِ  
الاعتراض الثامن  
أَبِي الْحَسَنِ الدِّينَوْرِيِّ أَنَّهُ حَجَّ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ حِجَّةً وَهُوَ  
حَافٍ مَكْشُوفُ الرَّأْسِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْجَهْلِ ، لِمَا فِي  
ذَلِكَ مِنَ الْأَذَى لِلرَّأْسِ وَالرُّجْلَيْنِ ، وَلَا تَسْلُمُ الْأَرْضُ  
مِنَ الشَّوْكِ وَالْوَعْرِ ، وَكَأَنَّ هُوَ لِأَنَّ الصُّوفِيَّةَ أَبْتَكَرُوا  
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ شَرِيعَةً سَمَّوْهَا بِالتَّصَوُّفِ ، وَتَرَكَوْا  
شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَانِبِ ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ

مِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ تُفْسِدُ  
عَقَائِدَ الْعَوَامِّ وَيَظُنُّونَ أَنَّ فِعْلَهُ مِنَ الصَّوَابِ .

وَأَجْوَابُ : أَنَّهُ لَا تَنْبَغِي الْمُبَادَرَةُ بِالْإِنْكَارِ عَلَى

مَنْ أَتَلَفَ جِسْمَهُ فِي مَرَضَاتِهِ اللَّهُ وَتَعَظِيمِ حُرْمَاتِهِ ، وَرُبَّمَا  
كَانَ مَنْ خَرَجَ لِلْحَجِّ حَافِيًا مَكْشُوفَ الرَّأْسِ وَقَعَ فِي  
ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَهُ ، وَظَنَّ أَنَّ أُلْحَقَ تَعَالَى سَخِطَ عَلَيْهِ  
بِسَبَبِهِ ، فَخَرَجَ بِتِلْكَ الْهَيْئَةِ يَطْلُبُ التَّنَصُّلَ <sup>(١)</sup> مِنْ ذَنْبِهِ  
عَلَى وَجْهِ الذَّلَّةِ وَالْإِنْكَسَارِ ، وَقَدْ وَقَعَ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ  
أَنَّهُ حَجَّ مِنَ الْبَصْرَةِ حَافِيًا فَتَلَقَّاهُ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ  
وَأَبْنُ عُيَيْنَةَ ، وَأَبْنُ أَذْهَمَ ، مِنْ خَارِجِ مَكَّةَ ، فَقَالُوا لَهُ :  
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَمَا كَانَ مِنَ الرَّفْقِ بِذَاتِكَ أَنْ تَرَكَبَ  
وَلَوْ حِمَارًا ؟ فَقَالَ : أَمَا يَرْضَى الْعَبْدُ الْآبِقُ <sup>(٢)</sup> مِنْ  
سَيِّدِهِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى مُصَالِحَتِهِ إِلَّا رَاكِبًا ؟ فَبَكَى الْفُضَيْلُ  
وَالْجَمَاعَةُ ، فَانظُرْ ذَلِكَ وَاقْتَدِ بِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) التنصل : أي النبؤ . (٢) الآبق : الهارب .

\* \* \*

وَمَا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا أَجَابَ بِهِ مَنْ سَأَلَهُ <sup>الاعتراض التاسع</sup>

عَنْ رَجُلٍ يَدْخُلُ الْبَادِيَةَ بِلَا زَادٍ ، مِنْ قَوْلِهِ : هَذَا مِنْ  
فِعْلِ رِجَالِ اللَّهِ : قِيلَ لَهُ فَإِنْ مَاتَ ؟ قَالَ الدِّيَةُ <sup>(١)</sup> عَلَى  
الْمَاقِلَةِ <sup>(٢)</sup> قَالَ الْمُنْكَرُ : هَذِهِ فَتَوَى جَاهِلٌ بِقَوَاعِدِ  
الشَّرِيعَةِ ، إِذْ لَا خِلَافَ بَيْنَ فُقَهَاءِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ  
لِأَحَدٍ دُخُولُ الْبَادِيَةِ بِغَيْرِ زَادٍ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ فَعَلَ  
ذَلِكَ وَمَاتَ بِالْجُوعِ ، فَهُوَ عَاصٍ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ فِي  
الْآخِرَةِ .

وَأَجْوَابُ : يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ الْغَزَالِيِّ مِنْ قَوْلِهِ :  
هَذَا مِنْ فِعْلِ رِجَالِ اللَّهِ أَرْبَابَ الْأَحْوَالِ الَّذِينَ غَلَبَتْ  
عَلَيْهِمْ أَحْوَالُهُمْ لَا الْعَارِفِينَ مِنْ مَشَايِخِ الطَّرِيقِ بِقَرِينَةِ  
مَامَرٍ فِي أَجْوَابِ قَبْلِهِ ، فَلَا لَوْمَ عَلَى الْغَزَالِيِّ إِلَّا لَوْ  
جَمَعَ ذَلِكَ شَائِعًا فِي حَقِّ كُلِّ النَّاسِ .

(١) الدية : الفدية . (٢) الماقلة : عصابة الرجل من جهة أبيه وقرابته .

(٧ - الغزالي - ثان)

\*  
\*  
\*

الاعتراض العاشر

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا تَقْرِيرُهُ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ الْأَقْطَعِ  
الْتِيَّتَاتِي قَوْلَهُ إِنِّي عَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ عَهْدًا أَلَّا آكُلَ شَيْئًا  
مِنَ الشَّهَوَاتِ ، فَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى ثَمَرَةٍ فِي شَجَرَةٍ فَقَطَعْتُهَا  
فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْضُغُهَا إِذْ ذَكَرْتُ الْعَهْدَ فَرَمَيْتُ بِهَا فِي فَمِي  
فَدَارَ بِي فُرْسَانٌ ، وَقَالُوا قُمْ ، وَأَخْرَجُونِي إِلَى سَاحِلِ بَحْرِ  
إِسْكَندَرِيَّةَ ، وَإِذَا أَمِيرٌ وَحَوْلَهُ خَيْلٌ وَجُنْدٌ ، فَقَالُوا  
أَنْتَ مِنَ الْأَصْوَصِ ، وَإِذَا مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ لُصُوصِ  
السُّودَانِ ، فَسَأَلُوهُمْ عَنِّي فَقَالُوا لَا نَعْرِفُهُ ، فَكَذَّبَهُمْ  
الْأَمِيرُ ، وَشَرَعَ يُقَدِّمُ يَدًا وَيَقْطَعُهَا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى فَقَالَ :  
تَقَدَّمَ وَمُدَّ يَدَكَ فَمَدَدْتُهَا فَقُطِعَتْ إِلَى آخِرِهَا .

قَالَ الْمُنْكَرُ : فَانظُرُوا إِلَى هَذَا الْجَهْلِ الْعَظِيمِ  
مَا فَعَلَ بِصَاحِبِهِ ، وَلَوْ أَنَّ عِنْدَ التِّيَّتَاتِي رَائِحَةَ عِلْمٍ لَعَلِمَ  
أَنَّ مَا فَعَلَهُ حَرَامٌ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ لِإِبْلِيسَ عَوْنٌ عَلَى الزُّهَادِ  
وَالْعِبَادِ أَكْثَرَ مِنْ الْجَهْلِ ، وَمَا أَظُنُّ غَالِبَ مَا يَقَعُ  
لَهُوْثًا إِلَّا مِنَ الْمَالِخُولِيَّاتِ .



وَالْجَوَابُ : لَا يَنْبَغِي الْإِنْكَارَ عَلَى أَبِي الْحَيْرِ وَلَا  
عَلَى الْعَزَالِيِّ فَإِيهُمَا مُجْتَهِدَانِ فِي ذَلِكَ ، فَرَأَيَا أَنَّ تَقْضَ (١)  
الْعَهْدِ عِنْدَ الْأَكْبَرِ أَعْظَمُ مِنْ سَرِقَةِ رُبْعِ دِينَارٍ ، وَأَيْضًا  
فَإِنَّ مَشْهَدَ الْأَكْبَرِ حَضْرَةَ التَّقْدِيرِ الْإِلَهِيِّ ، فَهَمَّ مَعَ الَّذِي  
قَدَّرَ أَلْقَطَعَ لَا مَعَ الْعِبْلَادِ الَّذِي يَقْطَعُ الْيَدَ ، فَكَلَامُ  
الْعَزَالِيِّ فِي حَقِّ الْأَكْبَرِ ، وَقَوْلُ الْمُنْكَرِ فِي حَقِّ  
الْأَصَاغِرِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي عُقُوبَةٍ لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَتُوبَ  
وَيَسْتَغْفِرَ مِنْ تَقْضِ الْعَهْدِ ، وَابْتَسَّ لَهُ أَنْ يُمَكِّنَ الْجَلَادَ  
مِنْ قَطْعِ يَدِهِ مَا أَمَكَّنَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَمُّ يَا مُرُّ بِهِ  
الْشَّرْعُ الشَّرِيفُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

\*\*\*

الاعتراض  
الحادى عشر

وَمِمَّا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ إِنَّ الْأَشْتِغَالَ يَعْلَمُ

الظَّاهِرِ بَطَالَةٌ .

قَالَ أَنْ الْقَيْمِ : هَذَا جَهْلٌ مُفْرِطٌ مِنْهُ ، وَأَصْلُ ذَمِّ

(١) تقض العهد : أى إفساده بعد إحكامه

الصُوفِيَّةِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ رَأَوْا طَرِيقَ الْأِشْتِعَالِ بِهِ لَا يُوصِلُهُمْ  
إِلَى الرِّيَاسَةِ إِلَّا بَعْدَ طُولِ زَمَانٍ بِخِلَافِ طَرِيقَتِهِمْ  
الْمُبْتَدِعَةِ ، مِنْ لُبْسِهِمُ الرُّزَى ، وَصَلَاتِهِمْ بِاللَّيْلِ ، وَصِيَامِهِمْ  
بِالنَّهَارِ ، وَتَقْصِيرِ الثِّيَابِ وَالْأُكْمَامِ .

وَالْجَوَابُ : لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَإِنْ مُرَادَهُ  
الْإِشْتِعَالُ بِهِ عَلَى طَرِيقِ الْجِدَالِ مُطَابَقَةً ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى  
طَرِيقِ الْعَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، لِأَنَّ مُرَادَهُ مُطَابَقَةً مِنْ كُلِّ  
وَجْهِ ، وَكَيْفَ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ مَافَهُمَهُ الْمُنْكَرُ ، وَهُوَ  
يَعْلَمُ أَنَّ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ هُوَ أُسْأَسُ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ ، إِذِ  
الشَّرِيعَةُ لَهَا تَقْدِيمٌ صَدَرَ الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ ، بِحَيْثُ  
تَسْتَحِقُّ أَنْ يَقْبَلَهَا اللَّهُ تَفْضُلًا مِنْهُ <sup>(١)</sup> ، وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ  
الْفِرَاقَ مَا قَالَ ذَلِكَ إِلَّا فِي حَقِّ نَفْسِهِ لَمَّا دَخَلَ طَرِيقَ  
الْقَوْمِ وَرَأَى كَمَالَهَا وَآدَابَهَا . فَقَالَ : ضِعْمًا عُمرْنَا فِي  
الْبَطَالَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(١) تفضلا منه : أى لا إيجابا عليه كما هو رأى المعتزلة



الاعتراض  
الثاني عشر

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ : إَعْلَمَ أَنْ مَيْلَ  
قُلُوبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ ، إِنَّمَا هُوَ إِلَى تَحْصِيلِ الْعُلُومِ  
اللَّدُنِّيَّةِ ، دُونَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَحْضُوا<sup>(١)</sup>  
عَلَى دِرَاسَةِ الْعِلْمِ ، وَلَا تَحْصِيلِ مَا صَنَّفَهُ الْمُصَنِّفُونَ ،  
وَإِنَّمَا حَضُّوا عَلَى الْإِسْتِغَالِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، وَالْإِسْتِغَالِ  
يَذَكِّرُ اللَّهُ فَقَطْ ، إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ .

وَعَدَّ الْمُنْكَرُونَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ مَا غَلِطَ الْغَزَالِيُّ فِيهِ  
وَقَالُوا : قَدْ حَثَّ الشَّرْعُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَكَيْفَ يَمْدَحُ  
مَنْ لَمْ يَحْضُ عَلَى تَحْصِيلِهِ مِنْ الصُّوفِيَّةِ ؟ وَقَالُوا : عَزِيزٌ  
أَنْ يَصْدُرَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ مُشْتَرِعٍ<sup>(٢)</sup> ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى  
قُبْحُهُ ، وَهُوَ كَالطِّيِّ لِبِسَاطِ الشَّرِيعَةِ حَقِيقَةً ، ثُمَّ عَلَى هَذَا  
الْمَذْهَبِ قَدْ فَاتَتْ الْفَضَائِلُ عُلَمَاءَ الْأَمْصَارِ كُلِّهِمْ ،  
فِيهِمْ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ الصُّوفِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ

(١) لم يحضوا: أي لم يحضوا (٢) مشتريع: أي مظهر ومبين لقوانين الشرع

الَّذِي ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ ، وَإِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ الْأَشْتِغَالَ  
يَعْلَمُ الشَّرِيعَةَ ، خَلَّتِ النَّفْسُ بِوَسَاوِسِهَا وَخِيَالَاتِهَا ، وَلَمْ  
يَبْقَ عِنْدَهَا مِنَ الْعِلْمِ مَا يَطْرُدُ ذَلِكَ ، فَيَلْعَبُ بِهَا إِبْلِيسُ  
أَيَّ مَلْعَبٍ .

وَأَلْجَوَابُ : أَنْ مُرَادَ الْغَزَالِيِّ فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُمْ ،  
إِنَّمَا هُوَ بَمَدِّ إِحْكَامٍ <sup>(١)</sup> الْفَتْمِيرِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ ، فَإِنَّهُ  
حَكَى إِجْمَاعَ الْقَوْمِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ  
طَرِيقَ الْقَوْمِ إِلَّا بَعْدَ تَضَلُّعِهِ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ ،  
بِحَيْثُ يَصِيرُ يَقْطَعُ عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ بِالْحُجْبِجِ فِي مَجْلِسِ  
الْمُنَظَرَةِ ، فَلَا يَنْبَغِي حَمْلُ مِثْلِ كَلَامِهِ عَلَى أَنْ مُرَادُهُ  
مَدْحُ الْأَشْتِغَالِ بِأَحْوَالِ طَرِيقِ الْقَوْمِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ  
عِلْمِهِمُ لِلشَّرِيعَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْعَدُ مِنَ الْبَعِيدِ ، فَالْغَزَالِيُّ  
فِي وَادٍ وَالْمُنْكَرُ فِي وَادٍ .

\*\*\*

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةَ

الاعتراض  
الثالث عشر

عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ  
الْأَصْنَامَ » أَنَّ الْأَصْنَامَ هِيَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَعِبَادَتُهُمَا  
حُبُّهُمَا وَالْإِعْتِرَارُ <sup>(١)</sup> بِهِمَا .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : وَهُوَ تَفْسِيرٌ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ  
الْمُفَسِّرِينَ .

وَالْجَوَابُ : لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ،  
فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمَ  
وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ <sup>(٢)</sup> » فَسُمِّيَ حُبُّ هَذِهِ الْأُمُورِ عِبَادًا  
لَهَا ، مَعَ أَنَّهَا لَا تَعْقِلُ ، وَلَا تَدْرِي مَنْ يُحِبُّهَا ، وَلَا مَنْ  
يُبْغِضُهَا ، فَكَانَتْ كَالْأَصْنَامِ ، وَالْعِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ ، الْمِيلُ  
إِلَى الشَّيْءِ وَالطَّاعَةُ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى : « يَا بَنِي آدَمَ <sup>(٣)</sup>  
أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ » أَيْ لَا تُطِيعُوهُ فِي وَسْوَاسَتِهِ لَكُمْ

(١) الاعتراض : الانخداع (٢) الخميصة : ثوب أسود مربع (٣) يا بني آدم

الحج : أول الآية ألم أعهد إليكم يا بني الحج

بِالسُّوءِ ، فَلَمَّا كُنِيَ الْحَقُّ تَعَالَى عَنْ طَاعَةِ إِبْلِيسَ بِالْعِبَادَةِ  
أَسْتِعَارَةً مَجَازِيَةً ، كَذَلِكَ صَحَّ لِلغَزَالِيِّ اسْتِعَارَةُ الْعِبَادَةِ  
لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ مَحَبَّتِهِمَا ،  
وَمُقَاتَلَةِ النَّاسِ لِأَجْلِهِمَا ، بِجَامِعٍ أَنْ الْقَلْبَ يَشْتَعِلُ بِهِمَا  
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا يَشْتَعِلُ عِبَادُ الْأَصْنَامِ بِهَا عَنِ اللَّهِ  
تَعَالَى .

\* \* \*

الاعتراض  
الرابع عشر

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ ، تَقْرِيرُهُ فِي الْإِحْيَاءِ قَوْلَ  
سَهْلِ التَّمْتَرِيِّ : « إِنَّ لِلرُّبُوبِيَّةِ سِرًّا ، لَوْ ظَهَرَ لَبَطَلَتِ  
النُّبُوَّةُ ، وَإِنَّ لِلنُّبُوَّةِ سِرًّا لَوْ ظَهَرَ لَبَطَلَ الْعِلْمُ ، وَإِنَّ  
لِلْعِلْمَاءِ بِهِ سِرًّا لَوْ ظَهَرَ لَبَطَلَتِ الْأَحْكَامُ وَالشَّرَائِعُ »  
قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : أَنْظَرُوا إِلَى هَذَا التَّخْلِيطِ (١)  
الْقَبِيحِ ، وَدَعْوَاهُ أَنْ بَاطِنَ الشَّرِيعَةِ يُخَافُ ظَاهِرَهَا ،  
وَذَلِكَ مِنَ الْهَدْيَانِ .

(١) التخليط القبيح : أى الهديان المزرى

وَأَجْوَابُ : لَا يُنْكَرُ عَلَى سَهْلٍ وَعَلَى الْغَزَالِيِّ ،  
لِأَنَّ مَا ذَكَرَاهُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ ،  
أَيُّ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ وَشَرَائِعِهِ أَسْرَارًا اخْتَصَّ بِهَا  
دُونَ خَلْقِهِ لِشِدَّةِ حِجَابِهِمْ ، وَلَوْ رُفِعَ هَذَا الْحِجَابُ  
لَتَسَاوَى عِلْمُهُمْ وَعِلْمُ سَيِّدِهِمْ ، وَلَا قَائِلَ بِذَلِكَ ، وَمَنْ  
أَرَادَ أَنْ يَشُمَّ رَائِحَةَ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَضْرَةِ رَبِّهِ  
سُبْحَانَهُ قَبْلَ خَلْقِهِ الْخَلْقَ ، أَحَدًا فَرْدًا ، لَا ثَانٍ مَعَهُ  
يَشْهَدُ أَبَدًا ، ثُمَّ يَسْتَصْحِبُ هَذَا الْمَشْهَدَ وَهُوَ نَازِلٌ فِي  
الْمَرَاتِبِ ، مِنْ غَيْرِ تَخَلُّلٍ <sup>(١)</sup> غَفْلَةٍ أَوْ حِجَابٍ ، وَأَكْثَرُ  
مِنْ هَذَا لَا يُقَالُ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا وَاحِدٌ لَا خَلْقَ  
مَعَهُ ، ذَهَبَتِ الرِّسَالَةُ وَالرُّسُولُ لِعَدَمِ وُجُودِ مَنْ  
تَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْأَحْكَامُ ، فَكَانَ بَقَاءُ الرِّسَالَةِ وَأَحْكَامِهَا  
لِعَدَمِ كَشْفِ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فَافْهَمْ ذَلِكَ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ .

(١) تَخَلُّلٌ : أَي دُخُولٌ



الاعتراض  
الخامس عشر

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا، قَوْلُهُ: « ضَاعَ لِبَعْضِ  
الصُّوفِيَّةِ وَلَدٌ صَغِيرٌ فَقِيلَ لَهُ: لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ  
يَرُدَّهُ إِلَيْكَ، فَقَالَ أَعْتَرَاظِي عَلَيْهِ أَشَدُّ مِنْ ذَهَابِ  
وَلَدِي. »

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: لَقَدْ طَالَ تَعَجُّبِي مِنْ أَبِي حَامِدٍ هَذَا  
كَيْفَ يَحْكِي هَذِهِ الْحِكَايَاتِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِحْسَانِ لَهَا،  
وَالرُّضَا عَنْ أَصْحَابِهَا، وَيَعُدُّ الدُّعَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالسُّؤَالَ  
أَعْتَرَاظًا، فَقَدْ طَوَى هَذَا بِسَاطِ الشَّرِيعَةِ طَيًّا، إِذِ الدُّعَاءُ  
مَشْرُوعٌ بِالْإِجْمَاعِ.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ مُرَادَ الْعَزَالِيِّ أَنَّ فِي ذَلِكَ مَعْنَى  
الْإِعْتَرَاظِ، لِأَنَّهُ أَعْتَرَاظٌ، وَإِيضًا هُوَ أَنَّ الْإِعْتَرَاظَ  
يَرْجِعُ إِلَى تَمَنِّي غَيْرِ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،  
وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى ضَيَاعُ وَلَدِ هَذَا الصُّوفِيِّ،



فَرَضِيَ بِقَضَاءِ رَبِّهِ ، وَلَمْ يَطْلُبْ رُجُوعَ وَلَدِهِ ، لِيَتَسَاوَى  
وُجُودُ وَلَدِهِ وَعَدَمُهُ عِنْدَهُ فِي أَىِّ مَكَانٍ كَانَ ، وَلَا  
فَرَقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ فِي دَارِهِ أَوْ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ ،  
لِأَنَّهُ عَبْدٌ لِلَّهِ تَعَالَى لَا عَبْدٌ لَوْلَدِهِ .



وَمَا أَنْكَرُوهُ أَيْضًا عَلَى الْغَزَالِيِّ فِي إِحْيَائِهِ قَوْلُهُ : الاعتراض السادس عشر

كَانَ بَعْضُ الشُّيُوخِ فِي بَدَايَتِهِ يَكْسَلُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ،  
فَالزَّمَ نَفْسَهُ الْقِيَامَ عَلَى رَأْسِهِ طُولَ اللَّيْلِ ، لِتَصِيرَ نَفْسُهُ  
تُحِبُّهُ إِلَى قِيَامِ اللَّيْلِ اخْتِيَارًا ، وَكَذَلِكَ عَالَجَ بَعْضُهُمْ  
حُبَّ الْأَمَالِ فَبَاعَ جَمِيعَ أَمْتَعَتِهِ ، وَرَمَى ثَمَنَهَا فِي الْبَحْرِ  
خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي حُبِّ تَزَكِيَةِ النَّاسِ لَهُ ، وَوَصَفَهُ  
بِالْجُودِ أَوْ الرِّيَاءِ <sup>(١)</sup> فِي فِعْلِهِ الْمَذْكُورِ <sup>(٢)</sup> ، وَلِذَلِكَ كَانَ  
بَعْضُهُمْ يَسْتَأْجِرُ مَنْ يَشْتَمُهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، لِيَعُودَ  
نَفْسَهُ الْجِلْمَ ، وَكَانَ آخِرُ يَرَكَبُ الْبَحْرَ فِي الشَّتَاءِ

(١) الرياء : النفاق (٢) الذائع المشهور

عِنْدَ اضْطِرَابِ الْمَوْجِ لِيَعُوذَ نَفْسَهُ الشَّجَاعَةَ ، وَكَانَ  
بَعْضُهُمْ إِذَا خَافَ النَّوْمَ يَقِفُ عَلَى رَأْسِ حَائِطٍ عَالٍ حَتَّى  
لَا يَأْخُذَهُ النَّوْمُ .

قَالَ الْمُنْكَرُ : أَعْجَبُ مِنْ كُلِّ هَؤُلَاءِ عِنْدِي هُوَ  
أَبُو حَامِدٍ تَفْسُهُ ، كَيْفَ حَكَى هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَلَمْ يُنْكَرْهَا ،  
وَلَكِنْ كَيْفَ يُنْكَرْهَا وَقَدْ آتَى بِهَا فِي مَعْرِضِ اتِّعْلِيمِ  
وَلَمْ يَزِنْهَا بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ ، وَهُوَ قَبْلَ أَنْ يُورِدَ هَذِهِ  
الْحِكَايَاتِ قَالَ : يَنْبَغِي لِلشَّيْخِ أَنْ يَنْظُرَ حَالَةَ الْمُبْتَدِيِّ ،  
فَإِنْ رَأَى عِنْدَهُ مَا لَا حَاضِرًا زَائِدًا عَنِ حَاجَتِهِ أَخَذَهُ  
مِنْهُ فَصَرَفَهُ فِي الْخَيْرِ ، وَفَرَّغَ قَلْبَ الْمُرِيدِ مِنْهُ ، حَتَّى  
لَا يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ رَأَى الْكَبِيرَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ ،  
أَمْرُهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى السُّوقِ لِلْحِرْفَةِ ، وَالسُّؤَالِ  
بِالْإِلْحَاحِ ، وَيُسَكِّفُهُ الْمُواظَبَةَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنْ رَأَى  
الغَالِبَ عَلَيْهِ الْبَطَالََةَ ، اسْتَخْدَمَهُ فِي تَعَهُدِ الْأَخْلِيَّةِ ،

وَتَنْظِيفِهَا مِنْ الْقَدَرِ ، وَمُلَازِمَةِ الْمَطْبِخِ ، وَكَنْسِ  
الْقَادُورَاتِ ، وَمَوَاضِعِ الدُّخَانِ ، وَإِنْ رَأَى شَرَهُ حُبًّا  
الطَّعَامِ غَالِبًا عَلَيْهِ أَلْزَمَهُ الصَّوْمَ ، وَإِنْ رَأَاهُ عَزَبًا  
وَلَمْ تَنْكَسِرْ شَهْوَتُهُ بِالصَّوْمِ ، أَمْرُهُ أَنْ يُفْطِرَ لَيْلَةً  
عَلَى الْمَاءِ دُونَ الْحَبِزِ ، وَلَيْلَةً عَلَى الْحَبِزِ دُونَ الْمَاءِ ،  
وَيَمْنَعُهُ اللَّحْمَ رَأْسًا .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : وَإِنِّي لَأَتَعَجَّبُ مِنْ أَبِي حَامِدٍ هَذَا ،  
كَيْفَ يَأْمُرُ بِهِذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ ، وَكَيْفَ  
يُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُومَ عَلَى رَأْسِهِ طُولَ اللَّيْلِ ؟ وَكَيْفَ  
يُحِلُّ رَمَى الْمَالِ فِي الْبَحْرِ ؟ وَكَيْفَ يُحِلُّ سَبَّ الْمُسْلِمِ  
بِلَا سَبَبٍ ؟ وَهَلْ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَسْتَأْجِرَ مَنْ يَشْتُمُهُ ؟  
وَهَلْ يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُومَ عَلَى رَأْسِ جِدَارٍ عَالٍ وَيُعْرِضَ  
نَفْسَهُ لِلْوُقُوعِ بِالنَّوْمِ فَتَنْكَسِرَ رَقَبَتُهُ فَيَمُوتَ ؟ فَمَا  
أَرْخَصَ مَا بَاعَ أَبُو حَامِدٍ الْفَقِيهَ بِالتَّصَوُّفِ ؟

وَأَجْوَابُ : أَنَّ أَهْلَ الطَّرِيقِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُجْتَهِدُونَ ،  
وَلَا سِيَّيَا فِي تَرْجِيحِ الْأَعْمَالِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَكَلَّمَا  
أَدَّى اجْتِهَادُهُمْ إِلَى أَنَّهُ أَرْضَى لِلَّهِ تَعَالَى ، أَوْ فِيهِ تَقْرِيبٌ  
لِلطَّرِيقِ عَلَى الْمُرِيدِينَ قَدَمُوهُ ، عَلَى أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ  
الشَّيْخَ كَانَ مِمَّنْ أَقْدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمْعِ ذَلِكَ الْمَالِ  
الَّذِي أَقْرَأَ مُرِيدَهُ بِرَمِيهِ فِي الْبَحْرِ ، وَكَذَلِكَ يُحْتَمَلُ  
أَنَّ الشَّيْخَ مَا أَمَرَهُ بِالْوُقُوفِ عَلَى رَأْسِهِ أَوْ عَلَى رَأْسِ جِدَارٍ  
إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَلِمَ قُدْرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ بِإِذْمَانِ سَابِقٍ .

\* \* \*

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا ، حِكَايَتُهُ عَنْ أَبِي تُرَابِ  
النَّخَشَبِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِمُرِيدٍ لَهُ : لَوْ رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدَ مَرَّةً  
وَاحِدَةً كَانَ أَنْفَعَ لَكَ مِنْ رُؤْيَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَبْعِينَ  
مَرَّةً .

الاعتراض  
السابع عشر

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : هَذَا الْكَلَامُ فَوْقَ الْجُنُونِ

بِدَرَجَاتٍ .

وَالْجَوَابُ : لَا يُنْكَرُ تَقْرِيرَهُ أَبَا تُرَابٍ عَلَى مَقَالَتِهِ ،  
لِأَنَّ مُرَادَهُ أَنَّ ذَلِكَ الْمُرِيدَ يَجْهَلُ مَقَامَ الْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةَ  
لِلَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ لَا يَنْتَفِعُ بِرُؤْيَيْهِ ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَنْفَحَهُ (١)  
الْحَقُّ تَعَالَى بِشَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ ، بِخِلَافِ رُؤْيَا أَبِي زَيْدٍ  
فَإِنَّهَا تُعَلِّمُهُ طَرِيقَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعَ خَلْقِهِ ،  
فَكَانَتْ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ رُؤْيَا رَبِّهِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ  
هُوَ ، وَهَذَا هُوَ شَأْنُ أَكْثَرِ النَّاسِ الْيَوْمَ فَلَا يَصِحُّ  
لَهُمْ الْأَخْذُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى لِكَثْرَةِ الْحُجُبِ الَّتِي بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَهُ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِ أَبِي تُرَابٍ ، وَيَأْتِي مُرَادُهُ  
أَنَّ رُؤْيَا أَبِي زَيْدٍ أَفْضَلُ مِنْ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ  
يَعْرِفُهُ .



الاعتراض  
الثامن عشر

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ أَيْضًا عَلَيْهِ فِي حِكَايَتِهِ عَنِ ابْنِ  
الْكَرْبِيِّ شَيْخِ الْجَنَيْدِ أَنَّهُ قَالَ : نَزَلَتْ فِي مَحَلَّةٍ

(١) أن ينفحه : أن يعطيه

فَعُرِفْتُ فِيهَا بِالصَّلَاحِ ، فَشَتَّ (١) قَلْبِي وَنَفَرَ (٢) مِنِّي ،  
فَدَخَلْتُ الْحَمَّامَ ، وَسَرَقْتُ ثِيَابًا فَآخِرَةً وَلَبِسْتُهَا ، ثُمَّ  
لَبِسْتُ مِرْقَعَتِي فَوْقَهَا وَخَرَجْتُ ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي قَلِيلًا  
قَلِيلًا ، فَلَحَقُونِي وَأَخَذُوا مِنِّي الثِّيَابَ ، وَصَفَعُونِي  
وَسَمَّوْنِي ، « لِمَا لِحَمَّامٍ » فَسَكَنْتُ نَفْسِي . قَالَ  
الْغَزَالِيُّ : فَهَكَذَا كَانُوا يُرَوِّضُونَ (٣) أَنْفُسَهُمْ حَتَّى  
يَخْلَصَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فِتْنَةِ النَّظَرِ إِلَى الْخَلْقِ وَمُرَاعَاتِهِمْ  
لَهُ ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ النَّظَرِ إِلَى النَّفْسِ وَأَرْبَابَ الْأَحْوَالِ ، رُبَّمَا  
عَالَجُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا لَا يُفِي بِهِ الْفَقِيهَةُ ، مِمَّا رَأَوْا  
صَلَاحَ قُلُوبِهِمْ بِذَلِكَ ، ثُمَّ يَتَدَارَكُونَ مَا فَرَطَ مِنْهُمْ مِنْ  
صُورَةِ التَّقْصِيرِ ، كَمَا فَعَلَ هَذَا فِي الْحَمَّامِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : سُبْحَانَ (٤) مَنْ أَخْرَجَ أَبَا حَامِدٍ  
مِنْ دَائِرَةِ الْفِقْهِ بِتَصْنِيفِ كِتَابِ الْإِحْيَاءِ ، فَلَيْتَهُ لَمْ

(١) شت : أى بعد وتفرق (٢) نفر : أى تباعد (٣) يروضون

أى يذللون ويسخرون (٤) سبحان : هى هنا للتعجب

يَحْكُ فِيهِ هَذِهِ الْأُمُورَ ، الَّتِي لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ  
الشُّكُوتُ عَلَيْهَا ، وَالْعَجَبُ أَنَّهُ يَحْكِي هَذِهِ الْأُمُورَ  
وَيَسْتَحْسِنُهَا ، وَيُسَمِّي أَصْحَابَهَا أَرْبَابَ الْأَحْوَالِ ، وَأَيُّ  
حَالَةٍ أَقْبَحُ مِنْ حَالٍ مَنْ خَالَفَ الشَّرِيعَةَ ، وَرَأَى الْمَصْلَحَةَ  
فِي النَّعْيِ عَنِ اتِّبَاعِهَا ؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَطْلُبَ صَلَاحَ  
الْقُلُوبِ بِفِعْلِ الْمَعَاصِي ؟ ثُمَّ كَيْفَ يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِي  
مَالِ الْغَيْرِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ؟ فَإِنَّ فِي نَصِّ الْإِمَامِ أَحْمَدَ  
وَالشَّافِعِيِّ أَنَّ مَنْ سَرَقَ مِنَ الْأَحْمَامِ ثِيَابًا عَلَيْهَا حَافِظٌ  
وَجَبَّ قَطَعُ يَدِهِ ، ثُمَّ أَيْنَ أَرْبَابُ الْأَحْوَالِ أَوْلَا ، حَتَّى  
يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى وَفَاقِهِمْ فِي الرِّيَاضَةِ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ ، إِنَّهَا  
لَشَرِيعَةٌ لَوْ رَامَ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ  
يَخْرُجَ عَنْهَا لَمَّا وَجَدَ لِذَلِكَ مَسَافًا <sup>(١)</sup> ، وَلَوْ أَنَّهُ  
خَالَفَهَا وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ لَكَانَ عَمَلُهُ مَرْدُودًا عَلَيْهِ ، إِذْ  
أَلْحَقَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا كَانَ عَلَى وَفْقِ

(١) أى ما يسوغه ويبيحه

الشريعة المطهرة ، قال : وتعجبي من هذا الفقيه الذي  
استلب التصوف عقله وعلمه أكثر من تعجبي من هذا  
المستلب الثياب من الحمام ، فيألت أبا حامد بقي مع  
قواعد الفقه ، واستغنى عن هذه الهديات .

والجواب عن هذا كله كما سبق ، وهو أن القوم  
مجتهدون في أحكام الطريق ، فكل ما رأوه أصلح  
لقلوبهم عملوا به ، وذلك من باب تعارض المفسدين  
فيجب ارتكاب الأخرق منهما . وأما ما يترتب على  
ذلك الفعل شرعاً ، فقد جربوا حمايتهم من وقوع  
العقوبة لهم بسببه ، بل يعرفهم الناس بعد ذلك ويقبلون  
أيديهم فاعلم ذلك .

قلت - أي السيد المرتضى - وقد نقل الغزالي  
مثل هذه الحكاية التي جرت في الحمام لابن  
الكريني ، عن إبراهيم الخواص ، وأنكر عليه ابن  
القيم ، كإنكاره على الأول ، وتعجب من أبي حامد



وَقَالَ : فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَتَّصِفْ ، وَالْجَوَابُ وَاحِدٌ ، وَأَنْ  
لِلْفَقِيرِ أَنْ يُدَاوِيَ قَلْبَهُ بِبَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ ، لِيُدْفَعَ عَنْهُ  
مُحَرَّمًا آخَرَ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ ، قِيَاسًا عَلَى مُدَاوَاةِ الْأَجْسَامِ ،  
وَالْأَمْرَاضِ إِنَّمَا تُدَاوَى بِأَضْدَادِ عِلْمِهَا ، وَأَيْنَ هَلَكَ  
الْأَبْدَانِ مِنْ هَلَكَ الْقُلُوبِ ؟ !

\* \* \*

وَمِمَّا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَيْضًا تَقْرِيرُهُ الشَّبْلِيَّ عَلَى رَمَى  
مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الدَّنَائِيرِ فِي الدَّجَلَةِ ، وَقَالَ مَا أَعَزَّكَ عَبْدٌ  
إِلَّا أَذَاهُ اللَّهُ ؟

الاعتراض  
التاسع عشر

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : وَأَنَا أَعْجَبُ مِنْ أَبِي حَامِدٍ ،  
أَكْثَرَ مِنْ تَعْجِبِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةِ بِالشَّرِيعَةِ ، كَيْفَ  
يُحْكِي ذَلِكَ عَنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْمَدْحِ لَهُمْ ؟ لَا عَلَى وَجْهِ  
الْإِنْكَارِ ، وَأَيُّ رَائِحَةٍ بَقِيَتْ مِنَ الْفِقْهِ عِنْدَ أَبِي حَامِدٍ  
حَتَّى يُكْتَبَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ كُلَّهُمْ  
يَقُولُونَ : إِنْ رَمَى الْمَالَ فِي الْبَحْرِ لَا يَجُوزُ .

وَأَجْوَابُ قَدْ تَقَدَّمَ مِرَارًا ، مِنْ أَنْ أَهْلَ الطَّرِيقِ  
مُجْتَهِدُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ وَأَنَّ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ أُرْتِكَابَ  
أَخْفِ الضَّرَرَيْنِ إِذَا تَعَارَضَ مَعَنَا مَفْسَدَتَانِ ، وَقَدْ تَعَارَضَ  
هُنَا أَمْرَانِ ، أَحَدُهُمَا مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ ، فَقَدَّمُوهُ عَلَى الْمَفْسِدِ  
لِلدُّنْيَا ، فَافْهَمُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

\*\*\*

وَمِمَّا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَيْضًا ، مَا حَكَاهُ عَنْ شَقِيقِ  
الْبَلْخِيِّ أَنَّهُ رَأَى مَعَ شَخْصٍ رَغِيفًا لِيُفْطَرَ عَلَيْهِ مِنْ  
صَوْمِهِ ، فَهَجَرَهُ وَقَالَ : تُمْسِكُ رَغِيفًا إِلَى اللَّيْلِ ؟  
قَالَ ابْنُ الْقَسِيمِ : انظُرُوا إِلَى هَذَا أَجْهَلِ الْعَظِيمِ  
بِالشَّرِيعَةِ ، كَيْفَ يَفْعَلُ مُحَرَّمًا لِأَجْلِ أَمْرٍ مُبَاحٍ ، وَكَيْفَ  
يَجُوزُ هَجْرُ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُسَوِّغٍ لِذَلِكَ ، وَالَّذِي  
عِنْدِي أَنَّ هُوَ لَأَوْلَى لِمَا قَلَّ عَلَيْهِمُ بِالشَّرْعِ ، صَدَرَتْ مِنْهُمْ  
هَذِهِ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ الْمُخَالَفَةُ لِلشَّرِيعَةِ . وَقَدْ كَانَ  
يَحْيَى بْنُ يَحْيَى يَقُولُ : عِنْدِي أَنَّ مُخَالَفَةَ الصُّوفِيَّةِ مِنْ جُمْلَةِ

الاعتراض  
العشرون

طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَكِنْ أَصْطَلَحَ الذُّنْبُ وَالنَّمَمُ ،  
وَقَدْ أَنْكَرَ الْفُقَهَاءُ بِمِصْرَ عَلَى ذِي النُّونِ <sup>(١)</sup> ، وَأَخْرَجُوهُ  
مِنْ أُنْجِيمَ - إِلَى الْجَزِيرَةِ - إِلَى بَغْدَادَ .

وَكَذَلِكَ أَنْكَرُوا عَلَى أَبِي يَزِيدَ الْبُسْطَامِيِّ ، وَعَلَى  
أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ ، وَأَحْمَدَ ابْنِ أَبِي الْخَوَارِزِيِّ ، وَسَهْلِ  
الْتَشْتَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِمَا كَانُوا يَقْعُونَ فِيهِ مِنْ  
مُخَالَفَةِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ . قَالَ : أَيُّ ابْنِ الْقَيْمِ .

وَقَدْ كَانَتْ الزَّنَادِقَةُ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ يَكْتُمُونَ  
حَالَهُمْ ، وَلَمْ يَتَجَسَّرُوا عَلَى إِظْهَارِ مَا عِنْدَهُمْ ، حَتَّى جَاءَتْ  
الصُّوفِيَّةُ ، فَرَفَضُوا الشَّرِيعَةَ جَهْرًا ، وَتَسْتَرُّوا بِمَسْمَى  
الْحَقِيقَةِ ، وَصَارُوا يَقُولُونَ : « هَذَا شَرِيعَةٌ » ، وَهَذَا  
حَقِيقَةٌ » ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْأُمُورِ ، لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ  
وَضَعَهَا الْحَقُّ تَعَالَى لِصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الدَّارَيْنِ ، فَمَا الْحَقِيقَةُ  
بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا إِلْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِي النَّفْسِ ، وَقَدْ تَمَادَى

(١) ذِي النُّونِ : صَالِحٌ مِنْ كِبَارِ الصُّوفِيَّةِ

هُؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ فِي غِيهِمْ حَتَّى صَارَ أَحَدُهُمْ يَقُولُ :  
 حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي ، وَفِي ذَلِكَ تَصْرِيحٌ بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ  
 بَعْتَةِ الرُّسُلِ ، وَهُوَ كُفْرٌ ، وَهِيَ حِكْمَةٌ مَدْسُوسَةٌ  
 فِي الشَّرِيعَةِ تَحْتَهَا هَذِهِ الزَّنْدَقَةُ <sup>(١)</sup> وَلَكِنْ قَدْ صَارَ  
 الْخَوَارِجُ عَنِ الشَّرِيعَةِ كَثِيرًا بِالسُّكُوتِ عَلَى هُؤُلَاءِ  
 الْجُهَالِ الَّذِينَ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِالصُّوْفِيَّةِ . . . إلخ .  
 وَالْجَوَابُ : أَمَّا هَجْرُ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ لِمَنْ أَمْسَكَ  
 الرَّغِيفَ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَهُوَ جَائِزٌ لِيُخْرِجَهُ مِنْ وَرْطَةِ  
 الْحَرْصِ ، وَطُولِ الْأَمَلِ ، وَالْوُقُوعِ فِي رَائِحَةِ الْإِتِّهَامِ  
 لِلْحَقِّ تَعَالَى فِي أَنَّهُ يُضِيعُهُ وَيُمِيتُهُ جُوعًا ، إِذْ أَلَمْ يُمْسِكِ  
 الرَّغِيفَ ، وَلَوْ أَنَّهُ قَوَّى يَقِينَهُ ، لَكَانَ تَرَكَ إِمْسَاكَ  
 الرَّغِيفِ وَطَلَبَهُ وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فَقَطُّ ، وَأُسْتَرَّاحَ مِنْ  
 الْوُقُوعِ فِي الْحَرْصِ ، وَالشَّكِّ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُضِيعُهُ ،  
 فَإِنَّ ذَلِكَ الرَّغِيفَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَقْسُومًا لَهُ ،

(١) الزندقة : الكفر باطنا مع التظاهر بالإيمان

فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَهُوَ وَلَوْ رَمَاهُ فِي السُّوقِ  
يَعُودُ إِلَيْهِ ، وَإِمَّا أَلَّا يَكُونَ مَقْسُومًا لَهُ ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ  
فِي إِمْسَاكِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا أَمْسَكَهُ إِلَى وَقْتِ الْفِطْرِ لَا يَقْدِرُ  
عَلَى أَكْلِهِ ، بَلْ يَأْكُلُهُ غَيْرُهُ فَتَأْمَلْ .

ثُمَّ إِنَّ الْعِلَّةَ فِي تَحْرِيمِ الْهَجْرِ ، إِنَّمَا هُوَ الْأَذَى  
لِلْمُسْلِمِ بِغَيْرِ طَرِيقٍ شَرْعِيٍّ ، كَأَنْ يَكُونَ لِحِظِّ نَفْسِيٍّ ،  
وَأَمَّا هَجْرُ الشَّيْخِ لِلْمُرِيدِ لِيُقَبِّحَ فِي عَيْنِهِ الْمُبَاحَ الَّذِي  
يَجْرُهُ إِلَى حَرَامٍ ، فَلَا مَنَعَ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْ  
الشَّيْخِ وَالْمُرِيدِ ، وَقَدْ كَانَ تَابِعَهُ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ  
وَالرِّضَا بِمَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْعُقُوبَاتِ لَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ الرَّدِيئَةِ  
فَأَفْهَمٌ .

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ الْقَيْمِ : إِنَّ مُخَالَفَةَ الصُّوفِيَّةِ مِنْ طَاعَةِ  
اللَّهِ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُبْحِ ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الصُّوفِيِّ أَنَّهُ عَالِمٌ  
عَمِلَ بِعِلْمِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِخْلَاصِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُخَالَفَةً  
مِثْلَ هَذَا فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ؟ وَالْإِطْلَاقُ

فِي مَحَلِّ التَّفْصِيلِ خَطَأً وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ :  
إِنَّ مُخَالَفَةَ مَنْ ائْتَسَبَ إِلَى الصُّوْفِيَّةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ  
طَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ<sup>(١)</sup> إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لِتَخْرُجَ أئِمَّةُ الطَّرِيقِ .  
وَأَمَّا ائْتَسَابُهُ عَلَى أَهْلِ الْحَقِيقَةِ ، وَقَوْلُهُ : إِنَّ  
الشَّرِيعَةَ كَانَتْ كَأَفِيَّةٍ عَنِ الْحَقِيقَةِ ، فَهُوَ كَلَامٌ صَدَرَ بِلا  
تَأَمُّلٍ ، فَفَدَّ قَدَمُنَا أَنَّ الْحَقِيقَةَ غَايَةُ مَرْتَبَةِ الشَّرِيعَةِ ،  
وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ فِي مَرْتَبَةِ الشَّرِيعَةِ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ ،  
إِحْدَاهُمَا مَنْ عَمِلَ بِالشَّرِيعَةِ تَقْلِيدًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ  
إِلَى مَقَامِ الْيَقِينِ ، وَالثَّانِيَةُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى  
مَقَامِ الْيَقِينِ ، فَلَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ بِأَمْرٍ زَائِدٍ عَلَى الشَّرِيعَةِ ،  
لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ إِخْبَارٌ بِالْأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي  
نَفْسِهَا ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الشَّرِيعَةِ ، فَإِنَّ الشَّارِعَ لَا يُجْبِرُ  
إِلَّا بِالْوَاقِعِ ، فَغَايَةُ أَمْرِ التَّصَوُّفِ ، الْوُصُولُ بِالرِّيَاضِيَّاتِ  
وَالْمُجَاهَدَاتِ إِلَى مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ .

(١) قرينة : التربة ما يتقرب به إلى الله تعالى من أفعال البر والطاعة

وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنْ مَنْ قَالَ « حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي  
يَكْفُرُ » فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ لِقَائِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَإِنَّمَا يَكُونُ  
كُفْرًا لَوْ قَالَ أَعْطَانِي اللَّهُ أَمْرًا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ وَصَارَ  
يَتَدَيَّنُ بِهِ ، وَأَمَّا إِذَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ مِنْ طَرِيقِ الْإِلْهَامِ  
وَالْتَحْدِيثِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ سَيِّدِنَا عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -  
عَلَى أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ وَدَقَائِقِهَا ، وَعَلَى زِيَادَةِ آدَابٍ فِي  
الْعَمَلِ بِهَا ، فَلَا مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا بَلَّغْنَا أَنْ أَحَدًا مِنْ  
الْأَوْلِيَاءِ أَدْعَى أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ التَّقْلِيدِ <sup>(١)</sup> لِلشَّارِعِ ،  
أَوْ خَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ عِلْمِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبَدًا ، بَلْ  
كُلُّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنْ جَمِيعَ عُلُومِهِمْ مِنْ بَاطِنِ شَرْعِهِ  
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِهِمُ الْعَمَلُ بِمَا فِيهِمْ  
مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمُوَافَقَتِهِ لِهَيْمَانِهِمَا .  
وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِابْنِ الْقِيَمِ مَا ظَنَّهُ بِالصُّوفِيَّةِ ، فَإِنَّهُ  
ذَبَّ عَنِ الشَّرِيعَةِ بِحَسَبِ فِهْمِهِ .

(١) التقليد : هو محاكاة الإنسان فعل غيره



الاعتراض  
الحادى  
والعشرون

وَمِمَّا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : لَا وَجْهَ لِتَحْرِيمِ سَمَاعِ  
الْأَصْوَاتِ الْمَطْرِبَةِ مَعَ الضَّرْبِ بِالْقَضِيبِ وَالتَّصْفِيقِ ،  
فَإِنَّ آحَادَ هَذِهِ الْأُمُورِ حَلَالٌ ، فَكَذَلِكَ إِنْ اجْتَمَعَتْ  
تَكُونُ مُبَاحَةً ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى تَحْرِيمِ السَّمَاعِ ، مِنْ  
نَصٍّ وَلَا قِيَاسٍ ، وَإِذَا كَانَ الصَّوْتُ مَوْزُونًا فَلَا  
تَحْرِيمَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : لَقَدْ نَزَلَ أَبُو حَامِدٍ بِهَذَا الْاِحْتِجَاجِ  
عَنْ رُتْبَةَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ ، وَإِنِّي لَا تَعْجَبُ مِنْ اِنْسِلَاحِهِ  
عَنِ الْفِقْهِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْهَدْيَانَاتِ .

وَالْجَوَابُ : إِنَّ الْغَزَالِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - كَانَ  
مُجْتَهِدًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ بِإِبَاحَةِ  
اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأُمُورِ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : وَقَدْ بَلَّغْنَا عَنْ الْغَزَالِيِّ مَا هُوَ  
أَفْبَحُ مِنَ الْقَوْلِ بِإِبَاحَةِ الْغِنَاءِ مَعَ آلَةِ الْمَطْرِبَةِ ، وَهُوَ



قَوْلُهُ « مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَشَقَهُ وَأَشْتَقَ إِلَى  
لِقَائِهِ ، فَالَسَّمَاعُ فِي حَقِّهِ مُوَكَّدٌ لِعِشْقِهِ ، قَالَ وَهَذَا  
خَطَأٌ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْعِشْقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ  
يَقْتَضِي مُمَاسَّةَ الْعَاشِقِ لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ مُحَالٌ ، ثُمَّ أَيْ  
تَوَكُّدِ لِعِشْقِهِ فِي نَحْوِ قَوْلِ الْمُعْنَى ؟

ذَهَبِيُّ اللَّوْنِ تَحَسَّبُ مِنْ

وَجَنَّتِيهِ النَّارُ تَنْقِدِحُ

وَمَا وَجْهُ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ ، وَبَيْنَ خَالِقِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، حَتَّى يُعْشَقَ - تَعَالَى اللَّهُ - عَنْ قَوْلِ  
هُؤُلَاءِ الْمُلْحِدِينَ عَلُوًّا كَبِيرًا - قَالَ : ثُمَّ الْعَجَبُ  
مِنَ الصُّوفِيَّةِ إِبَاحَةُ مِثْلِ ذَلِكَ ، مَعَ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ أَعْرَفُ  
بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِهِمْ ، هَذَا مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى جَهْلِهِمْ  
بِاللَّهِ تَعَالَى .

قَالَ : وَكَثِيرًا مَا يَقُولُونَ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ سَلَّمُوا لَهُ

حَالَهُ ، وَلَيْسَ لَنَا أَحَدٌ مِّنَ الْخَلْقِ يُسَلِّمُ لَهُ مَا يَفْعَلُ إِلَّا  
الْشَّارِعُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا غَيْرُ ، لِعِصْمَتِهِ <sup>(١)</sup> ،  
بِخِلَافِ غَيْرِ الْمَعْصُومِ .

وَأَجْوَابُ : لَا إِنْكَارَ عَلَى الْغَزَالِيِّ وَغَيْرِهِ فِي تَسْمِيَةِ  
مَحَبَّةِ اللَّهِ عِشْقًا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِذْ لَنَا نَهْيٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَإِيضًا  
فَإِنَّ الْعِشْقَ أَوَائِلُ مُقَدِّمَاتِ الْمَحَبَّةِ ، فَلَوْ سَمَّيْنَا الْعَاشِقَ  
لِلَّهِ تَعَالَى مُحِبًّا لَهُ ، كَانَ كَذِبًا ، فَالْعَاشِقُ يَطْلُبُ الْقُرْبَ  
مِنْ حَضْرَةِ مَحْبُوبِهِ ، لَا الْإِتِّصَالَ بِهِ ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ  
ذَلِكَ مُحَالٌ ، فَلَا أُعْتَرِضُ عَلَى الْغَزَالِيِّ وَلَا لَوْمْ عَلَيْهِ فِي  
قَوْلِهِ بِأَخْذِ الْإِشَارَاتِ مِنَ الْأَشْعَارِ وَغَيْرِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ  
مَا فِي الْوُجُودِ دَلِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ  
يَأْخُذَ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ الْمُحَرَّكَةَ لِلْوَجْدِ <sup>(٢)</sup> مِنْ نَفْسِهِ أَوْ  
مِنْ غَيْرِهِ ، كُلُّهُ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْقَوْمَ

( ١ ) لعصمته : العصمة الصيانة من المعاصي أو الخطأ (٢) الوجد :

يَتَكَلَّمُونَ غَالِبًا بِلِسَانِ الشُّكْرِ وَالشَّوْقِ ، لَا بِلِسَانِ  
الصَّخْرِ وَالْعِلْمِ ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا نَجِدُهُ فِي كَلَامِهِمْ  
لَا يَتَّبِعِي لَنَا إِنْكَارُهُ ، إِلَّا إِذَا وَجَدْنَا أَحَدَهُمْ صَاحِبًا مِنْ  
سُكْرِ الْحَالِ .

\* \* \*

وَقَدْ خَتَمَ صَاحِبُ « إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَقِينَ » هَذَا  
الِدَّفَاعِ التَّفْصِيلِيَّ الْمُسَهَّبَ الْمُسْتَطِيلَ ، الَّذِي التَّرْمَنَا نَقْلَهُ  
عَلَى سِيَّافِهِ لِبَيَانِ الْحُجَجِ عَلَى الدَّعَاوَى ، حَتَّى لَا يَقَعَ  
الْبُسْطَاءُ فِي الْمَطَاعِنِ فَيُصَدِّقُوهَا وَيَأْخُذُوا بِهَا ، وَهِيَ  
بِغَيْرِ مَا يُدْحِضُهَا ، وَلَا مَقْرُونَةٍ بِمَا يَرُدُّهَا ، وَبِحَسَبِ  
كِتَابِ خَالِدِ جَلِيلٍ كَالْإِحْيَاءِ ، أَحَدَثَ دَوِيًّا رَهيبًا ، وَغَزَا  
الْأَذْهَانَ غَزْوًّا ، أَنْ تُعَدَّ مَا أَخَذَهُ إِنْ صَحَّتْ تَسْمِيئُهَا  
كَذَلِكَ ، وَأَنْ تُحْصَى بِهِذَا الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مَعَايِيهُ ، إِنْ جَازَ  
أَنْ يَكُونَ بَعْضُ هَذَا مَعِيبًا ، وَقَدْ رَأَيْنَا الْحُجَجَ قَوِيَّةً  
عَلَيْهِ جَمِيعًا .

تَقُولُ : لَقَدْ خَتَمَ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى هَذَا الدَّفَاعَ  
الْمُسْتَفِيضَ الْمَكِينِ بِكَلِمَةٍ فِي الْكِتَابِ وَتَقْدِيرِهِ ،  
وَوَصَفِ لِرُوحِ الْغَزَالِيِّ وَمَنْبَعِهِ ، فَجَاءَتْ مِنَ الْكَلِمِ  
النُّوَابِغِ <sup>(١)</sup>

قَالَ : هَذَا مَا تَسَّرَ بَيَانُهُ مِمَّا أَنْكَرَ عَلَيَّ أَبِي حَامِدٍ  
الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ الْأَحْيَاءِ ، وَهُمْ أَيْ الْمُنْكَرُونَ مِنْ  
طَوَائِفِ شَتَّى ، مَا بَيْنَ مَغَارِبِيَّةٍ وَمَشَارِقِيَّةٍ وَمَالِكِيَّةٍ  
وَشَافِعِيَّةٍ وَحَنَابِلِيَّةٍ ، فَمِنَ الْأَوْلَى ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَالْمَازَرِيُّ  
وَالطَّرُطُوشِيُّ وَالْقَاضِي عِيَّاضٌ وَابْنُ الْمُنِيرِ ، وَمِنَ الثَّانِيَةِ  
ابْنُ الصَّلَاحِ ، وَيُوسُفُ الدَّمَشَقِيُّ وَالْبَدْرُ الْأَزْرُكَشِيُّ ،  
وَالْبُرْهَانُ الْبِقَاعِيُّ ، وَمِنَ الثَّلَاثَةِ ابْنُ الْجُوزِيِّ وَابْنُ  
تَيْمِيَّةَ ، وَابْنُ الْقَيْمِ وَآخَرُونَ .

وَقَدْ أوردْنَا أَعْتَرَاضَاتِهِمْ ، وَبَيْنَا وَجْهَ الْأَجْوِبَةِ  
وَالِإِعْتِذَارِ عَنِ الْغَزَالِيِّ ، حَسْبًا تَقْلِنَاهُ عَنِ الْأَثْبَاتِ  
الْمُتَّقِنِينَ .

(١) النوايغ : جمع نايغة وهو المجيد الفصيح وهو استعمال مجازي

وَأَمَّا الْمُجِبُّونَ لِطَرِيقَتِهِ ، وَالْمُهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ ،  
فَكَثِيرُونَ ، وَجَلَالَةُ قَدْرِهِ ، وَفَخَامَةُ كِتَابِهِ ، أَشْهَرُ  
مِنَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ ، وَمَا أَحَاطَ بِمَقَامِ كِتَابِهِ ،  
إِلَّا مَنْ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ الْأَنْوَارَ ، إِذْ كِتَابُهُ مُتَكَفَّلٌ  
بِبَيَانِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ عِلْمُ الْعَقْلِ ، وَعِلْمُ  
الْأَحْوَالِ ، وَعِلْمُ الْأَسْرَارِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ عِلْمِ الْأَحْوَالِ  
فَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالدَّوْقِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَاقِلٌ  
عَلَى ذَوْقِهِ وَلَا وَجْدَانِهِ ، وَلَا أَنْ يُقِيمَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ دَلِيلًا ،  
وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ عِلْمِ الْعَقْلِ ، وَعِلْمِ الْأَسْرَارِ ، وَهُوَ  
إِلَى عِلْمِ الْأَسْرَارِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى عِلْمِ الْعَقْلِ النَّظَرِيِّ ،  
وَلَا يَسْكَادُ يَلْتَدُّ بِهِ إِذَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ نَبِيٍّ ، إِلَّا أَصْحَابُ  
الْأَذْوَاقِ السَّلِيمَةِ ، وَعَلَامَةُ هَذَا الذَّوْقِ ، كَوْنُهُ خَارِجًا  
عَنْ مَوَازِينِ الْعُقُولِ ، عَكْسَ الْعِلْمِ الْمَكْتَسَبِ ، إِذْ  
الْعِلْمُ الْمَكْتَسَبُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِي مِيزَانِ  
الْعُقُولِ ، وَلِذَلِكَ لَا تَتَسَارَعُ النَّاسُ إِلَى إِنْكَارِهِ ، وَعِلْمُ

الْأذْوَاقِ لَمَّا كَانَ خَارِجًا عَنِ مَوَازِينِ الْعُقُولِ ، تَسَارَعَتْ  
النَّاسُ إِلَى إِنْكَارِهِ وَرَدَّهِ وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ فِي بَيَانِ  
الْمَقْصُودِ .

\* \* \*

— أَسْلُوبُهُ وَرَسَائِلُهُ وَشِعْرُهُ —

تَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ هُنَا عَنْ أَسْلُوبِ الْغَزَالِيِّ وَوَلَعْتِهِ ،  
وَطَرِيقَتِهِ فِي الشَّرْحِ ، وَصَيِغِ بَيَانِهِ وَنَوْعِ عِبَارَتِهِ ،  
بَعْدَ أَنْ أُسْلِفْنَا لَكَ شُدُورًا <sup>(١)</sup> مِنْ كُتُبِهِ وَفَقْرًا مِنْ  
تَوَالِفِهِ ، وَقُطُوفًا مِنْ ثَمَرِهِ ، وَنَحْسَبُكَ قَدْ أَدْرَكَتَ  
مِنْهَا أَنَّ أَسْلُوبَ الْغَزَالِيِّ تَغْلِبُ عَلَيْهِ السُّهُولَةُ ، فِي غَيْرِ  
صَنْعَةٍ ، وَالْبَسَاطَةُ فِي غَيْرِ كُلْفَةٍ ، وَالْمَائِيَّةُ الْمُنْسَرِبَةُ  
فِي رِفْقٍ ، فَلَا تَرَى عَلَى أَسْلُوبِهِ شَيْئًا مِنْ عُنْفِ الْبَيَانِ ،  
أَوْ حَبْكَةِ الصِّيَاغَةِ ، أَوْ مَتَانَةِ النَّسِيَجِ ، وَلَكِنَّهُ  
يَتَبَسَّطُ فِي شُرُوحِهِ ، كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ ، أَوْ يَتَحَدَّثُ

وصف عبارة  
الغزالي

(١) شُدُورًا : جمع الشذر وهو قطع من الذهب تلتقط من معدنه والمراد

جمل من كتبه

إِلَيْكَ ، فِي أَنْطِلَاقَةِ حُلُومِهِ ، وَشَطَحَاتِ<sup>(١)</sup> طِوَالِهِ ، وَغَزَارَةِ  
 مَادَّةِهِ ، وَلَا يَهْمُهُ التُّطْرِيَةُ<sup>(٢)</sup> فِي الْأَسْلُوبِ ، أَوْ التَّجْمُلُ  
 بِالثَّرُوبِ وَالشَّمْلَةِ وَالْأَكْسِيَّةِ ، وَلَا يَحْفِلُ أَهْوَى بَادِيِ  
 الْجُمْلَةِ بِالِاسْمِ وَالْمُبْتَدَأِ أَوْ مُسْتَهْلِهَا بِالْفِعْلِ ، لِأَنَّ كُلَّ  
 هَمٍّ مُنْصَرَفٌ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى قَلْبِكَ مِنْ أَقْصَرِ طَرِيقٍ  
 وَالتَّفُؤُذِ إِلَى إِبْكَ بِأَيْسَرِ مَا تَكُونُ الْعِبَارَةُ ، وَأَجْمَلِ  
 مَا يَكُونُ الْأَدَاءُ ، إِذَا مَا اسْتَوْفَى الْوُضُوحَ وَتَمَّ لَهُ الْإِفْصَاحُ  
 وَتَيْسَرَ الْبَيَانُ وَالْإِعْلَانُ .

\* \* \*

وَقَدْ كَانَ الْغَزَالِيُّ حَكِيمًا يَنْبَغِثُ مَعَ نَفْسِهِ فِي ضَرْبِ  
 أسلوب الترهيب والترهيب

مِنَ التَّرْغِيبِ ، وَنَوَاحٍ مِنَ التَّرْهِيبِ ، وَقَدْ اُنْتَضَى ذَلِكَ  
 مِنْهُ الْأَسْلُوبَ الْخَطَّابِيَّ الْمُرْسَلَ عَلَى سَجِيَّتِهِ الْمُنْطَلِقَ  
 عَلَى أَعْتَبِهِ ، فَكَلَّمَا حَلَا لَهُ قَالَهُ ، وَكَلَّمَا وَجَدَهُ عَلَى  
 ضِفَافِ خَاطِرِهِ ، مَلَأَ مِنْهُ حَتَّى الْحِفَافِينَ وَسَقَى النَّاسَ ،

(١) شطحات : أى شوارد (٢) النظرية : التزيين

( ٩ - الغزالي - ثان )

وَإِنَّهُ لَيْرُوبِحٍ وَيُطْفِئُ غُلَّتَهُمْ ، وَيَنْقَعُ <sup>(١)</sup> ظَأْمُهُمْ غَيْرَ  
مُكْتَفٍ بِالنَّهْلِ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا مُجْتَرِيٍّ بِالْوَشْلِ وَلَا مُقْتَصِرٍ عَلَى  
الْجُرْعِ الْقَلَالِ .

\*\*\*

وَمَا أَمْتَاَزَ بِهِ أُسْلُوبُهُ فِي كُتُبِهِ ، كَثْرَةُ الْإِسْتِشْهَادَاتِ  
وَجَزَالَةُ الْأَمْثَلَةِ وَغَزَاوَةُ الرُّوَايَاتِ ، وَتَتَابُعُ الْحِكَايَاتِ  
وَالْأَسَانِيدِ ، فِي لُغَةٍ سَهْلَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَأَسْتِطْرَادٍ أَخَاذٍ  
بِالْقَلْبِ ، نَفَازٍ إِلَى الْعَمِيمِ .

كثرة الأمثلة  
والاستشهاد

\*\*\*

وَلَيْسَ فِي كُتُبِ الْمُؤَلِّفِ أَوْ فِي أَكْثَرِهَا مَا يَسْتَعْصَى  
عَلَى أَفْهَامِ سَوَادِ النَّاسِ وَعَوَامِهِمْ ، وَجُمْهُورِهِمْ ، لِأَنَّهُ  
تَحَاشَى فِي أَكْثَرِ تَوَالِيفِهِ الْأُسْلُوبَ الْعَلْمِيَّ ، أَوْ صِغَعَ  
الْجَدَلِيِّينَ ، وَمَصْطَلَحَاتِ الْمُقَهَّمَاءِ ، وَإِنَّمَا مَضَى سَلِسًا ،  
سَائِعًا لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْأَذْهَانِ .

السهولة  
والوضوح

(١) ينقع : يروي (٢) النهلة : الشرب الاول . والوشل : القليل من الماء



\*\*\*

وَمَا رَأَيْنَا مُوَلِّمًا حَسَنَ الْأَخِيلَةِ ، جَيِّدَ الْأِسْتِمَارَاتِ كثرة الأخيلة والاستمارات  
وَسَطَ مَوْضُوعَاتٍ جَافَةٍ ، وَعُلُومٍ مُسْتَدَقَّةٍ ، وَبُحُوثٍ  
مُتَشَمِّبَةٍ ، فِي مِثْلِ بَرَاءَةِ الْغَزَالِيِّ ، فِي التَّسْدِيلِ عَلَى  
أَفْكَارِهِ بِالطَّفِ التَّشْبِيهَاتِ ، وَأَجْمَلِ الثَّمَلِ ، وَأَدَقِّ  
الْمَجَازَاتِ ، حَتَّى لَقَلَّ مَنْ يَقْرَأُ الْغَزَالِيَّ ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِهِ  
وَلَا يُؤْخَذُ بِفُتُونِ بَيَانِهِ ، وَرِقَّةِ غَلَائِلِ شُرُوحِهِ ، وَحُسْنِ  
شَمَلَاتِ تَفْسِيرِهِ وَإِيضًا بِهِ .

\*\*\*

وَقَدْ قَالَ الْفَخْرُ بْنُ عَسَاكِرٍ بِسَبِيلِ اسْلُوبِهِ وَلُغَتِهِ :  
الاعطالط والرد عليها  
إِنَّهُ كَانَ مِمَّا يُعْتَرَضُ عَلَى الْغَزَالِيِّ وَقُوعُ خَلَلٍ فِي كِتَابِهِ  
مِنْ نَاحِيَةِ النَّحْوِ ، وَرُوجِعَ الْغَزَالِيُّ فِي ذَلِكَ فَأَنْصَفَ  
مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ مَا مَارَسَ ذَلِكَ الْفَنَّ ، وَأَكْتَفَى  
بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُؤَلِّفُ الْخُطَبَ ،  
وَيُشْرَحُ الْكُتُبَ ، بِالْعِبَارَاتِ الرَّائِفَةِ ، الَّتِي تَعْجِزُ

الأدبَاءِ وَالْفُصْحَاءِ عَنِ أَمْثَالِهَا ، وَأُذِنَ لِلَّذِينَ يُطَالِمُونَ  
كُتِبَهُ ، فَيَعْتَرُونَ عَلَى خَلَلٍ فِيهَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ أَنْ  
يُصْلِحُوهُ وَيَعْذِرُوهُ ، فَمَا كَانَ قَصْدُهُ إِلَّا الْأَمْعَانِي وَتَحْقِيقَهَا  
دُونَ الْأَلْفَاطِ وَتَلْفِيحِهَا .

\* \* \*

وَقَدْ أَنْكَرَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى النَّزَالِيِّ إِشَارَةَ  
الرُّخْصَةِ وَالسَّعَةِ فِي الثَّقَلِ وَالرُّوَايَةِ وَالْأَحَادِيثِ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْآثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ  
وَالتَّابِعِينَ وَمُتَقَدِّمِي السَّلَفِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ قَدْ يَتَّفِقُ لَهُ  
فِي سِيَاقِهِ وَإِيرَادِهِ ذَلِكَ وَنَحْوَهُ ، مُخَالَفَةُ الْأَلْفَاطِ ،  
وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ ، وَالزِّيَادَةُ وَالنَّقْصُ ، مَعَ مُوَافَقَةِ  
الْمَعْنَى وَتَطَابُقِهِ .

الترخص في  
قول الحديث

\* \* \*

وَقَدْ عَرَضَ الزَّيْدِيُّ لِهِذَا الَّذِي أَنْكَرَ عَلَيْهِ  
مُعْتَذِرًا عَنْهُ فَقَالَ : إِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْتَبِرُ

تسوية ذلك

فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَلْفَاظَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ  
تَحْرِيرُ الْأَلْفَاظِ عِنْدَهُ وَاجِبًا إِذَا أَتَى بِالْمَعْنَى ، بَعْدَ عَلَيْهِ  
بِتَصْرِيفِ الْكَلَامِ وَبِتَفَاوُتِ وُجُوهِ الْمَعَانِي ، وَاجْتِنَابِهِ  
لِمَا يَكُونُ بِهِ تَحْرِيفٌ أَوْ إِحَالَةٌ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ .

\*\*\*

القائلون بجواز  
ايراد المعنى دون  
الالفاظ ذاتها

وَقَدْ رَخَّصَ فِي سَوَقِ الْحَدِيثِ بِالْمَعْنَى دُونَ سِيَاقِهِ  
عَلَى اللَّفْظِ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ عَبَّاسٍ ، وَأَنَسُ بْنُ  
مَالِكٍ ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَوَالِدُهُ بْنُ الْأَسْقَعِ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ يَكْثُرُ عَدْدُهُمْ  
وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، ثُمَّ الشَّافِعِيُّ ، وَعَمْرُو  
أَبْنُ دِينَارٍ ، وَأَبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَعِكرَمَةُ .  
وَقَالَ أَبُو سَيْرِينَ : كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنْ عَشْرَةِ  
أَشْخَاصٍ ، الْمَعْنَى وَاحِدٌ ، وَالْأَلْفَاظُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَكَذَلِكَ  
اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُ الصَّحَابَةِ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرُوهُ تَامًا ، وَمِنْهُمْ

مَنْ يَأْتِي بِالْمَعْنَى ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُورِدُهُ مُخْتَصِرًا ، وَبَعْضُهُمْ  
يُعَارِضُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ ، وَيَرَاهُ سَائِعًا إِذَا لَمْ يُخَالِفِ الْمَعْنَى ،  
وَكَلُّهُمْ لَا يَتَعَمَّدُ الْكُذِبَ ، وَجَمِيعُهُمْ يَقْصِدُونَ الصِّدْقَ  
وَمَعْنَى مَا سَمِعَ ، فَلِذَلِكَ وَسَمِعَهُمْ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّمَا  
الْكُذِبُ عَلَى مَنْ تَعَمَّدَهُ .

وَقَالَ جُمْهُورُ السَّلَفِ وَالْخَافِ ، مِنْ الطَّوَائِفِ مِنْهُمْ  
الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ : يَجُوزُ بِالْمَعْنَى فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ، إِذَا قُطِعَ  
بِإِدَاءِ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ أَحْوَالُ  
الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ رَوَايَتُهُمُ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ  
بِالْفَاطِئِ مُخْتَلِفَةٍ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْمَسْأَلَةِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ رَوَاهُ ابْنُ  
مَنْدَةَ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، مِنْ  
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَكْثَمِ اللَّيْثِيِّ ، قُلْتُ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي إِذَا سَمِعْتُ مِنْكَ الْحَدِيثَ لَا أَسْتَطِيعُ  
أَنْ أَرْوِيَهُ كَمَا أَسْمَعُ مِنْكَ ، يَزِيدُ حَرْفًا أَوْ يَنْقُصُ

حَرَفًا ، فَقَالَ : « إِذَا لَمْ تُحِلُّوا حَرَامًا وَلَمْ تُحَرِّمُوا حَلَالًا  
وَأَصَبْتُمْ الْمَعْنَى فَلَا بَأْسَ » فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلْحَسَنِ فَقَالَ :  
« لَوْلَا هَذَا مَا حَدَّثْنَا »

هَذَا بَعْضُ مَا رَوَى فِي جَوَازِ إِرَادِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ  
عَلَى الْمَعَانِي ، وَإِنْ اُخْتَلَفَتْ الْأَلْفَافُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي كَلِمَةٍ  
أَبْنِ عُمَرَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي عُرْضِ هَذَا الْاِسْتِشْهَادِ أَنَّ  
الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ كَانُوا مِنْ هَذَا الرَّأْيِ ، وَلَكِنَّ الْوَاقِعَ  
أَنَّ بَعْضَهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ ، إِذِ الْمَشْهُورُ عَنِ الْإِمَامِ  
أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ لَا يُجَوِّزُ نَقْلَ الْحَدِيثِ إِلَّا بِاللَّفْظِ دُونَ  
الْمَعْنَى ، قَالُوا وَبِهَذَا الْاِعْتِبَارِ قَلَّتْ رِوَايَتُهُ لِلْحَدِيثِ .  
وَبِمَا يُرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أَيْضًا : لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ  
يُحَدِّثَ مِنَ الْأَحَادِيثِ إِلَّا بِمَا حَفِظَهُ مِنْ يَوْمِ سَمِعَهُ  
إِلَى يَوْمِ يُحَدِّثُ بِهِ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ مِنْ  
الْمَالِكِيَّةِ حَيْثُ قَالَ فِيمَا نَقَلَهُ الشُّيُوطِيُّ فِي شَرْحِ كِتَابِ  
الْإِحْيَاءِ : يَنْبَغِي سَدُّ بَابِ الرِّوَايَةِ بِالْمَعْنَى ، لِئَلَّا يَتَسَلَّطَ

مَنْ لَا يُحْسِنُ مِمَّنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يُحْسِنُ كَمَا وَقَعَ لِلرَّوَاةِ  
كَثِيرًا ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا .

\*\*\*

وَالْمَعْرُوفُ عَنْ كِتَابِ الْأَحْيَاءِ ، أَنَّ الْغَزَالِيَّ أَوْرَدَ  
فِيهِ مَرَايِلَ <sup>(١)</sup> وَمَقَاطِيعَ ، وَمِنْهَا مَا فِي سَنَدِهِ مَقْلٌ ،  
وَرُبَّمَا كَانَ الْمَقْطُوعُ <sup>(٢)</sup> مِنْهَا وَالْمُرْسَلُ أَصَحَّ مِنْ بَعْضِ  
السَّنَدِ ، إِذَا رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ ، وَجَازَ لَهُمْ رَسْمُ ذَلِكَ فِي  
الْوَرَعِ لِمَعَانٍ ، أَحَدُهَا يَقُولُ : إِنْ الْأَخْبَارَ الضَّعَافَ ،  
غَيْرَ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا يَلْزَمُنَا رَدُّهَا ، بَلْ فِيهَا  
مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا ، وَالثَّانِي يَقُولُ : إِنَّا لَسْنَا عَلَى بَقِيَّةٍ مِنْ  
بَاطِلِهَا ، وَالثَّلَاثُ يَقُولُ : إِنْ مَعَنَا حُجَّةٌ بِذَلِكَ ، وَهُوَ  
رِوَايَةُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ لَهُ وَهُمْ قَدْ سَمِعُوهُ ، فَإِنْ أَخْطَأُوا  
الْحَقِيقَةَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَذَلِكَ سَاقِطٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّابِعُ  
يَقُولُ : الْمُتَعَبِّدُونَ بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْهُمْ يَتَوَنَّنُونَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ

ما هو مسند وما  
هو مرسل في  
الاحياء

(١) مراسيل : جمع مرسل وهو نوع من الحديث سقط من سنده

الصحابي (٢) المقطوع : ما سقط من سنده واحد قبل الصحابي

الظَّنُّ ، وَالْخَامِسُ يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى حَقِيقَةِ  
ذَلِكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْمُعَايَنَةِ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهَا ،  
فَأَضْطَرُّنَا إِلَى التَّقْلِيدِ ، وَالتَّصَدِّيقِ إِحْسَنِ الظَّنِّ بِالنَّقْلَةِ  
مَعَ مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ قُلُوبُنَا ، وَتَلِينُ لَهُ أَبْشَارُنَا <sup>(١)</sup> ، وَنَرَى  
أَنَّهُ حَقٌّ كَمَا جَاءَ فِي النَّخْبِ .

وَنَحْسَبُ الْغَزَالِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - نَظَرَ إِلَى هَذَا كُلِّهِ ،  
فِيمَا اسْتَشْهَدَ بِهِ فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ ، وَأَنَّ أَكْثَرَ مَا قِيلَ  
فِيهِ عَنِ إِيرَادِ أَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ . وَلَا حَقِيقَةٍ  
بِالِاعْتِبَارِ ، إِذْ مَقْصِدُهُ جَمِيلٌ لَا يَتَعَدَّى حُسْنَ الظَّنِّ  
بِالَّذِينَ رَوَوْهَا فِي كُتُبِهِمْ ، وَتَقَلَّ هُوَ عَنْهُمْ .

\*\*\*

دراسة الحديث  
في آخر آياته

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ سِيرَتِهِ ، وَرَاحِلِ  
حَيَاتِهِ ، أَنَّهُ حِينَ عَوْدِهِ إِلَى وَطَنِهِ فِي طُوسٍ ، كَانَتْ  
خَاتِمَةُ أَمْرِهِ الْإِقْبَالَ عَلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ،

وَجَالِسِ أَهْلِهِ ، وَقِرَاءَتِهِ وَنَسْخِهِ ، وَأَنَّهُ أُسْتَدْعِيَ إِلَيْهِ  
الْحَافِظَ أَبَا الْفَتِيَّانِ عُمَرَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الرَّوَّاسِيَّ فَأَكْرَمَهُ  
وَأَغْتَمَّ أَيَّامَهُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ الصَّحِيحِينَ .

وَذَكَرَ الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ صَحِيحَ  
الْبُخَارِيِّ عَنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الْحَفْصِيِّ

وَلَوْ أَنَّ الْغَزَالِيَّ رَأَى بَأْسًا فِيمَا أُسْتَشْهَدَ بِهِ فِي  
كِتَابِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِغَيْرِ إِسْنَادٍ لَكَانَ عَاوَدَ رَدِّهَا  
إِلَى أَصُولِهَا بِمَدَقِرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَالتَّوْفُرِّ عَلَى أُسْتِذْكَارِهِ  
وَحِفْظِهِ .



وَلِلْغَزَالِيِّ رَسَائِلٌ قَلِيلَةٌ كَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ،  
وَهِيَ عَلَى نَسَقٍ تَوَالِيْفِيٍّ ، سُهُولَةٍ أُسْلُوبٍ ، وَعُدُوبَةٍ  
تَرْغِيبٍ ، وَهَوَلٍ تَرْهِيْبٍ ، وَكَثْرَةِ تَمَثُّلٍ ، وَأُسْتِعَارَةٍ  
وَجَازٍ .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ : قَرَأْتُ فِي كِتَابِ



كُتِبَهُ الْغَزَالِيُّ إِلَى أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدَ بْنِ سَلَامَةَ ، بِالْمَوْصِلِ  
فَقَالَ فِي خِلَالِ فُصُولِهِ :

أَمَّا الْوَعْظُ فَلَا أَرَى تَفْسِي أَهْلًا لَهُ ، لِأَنَّ الْوَعْظَ  
زَكَاةٌ ، نِصَابُهُ <sup>(١)</sup> الْإِتْمَاظُ فَمَنْ لَا نِصَابَ لَهُ ، كَيْفَ  
يُخْرِجُ الزَّكَاةَ ، وَفَاقِدُ الثُّوبِ كَيْفَ يَسْتُرُ بِهِ غَيْرَهُ ،  
وَمَتَى يَسْتَقِيمُ الظُّلُّ <sup>(٢)</sup> وَالْعُودُ أَعْوَجُ ، وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ  
إِلَى عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « عِظْ نَفْسَكَ ، فَإِنْ أْتَمَّظْتَ  
فَعِظِ النَّاسَ ، وَإِلَّا فَاسْتَحِ مِنْي »

وَلَهُ رِسَالَةٌ مِنْ أَرْوَعٍ مَا كَتَبَ الْكَاتِبُونَ ، بَعَثَ  
بِهَا إِلَى بَعْضِ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَهِيَ خَيْرُ نَمُودَجٍ لِأَسْلُوبِهِ ،  
وَأَصْدَقُ صُورَةٍ لِطَرِيقَتِهِ فِي بَيَانِ مَعَانِيهِ .

وَنَحْنُ نَأْقِلُوهَا هُنَا ، أَعْتِزَّا بِهَا ، وَقَدَّرَّا لِحَقِّهَا  
مِنَ الْحِفْظِ وَالتَّخْلِيدِ .

(١) النصاب : المقدار الذي تجب فيه الزكاة (٢) متى يستقيم الظل  
والعود أعوج : مثل يضرب لبعده الاستقامة مع العكوف على العوج



رسالة خاصة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ،  
وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ ، أَمَا « بَعْدُ » ، فَقَدْ أَنْتَشَجَ (١) بَيْنِي وَبَيْنَ  
الشَّيْخِ الْأَجَلِّ ، مُعْتَمِدِ الْمَلِكِ ، أَمِيرِ الدَّوْلَةِ ، غَرَسَ اللَّهُ  
تَأْيِيدَهُ ، بِوِاسِطَةِ الْقَاضِي الْجَلِيلِ ، الْإِمَامِ مَرْوَانَ ،  
زَادَهُ اللَّهُ تَوْفِيقًا ، مِنْ الْوِدَادِ ، وَحُسْنِ الْإِعْتِقَادِ ، مَا يَجْرِي  
مَجْرَى الْقَرَابَةِ ، وَيَقْتَضِي دَوَامَ الْمُسْكَاتِبَةِ وَالْمُوَاصَلَةِ ،  
وَإِنِّي لَا أَصِلُهُ بِصِلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ نَصِيحَةٍ تُوصِلُهُ إِلَى اللَّهِ ،  
وَتُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ زُلْفَى (٢) وَتُحِلُّهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى ، فَالنَّصِيحَةُ  
هِيَ هَدْيِيَّةُ الْعُلَمَاءِ ، وَإِنَّهُ لَنْ يَهْدِيَ إِلَيَّ تُحْفَةً (٣) أَسْكَرَمَ  
مِنْ قَبُولِهِ لَهَا ، وَإِصْغَائِهِ بِقَلْبِ فَارِغٍ عَنْ ظُلُمَاتِ  
الدُّنْيَا إِلَيْهَا ، وَإِنِّي أَحْذَرُهُ إِذَا هُيِزَتْ عِنْدَهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ

(١) انتشج : اشتبك واصل (٢) زلفى : منزلة ورتبة (٣) تحفة :  
أى هدية .

أَحْرَارُ النَّاسِ ، أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي زُمْرَةِ الْكِرَامِ  
 إِلَّا كَيْاسٍ ، وَقَدْ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 « مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : اتَّقَاهُمْ ، فَقِيلَ مَنْ أَكْبَسُ  
 النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَكْثَرُهُمْ لِمَوْتِ ذِكْرًا ، وَأَشَدَّهُمْ  
 اسْتِعْدَادًا » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْكَبِيسُ مَنْ  
 دَانَ <sup>(١)</sup> نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْأَحْقُّ مَنْ  
 أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْمَعْفِرَةَ ، وَأَشَدُّ  
 النَّاسِ غِبَاوَةً وَجَهْلًا ، مَنْ تَهَمَّهُ أُمُورُ الدُّنْيَا الَّتِي تُخْتَطَفُ  
 عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَلَا يَهْمُهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ  
 أَوْ النَّارِ ، وَقَدْ عَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ « إِنَّ  
 الْأَبْرَارَ <sup>(٢)</sup> لَأَنِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَأَنِي جَحِيمٍ ، وَقَالَ : « فَأَمَّا  
 مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (عَلَى الْآخِرَةِ) فَإِنَّ الْجَحِيمَ  
 هِيَ الْمَأْوَى » ، وَقَالَ : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
 وَزِينَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ، وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ »  
 إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

(١) دان نفسه: أذلها وحملها على ما نكره (٢) الأبرار: جمع بر وهو الطائع

وَإِنِّي أَوْصِيهِ أَنْ يَصْرِفَ إِلَى هَذَا الْمُهْمِّ هِمَّتَهُ ، وَأَنْ  
يُحَاسِبَ نَفْسَهُ ، قَبْلَ أَنْ يُحَاسِبَ ، وَيُرَاقِبَ سَرِيرَتَهُ  
وَعَلَانِيَتَهُ ، وَقَصْدَهُ وَهِمَّتَهُ ، وَأَفْعَالَهُ وَأَقْوَالَهُ ، وَإِصْدَارَهُ  
وَإِيرَادَهُ ، أَيْ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا يُقْرَبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،  
وَيُوصَلُهُ إِلَى سَعَادَةِ الْأَبَدِ ، أَوْ هِيَ مَصْرُوفَةٌ إِلَى مَا يَعْمُرُ  
دُنْيَاهُ ، وَيُصْلِحُهَا لَهُ إِصْلَاحًا مُنْغَصًّا مَشُوبًا <sup>(١)</sup> بِالْمُكَدَّرَاتِ  
مَشْحُونًا بِالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ ، ثُمَّ يَخْتَمُهَا بِالشَّقَاوَةِ وَالْعِيَاذِ  
بِاللَّهِ ، فَلْيَفْتَحْ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ ، « وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَاقَدَمَتْ  
لِغَدٍ » وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لَا مُشْفِقَ وَلَا نَاطِرَ لِنَفْسِهِ سِوَاهُ ،  
وَلْيَتَدَبَّرْ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ فَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا بِعِمَارَةِ ضَيْعَةٍ ،  
فَلْيَنْظُرْ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَكَهَا اللَّهُ « وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا  
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا » ، بَعْدَ عَمَالِهَا ، وَإِنْ كَانَ مُقْبِلًا عَلَى  
أَسْتِخْرَاجِ مَاءٍ أَوْ عِمَارَةِ نَهْرٍ ، فَلْيَفْسِكِرْ ، كَمْ مِنْ بَيْتٍ  
مُعْطَلَةٍ بَعْدَ عِمَارَتِهَا ، وَإِنْ كَانَ مُهْتَمًّا بِتَأْسِيسِ بِنَائِهِ ،

فَلْيَتَأَمَّلْ ، كَمْ مِنْ قُصُورٍ مُشِيدَةٍ الْبُنْيَانِ ، مُحْكَمَةِ  
 الْقَوَاعِدِ وَالْأَرْكَانِ ، أَظْلَمَتْ بَعْدَ سُكَّانِهَا ، وَإِنْ كَانَ  
 مُفْتَتِنًا بِعِمَارَةِ الْحَدَائِقِ وَالْبَسَائِتِ ، فَلْيَعْتَبِرْ ، « كَمْ  
 تَرَ كُورًا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ »  
 وَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : « أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ  
 جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
 يُمْتَعُونَ » وَإِنْ كَانَ مَشْغُوفًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بِخِدْمَةِ  
 سُلْطَانٍ ، فَلْيَذْكُرْ مَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَيْنَ الظُّلْمَةُ وَأَعْوَانُهُمْ ، فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ  
 مَدَّ لَهُمْ دَوَاةً ، أَوْ بَرَىٰ لَهُمْ نَلْمًا ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ ، إِلَّا  
 أَحْضِرُوا ، فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ <sup>(١)</sup> مِنْ نَارٍ ، قِيلَقُونَ فِي  
 جَهَنَّمَ .

وَعَلَى الْجُمَلَةِ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ - إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ -  
 نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ، فَأَعْرَضُوا عَنِ اتِّزَادِ لِلْآخِرَةِ ،  
 وَأَقْبَلُوا عَلَى طَلَبِ أُمُورٍ : أَلْجَاهِ وَالْأَمَالِ ، فَإِنْ كَانَ

(١) تابوت : الصندوق

هُوَ فِي طَلَبِ جَاهٍ وَرِيَّاسَةٍ فَلَيْتَ دَكَرَ مَا وَرَدَ بِهِ الْخَبْرُ  
أَنَّ الْأَمْرَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ  
الذَّرِّ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ ، يَطُؤُونَهُمْ بِأَقْدَامِهِمْ ، وَيَقْرَأُ  
مَا قَلَّ تَعَالَى فِي كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُكْتَبُ الرَّجُلُ جَبَّارًا وَمَا يَمْلِكُ إِلَّا  
أَهْلَ يَدَيْهِ ، أَيْ إِذَا طَلَبَ الرِّيَّاسَةَ يَدْنُهُمْ ، وَتَكَبَّرَ  
عَلَيْهِمْ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَا ذُبَّانِ صَارِيَانِ ،  
أُرْسِلَا فِي زُرِّيَّةِ غَنَمٍ ، بِأَكْثَرِ فَسَادًا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ  
فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ »

وَإِنْ كَانَ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَجَمْعِهِ ، فَلَيْتَ أَمَلُ قَوْلِ  
عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا مَعْشَرَ الْخَوَارِجِينَ <sup>(١)</sup> ، مَسْرَّةٌ فِي  
الدُّنْيَا ، مَضْرَّةٌ فِي الْآخِرَةِ ، بِحَقِّ أَقُولُ : لَا تَدْخُلُ  
الْأَغْنِيَاءُ مَلَكَوَتَ السَّمَاءِ » ، وَقَدْ قَالَ نَبِينُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : « يُحْشَرُ الْأَغْنِيَاءُ أَرْبَعَ فِرَقٍ : رَجُلٌ جَمَعَ مَالًا

مِنْ حَرَامٍ ، وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ ، فَيُقَالُ : أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ،  
 وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ ، وَأَنْفَقَهُ فِي حَلَالٍ ، فَيُقَالُ :  
 أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ، وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ ،  
 وَأَنْفَقَهُ فِي حَرَامٍ ، فَيُقَالُ : أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ، وَرَجُلٌ  
 جَمَعَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ ، وَأَنْفَقَهُ فِي حَلَالٍ ، فَيُقَالُ :  
 قِفُوا هَذَا وَسَلُّوهُ ، لَمَلَّهُ ضَيْعٌ بِسَبَبِ غِنَاهُ فِيمَا فَرَضْنَاهُ  
 عَلَيْهِ ، أَوْ قَصَرَ فِي الصَّلَاةِ ، أَوْ فِي وُضُوءِهَا ، أَوْ فِي  
 رُكُوعِهَا ، أَوْ فِي سُجُودِهَا ، أَوْ خَشُوعِهَا ، أَوْ ضَيْعَ  
 شَيْئًا مِنْ فَرَضِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ :  
 جَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ ، وَأَنْفَقْتُهُ فِي حَلَالٍ ، وَمَا ضَيَعْتُ  
 شَيْئًا مِنْ حُدُودِ الْفَرَائِضِ ، بَلْ أَتَيْتُ بِتَمَامِهَا ، فَيُقَالُ :  
 لَمَلَّكَ بَاهَيْتَ بِمَالِكَ ، وَأَخْتَلْتُ <sup>(١)</sup> فِي شَيْءٍ مِنْ شَيْءِ بَيْتِكَ ،  
 فَيَقُولُ : يَارَبِّ مَا بَاهَيْتُ <sup>(٢)</sup> بِيَالِي ، وَلَا أَخْتَلْتُ فِي ثِيَابِي ،  
 فَيُقَالُ : لَمَلَّكَ فَرَطْتَ فِيمَا أَمَرْنَاكَ مِنْ صَلَاةِ الرَّحْمِ ، وَحَقِّ

(١) اختلت : زهوت وتبخرت في ثيابك (٢) باهيت : فاخرت غيرك

أَجِيرَانِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَقَصَّرَتْ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ،  
 وَالتَّفْضِيلِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَيُحِيطُ بِهِ هُوَ لَاءٌ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا اغْنَيْتَهُ  
 بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَأَحْوَجْتَنَا إِلَيْهِ ، فَقَصَّرَ فِي حَقِّنَا ، فَإِنْ  
 ظَهَرَ تَقْصِيرُهُ ، ذُهِبَ بِهِ إِلَى النَّارِ ، وَإِلَّا قِيلَ لَهُ قِفْ ،  
 هَاتِ الْآنَ شُكْرَ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَكُلَّ شُرْبَةٍ ، وَكُلَّ  
 أَكْلَةٍ ، وَكُلَّ لَذَّةٍ ، فَلَا يَزَالُ يُسْأَلُ وَيُسْأَلُ . . . فَهَذِهِ  
 حَالُ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ الْقَائِمِينَ بِحُقُوقِ اللَّهِ ، أَنْ يَطُولَ  
 وَقُوفُهُمْ فِي الْعَرَصَاتِ <sup>(١)</sup> فَكَيْفَ حَالُ الْمُفْرَطِينَ الْمُنْهَمِكِينَ  
 فِي الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ الْمُكَاثِرِينَ بِهِ الْمُتَّبِعِينَ لَشَهَوَاتِهِمْ ،  
 الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ : « أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمْ  
 الْمَقَابِرَ » .

فَهَذِهِ الْمَطَالِبُ الْفَاسِدَةُ ، هِيَ الَّتِي اسْتَوَاتَ عَلَى  
 قُلُوبِ الْخَلْقِ ، تُسَخَّرُهَا لِلشَّيْطَانِ ، وَتَجْعَلُهَا ضُحْكَةً  
 لَهُ ، فَعَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ مُسْتَمِرٍّ فِي عَدَاوَةِ نَفْسِهِ ، أَنْ يَتَعَلَّمَ

(١) العرصات : جمع عرصة . وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس

فيها بناء .



عِلَاجَ هَذَا أَمْرَضِ الَّذِي حَلَّ بِالْقُلُوبِ ، فِعِلَاجُ مَرَضِ  
الْقُلُوبِ ، أَمُّهُ مِنْ عِلَاجِ مَرَضِ الْأَبْدَانِ ، وَلَا يَنْجُو  
إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

وَلَهُ دَوَاءَانِ : أَحَدُهُمَا مُلَازِمَةٌ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَطَوَّلِ  
التَّأَمُّلِ <sup>(١)</sup> فِيهِ ، مَعَ الْإِعْتِبَارِ بِخَاتِمَةِ الْمُلُوكِ ، وَأَرْبَابِ  
الدُّنْيَا ، كَيْفَ جَعَمُوا كَثِيرًا ، وَبَنَوْا قُصُورًا ، وَفَرَحُوا  
بِالدُّنْيَا بَطَرًا <sup>(٢)</sup> وَغُرُورًا ، فَصَارَتْ قُصُورُهُمْ قُبُورًا ،  
وَأَصْبَحَ جَعْمُهُمْ هَبَاءً <sup>(٣)</sup> مَنْثُورًا ، « وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا  
مَقْدُورًا » وَأَمَلَاكُهُمْ وَمَسَاكِينُهُمْ صَوَامِتَ نَاطِقَةٍ ،  
تَشْهَدُ بِلِسَانِ حَالِهَا عَلَى غُرُورِ عُمَالِهَا ، فَانظُرِ الْآنَ فِي  
جَمِيعِهِمْ ، « هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ  
رِكْزًا <sup>(٤)</sup> » .

وَالدَّوَاءُ الثَّانِي : تَدَبُّرُ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فِيهِ شِفَاؤُهُ  
وَرَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَقَدْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) الفصيح تأمله (٢) بطر : حار ودهش من قلة احتمال النعمة

(٣) الهباء : الغبار المنتطير مع الهواء (٤) ركزا : أى صوتا خفيا

وَسَلَّمَ بِمِلَازِمَةِ هَذَيْنِ الْوَاعِظَيْنِ . فَقَالَ : « تَرَ كَتُمُ  
فِيكُمْ وَعَظَيْنِ ، صَامِتًا وَنَاطِقًا : الصَّامِتُ الْمَوْتُ ،  
وَالنَّاطِقُ الْقُرْآنُ » ، وَقَدْ أَصْبَحَ أَكْثَرُ النَّاسِ أَمْوَاتًا  
عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ كَانُوا أَحْيَاءَ فِي مَعَايِشِهِمْ ،  
وَبُكْمًا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَإِنْ كَانُوا يَتْلُونَهُ بِاللَّسِنَتِهِمْ ،  
وَصُمًّا عَنْ سَمَاعِهِ ، وَإِنْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُ بِأَذَانِهِمْ ، وَعُمِيًّا  
عَنْ عَجَائِبِهِ ، وَإِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي مَصَاحِفِهِمْ ،  
وَأُمِّيِّينَ فِي أَسْرَارِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَإِنْ كَانُوا يَشْرَحُونَهُ فِي  
تَفَاسِيرِهِمْ .

فَاحْذَرِ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، وَتَدَبَّرِ أَمْرَكَ ، وَأَمْرَ  
مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ كَيْفَ نَدِمَ وَتَحَسَّرَ ، وَأَنْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِ  
مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ ، كَيْفَ خَابَ عِنْدَ الْمَوْتِ  
وَخَسِرَ ، وَاتَّمِظْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَفِيهِ مَقْنَعٌ  
وَبَلَاغٌ لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ .

قَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ

وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ  
هُمْ الْخَاسِرُونَ » إِلَى آخِرِهَا . وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ  
بِجَمْعِ الْمَالِ ، فَإِنَّ فَرَحَكَ بِهِ يُنْسِيكَ أَمْرَ الْآخِرَةِ ،  
وَيَنْزِعُ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ مِنْ قَلْبِكَ ، قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
« لَا تَنْظُرُوا إِلَى أَمْوَالِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ بَرِيْقَ أَمْوَالِهِمْ  
يَذْهَبُ بِحِلَاوَةِ إِيْمَانِكُمْ » ، وَهَذِهِ ثَمَرَةٌ مُجَرَّدِ النَّظَرِ ،  
فَكَيْفَ عَاقِبَةُ الْجَمْعِ وَالطَّغْيَانِ وَالْبَطَرِ <sup>(١)</sup>

وَأَمَّا الْقَاضِي الْجَلِيلُ ، الْإِمَامُ مَرْوَانَ ، أَكْثَرَ اللَّهِ  
فِي أَهْلِ الْعِلْمِ أَمْثَالَهُ ، فَهُوَ قُرَّةُ الْعَيْنِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ  
الْفَضِيلَتَيْنِ : الْعِلْمِ ، وَالتَّقْوَى ، وَلَكِنَّ الْأِسْتِمْتَامَ  
بِالدَّوَامِ ، وَلَا يَتِمُّ الدَّوَامُ إِلَّا بِمُسَاعَدَةٍ مِنْ جِهَةٍ ،  
وَمُعَاوَنَةٍ لَهُ عَلَيْهِ بِمَا يَزِيدُ فِي رَغْبَتِهِ ، وَمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ بِمِثْلِ هَذَا الْوَلِيدِ النَّجِيبِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَّخِذَهُ ذُخْرًا  
لِلْآخِرَةِ ، وَوَسِيلَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْ يَسْعَى فِي فِرَاحِ

(١) بطر : حار ودهش من قلة احتمال النعمة وطمع بها

قَلْبِهِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ  
 تَعَالَى ، وَأَوَّلُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى طَلَبُ الْحَلَالِ ،  
 وَالْقَنَاعَةُ بِقَدْرِ الْقُوَّةِ مِنَ الْمَالِ ، وَسُلُوكُ سَبِيلِ  
 التَّوَاضُعِ ، وَالزُّرُوعُ مِنْ رُغُونَاتِ (١) أَهْلِ الدُّنْيَا الَّتِي  
 هِيَ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ - هَذَا مَعَ الْهَرَبِ مِنْ مُخَالَطَةِ  
 الْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ . فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْفُقَهَاءَ أَمَنَاءُ اللَّهِ  
 مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا ، فَإِذَا دَخَلُوا فِيهَا فَاتَّهَمُوهُمْ عَلَى  
 دِينِكُمْ ، وَهَذِهِ أُمُورٌ قَدْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَيَسَّرَهَا  
 عَلَيْهِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ بَمَدَّةِ بَرَكَةِ الرِّضَا ، وَيَمُدَّهُ بِالذُّعَاءِ  
 فَذُعَاءُ الْوَالِدِ أَعْظَمُ ذُخْرًا وَعِدَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
 وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ فِيمَا يَأْمُرُهُ مِنَ الزُّرُوعِ عَنِ الدُّنْيَا  
 وَالرُّدِّ وَإِنْ كَانَ فَرَعًا فَرُبَّمَا صَارَ بِمَزِيدِ الْعِلْمِ أَصْلًا ،  
 وَلِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي  
 مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ » - الْآيَةُ - وَلَيَجْتَهِدُ أَنْ يَجِبِرَ

(١) الرغونات : الوقوف مع حظوظ الدنيا ومقتضى طباعها . أو الحق  
 وتقصان الفكر

تَقْصِيرُهُ فِي الْقِيَامَةِ بِتَوْقِيرِهِ وَلَدَهُ ، الَّذِي هُوَ فَلَذَةُ <sup>(١)</sup>  
كَبِيدِهِ ، فَأَعْظَمُ حَسْرَةَ أَهْلِ النَّارِ فِي الْقِيَامَةِ فَقَدَهُمْ  
فِي الْقِيَامَةِ حَمِيماً يَشْفَعُ لَهُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَلَيْسَ  
لَهُ الْيَوْمَ هُمْنًا حَمِيمٌ » ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَغِّرَ فِي عَيْنَيْهِ  
الْدُنْيَا الَّتِي هِيَ صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنْ يُعْظِمَ فِي عَيْنَيْهِ  
الَّذِي هُوَ عَظِيمٌ عِنْدَهُ ، وَأَنْ يُوقِنَّا وَإِيَّاهُ لِمَرْضَاتِهِ ،  
وَيُجِلَّهُ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنْ جَنَّاتِهِ ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ  
وَكَرَمِهِ .



وَاللَّغْزَالِي كَلِمَاتٌ مَنُورَةٌ ، وَجَوَامِعُ كَلِمٍ ، وَطَائِفَةٌ كَلِمَانِهِ وَحِكْمِهِ  
مِنْ حِكْمِ رَوَائِعٍ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا الْمَنَاوِيُّ فِي طَبَقَاتِهِ  
كَمَا أوردَهَا غَيْرُهُ ، وَنَحْنُ نَأْقِلُونَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ  
الْأَفْذَاذِ <sup>(٢)</sup> النَّابِغَةِ <sup>(٣)</sup> طَائِفَةً صَالِحَةً :

(١) الفلذة : القطعة من اللحم والغرض منها الاولاد (٢) الافذاذ :  
جمع فذ وهو الفرد الشاذ عن أصحابه وبقى منفردا (٣) النابغة : الرجل  
العظيم الشأن والناء فيه للعبارة

الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ الْآخِرَةِ ، وَهِيَ مَنزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ  
الْهُدَى وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ دُنْيَا ، لِأَنَّهَا أَدْنَى الْمَنَزِلَتَيْنِ .  
رُبَّمَا وَجَدَ بَعْضُهُمْ فِي نَفْسِهِ أَنْسًا وَتَقْرِيبًا فِي عِبَادَتِهِ  
وَمَجْلِسِهِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ بِهَا يَغْفِرُ لِجَمِيعِ مَنْ حَضَرَهُ ، فَضَلَّ  
عَنْهُ ، وَلَوْ أَنَّهُ تَعَالَى عَامِلُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَى سُوءِ أَدَبِهِ  
فِي ذَلِكَ ، لَأَهْلَكَهُ .

أَنْوَارُ الْعُلُومِ لَمْ تُحْجَبْ مِنَ الْقُلُوبِ ، لِبُخْلِ وَمَنْعِ  
مِنْ جِهَةِ الْمُنْعِمِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ، بَلْ لِحُبِّهِ وَكُدُورَةِ (١)  
وَشُغْلٍ مِنْ جِهَةِ الْقُلُوبِ ، فَإِنَّهَا كَالْأَوَانِ ، أَدَامَتْ  
تَمْلُوءَةً بِالْمَاءِ لَا يَدْخُلُهَا الْهَوَاءُ ، وَالْقَلْبُ الْمَشْغُولُ يَغَيِّرُ  
اللَّهِ ، لَا تَدْخُلُهُ الْمَعْرِفَةُ بِجَلَالِهِ .

الْإِيمَانُ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ : الْأُولَى . ، إِيْمَانُ الْعَوَامِّ ،  
وَهُوَ إِيْمَانُ التَّقْلِيدِ الْمَحْضِ ، وَالثَّانِيَةُ : إِيْمَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ  
وَهُوَ مَمْرُوجٌ بِنَوْعِ اسْتِدْلَالٍ ، وَالثَّالِثَةُ : إِيْمَانُ الْعَارِفِينَ  
وَهُوَ الْمَشَاهِدَةُ بِنُورِ الْيَقِينِ .

(١) كسر الماء : عكروزال صفاؤه

ظَنُّ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْعُلُومَ الْعَقْلِيَّةَ مُنَاقِضَةٌ لِلْمَعْلُومِ  
الشَّرْعِيَّةِ ، وَأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ ، ظَنُّ صَادِرٌ  
عَنْ عَمَى فِي عَيْنِ الْبَصِيرَةِ ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهُ . وَالْعُلُومُ  
الْعَقْلِيَّةُ ، دُنْيَوِيَّةٌ ، وَأُخْرَوِيَّةٌ ، فَالذُّنْيَوِيَّةُ كَالطَّبِّ  
وَالْحِسَابِ وَالنَّجُومِ وَالْحَرْفِ وَالصَّنَائِعِ ، وَالْأُخْرَوِيَّةُ  
كِعِلْمِ أَحْوَالِ وَآفَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ  
وَأَفْعَالِهِ ، وَهُمَا عِلْمَانِ مُتَنَاقِضَانِ ، أَعْنِي مَنْ صَرَفَ غَايَتَهُ  
إِلَى أَحَدِهِمَا حَتَّى يَغْمُقَ فِيهِ ، قَصُرَتْ بَصِيرَتُهُ عَنْ  
الْآخِرِ عَلَى الْأَوَّلِ .

مَهْمَا سَمِعْتَ أَمْرًا غَرِيبًا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ ، جَحَدَهُ  
أَهْلُ الْكِيَاَسَةِ <sup>(١)</sup> عَنْ سَائِرِ الْعُلُومِ ، فَلَا يُنْفِرَنَّكَ  
جُحُودُهُمْ ، عَنْ قَبُولِهِ ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَظْفَرَ سَالِكُ طَرِيقِ  
الشَّرْقِ بِمَا فِي الْغَرْبِ .

تَهْبُ رِيَاحُ الْأَلْطَافِ ، فَتَكْشِفُ الْحُجُبَ عَنْ

(١) الكياسة : الظرف وتوقد الذهن

أَعْيُنِ الْقُلُوبِ ، فَيَتَجَلَّى لَهَا بَعْضُ مَا هُوَ مَسْطُورٌ فِي  
اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ .

لَيْسَ الْوَرَعُ فِي الْجِبْهَةِ حَتَّى تُقْطَبَ (١) ، وَلَا فِي الْأَخْدِ  
حَتَّى يُصْعَرَ (٢) ، وَلَا فِي الظَّهْرِ حَتَّى يُنْحَى ، وَلَا فِي الرِّقْبَةِ  
حَتَّى تُطَاطَى ، وَلَا فِي الذَّيْلِ حَتَّى يُضَمَّ ، إِنَّمَا الْوَرَعُ  
فِي الْقُلُوبِ ، أَمَا مَنْ تَلَقَّاهُ بِبِشْرٍ فَيَلْقَاكَ بِعَبُوسٍ ، يَمُنُّ  
عَلَيْكَ بِعِلْمِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ اللَّهُ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ مِثْلِهِ .  
قَلْبُ الْمُرْمِنِ لَا يَمُوتُ ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ  
لَا يَنْمَحِي ، وَصَفَاؤُهُ لَا يَتَكَدَّرُ ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْحَسَنُ  
بِقَوْلِهِ : « التُّرَابُ لَا يَأْكُلُ كُلُّ مَحَلِّ الْإِيمَانِ » أَمَا مَا حَصَلَهُ  
مِنْ نَفْسِ الْعِلْمِ ، أَوْ مَا حَصَلَهُ مِنَ الصَّفَاءِ وَالِاسْتِعْدَادِ  
بِقَبُولِهِ .

الْعِلْمُ الْبَاطِنُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ يَقْدِفُهُ (٣) فِي قُلُوبِ  
أَحِبَّاءِهِ .

(١) تقطب : قطب الرجل : زوى ما بين عينيه وعبس (٢) وصعر :

أمال وجهه عن الناس تهاونا وإعراضا (٣) يقذفه : يلقيه



أَعْظَمُ أَنْوَاعِ عُلُومِ الْمُعَامَلَةِ ، أَلْوُقُوفُ عَلَى خُدَعِ<sup>(١)</sup>  
النَّاسِ وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ ، وَذَلِكَ فَرَضٌ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ  
جَسَدٍ . وَقَدْ أَهْمَلَهُ الْخَلْقُ وَاسْتَقَلُّوا بِعُلُومِ تَجْرُئِهِمْ  
الْوَسْوَاسِ وَتَسَلَّطِ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانِ .

مَهْمَا رَأَيْتَ الْعُلَمَاءَ يَتَغَايَرُونَ وَيَتَحَاسَدُونَ وَلَا  
يَتَأَنَسُونَ فاعْلَمْ أَنَّهُمْ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَهُمْ  
خَاسِرُونَ

كُلُّ مَنْ ادَّعَى مَذْهَبَ إِمَامٍ وَلَا يَسِيرُ سِيرَتَهُ ،  
فَذَلِكَ الْإِمَامُ خَصْمُهُ ، يَقُولُ لَهُ كَانَ مَذْهَبِي الْعَمَلِ  
دُونَ الْحَدِيثِ بِاللَّسَانِ ، وَكَانَ الْحَدِيثُ بِاللَّسَانِ لِأَجْلِ  
الْعَمَلِ لَا لِلْهَدْيَانِ<sup>(٢)</sup> ، فَمَا بَالُكَ خَالَفتَنِي فِي الْعَمَلِ وَالسَّيْرَةِ  
الَّتِي هِيَ مَذْهَبِي الَّذِي سَلَكتُهُ وَذَهَبْتَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ  
تُمْ ادَّعَيْتَ مَذْهَبِي كَاذِبًا ، فَهَذَا مَدْخَلٌ مِنْ مَدْخِلِ  
الشَّيْطَانِ ، أَهْلَكَ بِهِ أَكْثَرُ الْعَالَمِ .

(١) الخدعة: الخنل وإرادة المسكروه للناس من حيث لا يعلمون (٢) الهديان:

الخلط في القول والتخبط فيه

أَشَدُّ النَّاسِ حَمَاقَةً ، أَقْوَاهُمْ إِعْتِقَادًا فِي فَضْلِ نَفْسِهِ ،  
وَأَبَدَتْ النَّاسِ عَقْلًا أَشَدَّهُمْ أَتَهَامًا لِنَفْسِهِ .

الْعَامِيُّ إِذَا زَنَى أَوْ سَرَقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
فِي الْعِلْمِ ، فَإِنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِتْقَانِ الْعِلْمِ ،  
فِي اللَّهِ وَفِي دِينِهِ ، وَقَعَ فِي الْكُفْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي  
كَمَنْ رَكِبَ فِي الْبَحْرِ وَلَا يَعْرِفُ السَّبَّاحَةَ

أُورَعُ <sup>(١)</sup> النَّاسِ وَأَتَقَاهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ مَنْ لَا يَنْظُرُ  
النَّاسُ كُلَّهُمْ إِلَيْهِ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ ، بَلْ بَعْضُهُمْ بِعَيْنِ الرِّضَا  
وَبَعْضُهُمْ بِعَيْنِ السُّخْطِ .

\* وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ \*

مَهْمَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا سَيِّئَ الظَّنِّ بِالنَّاسِ ، طَالِبًا لِلْعُيُوبِ  
فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَبِيثٌ فِي الْبَاطِنِ وَالْمُؤْمِنُ سَلِيمٌ الصِّدْرِ فِي  
حَقِّ كَافَّةِ الْخَلْقِ .

حَقِيقَةُ الذُّكْرِ لَا تَتَمَكَّنُ مِنَ الْقَلْبِ إِلَّا بَعْدَ

(١) أورع الناس : هو الذي جانب الاثم وكف عن المعاصي والشبهات

عِمَارَتِهِ بِالتَّقْوَى ، وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ ،  
وَأِلَّا فَيَكُونُ الذِّكْرُ حَدِيثَ نَفْسٍ وَلَا سَلْطَانَ لَهُ عَلَى  
الْقَلْبِ ، وَلَا يَدْفَعُ الشَّيْطَانَ

الشَّيَاطِينُ (١) جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ  
الْمَعَاصِي شَيْطَانٌ يَخُصُّهُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ

خَالِصُ الرِّيَاضَةِ وَسِرُّهَا ، أَلَّا تَتَمَتَّعَ النَّفْسُ بِشَيْءٍ  
لَا يُوجَدُ فِي الْغَيْرِ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ ، فَيَقْتَصِرُ مِنْ  
أَكْلِهِ وَلِبَاسِهِ وَمَسْكَنِهِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ ،  
فَإِنَّهُ لَوْ تَمَتَّعَ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَلْفَهُ ، وَإِذَا مَاتَ تَمَنَّى الرَّجُوعَ  
إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا يَتَمَنَّى الرَّجُوعَ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ لَاحَظَ لَهُ  
فِي الْآخِرَةِ .

النَّفْسُ إِذَا لَمْ تُنْمَعْ بِبَعْضِ الْمُبَاحَاتِ ، طَمِعَتْ فِي  
الْمَحْظُورَاتِ

الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ بَابٌ مِنَ أَبْوَابِ النَّارِ ، وَأَصْلُهُ

---

(١) الشياطين : جمع شيطان وهو روح خبيث متمرد مسكنه النار  
أو كل عات متمرد من انس أو جن أو دابة

السُّبْعُ. وَالذُّلُّ وَالْإِنْكَسَارُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ،  
وَأَصْلُهُ الْجُوعُ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَقَدَ  
فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، لِتَقَابُلِهِمَا ، فَالْقُرْبُ مِنْ  
أَحَدِهِمَا بَعْدُ مِنَ الْآخَرِ

السَّعَادَةُ كُلُّهَا فِي أَنْ يَمْلِكَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ ، وَالشَّقَاءُ  
فِي أَنْ تَمْلِكَهُ نَفْسُهُ .

السُّبْعُ يَمْنَعُ الْعِبَادَةَ وَأَشْوَاقَ الْقَلْبِ وَالْفِكْرَ ،  
وَيُنْعِصُ الْعَيْشَ . وَالْجُوعُ يَدْفَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، لِأَنَّ قِلَّةَ  
الْأَكْلِ تُصَحِّحُ الْبَدْنَ وَيَكْثُرُ بِهِ تَحْصُلُ فَضْلَةُ الْأَخْلَاطِ  
فِي الْمَعِدَةِ وَالْعُرْوِقِ

حَدُّ الْمِرَاءِ كُلُّ اعْتِرَاضٍ عَلَى كَلَامِ الْغَيْرِ ، بِإِظْهَارِ  
خِلَالٍ فِيهِ وَالْمُجَادَلَةِ قَصْدَ إِفْحَامِ <sup>(١)</sup> الْغَيْرِ وَتَعْجِيزِهِ  
وَتَنْغِيصِهِ بِالْقَدْحِ فِي كَلَامِهِ وَنِسْبَتِهِ إِلَى الْقُصُورِ  
وَالْجُهْلِ فِيهِ

مَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ الْفِكْرَ فِي جَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ

(١) الإخام : من أخمه أى أسكنه بالحجة

وَمَلَكَوتِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ صَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ الذِّمَّةُ مِنْ كُلِّ  
 نَعِيمٍ ، فَلَذَّةُ هَذَا فِي عَجَائِبِ الْمَلَكَوتِ عَلَى الدَّوَامِ  
 أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى أَثْمَارِ الْجَنَّةِ وَبَسَاتِينِهَا  
 بِالْعَيْنِ الظَّاهِرَةِ ، هَذَا حَالُهُمْ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَمَا الظَّنُّ  
 بِهِمْ عِنْدَ انْكِشَافِ الْعِطَاءِ فِي الْعُقْبَى

إِنْ كُنْتَ لَا تَشْتَاقُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ فَأَنْتَ مَعذُورٌ ،  
 فَالْعَيْنُ لَا يَشْتَاقُ إِلَى لَذَّةِ الْوِقَاعِ ، وَالصَّبِيُّ لَا يَشْتَاقُ  
 لِلْمَلِكِ ، وَالشَّوْقُ بَعْدَ الذَّوْقِ ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَعْرِفْ ،  
 وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ لَمْ يَشْتَقْ ، وَمَنْ لَمْ يَشْتَقْ لَمْ يَطْلُبْ ،  
 وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ لَمْ يُدْرِكْ ، وَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ بَقِيَ مِنْ  
 الْمَحْرُومِينَ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ

مَنْ فَاتَهُ اللَّحَاقُ بِالْأَكْبَرِ فِي الدِّينِ ، لَمْ يَقْتَهُ تَوَابُ  
 حُبِّهِ لَهُمْ مَهْمًا أَحَبَّ ذَلِكَ

الْحَسَدُ<sup>(١)</sup> لَيْسَ مَظْلَمَةً يَجِبُ الْإِسْتِحْلَالُ مِنْهَا ،

(١) الحسد . معنى زوال نعمة الغير ، أما الغبطة فتعني أن يكون لك مثل

بَلْ مَعْصِيَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ وَإِنَّمَا يَجِبُ الْإِسْتِحْلَالُ مِمَّا  
يَجِبُ عَلَى الْجَوَارِحِ

دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ عِبَارَتَانِ عَنِ حَالَتَيْنِ مِنْ أَحْوَالِ  
قَلْبِكَ ، فَالطَّرْفُ الدَّانِي مِنْهُمَا يُسَمَّى دُنْيَا ، وَهِيَ كُلُّهَا  
قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَالْمُتَأَخِّرُ يُسَمَّى آخِرَةً ، وَهِيَ مَا بَعْدَهُ ،  
وَكُلُّ مَالِكَ فِيهِ حَظٌّ وَشَهْوَةٌ عَاجِلَةٌ قَبْلَ الْوَفَاةِ فَهِيَ  
الدُّنْيَا فِي حَقِّكَ

لَا يَبْقَى مَعَ الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا ثَلَاثُ صِفَاتٍ :  
صَفَاءُ الْقَلْبِ ، أَعْنِي طَهَارَتَهُ مِنْ أَدْنَسِ الدُّنْيَا ، وَأَنْسُهُ  
بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَحُبُّهُ لِلَّهِ ، وَطَهَارَةُ الْقَلْبِ لَا تَحْصُلُ  
إِلَّا بِالْكَفِّ عَنِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، وَالْأَنْسُ لَا يَحْصُلُ  
إِلَّا بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ ، وَالْحُبُّ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْمَعْرِفَةِ  
وَلَا تَحْصُلُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ إِلَّا بِدَوَامِ الْفِكْرِ

الْكَبِيرُ دَلِيلُ الْأَمْنِ ، وَالْأَمْنُ مُهْلِكٌ ، وَالتَّوَاضُّعُ (١)  
دَلِيلُ الْخَوْفِ ، وَهُوَ مُسْعِدٌ .

(١) التواضع : الذلة والخشوع

مِنْ أَدْوِيَةِ الْكِبْرِ أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَ أَقْرَانِهِ فِي  
 الْمَحَافِلِ وَيَقْدِمَهُمْ وَيَجْلِسَ تَحْتَهُمْ ، وَلِلشَّيْطَانِ هُنَا  
 مَكِيدَةٌ ، وَهُوَ أَنْ يَقْعُدَ فِي صَفِّ النِّعَالِ ، أَوْ يَجْمَلَ بِيَدِهِ  
 وَيَبْنَ أَقْرَانِهِ بَعْضَ الْأَرْذَالِ ، فَنَظُنُّ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ وَهُوَ  
 عَيْنُ التَّكْبُرِ لِإِيْهَامِهِ لَهُ تَرَكَ مَكَانِهِ بِالِاسْتِحْقَاقِ ،  
 فَيَكُونُ تَكْبُرًا بِإِظْهَارِ التَّوَاضِعِ ، بَلْ يَقْدِمُ أَقْرَانَهُ  
 وَيَجْلِسُ تَحْتَهُمْ ، وَلَا يَنْحَطُّ إِلَى صَفِّ النِّعَالِ .

أَسَاسُ السُّعَادَاتِ كُلُّهَا الْعَقْلُ وَالْكِياسَةُ (١)  
 وَالذِّكَاةُ ، وَصِحَّةُ غَرِيْزَةِ الْعَقْلِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي أَصْلِ  
 الْفِطْرَةِ ، فَإِذَا مَاتَتْ بِيْلَادَتِهِ أَوْ حَمَاقَتِهِ فَتَدَارِكُ لَهُ .  
 كُنْ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ فِي الْأَمَانِ ، وَأَحْذَرْ شَيَاطِينِ  
 الْإِنْسِ ، فَإِنَّهُمْ أَرَاخُوا شَيَاطِينِ الْجِنِّ مِنْ التَّعَبِ فِي  
 الْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ .

مَأْمِنٌ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ عَنِ اللَّهِ فِي كَمَالِ عَقْلِهِ ،

(١) الكياسة : توفد الذهن والفتنة

وَأَشَدُّهُمْ حَمَاقَةً ، وَأَضَعُّهُمْ عَقْلًا ، أفرحهم بكمال  
عقله .

علماء الآخرة يُعرفون بسياهم من السكينة  
والذلة والتواضع ، أما التمشدق<sup>(١)</sup> والاستغراق في  
الضحك والجدّة في الحركة والنطق فمن آثار  
البطر والغفلة ، وذلك من داب أبناء الدنيا .  
من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة ، وهو ادعاء  
الرجل الولاية مع فقدّها منه .

\*\*\*

وللغزالي شعرٌ قليلٌ يُنسبُ إليه

شعر الغزالي

قال ابن السبكي : أخبرنا الحافظ أبو العباس  
الأشعري - إذنا خاصًا عند أبي الفضل أحمد بن هبة  
الله بن عساكر - عن أبي المظفر عبد الرحيم ، أخبرنا  
الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور .

(١) التمشدق : أن يرى الفصاحة للسامعين في نطقه وليس بفصيح



أُنشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْخَلِيلِيُّ إِمْلَاءً بُنُوقَانَ  
فِي الْجَامِعِ ، أُنشَدَنَا الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ  
اللَّهُ :

إِرْفَهَ <sup>(١)</sup> بِبَالِ أَمْرِي يُمْنِي عَلَى ثِقَةٍ  
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ  
فَالْمَرِضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يَدْنَسُهُ <sup>(٢)</sup>  
وَالْوَجْهُ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يُخْلِقُهُ  
إِنَّ الْقَنَاعَةَ مَنْ يَحْلُلُ بِسَاحَتِهَا  
لَمْ يَلْقَ فِي دَهْرِهِ شَيْئًا يُوَرِّقُهُ  
وَلَهُ أَيْضًا :

سَقَمِي فِي الْحُبِّ عَافِيَتِي  
وَوُجُودِي فِي الْهَوَى عَدَمِي  
وَعَذَابُ تَرْتَضُونَ بِهِ  
فِي فَمِي أَحْلَى مِنَ النِّعَمِ

(١) ارفهه : ارفق (٢) لا يدنسه : لا يشوهه

مَا لِضُرِّ فِي مَحَبَّتِكُمْ  
عِنْدَنَا وَاللَّهِ مِنْ أَلَمٍ  
وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَالَهُ فِي أَيَّامِ سِيَّاحَتِهِ :

قَدْ كُنْتُ عَبْدًا وَالْهَوَى مَالِكِي  
فَصِرْتُ حُرًّا وَالْهَوَى خَادِمِي  
وَصِرْتُ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا

مِنْ شَرِّ أَصْنَافِ بَنِي آدَمِ  
مَا فِي اخْتِلَاطِ النَّاسِ خَيْرٌ، وَلَا  
ذُو الْجَهْلِ بِالْأَشْيَاءِ كَالْعَالِمِ

يَا لَأَيْبَى فِي تَرْكِهِمْ جَاهِلًا  
عُذْرِي مَنقُوشٌ عَلَى الْخَاتَمِ

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ نَقَشَ خَاتَمَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ  
الْكَرِيمَةِ « وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ  
وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ »

وَأَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَوْهَرِيُّ لِلْإِمَامِ

الْفَرَازِيِّ الْبَيْتَيْنِ الْآتِيَيْنِ :

فَقَهَّأُونَا كَذْبَالَةَ (١) النَّبْرَاسِ (٢)

هِيَ فِي الْحَرِيقِ وَضَوْءُهَا لِلنَّاسِ

حَبْرٌ وَمِسِيمٌ تَحْتَ رَائِقِ مَنْظَرٍ

كَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ فَوْقَ نُحَاسِ

وَاللُّغْزَالِي أَيْضًا :

حَلَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ

قَمْرًا يَجِلُّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ

وَلَقَدْ عَهْدَنَاهُ يَحُلُّ بِرُجْهَآ (٣)

وَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ

وَذَكَرَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ فِي الذَّيْلِ وَالْعِمَادِ فِي الْخُرَيْدَةِ

لَهُ :

حَلَّتْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ

وَحَظِيَّتْ مِنْهُ بِلَثْمِ خَدِّ أَزْهَرِ

(١) ذبالة : فتيلة احترق بعضها (٢) النبراس : الصباح (٣) و بروج

الكواكب معلومة يريد أن يقول عهدنا البدر يحل في برج العقرب ولكن

عقارب صدغ المحبوب حلت في البدر وهذا من العجائب ، ففي البيت

توجيه فلكي

إِنِّي أُعْتَزَلْتُ فَلَا تَلُومُوا أَنَّهُ

أَضْحَى يُقَابِلُنِي بِوَجْهِ أُشْعَرِي<sup>(١)</sup>

وَمِمَّا أَنْشَدَهُ الْغَزَالِيُّ بِنَعْدَادَ فِي أَثْنَاءِ دَرَسِ الْإِحْيَاءِ

وَرَوَاهُ عَنْهُ أَبُو سَعِيدٍ الْفَرَاقَانِيُّ<sup>(٢)</sup> :

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ

مَارِبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكََا

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ

عُهُودَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكََا

قَالَ : فَبَكَى وَأَبْكَى الْحَاضِرِينَ .

وَرَأَهُ بَعْضُهُمْ<sup>(٣)</sup> فِي الْبَرِّيَّةِ وَعَلَيْهِ مُرَقَعَةٌ وَيَسِدُهُ

رَكْوَةٌ<sup>(٤)</sup> وَعُكَّازٌ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ رَأَاهُ يَحْضُرُ فِي مَجْلِسِهِ

ثَلَاثِمِائَةَ مُدْرَسٍ ، وَمِائَةً مِنْ أَمْرَاءِ بِنَعْدَادَ ، فَقَالَ :

يَا إِمَامَ الْإِسْلَامِ تَدْرِسُ الْعِلْمَ أَوْلَى ؟! فَنَظَرَ إِلَيْهِ شَزْرًا<sup>(٥)</sup> .

(١) في البيت اكتفاء والاصل أشعري ففي أشعري (تورية) يشير الى

مذهب الاعتزال والاشعرية (٢) الابيات معروفة لابن الرومي الشاعر

المشهور من قصيدة صغيرة (٣) يروي أنه أبو بكر بن العربي (٤) الركوة :

اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ويجمع على ركاه (٥) شزرا :

نظرا بمؤخر العين نظر الغضبان

وَقَالَ : « لَمَّا بَزَغَ بَدْرُ السَّعَادَةِ فِي فَلَكِ الْإِرَادَةِ ، وَجَنَحَتْ  
شَمْسُ الْأَقْوَالِ ، إِلَى مَغْرِبِ الْوُصُولِ » وَأَنْشَدَ :  
تَرَكَتْ هَوَى لَيْلِي وَسُعْدَى بِعَمْرٍ  
وَعُدْتُ إِلَى مَصْحُوبِ أَوَّلِ مَنْزِلِ  
فَنَادَتْ بِنِي الْأَشْوَاقِ مَهَلًا فَهَذِهِ  
مَنَازِلُ مَنْ تَهَوَى رُؤَيْدَكَ فَانزِلِ  
وَمَا يُدْسَبُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي أَسْرَارِ الْفَاتِحَةِ :  
إِذَا مَا كُنْتَ مُلْتَمِسًا لِرِزْقِ  
وَنَيْلِ الْعَقْدِ<sup>(١)</sup> مِنْ عَبْدِ وَحُرِّ  
وَتَظْفَرُ بِالذِّي تَرْجُو سَرِيعًا  
وَتَأْمَنُ مِنْ مُخَالَفَةٍ وَعُذْرٍ<sup>(٢)</sup>  
فَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ فَإِنَّ فِيهَا  
لِمَا أَمَلْتَ سِرًّا أَيْ سِرًّا  
فَلَا زِمَ ذِكْرَهَا عَقْبِي مَسَاءً  
وَفِي صُبْحِي وَفِي ظَهْرِي وَعَصْرِي

(١) العقد هي العقدة حذفت تأؤها لضرورة الشعر : وهي البيعة المعقودة للولاية وقد تكون (العقد) أو هي مصحفة عن (القصد) (٢) قد تكون (عذر)

وَتُمَسِّي مُقَرَّبًا فِي كُلِّ لَيْلٍ  
إِلَى التَّسْعِينَ تَتَّبِعُهَا بِعَشْرِ  
تَنَلُ مَا شِئْتَ مِنْ عِزٍّ وَجَاهٍ  
وَعُظْمٍ مَهَابَةٍ وَعُلُوٍّ قَدْرٍ  
وَسِتْرٍ لَا تُعْبِرُهُ أَلْيَالِي  
بِحَادِثَةٍ مِنَ النُّقْصَانِ تَجْرِي  
وَتَوْفِيرٍ<sup>(١)</sup> وَأَفْرَاحٍ دَوَامًا  
وَتَأْمَنُ مِنْ مَخَافِ كُلِّ شَرٍّ  
وَمِنْ عُرْيٍ وَجُوعٍ وَأَنْقِطَاعٍ  
وَمِنْ بَطْشٍ لِيذِي نَهْيٍ وَأَمْرٍ

\* \* \*

جَرَى فِي عُرْضِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ بُحُوثِ هَذَا الْكِتَابِ  
وَفُصُولِهِ ذِكْرُ تَقَرُّرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ وَتَلَامِيذِهِ  
فِي غَيْرِ وَتَوْفٍ بِهِمْ ، أَوْ يَبْأَنِ مَفَاضٍ فِيهِ بِسَبِيلِهِمْ ، فَمِنْ  
الْخَيْرِ أَنْ تُفْرَدَ لَهُمْ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنَ الْكِتَابِ

أصحاب الغزالي  
وتلاميذه

(١) قد تكون (وتوقير)

لِنَجْمَعَهُمْ فِي صَعِيدٍ <sup>(١)</sup> وَاحِدٍ وَتَتَحَدَّثَ عَنْهُمْ خَاصَّةً ،  
وَبَيْنَ مَبَالِغِ صَلَاتِهِمْ بِهِ وَأَخْذِهِمْ عَنْهُ وَمَجَاوِرَتِهِمْ لَهُ ،  
وَنَحْسَبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَنَأْتِي عَلَى أَخْبَارِهِمْ هُمُ الْأَفْذَاذُ  
النَّوَابِغِ مِنْ صَحْبِهِ وَالْمُتَّفَقِينَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ تَلَامِيذُهُ  
لَا يُحْصِيهِمُ الْعَدُّ ، وَلَا يُوفِّيهِمُ الْبَيَانُ .

\*\*\*

تلاميذ الغزالي من تلاميذ الغزالي أبو نصر أحمد بن عبد الله  
ابن عبد الرحمن الحمقدي نسبة إلى بلد يدعى « خمس  
قدي » وهو المعروف باسم شيخ ربه ، ولد سنة  
ست وستين وأربعمائة ، وتفقّه بطوس على الإمام الغزالي  
وسمع الحديث من آخرين ، وتوفي سنة أربع وأربعين  
وخمسمائة .

ومنهج الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن  
برهان الأصولي وكان حنبلياً ، ثم انتقل ، وتفقّه على  
الشافعي ، وأبي حامد الغزالي والكنيا <sup>(٢)</sup> وكان يدرّس

(١) صعيد : مكان ومحل (٢) أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري  
المعروف بالكنيا المراسي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٠٤ هـ و (الكنيا)  
معناه : الكبير القدر المقدم بين الناس

فِي الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ فِي أَنْوَاعِ الْمَعْلُومِ ، وَكَانَ يَدْرُسُ  
لِلطَّلَابِ كِتَابَ الْإِحْيَاءِ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ سِتِّ  
وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَوَفَاتَهُ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ  
وَمِنْهُمْ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْحُسَيْنِ  
ابْنِ الْقَاسِمِ الْعَطَّارِيِّ الطُّوسِيِّ ، الْوَاعِظُ الْمَلَقَّبُ بِجُنْدَةَ  
تُوفِيَ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي حَامِدٍ  
فِي طُوسَ ، وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ السَّمْعَانِيِّ فِي « مَرَوْ »  
وَسَمِعَ مِنَ الْبَغَوِيِّ كُتُبَهُ ، وَمِنْ أَبِي الْفَيْتَانَ الدَّهْشْتَانِيِّ  
الْحَافِظِ .

وَمِنْهُمْ الشَّدِيدُ<sup>(١)</sup> أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ  
النَّوْقَانِي ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي حَامِدٍ ، وَقُتِلَ فِي مَشْهَدِ عَلِيِّ بْنِ  
مُوسَى الرِّضِيِّ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي  
وَأَقَمَةَ الثَّغْرَ

وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَوَمَرْتِ الْمَصْمُودِيُّ  
الْمَلَقَّبُ بِالْمَهْدِيِّ ، صَاحِبُ دَعْوَةِ سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ  
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ مَلِكِ الْغَرْبِ ، دَخَلَ الْمَشْرِقَ فَتَفَقَّهَ عَلَى

(١) لعلها « السديد »



أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ، وَلَهُ أَخْبَارٌ طَوِيلَةٌ وَسِيرَةٌ مُسْتَفَاضَةٌ  
وَأَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَوْزَقَانِيِّ  
الْإِسْفَرَايِينِيِّ، تَفَقَّهَ عَلَى الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ بِيَعْدَادَ، وَسَمِعَ ابْنُ  
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيدِيُّ الْحَافِظَ، لَقِيَهُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ فِي  
«إِسْفَرَايِينَ» مَوْطِنِهِ

وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِرَاقِيُّ  
الْبَغْدَادِيُّ، تَفَقَّهَ عَلَى الْغَزَالِيِّ وَالْكِيَا وَالشَّاشِيِّ، وَبَقِيَ  
بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

وَأَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَاوَانِيُّ الْكُرْدِيُّ، حَدَّثَ  
بِكِتَابِ «الْجَامِ الْعَوَامِّ» لِلْغَزَالِيِّ عَنْهُ، وَقَرَأَ الْمَقَامَاتِ  
الْحَرِيرِيَّةَ عَلَى مُؤَلِّفِهَا

وَالْإِمَامُ أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مَنْصُورِ  
النَّيْسَابُورِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَهُوَ  
مِنْ أَشْهَرِ تَلَامِيذِ الْغَزَالِيِّ، تَفَقَّهَ عَلَيْهِ، وَشَرَحَ كِتَابَهُ،  
«الْبَسِيطَ» وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي حَامِدِ بْنِ عَبْدِ وَسَّ  
وَنَصَّرَ اللَّهُ أَخْشَنَانِيَّ، وَعَلَيْهِ تَفَقَّهَ الْمُؤَقَّقُ الْخَوْشَانِيُّ

الْمَدْفُونُ تَحْتَ رِجْلِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ بِمِصْرَ ، أُسْتُشْهِدَ فِي  
رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانَ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي وَاقِعَةِ الْغَزَا  
وَمِنْهُمْ أَبُو طَاهِرٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الطُّهْرِ الشَّيْبَانِيُّ ،  
حَضَرَ دُرُوسَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَبِي الْمَعَالِيِّ الْجُوَيْنِيِّ فِي  
نَيْسَابُورَ ، ثُمَّ صَحِبَ الْغَزَالِيَّ ، وَسَافَرَ مَعَهُ إِلَى الْعِرَاقِ  
وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ بِجُرْجَانَ وَأَخَذَ  
فِي التَّدْرِيسِ وَالْوَعْظِ ، وَقُتِلَ شَهِيدًا سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ  
وَخَمْسِمِائَةٍ

وَمِنْهُمْ أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ  
الْأَذْرِيَّجَانِيَّ الْعِرَاقِيَّ الصُّوفِيَّ ، حَكَى عَنْ أَبِي حَامِدِ  
الْغَزَالِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَحَكَى عَنْهُ أَبُو سَعْدِ بْنِ السَّمْعَانِيِّ  
قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْفَتْوحِ نَصْرَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْعِرَاقِيَّ  
إِمْلَاءً بِأَصْلِ طَبْرِسْتَانَ يَقُولُ : أَجْتَمَعَ الْأَئِمَّةُ أَبُو حَامِدِ  
الْغَزَالِيُّ ، وَإِسْمَاعِيلُ الْحَاكِمِيُّ ، وَإِبْرَاهِيمُ الشُّبَّاكِيُّ ،  
وَأَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَكْبَارِ  
الْعُرَبَاءِ فِي مَهْدِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَنْشَدَ  
فَقَالَ هَذَيْنِ الْيَتِيَيْنِ :

فَدَيْتُكَ ، لَوْ لَا الْحُبُّ كُنْتَ فَدَيْتَنِي  
وَلَكِنْ بِسِحْرِ الْمُقْلَتَيْنِ سَمَيْتَنِي <sup>(١)</sup>  
أَتَيْتُكَ لَمَّا ضَاقَ صَدْرِي مِنَ الْهَوَى  
وَلَوْ كُنْتَ تَدْرِي كَيْفَ شَوْقِي أُتَيْتَنِي  
فَتَوَاجَدَ <sup>(٢)</sup> أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ وَجَدًا أَثَرَ فِي  
الْحَاضِرِينَ ، فَدَمَعَتِ الْعُيُونُ ، وَمُرَّتِ الْجُيُوبُ ، وَتُوِّفِي  
مُحَمَّدَ الْكَازِرُونِي مِنْ بَيْنِ الْجُمَاعَةِ فِي الْوَجْدِ ، قَالَ  
الْمَرَاغِي : وَكُنْتُ مَعَهُمْ حَاضِرًا ذَلِكَ  
وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ بْنِ  
مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْجَهَنِّي الْمَوْصِلِيُّ ، تَفَقَّهَ عَلَى الْغَزَالِيِّ ،  
وَتُوِّفِي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةَ  
وَمِنْهُمْ خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ ، تَفَقَّهَ عَلَى  
الْغَزَالِيِّ ، وَوَلَهُ عَنْهُ تَعْلِيْقَةٌ ، ذَكَرَهُ أَبُو الصَّلَاحِ فِي  
« مُشْكِلِ الْوَسِيْطِ » وَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّهُ تُوِّفِي قَبْلَ  
الْغَزَالِيِّ

(١) سَمَيْتَنِي : أَسْرَتَنِي (٢) تَوَاجَدَ : شَعُرَ وَأَحْسَنَ بِقُوَّةِ بَاطِنِيَّةٍ وَتَكَالَفَ الْوَجْدَ

وَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ سَعْدُ الْخَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ  
ابْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ الْبَلَنْسِيِّ الْمُحَدِّثِ ، أَحَدُ السِّيَاحِينَ ،  
تَفَقَّهُ بِبَعْدَادَ عَلَى الْغَزَالِيِّ ، وَسَمِعَ بِهَا عَنْ طَرَادٍ وَابْنِ الْبَطْرِ<sup>(١)</sup>  
وَرَوَى عَنْهُ السَّمْعَانِيُّ وَابْنُ الْجَوَزِيِّ ، وَأَبْنَتُهُ فَاطِمَةُ  
بِنْتُ سَعْدٍ ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ .  
وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَافِعُ بْنُ عَبْدِ الرَّشِيدِ بْنِ  
الْقَاسِمِ الْجَبَلِيِّ ، تَفَقَّهُ عَلَى الْكِيَا وَالْغَزَالِيِّ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ  
بِالْبَصْرَةِ ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى  
وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ .

وَمِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ دَغَشُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ  
النَّبِيِّ الْمُؤَفَّفِيِّ ، خَرَجَ إِلَى طُوسَ ، وَأَقَامَ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ  
مُدَّةً ، وَأَخَذَ عَنْهُ ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ  
وَخَمْسِمِائَةَ .

وَمِنْهُمْ الْأَسْتَاذُ أَبُو طَالِبٍ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَلِيٍّ

(١) هو أبو الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر « ككتف »  
القارىء « المحدث » ولد سنة ٣٩٨ وتوفى في ١٦ ربيع الاول سنة ٥٤٩ هـ

أَبْنِ أَبِي طَالِبِ الرَّازِيِّ ، تَفَقَّهَ عَلَى الْغَزَالِيِّ بِنَعْدَادٍ ، وَرَوَى  
عَنْهُ أَبُو النَّصْرِ الْقَامِي مُورِّخُ هَرَاةَ ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ  
يَحْفَظُ كِتَابَ الْأَحْيَاءِ سَرْدًا <sup>(١)</sup> عَلَى الْقَلْبِ ، وَتَوَفَّى  
بِمَرُورِ الرُّوْذِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ  
أَبْنِ مَنْصُورِ الرَّزَّازِ ، وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
وَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّاشِيِّ وَالْغَزَالِيِّ وَالْمَتَوَالِي وَالطَّبْرِيِّ وَالْكِيَا ،  
وَدَرَسَ فِي النُّظَامِيَّةِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ  
وَخَمْسِمِائَةٍ

وَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَوِيهِ الْجَوَيْنِيُّ  
الصُّوفِيُّ ، صَحِبَ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ بِطُوسَ وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ  
وَمِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
حِرَازِمَ ، لَقَّبَهُ بِالْقَوْسِ ، وَصَحْبَهُ ، وَاتَّفَقَتْ لَهُ مَعَهُ  
غَرِيبَةٌ حَكَاهَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاضِي السَّجِسْتَانِيِّ  
فِي كِتَابِهِ « الْإِصْلَاحَاتِ »

وَمِنْهُمْ أَبُو أَحْسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْمُطَهَّرِ بْنِ مَكِّيِّ بْنِ  
مُقْلَاحِ الدِّينَوْرِيِّ مِنْ كِبَارِ تَلَامِيذِ الْغَزَالِيِّ فِي الْفِقْهِ  
وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْبَطْرِ ، وَطَبَقْتِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو  
عَسَاكِرَ ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةَ

وَمِنْهُمْ مَرْوَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْزِيِّ مِنْ قَرْيَةِ بَدْيَارِ بَكْرٍ ، وَرَدَّ بَعْدَادَ  
وَتَفَقَّهَ بِهَا عَلَى الْغَزَالِيِّ وَالشَّاشِيِّ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عَسَاكِرَ  
تُوفِّيَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ

وَمِنْهُمْ أَبُو أَحْسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ  
السُّلَمِيُّ جَمَالَ الْإِسْلَامِ ، لَازَمَ الْغَزَالِيَّ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِدِمَشْقَ  
وَأَخَذَ عَنْهُ ، وَيُحْكِي أَنَّ الْغَزَالِيَّ قَالَ بَعْدَ خُرُوجِهِ  
مِنَ الشَّامِ : خَلَفْتُ بِالشَّامِ شَابًّا إِنْ عَاشَ كَأَنَّ لَهُ  
شَأْنٌ - يَعْنِي جَمَالَ الْإِسْلَامِ هَذَا - فَكَانَ كَمَا تَقَرَّسَ  
فِيهِ .

وَقَدْ مَرَّ بِكَ ذِكْرُهُ فِيمَا سَبَقَ مِنَ الْكِتَابِ

\*\*\*

« قِيمَتُهُ وَأَثَرُهُ بَيْنَ أَنْصَارِهِ وَخُصُومِهِ »

كَانَ الْغَزَالِيُّ مِنْ أَكْبَرِ أَعْلَامِ الْفِكْرِ الَّذِينَ  
أَنْجَبَهُمُ <sup>(١)</sup> الْإِسْلَامُ ، وَأَعْتَزَّ بِإِنجَابِهِ لَهُمْ ، وَقَفَّحَرَ  
بُبُوغِهِمْ فِيهِ ، وَكَانَ مُحَمَّدَةً مِنْ مُحَمَّدِهِ ، وَعَلَمًا بَارزًا عَلَى  
قُوَّتِهِ وَمَجْدِهِ ، فَلَا عَجَبَ إِذَا أَحْدَثَ هَذَا الْمُؤْمِنُ  
- الَّذِي جَازَ مَرَاجِلَ الشَّكِّ إِلَى أَعْلَى رُبِّي الْيَقِينِ ،  
وَأَسْتَطَاعَ بِقَلْبِهِ الْكَبِيرِ أَنْ يُحْسِنَ أَيْمًا إِحْسَانٍ إِلَى  
هَذَا الدِّينِ الْمَسْكِينِ - دَوِيًّا عَظِيمًا فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ،  
وَأَثَرًا مَحْسُوسًا فِي الْغَرْبِ ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْخُلُودَ فِي  
التَّارِيخِ ، وَظَلَّتْ كُتُبُهُ وَتَوَالِيْفُهُ إِلَى الْيَوْمِ مَقْرُوءَةً  
مَدْرُوسَةً مُتَقَصَّاةً ، يُعْنَى بِهَا جُمْهُورُ الْبَاحِثِينَ .

\*\*\*

وَأَكْبَرُ فَضْلِ الْغَزَالِيِّ الَّذِي جَدَّدَ نَهْضَةَ الدِّينِ عَلَى

الاتصاف بالدين  
على الفلسفة

(١) أنجبهم الاسلام : أخرجهم واختارهم .

( ١٢ - الغزالي - نان )

رَأْسِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ مِنْ تَارِيخِهِ ، حَتَّى عُدَّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ -  
 أَنَّهُ غَلَبَ الدِّينَ عَلَى الْفَلَسَفَةِ ، وَعَرَفَ كَيْفَ يَتَفَوَّقُ  
 بِمَنْطِقِ قَلْبِهِ عَلَى مَنْطِقِ عُقُولِ الْفَلَسَفَةِ وَنَظَرِيَّاتِهِمْ ؟  
 وَعَرَفَ كَيْفَ يَنْتَصِرُ لِلْإِيمَانِ عَلَى زَيْغِ (١) الْمَلَا حِدَةِ ،  
 وَيَدْحَرُ (٢) بِقُوَّةِ الْهَدْيِ الدِّينِيِّ ، وَالْيَقِينِ التَّامِّ الْعَمِيقِ  
 الْغُورِ عُلَمَاءِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْمَادِّيِّينَ (٣) وَالْعَقْلِيِّينَ ، وَلَمْ  
 يَكُنْ أَنْتَصَارُهُ بِكُتُبِهِ وَحَدِّهَا .

\*\*\*

شخصية الغزالي  
 وَلَكِنَّهُ أَنْتَصَرَ كَذَلِكَ بِشَخْصِيَّتِهِ ، فَقَدْ كَانَ الْإِمَامَ  
 مَثَلًا بَارِزًا عَلَى رِفْعَةِ الْخَلْقِ ، وَكَرَامَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ،  
 وَلَمْ يَتَّخِذِ الْعِلْمَ سَبِيلًا لِجَاهِ الدُّنْيَا وَسُلْطَانِهَا ، وَلَكِنَّهُ  
 كَانَ مُخْلِصًا لِتَفْكِيرِهِ ، وَمُخْلِصًا صَادِقًا لِخَلْقِيَّتِهِ وَنَفْسِهِ  
 الْعَظِيمَةِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، فَقَنَعَ بِعَيْشِ الْعَزَلَةِ ، وَرَضِيَ  
 الْفَاقَةَ ، وَآثَرَ بَسَاطَةَ الْحَيَاةِ ، فَأَحْدَثَ بِذَلِكَ أَثْرًا عَظِيمًا

(١) الزيغ : الشك والجور عن الحق (٢) يدحر : يدفع ويبعد

(٣) الماديين : المنسويين للمادة — أو المقابليين للادبيين والعقليين



فِي نَفْسِيَّةِ عَصْرِهِ ، وَمِزَاجِ جِيلِهِ ، كَمَا زَانَ الْعِلْمَ بِصِدْقِ  
النَّظَرِ ، وَحُسْنِ الْمَأْخِذِ ، وَأَسْتِفَاضَةِ الْمَعِينِ ، وَغَزَارَةِ  
الْمَوَارِدِ ، وَقُوَّةِ الْحُجَّةِ وَالْإِقْنَاعِ ، وَالْبِدَاهَةِ النَّافِذَةِ ،  
وَالْخَاطِرِ الْمَصْقُولِ ، وَالْعَقْلِ الْوَضَاءِ الْمُلْتَمِعِ ، وَالْقَرِيحَةِ  
الْثَّرَّةِ <sup>(١)</sup> الصَّافِيَةِ .

\* \* \*

انسان جديد  
في عصره

وَقَدْ رَأَيْنَاهُ مِنْ أَحْدَاثِهِ بَعْدَ وِفَاةِ الْوَصِيِّ بِهِ  
وَالْكَافِلِ لَهُ ، مِنْ الْفَضَلَةِ <sup>(٢)</sup> النَّزْرِ ، الَّتِي تَرَكَهَا أَبُوهُ  
لِتَعْلِيمِهِ هُوَ وَأَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، يَتَعَلَّمُ فِي الْمَدْرَسَةِ لِتَحْصِيلِ  
الْقُوَّةِ ، وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ أَمْرًا مِنْ عُرُضِ <sup>(٣)</sup> النَّاسِ وَمَأْلُوفِ  
مُسْتَوَى الْخَلْقِ وَأَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، لَعَاشَ حَيَاتَهُ مُسْتَعْلًا <sup>(٤)</sup>  
لِلْعِلْمِ ، مُتَوَقِّرًا عَلَى شِرَاهِ الْمُتَمَعِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِهِ ، مُنْكَمِشًا <sup>(٥)</sup>  
فِي الظَّفَرِ بِالْمَادَّةِ وَآكْتِنَازِ الْأَمْوَالِ ، وَبَيْعِ الْعِلْمِ بَيْعَ

(١) الثرة : العريضة المليئة (٢) الفضلة : البقية . والنزر : القليل

(٣) من عرض الناس : أي من العامة (٤) مستغلا لعلم : مستمدا منه

أخذًا ثمرته (٥) منكمشا: مسرعًا مجتهدًا ذا نشاط

السَّلْعِ ، فِي الْفَتَاوَى وَالْمُجَادَلَاتِ الْفِقْهِيَّةِ وَنَحْوِهَا ،  
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَلِيقَةِ رَجُلًا اُعْتِيَادِيًّا ، وَلَا أَكَّالَ  
 خُبْزٍ ، وَمُلْتَمِسَ قُوْتٍ ، وَطَالِبَ مُتَعٍ وَعُرُوضٍ ، بَلْ  
 كَانَ إِنْسَانًا جَدِيدًا ، إِنْسَانًا فَوْقَ الْعَصْرِ ، كَكُلِّ نَابِغَةٍ ،  
 وَأَسْمَى مِنْ الْجِيلِ كَكُلِّ مُصْلِحٍ عَظِيمٍ .



وَقَدْ شَهِدَنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ ذَرَّ قَرْنٌ <sup>(١)</sup> نُبُوغِهِ ،  
 وَسَطَعَتْ شَمْسُ ذِكَايِهِ ، وَبُرُوزِهِ وَعِصَامِيَّتِهِ <sup>(٢)</sup> يَلْتَجِي  
 إِلَى ظِلَالِ السُّلْطَانِ ، احْتِمَاءً بِهَا مِنَ الْعَوَادِي ، وَتَقِيئًا  
 تَحْتَهَا وَارْفِهَا مِنَ الْبَأْسَاءِ ، وَإِخْلَادًا إِلَى الْعِلْمِ فِي غَيْرِ  
 مَكْدِيحٍ لِلْخُبْزِ ، وَأَشْتِغَالَ بِمَطَالِبِ الْعَيْشِ ، وَحَاجِ الْحَيَاةِ ،  
 وَلَمْ يَكُنِ الْغَزَالِي فِي هَذَا جَدِيدًا وَلَا غَرِيبًا ، وَلَا كَانَ  
 الْإِمَامُ سُهُ حِمَايَةَ أَهْلِ السُّلْطَانِ عَنْ ضَعْفٍ وَمَذَلَّةٍ وَأَنْكِسَارٍ ،  
 وَلَكِنْ كَانَ مِثْلَهُ حَقِيقًا بِأَنْ يَجِدَ الْحَمَى الطَّيِّبَ ، وَالْحِصْنَ

في أكناف  
السلطان

(١) ذر قرن نبوغه : طلع وابتدأ نبوغه (٢) عصاميته : شرفه بنفسه

الْوَاقِي ، وَالْكَفَالَةَ الْمُؤَمَّنَةَ مِنْ شَرِّ الْحَاجَةِ ، وَالْمَ الْأَضْرَّ  
وَالْبَأْسَاءَ .

\* \* \*

وَلَقَدْ كَانَ الْمُعَلِّمُ الْأَوَّلُ أَرِسْطُو يَعِيشُ فِي أَكْنَافِ  
فِيلِبْسَ الْمَقْدُونِيِّ وَالِدِ الْإِسْكَانْدَرِ ، ثُمَّ إِذْ رَحَلَ هَذَا  
عَنِ الدُّنْيَا ، ذَهَبَ يَسْتَظِلُّ بِفَتَاهُ الْفَاتِحِ الْعَظِيمِ ، وَكَأَنَّ  
مِنْ فَيْلَسُوفٍ وَعَالِمٍ وَكَاتِبٍ وَشَاعِرٍ لَمْ يَجِدُوا فِي حَيَاتِهِمْ  
مَلَاذًا يَعْتَصِمُونَ بِهِ غَيْرَ الْعَيْشِ فِي جِوَارِ أَهْلِ السُّلْطَانِ ،  
وَالِإِحْتِسَابِ عَلَى الْحُكَّامِ وَالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ ؟ وَكَأَنَّ  
مِنْ أَهْلِ مَوَاهِبَ وَإِخْوَانَ نُبُوغٍ ، كَانَ شَأْنُهُمْ حَقِيقًا  
بِأَنْ يَسْمُرَ ، وَمَكَانُهُمْ قَمِينًا <sup>(١)</sup> بِأَنْ يَرْتَفِعَ ، لَوْ لَا أَنَّهُمْ  
لَمْ يَجِدُوا الْمَعَادِينَ <sup>(٢)</sup> ، وَلَمْ يُصِيبُوا الْأَكْنَافَ الْمُوْطَأَةَ ،  
وَالظَّلَالَ الْوَارِفَةَ ، وَالْمَلَاذَ الْأَمِينَ ، فَخَمَلَ أَمْرُهُمْ ،  
وَتَقَطَّعَتْ <sup>(٣)</sup> الْأَسْبَابُ بِهِمْ ، وَشَرَّدُوا فِي الْحَيَاةِ أَيْ مُشَرَّدٍ ؟

(١) قميناً : جديراً (٢) المعادين : جمع معدن : مكان الشيء فيه أصله

ومركزه (٣) تقطعت الأسباب بهم : أى تقطعت بهم الحياة وفرقتهم

\* \* \*

فضل السلاجقة

فَإِذَا مَاذَ كَرْنَا نُبُوغَ الْغَزَالِيِّ وَفَضْلَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ  
بِإِعْزَازِ دِينِهِمْ ، وَمُحَارَبَةِ الْعَقَائِدِ الزَّيْفِ <sup>(١)</sup> الَّتِي أَوْشَكَتْ  
يَوْمَئِذٍ أَنْ تَعْلَ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ ، وَتَتَحَكَّمَ فِيهِ ، وَتَتَسَرَّبَ إِلَيْهِ  
فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نُنْكَرَ فَضْلَ السَّلَاجِقَةِ ، وَنَجَاحَةَ نِظَامِ  
الْمُلْكِ ، فَإِنَّ أَوْلِيكَ هُمُ الَّذِينَ بَسَطُوا جَنَاحَ الرَّحْمَةِ ،  
وَحَسَنَ التَّقْدِيرِ لِهَذَا الْمُصْلِحِ الْمُجَدِّدِ ، فَلَمْ يَجِدْ طَرِيقَهُ  
إِلَى تَأْذِيَةِ رِسَالَتِهِ الدِّينِيَّةِ وَغَرًّا مَسْدُودَ الْمَسَالِكِ ،  
مُخَوِّفًا بِالْمَكَارِهِ ، مُخَوِّفًا يَرُدُّ سَالِكَهُ عَنِ الْإِيغَالِ <sup>(٣)</sup>  
فِيهِ وَالْإِعْذَازِ بِهِ .

\* \* \*

أنصار الغزالي

وَقَدْ قَامَ بَعْدَ الْغَزَالِيِّ أَنْصَارٌ كَثِيرُونَ لَهُ ، يَنْشُرُونَ  
آرَاءَهُ ، وَيَبْذُوثُونَ تَعَالِيمَهُ ، وَيَتَنَاقَلُونَ كُتُبَهُ ، وَيَتَنَاسَخُونَ  
مُصَنَّفَاتِهِ ، وَيَعْلَمُونَ النَّاسَ مِنْ تَوَالِفِهِ ، وَقَدْ صَانُوا

(١) العقائد الزيف : المغشوشة المردودة على أربابها كالدرهم الزائفة

(٢) تغل : بالكسر غلا ، اذا كان ذا غش أو ضغن أو حقد (٣) الايغال

في السير ، الاسراع والامعان - وكذا الاغذاذ .

ذَلِكَ كُلُّهُ أَحْسَنَ صِيَانَةٍ ، وَحَفِظُوهَا مِنَ النَّاقِمِينَ عَلَيْهَا  
 أَعَزَّ حِفْظٌ ، وَذَادُوا <sup>(١)</sup> عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ أَحَرَ زِيَادٍ ،  
 وَنَافَعُوا <sup>(٢)</sup> عَنِ كُتُبِهِ أَصْدَقَ مُنَافِعَةٍ ، وَنَضَحُوا <sup>(٣)</sup> عَنِ  
 نَظَرِيَّاتِهِ وَخَوَاطِرِهِ وَمُعْتَقَدَاتِهِ أَوْفَى نَضِيجٍ ، وَصَمَدُوا  
 لِخُصُومِهِ يُجَادِلُونَهُمْ ، وَيَدْفَعُونَ أَبَاطِيلَهُمْ ، وَيَرُدُّونَ تَهْمَهُمْ  
 عَنْهُ بِكُلِّ قُوَاهُمْ ، مُخْلِصِينَ لِلْغَزَالِيِّ صَادِقِينَ .



وَقَدْ أَخَذَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ وِفَاةِ الْغَزَالِيِّ <sup>التجني على الغزالي</sup>  
 بِالظَّنَّةِ <sup>(٤)</sup> فِي أَمْرِهِ ، فَكَانُوا خُصُومًا بِالْبَاطِلِ ، وَالتَّجَنَّى <sup>(٥)</sup>  
 وَالشُّبُهَاتِ ، حَتَّى لَقَدْ حَدَّثْنَا الْأَسَانِيدُ كَيْفَ فَعَلَ يُوسُفُ  
 ابْنُ تَاشِفِينَ مَلِكُ الْمَغْرِبِ ، إِذْ ظَنَّ أَنَّ كُتُبَ الْغَزَالِيِّ  
 تَبَحَّتْ فِي الْفَلَسَفَةِ ، فَأَمَرَ بِهَا فَأَحْرِقَتْ جَمِيعًا ، وَبِأَنَّ  
 تُصَادَرُ <sup>(٦)</sup> حَيْثُمَا تُقِفَتْ <sup>(٧)</sup> وَكَانَ لِلْفَلَسَفَةِ مُبْغِضًا شَدِيدًا  
 الْكِرَاهِيَةَ .

(١) ذادوا : دافعوا . (٢) ناخوا : كالخوا ودافعوا . (٣) نضحوا :  
 ذبوا ودفعوا . (٤) الظننة : بكسر الظاء ، التهمة . (٥) التجني : الادعاء  
 بالباطل (٦) بأن تصادر : بأن تؤخذ قهرا (٧) ثقفت : أدركت وظفر بها

\*  
\*  
\*

وَقَدْ نَقَمَ مِنْهُ حُسَادُ كَثْرٍ<sup>(١)</sup> ، وَنَفَسُوا<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ

حساد الغزالي

مَكَانَهُ الَّذِي اُكْتَسَبَهُ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، كَمَا دَسَّ

عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ كُتِبَا لَمْ يَضَعَهَا ، وَزَيَّفُوا<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ

آرَاءَ لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهَا ، وَاتَّهَمُوهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَادِقًا

تَزْيِيبًا فِي تَعَالِيمِهِ .

\*  
\*  
\*

وَلَا نَظُنُّ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ خُصُومَةً لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ

خصومة ابن رشد  
للغزالي

بِمِائَةِ عَامٍ أَوْ تَزِيدُ مِنَ الْفَيْلَسُوفِ ابْنِ رُشْدٍ ، فَقَدْ أَقَامَ

نَفْسَهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْفَلَسَفَةِ مُقَامَ الْغَزَالِيِّ بِالنِّسْبَةِ لِلدِّينِ ،

مُدَافِعًا عَنْهَا ، حَامِيًا لَهَا ، ذَائِدًا عَنْ تَعَالِيمِهَا ، وَقَدْ تَنَاوَلَ

كِتَابَ الْغَزَالِيِّ « تَهَافُتِ الْفَلَسَفَةِ » فَرَدَّ عَلَيْهِ بِكِتَابِ

يُعَارِضُهُ ، سَمَّاهُ « تَهَافُتِ التَّهَافُتِ » ، وَذَهَبَ يُحَاوِلُ فِيهِ

رَدَّ مَا خَطَأَهُ الْغَزَالِيُّ مِنْ فِلْسَفَةِ الْفَلَسَفَةِ ، وَمَا ضَرَبَ

(١) كثير: كثير. (٢) نفسوا عليه الخ حسدوه عليه (٣) زيفوا عليه

آراءه: لفقوها واختلقوها.

يهِ مِنَ السَّهَامِ النِّفَازَةِ فِي صَمِيمِهَا ، إِذْ حَكَى فِيهِ  
مَذَاهِبَ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِ عَلَى وُجُوهِهَا ، وَفَنَدَهَا تَفْنِيدًا  
وَتَعَرَّضَ لِلرَّدِّ عَلَى تَعَالِيمِهِمْ وَنَظَرِيَّاتِهِمْ ، وَمَأْخَذِ أَبِي نَصْرِ  
الْفَارَابِيِّ وَأَبْنِ سِينَا عَنْهُمْ ، وَقَدْ جَاءَ أَبُو رُشْدٍ مُتَعَسِّفًا (١)  
لِلْفَلَسَفَةِ ، وَمُنْشَقًا (٢) عَلَى مَذْهَبِ الزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ ،  
مُحَارِبًا الْغَزَالِيَّ فِي آرَائِهِ الدِّيْنِيَّةِ الْمُخَالَفَةِ لِلْعَقْلِ ، فَاتَّبَتْ  
بِذَلِكَ أَنَّهُ أَقْلُ فَلَاسِفَةِ الْإِسْلَامِ تَصَوُّفًا ، وَأَكْثَرُهُمْ  
تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ ، وَعَارِضَ وَجْهَةَ النُّظَرِ الدِّيْنِيَّةِ فِي كُلِّ رَأْيٍ  
جَوْهَرِيٍّ ، فَأَنْكَرَ بَعَثَ الْأَجْسَادِ ، وَعَدَّ الْقَوْلَ بِهِ  
خُرَافَةً - عَلَى نَحْوِ مَا عَدَّهُ سَائِرُ الْمُعْطَلِينَ (٣) ، وَبَحَثَ  
مَسْأَلَةَ الْخِيَارِ عَلَى نَحْوِ عِلْمِيٍّ ، مُعَارِضًا فِيهَا مَذْهَبَ  
الْمُسْكَلِمِينَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ هِيَ مِقْيَاسُ الْحَقِّ ،

(١) متعسفا للفلسفة : عاملا لها . (٢) منشقا الخ : خارجا عليه .

(٣) المعطلين : أصحاب مذهب التعطيل الذي ينكر أصحابه صفات المولى

وَلَا مَقِيَامَ سِوَاهَا ، وَكَانُوا جَبْرِيَّةً <sup>(١)</sup> ، كَمَا عَارَضَ  
أَبْنُ رُشْدٍ مَذْهَبَ الْقَدْرِيِّينَ <sup>(٢)</sup> .

وَقَدْ كَانَ إِنْكَارُ أَبِي رُشْدٍ لِلصُّوفِيَّةِ شَدِيدَ  
الْوَطْأَةِ ، مُتَنَاهِيًّا فِي الْجُرْأَةِ ، بَالِغًا فِي الطَّعْنِ ، إِذْ تَشَدَّدَ  
فِي الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِتِّصَالَ بِالْحَقَائِقِ مَيْسُورٌ بِالْعِلْمِ دُونَ  
سِوَاهُ ، وَأَنَّ أَعْظَمَ نَقْطِ الْوُصُولِ مُبْلُوغُ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ  
أَرْفَعَ دَرَجَاتِ السُّمُومِ الْفِكْرِيِّ وَالْعِلْمِيِّ ، وَأَنَّ اتِّصَالَ  
الْإِنْسَانِ بِوَاجِبِ الْوُجُودِ مُمَكِّنٌ إِذَا اسْتَطَاعَ رَفَعَ  
النَّقَابَ عَنِ وَجْهِ الْحَقِيقَةِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَأْسًا بغيرِ  
حِجَابٍ .



وَقَدْ طَعَنَ فِيهَا كَذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةِ أَدَائِهَا إِلَى مُبْلُوغِ

النصوف العقلي

(١) الجبرية : فرقة من الفرق الاسلامية قالوا لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة  
ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها الخ (٢) القدريين : هم  
القدرية الجاحدون للقدر ، والذين يقولون إن كل عبد خالق لفعله - ولا يرون  
الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى



الْحَقِيقَةَ ، وَهِيَ التَّفَرُّغُ وَالتَّجَرُّدُ مِنْ مُتَعِ الْحَيَاةِ ،  
أَوْ الزُّهْدُ فِي شَهَوَاتِهَا ، فَقَالَ : إِنَّ الْغَايَةَ السَّامِيَةَ الَّتِي  
يَتَطَلَّعُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهَا هِيَ تَغَلُّبُ أَرْقَى أَجْزَاءِ نَفْسِهِ عَلَى  
حَوَاسِهِ ، وَهُوَ يُرِيدُ بِذَلِكَ قُوَى الْعَقْلِ وَإِرَادَتَهُ ، كَمَا  
وَصَفَ هَذَا الْإِنْتِصَارَ عَلَى الْحَوَاسِ بِأَنَّهُ أَرْفَعُ مَرَاتِبِ  
السَّعَادَةِ ، وَلَسَكِنَّهُ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ مُلَوِّغَهَا شَاقٌّ ، وَطَرِيقَهَا  
وَعَزٌّ ، وَإِدْرَاكُهَا نَادِرٌ أَحْدُوثٌ ، إِذْ جَعَلَهَا مَقْصُورَةً  
عَلَى الَّذِينَ يَتَعَمَّقُونَ <sup>(١)</sup> فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ  
الْمُتَعِ الزَّائِلَةِ ، وَأَقْنَاعَةٍ بِمَا يُقِيمُ الْحَيَاةَ الْمَادِيَّةَ ، وَقَالَ :  
إِنَّهَا تُدْرِكُ فِي الشَّيْخُوخَةِ مِنْ هَذَا السَّبِيلِ ، وَإِنَّ خَلْقًا  
كَثِيرًا مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ قَدْ بَلَغُوا قُبَيْلَ الْمَوْتِ ،  
وَنَعِمُوا بِمَدَاقِهَا ، إِذْ يَنْمُو هَذَا النُّوعُ النَّفْسِيُّ مِنَ الْكَمَالِ  
عَلَى النَّقِيضِ مِنَ النُّمُوِّ الْجُسْمَانِيِّ ، إِذْ كُلَّمَا ضَعُفَ الْجِسْمُ  
دَنَتْ النَّفْسُ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ السَّامِيَةِ .

(١) يتعمقون الخ : ينطعون فيها .

وَذَهَبَ ابْنُ رُشْدٍ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْفَارَابِيُّ قَدْ سَعَى  
إِلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ مِنَ السَّعَادَةِ النَّفْسِيَّةِ طِيْلَةَ حَيَاتِهِ ،  
وَتَرَقَّبَ إِدْرَاكَهَا ، ثُمَّ لَمْ يَخْطُ (١) بِهَا ، فَحَسَبَهَا  
وَهَمًّا مِنَ الْاَوْهَامِ ، فَإِنَّ حِرْمَانَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّخَذَ  
دَلِيلًا عَلَى أُسْتِحَالَتِهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَى إِخْفَاقِهِ وَحِرْمَانِهِ  
التَّوْفِيقَ إِلَيْهَا ، وَالْحُظُوءَةَ بِهَا .

وَلَسْنَا نَدْرِي بَعْدَ هَذَا كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ  
ابْنُ رُشْدٍ مُنْكَرًا لِلصُّوْفِيَّةِ ، وَهُوَ فِي هَذَا يَقُولُ بِهَا ؟  
فَإِنَّ هَذَا هُوَ فِي الْوَاقِعِ نَزْوَعٌ صُوفِيٌّ - وَإِنْ أَرَادَهُ ابْنُ  
رُشْدٍ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ الْغَزَالِيُّ وَالصُّوْفِيَّةُ  
مِنْ جِهَةِ الرُّوحِ .



وَقَدْ عَابَ ابْنُ رُشْدٍ عَلَى الْغَزَالِيِّ مُصَارَحَةَ النَّاسِ  
بِالْحِكْمَةِ ، وَجَاهِرَةَ الْجَمَاهِيرِ بِآرَاءِ الْحُكَمَاءِ ، وَأَسْرَارِ  
الْشَّرْعِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ الْأَخْذَ بِظَاهِرِ  
الْشَّرْعِ هُمُ الْخَوَارِجُ ، ثُمَّ الْمُعْتَرِلَةُ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ

الحكمة والجمهور

(١) لم يخط بها : لم يتقدم بها

الأشعرية ، ثم الصوفية ، ثم جاء أبو حامد ، فطم<sup>(١)</sup> الوادى على القرى ، وذلك في كتابه الذى سماه « بالمقاصد » ، فزعم أنه إنما ألف الكتاب للرد عليهم ، ثم وضع كتابه المعروف بتهافت الفلاسفة ، فكفرهم فيه فى مسائل ، وأتى بحجج مشككة<sup>(٢)</sup> ، وشبه محيرة ، أضلت كثيرا من الناس عن الحكمة وعن الشريعة .

ثم قال فى كتابه « جواهر القرآن » إن الذى أثبتته فى كتاب « التهافت » هى أقاويل جدائية ، وإنما ألحقه هو الذى أثبتته فى كتاب « المضمون به على غير أهله » ثم جاء فى كتابه المعروف « بمشكاة الأنوار » فذكر فيه مراتب العارفين بالله ، فقال: إن سائرهم

(١) طم الوادى الخ : غلب عليه : وقرى الماء مسيله من التلاع ، وبحراه فى الروض ، أو مدفعه من الربو الى الروضة وقرى الطريق سنته ، وأصل العبارة من التل : جرى الوادى فطم على القرى - أى جرى سيل الوادى وعلا حتى أتى على القرى بأن أباده ودفنه وغمره : يضرب عند تجاوز الشئ حده والمراد : نفاق أمره . (٢) الحجج المشككة : التى لا ينال المراد منها إلا بالتأمل لغموض مقدماتها .

مُحْجُوبُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ أَعْتَقَدُوا أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -  
غَيْرُ مُحَرِّكِ السَّمَاءِ الْأُولَى ، وَهُوَ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ هَذَا  
الْمُحَرِّكُ ، وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْهُ بِإِعْتِقَادِ ذَاهِبِ الْحُكَمَاءِ  
فِي الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ .

وَقَالَ فِي غَيْرِ مَامَوْضِعٍ : إِنَّ عُلُومَهُمُ الْإِلَهِيَّةَ هِيَ  
تَحْمِينَاتٌ ، بِخِلَافِ الْأَمْرِ فِي سَائِرِ عُلُومِهِمْ ، وَأَمَّا فِي  
كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « الْمُنْقِذَ مِنَ الضَّلَالِ » فَأَنْجَى (١)  
فِيهِ عَلَى الْحُكَمَاءِ ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ إِنَّمَا يَحْصُلُ  
بِالْخَلْوَةِ وَالْفِكْرَةِ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْعَرْتَبَةَ هِيَ مِنْ جِنْسِ  
مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْعِلْمِ ، وَكَذَلِكَ صَرَّحَ بِذَلِكَ الْقَوْلِ  
بِعَيْنِهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « بِكَمِيَاءِ السَّعَادَةِ » فَصَارَ  
النَّاسُ لِهَذَا التَّشْوِيشِ وَالتَّخْلِيطِ فِرْقَتَيْنِ ؛ فِرْقَةٌ أَنْتَدَبَتْ ،  
لِذِمِّ الْحُكَمَاءِ وَالْحِكْمَةِ ، وَفِرْقَةٌ أَنْتَدَبَتْ (٢) لِتَأْوِيلِ الشَّرْعِ ،  
وَرَوْمٍ (٣) صَرَفَهُ إِلَى الْحِكْمَةِ ، وَهَذَا كُلُّهُ خَطَأٌ ، بَلْ

(١) فَأَنْجَى فِيهِ الخ : لَامَهُمْ قاصدا . (٢) روم صرفه إلى الحكمة :

إرادة رده إلى مذهب الحكماء . (٣) وانتدبت بالبناء للفاعل

يَنْبَغِي أَنْ يُفَسَّرَ الشَّرْعُ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَلَا يُصْرَحَ لِلْجُمْهُورِ  
بِالْجَمْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِكْمَةِ ، لِأَنَّ التَّصْرِيحَ بِذَلِكَ هُوَ  
تَصْرِيحٌ بِتَنَاجُجٍ لَهُمْ ، دُونَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ بُرْهَانٌ  
عَلَيْهَا .

وَفِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « التَّفْرِيقَةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ  
وَالزَّنَدَقَةِ » عَدَدَ أَصْنَافِ التَّأْوِيلَاتِ ، وَقَطَعَ فِيهِ بِأَنَّ الْمُؤَوَّلَ  
لَيْسَ بِكَافِرٍ ، وَأَنْ خَرَقَ الْأَجْمَاعَ فِي التَّأْوِيلِ ، وَهَذَا  
الَّذِي فَعَلَهُ هَذَا الرَّجُلُ ضَارٌّ بِالذَّاتِ لِلْحِكْمَةِ وَالشَّرِيعَةِ ،  
وَإِنْ كَانَ نَافِعًا لَهَا بِالْعَرَضِ - وَذَلِكَ أَنْ الْإِفْصَاحَ بِالْحِكْمَةِ  
لِمَنْ لَيْسَ بِأَهْلِيهَا يَلْزَمُ عَنْ ذَلِكَ بِالذَّاتِ ، إِمَّا إِبْطَالَ  
الْحِكْمَةِ ، وَإِمَّا إِبْطَالَ الشَّرِيعَةِ ، وَقَدْ يَلْزَمُ عَنْهُ بِالْعَرَضِ  
الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا ، وَالصَّوَابُ كَانَ أَلَّا يُصْرَحَ بِالْحِكْمَةِ  
لِلْجُمْهُورِ .

\*\*

وَمِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ الْبَاحِثُ أَثْرًا مِنَ التَّنَاقُضِ ، تَنَاقُضِ ابْنِ رَشْدٍ

وَمَسًّا <sup>(١)</sup> مِنَ التَّعَارُضِ وَالتَّبَيُّنِ ، فَإِنَّ ابْنَ رُشْدٍ يَعِيبُ  
عَلَى الْغَزَالِيِّ الْمُصَارَحَةَ بِأَسْرَارِ الشَّرْعِ ، وَمُجَاهِرَةَ النَّاسِ  
بِدِقَائِقِهِ وَأَسْرَارِهِ ، وَيَجْعَلُ لِلْعِلْمِ أَرِسْتُقْرَاطِيَّةً <sup>(٢)</sup> مُتَفَرِّدَةً  
مُتَجَافِيَةً عَنِ النَّاسِ ، مُحْتَكِرَةً لِأَسْرَارِهِ وَتَفَاصِيلِهِ فِي  
تَعْيِيبِ دِيمُقْرَاطِيَّتِهِ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ وَتَعَمِيمِهِ وَالِدَعْوَةَ لَهُ ،  
وَالْتَنَوِيَةَ بِهِ ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَتَّهَمُ أَبَا حَامِدٍ فِي  
الْوَقْتِ ذَاتِهِ بِأَنَّهُ تَرَاوَحَ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْإِخْفَاءِ ، وَالْإِعْلَانِ  
وَالسُّكْتَمَانِ ، وَنَافَقَ فِي الْعِلْمِ ، فَطَعَنَ الْفَلَسَفَةَ عَلَى الْمَلَأِ ،  
ثُمَّ هُوَ فِي ذَاتِ نَفْسِهِ يُقْرِئُهَا وَيَعْتَرِفُ بِهَا ، وَيَضِنُّ بِهَا  
عَلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَهِيَ تَهْمَةٌ لَوْ صَحَّتْ لَجَعَلَتْ الْغَزَالِيَّ  
دُونَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي أُحْتَلَهَا بَيْنَ كِبَارِ الْهُدَاةِ  
وَعُظَمَاءِ الْمُعَلِّمِينَ .

\* \* \*

وَقَدْ أَمَعَنَّ ابْنَ رُشْدٍ فِي تَعْيِيبِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ

الشرير الجاهل

(١) مسا من التعارض : قربا منه . (٢) ارسنقراطية : كلمة يراد بها

التعالي واعتزال الناس والاستبداد في الأمور .

نَاحِيَةِ الْجَهْرِ بِالْحِكْمَةِ ، حَتَّى سَمَاهُ الشَّرِيرَ الْجَاهِلَ فِي  
 قَوْلِهِ فِي كِتَابِهِ « تَهَاوَتْ التَّهَاتِ » إِنَّ الْكَلَامَ فِي هَذِهِ  
 الدَّقَائِقِ مَعَ الْجُمْهُورِ هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَسْقَى السُّمُومَ  
 أَبْدَانَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي تِلْكَ الْأَشْيَاءُ سُمُومٌ  
 لَهَا ، فَإِنَّ السُّمُومَ إِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ مُضَافَةٌ <sup>(١)</sup> ، فَإِنَّهُ قَدْ  
 يَكُونُ سُمًّا فِي حَقِّ حَيَوَانٍ شَيْءٌ هُوَ غِذَاهُ فِي حَقِّ  
 حَيَوَانٍ آخَرَ ، وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي الْآرَاءِ مَعَ الْإِنْسَانِ ،  
 أَعْنِي قَدْ يَكُونُ رَأْيٌ هُوَ سُمٌّ فِي حَقِّ نَوْعٍ مِنَ النَّاسِ ،  
 وَغِذَاهُ فِي حَقِّ نَوْعٍ آخَرَ ، فَمَنْ جَعَلَ الْآرَاءَ كُلَّهَا  
 مُدْلِئِمَةً لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ أَنْوَاعِ النَّاسِ ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ  
 مَنْ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا أَغْذِيَةً لِجَمِيعِ النَّاسِ ، فَإِذَا تَعَدَّى  
 « الشَّرِيرُ الْجَاهِلُ » ( كَذَا ) فَسَقَى السُّمَّ مَنْ هُوَ فِي حَقِّهِ  
 سُمٌّ عَلَى أَرْتِ غِذَاهُ ، فَقَدْ يَنْبَغِي عَلَى الطَّيِّبِ أَنْ يَجْتَنِّهَ

(١) امور مضافة : أى نسبية .

بِصِنَاعَتِهِ فِي شِفَائِهِ ، وَلِذَلِكَ اسْتَخَرْنَا <sup>(١)</sup> نَحْنُ التَّكَلِّمُ  
فِي مِثْلِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَإِلَّا فَمَا كُنَّا نَرَى أَنْ ذَلِكَ  
يَجُوزُ لَنَا بَلْ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْمَعَاصِي ، أَوْ مِنْ أَكْبَرِ  
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَعِقَابُ الْمُفْسِدِينَ مَعْلُومٌ بِالْشَّرِيعَةِ .  
وَلَمْ يَقْتَصِرْ طَعْنُ ابْنِ رُشْدٍ فِي حَقِّ الْغَزَالِيِّ وَمِنْهَاجِ  
تَفْكِيرِهِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي « تَهَابِتِ التَّهَابِتِ » ، وَلَسَكِنَّهُ  
عَادَ إِلَيْهِ فِي كُتُبِ أُخْرَى لَهُ فَرَمَاهُ فِيهَا بِالْجَهْلِ ، وَمُبْخَاصَةً  
فِي كِتَابِهِ « الْكَشْفِ عَلَى مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ » ، فِي عَقَائِدِ  
الْمِلَّةِ ، وَفِي كِتَابِهِ « فَصْلِ الْمَقَالِ » .

وَهَكَذَا جَعَلَ ابْنُ رُشْدٍ كُلَّ بَابِهِ فِي تَقْدِ الْغَزَالِيِّ  
وَالْتَعْقِيبِ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ التَّعَرُّضِ لِلْحِكْمَةِ وَالْمُجَاهِرَةِ  
بِهَا ، وَمُسْكَاشِفَةِ سَوَادِ <sup>(٢)</sup> النَّاسِ وَعَوَامِهِمْ بِدِقَائِقِهَا  
وَتَفَاصِيلِهَا ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُقْتَنِعًا بِأَنَّ الْغَزَالِيَّ عَدُوُّ  
الْفَلَسَفَةِ وَخَصِيمُهَا الْأَلَدُّ ، يَبْنِمَا هُوَ يَنْتَصِرُ لَهَا

(١) استخرنا الخ : اخترنا . (٢) سواد الناس : عامتهم .



وَيَذُودُ عَنْهَا ، وَمِنْ هُنَا نَشَأَتِ الْخُصُومَةُ بَيْنَهُمَا ، وَظَهَرَ  
إِسْرَافُ<sup>(١)</sup> ابْنِ رُشْدٍ فِي الطَّعْنِ وَالتَّسْفِيهِ ، وَأَوْ أَنْ  
الْغَزَالِيَّ حَضَرَهُ وَأَنْسَأَ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ فِي أَجَلِهِ حَتَّى يُعَاصِرَهُ ،  
لَشَهَادَةِ الْعَالَمِ حَرْبًا كَلَامِيَّةً شَعْوَاءَ<sup>(٣)</sup> ، بَيْنَ نَصِيرِ الْفَلَسَفَةِ  
وَبَيْنَ نَصِيرِ الدِّينِ .

وَبَقِيَ - بَعْدَ هَذَا - اتِّهَامُ الْغَزَالِيِّ بِالنِّفَاقِ فِي الْعِلْمِ  
وَالظُّهُورِ بَيْنَ النَّاسِ ، بِتَعَالِيمِ وَآرَاءِ وَمَذَاهِبِ فِي التَّفْكِيرِ  
يَعْمُرُ<sup>(٤)</sup> تَقَائِضَهَا ، وَيُخْفِي غَيْرَهَا ، أَوْ يُبْطِنُ عَكْسَهَا ،  
وَهِيَ تِهْمَةٌ خَطِيرَةٌ تُجَرِّدُهُ إِذَا صَحَّتْ مِنَ الزَّهَاهَةِ  
الْعِلْمِيَّةِ وَفَضِيلَةِ الْأَمَانَةِ وَرُوحِ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ  
إِلَى عَقْلِهِ وَتَفْكِيرِهِ ، وَتَتَعَارَضُ - كَمَا قُلْنَا - مَعَ اتِّهَامِهِ  
بِأَنَّهُ أَسَاءَ بِالْمُجَاهِرَةِ بِالْعِلْمِ ، وَدَقَائِقِ الْحِكْمَةِ ، وَإِنْ  
ظُنَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

(١) اسراف ابن رشد الخ : إكثاره وإسهابه . (٢) أنسأ الله في  
أجله : أخره - أي أطاله . (٣) شعواء : مشتعلة متفرقة . أي محترقة  
قوية . (٤) يعمر : يعطي



تطورات الغزالي  
النفسية

وَيَكْفِي فِي دَحْضِ (١) هَذَا الزَّعْمِ الْمُنْكَرِ وَالْإِتِّهَامِ  
أَخْطِيرِ الرُّجُوعِ إِلَى مَرَاكِ حَيَاةِ الْغَزَالِيِّ فِي سِيرَتِهِ ،  
فَإِنَّ تَطَوُّرَاتِهِ النَّفْسِيَّةَ الَّتِي بَدَتْ فِي حَيَاتِهِ ، مُقْنِعَةٌ  
وَحَدَّهَا بِفَسَادِ هَذَا الزَّعْمِ وَفِرْيَةِ ذَلِكَ الْإِتِّهَامِ ، فَقَدْ  
أَدْخَلْنَا الْغَزَالِيَّ رِحَابَ صَدْرِهِ ، وَأَنْزَلْنَا مَنْزِلَ الشُّقَّةِ مِنْ  
نَدْحِ (٢) تَفْكِيرِهِ ، وَكَاشَفْنَا بِخَوَالِجِ نَفْسِهِ ، وَقَادَنَا  
خُطْوَةً خُطْوَةً إِلَى شَبَابِهِ وَهُوَ الْمُتَشَكِّكُ ، ثُمَّ عَرَجَ (٣)  
بِنَا إِلَى الْمَهَاوِي الَّتِي تَرَدَّاهَا (٤) خِلَالَ هَذَا الدَّوْرِ مِنْ  
حَيَاتِهِ ، وَأَصْطَحَبْنَا وَهُوَ يَصْعَدُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى مَشَعِّ (٥)  
النُّورِ وَمُنْبَثِقِ (٦) الضِّيَاءِ ، وَضِفَافِ (٧) الْإِيمَانِ وَسَاحِلِ  
الْيَقِينِ .

(١) دحض هذا الزعم : إبطاله بالادلة (٢) ندح تفكيره : أى ستمه .  
(٣) عرج بنا الخ : مال بنا ووقف . (٤) تردها : سقط وهوى فيها  
(٥) مشع النور : مكان شعاعه . (٦) منبثق الضياء : مخرجه . أى  
موضعه . (٧) ضفاف الإيمان : جمع ضفة ، وهى جانب النهر ، والمراد  
الوصول إلى ما يؤدي إلى الإيمان أداء صحيحا

وَقَدْ وَقَفَ بِنَا عِنْدَ كُلِّ مَرَحَلَةٍ شَارِحًا مَا أَحْسَنَ ،  
مُبَيِّنًا مَا اخْتَلَجَ فِيهِ ، مُسَبِّبًا لِكُلِّ حَالَةٍ ، سَائِقًا بِوَاعِثِ  
كُلِّ طَوْرِ عَلَى حَدِيثِهِ ، رَابِطًا كُلَّ دَوْرٍ رَبِطًا إِحْسَامًا  
بِالدَّوْرِ الَّذِي سَبَقَهُ ، ثُمَّ الدَّوْرَ الَّذِي تَلَاهُ ، إِلَّا فِي  
اللَّحْظَاتِ الْخَطِيرَةِ ، أَوْ اللَّحْظَاتِ « الْبَسْمِيكُولُوجِيَّةِ »  
أَوْ النَّفْسِيَّةِ ، أَوْ مَا يُسَمُّونَهَا أَزْمَاتِ <sup>(١)</sup> النَّفْسِ ، وَمَضَائِقِهَا  
الْمُرْهِقَةِ ، وَمَآزِقِهَا <sup>(٢)</sup> الْوَعْرَةَ الشَّاقَّةَ ، فَإِنَّ هَذِهِ  
السَّلْسِلَةَ الْمُفْرَغَةَ <sup>(٣)</sup> الْحَلَقَاتِ ، قَدْ تَنْقَطِعُ فَجَاءَةً وَيَخْتَلُّ  
رِبَاطُهَا فَجَاءَةً ، وَالْكِنْ لَا يَدْبُثُ الْغَزَالِيُّ أَنْ يَعُودَ فَيُحَدِّثُنَا  
عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِ ، كَيْفَ أَعَاتَتْهُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ تِلْكَ  
الْمَضَائِقِ ، وَالْعَوْدَةِ إِلَى مَا انْقَطَعَ مِنْ سِلْسِلَةِ تَفْكِيرِهِ  
وَحَلَقَاتِ إِيْمَانِهِ ؟

(١) أزمت النفس : جمع أزمة : الشدة والضييق (٢) مآزقها : جمع

مازق : الحرج والضييق (٣) الحلقات المفرغة : أى التى لا يبرى أين  
طرفها ؟ كناية عن الاتحاد والوثام



وَفِي الْحَقِّ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْوَاقِعُ ، وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ  
يَكُونَ سِوَاهُ صَادِقًا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ ، فَإِنَّ بُلُوغَهُ  
مَضِيقًا <sup>(١)</sup> كَهَذَا لَا يُجْدِي فِي النَّجَاةِ مِنْهُ جَدَلٌ ، وَلَا  
يُنْقِذُهُ مِنْهُ بَحْثٌ وَلَا تَعَمُّقٌ فِي تَفْكِيرٍ ، بَلْ هُنَالِكَ  
رُوحٌ <sup>(٢)</sup> اللَّهُ تَذْهَبُ بِالْيَأْسِ ، وَتُوَدِّي إِلَى النَّجَاةِ ، وَهُنَالِكَ  
رِيَّاحُ الْإِيمَانِ تَهْبُ فَتَسْفِي <sup>(٣)</sup> كُلَّ شَكٍّ ، وَتَطْفِي عَلَى كُلِّ  
تَرْدٍ وَأَضْطِرَابٍ .

وَإِذَا نَحْنُ رَجَعْنَا إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْتَهْمَةِ الَّتِي رُمِيَ  
الْعَزَالِيُّ بِهَا ، وَجَدْنَاهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ دَعْوَيَيْنِ « أَوْلَاهُمَا »  
مَا قَالَهُ هُوَ فِي تَعَالِيمِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَذْبَغِي أَنْ يَقُولَهُ  
لِمَنْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ ، كَمَا ذَهَبَ ابْنُ رُشْدٍ  
وَالَّذِينَ أَخَذُوا بِرَأْيِهِ « وَالثَّانِيَةُ » مَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ  
الْكِتَابِ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ مِنَ التَّوَالِيفِ ، وَمُنْتَحَلِ

(١) مضيقا: مكانا ضيقا (٢) روح الله: رحمته (٣) تسفي كل شك:

تذريه وتفرقه

الْمُصَنَّفَاتِ ، « بَلَهُ <sup>(١)</sup> » مَاحَوَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ وَأُشْتَمِلَتْ عَلَيْهِ .

أَمَّا عَنِ الدَّعْوَةِ الْأُولَى : فَفِي الْحَقِّ أَنَّ الْغَزَالِيَّ نَادَى فِعْلًا بِالْقَصْدِ فِي التَّعْلِيمِ ، وَتَجَنَّبَ الْإِسْرَافَ فِي مُكَاشَفَةِ النَّاسِ بِدِقَائِقِ الْعِلْمِ وَأَسْرَارِهِ ، وَإِنْ زَعَمَ ابْنُ رُشْدٍ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ وَعَابَ عَلَيْهِ الْمَجَاهِرَةَ وَالْمُكَاشَفَةَ ، وَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِي كِتَابِهِ « الْإِمْلَاءُ » الَّذِي أَجَابَ بِهِ عَنِ بَعْضِ مَا عْتَرَضَ عَلَيْهِ بِهِ فِي « الْأَحْيَاءِ » يُقَرِّرُ مَبْدَأَ الضَّنِّ بِبَعْضِ أَسْرَارِ الْعِلْمِ عَنِ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ سَمَاعَهَا وَفَهْمَهَا وَإِدْرَاكَ مَعَانِيهَا خِيفَةً أَنْ تُودَى مُكَاشَفَتُهُمْ إِلَى التَّشَكُّكِ ، أَوْ إِلَى اقْتِرَافِ <sup>(٢)</sup> الْمُحَرَّمَاتِ وَمُخَالَفَةِ الشَّرْعِ .

وَلَكِنَّا لَا نَجِدُ فِي هَذَا شَيْئًا يُنْزِلُ تَعَالِيمَ الْغَزَالِيِّ مَنزِلَةَ النِّفَاقِ ، وَالْبُعْدِ مِنْ تَرَاهَةِ الْمُعَلِّمِ الْمُصْلِحِ الْهَادِي ،

(١) بله : اسم فعل أمر بمعنى أترك. وهى بمعنى : فضلا عن كذا الخ.

(٢) اقتراف المحرمات : إتيان المنهيات وفعلها

وَلَيْسَ فِي هَذَا الرَّأْيِ الَّذِي قَالَ بِهِ الْغَزَالِيُّ أَدْنَى تَعَارُضٍ  
مَعَ تَعَالِيمِهِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَوَأَضِحَ طَرِيقَتِهِ وَمَحَجَّتِهِ <sup>(١)</sup> ،  
بَلْ هُوَ فِي الْوَاقِعِ تَطْبِيقٌ لِمَبْدَأِ « بِلَا كَيْفٍ » ، أَعْنِي  
أَخَذَ التَّعَالِيمِ مَأْخَذَ التَّسْلِيمِ بِلَا اسْتِفْهَامٍ وَلَا اسْتِكْنَاهِ <sup>(٢)</sup>  
وَلَا تَحْقِيقٍ ، وَهُوَ الْمَبْدَأُ الَّذِي تَقَرَّرَ فِي الْبُحُوثِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَخَذَ بِهِ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ ، وَذَهَبَ  
إِلَيْهِ أَوَّلَ مَنْ ذَهَبَ ، الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ فِي تَعَالِيمِهِ ،  
وَقَالَ بِهِ أَيْضًا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فِي اسْتِنْسَاكِهِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ ،  
حَتَّى لَقَدْ أَسَارَ بِأَنْ يُشَهَّرَ بِالَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِمَذَاهِبِ  
الْمُتَكَلِّمَةِ وَطَرِيقَتِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ،  
وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ أَذِنَ لِلْأَحَادِ وَالْأَفْذَاذِ بِالتَّفَقُّهِ فِي أَسْرَارِ  
الدِّينِ ، وَتَقَصَّى الْبَحْثَ فِيهَا ، لِيَذُودُوا عَنْهُ عَوَادِي  
الزُّنْدَقَةِ وَهَجَمَاتِ <sup>(٣)</sup> الْكُفَّارِ وَالْمُنْكَرِينَ ، وَإِنَّمَا  
أَشْرَطَ أَلَا يُجَاهِرُوا بِأَجْمَلِهِمْ وَيُكْشِفُوا النَّاسَ بِدِرَاسَتِهِمْ

(١) الهجعة : جادة الطريق أى معظمه ووسطه (٢) استكناه : بلوغ

الكنه أى الأصل والغاية (٣) هجمات الكفار : حملاتهم ونقاشهم .

وَأَنْ يَكُونَ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَوْمًا  
أَذْكِيَاءَ ، فُقَهَاءَ وَعُقَلَاءَ ، حُصَفَاءَ <sup>(١)</sup> ، وَأَبْرَارًا صَالِحِينَ

\*\*\*

بلا كيف

وَقَدْ كَانَ الْأَشْعَرِيُّ أَوَّلَ مَنْ أُدْخِلَ عُلُومَ الْكَلَامِ  
كَمَا قَدَّمْنَا لَكَ ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ لِذَلِكَ حُدُودًا ، وَوَضَعَ  
شُرُوطًا وَقَيُودًا ، فَكَانَ إِذَا مَارَأَى أَنْ بَحَثَ مَوْضُوعًا  
أَوْ دَرَسَ مَسْأَلَةً ، أَوْ تَقَصَّى مُشْكِلَةً خَطَرَ ، لَا يَحْسُنُ  
الْإِيغَالُ <sup>(٢)</sup> فِيهِ ، وَلَا يَتَّبِعِي التَّعَمُّقُ فِي أَغْوَارِهِ <sup>(٣)</sup> ، عَدَلَ  
عَنْهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَبْدِئِ الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ وَهُوَ « بِلَا كَيْفٍ »  
حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ « يَدَانِ وَعَيْنَانِ » ،  
أَرْدَفَ فَإِنَّمَا بِوُجُوبِ اعْتِقَادِ ذَلِكَ ، دُونَ مُنَاقَشَةٍ أَوْ  
سُؤَالٍ عَنِ كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ وَمَعْنَاهُ ، وَلَكِنَّهُ أَذِنَ بِالْبَحْثِ  
فِيهِ لِلَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَهُ دُونَ أَنْ يَضُرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ ، أَوْ

(١) حصفاء: جمع حصيف، وهو المستحکم العقل (٢) الإيغال: الامعان

(٣) الأغوار: جمع غور: وهو ما انحدر من الارض، والمراد استيعابه  
وكثرة البحث والتنقيب فيه.

يُخْشَى عَلَيْهِمْ مِنَ الزَّيْغِ ، وَالَّذِينَ يَجِبُ أَنْ يَدْرُسُوهُ  
بِالضَّرُورَةِ لِلذَّوْدِ عَنِ الدِّينِ .

وَهَذَا هُوَ مَا فَعَلَهُ الْعَزَالِيُّ وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَتَوَخَّاهُ ،  
فَهُوَ فِي كِتَابِهِ « الْمُنْفِذِ مِنَ الضَّلَالِ » ، يُحَذِّرُ مِنْ دِرَاسَةِ  
الْفَلَسَفَةِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ فِي نَظَرِهِ لَا يَصْلُحُونَ لَهَا  
وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا ، وَلَسَكِنَّهُ يُدِيحُهَا لِلَّذِينَ أُوتُوا مِنَ الذِّكَاةِ  
وَقُوَّةِ التَّمْيِيزِ قَدْرًا يُجَنِّبُهُمُ الْإِحْتِرَاقَ بِهَا إِذَا هُمْ لَمَسُوهَا .

\*\*\*

وَقَدْ قَالَ الْعَلَّامَةُ « مَا كُدُوا لَانْدُ » بِسَبِيلِ الدَّفَاعِ  
عَنِ الْعَزَالِيِّ حِيَالٍ مُتَّهَمِيهِ وَخُصُومِهِ فِي هَذَا الْمَعْرِضِ مِنْ  
الِاتِّهَامِ : إِنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَامِدٍ قَسَمَ الْعِلْمَ فِي كِتَابِهِ  
« الْأَحْيَاءِ » إِلَى بَابَيْنِ : عِلْمٍ نَافِعٍ ، وَعِلْمٍ ضَارٍ ، وَقَدْ  
عَجِبَ الْعَلَّامَةُ « جُوشُ » مِنْ الْعَزَالِيِّ لِهَذَا التَّقْسِيمِ ،  
وَكَانَ « جُوشُ » يُعْتَبَرُ ابْنَ رُشْدٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَزَالِيِّ أَكْثَرَ  
حُرِّيَّةً فِي تَقْدِيرِهِ لِلْفَلَسَفَةِ ، وَأَوْسَعَ تَسَامُحًا ، وَلَكِنَّ

العلم النافع  
والعلم الضار



الْوَايِعَ أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ كَانَ يَرَى هَذَا الرَّأْيَ بِالذَّاتِ ،  
مَعَ أَنَّهُ عَجِبَ عَجَبَ « جُوشٍ » وَأَنْدَهَشَ دَهْشَتَهُ ، إِذْ  
رَأَى أَنَّ الْغَزَالِيَّ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَبْلَغَهُ ، وَلَمْ  
يَتَشَدَّدْ فِيهِ تَشَدُّدُهُ .



سر الخصومة

وَقَدْ أَبَانَ ابْنُ رُشْدٍ فِي مَجْمُوعَةِ رَسَائِلِهِ ، مَبْلَغَ شُعُورِهِ  
مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَأَنْتَقَدَ الْغَزَالِيَّ عَلَى مُجَاهَرَتِهِ بِأَسْرَارِ  
الْعِلْمِ وَدَقَائِقِهِ لِلْكَافَّةِ - كَمَا مَرَّ بِكَ - وَلَكِنَّ الْعَلَامَةَ  
« مَا كُدُولَانْدُ » يَقُولُ بِسَبِيلِ هَذَا الْإِتِّجَاهِ <sup>(١)</sup> الَّذِي أَتَجَّهُهُ  
ابْنُ رُشْدٍ : إِنَّ ظُرُوفَ الْأَعْتِرَاضِ قَدْ يَجْهَلُهَا أَكْثَرُ  
النَّاسِ ، فَهِيَ بِحَاجَةٍ إِلَى بَيَانٍ وَتَفْصِيلٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ  
الرَّسَائِلَ كَتَبَهَا ابْنُ رُشْدٍ عَامَ خَمْسَةِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،  
وَكَانَ ابْنُ رُشْدٍ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّبًا مِنْ سُلْطَانِ الْمُوحِدِينَ  
يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

(١) الاتِّجَاهُ : الْقَصْدُ وَالْجَهَّةُ .

وَكَانَ غَرَضُهَا إِدْخَالَ إِصْلَاحٍ عَلَى الدِّينِ ، وَتَعْدِيلَ اتِّجَاهِهِ  
الْعُلَمَاءَ وَأَهْلِ الْفِقْهِ فِي التَّدْرِيسِ لِلطُّلَّابِ ، وَبِخَاصَّةٍ  
فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِتَحْصِيلِ الْفَلَسَفَةِ ، حَتَّى إِنْ أَبْنُ رُشْدٍ فِي رَسَائِلِهِ  
شَرَحَ مَرَامِيَهُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وَهِيَ التَّوْفِيقُ بَيْنَ  
الْفَلَسَفَةِ وَالدِّينِ ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الدِّينَ لَا يَنْهَى عَنِ  
تَحْصِيلِ الْفَلَسَفَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَبْنُ رُشْدٍ فِي هَذَا غَيْرَ  
مُدَافِعٍ عَنِ حَيَاتِهِ ، مُتَشَفِّعٍ لِمَسْلُكِهِ فِي بَحْثِهِ وَمِنْهَاجِهِ  
فِي دِرَاسَتِهِ .

وَهُوَ يُبَيِّنُ صِلَةَ الْفَلَسَفَةِ بِالْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ إِزَاءَ الدِّينِ  
وَهُوَ الْحَقُّ الْمُدْهَمُّ مِنَ اللَّهِ ، وَيَقُولُ : إِنْ هَاتَيْنِ الْحَقِيقَتَيْنِ  
لَا تَتَعَارَضَانِ وَلَا تَخْتَلِفَانِ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أَكْثَرَ فِي  
مَوَاضِعٍ مِنْهُ عَلَى الْحُضِّ فِي التَّأْمُلِ وَالتَّبَصُّرِ وَالتَّفَكِيرِ  
فِي الْأَشْيَاءِ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَسْتِخْدَامُ الْبَصِيرَةِ <sup>(١)</sup> ، وَمُتَابَعَةُ  
الْقَوَائِنِ وَالنَّوَامِيسِ <sup>(٢)</sup> ، الَّتِي أُهْتَدَى إِلَيْهَا الْقَدَمَاءُ

(١) البصيرة : العقل وعقيدة القلب والفتنة ، واستخدامها : استعمالها

(٢) النواميس : جمع ناموس : وهو الشريعة .

وَدِرَاسَتَهَا حَقَّ الدَّرَاسَةِ ، وَبَحْثُهَا أَوْفَى البُّحُوثِ .

\*\*\*

ظاهر الشرع

وَكَانَ ابْنُ رُشْدٍ يَقُولُ : إِنَّ فِي الشَّرْعِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ  
الْمَعْنَى ، وَمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ ، وَإِنَّهُ  
إِذَا مَا وَجَدْنَا فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا يَمْتَرِضُ فِي الظَّاهِرِ  
تَحْقِيقَاتِ الفَلَسَفَةِ ، وَجَبَ أَنْ نَتَقَى بِأَنَّ هُنَاكَ تَحْتَ  
الظَّاهِرِ سِرًّا وَحِكْمَةً خَافِيَةً ، وَكَانَ لِزَامَا عَلَيْنَا أَنْ  
نَبْحَثَ عَنْ تَأْوِيلِ مُمَكِّنٍ ، وَتَفْسِيرِ جَائِزٍ فِي الآيَةِ  
الْمُتَعَارِضَةِ مَعَ الفَلَسَفَةِ ، فَإِنَّا وَلَا شَكَّ بِالْبَحْثِ  
وَاجِدُوهُ .

\*\*\*

المعنى الظاهر  
والمعنى المؤول

وَيَقُولُ ابْنُ رُشْدٍ فِي الْمَعْنَى الظَّاهِرِ وَالْمَعْنَى الْمُؤُولِ  
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ : إِنَّ الْأَوَّلَ هُوَ مِنْ شَأْنِ الْجُمْهُورِ أَوْ  
الْكَافَّةِ ، وَإِنَّ الثَّانِيَّ مِنْ شَأْنِ الطُّلَّابِ وَالبَّاحِثِينَ  
وَأَهْلِ الدَّرْسِ وَالْإِسْتِقْصَاءِ ، وَمِنْ ثَمَّ وَجَبَ أَنْ يَتَّبَعِينَ

أَنْظَرُ إِلَى الشَّرْعِ وَالْكِتَابِ بِتَبَايُنِ طَبَقَاتِ النَّاسِ  
وَقُوَّتِ تَفْكِيرِهِمْ ، وَأَسْتِعْدَادِ عُقُولِهِمْ ، وَمَاعَلَى الَّذِينَ  
لَا يَسْتَطِيعُونَ إِذْرَاكَ الْفَلَسَفَةِ ، إِلَّا أَنْ يَأْخُذُوا بِظَاهِرِ  
الشَّرْعِ وَالْآيَاتِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْمِنُوا بِالصُّورِ  
وَالنَّشِيدَاتِ وَالنَّمَثِيلِ الَّذِي يَحْتَوِيهِ الْقُرْآنُ كَمَا هُوَ  
بَغْيٌ تَأْوِيلٌ ، بَيْنَمَا تُتْرَكُ لِلْفَلَسَفَةِ حُرِّيَّةُ التَّفْسِيرِ  
وإِرَادَةُ التَّأْوِيلِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ قَيْدٌ وَلَا حَرَجٌ  
إِنْ هُمْ فَعَلُوا ، بَلْ يَقُولُ ابْنُ رُشْدٍ ، إِنَّ الْفُقَهَاءَ قَدْ  
عَمِدُوا إِلَى التَّأْوِيلِ أَحْيَانًا فِيمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَسَّكُوا  
بِالْحَرْفِ ، وَيَرْتَضُوا ظَاهِرَ الْمُرَادِ ، وَإِنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا  
أَحْيَانًا أُخْرَى بِظَاهِرِ الْمَعْنَى ، وَكَانَ أَوْلَى لَهُمْ أَنْ يَعْمِدُوا  
إِلَى التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ .

وَلَمْ يُسَكِّفِرْ ابْنُ رُشْدٍ فِي ذَلِكَ أَحَدًا مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا  
طَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يُدِجِّحُوهُ هُوَ هَذَا الْإِخْتِيَارَ .

\*\*\*

وَمِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ يَبْدُو لَكَ ، أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ عَبَّ عَلَى

براءة الغزالي  
بما اتهم به

الْغَزَالِيَّ شَيْئًا هُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ ، وَقَرَفَهُ <sup>(١)</sup> بِمَا هُوَ بَعِيدٌ  
مِنَ الْوَاقِعِ ، فَإِنَّ الْغَزَالِيَّ قَالَ مِنْ قَبْلِهِ بِمَا جَاءَ هُوَ بَعْدَهُ  
فَتَشَدَّدَ فِيهِ .

وَمَا أَشَارَ ابْنُ رُشْدٍ إِلَيْهِ ، كَوَهْمٍ وَقَعَ الْغَزَالِيُّ فِيهِ  
أَوْ خَطَأٍ أُرْتَكَبَهُ ، لَا يَخْتَلِفُ كَثِيرًا نَحْوًا وَهَيْئَةً هُوَ  
وَأَخْطَأَ مِنْ جِهَتِهِ ، وَقَدْ نَسَبَ ابْنُ رُشْدٍ إِلَى الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ  
فِي « التَّهَابُتِ » قَالَ أَشْيَاءَ ، ثُمَّ عَادَ فِي « الْمَضْنُونِ » بِهِ  
عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ « فَجَاءَ بِمَكْسِبِهَا ، وَهُوَ قَوْلُ بَعِيدٍ مِنْ  
الْحَقِّ ، فَإِنَّ الْغَزَالِيَّ لَمْ يُقَمْ فِي التَّهَابُتِ شَيْئًا ، وَإِنَّمَا  
هَدَمَ مَذَاهِبَ الْفَلَّاسِفَةِ الْقُدَمَاءِ جَمِيعًا ، وَظَلَّ صَادِقًا فِي  
نَزْعَةِ <sup>(٢)</sup> تَفْكِيرِهِ إِلَى النِّهَايَةِ .



وَقَدْ أَيْقَمَ الْإِتِّهَامُ الْمَوْجِبُ إِلَى الْغَزَالِيِّ عَلَى مَا جَاءَ فِي  
ابن طفيل  
كِتَابِ « الْمَضْنُونِ » عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ « وَالْكِتَابُ مَوْجُودٌ

---

(١) قرفه : اتهمه وعابه (٢) نزعة تفكيره : النزعة الميل والخروج

وَقَدْ طُبِعَ فِي مِصْرَ، وَطُبِعَ مَعَهُ كِتَابُ آخِرِ مَنْسُوبٍ  
إِلَى الْغَزَالِيِّ وَهُوَ « النَّفْخُ وَالتَّسْوِيَةُ » الَّذِي تَحَدَّثَ  
أَبْنُ طُفَيْلٍ عَنْهُ فِي رِسَالَتِهِ إِذْ قَالَ : إِنَّ لِلْغَزَالِيِّ كُتُبًا مِنْ  
هَذَا النُّوعِ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَصِلْ إِلَى الْمَغْرِبِ جَمِيعًا ،  
وَإِنَّمَا وَصَلَ مِنْهَا كِتَابٌ يُسَمَّى « الْمَعَارِفَ الْعَقْلِيَّةَ »  
وَآخَرُ يُدْعَى « النَّفْخَ وَالتَّسْوِيَةَ » وَثَالِثٌ يُسَمَّى « مَجْمُوعَةَ  
الْمَسَائِلِ » ، وَلَكِنَّهُ أَيُّ ابْنِ طُفَيْلٍ ، لَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحْتَوَتْهُ  
هَذِهِ الْمُصَنَّفَاتُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي عَثَرَ بِهَا مَا يَدْبُو عَنِ الدِّينِ  
أَوْ يَقَرُّرُ مَبَادِيَّ وَآرَاءَ تَسْتَوْجِبُ الرَّدَّ وَالْإِنْكَارَ .

\* \* \*

وَهُنَا يَقُولُ الْعَلَامَةُ « مَا كُدُولَانْدُ » ، إِنِّي لَا أَجِدُ  
فِي هَذِهِ الْكُتُبِ آيَةَ عِلْمَاتٍ أَوْ إِشَارَاتٍ تَنِمُّ عَنْ  
الْخُرُوجِ أَوْ تَتَعَارَضُ مَعَ الدِّينِ ، وَقَدْ كَانَ كِتَابُ  
« الْمَضْنُونِ بِهِ » حَجَرَ عَثْرَةٍ فِي طَرِيقِ كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ  
الْفِرَاجَةِ وَبَاحِثِيهِمْ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي بَعْدُ أَنْ يَكُونَ جَلِيًّا ،

دفاع ما كدولاند  
عن الغزالي

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ ، إِنَّ هُوَ إِلَّا تَطَوَّرَ آخِرُ فِي طَرِيقِ  
طَلَابِ الْعِلْمِ ، وَالرَّاعِيْنَ فِي التَّحْصِيلِ ، لِيَكْرُمُوا بِالْحِرْفَةِ  
عُلَمَاءَ ، وَبِالصَّنَاعَةِ مُتَفَقِّهِينَ ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ  
الْمُشَارِقَةِ ، يُؤَكَّدُونَ عَلَى الْيَقِينِ ، أَنَّ الْغَزَالِيَّ قَالَ فِيهِ  
بِأَزَلِيَّةِ <sup>(١)</sup> الْعَالَمِ ، وَعَدَمِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ بِالْجُزْئِيَّاتِ وَجَسَدِيَّةِ  
الْعَالَمِ الْآخِرِ ، وَهَذِهِ الْقَضَايَا الثَّلَاثُ تَتَعَارَضُ كُلُّ  
التَّعَارُضِ مَعَ تَعَالِيمِهِ الَّتِي بَشَّهَا فِي كِتَابِهِ الْآخَرِيَّ ،  
وَسَائِرِ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَلَسْتُ أَجِبُ لِخُصُومِهِ إِذْ يَثْبُونَ هَذِهِ  
الدَّعْوَةَ ضِدَّهُ ، فَإِنَّ اللَّدَدَ <sup>(٢)</sup> فِي الْمُنَاقَشَاتِ وَالْجَدَلِيَّاتِ  
غَرِيبٌ عِنْدَ الْمَشَارِقَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يَخْتَلِفُ كَثِيرًا ، عَمَّا  
هُوَ لَدَيْنَا نَحْنُ الْغَرَبِيِّينَ ، وَلَسْتُ أَفْهَمُ كَيْفَ ذَهَبَ  
السَّيِّدُ مُرْتَضَى صَاحِبُ إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ ، وَقَدْ عَرَفَ  
أَمْرَ كِتَابِ الْمَضْنُونِ بِهِ ، إِلَى قَبُولِ الْكِتَابِ عَلَى عِلَاتِهِ <sup>(٣)</sup>

(١) بأزلية العالم : بدمه (٢) اللدد : شدة الخصومة (٣) على علاته :

على ما فيه من الاحوال والشؤون

فَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي ذَلِكَ الْمُصَنَّفِ الَّذِي شَرَحَ فِيهِ «الْإِحْيَاءُ»  
بَعْدَ أَنْ أُوْرِدَ قَائِمَةً بِأَسْمَاءِ تَأْلِيفِ الْغَزَالِيِّ وَمُصَنَّفَاتِهِ ،  
يُضِيفُ إِلَيْهَا أَرْبَعَةَ كُتُبٍ وَيَقُولُ : إِنَّهَا عَزِيَّتٌ لَهُ ،  
وَهِيَ كِتَابُ «السَّرِّ الْمَكْتُومِ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ» وَنُسِبَ  
هَذَا الْكِتَابُ إِلَى الْإِمَامِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ، وَكِتَابُ  
«تَحْسِينِ الظُّنُونِ» وَقَدْ صَرَّحَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ ، أَنَّهُ  
مَوْضُوعٌ<sup>(١)</sup> ، عَلَيْهِ وَكِتَابُ «النَّفْحِ وَالتَّسْوِيَةِ» وَهُوَ كَذَلِكَ  
مَوْضُوعٌ عَلَيْهِ ، وَكِتَابُ «الْمَضْنُونِ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ» . قَالَ ابْنُ  
السُّبُكِيِّ : ذَكَرَ ابْنُ الصَّلَاحِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ  
وَسِتِّمِائَةَ ، أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : - مَعَاذَ اللَّهِ - أَنْ  
يَكُونَ لَهُ ، وَبَيْنَ سَبَبِ كَوْنِهِ مُخْتَلَقًا مَوْضُوعًا عَلَيْهِ ،  
وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى التَّصْرِيحِ بِقِدَمِ الْعَالَمِ  
وَتَفِي عِلْمِ الْقَدِيمِ بِالْمُجْزِئِيَّاتِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ  
يُكْفَرُ الْغَزَالِيُّ قَائِلًا بِهَا ، هُوَ وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَجْمَعُونَ ،

(١) موضوع عليه : مكذوب عليه



فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ أَنَّهُ يَقُولُهَا؟ وَهُوَ عِنْدِي، وَفِي الْمُسَامَرَةِ  
أَنَّهُ مِنْ تَأْلِيفِ عَلِيِّ بْنِ السَّبْتِيِّ، وَكَذَلِكَ صَرَّحَ صَاحِبُ  
« تَحْفَةِ الْإِرْشَادِ » بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ صَنَّفَ  
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِقِيُّ كِتَابًا فِي رَدِّهِ،  
وَتُوِّفِيَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ (١).

وَيَسْتَطْرِدُّ الْعَلَامَةُ « مَا كُدُّوْلَانْد » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ  
فَيَقُولُ: فَإِذَا كَانَ الْمَضْنُونُ بِهِ الَّذِي تَحَدَّثُوا عَنْهُ فِيمَا  
تَقَلَّتْ إِلَيْكَ، هُوَ هَذَا الْكِتَابَ الْمَطْبُوعَ الَّذِي بَيْنَ  
أَيْدِينَا، فَلَسْتُ أَفْهَمُ عَلَامَ هَذَا الْخِلَافِ بَيْنَ الْمُكَدِّ بَيْنَ  
وَالْمُتَهِمِينَ؟ إِذْ يَتَحَدَّثُ الْغَزَالِيُّ فِي هَذَا الْكِتَابِ «ص ٣»  
عَنْ خَلْقِ الْمَادَّةِ وَيَقُولُ فِي الصَّفَحَاتِ مِنْ ٣٢ إِلَى ٣٨:  
بِعَوْدَةِ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْأَبْدَانِ حِينَ الْبَعْثِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ  
نَشْأَةً أُخْرَى، وَأَنَّ نَعِيمَ الْآخِرَةِ سَيَكُونُ حَسِيًّا وَخِيَالِيًّا

(١) ورد هذا في الفصل الذي عقدها للكلام عن تأليفه، ولكننا

أبدناه هنا حرصا على السياق

وَعَقْلِيًّا ، وَقَدْ أَهْدَى الْكِتَابَ إِلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ وَأَعَدَّهُ  
لِاطِّلَاعِ الْفُقَهَاءِ الصَّالِحِينَ لِقِرَائَتِهِ وَفَهْمِهِ ، وَاتِّبَاعِ مَا فِيهِ ،  
وَلَمْ أَرِ فِي الْكِتَابِ شَيْئًا يَتَعَارَضُ أَوْ يَتَنَاقِضُ هُوَ وَتَعَالِيمُهُ  
الْأُخْرَى ، وَإِنَّمَا هُوَ يَتَوَسَّعُ هُنَا فِي التَّسْذِيلِ ، وَيَبَيِّنُ  
دَقَائِقَ الْمُعْتَقَدَاتِ الْكَثِيرَةِ ، وَيَبْحَثُ أَيْضًا فِي مَشَاكِلِ  
وَمَسَائِلِ عَوِيصَةٍ <sup>(١)</sup> ، قَدْ تَعَرَّضُ لِلْمُدْرَسِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ ،  
وَلَمْ أَجِدْ فِي الْكِتَابِ شَيْئًا وَاضِحًا جَلِيًّا قَاطِعًا ، بِالنِّسْبَةِ  
لِلْقَوْلِ بِنَفْيِ عِلْمِ الْقَدِيمِ بِالْجُزْئِيَّاتِ ، وَإِنَّمَا تَشْفَى <sup>(٢)</sup>  
لِهَجَةِ الْفِقَرَاتِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ فِيهَا الْغَزَالِيُّ عَنِ «الْصِّفَاتِ»  
عَنِ اعْتِقَادِهِ بِهَذَا الْقَوْلِ .

\* \* \*

عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمَلِ - وَلَا رَيْبَ - أَنْ يَكُونَ كِتَابٌ  
آخَرٌ بِهَذَا الْعُنْوَانِ ذَاتِهِ «الْمُضَنُونِ بِهِ» قَدْ دُسَّ <sup>(٣)</sup>  
عَلَى الْغَزَالِيِّ ، حَاوِيًا هَذِهِ الْمُعْتَقَدَاتِ أَخْرَاجًا عَلَى الدِّينِ ،

حقيقة كتاب  
المضنون به

(١) مسائل عويصة : مشكلة يصعب استخراج المراد منها (٢) تشفى  
تكشف (٣) دس الخ : أدخل عليه خفية

فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْ نَحْوَهُ مُشَاهِدٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِ الْجَدَلِ  
وَالْمُنَظَرَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَمْ دُسَّتْ كُتُبٌ وَوُضِعَتْ  
عَلَى غَيْرِ أَصْحَابِهَا لِمُحَارَبَتِهِمْ وَالتَّشْهِيرِ بِهِمْ ؟ كَمَا فَعَلُوا  
فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِي ، إِذْ زَوَّرُوا عَلَيْهِ كِتَابًا  
فِي تَكْذِيبِ الإِعْتِقَادِ بِالْأَوْلِيَاءِ ، وَقَدْ حَدَّثَ مِثْلُ هَذَا  
فِي حَقِّ الشَّعْرَانِيِّ ، إِذْ تَنَاوَلَ أَحَدُ خُصُومِهِ كِتَابَهُ  
« الْبَحْرَ الْمَوْزُودَ » فَحَذَفَ مِنْهُ فُصُولًا وَوَضَعَ بَدَلَهَا ،  
مَا تَشْتَمُ (١) مِنْهُ رِيحُ الْكُفْرِ ، ثُمَّ نَشَرَهُ مَنْسُوبًا إِلَى  
الشَّعْرَانِيِّ ، بِاعْتِبَارِهِ كِتَابَهُ الْحَقِيقِيَّ ، فَاضْطُرَّ الشَّعْرَانِيُّ  
فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِهِ أَمَامَ عُلَمَاءِ الْقَاهِرَةِ ، أَنْ يُبْرَزَ  
النُّسْخَةُ الْأَصْلِيَّةُ الَّتِي لَدَيْهِ عَنِ كِتَابِهِ ، وَالَّتِي تَحْوِي  
تَوَاقِيمَهُمْ ، وَقَدْ حَدَّثَ هَذَا أَيْضًا فِي حَقِّ ابْنِ عَرَبِيِّ ،  
وَتَصَدَّى الشَّعْرَانِيُّ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ ، وَكَانَ بَعْضُ خُصُومِهِ  
قَدْ دَسَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ « الْفُتُوحَاتِ » مَا يَدُلُّ عَلَى

(١) ما تشتم منه الخ : ما يؤخذ منه

الْكُفْرِ ، وَقَدْ قَاتَى الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي شَيْئًا  
مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، وَقَدْ تَعَدَّدَتْ هَذِهِ الدَّسَائِسُ ، عَلَى  
كُتُبِ الْمُؤَلِّفِينَ بِفِعْلِ خُصُومِهِمْ ، وَالنَّاقِمِينَ مِنْهُمْ ،  
حَتَّى وَضَعَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيُّ قَائِمَةً بِأَسْمَائِهِمْ . وَإِذَا  
كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَعَجَبَ مِنْ وَقُوعِ  
هَذَا فِي حَقِّ الْغَزَالِيِّ أَيْضًا ، وَقَدْ أَكَّدَ الْمُسْتَشْرِقُّ  
الْأَلْمَانِيُّ « جُولْدِيْزَهْرُ » أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ بِالْفِعْلِ .

\* \* \*

وَمِمَّنْ تَصَدَّوْا <sup>(١)</sup> مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَحْيَرًا  
لِرَدِّ هَذِهِ التَّهْمَةِ عَنِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ الدُّكْتُورُ « هِنْرِِيْخُ  
مُولْتَرُ » إِذْ وَضَعَ كِتَابًا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ خَاصَّةً وَطُبِعَ  
فِي « فَنَكْفُورْت » سَنَةَ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةَ بَعْدَ  
الْأَلْفِ .

وَيَدُلُّ الْكِتَابُ عَلَى أَنَّ الْمُؤَلِّفَ ، قَدْ قَرَأَ النُّسْخَةَ

(١) تصدوا : تعرضوا

المطبوعة في القاهرة من كتاب «المضنون به على غير أهله» وتبين أنها لا تحوى ما يصحح أن يتخذ أساساً لإتهام الغزالي على النحو الذي اتهم به ، فنشر رسالة وجددها في العبرية ، ولكنها تلوح مترجمة عن أصل عربي ، وهى تبين تعاليم الغزالي في «المضنون به» كما عثر أيضاً على تعليق وشرح لموسى الناربوني على ترجمة كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي بالعبرية .

وليسَت هذه الرسالة معروفة لمترجمي الغزالي والنقلة عنه ، والمتحدثين في تعاليمه وسيرته ، عرباً أو عجماً ، مشاركة أو مغاربة ، وقد عقب الدكتور «مولتر» على هذا بقوله : إنه لا يقدح في صحة الرسالة ، ولا يؤثر في حقيقتها ، فكم عرفنا للغزالي من كتب وتآليف جهل أمرها ، وضاعوا<sup>(١)</sup> ألفهارس من العرب ، والأخصائيون<sup>(٢)</sup> يعلم الكتب .

(١) وضاعو الفهارس : منضدوها ومنسقوها (٢) الاخصائيون : جمع

أخصائي : التفرّد في فنه

\* \* \*

فهرس وستنفيلد وَ كَانَ الدُّكْتُورُ « مُولتر » فِي هَذَا الَّذِي يَحْتَجُّ بِهِ

لَمْ يَعْتَدَّ بَيَانِ « وستنفيلد » وَفَهْرِسِهِ ، عَنْ كُتُبِ  
الغزاليِّ وَمُصَنَّفَاتِهِ ، وَلَا بِالْقَائِمَةِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْهَا فِي  
كِتَابِ الزَّيْدِيِّ ، « إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ »

\* \* \*

شمولدرز وَلَمْ يَكُنْ « شمولدرز » الْعَلَّامَةُ الْأَلْمَانِيَّ ، الَّذِي

بَحَثَ فِي كُتُبِ الغزاليِّ ، يَعْرِفُ تِلْكَ الْقَائِمَةَ مَعْرِفَةً  
تَامَةً ، وَقَدْ اعْتَمَدَ الدُّكْتُورُ « مُولتر » عَلَى « شمولدرز »  
هَذَا فِي دِرَاسَتِهِ لِلغزاليِّ وَمُصَنَّفَاتِهِ .

وَتَحْتَوِي الرِّسَالَةُ الَّتِي نَحْنُ بِسَبِيلِهَا ، شُدُورًا (١)

مِنْ كِتَابِ « الْعَقَائِدِ » فِي قَدَمِ الْعَالَمِ ، وَأَزَلِيَّةِ الزَّمَنِ  
وَلَكِنَّهَا مُضْطَرِبَةٌ السِّيَاقِ مُشَوَّشَةٌ ، فَأَقْدَةُ الْأَحْمَةِ (٢)  
وَالرِّبَاطِ الَّذِي يَجْعَلُهَا مُتَمَاسِكَةً ، وَهَذَا هُوَ مَا يَحْمِلُ عَلَى

(١) شُدُورًا : قطعًا مختارة (٢) الاحمّة : القرابة والصلة والرباط :

ما يربطه من حبل وغيره

نَفِي نِسْبَتِهَا إِلَى الْغَزَالِيِّ ، بَلْ إِنَّهَا لَتَدْعُو إِلَى الشُّكِّ الْمُطْلَقِ  
فِي صِحَّتِهَا ، وَتَبَعْتُ عَلَى تَغْلِيْبِ زَيْفِهَا <sup>(١)</sup> ، وَالْقَطْعِ بِأَنَّهَا  
مَوْضُوعَةٌ مَدْخُولَةٌ عَلَى حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَبِأَنَّهَا كَانَتْ  
مَجْهُولَةً عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّحْقِيقِ ، فَلَمْ يَذْكُرْهَا أَحَدٌ  
وَلَمْ يُشِرْ إِلَيْهَا مُؤَرِّخٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ ، وَلَا رَاوِيَةٌ مِنَ  
الرُّوَاةِ .

وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَقُولُ الْعَلَّامَةُ . « مَا كَدُّو لَانْدُ » :  
وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْغَزَالِيُّ بَعْدَ أَنْ وَضَعَ كِتَابَ  
« التَّهَافُتِ » قَدْ رَغِبَ حَقًّا فِي التَّرَاجُعِ عَمَّا أَعْتَقَدَهُ  
وَشَرَحَهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ، وَأَبَانَهُ فِي فُصُوحِهِ ، وَأَرَادَ  
أَنْ يَجْعَلَ تَرَاجُعَهُ <sup>(٢)</sup> مَسْكُوتًا عَنِ النَّاسِ ، وَلَوْ فِي رِسَالَةٍ  
خَفِيَّةٍ ، لَكَانَ أَحْرَصَ مِنْ هَذَا فِيمَا يَكْتُبُهُ ، وَأَكْثَرَ  
عِنَايَةً مِمَّا تَدُلُّ عَلَيْهِ التَّسَالِيفُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ  
النَّاحِيَةِ .

(١) زيفها : غشها وتدليسها (٢) تراجعها : تفهقره ورجوعه عن رأيه

\* \* \*

موسى الناربوني

وَلَا يَعْتَدُ بِتَعْلِيْقِ مُوسَى النَّارَبُونِيِّ مِنْ حَيْثُ قِيَمَتُهُ  
النَّقْدِيَّةُ أَحَدُ مِمَّنْ دَرَسَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ وَعُنِيَ بِبَحْثِهَا ،  
وَقَدْ كَانَ مُوسَى هَذَا شَدِيدَ التَّحَامُلِ <sup>(١)</sup> عَلَى الْغَزَالِيِّ وَهُوَ  
فِي ذَلِكَ سِوَاءٍ وَأَبْنُ رُشْدٍ مِمَّا يَدُّكَ عَلَى مَبْلَغِ الضَّرْبَةِ  
الْقَاسِيَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا الْغَزَالِيُّ بِالْفَلَسَفَةِ ، الَّتِي جَاءَ ابْنُ  
رُشْدٍ وَأَنْصَارُهُ فِيهَا بِعَدِّ يُحَاوِلُونَ اسْتِنْقَازَهَا ، وَضَمَدَ <sup>(٢)</sup>  
جِرَاحِيهَا ، مِمَّا أَصَابَهَا مِنْ بَطْشَتِهِ الْمُدْمِيَةِ .

وَلَقَدْ اتَّخَذُوا مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُمْ فِي حَقِّ  
الْغَزَالِيِّ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ سِرًّا عَكْسَ مَا كَانَ يَقُولُ بِهِ  
جَهْرًا ، اسْتَشْهَادُهُ بِكَلِمَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَكَرَّمَهُ اللَّهُ وَجْهَهُ - « خَاطَبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ <sup>(٣)</sup> »  
وَلَكِنَّ ابْنَ رُشْدٍ نَفْسَهُ تَمَثَّلَ كَذَلِكَ بِهَا فِي التَّدْلِيلِ

(١) التحامل: الميل والجور وعدم الانصاف (٢) ضمد جراحها: كناية  
عن لأم رتوقها وإصلاح ما فسد منها (٣) ينسب بعضهم هذه الحكمة الى  
الحديث الشريف ومنهم الغزالي فقد ذكرها في كتاب الاملاء على أنها  
كذلك



عَلَى رَأْيِهِ مِنْ وَجُوبِ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ مُصَارَحَةِ الدَّهْمَاءِ (١)  
وَمُجَاهِرَةِ الْجُمْهُورِ بِأَسْرَارِ الْعِلْمِ وَدَقَائِقِهِ وَمُرَاعَاةِ مُخْتَلِفِ  
دَرَجَاتِ الْفَهْمِ ، وَمَرَاتِبِ الْعُقُولِ عِنْدَ التَّدْرِيسِ وَالْهِدَايَةِ  
وَالتَّلْقِينِ ، فَلَيْسَ الْإِسْتِشْهَادُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ دَلِيلًا عَلَى  
صِحَّةِ دَعْوَاهُمْ هَذِهِ ، وَلَا مُصَدِّقًا (٢) لِتَهْمَتِهِمْ أَخْلَاطِيَّةً .

\* \*

تهمة أخرى  
للغزالي

وَقَدْ غَلِطَ الدُّكْتُورُ مُولْتَرُ ، بَلْ جَانِبَ شِرْعَةَ (٣)  
الْإِنصَافِ فِي وَصْفِهِ لِلغَزَالِيِّ إِذْ يَقُولُ ، إِنَّ الرَّجُلَ أَرَادَ  
أَنْ يَكُونَ عَلَى وِفَاقٍ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ ، وَيَرْضَى  
كَافَّةَ الْفِرَقِ وَالْأَحْزَابِ ، وَيُصْلِحَ ذَاتَ يَدِينِهِ (٤) ،  
وَسَائِرَ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ ، فَلَعَلَّ الدُّكْتُورَ مُولْتَرُ  
أَخَذَ هَذَا الرَّأْيَ فِي الْغَزَالِيِّ عَنِ ابْنِ رُشْدٍ وَتَحَامُلِهِ .  
لِأَنَّ حَيَاةَ الْغَزَالِيِّ ذَاتَهَا لَا تَتَّفِقُ مَعَ هَذَا الْوَصْفِ  
الَّذِي وَصَفُوهُ بِهِ ، فَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِيمَا بَسَطْنَا مِنْ تَرْجُمَتِهِ ،

(١) الدهماء : جماعة الناس (٢) مصداقا : دليلا على صدقه (٣) شرعة  
الانصاف : شريعة العدل وقانونه (٤) يصلح ذات بينه : أي يعيد صداقته

وَأَدْوَارِ تَطَوُّرِهِ الْفِكْرِيِّ وَمَرَاجِلِ حَيَاتِهِ ، مُحَارِبًا فِكْرِيًّا  
يَسْنُ الْغَارَةَ ، وَيَهْجُمُ وَيَقْتَحِمُ ، وَيَدْكُ (١) الْمَعَاوِلَ ،  
وَيَهْدِمُ الْخُصُونَ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ  
الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالطَّوَائِفِ الْمُتَمَدِّدَةِ ، عَلَى حَبِيبٍ وَلَا حَلِيفٍ ،  
إِذْ طُبِعَ الْغَزَالِيُّ مِنَ النَّشْأَةِ عَلَى هَذَا الرُّوحِ الْمَجَاهِدِ ،  
وَالنُّزُوعِ إِلَى الْهُجُومِ ، وَالرَّغْبِ (٢) فِي التَّحْدِيِّ ،  
وَالْمُنَاهِضَةِ (٣) لِأَنَّ الْغَيْرَةَ الدِّيْنِيَّةَ عِنْدَهُ كَانَتْ عَلَى أَشَدِّهَا  
مُتَسَعِّرَةً فِي صَدْرِهِ ، مُتَأَجِّجَةً فِي خَاطِرِهِ ، فَإِذَا أَوْجَسَ  
مِنْ نِخْلَةٍ أَوْ مَذْهَبٍ مَسَاسًا بِجَوْهَرِ الدِّينِ ، تَصَدَّى لَهَا  
فَمَا زَالَ بِهَا حَتَّى يَرُدَّهَا جَرِيحًا دَامِيَةً الْكُلُومِ ، وَيَكْفِي  
أَنَّهُ مِنْ فِتَائِهِ (٤) وَأَبْتِدَاءِ حَيَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ حَمَلَ هَذَا النُّزُوعَ  
ذَاتَهُ فِيمَا يَتَّصِلُ بِاعْتِقَادِهِ ، فَأَبْتَدَأَ مُتَشَكِّكًا لِيَتْتَهِيَ  
عِنْدَ ارْفَعِ مَرَاتِبَ الْيَقِينِ .

(١) يدك المعاول: يهدمها وهي الجبال المرتفعة وما يلجأ إليه ، جمع معقل  
(٢) الرغب : الرغبة وهي إرادة الشيء مع الحرص عليه لمحبهته والنهدي :  
تعهد الشيء ومنازعته (٣) المناهضة : المقاومة (٤) فتائه : بفتح الفاء  
أى شبابه



وَلَقَدْ رَأَيْنَا الْغَزَالِيَّ فِي أُخْرِيَّاتِ أَعْوَامِهِ يُعَالِجُ تَسْكِينِ فَيْلسوف مصافح  
 ثَائِرَتِهِ<sup>(١)</sup> عَلَى خُصُومِ الدِّينِ بِالرِّيَاضَةِ الْكَثِيرَةِ، وَالْكَبْحِ  
 الشَّدِيدِ، وَلَكِنَّا لَمْ نَشْهَدْهُ يَوْمًا جَنَاحًا<sup>(٢)</sup> إِلَى التَّسْلِيمِ  
 أَوْ نَزَاعًا إِلَى الْمُصَالَمَةِ<sup>(٣)</sup> أَوْ التَّرَاجُعِ، وَقَدْ أَنْتَصَرَ عَلَى  
 خُصُومِهِ، فَمَا حَاجَتُهُ إِلَى تَرْضِيهِمْ<sup>(٤)</sup> أَوْ الرِّبِّتِ<sup>(٥)</sup> عَلَى  
 ظُهُورِهِمْ، أَوْ الْأَمْرَاءِ بغير مَا فِي صَدْرِهِ نَحْوَهُمْ؟  
 فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ شَأْنُ الْمُتَّصِرِ الْقَوِيِّ الْمُتَّفَوِّقِ، وَإِنَّمَا  
 هُوَ شَأْنُ الْمُنْدَحِرِ<sup>(٦)</sup> الْمُسْفِقِ الضَّعِيفِ.

لَقَدْ كَانَتْ دَعَاوَى خُصُومِ الْغَزَالِيَّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ  
 النَّاحِيَةِ وَقَرَائِنُهَا وَمَحَاوَلَاتُ إِثْبَاتِهَا وَاهِيَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى غَيْرِ  
 أُسَاسٍ، وَقَدْ جَاءَ الزَّيْنُ فَكَذَّبَهَا أَيَّمَا تَكْذِيبٍ، إِذْ ظَلَّ  
 شَأْنَ الْغَزَالِيَّ بَاقِيًا عَلَى جَلَالِهِ، مُتَنَقِّلَ الْأَثْرِ فِي الْأَجْيَالِ،  
 جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَلَا تَزَالُ كُتُبُهُ عَلَى جِدَّتِهَا<sup>(٧)</sup> لَمْ تُخْلَقْ

(١) ثائرتة : أى شعبه وضجته (٢) جناحا : ميالا (٣) المصالحة. المداراة  
 والمداينة (٤) ترضيهم: طلب رضاهم (٥) الربت على ظهورهم: الضرب  
 عليها قليلا ترضية واعتذارا (٦) المندحر: المنهزم، والمسفق: الخائف  
 (٧) على جدتها: على أصلها لم تبلى

الْقُرُونُ دِيَابَجَتَهَا ، وَلَمْ تَذَهَبْ بِهَا أَلْفَلَسَفَةُ الْخَدِيثَةِ فِي  
الْغَرْبِ ، وَلَمْ يُؤَثَّرْ فِي قُوَّتِهَا الْخَالِدَةَ اتَّسَاعُ دَائِرَةِ  
الْبُحُوثِ وَالدرَّاسَاتِ فِي الْعَصْرِ الْأَخِيرِ .

\* \* \*

كَانَ الْغَزَالِيُّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ حَقًّا ، وَكَانَ إِمَامًا  
حَقِيقًا بِمَكَانِهِ فِي جِيلِهِ ، حَرِيًّا بِالْخُلُودِ فِي الزَّمَنِ وَمَسِيرِهِ ،  
لِأَنَّهُ كَانَ عَقْلًا خَصِيْبًا <sup>(١)</sup> كَثِيرَ الثَّمَرِ ، وَكَانَ قَلْبًا طَاهِرًا  
شَفَافَ الْإِحْسَاسِ ، قَوِيَّ الْعَاطِفَةِ ، عَظِيمَ الْوَجْدَانِ <sup>(٢)</sup>  
فَجَمَعَ بِذَلِكَ عَنَاصِرَ <sup>(٣)</sup> الْعَبْقَرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ ، وَبُطُولَةَ  
الْإِيْمَانِ .

خلود الغزالي  
وجدة كتبه  
وتأليفه

وَسَيَبْقَى فَضْلُ الْغَزَالِيِّ مَا بَقِيَ الْإِسْلَامُ ، لِأَنَّهُ أَحَدُ  
الْمُنَافِحِينَ <sup>(٤)</sup> الْكِبَارِ عَنْهُ ، وَفِي صُدُورِ الدُّوَادِينِ  
الْمُنْتَصِرِينَ لَهُ ، وَسَتَظَلُّ كُتُبُهُ جَدِيدَةً حَرِيَّةً بِالْقِرَاءَةِ ،

(١) عقلا خصيبا : ذا خصب كثير الخلق (٢) الوجدان : بكسر  
الواو : القوى الباطنة (٣) عناصر العبقرية : أجزاء النبوغ الاصلية  
(٤) المناخين : المدافعين

جَدِيرَةٌ بِالْعِنَايَةِ ، خَلِيقَةٌ بِالْبَحْتِ وَالدَّرْسِ ، مَا ظَلَّ  
الْإِيْمَانُ بِالدِّينِ ، وَلَنْ تَسْتَعْنِي الْإِنْسَانِيَّةُ عَنِ الدِّينِ إِلَى  
يَوْمِ الدِّينِ <sup>(١)</sup> .

الْغَزَالِيُّ خَالِدٌ فِي الدُّنْيَا بِكُتُبِهِ وَآثَارِهِ ، وَنَحْنُ  
نَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِتَابُنَا هَذَا عَلَى تَقْصِيرِهِ بَعْضَ التَّجِيَّةِ  
لِهَذَا الْخُلُودِ .



## كلمة الختام

والآن يقف بنا القلم - لنخفى موكب بعد الانتهاء من المجلدين الأول والثاني من « كتابنا الغزالي » الذي هو « مزاج من علوم شتى ، أنضجها البحث ، وصقلها التفكير ، وأصقها تجاربه ، وشكوكه القاسية التي عاناها في نشأته ، والتي وصفها وصفا دقيقا في مؤلفاته » الى « المجلد الثالث » حيث نطالعك فيه بجملة من مختارات ذلك الفذ الجليل ، والبحاث القدير ، الاستاذ العلامة الثبت حجة الاسلام الغزالي :

وسيشتمل هذا الجزء على رسالة « أيها الولد » ورسالة « الأدب في الدين » ورسالة « مراحل السفسطة وجحد العاوم » ورسالة « علم الكلام » ورسالة « الفلسفة » ورسالة « مذهب التعليم وغائلته » ورسالة « طرق الصوفية » ورسالة « حقيقة النبوة » ورسالة « سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه » والحمد لله أولا وآخرا ، والصلاة والسلام على من أرسل بالحق منذرا ومبشرا .

محمد فريد رفاعي

دار المأمون } ١٧ من محرم سنة ١٣٥٦  
} ٣٠ من مارس سنة ١٩٣٧

✽ انتهى الجزء الثانى من كتاب الغزالى ✽

وبليه الجزء الثالث وهو مشتمل على

(مختارات الغزالى)

---

حقوق الطبع محفوظة للمتزمه

الدكتور أحمد فريد رفاعى بك

---

جميع النسخ مهوره بتوقيع ناشره

كلية الزراعة

الدراسة في كلية الزراعة  
التي تأسست في سنة 1911م  
في مدينة القاهرة  
بمبادرة من  
الملك فؤاد الأول  
والتي تهدف  
إلى إعداد  
المهندسين الزراعيين  
والعلماء في  
الزراعة  
والصحة  
والبيطرة  
والصيدلة  
والزراعة  
والصحة  
والبيطرة  
والصيدلة

كلية الزراعة

الدراسة في كلية الزراعة  
التي تأسست في سنة 1911م  
في مدينة القاهرة  
بمبادرة من  
الملك فؤاد الأول  
والتي تهدف  
إلى إعداد  
المهندسين الزراعيين  
والعلماء في  
الزراعة  
والصحة  
والبيطرة  
والصيدلة

مكتبة

كلية الزراعة



# فهرست

المجلد الثاني من كتاب الغزالي

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
كلمة العماد الاصفهاني	٣	٤
رسالة الأدب في الدين	٥	٦
أيها الولد	٧	٨
لورد شستر فلد والغزالي	٩	٩
الاستفتاء عن العلم الكثير	٩	١٤
لمع الغزالي الخاطفة	١٤	١٥
أر الحقد	١٥	١٥
سعة المادة	١٦	١٦
كثرة المؤلفات	١٧	١٨
المدسوس على الغزالي	١٨	١٨
فضل كتاب الأحياء	١٨	٢١
بيان كتب الغزالي	٢١	٤١
الضائع منها والمشهور والمخطوط	٤١	٤١
المضنون به على غير أهله	٤٢	٤٢
شرح كتاب احياء علوم الدين كتبت في الهامش شر	٤٢	٤٣
الاحياء وهو تحريف		
مختصرو كتاب احياء علوم الدين	٤٣	٤٥

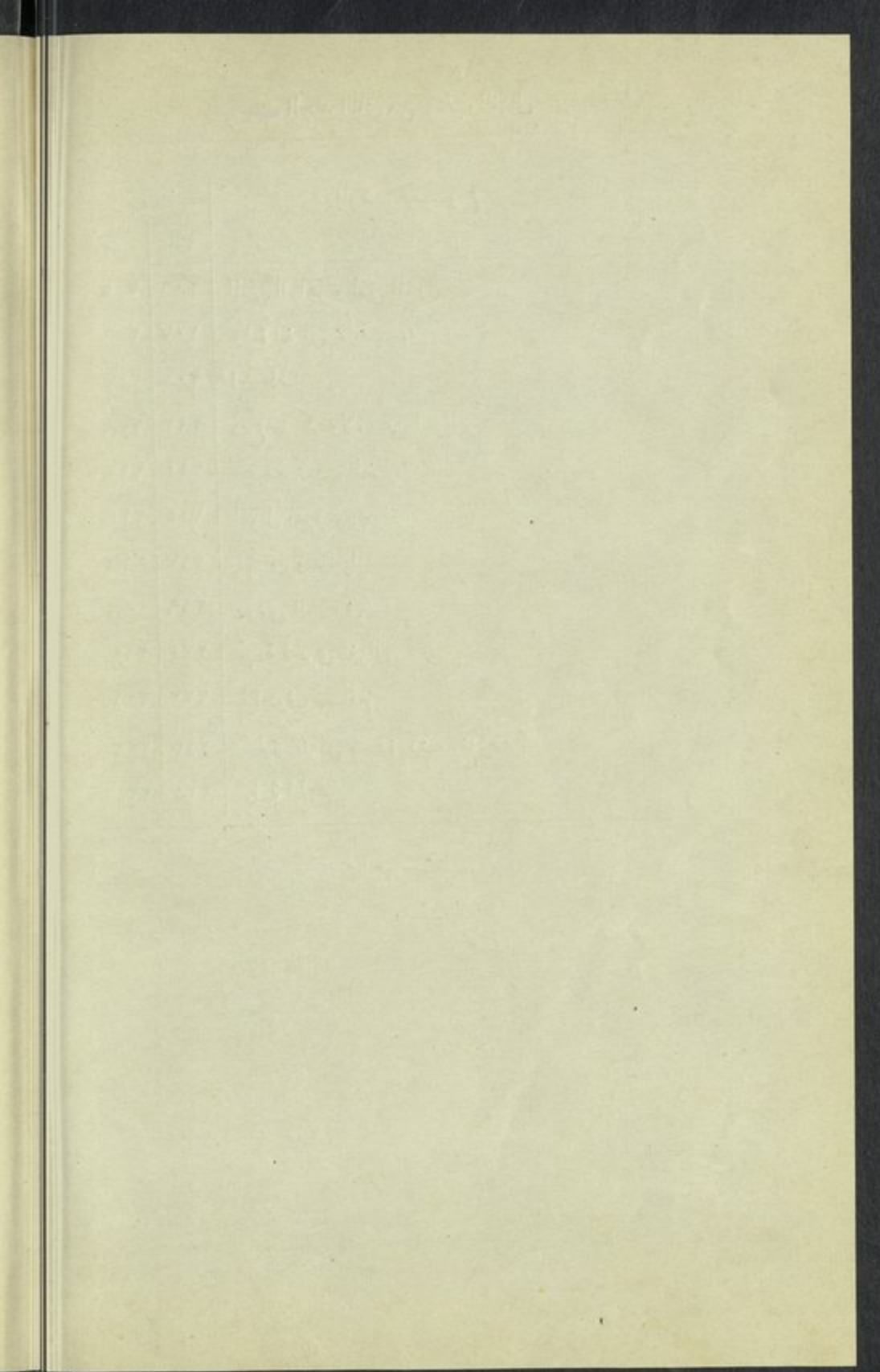
الموضوع	الصفحة	
	من	الى
آخاف السادة المتقين	٤٥	٤٦
مقدمة شرحه	٤٦	٤٨
الرد على نقدة الإحياء	٤٨	٤٩
نقد المأزرى	٤٩	٥٣
نقد الطرطوشى	٥٣	٥٤
دفاع ابن السبكي	٥٥	٦٧
الرد على الطرطوشى	٦٧	٦٨
نقدة آخرون	٦٩	٦٩
دفاع السبكي	٦٩	٧٢
رد الغزالي على حسدته وناقديه	٧٢	٧٦
ما أنكر عليه في الإحياء	٧٧	٧٧
الاعتراض الأول	٧٧	٨٤
الاعتراض الثاني	٨٤	٨٥
الاعتراض الثالث	٨٥	٨٧
الاعتراض الرابع	٨٧	٩٠
الاعتراض الخامس	٩٠	٩١
الاعتراض السادس	٩١	٩٣
الاعتراض السابع	٩٣	٩٥
الاعتراض الثامن	٩٥	٩٦
الاعتراض التاسع	٩٦	٩٧
الاعتراض العاشر	٩٧	٩٩
الاعتراض الحادى عشر	٩٩	١٠٠
الاعتراض الثاني عشر	١٠٠	١٠٢
الاعتراض الثالث عشر	١٠٢	١٠٤

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
الاعتراض الرابع عشر	١٠٤	١٠٥
الاعتراض الخامس عشر	١٠٦	١٠٧
الاعتراض السادس عشر	١٠٧	١١٠
الاعتراض السابع عشر	١١٠	١١١
الاعتراض الثامن عشر	١١١	١١٥
الاعتراض التاسع عشر	١١٥	١١٦
الاعتراض العشرون	١١٦	١٢١
الاعتراض الحادى والعشرون	١٢٢	١٢٥
كلمة تقدير	١٢٥	١٢٨
٧ أسلوب الغزالي ورسائله وشعره	١٢٨	١٢٩
✓ أسلوب الترغيب والترهيب	١٢٩	١٣٠
كثرة الامثلة والاستشهاد	١٣٠	١٣٠
السهولة والوضوح	١٣٠	١٣٠
كثرة الاخيلة والاستعارات وفي الهامش	١٣١	١٣١
الأخلية وهو تحريف		
الاغلاط والرد عليها	١٣١	١٣٢
الترخص في نقل الحديث	١٣٢	١٣٢
تسوية ذلك	١٣٢	١٣٢
القائلون بجواز ايراد المعنى دون الالفاظ	١٣٣	١٣٦
ذاتها		
ماهو مسند وما هو مرسل في الاحياء	١٣٦	١٣٧
دراسة الحديث في آخر أيامه	١٣٧	١٣٨
رسائل الغزالي	١٣٨	١٣٩
رسالة خاصة	١٤٠	١٥١

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
كلمات الغزالي وحكمه	١٥١	١٦٢
شعر الغزالي	١٦٢	١٦٨
أصحاب الغزالي وتلاميذه	١٦٨	١٦٩
تلاميذ الغزالي	١٦٩	١٧٧
خلود الغزالي	١٧٧	١٧٧
الاتصاف للدين على الفلاسفة	١٧٧	١٧٨
شخصية الغزالي	١٧٨	١٧٩
انسان جديد في عصره	١٧٩	١٨٠
الغزالي في أكناف السلطان	١٨٠	١٨١
أرسطو	١٨١	١٨١
فضل السلاجقة	١٨٢	١٨٢
أنصار الغزالي	١٨٢	١٨٣
التجني على الغزالي	١٨٣	١٨٣
حساد الغزالي	١٨٤	١٨٤
خصوصية ابن رشد للغزالي	١٨٤	١٨٦
التصوف العقلي	١٨٦	١٨٨
الحكمة والجمهور	١٨٨	١٩١
تناقض ابن رشد	١٩١	١٩٢
الشرير الجاهل	١٩٢	١٩٥
تطورات الغزالي النفسية	١٩٦	١٩٧
نفحات الإيمان	١٩٨	٢٠٢
العلم النافع والعلم الضار	٢٠٢	٢٠٣
سر الخصوصية	٢٠٣	٢٠٥
ظاهر الشرع	٢٠٥	٢٠٥

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
المعنى الظاهر والمعنى المؤول	٢٠٥	٢٠٦
براءة الغزالي مما آتهم به	٢٠٦	٢٠٧
ابن طفيل	٢٠٧	٢٠٨
دفاع ما كدولاند عن الغزالي	٢٠٨	٢١٢
حقيقة كتاب المضمون به	٢١٢	٢١٤
أقوال الدكتور مولتر	٢١٤	٢١٥
فهرس وستنفيلند	٢١٦	٢١٧
موسى الناربوني	٢١٨	٢١٩
تهمة أخرى للغزالي	٢١٩	٢٢٠
فياسوف مصافح	٢٢١	٢٢٢
خلود الغزالي وجدة كتبه وتآليفه	٢٢٢	٢٢٣
كلمة الختام	٢٢٤	٢٢٤

تم الفهرست



مطبوعات دار المأهون

(إيفينج من ذهابت) (الروزنامة المبرزة في زقبي برج)

مكتبة العشرة والبثاقفة مدير صحافة والنشر والثقافة العامة

الأدبيّة المصرية

سلسلة زعماء الفلسفة والأدب والأخلاق

حلقة

# الغزل الحيا

في مجلدين

وثالث خصص بالمختارات

مضبوطة ومشروحة ومعلقاً عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

## المجلد الثالث

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَا بَعْدُ  
فَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُوبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا بِنِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ  
فِي عَنَدِهِ : لَوْ غَيَّرْتُ هَذَا الْكَانَ أَحْسَنَ ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا الْكَانَ سُبْحَانَ ،  
وَلَوْ قَدَّمَ هَذَا الْكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكْتُ هَذَا الْكَانَ أَجْمَلَ ، وَهَذَا  
مِنْ أَعْظَمِ الْعَبَرِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جَمَلَةِ  
الْبَشَرِ .

الْعَمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

ميت في الدنيا

سورة ابراهيم  
بسم الله الرحمن الرحيم  
انا انزلناه في القران  
لعلك تتقون  
والان انزلناه  
في القدر  
الذي انزلنا  
فيه القران  
الذي انزلنا  
فيه القران  
الذي انزلنا  
فيه القران

« رِسَالَةٌ أُيُّهَا أَوْلَادُ »

سَعْدِيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . وَالصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

« إِعْلَمْ » أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الطَّلَبَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ لِأَزَمِ

خِدْمَةِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ زَيْنِ الدِّينِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ

أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ -

وَأَشْتَغَلَ بِالتَّحْقِيقِ وَقِرَاءَةِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ حَتَّى جَمَعَ دَقَائِقَ

الْعُلُومِ ، وَأَسْتَكْمَلَ فِضَائِلَ النَّفْسِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَفَكَّرَ

يَوْمًا فِي حَالِ نَفْسِهِ ، وَخَطَرَ عَلَى بَالِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي قَرَأْتُ

أَنْوَاعًا مِنَ الْعُلُومِ ، وَصَرَفْتُ رَيْمَانَ (١) عُمُرِي عَلَى

(١) ربيعان العمر : أول الشباب

تَعْلَمُهَا وَجَمْعِهَا ، وَالْآنَ يَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ أَعْلَمَ أَيُّ نَوْعِهَا  
يَنْفَعُنِي غَدًا وَيُؤْنِسُنِي فِي قَبْرِي ؟ وَأَيْهَا لَا يَنْفَعُنِي حَتَّى  
أَتْرُكَهُ ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » فَاسْتَمَرَّتْ  
هَذِهِ الْفِكْرَةُ حَتَّى كَتَبَ إِلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ حُجَّةِ  
الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - اسْتِيفَاءً ،  
وَسَأَلَهُ مَسَائِلَ ، وَالْتَمَسَ نَصِيحَةً وَدُعَاءً . قَالَ : وَإِنْ كَانَ  
مُصَنَّفَاتُ الشَّيْخِ كَالْأَحْيَاءِ وَغَيْرِهِ ، تَشْتَمِلُ عَلَى جَوَابِ  
مَسَائِلِي لَكِنْ مَقْصُودِي أَنْ يَكْتُبَ الشَّيْخُ حَاجَتِي  
فِي وَرَقَاتٍ تَكُونُ مَعِيَ مُدَّةَ حَيَاتِي ، وَأَعْمَلُ بِمَا فِيهَا  
مُدَّةَ عُمْرِي ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَكَتَبَ الشَّيْخُ هَذِهِ  
الرِّسَالَةَ إِلَيْهِ فِي جَوَابِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

\* \* \*

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

نص الرسالة

« إِعْلَمْ » أَيُّهَا الْوَلَدُ وَالْمُحِبُّ الْعَزِيزُ - أَطَالَ  
اللَّهُ بِقَاكَ بِطَاعَتِهِ ، وَسَلَكَ بِكَ سَبِيلَ أَحِبَّائِهِ - أُنْ  
مَنْشُورَ النَّصِيحَةِ يُكْتَبُ مِنْ مَعْدِنِ <sup>(١)</sup> الرَّسَالَةِ إِنْ كَانَ قَدْ  
بَلَغَكَ مِنْهُ نَصِيحَةٌ ، فَأَيُّ حَاجَةٍ لَكَ فِي نَصِيحَتِي ، وَإِنْ  
لَمْ يَبْلُغَكَ فَقُلْ لِي : مَاذَا حَصَلَتْ فِي هَذِهِ السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ ؟  
« أَيُّهَا الْوَلَدُ » مِنْ جُمْلَةِ مَا نَصَحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ  
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُمَّتُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
« عِلْمَةٌ إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ اسْتِغَالُهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ  
وَإِنْ أَمْرًا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ ، فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ  
مِنَ الْعِبَادَةِ ، لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ عَلَيْهِ حَسْرَتُهُ ، وَمَنْ جَاوَزَ  
الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ فَلَيْتَجَهَّزَ إِلَى النَّارِ »  
وَفِي هَذِهِ النَّصِيحَةِ كِفَايَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ .

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » النَّصِيحَةُ سَهْلَةٌ ، وَالْمُشْكِلُ قَبُولُهَا  
لِأَنَّهَا فِي مَذَاقِ مُتَّبِعِي الْهَوَى مُرَّةٌ ، إِذِ الْمُنَاهِي مَحْبُوبَةٌ

(١) معدن الرسالة : أصلها ويعني به كتاب الله وسنة رسوله

فِي قُلُوبِهِمْ ، وَعَلَى الْخُصُوصِ لِمَنْ كَانَ طَالِبَ الْعِلْمِ .  
الرَّسْمِيُّ <sup>(١)</sup> ، وَمُشْتَعَلًا فِي فَضْلِ النَّفْسِ ، وَمَنَاقِبِ الدُّنْيَا  
فَإِنَّهُ يُحْسَبُ أَنَّ الْعِلْمَ الْمَجْرَدَ لَهُ سَيَكُونُ نَجَاتَهُ  
وَخَلَاصُهُ فِيهِ ، وَأَنَّهُ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْعَمَلِ - وَهَذَا أُعْتِقَادُ  
الْفَلَّاسِفَةِ . سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ! لَا يَعْلَمُ هَذَا الْمَعْرُورُ  
أَنَّهُ حِينَ حَصَلَ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ تَكُونُ الْحُجَّةُ  
عَلَيْهِ آكَدَ <sup>(٢)</sup> كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يَنْفَعُهُ  
اللَّهُ بِعِلْمِهِ » وَرَوَى أَنَّ الْجَنِيْدَ - قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ - رَوَى  
فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقِيلَ لَهُ : مَا الْخَبْرُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ؟  
قَالَ : طَاحَتْ <sup>(٣)</sup> تِلْكَ الْعِبَارَاتُ <sup>(٤)</sup> ، وَفِينَتْ تِلْكَ الْإِشَارَاتُ <sup>(٥)</sup>  
وَمَا نَفَعْنَا إِلَّا رُكَيْمَاتٌ رَكَعْنَاهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ <sup>(٦)</sup> .  
« أَيُّهَا الْوَالِدُ » لَا تَكُنْ مِنَ الْأَعْمَالِ مُفْلِسًا ، وَلَا  
مِنَ الْأَحْوَالِ خَالِيًا ، وَتَيَقَّنْ أَنَّ الْعِلْمَ الْمَجْرَدَ لَا يَأْخُذُ

(١) هو ما يكون تحصيله على رسم العادة لا لقصد العمل (٢) أى أقوى  
وأثبت (٣) ذهبت وبادت (٤) أى ذهبت العلوم الظاهرة (٥) أى العلوم  
الباطنة (٦) أى لعدم احتمال الرياء وفى رواية : كنا نصلها والناس نيام

بَالِيدٍ<sup>(١)</sup> : مِثَالُهُ لَوْ كَانَ عَلَى رَجُلٍ فِي بَرِّيَّةٍ عَشْرَةُ  
أَسْيَافٍ هِنْدِيَّةٍ مَعَ أَسْلِحَةٍ أُخْرَى ، وَكَانَ الرَّجُلُ شُجَاعًا  
وَأَهْلَ حَرْبٍ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ أَسَدٌ عَظِيمٌ مَهِيْبٌ ، فَمَا  
ظَنُّكَ ؟ هَلْ تَدْفَعُ الْأَسْلِحَةَ شَرُّهُ عَنْهُ بِلَا أَسْتِعْمَالِهَا  
وَضَرْبِهَا ؟ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهَا لَا تَدْفَعُ إِلَّا بِالتَّخْرِيكِ  
وَالضَّرْبِ . فَكَذَا لَوْ قَرَأَ رَجُلٌ مِائَةَ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ  
وَتَمَلَّمَهَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا لَا تُفِيدُهُ إِلَّا بِالْعَمَلِ . وَمِثْلُهُ  
أَيْضًا لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ حَرَارَةٌ وَمَرَضٌ صَفْرَاوِيٌّ يَكُونُ  
عِلَاجُهُ « بِالسَّكَنْجَبِينَ<sup>(٢)</sup> وَالْكَشْكَابِ » فَلَا يَحْضُلُ  
الْبُرءُ إِلَّا بِاسْتِعْمَالِهِمَا ( شِعْرٌ )

كرمی دو هزار رطل همی پیمائی

تامی نخوری نباشدت شیدائی<sup>(٣)</sup>

(١) أى لا ينجى صاحبه من المخاوف ولا يبلغه مراده (٢) السكنجبين : شراب معرب سرکه وأنكبين بالفارسية : ومعناه خل وعسل ويراد به كل حامض وحلو وهو والكشكاب دواءان يتداوى بهما من ذلك الداء (٣) ترجم هذا البيت الشيخ محمد أمين الكردي الى العربية فقال :

لَوْ كَلَّتْ أَلْفِي رِطْلٍ حَمْرٍ لَمْ تَكُنْ لِتَصِيرَ تَشْوَانًا إِذَا لَمْ تَشْرَبِ

يعنى أن كثرة العلم لا تنفع إلا بالعمل

وَلَوْ قَرَأْتَ الْعِلْمَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَجَمَعْتَ أَلْفَ كِتَابٍ،  
لَا تَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِرَحْمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - إِلَّا بِالْعَمَلِ  
« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا  
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا » « جَزَاءً بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ » « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ  
لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا  
جِوًّا » « إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا » وَمَا  
تَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ :  
شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ  
الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ  
الْبَيْتِ لِمَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا؟ » وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ  
وَتَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ (١) وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، وَدَلِيلُ الْأَعْمَالِ  
أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ يَبْلُغُ الْجَنَّةَ  
بِفَضْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَكَرَمِهِ، لَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَسْتَعِدَّ



بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ ، لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .  
وَلَوْ قِيلَ أَيْضًا : يَبْلُغُ بِمُجَرَّدِ الْإِيمَانِ قُلْنَا : نَعَمْ ، لَكِنَّ  
مَتَى يَبْلُغُ ؟ وَكَمْ مِنْ عَقَبَةٍ كَثُودٍ يَقْطَعُهَا إِلَى أَنْ يَصِلَ ؟  
فَأَوَّلُ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ عَقَبَةُ الْإِيمَانِ ، وَأَنَّهُ هَلْ يَسْلَمُ  
مِنْ سَلْبِ الْإِيمَانِ أَمْ لَا ؟ وَإِذَا وَصَلَ هَلْ يَكُونُ خَائِبًا  
مُفْلِسًا ؟ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : « يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى -  
لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اذْخُلُوا يَا عِبَادِيَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي  
وَأَقْسِمُوهَا بِأَعْمَالِكُمْ »

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » مَا لَمْ تَعْمَلْ لَمْ تَجِدِ الْأَجْرَ ، حُكِي  
أَنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - سَبْعِينَ  
سَنَةً فَأَرَادَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْ يَجْلُوهُ <sup>(١)</sup> عَلَى الْمَلَائِكَةِ ،  
فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يُخْبِرُهُ أَنَّهُ مَعَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ  
لَا يَلِيقُ بِهِ دُخُولُ الْجَنَّةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَالَ الْعَابِدُ . نَحْنُ  
خُلِقْنَا لِلْعِبَادَةِ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ الْمَلَكُ

(١) أى يمرض حاله عليهم

قَالَ : إِلَهِي أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ . فَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - :  
 « إِذَا هُوَ لَمْ يُعْرِضْ عَنْ عِبَادَتِنَا فَنَحْنُ مَعَ الْكَرَمِ  
 لَا نُعْرِضُ عَنْهُ . إِشْهَدُوا يَا مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ »  
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَاسِبُوا  
 أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ  
 تُوزَنُوا <sup>(١)</sup> » وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ  
 بِدُونِ الْجَهْدِ يَصِلُ فَهُوَ مُتَمَنٍّ <sup>(٢)</sup> . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَبْدُلُ  
 الْجَهْدِ يَصِلُ فَهُوَ مُسْتَعْنٍ <sup>(٣)</sup> » وَقَالَ الْحَسَنُ - رَحِمَهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى - : « طَلَبُ الْجَنَّةِ بِلَا عَمَلٍ ذَنْبٌ مِنَ الذُّنُوبِ »  
 وَقَالَ : « عَلَامَةُ الْحَقِيقَةِ تَرْكُ مُمْلَاحِظَةِ الْعَمَلِ لَا تَرْكُ  
 الْعَمَلِ » وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْكَيْسُ <sup>(٤)</sup>  
 مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْأَسْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ

(١) أي توزن أعمالكم يوم القيامة « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة  
 فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أينابها وكفي بنا  
 حاسبين » (٢) أي أقام نفسه في مقام صاحب الاماني الذي يتمنى ويتسك  
 على أمانيه (٣) معناه انه يرتكن على عمله غير محتاج الى فضل الله ورحمته  
 (٤) أي الحازم ذو العقل

هَوَاهُ وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَمَانِيَّ «

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » كَمْ مِنْ لَيَالٍ أَحْيَيْتَهَا بِتِكْرَارِ الْعِلْمِ ،

وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ ، وَحَرَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ النَّوْمَ ؟ لَا أَعْلَمُ

مَا كَانَ الْبَاعِثُ فِيهِ ؟ إِنْ كَانَ نَيْلَ عَرَضِ الدُّنْيَا وَجَذَبَ

حُطَامِهَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا وَالْمُبَاهَاةَ <sup>(١)</sup> عَلَى الْأَقْرَانِ

وَالْأَمْثَالِ ، فَوَيْلٌ لَكَ ثُمَّ وَيْلٌ لَكَ . وَإِنْ كَانَ قَصْدُكَ فِيهِ

إِحْيَاءَ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَهْذِيبَ

أَخْلَاقِكَ وَكَسْرَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ فَطُوبَى لَكَ ثُمَّ

طُوبَى لَكَ <sup>(٢)</sup> . وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ شِعْرًا :

سَهَرُ الْعَيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ

وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلٌ

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأُحِبُّ

مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَأَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ .

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » أَيُّ شَيْءٍ حَاصِلٌ لَكَ مِنْ تَحْصِيلِ عِلْمٍ

(١) أي التفاخر والتعالي (٢) أي العاقبة الحميدة والفوز الدائم والسعادة السرمدية

(١) الكبر والغرور  
(٢) الكبر والغرور

الْكَلَامِ وَالْخِلَافِ <sup>(١)</sup> وَالطَّبِّ وَالِدَوَاوِينِ وَالْأَشْعَارِ  
وَالنُّجُومِ وَالْعَرُوضِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ غَيْرُ تَضْيِيعِ  
الْعُمْرِ بِخِلَافِ <sup>(٢)</sup> ذِي الْجَلَالِ . إِنِّي رَأَيْتُ فِي إِنْجِيلِ  
عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ : مِنْ سَاعَةِ أَنْ يُوَضَعَ  
الْمَيِّتُ عَلَى الْحِنَاةِ إِلَى أَنْ يُوَضَعَ عَلَى شَفِيرِ <sup>(٣)</sup> الْقَبْرِ  
يَسْأَلُ اللَّهُ بِعِظْمَتِهِ مِنْهُ أَرْبَعِينَ سُؤَالَ . أَوَّلُهَا يَقُولُ :  
عَبْدِي طَهَّرْتَ مَنْظَرَ الْخَلْقِ سِنِينَ وَمَا طَهَّرْتَ مَنْظَرِي  
سَاعَةً <sup>(٤)</sup> . وَكُلَّ يَوْمٍ يَنْظُرُ فِي قَلْبِكَ يَقُولُ : مَا تَصْنَعُ  
لِغَيْرِي وَأَنْتَ مَخْفُوفٌ بِخَيْرِي أَمَا أَنْتَ قَاصِمٌ لَا تَسْمَعُ !  
« أَيُّهَا الْوَالِدُ » الْعِلْمُ بِلَا عَمَلٍ جُنُونٌ ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ لَا يَكُونُ .

« وَأَعْلَمَ » أَنْ الْعِلْمَ لَا يَبْعِدُكَ الْيَوْمَ عَنِ الْمَعَاصِي  
وَلَا يَحْمِلُكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَإِنْ يَبْعِدُكَ غَدًا عَنِ نَارِ

(١) الخلاف : أى الترجيح بين أدلة الفروع والفقهاء ونصب الأدلة لكل  
مذهب وهو غير علم الفقه (٢) أى بمخالفة (٣) شفير القبر : أى طرفه وحافته  
(٤) يريد تزيين الجوارح بما يرضى الناس ويعجبهم أو تطهير الظواهر دون  
الباطن

جَهَنَّمَ ، وَإِذَا لَمْ تَعْمَلِ الْيَوْمَ وَلَمْ تَدَارِكِ <sup>(١)</sup> الْأَيَّامَ الْمَاضِيَةَ  
تَقُولُ غَدَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « فَاَرْجِعْنَا لَعْمَلٍ صَالِحًا » فَيُقَالُ <sup>(٢)</sup>  
يَا أَحْمَقُ أَنْتَ مِنْ هُنَاكَ تَجِبِي .

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » أَجْعَلِ الْهَمَّةَ فِي الرُّوحِ ، وَالْهَزِيمَةَ  
فِي النَّفْسِ ، وَالْمَوْتَ فِي الْبَدَنِ لِأَنَّ مَنَزِلَكَ الْقَبْرُ ، وَأَهْلُ  
الْمَقَابِرِ يَنْتَظِرُونَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مَتَى تَصِلُ إِلَيْهِمْ ؟  
وَيَاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِلَا زَادٍ <sup>(٣)</sup> . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ  
الْصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : هَذِهِ الْأَجْسَادُ قَفْصُ الطُّيُورِ  
وَإِصْطَبَلُ الدَّوَابِّ ، فَتَفَكَّرْ فِي نَفْسِكَ ، مِنْ أَيِّهِمَا أَنْتَ ؟  
إِنْ كُنْتَ مِنَ الطُّيُورِ الْعُلُويَّةِ فَحِينَ تَسْمَعُ طِينًا <sup>(٤)</sup> طَبَلَ  
« أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ » تَطِيرُ صَاعِدًا إِلَى أَنْ تَقْعَدَ فِي أَعَالِي  
بُرُوجِ الْجَنَانِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« أَهْتَرَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ مِنْ مَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » وَالْعِيَاذُ  
بِاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الدَّوَابِّ <sup>(٥)</sup> كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « أَوْلَيْكَ

(١) أي ولم تتلافه بالأعمال الصالحة (٢) القائل الملائكة (٣) يعني به العمل الصالح

(٤) أي صوت (٥) أي بارسال النفس على هواها وتركها مسترسلة في شهواتها

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ « فَلَا تَأْمَنِ أَنْتِقَالَكَ مِنْ زَاوِيَةِ  
الدَّارِ إِلَى هَاوِيَةِ النَّارِ . وَرَوَى أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ - رَحِمَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى - أُعْطِيَ شَرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ وَغَشِيَ  
عَلَيْهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ مَالِكُ يَا أَبَا سَعِيدٍ .  
قَالَ : ذَكَرْتُ أُمْنِيَّةَ <sup>(١)</sup> أَهْلِ النَّارِ حِينَ يَقُولُونَ لِأَهْلِ  
الْجَنَّةِ « أَنْ أَفِيضُوا <sup>(٢)</sup> عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ  
اللَّهُ »

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » لَوْ كَانَ الْعِلْمُ الْمَجْرَدُ كَافِيًا لَكَ  
وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ سِوَاهُ لَكَانَ نِدَاءَهُ : « هَلْ مِنْ  
سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ » ضَائِعًا بِلَا  
فَائِدَةٍ . وَرَوَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ  
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - ذَكَرُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا - عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :  
نِعْمَ الرَّجُلُ هُوَ ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ <sup>(٣)</sup> . وَقَالَ عَلَيْهِ

(١) أى طلبهم حينئذ (٢) أى صبوا (٣) يريد التهجد

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ : ( يَا فُلَانُ لَا تُكْثِرِ  
النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ يَدْعُ صَاحِبَهُ  
فَقِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ )

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » ( وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ) أَمْرٌ  
( وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ) شُكْرٌ ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ  
بِالْأَسْحَارِ ذِكْرٌ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ( ثَلَاثَةٌ أَصْوَاتٌ  
يُحِبُّهَا اللَّهُ تَعَالَى صَوْتُ الدَّيِّكِ ، وَصَوْتُ الذِّي يَقْرَأُ  
الْقُرْآنَ ، وَصَوْتُ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ) قَالَ سُفْيَانُ  
الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ : ( إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
خَلَقَ رِيحًا تَهْبُ بِالْأَسْحَارِ تَحْمِلُ الْأَذْكَارَ وَالْإِسْتِغْفَارَ  
إِلَى الْمَلِكِ الْجَبَّارِ وَقَالَ أَيْضًا : إِذَا كَانَ أَوَّلُ اللَّيْلِ  
يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ أَلَا لِيَقُمَ الْعَابِدُونَ فَيَقُومُونَ  
وَيُصَلُّونَ مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ فِي شَطْرِ اللَّيْلِ :  
أَلَا لِيَقُمَ الْقَائِتُونَ <sup>(١)</sup> فَيَقُومُونَ وَيُصَلُّونَ إِلَى السَّحْرِ .

(١) القاتنون : أى المطيعون للصلون الحاشعون

فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ نَادَى مُنَادٍ : أَلَا لِيَقُمَ الْمُسْتَغْفِرُونَ  
فَيَقُومُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ . فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى مُنَادٍ : أَلَا  
لِيَقُمَ الْغَافِلُونَ فَيَقُومُونَ مِنْ فُرُشِهِمْ كَالْمَوْتَى نُشِرُوا  
مِنْ قُبُورِهِمْ .

« أَيُّهَا الْوَلَدُ » رُوِيَ فِي وَصَايَا لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ  
أَنَّهُ قَالَ : يَا بُنَيَّ : لَا يَسْكُونَنَّ أَلَدِيكَ أَوْ كَيْسَ مِنْكَ يَنَادِي  
بِالْأَسْحَارِ وَأَنْتَ نَائِمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ شِعْرًا :

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ

عَلَى فَنٍّ وَهَنًا (١) وَإِنِّي لَنَائِمٌ

كَذَبْتُ وَيَدَّتِ اللَّهُ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا

لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامُ

وَأَزْعَمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ

لِرَبِّي فَلَا أُبْكِي وَتَبْكِي الْبَهَائِمُ

(١) الافئنان : هي الاغصان كما قال الله تعالى ذواتنا افئنان . والوهن

نصف الليل . أو ما بعده بساعة



« أَيُّهَا الْوَالِدُ » خُلَاصَةُ الْعِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ الطَّاعَةَ

وَالْعِبَادَةَ مَاهِي .

( إِعْلَمْ ) أَنْ الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ مُتَابَعَةُ الشَّارِعِ فِي

الْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ . يَعْنِي : كُلُّ مَا تَقُولُ

وَتَفْعَلُ وَتَتْرِكُ يَكُونُ بِاقتِدَاءِ الشَّرْعِ كَمَا لَوْ صُمِتَ يَوْمَ

الْعِيدِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ تَكُونُ عَاصِيًا أَوْ صَلِيَّتَ فِي ثَوْبٍ

مَغْضُوبٍ ، وَإِنْ كَانَتْ صُورَةَ عِبَادَةٍ تَأْتِمُ

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » يَنْبَغِي لَكَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُكَ

وَفِعْلُكَ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ إِذِ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِلا اقتِدَاءِ الشَّرْعِ

ضَلَالَةٌ ، وَيَنْبَغِي لَكَ أَلَّا تَغْتَرَّ بِالشَّطْحِ وَطَامَّاتٍ <sup>(١)</sup>

الصُّوفِيَّةِ ، لِأَنَّ سُلُوكَ هَذَا الطَّرِيقِ يَكُونُ بِالمُجَاهِدَةِ

وَقَطْعِ شَهْوَةِ النِّفْسِ وَقَتْلِ هَوَاهَا بِسَيْفِ الرِّيَاضَةِ

لَا بِالطَّامَّاتِ وَالتَّرَهَاتِ <sup>(٢)</sup>

(١) الطاممات الخ : جمع طامة أى بلية ولعل المراد بها هنا أفاويلهم

المنجاوزة حسد الشرع وما أحدثوا من تلقاء أنفسهم (٢) الترهات :

الباطيل جمع ترهة

( وَأَعْلَمَ ) أَنْ أَلْسَانَ الْمُطْلَقِ ، وَالْقَلْبَ الْمُطْبَقَ  
الْمَمْلُوءَ بِالْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ عَلَامَةُ الشَّقَاوَةِ فَإِذَا لَمْ تَقْتُلِ  
النَّفْسَ بِصِدْقِ الْمُجَاهِدَةِ فَلَنْ يَحْيَا قَلْبُكَ بِأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ  
( وَأَعْلَمَ ) أَنَّ بَعْضَ مَسَائِلِكَ الَّتِي سَأَلْتَنِي عَنْهَا  
لَا يَسْتَقِيمُ جَوَابُهَا بِالْكِتَابَةِ وَالْقَوْلِ ، إِنْ تَبَلَّغْتَ تِلْكَ  
الْحَالَةَ تَعْرِفَ مَا هِيَ ، وَإِلَّا فَعَلِمَهَا مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ لِأَنَّهَا  
ذَوْقِيَّةٌ ، وَكُلُّ مَا يَكُونُ ذَوْقِيًّا لَا يَسْتَقِيمُ وَصْفُهُ بِالْقَوْلِ  
كَحَلَاوَةِ الْحُلُوِّ وَمَرَارَةِ الْمُرِّ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِالذَّوْقِ .  
كَمَا حُكِيَ أَنَّ عَيْنِنَا كَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ أَنْ عَرَّفَنِي  
لَذَّةَ الْمُجَامَعَةِ كَيْفَ تَكُونُ . فَكَتَبَ لَهُ فِي جَوَابِهِ :  
يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ حَسِبْتُكَ عَيْنِنَا فَقَطُّ - وَالْآنَ عَرَفْتُ  
أَنَّكَ عَيْنٌ وَأَحْمَقُ - لِأَنَّ هَذِهِ اللَّذَّةَ ذَوْقِيَّةٌ إِنْ تَصِلُ إِلَيْهَا  
تَعْرِفُ وَإِلَّا لَا يَسْتَقِيمُ وَصْفُهَا بِالْقَوْلِ وَالْكِتَابَةِ .  
« أَيُّهَا الْوَلَدُ » بَعْضُ مَسَائِلِكَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ،

وَأَمَّا الْبَعْضُ الَّذِي يَسْتَقِيمُ لَهُ الْجَوَابُ فَقَدْ ذَكَرْنَا فِي  
«إِحْيَاءِ الْعُلُومِ» وَعَيْهِ، وَنَذَكَرُ هَاهُنَا بُدْأًا مِنْهُ وَنُشِيرُ  
إِلَيْهِ فَنَقُولُ: قَدْ وَجَبَ عَلَى السَّالِكِ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ: (الْأَمْرُ  
الْأَوَّلُ) إِعْتِقَادُ صَحِيحٍ لَا يَكُونُ فِيهِ بَدْعَةٌ (وَالثَّانِي)  
تَوْبَةٌ نَصُوحٌ لَا يُرْجَعُ بَعْدَهَا إِلَى الزَّلَّةِ (وَالثَّلَاثُ)  
إِسْتِرْضَاءُ الْخُصُومِ حَتَّى لَا يَبْتَقِيَ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ حَقٌّ (وَالرَّابِعُ)  
تَحْصِيلُ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ قَدْرَ مَا تُودَى بِهِ أَوْامِرُ اللَّهِ تَعَالَى  
ثُمَّ مِنْ عُلُومِ الْآخِرَةِ مَا تَكُونُ بِهِ النِّجَاةُ. حُكِيَ أَنَّ  
السُّبُلِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ خَدَمَ أَرْبَعِينَ أَسْتَاذًا، وَقَالَ قَرَأْتُ أَرْبَعَةَ  
آلَافِ حَدِيثٍ، ثُمَّ أَخْتَرْتُ مِنْهَا حَدِيثًا وَاحِدًا وَعَمِلْتُ  
بِهِ، وَخَلَيْتُ مَا سِوَاهُ، لِأَنِّي تَأَمَّلْتُهُ فَوَجَدْتُ خَلَاصِي  
وَنَجَاتِي فِيهِ، وَكَانَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ كُلَّهُ مُنْدَرِجًا  
فِيهِ فَاسْتَفَيْتُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: (إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ بِقَدْرِ مُقَامِكَ

فِيهَا ، وَأَعْمَلْ لِأَخْرَجِكَ بِقَدْرِ بَقَائِكَ <sup>(١)</sup> فِيهَا ، وَأَعْمَلْ  
 لِلَّهِ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ ، وَأَعْمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَيْهَا )  
 « أَيُّهَا الْوَالِدُ » إِذَا عَلِمْتَ هَذَا الْحَدِيثَ لَا حَاجَةَ إِلَى  
 الْعِلْمِ الْكَثِيرِ وَتَأَمَّلْ فِي حِكَايَاتِ أُخْرَى ، وَذَلِكَ أَنَّ  
 حَاتِمًا الْأَصْمَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّقِيقِ الْبَلَخِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى عَلَيْهِمَا ، فَسَأَلَهُ يَوْمًا قَالَ : صَاحَبْتَنِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ  
 سَنَةً مَا حَصَّاتَ فِيهَا ؟ قَالَ : حَصَّاتُ ثَمَانِي فَوَائِدَ مِنْ  
 الْعِلْمِ ، وَهِيَ تَكْفِينِي مِنْهُ ، لِأَنِّي أَرْجُو خَلَاصِي وَنَجَاتِي  
 فِيهَا . فَقَالَ شَقِيقُ مَا هِيَ ؟ قَالَ حَاتِمُ الْأَصْمُ ( الْفَائِدَةُ  
 الْأُولَى ) أَنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْخَلْقِ فَرَأَيْتُ لِكُلِّ مِنْهُمْ  
 مَحْبُوبًا وَمَعْشُوقًا يُجِبُهُ وَيَعْشَقُهُ <sup>(٢)</sup> ، وَبَعْضُ ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ  
 يُصَاحِبُهُ إِلَى مَرَضِ الْمَوْتِ ، وَبَعْضُهُ إِلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ ،  
 ثُمَّ يَرْجِعُ كُلُّهُ وَيَتْرُكُهُ فَرِيدًا وَحِيدًا وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ

(١) البقاء فيها غير متناه ، وهو يقتضى المداومة على الطاعة والتقوى

(٢) وذلك كالاولاد والازواج والاموال والمناصب والاحباء

فِي قَبْرِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَتَفَكَّرْتُ وَقُلْتُ : أَفْضَلُ مَحْبُوبٍ  
 الْمَرْءَ مَا يَدْخُلُ فِي قَبْرِهِ وَيُوَانِسُهُ فِيهِ ، فَمَا وَجَدْتُهُ غَيْرَ  
 الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَأَخَذْتُهَا مَحْبُوبًا لِي لِتَكُونَ سِرَاجًا لِي  
 فِي قَبْرِي ، وَتُوَانِسَنِي فِيهِ وَلَا تَتْرُكَنِي فَرِيدًا ( الْفَائِدَةُ  
 الثَّانِيَّةُ ) أَنِّي رَأَيْتُ الْخَلْقَ يَقْتَدُونَ بِأَهْوَاهِهِمْ وَيُبَادِرُونَ  
 إِلَى مُرَادَاتِ أَنْفُسِهِمْ فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ  
 مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ )<sup>(١)</sup> فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ  
 الْمَأْوَى ( وَتَيَقَّنْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ صَادِقٌ فَبَادَرْتُ إِلَى  
 خِلَافِ نَفْسِي وَتَشَمَّرْتُ لِمُجَاهَدَتِهَا وَمَا مَتَّعْتَهَا بِهَوَاهَا  
 حَتَّى رَضِيَتْ بِطَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأُنْقَادَتْ ( الْفَائِدَةُ  
 الثَّلَاثَةُ ) أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يَسْعَى فِي جَمْعِ  
 حُطَامِ الدُّنْيَا ثُمَّ يُمْسِكُهُ قَابِضًا يَدَهُ عَلَيْهِ فَتَأَمَّلْتُ فِي  
 قَوْلِهِ تَعَالَى ( مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ) فَبَدَلْتُ  
 مَحْصُولِي مِنَ الدُّنْيَا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَرَّرْتُهُ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ

(١) الهوى ميل النفس إلى مقتضيات الطبع

لِيَكُونَ ذُخْرًا لِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ( الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ )  
 أَنِّي رَأَيْتُ بَعْضَ الْخَلْقِ ظَنَّ شَرَفَهُ وَعِزَّهُ فِي كَثْرَةِ  
 الْأَقْوَامِ وَالْعَشَائِرِ فَأَغْتَرَّ بِهِمْ ، وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ فِي ثَرْوَةِ  
 الْأَمْوَالِ وَكَثْرَةِ الْأَوْلَادِ فَأَفْتَحَرُوا بِهَا وَحَسِبَ بَعْضُهُمْ  
 الشَّرْفَ وَالْعِزَّ فِي غَضَبِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَظُلْمِهِمْ وَسَفْكَ  
 دِمَائِهِمْ . وَأَعْتَقَدْتُ طَائِفَةً أَنَّهُ فِي إِتْلَافِ الْمَالِ وَإِسْرَافِهِ  
 وَتَبْذِيرِهِ وَتَأَمَّلْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ  
 اللَّهِ أَتْقَاكُمْ )<sup>(١)</sup> فَاخْتَرْتُ التَّقْوَى وَأَعْتَقَدْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ  
 صَادِقٌ وَظَنُّهُمْ وَحَسِبَانِهِمْ كُلُّهَا بَاطِلٌ زَائِلٌ ( الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ )  
 أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَذُمُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَعْتَابُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 فَوَجَدْتُ ذَلِكَ مِنَ الْحَسَدِ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْعِلْمِ فَتَأَمَّلْتُ فِي  
 قَوْلِهِ تَعَالَى ( نَحْنُ قَسَمْنَا يَدِينَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ )<sup>(٢)</sup> فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
 فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقِسْمَةَ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَزْلِ فَمَا  
 حَسَدْتُ أَحَدًا وَرَضَيْتُ بِقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى « الْفَائِدَةُ

(١) التقوى: الكف عن جميع المحظورات وتجنب الشبهات والبدع عن

كل مريب (٢) أى قدرناها فى الازل وفقا لما اقتضته حكمتنا وإرادتنا

السَّادِسَةُ « أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يُعَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِعِرَاضٍ  
وَسَبَبٍ فَتَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى ( إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ  
فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ) فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ عَدَاوَةُ أَحَدٍ غَيْرِ  
الشَّيْطَانِ ( الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ ) أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ أَحَدٍ يَسْعَى  
بِحَدِّهِ وَيَجْتَهِدُ بِمُبَالَغَةٍ لِيَطْلُبَ الْقُوَّةَ وَالْمَعَاشَ بِحَيْثُ يَقَعُ  
بِهِ فِي شُبُهَةٍ وَحَرَامٍ ، وَيُذِكُّ نَفْسَهُ ، وَيَنْقُصُ قَدْرَهُ ،  
فَتَأَمَّلْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى  
اللَّهِ رِزْقُهَا ) فَعَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ ضَمِنَهُ  
فَأَشْتغَلْتُ بِعِبَادَتِهِ وَقَطَعْتُ طَمَعِي عَمَّنْ سِوَاهُ ( الْفَائِدَةُ  
الثَّامِنَةُ ) أَنِّي رَأَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مُعْتَمِدًا عَلَى شَيْءٍ مَخْلُوقٍ :  
بَعْضُهُمْ إِلَى الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الْمَالِ وَالْمَلِكِ ،  
وَبَعْضُهُمْ إِلَى الْحِرْفَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى مَخْلُوقٍ  
مِثْلِهِ : فَتَأَمَّلْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
فَهُوَ حَسْبُهُ ) إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ

قَدْرًا) فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ  
الْوَكِيلُ . فَقَالَ شَقِيقٌ : - وَفَقَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - إِنِّي قَدْ  
نَظَرْتُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ فَوَجَدْتُ  
الْكِتَابَ الْأَرْبَعَةَ تَدُورُ عَلَى هَذِهِ الْفَوَائِدِ الثَّمَانِيَةِ .  
فَمَنْ عَمِلَ بِهَا كَانَ عَامِلًا بِهِذِهِ الْكِتَابِ الْأَرْبَعَةِ .

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » قَدْ عَلِمْتَ مِنْ هَاتَيْنِ الْحِكَايَتَيْنِ  
أَنَّكَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَكْثِيرِ الْعِلْمِ . وَالْآنَ أُبَيِّنُ لَكَ  
مَا يَجِبُ عَلَى سَائِلِكِ سَبِيلِ الْحَقِّ « أَعْلَمُ » أَنَّهُ يُذَبِّغِي لِلسَّائِلِ  
شَيْخٌ مُرْشِدٌ مُرَبِّ لِيُخْرِجَ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ مِنْهُ بِرِيبَتِهِ  
وَيَجْعَلَ مَكَانَهَا خُلُقًا حَسَنًا ، وَمَعْنَى التَّرْيِيبَةِ يُشْبِهُ فِعْلَ  
الْفَلَاحِ الَّذِي يَقْلَعُ الشُّوكَ وَيُخْرِجُ النَّبَاتَاتِ الْأَجْنَبِيَّةَ  
مِنْ بَيْنِ الزَّرْعِ لِيَحْسُنَ نَبَاتُهُ وَيَكْمُلَ رِيْعُهُ (١) ، وَلَا بَدَّ  
لِلسَّائِلِ مِنْ شَيْخٍ يُؤَدِّبُهُ وَيُرْشِدُهُ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى  
لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ لِلْعِبَادِ رَسُولًا لِلْإِرشَادِ إِلَى سَبِيلِهِ . فَإِذَا



أُرْتَحَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدَّ خَلْفَ الْخُلَفَاءِ فِي مَكَانِهِ  
حَتَّى يُرْشِدُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَشَرَطُ الشَّيْخِ الَّذِي يَصْلُحُ  
أَنْ يَكُونَ نَائِبًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
عَلَيْهِ - أَنْ يَكُونَ عَالِمًا وَلَكِنْ لَا كُلُّ عَالِمٍ يَصْلُحُ  
لِلْخِلَافَةِ . وَإِنِّي أَبِئُ لَكَ بَعْضَ عِلْمَاتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ  
حَتَّى لَا يَدْعَى كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ مُرْشِدٌ . فَنَقُولُ : مَنْ يُعْرِضُ  
عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا <sup>(١)</sup> وَحُبِّ الْجَاهِ ، وَكَانَ قَدْ تَابَعَ لِشَخْصٍ  
بَصِيرٍ تَتَسَلَّلُ مُتَابَعَتُهُ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ وَكَانَ مُحْسِنًا رِيَاضَةً نَفْسِهِ بِقَلَّةِ الْأَكْلِ <sup>(٢)</sup> وَالْقَوْلِ  
وَالنَّوْمِ ، وَكَثْرَةِ الصَّلَوَاتِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ . وَكَانَ  
بِمُتَابَعَتِهِ ذَلِكَ الشَّيْخِ الْبَصِيرِ جَاعِلًا مُحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ لَهُ  
سِيرَةً كَالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَالشُّكْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ  
وَالْقَنَاعَةِ وَطُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ وَالْحِلْمِ وَالتَّوَّاضِعِ وَالْعِلْمِ

(١) لانه رأس كل خطيئته إذ جميع المحظورات متولدة من حب الدنيا  
فمن شاء السلامة فليقلع عنه (٢) من أفعال ذى النون المصرى لا تسكن  
الحكمة معدة ملئت طعاما

وَالصَّدَقِ وَالْحَيَاءِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشُّكُونِ وَالتَّائِبِ  
 وَأَمْثَالِهَا ، فَهُوَ إِذَا نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ يَصْلُحُ لِلإِقْتِدَاءِ بِهِ ، وَلَكِنَّ وُجُودَ مِثْلِهِ نَادِرٌ أَعَزُّ  
 مِنَ الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ . وَمَنْ سَاعَدَتْهُ السَّعَادَةُ فَوَجَدَ  
 شَيْخًا كَمَا ذَكَرْنَا وَقَبْلَهُ الشَّيْخُ يُذَبِّغِي أَنْ يَحْتَرِمَهُ ظَاهِرًا  
 وَبَاطِنًا . أَمَّا إِحْتِرَامُ الظَّاهِرِ فَهُوَ أَلَّا يُجَادِلَهُ وَلَا يَسْتَغْلِلَ  
 بِالِاحْتِجَاجِ مَعَهُ فِي كُلِّ سَأَلَةٍ ، وَإِنْ عَلِمَ خَطَأَهُ ،  
 وَلَا يُبْلِغِي بَيْنَ يَدَيْهِ سَجَادَتَهُ إِلَّا وَقْتَ آدَاءِ الصَّلَاةِ فَإِذَا  
 فَرَغَ يَرْفَعُهَا . وَلَا يُكْثِرُ نَوَافِلَ الصَّلَاةِ بِمُحَضَّرَتِهِ ، وَيَعْمَلُ  
 مَا يَأْمُرُهُ الشَّيْخُ مِنَ الْعَمَلِ بِقَدْرِ وَسَعَةِ وَطَاقَتِهِ . وَأَمَّا  
 إِحْتِرَامُ الْبَاطِنِ فَهُوَ أَنْ كُلَّ مَا يَسْمَعُ وَيَقْبَلُ مِنْهُ فِي الظَّاهِرِ  
 لَا يُنْكِرُهُ فِي الْبَاطِنِ ، لَا فِعْلًا وَلَا قَوْلًا ، لِئَلَّا  
 يَتَّسِمَ بِالتَّفَاقِ ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ يَتْرُكُ صُحْبَتَهُ إِلَى أَنْ يُوَافِقَ  
 بَاطِنُهُ ظَاهِرَهُ . وَيَحْتَرِزُ عَنِ مُجَالَسَةِ صَاحِبِ الشُّؤْهِ لِيَقْصُرَ

وَلَايَةَ شَيَاطِينِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ عَنِ صَخْنٍ <sup>(١)</sup> قَلْبِهِ  
فَيُصْقَى مِنْ لَوْثٍ <sup>(٢)</sup> الشَّيْطَانَةِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَخْتَارُ الْفَقْرَ  
عَلَى الْغِنَى « ثُمَّ أَعْلَمَ » أَنَّ التَّصَوُّفَ لَهُ خَصْلَتَانِ :  
الِاسْتِقَامَةُ وَالشُّكُونُ عَنِ الْخَلْقِ . فَمَنْ اسْتَقَامَ وَأَحْسَنَ  
خُلُقَهُ بِالنَّاسِ وَعَامَلَهُمْ بِالْحِلْمِ فَهُوَ صُوفِيٌّ . وَالِاسْتِقَامَةُ  
أَنْ يَفِدَى حَظَّ نَفْسِهِ <sup>(٣)</sup> لِنَفْسِهِ . وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ  
أَلَّا تَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى مُرَادِ نَفْسِكَ بَلْ تَحْمِلَ نَفْسَكَ عَلَى  
مُرَادِهِمْ مَا لَمْ يُخَالِفُوا الشَّرْعَ . ثُمَّ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي عَنْ  
الْعُبُودِيَّةِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ ( أَحَدُهَا ) مُحَافَظَةُ أَمْرِ  
الشَّرْعِ ( وَثَانِيهَا ) الرِّضَاءُ بِالْقَضَاءِ <sup>(٤)</sup> وَالْقَدْرُ وَقِسْمَةُ اللَّهِ  
تَعَالَى ( وَثَالِثُهَا ) تَرْكُ رِضَاءِ نَفْسِكَ فِي طَلَبِ رِضَاءِ اللَّهِ  
تَعَالَى . وَسَأَلْتَنِي عَنِ التَّوَكُّلِ وَهُوَ أَنْ تَسْتَحْكِمَ أَعْتِقَادَكَ  
بِاللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَعَدَ ، يَعْنِي تَعْتَقِدُ أَنَّ مَا قَدَّرَ لَكَ سَيَصِلُ

(١) أى وسطه (٢) أى خبث (٣) أن يفدى : أى يحمى .  
وحظ نفسه ميولها وشهواتها (٤) أى الحكم الالهى الذى لا يحيد عنه  
ولا مفر منه

إِلَيْكَ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ اجْتَهَدَ كُلُّ مَنْ فِي الْعَالَمِ عَلَى صِرْفِهِ  
عَنْكَ ، وَمَالَمْ يُكْتَبْ لَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ وَإِنْ سَاعَدَكَ جَمِيعُ  
الْعَالَمِ ، وَسَأَلْتَنِي عَنِ الْإِخْلَاصِ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالَكَ  
كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَلَا يَرْتَوِّحَ قَلْبُكَ بِمَحَامِدِ النَّاسِ وَلَا تُبَالِي  
بِمَذَمَّتِهِمْ ( وَأَعْلَمَ ) أَنَّ الرِّيَاءَ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَعْظِيمِ الْخَلْقِ .  
وَعِلَاجُهُ أَنْ تَرَاهُمْ مُسَخَّرِينَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ وَتَحْسِبُهُمْ  
كَالْجِمَادَاتِ فِي عَدَمِ قُدْرَةِ إِيْصَالِ الرَّاحَةِ وَالْمَشَقَّةِ  
لِتَخْلُصَ مِنْ مُرَائِهِمْ . وَمَتَى تَحْسِبُهُمْ ذَوِي قُدْرَةٍ وَإِرَادَةٍ  
لَنْ يَبْعُدَ عَنْكَ الرِّيَاءُ

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » وَالْبَاقِي مِنْ مَسَائِلِكَ بَعْضُهَا مَسْطُورٌ  
فِي مُصَنَّفَاتِي فَاطْلُبْهُ ثَمَّةً وَكِتَابَةٌ بَعْضُهَا حَرَامٌ اِعْمَلْ  
أَنْتَ بِمَا تَعْلَمُ لِيُنْكَشِفَ لَكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ .

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » بَعْدَ الْيَوْمِ ، لَا تَسْأَلْنِي مَا أَشْكَلُ عَلَيْكَ  
إِلَّا بِلِسَانِ الْعِبْتَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى ( وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى  
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ) وَأَقْبَلْ نَصِيحَةَ الْخَضِرِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ ( فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ  
لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) وَلَا تَسْتَعْجِلْ حَتَّى تَبْلُغَ أَوَانَهُ يُكْشَفُ  
لَكَ وَتَرَاهُ ( سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) فَلَا تَسْأَلْنِي  
قَبْلَ الْوَقْتِ ، وَتَيَقَّنْ أَنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَّا بِالسَّيْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى  
( أَوْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ) .

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » بِاللَّهِ إِنْ تَمَرَّتْ تَرَ الْعَجَابَ فِي كُلِّ  
مَنْزِلٍ ، وَأَبْذُلُ رُوحِكَ فَإِنَّ رَأْسَ هَذَا الْأَمْرِ بِذَلِكَ الرُّوحِ  
كَمَا قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - لِأَحَدِ  
تَلَامِيذَتِهِ : إِنْ قَدَرْتَ عَلَى بَدْلِ الرُّوحِ فَعَمَالَ وَإِلَّا  
فَلَا تَشْتَغِلْ بِرَهَاتِ الصُّوفِيَّةِ .

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » إِنْ أَنْصَحَكَ بِثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ . اقْبَلْهَا  
مِنِّي لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْكَ خَصْمًا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .  
تَعْمَلُ مِنْهَا أَرْبَعَةً ، وَتَدَعُ مِنْهَا أَرْبَعَةً . أَمَّا اللُّوَاقِي تَدَعُ  
( فَأَحَدُهَا ) إِلَّا تُنَاطِرَ أَحَدًا فِي مَسْأَلَةٍ مَا اسْتَطَعْتَ لِأَنَّ

فِيهَا آفَاتٌ كَثِيرَةٌ فَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا إِذْ هِيَ مَنْبَعُ كُلِّ  
خُلُقٍ ذَمِيمٍ كَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ  
وَالْمُبَاهَاةِ وَغَيْرِهَا ، نَعَمْ لَوْ وَقَعَ مَسْأَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ  
شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَتْ إِزَادُتَكَ فِيهَا أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ  
وَلَا يَضِيعُ ، جَازَ الْبَحْثُ لَكِنْ لِتِلْكَ الْإِرَادَةِ عَلَامَتَانِ :  
(إِحْدَاهُمَا) أَلَّا تَفْرُقَ بَيْنَ أَنْ يَنْكَشِفَ الْحَقُّ عَلَى  
لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ (وَالثَّانِيَةُ) أَنْ يَكُونَ الْبَحْثُ  
فِي أَخْلَاءِ أَحَبِّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَأِ وَأَسْمَعُ  
إِنِّي أَذْكَرُكَ هَاهُنَا فَائِدَةً « وَأَعْلَمُ » أَنْ السُّؤَالَ عَنِ  
الْمُشْكَلاتِ عَرَضُ مَرَضِ الْقَلْبِ إِلَى الطَّيِّبِ ، وَالْجَوَابُ  
لَهُ سَعْيٌ لِإِصْلَاحِ مَرَضِهِ « وَأَعْلَمُ » أَنْ الْجَاهِلِينَ الْمَرْضَى  
قُلُوبُهُمْ ، وَالْعُلَمَاءَ الْأَطِبَّاءَ ، وَالْعَالِمَ النَّاقِصَ لَا يُحْسِنُ  
الْمُعَالَجَةَ . وَالْعَالِمَ الْكَامِلَ <sup>(١)</sup> لَا يُعَالِجُ كُلَّ مَرِيضٍ  
بَلْ يُعَالِجُ مَنْ يَرْجُو فِيهِ قَبُولَ الْمُعَالَجَةِ وَالصَّلَاحِ ، وَإِذَا

الاستماع  
الطبي

(١) يريد العارف علل القلوب وما ينتابها من الأمراض النفسية

كَانَتْ أَلْعَلَّةُ مُزْمِنَةً <sup>(١)</sup> أَوْ عَقِيماً لَا تَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَحَدَافَةٌ  
 الطَّيِّبِ فِيهِ أَنْ يَقُولَ هَذَا لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَلَا تَشْتَغِلُ  
 فِيهِ بِمُدَاوَاتِهِ لِأَنَّ فِيهِ تَضْيِيعَ الْعُمُرِ « ثُمَّ أَعْلَمَ » أَنَّ  
 مَرَضَ الْجَهْلِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ : (أَحَدُهَا) يَقْبَلُ الْعِلَاجَ  
 وَالْبَاقِي لَا يَقْبَلُ . أَمَّا الَّذِي لَا يَقْبَلُ (أَحَدُهَا) مَنْ كَانَ  
 سُؤَالُهُ وَإِعْرَاضُهُ عَنِ حَسَدِهِ وَبُغْضِهِ ، فَكَلَّمَا تُجِيبُهُ  
 بِأَحْسَنِ الْجَوَابِ وَأَفْصَحِهِ وَأَوْضَحِهِ ، فَلَا يَزِيدُ لَهُ ذَلِكَ  
 إِلَّا بُغْضًا وَعَدَاوَةً وَحَسَدًا . فَالطَّرِيقُ إِلَّا تَشْتَغِلَ بِجَوَابِهِ  
 فَقَدْ قِيلَ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِزَالَتَهَا

إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

فَيَنْبَغِي أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُ وَتَبْرُكُهُ مَعَ مَرَضِهِ . قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى « فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » وَالْحُسُودُ بِكُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ يُوقِدُ النَّارَ

(١) أى لا يفلح فيها طب ولا دواء

فِي زَرْعِ عَمَلِهِ <sup>(١)</sup> . الْحَسَدُ يَا كُلُّ أَحْسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ  
النَّارُ الْحَطَبَ ( وَالثَّانِي ) أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَاقَةِ  
وَهُوَ أَيْضًا لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ ، كَمَا قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
« إِنِّي مَا عَجَزْتُ عَنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُعَالَجَةِ  
الْأَحْمَقِ » . وَذَلِكَ رَجُلٌ يَشْتَغِلُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ زَمَانًا قَلِيلًا  
وَيَتَعَلَّمُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ <sup>(٢)</sup> الْعَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ فَيَسْأَلُ  
وَيَعْتَرِضُ مِنْ حَمَاقَتِهِ عَلَى الْعَالِمِ الْكَبِيرِ الَّذِي مَضَى عُمُرُهُ  
فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَهَذَا الْأَحْمَقُ لَا يَعْلَمُ  
وَيَظُنُّ أَنَّ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ هُوَ أَيْضًا مُشْكَلٌ عَلَى الْعَالِمِ <sup>(٣)</sup>  
الْكَبِيرِ . فَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ هَذَا الْقَدْرَ يَكُونُ سُؤْأَلُهُ مِنَ  
الْحَمَاقَةِ . فَيَنْبَغِي أَلَّا تَشْتَغَلَ بِجَوَابِهِ ( وَالثَّالِثُ ) أَنْ  
يَكُونَ مُسْتَرْشِدًا ، وَكُلُّ مَا لَا يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الْأَكْبَرِ  
يُحْمَلُ عَلَى قُصُورِ فَهْمِهِ ، وَكَانَ سُؤْأَلُهُ لِلِاسْتِفَادَةِ ، لَكِنْ  
يَكُونُ بَلِيدًا لَا يُدْرِكُ الْحَقَائِقَ ، فَلَا يَنْبَغِي الْإِشْتَغَالَ

(١) فِي الْأَصْلِ : فِي زَرْعِ عَمَلِهِ (٢) فِي الْأَصْلِ : الْعُلُومِ (٣) فِي الْأَصْلِ :



بِجَوَابِهِ أَيْضًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
« نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ  
عُقُولِهِمْ ». وَأَمَّا الْمَرَضُ الَّذِي يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَهُوَ أَنْ  
يَكُونَ مُسْتَرَشِدًا عَاقِلًا فَهَمَّا ، لَا يَكُونُ مَغْلُوبًا <sup>(١)</sup>  
أَلْحَسَدِ وَالغَضَبِ وَحُبِّ الشَّهْوَةِ وَالجَاهِ وَأَمَالٍ . وَيَكُونُ  
طَالِبَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَمْ يَكُنْ سُؤَالُهُ وَأَعْتِرَاضُهُ  
عَنْ حَسَدٍ وَتَعَمُّتٍ وَامْتِحَانٍ . وَهَذَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَيَجُوزُ  
أَنْ تَشْتَغَلَ بِجَوَابِ سُؤَالِهِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ .  
(وَالثَّانِي) مِمَّا تَدْعُ وَهُوَ أَنْ تَحْذَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ وَاعِظًا  
وَمُذَكِّرًا لِأَنَّ فِيهِ آفَةٌ كَثِيرَةٌ <sup>(٢)</sup> إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ بِمَا تَقُولُ  
أَوْلَا لَمْ تَعْظَ بِهِ النَّاسَ . فَتَفَكَّرْ فِيمَا قِيلَ لِعِيسَى عَلَيْهِ  
السَّلَامُ « يَا ابْنَ مَرْيَمَ عِظْ نَفْسَكَ فَإِنَّ أَعْمَطَ فَعِظِ النَّاسَ  
وَإِلَّا فَاسْتَحِ مِنْ رَبِّكَ <sup>(٣)</sup> ». وَإِنْ أُبْتَلِيتَ بِهَذَا الْعَمَلِ  
فَاحْتَرِزْ عَنْ خَصَلَتَيْنِ . (الأولى) عَنِ التَّكْلِيفِ فِي

(١) أى مقهورا ومستذلا (٢) آفته الرياء والتباهى والمعجب والتحدح

(٣) ولهذا قيل أحسن العظات ما بدأت به نفسك وأجريت به أمرك

الْكَلَامِ بِالْعِبَارَاتِ وَالْإِشَارَاتِ وَالطَّامَاتِ <sup>(١)</sup> وَالْأَيَّاتِ  
وَالْأَشْمَارِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْغِضُ الْمُتَكَلِّفِينَ، وَالْمُتَكَلِّفُ  
الْمُتَجَاوِزُ عَنِ الْحُدِّ يَدُلُّ عَلَى خَرَابِ الْبَاطِنِ وَغَفْلَةِ الْقَلْبِ،  
وَمَعْنَى التَّذْكِيرِ أَنْ يَذْكَرَ الْعَبْدُ نَارَ الْآخِرَةِ وَتَقْصِيرَ  
نَفْسِهِ فِي خِدْمَةِ الْخَالِقِ . وَيَتَفَكَّرُ فِي عُمُرِهِ الْمَاضِي  
الَّذِي أَفْنَاهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَتَفَكَّرُ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ  
الْعُقُوبَاتِ مِنْ عَدَمِ سَلَامَةِ الْإِيمَانِ فِي الْخَاتِمَةِ، وَكَيْفِيَّةِ حَالِهِ  
فِي قَبْضِ مَلِكِ الْمَوْتِ، وَهَلْ يَقْدِرُ عَلَى جَوَابِ مُنْكَرٍ  
وَنَكِيرٍ، وَيَهْتَمُّ بِحَالِهِ فِي الْقِيَامَةِ وَمَوَاقِفِهَا، وَهَلْ يَعْزُرُ  
عَنِ الصَّرَاطِ سَالِمًا أَمْ يَقَعُ فِي الْهَآوِيَةِ ؟ وَيَسْتَمِرُّ ذِكْرُ  
هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي قَلْبِهِ فَيُرْجِعُهُ عَنْ قَرَارِهِ . فَعَلَيَانِ هَذِهِ  
النِّيرَانِ، وَنُوحَةُ هَذِهِ الْمَصَائِبِ يُسَمَّى تَذْكِيرًا، وَإِعْلَامُ  
الْخَلْقِ، وَإِطْلَاعُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَتَنْبِيهِهُمْ عَلَى  
تَقْصِيرِهِمْ وَتَفْرِيطِهِمْ وَتَبْصِيرُهُمْ بِعُيُوبِ أَنْفُسِهِمْ لِيَتَمَسَّ  
حَرَارَةُ هَذِهِ النِّيرَانِ أَهْلَ الْمَجْلِسِ وَتُجْزِعَهُمْ تِلْكَ

(١) الاصطلاحات الصوفية المتعارفة بينهم الخفية عن غيرهم

الْمَصَائِبُ ، لِيَتَدَارَكُوا الْعُمُرَ الْمَاضِيَ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ  
وَيَتَحَسَّرُوا عَلَى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى .  
وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ يُسَمَّى وَعَظًا ، كَمَا لَوْرَأَيْتَ  
أَنَّ السَّيْلَ قَدْ هَجَمَ عَلَى دَارٍ أَحَدٍ وَكَانَ هُوَ وَأَهْلُهُ فِيهَا  
فَتَقُولُ : أَحْذَرَ أَحْذَرَ ، فِرُوا مِنَ السَّيْلِ ، وَهَلْ يَشْتَهِي  
قَلْبُكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ تُخْبِرَ صَاحِبَ الدَّارِ خَبْرَكَ  
بِتَكْلِيفِ الْعِبَارَاتِ وَالنُّكْتِ وَالْإِشَارَاتِ فَلَا تَشْتَهِي  
الْبُتَّةَ ، فَكَذَلِكَ حَالُ الْوَاعِظِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْتَنِبَهَا .

(وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ) أَلَّا تَكُونَ هِمَّتِكَ فِي وَعَظِكَ  
أَنْ يَنْفَرِ الْخَلْقُ فِي مَجْلِسِكَ أَوْ يُظْهِرُوا الْوَجَدَ ، وَيَشْقُوا  
الْثِّيَابَ لِيُقَالَ : نَعَمْ الْمَجْلِسُ هَذَا ، لِأَنَّ كَلَّهُ مَيْلٌ لِلدُّنْيَا ،  
وَهُوَ يَتَوَلَّدُ مِنَ الْغَفْلَةِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَزْمُكَ  
وَهِمَّتُكَ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ ، وَمِنْ  
الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَمِنْ الْحِرْصِ إِلَى الزُّهْدِ ، وَمِنْ  
الْبُخْلِ إِلَى السَّخَاهِ ، وَمِنْ الْغُرُورِ إِلَى التَّقْوَى ، وَتُحِبُّبَ

إِلَيْهِمُ الْآخِرَةَ وَتُبَعْضَ إِلَيْهِمُ الدُّنْيَا ، وَتُعَلِّمُهُمُ عِلْمَ الْعِبَادَةِ  
 وَالزُّهْدِ <sup>(١)</sup> لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي طِبَاعِهِمُ الزَّيْغُ عَنْ مَنْهَجِ  
 الشَّرْعِ ، وَالسَّمْعِيُّ فِيمَا لَا يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَالِاسْتِعْثَارُ <sup>(٢)</sup>  
 بِالْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ ، فَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ وَرَوَّعَهُمْ  
 وَحَذَّرَهُمْ عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِنَ الْمَخَافِ ، وَلَعَلَّ صِفَاتِ  
 بَاطِنِهِمْ تَتَغَيَّرُ وَمُعَامَلَةٌ ظَاهِرِهِمْ تَتَبَدَّلُ ، وَيَتَّظَهَّرُ وَالْحَرْصَ  
 وَالرَّغْبَةَ فِي الطَّاعَةِ ، وَالرُّجُوعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . وَهَذَا  
 طَرِيقُ الْوَعْظِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَكُلُّ وَعْظٍ لَا يَكُونُ هَكَذَا  
 فَهُوَ وَبَالٍ <sup>(٣)</sup> عَلَى مَنْ قَالَ وَسَمِعَ ، بَلْ قِيلَ : إِنَّهُ غَوْلٌ  
 وَشَيْطَانٌ يَذْهَبُ بِالْحَلْقِ عَنِ الطَّرِيقِ وَيُهْلِكُهُمْ ،  
 فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفِرُّوْا مِنْهُ لِأَنَّ مَا يُفِيدُ هَذَا الْقَائِلُ مِنْ  
 دِينِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُ بِمِثْلِهِ الشَّيْطَانُ . وَمَنْ كَانَتْ لَهُ يَدٌ  
 وَقُدْرَةٌ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُنْزِلَهُ عَنْ مَنْابِرِ الْمَوَاعِظِ ، وَيَمْنَعَهُ  
 عَمَّا بَاشَرَ فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ

(١) أى الاعراض عن الدنيا والاقبال على ما تصلح به الآخرة

(٢) الاستعثار : الزلل (٣) أى وزر واساءة ومضرة

الْمُنْكَرِ (وَالثَّالِثُ) مِمَّا تَدْعُ الْأَنْعَالِطَ الْأَمْرَاءَ وَالسَّلَاطِينَ  
وَلَا تَرَاهُمْ لِأَنَّ رُؤْيَتَهُمْ وَمَجَالَسَتَهُمْ وَمُخَالَطَتَهُمْ آفَةٌ عَظِيمَةٌ ،  
وَلَوْ أُبْتُلِيَتْ بِهَا دَعَا عَنْكَ مَدْحُهُمْ وَتَنَاءُهُمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
يَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ وَالظَّالِمُ . وَمَنْ دَعَا لِطَوْلِ  
بَقَائِهِمْ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ فِي أَرْضِهِ (وَالرَّابِعُ)  
مِمَّا تَدْعُ إِلَّا تَقْبَلُ شَيْئًا مِنْ عَطَاءِ الْأَمْرَاءِ وَهَدَايَاهُمْ ،  
وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهَا مِنَ الْحَلَالِ ، لِأَنَّ الطَّمَعَ مِنْهُمْ يُفْسِدُ  
الِدِينَ ، لِأَنَّهُ يُتَوَلَّدُ مِنْهُ الْمُدَاهَنَةُ ، وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِمْ  
وَالْمُوَافَقَةُ فِي ظُلْمِهِمْ . وَهَذَا كُلُّهُ فِسَادٌ فِي الدِّينِ ، وَأَقْلُّ  
مَضَرَّتِهِ أَنْكَ إِذَا قَبِلْتَ عَطَايَاهُمْ وَأَنْتَفَعْتَ مِنْ دُنْيَاهُمْ  
أَحْبَبْتَهُمْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا يُحِبُّ طَوْلَ عُمُرِهِ وَبَقَائِهِ  
بِالضَّرُورَةِ ، وَفِي حُبِّهِ بَقَاءَ الظَّالِمِ إِرَادَةٌ فِي الظُّلْمِ عَلَى  
عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِرَادَةٌ خَرَابِ الْعَالَمِ . فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ  
أَضْرَّ مِنْ هَذَا لِلدِّينِ وَالْعَاقِبَةِ ؟ وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ يُحْدِثَكَ  
أُسْتِهْوَاهُ <sup>(١)</sup> الشَّيَاطِينِ ، أَوْ قَوْلُ بَعْضِ النَّاسِ لَكَ بِأَنَّ

(١) أى تزيينهم له هواء

الْأَفْضَلَ وَالْأَوْلَى أَنْ تَأْخُذَ الدِّينَارَ وَالدَّرَاهِمَ مِنْهُمْ وَتُفَرِّقَهَا بَيْنَ  
الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَإِنَّهُمْ يُنْفِقُونَ فِي الْفِسْقِ وَالْمَعْصِيَةِ ،  
وإِنْفَاقَكَ عَلَى ضِعْفَاءِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنْ إِنْفَاقِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّعِينِ  
قَدْ قَطَعَ أَعْنَاقَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْوَسْوَسةِ ، وَقَدْ  
ذَكَرْنَا فِي إِحْيَاءِ الْعُلُومِ فَاطِلَةَ ثَمَّةَ . وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ  
الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهَا : « الْأَوَّلُ » أَنْ تَجْعَلَ مُعَامَلَتَكَ  
مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِحَيْثُ لَوْ عَامَلَ مَعَكَ بِهَا عَبْدُكَ تَرْضَى بِهَا  
مِنْهُ ، وَلَا يَضِيقُ خَاطِرُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَغْضَبُ ، وَالَّذِي لَا تَرْضَى  
لِنَفْسِكَ مِنْ عَبْدِكَ الْمَجَازِيَّ فَلَا تَرْضَى أَيْضًا لِلَّهِ تَعَالَى  
وَهُوَ سَيِّدُكَ الْحَقِيقِيُّ « وَالثَّانِي » كَمَا عَمِلْتَ بِالنَّاسِ أَجْعَلْهُ  
كَمَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى  
يُحِبَّ لِسَائِرِ النَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ <sup>(١)</sup> « وَالثَّلَاثُ » إِذَا  
قَرَأْتَ الْعِلْمَ أَوْ طَالَعْتَهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمُكَ يُصْلِحُ  
قَلْبَكَ ، وَيَرْكِي نَفْسَكَ ، كَمَا لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ عُمُرَكَ مَا يَبْقَى

(١) هذا مضمون حديث في الصحيحين من رواية أنس رضي الله  
عنه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه »

غَيْرَ أُسْبُوعٍ فَبِالضَّرُورَةِ لَا تَشْتَغِلُ فِيهَا بِعِلْمِ الْفِقْهِ  
وَالْأَخْلَاقِ وَالْأُصُولِ وَالْكَلامِ وَأَمْثَالِهَا ، لِأَنَّكَ تَعْلَمُ  
أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ لَا تُغْنِيكَ . بَلْ تَشْتَغِلُ بِمُرَاقَبَةِ الْقَلْبِ  
وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِ النَّفْسِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ عِلَاقِ الدُّنْيَا ،  
وَتُزَكِّي نَفْسَكَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، وَتَشْتَغِلُ بِمَحَبَّةِ  
اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ ، وَالِاتِّصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ ،  
وَلَا يَمُرُّ عَلَى عَبْدٍ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِلَّا وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ  
مَوْتُهُ فِيهِ .

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » إِسْمَعْ مِنِّي كَلَامًا آخَرَ وَتَفَكَّرْ فِيهِ  
حَتَّى تَجِدَ خَلَاصًا : لَوْ أَنَّكَ أَخْبِرْتَ أَنَّ السُّلْطَانَ بَعْدَ  
أُسْبُوعٍ يَخْتَارُكَ وَزِيرًا « اعْلَمْ » أَنَّكَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ  
لَا تَشْتَغِلُ إِلَّا بِاصْلَاحِ مَا عَمِلْتَ أَنْ نَظَرَ السُّلْطَانَ سَيَقَعُ  
عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ وَالْبَدَنِ وَالْدَّارِ وَالْفِرَاشِ وَغَيْرِهَا ، وَالْآنَ  
تَفَكَّرْ إِلَى مَا أَشْرْتُ بِهِ فَإِنَّكَ فَهَمٌ ، وَالْكَلامُ الْفَرْدُ

يَكْفِي الْكَيْسَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
« إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ  
يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ » وَإِنْ أَرَدْتَ عِلْمَ أَحْوَالِ  
الْقَلْبِ فَانْظُرْ إِلَى الْأَحْيَاءِ وَغَيْرِهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِي . وَهَذَا  
الْعِلْمُ فَرَضُ عَيْنٍ <sup>(١)</sup> وَغَيْرُهُ فَرَضُ كِفَايَةٍ إِلَّا مِقْدَارَ  
مَا يُودَى بِهِ فَرَائِضُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ يُوفِّقُكَ حَتَّى تَحْصِلَهُ  
« وَالرَّابِعُ » أَلَّا تَجْمَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ مِنْ كِفَايَةٍ  
سَنَةٍ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعِدُّ  
ذَلِكَ لِبَعْضِ حُجْرَاتِهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُوَّةَ آلِ  
مُحَمَّدٍ كِفَايَةً » وَلَمْ يَكُنْ يُعِدُّ ذَلِكَ لِكُلِّ حُجْرَاتِهِ بَلْ  
كَانَ يُعِدُّهُ لِمَنْ عِلْمَ أَنَّ فِي قَلْبِهَا ضَعْفًا . وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ  
صَاحِبَةً يَقِينٍ مَا كَانَ يُعِدُّ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ قُوَّةِ يَوْمٍ  
وَيُصَفِّ .

« أَيُّهَا الْوَالِدُ » إِنِّي كَتَبْتُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مُلْتَمَسَاتِكَ

(١) أي على كل إنسان حتم أن يعلمه بخلاف فرض الكفاية الذي  
يكفي أن يقوم به البعض عن الكل



فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا وَلَا تَنْسَانِي فِيهِ مِنْ أَنْ تَذْكَرَنِي  
فِي صَالِحِ دُعَائِكَ . وَأَمَّا الدُّعَاءُ الَّذِي سَأَلْتَ مِنِّي فَأَطْلُبُهُ  
مِنْ دَعَوَاتِ الصَّحَّاحِ ، وَأَقْرَأُ هَذَا الدُّعَاءَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ  
خُصُوصًا أَعْقَابَ صَلَوَاتِكَ :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا ، وَمِنَ الْعِصْمَةِ <sup>(١)</sup>  
دَوَامَهَا ، وَمِنَ الرَّحْمَةِ شُمُولَهَا ، وَمِنَ الْعَافِيَةِ خُصُولَهَا ،  
وَمِنَ الْعَيْشِ أَرْغَدَهُ ، وَمِنَ الْعُمُرِ أَسْعَدَهُ ، وَمِنَ الْإِحْسَانِ  
أَتَمَّهُ ، وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَعَمَّهُ ، وَمِنَ الْفَضْلِ أَعْذَبَهُ ، وَمِنَ  
الْطُّفْلِ أَقْرَبَهُ . اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا . اللَّهُمَّ  
أَخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنا ، وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالَنا ، وَأَقْرِنْ  
بِالْعَافِيَةِ غُدُونَنَا وَآصَالَهِنَا ، وَأَجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا  
وَمَا لَنَا ، وَأَصْبُبْ سِجَالَ <sup>(٢)</sup> عَفْوِكَ عَلَيَّ ذُنُوبِنَا ، وَمَنْ  
عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا ، وَأَجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا <sup>(٣)</sup> ، وَفِي

(١) أى الوقاية والحفظ من كل سوء ومكروه (٢) السجل : الدلو  
العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثير - مذكر . كناية عن نحو ذنوبهم  
والعفو عنهم (٣) أى ذخرننا فى سفرنا

دِينِكَ اجْتِهَادَنَا <sup>(١)</sup> ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَأَعْتَدَانَا . اللَّهُمَّ  
ثَبَّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَأَعِدْنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ  
النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَخَفَّفْ عَنَّا ثِقَلَ الْأَوْزَارِ ، وَأَرْزُقْنَا  
عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ ، وَأَكْفِنَا وَأَصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ ،  
وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا  
مِنَ النَّارِ ، بِرَحْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ يَا كَرِيمُ يَا سِتَّارُ يَا عَلِيمُ  
يَا جَبَّارُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَوْلَى  
الْأَوْلِينَ ، وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ،  
وَيَا أَرْحَمَ الْمَسَاكِينِ ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(١) یعنی اجعل سعینا وجدنا ومجاهدتنا فی طاعتک ورضائک

« الْأَدَبُ فِي الدِّينِ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا ، فَأَكْمَلَ خَلْقَنَا ، وَأَدَبَنَا فَأَحْسَنَ  
تَأْدِيبَنَا ، وَشَرَّفَنَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسَنَ  
تَشْرِيفَنَا ، ثُمَّ أَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ : إِنَّ أَكْمَلَ الْأَخْلَاقِ  
وَأَعْلَاهَا ، وَأَحْسَنَ الْأَفْعَالِ وَأَبْنَاهَا ، هُوَ الْأَدَبُ فِي الدِّينِ  
وَمَا يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُ مِنْ فِعْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَأَخْلَاقِ  
النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ أَدَبَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ بِمَا  
أَرَانَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ . وَأَدَبَنَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فِي السُّنَّةِ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْنَا . فَلَهُ الْمِنَّةُ ، وَكَذَلِكَ بِالصَّحَابَةِ  
وَالتَّالِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْنَا مِنَ الْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ . وَذَلِكَ جَلِيلٌ<sup>(١)</sup> خَطَرُهُ

(١) جليل : أى عظيم قدره

كثيرة عدده . نذكر بعضه لئلا يطول شرحه فيعسر فهمه .



« أدب المؤمن بين يدي الله تعالى » إطراق الآداب كإبراهيم الفزالي

الطرف ، وجمع الهم ودوام الصمت ، وسكون الجوارح  
ومبادرة امتثال الأوامر ، واجتناب المنهى ، وقلة  
الاعتراض ، وحسن الخلق ، ودوام الذكر ، وتنزيه  
الفكر ، وتقيد الجوارح ، وسكون القلب ، وتعظيم  
الرب ، وقلة الغضب ، وكتان الحب ، ودوام الإخلاص  
وترك النظر إلى الأشخاص ، وإيثار الحق ، واليأس من  
جميع الخلق ، وإخلاص العمل ، وصدق القول ، وتنزيه  
الإطلاع ، وإحياء القربات <sup>(١)</sup> ، وقلة الإشارة ، وكتان  
الفائدة ، والغيرة على تبديل الاسم ، والغضب عند  
انتهاك المحارم ، ودوام الهيبة ، واستشعار الحياء

(١) هي ما يتقرب به العبد من ربه

وَأَسْتَعْمَالَ الْخَوْفِ ، وَالشُّكُونَ ثِقَةً بِالضَّمَانِ ، وَالنَّوْ كَلُّ  
مَعْرِفَةً بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ ، وَإِسْبَاغُ<sup>(١)</sup> الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ  
وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَأَرْتِعَاشُ الْقَلْبِ خَوْفَ  
فَوْتِ الْفَرَضِ ، وَدَوَامُ التَّوْبَةِ خَوْفَ الْإِضْرَارِ ، وَدَوَامُ  
التَّصَدِيقِ بِمَا غَابَ ، وَوَجَلُّ الْقَلْبِ عِنْدَ الذِّكْرِ ، وَزِيَادَةُ  
الْأَنْوَارِ عِنْدَ الْوَعْظِ ، وَأَسْتِشْعَارُ النَّوْ كَلِّ عِنْدَ الْفَاقَةِ ،  
وَإِخْرَاجُ الصَّدَقَةِ مِنْ غَيْرِ بُخْلِ مَعَ الْإِسْكَانِ .

\* \* \*

« آدَابُ الْعَالِمِ » لَزُومُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ ، وَدَوَامُ  
الْوَقَارِ ، وَمَنْعُ التَّكْبَرِ ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِهِ ، وَالرِّفْقُ  
بِالْمُتَعَلِّمِ وَالتَّائِي بِالْمُتَعَجَّرِ<sup>(٢)</sup> ، وَإِصْلَاحُ الْمَسْأَلَةِ  
لِلْبَلِيدِ ، وَتَرْكُ الْأَنْفَةِ<sup>(٣)</sup> مِنْ قَوْلِ لَا أَدْرِي ، وَتَكُونُ  
هِمَّتُهُ عِنْدَ السُّؤَالِ خَلَاصُهُ مِنْ السَّائِلِ لَا خَلَاصُ السَّائِلِ

(١) إسباغ الوضوء : تمامه ، وسبغت النعمة ، اتسعت (٢) المتعجرف :

المتكبر الذى لا يهاب شيئاً ، الجافى فى الكلام (٣) الأنفة هى الكراهة  
وعلو النفس

وَتَرَكَ التَّكْلُفَ ، وَأَسْتَمَاعُ الْحُجَّةِ وَأَنْقَبُولُ لَهَا وَإِنْ  
كَانَتْ مِنَ الْخُصْمِ .

\* \* \*

آداب المتعلم مع العالم آداب المتعلم مع العالم  
« آداب المتعلم مع العالم » يَبْدُوهُ بِالسَّلَامِ وَيُقِلُّ  
بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلَامَ وَيَقُومُ لَهُ إِذَا قَامَ ، وَلَا يَقُولُ لَهُ قَالَ  
فُلَانٌ خِلَافَ مَا قُلْتَ ، وَلَا يَسْأَلُ جَلِيسَهُ فِي مَجْلِسِهِ ،  
وَلَا يَبْتَسِمُ عِنْدَ مُخَاطَبَتِهِ ، وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِ بِخِلَافِ رَأْيِهِ ،  
وَلَا يَأْخُذُ بِشَوْبِهِ إِذَا قَامَ ، وَلَا يَسْتَفْهِمُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي  
طَرِيقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَلَا يُكْرِزُ عَلَيْهِ عِنْدَ  
مَلَلِهِ .

\* \* \*

آداب المقرئ آداب المقرئ  
« آداب المقرئ » يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْخُشْيَةِ ، وَأَسْتَمَاعُ  
الْأَمْرِ ، وَإِنْصَاتُ الْفَهْمِ ، وَأَنْتِظَارُ الرَّحْمَةِ ، وَالْإِصْغَاءُ إِلَى  
الْمُتَشَابِهِ ، وَإِشَارَةُ الْوَقْفِ ، وَتَعْرِيفُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَبَيَانُ  
الْهَمْزَةِ ، وَتَعْلِيمُ الْعَدَدِ ، وَتَجْوِيدُ الْحَرْفِ وَفَائِدَةُ الْخَلَامِ .

وَالرَّفْقُ بِالْبَادِي ، وَالسُّوَالُ عَنِ الْمُتَعَلِّمِ إِذَا غَابَ ،  
وَالْحَثُّ لَهُ إِذَا حَضَرَ ، وَتَرْكُ الْحَدِيثِ ، وَيَبْدَأُ بِالْمُتَلَقِّنِ  
يُلَقِّنُهُ مَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ أَوْ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَوْمَ غَيْرَهُ .

\*\*\*

« آدَابُ الْقَارِيءِ » يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ جِلْسَةً التَّوَاضُعِ آدَابُ الْقَارِيءِ  
وَيَجْمَعُ أَلْفَهُمْ ، وَخَفَضُ الرَّأْسِ ، وَالِاسْتِثْنَاءُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ ،  
ثُمَّ الْإِسْتِعَاذَةُ وَالتَّسْمِيَةُ وَالِدُعَاءُ عِنْدَ الْفَرَاغِ .

\*\*\*

« آدَابُ مُعَلِّمِ الصَّبِيَّانِ » يَبْدَأُ بِصَلَاحِ نَفْسِهِ فَإِنَّ  
أَعْيُنَهُمْ إِلَيْهِ نَظْرَةٌ ، وَأَذَانُهُمْ إِلَيْهِ مُصْغِيَةٌ . فَمَا اسْتَحْسَنَهُ  
فَهُوَ عِنْدَهُمُ الْحَسَنُ ، وَمَا اسْتَقْبَحَهُ فَهُوَ عِنْدَهُمُ الْقَبِيحُ .  
وَيَلْزِمُ الصَّمْتَ فِي جِلْسَتِهِ وَالسَّرَرَ<sup>(١)</sup> فِي نَظَرِهِ ، وَيَكُونُ  
مُعْظَمُ تَأْدِيبِهِ بِالرَّهْبَةِ ، وَلَا يَكْثُرُ الضَّرْبَ وَالتَّعْذِيبَ  
وَلَا يُحَادِثُهُمْ فَيَجْثَرُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدْعُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ

(١) أى النظر بمؤخر العين شأن الغاضب

فَيَبْسِطُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا يُمَارِحُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَحَدًا ،  
وَيَتَنَزَّهُ (١) عَمَّا يُعْطَوْنَهُ ، وَيَتَوَرَّعُ (٢) عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ  
يَطْرَحُونَهُ ، وَيَمْتَنِعُونَ مِنَ التَّخْرِيشِ (٣) ، وَيَكْفُهُمْ مِنْ  
التَّقْيِيشِ ، وَيُقَبِّحُ عِنْدَهُمُ الْغِيْبَةَ ، وَيُوحِّشُ عِنْدَهُمُ  
الْكَذِبَ وَالنَّمِيمَةَ ، وَلَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَمْرِ يُؤْتِيهِمْ  
فَيَسْتَقْبِلُوهُ ، وَلَا يُكْثِرُ الطَّلَبَ مِنْ أَهْلِهِمْ فَيَمْلُؤُهُ ، وَيَعْلَمُهُمُ  
الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ ، وَيُعَرِّفُهُمْ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ النَّجَاسَةِ .

\* \* \*

آداب المحدث « آدابُ الْمُحَدِّثِ » يَقْصِدُ الصَّدَقَ ، وَيَحْتَنِبُ  
الْكَذِبَ ، وَيُحَدِّثُ بِالْمَشْهُورِ ، وَيُرْوِي عَنِ النَّقَاتِ ،  
وَيَتْرُكُ الْمَنَّاكِبَ ، وَلَا يَذْكُرُ مَا جَرَى بَيْنَ السَّلَفِ ،  
وَيَعْرِفُ الزَّمَانَ ، وَيَتَحَفَّظُ مِنَ الزَّلَالِ وَالتَّصْحِيفِ  
وَاللَّحْنِ وَالتَّخْرِيفِ ، وَيَدَعُ الْمُدَاعِبَةَ ، وَيَقِلُّ الْمُسَاغَبَةَ  
وَيَشْكُرُ النُّعْمَةَ إِذْ جُعِلَ فِي مَقَامِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) أي يترفع وبأبي (٢) أي يمتنع عفة (٣) أي الاغراء بين الناس



وَسَلَّمَ ، وَيَلْزَمُ التَّوَاضِعَ ، وَيَكُونُ مُعْظَمُ مَا يُحَدِّثُ  
بِهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ فَرَائِضِهِمْ وَسُنَنِهِمْ وَأَدَابِهِمْ  
مِنْ مَعَانِي كِتَابِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يَحْمِلُ عِلْمَهُ إِلَى  
الْوُزْرَاءِ ، وَلَا يَغْشَى أَبْوَابَ الْأَمْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُزْرِي  
بِالْعُلَمَاءِ ، وَيَذْهَبُ بِهَاءِ عِلْمِهِمْ إِذَا حَمَلُوهُ إِلَى مُلُوكِهِمْ  
وَمِيَاسِيرِهِمْ<sup>(١)</sup> ، وَلَا يُحَدِّثُ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ فِي أَصْلِهِ ، وَلَا  
يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ مَا لَا يَرَاهُ فِي كِتَابِهِ ، وَلَا يَتَحَدَّثُ إِذَا قُرِيَ  
عَلَيْهِ ، وَيَحْذَرُ أَنْ يُدْخَلَ حَدِيثًا فِي حَدِيثٍ .

\* \* \*

آداب طالب  
الحديث

« آدَابُ طَالِبِ الْحَدِيثِ » يَكْتُبُ الْمَشْهُورَ ، وَلَا  
يَكْتُبُ الْغَرِيبَ ، وَلَا يَكْتُبُ الْمَنَّاكِرَ ، وَيَكْتُبُ  
عَنِ الثَّقَاتِ ، وَلَا تَغْلِبُهُ شُهْرَةُ الْحَدِيثِ عَلَى قَرِينِهِ ،  
وَلَا يَشْغَلُهُ طَلِبُهُ عَنْ مُرُوءَتِهِ وَصَلَاتِهِ ، يَحْتَنِبُ الْغَيْبَةَ  
وَيُنْصِتُ لِلسَّمَاعِ ، وَيَلْزَمُ الصَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْ مُحَدِّثِهِ ،

(١) مياسيرهم : جمع ميسور : ميسر وهو مصدر على مفعول بمعنى  
الميسر كالمعقول . يقال : خذ ميسوره ودع معسوره

وَيُكْثِرُ التَّلَفُّتَ عِنْدَ إِصْلَاحِ نُسَخَتِهِ ، وَلَا يَقُولُ سَمِعْتُ  
وَهُوَ مَأْسَمِعٌ ، وَلَا يَنْشُرُهُ لِطَلَبِ الْعُلُوِّ فَيَكْتُبَ مِنْ غَيْرِ  
ثِقَةٍ ، وَيَلْزِمُ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ ،  
وَلَا يَكْتُبُ عَمَّنْ لَا يَعْرِفُ الْحَدِيثَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

\*\*\*

آداب الكاتب

« آدابُ الْكَاتِبِ » حُسْنُ الْخَطِّ ، وَجَوْدَةُ الْبَرِي  
وَإِعْرَابُ اللَّفْظِ ، وَمَعْرِفَةُ الْحِسَابِ وَسَدَادُ الرَّأْيِ ،  
وَحُسْنُ اللَّبَاسِ ، وَطِيبُ الرَّائِحَةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِأَخْبَارِ  
الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْوُزَرَاءِ الْمُتَصَرِّفِينَ ، وَالتَّخَوُّفُ مِنْ  
الْمُصَادَرَاتِ ، وَالْعِلْمُ بِأَمْرِ الْخُرَاجِ ، وَالْمُسَامَحَةُ وَالْخَبْرَةُ  
فِي السَّوَادَاتِ <sup>(١)</sup> وَتَرْكُ الْإِنْخِرَامِ <sup>(٢)</sup> ، وَالتَّزَهُ عَنْ الْحُرَامِ  
وَأَسْتِعْمَالُ الْمَرْوَةِ ، وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ ، وَالتَّحْفُظُ عَنِ  
الدَّلَّةِ ، وَتَرْكُ الرَّفَثِ <sup>(٣)</sup> فِي الْمَجَالِسِ ، وَتَقْيُّ الْمُدَاعَبَةِ  
وَالْمُحَادَثَةِ وَالْمُدَارَاةَ لِلْحَاشِيَةِ .

(١) السوادات : القرى والريف حول البلد (٢) الانخرام : الركوب

بالظلم والحق (٣) الفحش في القول .



« آدَابُ الْوَاعِظِ » تَرْكُ التَّكْبَرِ ، وَدَوَامُ الْحَيَاءِ آداب الواعظ  
مِنْ سَيِّدِهِ <sup>(١)</sup> وَإِظْهَارُ الْفَاقَةِ إِلَى خَالِقِهِ ، وَشَهْوَةُ الْمَنْفَعَةِ  
لِمُسْتَمِعِهِ ، وَالْإِزْرَاءُ <sup>(٢)</sup> عَلَى نَفْسِهِ لِمَعْرِفَةِ عَيْبِهِ ، وَالنَّظَرُ  
إِلَى الْمُسْتَمِعِينَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ السَّلَامَةِ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِمْ  
بِبَاطِنِ الدِّيَانَةِ ، وَالْإِيْتِاسُ مِنْهُمْ طَلِبًا لِلصِّيَانَةِ ، وَالرَّفْقُ  
بِالتَّأْدِيبِ ، وَالْمَطْفُ عَلَى الْمُبْتَدِئِ ، وَأَعْتِقَادُ فِعْلِ مَا يَقُولُ  
لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِمَا يَقُولُ .



« آدَابُ الْمُسْتَمِعِ » إِظْهَارُ الْخُشُوعِ ، وَدَوَامُ الْخُضُوعِ آداب المستمع  
وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ ، وَأَعْتِقَادُ الْقَوْلِ ، وَدَوَامُ  
السُّكُوتِ ، وَقَلَّةُ التَّقَلُّبِ ، وَجَمْعُ الْهَمِّ ، وَتَرْكُ التُّهْمَةِ .



« آدَابُ النَّاسِكِ » يَكُونُ وَقْتُهُ مَعْلُومًا ، وَوَرْدُهُ آداب الناسك

(١) أى خالقه سبحانه وتعالى (٢) أى الاستخفاف بها

مَقْهُومًا ، و كَلَامُهُ مَقْسُومًا ، وَدَمْعُهُ مَسْجُومًا <sup>(١)</sup> . دَائِمًا ،  
خُشُوعُهُ ، لَازِمًا خُضُوعُهُ ، غَاضًا لِطَرَفِهِ ، عَاقِبًا لِقَلْبِهِ ،  
مُفَكِّرًا فِي دِينِهِ ، مُرَاقِبًا لَوَقْتِهِ ، مُدَاوِمًا لِصَوْمِهِ ،  
سَاهِرًا فِي لَيْلِهِ ، مُتَوَرِّعًا فِي مَسْكِنِهِ ، مُتَقَلِّلًا فِي مَطْعَمِهِ  
وَمَشْرَبِهِ ، مُتَوَقِّعًا لِزُؤُولِ أَجَلِهِ ، مُجَانِبًا لِقُرْنَائِهِ ، تَارِكًا  
لِشَهَوَاتِهِ ، مُحَافِظًا عَلَى صَلَوَاتِهِ ، عَالِمًا بِزِيَادَةِ حَالِهِ وَتَقْصَانِهِ  
لَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ غَيْرِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِحَالِهِ .

\* \* \*

« آدَابُ اعْتِزَالِ النَّاسِ » يَكُونُ فَقِيهًا فِي دِينِهِ ،  
عَارِفًا بِأَمْرِ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ وَحُجَّتِهِ ، يَعْتَقِدُ فِي  
اعْتِزَالِهِمْ دَفْعَ شَرِّهِ عَنْهُمْ ، وَيَخْضُرُ الْجَمْعَ وَالْجَمَاعَاتِ ،  
وَيَشْهَدُ الْجَنَائِزَ وَيَعُودُ الْمَرْضَى ، وَلَا يَخُوضُ فِي حَدِيثِهِمْ  
وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يُفْسِدُ قَلْبَهُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ ، وَلَا يُطْمِئِعُ  
نَفْسَهُ فِي نَائِلِهِمْ <sup>(٢)</sup> حَتَّى لَا تَكُونَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى جِيرَانِهِ ،

آداب اعتزال  
الناس

(١) أى سائلًا منحدرًا (٢) نائلهم: عطائهم

تَكُونُ أَوْقَاتُهُ ثَلَاثَةً : إِمَّا أَنْ يُصَلِّيَ وَيَدْرُسَ فَيَغْنَمَ ،  
أَوْ يَنْظُرَ فِي كُتُبِهِ فَيَتَعَلَّمَ ، أَوْ يَنَامَ فَيَسْلَمَ ، يُدْمِنُ الذِّكْرَ  
وَيُسْكِرُ الشُّكْرَ ، حَتَّى يَتِمَّ لَهُ الْأَمْرُ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ  
أَهْلٌ يَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ ، وَيَجْتَهِدُ فِي خَلْوَتِهِ حَتَّى يَرَى مِيزَانَ  
عُزْلَتِهِ .

\* \* \*

آداب الصوفي

« آدَابُ الصُّوفِيِّ » قَلَّةُ الْإِشَارَةِ ، وَتَرْكُ الشُّطْحِ  
فِي الْعِبَارَةِ ، وَالْتِمَسُكُ بِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ ، وَدَوَامُ الْكَدِّ ،  
وَأَسْتِعْمَالُ الْجِدِّ ، وَالِاسْتِيحَاشُ <sup>(١)</sup> مِنَ النَّاسِ ، وَتَرْكُ  
الشُّهْرَةِ فِي اللَّبَاسِ ، وَإِظْهَارُ التَّجَمُّلِ ، وَأَسْتِشْعَارُ التَّوَكُّلِ  
وَأَخْتِيَارُ الْفَقْرِ ، وَدَوَامُ الذِّكْرِ ، وَكِتْمَانُ الْمَحَبَّةِ ،  
وَحُسْنُ الْعِشْرَةِ فِي الصُّحْبَةِ ، وَالْفَضْءُ عَنِ الْمُرْدَانِ <sup>(٢)</sup>  
وَتَرْكُ مُوَآخَاةِ النَّسْوَانِ ، وَدَوَامُ دَرَسِ الْقُرْآنِ .

(١) أى استشعار الوحشة منهم وترك مخالطتهم (٢) جمع أمرد وهو

الشاب طر شار به ولم تنبت لحيته



آداب الشريف

« آدَابُ الشَّرِيفِ » يَصُونُ شَرَفَهُ وَلَا يَأْكُلُ بِنَسَبِهِ  
وَلَا يَتَعَدَّى بِجَسَبِهِ ، هِمَّتُهُ التَّوَاضُّعُ لِرَبِّهِ وَالْخَوْفُ مِنْ  
سَيِّدِهِ ، وَيَأْخُذُ بِالْفَضْلِ عَلَى مَنْ دُونَهُ ، وَلَا يُنَاوِي مَنْ  
هُوَ مِثْلُهُ ، يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ مِثْلَهُمْ  
فِي الْعِلْمِ أَوْ أَعْلَمَ ، يُبَلِّغُهُمْ أَهْلَ الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ  
وَالْقُرْآنِ ، وَيُهْدِيهِمْ إِلَى خُلُقِهِ ، وَيَتَحَفَّظُ فِي الْفَاطِهَةِ عِنْدَ  
غَضَبِهِ وَخِطَابِهِ ، يُكْرِمُ جُلَسَاءَهُ ، وَيُؤَاصِلُ إِخْوَانَهُ ،  
وَيَصُونُ أَقَارِبَهُ ، وَيُعِينُ جِيرَانَهُ ، وَيُرِيئُ بِنَفْسِهِ  
أَخْدَانَهُ .



آداب النوم

« آدَابُ النَّوْمِ » يَتَطَهَّرُ قَبْلَ النَّوْمِ ، وَيَنَامُ عَلَى  
يَمِينِهِ ، وَيَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَأْخُذَهُ النَّوْمُ ،  
وَيَدْعُو إِذَا اسْتَيْقَظَ ، وَيُحَمِّدُ اللَّهَ تَعَالَى .

\*\*\*

« آدابُ التَّهَجُّدِ » تَقْلِيلُ الْغِذَاءِ ، وَتُقْصَانُ الْمَاءِ ،  
وَإِصْلَاحُ النَّهَارِ بِاجْتِنَابِ الْغَيْبَةِ <sup>(١)</sup> وَالْكَذِبِ وَاللَّغْوِ ،  
وَتَرْكُ النَّظَرِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالْقِيَامُ مِنَ النَّوْمِ بِفَزَعٍ  
وَخَوْفٍ ، وَإِسْبَاحُ <sup>(٢)</sup> الْوُضُوءِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَلَكَوَتِ  
السَّمَوَاتِ ، وَالِدُعَاءُ وَالْحُضُورُ <sup>(٣)</sup> فِي الصَّلَاةِ لِفَهْمِ  
التَّلَاوَةِ .

\*\*\*

« آدابُ الْخَلَاءِ » التَّسْمِيَةُ ثُمَّ الْإِسْتِعَاذَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ  
وَكَشْفُ الثَّوْبِ بِرِفْقٍ بَعْدَ قُرْبِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَمَسْحُ  
الْيَدِ بِالتُّرَابِ بَعْدَ الْإِسْتِنْجَاءِ مَعَ الْغَسْلِ ، وَالِاسْتِتَارُ قَبْلَ  
الخُرُوجِ ، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ بَعْدَ الخُرُوجِ .

\*\*\*

« آدابُ الْحَمَامِ » سَتْرُ الْعَوْرَةِ ، وَغَضُّ الْبَصَرِ

---

(١) هي ذكر غيرك بما يكره (٢) أى امامه واكمله (٣) أى امام  
التوجه الى الله والانصراف عن كل شاغل

عَنِ الْعَوْرَاتِ ، وَطَلَبُ الْخُلُوعِ ، وَتَرْكُ التَّكْلِمِ ، وَقِلَّةُ  
التَّلَفُّتِ وَمَنْعُ السَّلَامِ ، وَقِلَّةُ الْجُلُوسِ ، وَغُسْلُ الْجَنَابَةِ  
مِنْ قَبْلِ الدُّخُولِ ، وَغَسْلُ الْقَدَمَيْنِ إِذَا خَرَجَ بِالْمَاءِ  
الْبَارِدِ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ الصَّدَاعَ .

\* \* \*

آداب الوضوء

« آدَابُ الْوُضُوءِ » السُّوَاكُ وَدَوَامُ الذِّكْرِ مَعَ  
الْغَسْلِ ، وَأَسْتِشْعَارُ الْهَيْبَةِ مِمَّنْ يَقْصِدُ ، وَالتَّوْبَةُ مِمَّا كَانَ  
وَالسُّكُوتُ بَعْدَ الطَّهَارَةِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّلَاةِ ،  
وَالطَّهَارَةُ فِي إِثْرِ الطَّهَارَةِ ، وَأَخْذُ (١) الشَّارِبِ وَتَنْفُ  
الْإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَالِاخْتِيَانُ . وَغَسْلُ  
الْبُرَاجِمِ (٢) وَتَعَاهُدُ الْأَنْفِ وَنَظَافَةُ الثُّوبِ وَالْبَدَنِ .

\* \* \*

آداب دخول  
المسجد

« آدَابُ دُخُولِ الْمَسْجِدِ » يَبْدَأُ بِالْيَمَنِ ، وَيَزِيلُ  
مَا فِي نَعْلِهِ مِنَ الْأَذَى ، وَيَذْكُرُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ،

(١) أخذ الشارب : القص منه (٢) البراجم : جمع برجة : المفصل  
الظاهر أو الباطن من الأصابع



وَيُسَلِّمُ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فَإِنْ كَانَ خَالِيًا سَلَّمَ عَلَى  
نَفْسِهِ ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ،  
وَيَجْلِسُ فِي مُوَاجَهَةِ الْقِبْلَةِ ، وَيَلْزَمُ الْمُرَاقَبَةَ ، وَيُقِلُّ  
الْمُخَاطَبَةَ ، وَيَتْرُكُ الْمَلَاعَنَةَ ، وَلَا يَرْفَعُ فِيهِ صَوْتَهُ ،  
وَلَا يَشْهَرُ فِيهِ سَيْفُهُ ، وَيُمْسِكُ بِنِصَالِ (١) نَبْلِهِ ، وَلَا  
يَصْنَعُ صَنْعَةً ، وَلَا يَنْشُدُ ضَالَّةً ، وَلَا يُبَايِعُ وَلَا يُشَارِي  
وَلَا يُمَانِعُ ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ بَدَأَ بِالْبُسْرَى ، وَسَأَلَ اللَّهَ  
تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ مَا يُعْطَى .

\*\*\*

« آدَابُ الْإِعْتِكَافِ » دَوَامُ الذِّكْرِ وَجَمْعُ الْهَمِّ آدَابُ الْإِعْتِكَافِ  
وَتَرْكُ الْحَدِيثِ ، وَلِزُومُ الْمَوْضِعِ ، وَتَرْكُ التَّنَقُّلَاتِ ،  
وَحَبْسُ النَّفْسِ عَنِ مُرَادِهَا ، وَمَنْعُهَا مِنْ مَحَابِّهَا ، وَجَبْرُهَا  
عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

\*\*\*

« آدَابُ الْأَذَانِ » يَكُونُ الْمُؤَذِّنُ عَارِفًا بِوَقْتِهِ آدَابُ الْأَذَانِ

(١) هذه الجملة معطوفة على ما قبلها أي : ولا يمسك بنصال نبله

فِي الصَّيْفِ وَفِي الشِّتَاءِ ، غَاضًا لِحَرْفِهِ عِنْدَ صُعُودِ الْمَنَارَةِ ،  
وَيَلْتَفِتُ فِي أَذَانِهِ عِنْدَ النَّدَاءِ بِالصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ ، وَيُرْتَلُّ  
الْأَذَانَ وَيُنْحَدِرُ فِي الْإِقَامَةِ .

\* \* \*

آداب الامام

« آدَابُ الْإِمَامِ » يَكُونُ عَارِفًا بِالصَّلَاةِ وَفَرَائِضِهَا  
وَسُنَنِهَا . فَقِيهَا بِمَا يَحْدُثُ لَهُ فِي صَلَاتِهِ وَمَا يُفْسِدُهَا ،  
لَا يَوْمُ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، يَجْعَلُ مَنْ يَلِيهِ مِنْ أَهْلِ  
الْعِلْمِ وَيَأْمُرُهُمْ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالطَّفِ  
وَلَا يَقْرَأُ بِطَوَالِ (١) السُّورِ فَيَضْجُرُوا ، وَلَا يُطِيلُ التَّسْبِيحَ  
فَيَمْلُوا ، وَلَا يُخَفِّفُ بِحَيْثُ يَفُوتُ الْكَمَالَ بَلْ يَرْتَّبُ  
الصَّلَاةَ عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ ضَعْفِهِمْ ، وَيَتَرَفَّقُ فِي رُكُوعِهِ  
وَسُجُودِهِ حَتَّى يَطْمَئِنُّوا ، وَيَسْكُتُ سَكْتَةً قَبْلَ الْحَمْدِ  
وَبَعْدَ الْحَمْدِ ، وَإِذَا فَرَّغَ مِنَ السُّورَةِ يَنْتَظِرُ فِي

(١) طول السور سبع : البقرة . وآل عمران . والنساء . والمائدة .  
والأنعام . والأعراف . ويونس أو الأنفال والبراءة جميعا لانهما سورة  
واحدة عند بعضهم .

رُكُوعِهِ مَنْ أَحَسَّ بِهِ مَالَمَ يُبْجِفُ بَيْنَ وِرَاءِهِ، وَيَنْتَظِرُ  
 قَبْلَ الصَّلَاةِ مَنْ فَقَدَ مِنْ جِيرَانِهِ مَالَمَ يَخْفَ فَوْتِ وَقْتِهِ،  
 وَيُفَرِّقُ بَيْنَ التَّسْلِيمَتَيْنِ بِوَقْفَةٍ خَفِيفَةٍ، وَإِذَا فَرَغَ نَظَرَ  
 إِلَى سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَمَنْتِهِ، وَأَزْدَادَ شُكْرًا لِسَيِّدِهِ وَأَدَامَ  
 لَهُ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ الذِّكْرَ .

\*\*\*

آداب الصلاة

« آدَابُ الصَّلَاةِ » خَفَضُ الْجَنَاحِ، وَلَزُومُ الْخُشُوعِ  
 وَإِظْهَارُ التَّذَلُّلِ، وَخُضُوعُ الْقَلْبِ، وَنَقْيُ الْوَسْوَاسِ، وَتَرْكُ  
 التَّقَلُّبِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَهُدُوءُ الْجَوَارِحِ وَإِطْرَاقُ الطَّرْفِ،  
 وَوَضْعُ الْيَمِينِ عَلَى الشَّمَالِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي التَّلَاوَةِ  
 وَالتَّكْبِيرُ بِالْهَيْبَةِ، وَالرُّكُوعُ بِالْخُضُوعِ، وَالسُّجُودُ  
 بِالْخُشُوعِ، وَالتَّسْبِيحُ بِالتَّعْظِيمِ، وَالتَّشَهُدُ بِالمُشَاهَدَةِ،  
 وَالتَّسْلِيمُ بِالإِشْفَاقِ، وَالإِنْصِرَافُ بِالْخَوْفِ، وَالسَّعْيُ<sup>(١)</sup>  
 بِطَلَبِ الرِّضَا .

(١) يريد السعي إلى الصلاة عند دخول وقتها « فاسعوا إلى ذكر الله  
 وذروا البيع »

\* \* \*

آداب القراءة « آدابُ القِراءةِ » مداومةُ الوقارِ والحَياءِ ، ومُجانبةُ العَبَثِ والْحُناهِ <sup>(١)</sup> ، ولزومُ التواضِعِ والبُكاهِ .

\* \* \*

آداب الدعاء « آدابُ الدُعاءِ » خُشوعُ القلبِ ، وجمَعُ الهَمِّ ، وإظهارُ الدُّلِّ ، وحُسْنُ النِّظَرِ ، وخَفْضُ الجُنَاحِ ، وسؤالُ الأُفَاقِ ، ولَجَأُ العَرِيقِ ، ومَعْرِفَةُ بِقَدْرِ نَفْسِهِ ، وَعَظِيمِ حُرُوبَةِ المَسْئُولِ ، وبَسْطُ الكَفِّ عِنْدَ الرِّغْبَةِ ، وَالْيَقِينُ بِالإِجَابَةِ ، وَالخَوْفُ مِنَ الخَبِيَةِ ، وَأنتِظارُ الفَرَجِ ، وَتَرْكُ العُدْوَانِ ، وَصِحَّةُ القَصْدِ وَاللِّجَا <sup>(٢)</sup> ، وَمَسْحُ الوَجْهِ بِباطِنِ الكَفِّ بَعْدَ الدُّعاءِ .

\* \* \*

آداب الجمعة « آدابُ الجُمُعَةِ » التَّاهُبُ لِلوَقْتِ قَبْلَ دُخُولِهِ ، وَالطَّهَارَةُ عِنْدَ حُضُورِهِ ، وَالْبُكُورُ ، وَغَسْلُ الجَسَدِ

(١) أى الفحش فى الكلام (٢) اللجأ : مصدر لجأ

وَنَظَافَةُ الثُّوبِ، وَطَيْبُ الرَّائِحَةِ، وَتَرْكُ التَّخَطُّي، وَفَلَّةُ  
الْكَلَامِ، وَدَوَامُ الذِّكْرِ، وَالْقُرْبُ مِنَ الْإِمَامِ، وَالْإِنْصَاتُ  
لِلْخَطِيبِ، وَالْإِنْتِشَارُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَالْمَشْيُ بِالسَّكِينَةِ  
وَالْوَقَارِ، وَتَرْكُ تَشْبِيكِ الْأَصَابِعِ، وَبِقَارِبِ<sup>(١)</sup> الْخَطِي  
وَدَوَامُ الْإِطْرَاقِ، وَكَثْرَةُ الشُّكْرِ لِلرَّازِقِ، وَدُخُولُ  
الْمَسْجِدِ بِالْخُشُوعِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَتَرْكُ الصَّلَاةِ بَعْدَ  
جُلُوسِ الْخَطِيبِ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ عَلَيْهِ بَعْدَ  
إِشَارَتِهِ، وَتَرْكُ الْكَلَامِ، وَاعْتِقَادُ الْقَبُولِ لِلْمَوْعِظَةِ، وَتَرْكُ  
الِالْتِفَاتِ عِنْدَ إِقْبَالِهِ وَمُخَاطَبَتِهِ، وَتَرْكُ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ  
حَتَّى يَنْزِلَ مِنَ الْمِنْبَرِ، وَيَفْرَعُ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الْإِقَامَةِ .

\* \* \*

« آدَابُ الْخَطِيبِ » يَأْتِي الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ آدَابُ الْخَطِيبِ  
وَالْوَقَارُ، وَيَبْدَأُ بِالتَّحِيَّةِ وَيَجْلِسُ وَعَلَيْهِ الْهَيْبَةُ وَيَمْتَنِعُ مِنْ  
التَّخَاطُبِ، وَيَتَنَظَّرُ الْوَقْتَ، ثُمَّ يَخْطُو إِلَى الْمِنْبَرِ وَعَلَيْهِ

(١) يقارب الخطي : أى يسدد فى مشيه ولا يغلو

الْوَقَارُ كَأَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَعْرِضَ مَا يَقُولُ عَلَى الْجَبَّارِ ثُمَّ يَصْعَدُ  
بِالْخُشُوعِ وَيَقِفُ عَلَى الْمِرْقَاةِ بِالْخُضُوعِ، وَيَرْتَقِي بِالذِّكْرِ،  
وَيَلْتَفِتُ إِلَى مُسْتَمِعِيهِ بِاجْتِمَاعِ الْفِكْرِ، ثُمَّ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ  
بِالسَّلَامِ لِيَسْتَمِعُوا مِنْهُ الْكَلَامَ، ثُمَّ يَجْلِسُ لِلذَّانِ  
فَرَعًا مِنَ الدِّيَانِ، ثُمَّ يَخْطُبُ بِالتَّوَاضُعِ وَلَا يُشِيرُ  
بِالْأَصَابِعِ، وَيَعْتَقِدُ مَا يَقُولُهُ لِيُنْتَفِعَ بِهِ، ثُمَّ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ  
بِالدُّعَاءِ، وَيَنْزِلُ إِذَا أَخَذَ الْمُؤَذِّنُ فِي الإِقَامَةِ وَلَا يُكَبِّرُ  
حَتَّى يَسْكُتُوا ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ وَيُرْتَلُ مَا يَقْرَأُ .

\* \* \*

« آدَابُ الْعِيدِ » إِحْيَاءُ لَيْلَتِهِ وَالِاغْتِسَالُ فِي صَبِيحَةِ  
يَوْمِهِ وَنُظَافَةُ الْبَدَنِ، وَطِيبُ الرَّائِحَةِ، وَإِدَامَةُ التَّكْبِيرِ  
وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ، وَاسْتِعْمَالُ الْخُشُوعِ، وَالدَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ  
بَيْنَ تَضَاعِيفِ التَّكْبِيرِ، وَالْإِنْصَاتُ لِلْخُطْبَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ،  
وَأَكْلُ الْبَسِيرِ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِنْ كَانَ فِطْرًا، وَالذَّهَابُ  
فِي طَرِيقِ وَالرُّجُوعُ فِي أُخْرَى، وَالْإِنْصِرَافُ بِالِاشْفَاقِ  
خَوْفَ الْغَيْبَةِ .

آداب العيد

\*\*\*

« آدَابُ الْخُسُوفِ » دَوَامُ الْفَزَعِ وَإِظْهَارُ الْجَزَعِ  
وَمُبَادَرَةُ التَّوْبَةِ وَتَرْكُ الْمَلَلِ ، وَسُرْعَةُ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلَاةِ  
وَطَوْلُ الْقِيَامِ فِيهَا وَاسْتِشْعَارُ الْحَذَرِ .

\*\*\*

« آدَابُ الْإِسْتِسْقَاءِ » الصِّيَامُ قَبْلَهُ وَتَقْدِيمُ التَّوْبَةِ آدَابُ الْإِسْتِسْقَاءِ  
وَرَدُّ الْمَظَالِمِ وَبَدَلُ الْهَمَّةِ وَتَرْكُ الْمَفَاخِرَةِ وَالِاغْتِسَالُ  
قَبْلَ الْخُرُوجِ وَدَوَامُ الصَّمْتِ وَرُؤْيَةُ الْحَالَةِ الَّتِي أُوجِبَتْ  
الْمَنَعُ ، وَالِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ الَّذِي تَزَلَّتْ بِهِ الْعُقُوبَةُ ،  
وَأَعْتِقَادُ تَرْكِ الْعَوْدِ وَالْإِنْصَاتُ لِلْخُطْبَةِ وَالْتَسْبِيحُ بَيْنَ  
التَّكْبِيرِ وَكَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ وَتَحْوِيلُ (١) الْإِزَارِ مَعَ  
الدُّعَاءِ .

\*\*\*

« آدَابُ الْمَرِيضِ » الْإِكْتِمَارُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ آدَابُ الْمَرِيضِ

(١) أى قلبه وجعل أعلاه أسفله

وَالِاسْتِعْدَادُ لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَدَوَامُ الْحَمْدِ وَالشَّاءِ لِلَّهِ وَاسْتِعْمَالُ  
التَّضَرُّعِ وَإِظْهَارُ الْعَجْزِ وَالْفَاقَةَ وَالتَّدَاوِي مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ  
بِخَالِقِ الدَّوَاءِ وَإِظْهَارُ الشُّكْرِ عِنْدَ الْقُوَّةِ ، وَقَلَّةُ الشُّكْوَى  
وَإِكْرَامُ الْجُلَسَاءِ وَتَرْكُ الْمُصَافِحَةِ .

\* \* \*

« آدَابُ الْمُعْزَى » خَفْضُ الْجَنَاحِ وَإِظْهَارُ الْحُزَنِ  
آداب المعزى  
وَقَلَّةُ الْحَدِيثِ وَتَرْكُ التَّبَسُّمِ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْحِقْدَ .

\* \* \*

« آدَابُ الْمَشَى مَعَ الْجَنَازَةِ » دَوَامُ الْخُشُوعِ وَغَضُّ  
آداب المشى مع  
الجنزة  
الْبَصَرِ وَتَرْكُ الْحَدِيثِ وَمُلاحِظَةُ الْمَيِّتِ بِالْإِعْتِبَارِ ،  
وَالْتَفَكُّرُ فِيمَا يُجِيبُ بِهِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْعَزْمُ عَلَى الْمُبَادَرَةِ  
فِيمَا يَخَافُ بِهِ مِنَ الْمُطَالَبَةِ ، وَخَوْفُ حَسْرَةِ الْقُوَّةِ  
عِنْدَ هُجُومِ الْمَوْتِ .

\* \* \*

« آدَابُ الْمُتَصَدِّقِ » يَنْبَغِي لَهُ أَدَاؤُهَا قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ  
آداب المتصدق



وَإِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ عِنْدَ الْعَطَاءِ ، وَكِتْمَانِهَا بَعْدَ الْعَطَاءِ ،  
وَالرَّفْقِ بِالسَّائِلِ وَلَا يَبْدُوهُ بَرْدَ الْجَوَابِ ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ  
فِي الْوَسْوَسَةِ ، وَيَمْنَعُ نَفْسَهُ الْبُخْلَ ، وَيُعْطِيهِ مَا سَأَلَ أَوْ  
يَرُدُّهُ رَدًّا جَمِيلًا ، فَإِنْ عَارَضَهُ الْعَدُوُّ إِبْلِيسُ - لَعَنَهُ اللَّهُ -  
أَنَّ السَّائِلَ لَيْسَ يَسْتَحِقُّ فَلَا يَرْجِعْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ  
بَلْ هُوَ مُسْتَحِقُّ لَهَا .

\* \* \*

« آدَابُ السَّائِلِ » يُبْدِي الْفَاقَةَ بِصِدْقِ الْحَقِيقَةِ  
وَيُظْهِرُ السُّؤَالَ بِلَطَافَةِ الْقَوْلِ ، وَيَأْخُذُ مَا أُعْطِيَ بِمَقَابَلَةٍ  
الشُّكْرِ وَإِنْ قَلَّ وَحُسْنِ الدُّعَاءِ ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ رَجَعَ  
بِجَمِيلِ قَبُولِ الْعُذْرِ ، وَتَرَكَ الْمَعَاوِدَةَ وَالْإِلْحَاحَ .

\* \* \*

« آدَابُ الْغَنِيِّ » لُزُومُ التَّوَضُّعِ ، وَتَفِيُّ التَّكْبَرِ ،  
وَدَوَامُ الشُّكْرِ ، وَالتَّوَصُّلُ إِلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْبَشَاشَةِ  
بِالْفَقِيرِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَرَدُّ السَّلَامِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ .

وَإِظْهَارُ الْكِفَايَةِ وَلَطَافَةُ الْكَلِمَةِ وَطِيبُ الْمُوَأْنَسَةِ  
وَالْمُسَاعَدَةُ عَلَى الْخَيْرَاتِ .

\* \* \*

« آدَابُ الْفَقِيرِ » لُزُومُ الْقَنَاعَةِ وَكَيْمَانُ الْفَقَاةِ وَتَرْكُ  
الْبَدَالَةِ <sup>(١)</sup> وَالتَّضَعُّعِ وَاتِّقَاءِ الطَّمَعِ وَإِثَارُ <sup>(٢)</sup> الصِّيَانَةِ  
وَإِظْهَارُ الْكِفَايَةِ لِأَهْلِ الْمُرُوءَةِ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ وَإِجْلَالُ  
الْأَغْنِيَاءِ مَعَ قَلَّةِ الْإِسْتِبْشَارِ لَهُمْ ، وَإِظْهَارُ الْكِفَايَةِ لَهُمْ  
مَعَ الْإِيَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَرْكُ الْكِبْرِ عَلَيْهِمْ مَعَ نَفْيِ التَّذَلُّلِ  
وَحِفْظُ الْقَلْبِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ وَالتَّمَسُّكُ بِالدِّينِ عِنْدَ  
مُشَاهَدَتِهِمْ .

\* \* \*

« آدَابُ الْمُهْدَى » رُؤْيَةُ الْفَضْلِ لِلْمُهْدَى إِلَيْهِ  
وَإِظْهَارُ السُّرُورِ بِالْقَبُولِ لَهَا ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمُهْدَى

(١) أى الامتهان : يقال ابتذل نفسه فى كذا اذا امتهنها قال الشاعر :

ومن يبتذل عينيه فى الناس لا يزل يرى حاجة محجوبة لا ينالها

(٢) أى تفضيلها والتزامها

إِلَيْهِ ، وَالِاسْتِقْلَالُ لَهَا وَإِنْ كَثُرَتْ .

\* \* \*

« آدَابُ الْمُهْدَى إِلَيْهِ » إِظْهَارُ الشُّرُورِ بِهَا وَإِنْ آدَابُ الْمُهْدَى إِلَيْهِ  
قَلَّتْ ، وَالذُّعَاءُ لِصَاحِبِهَا إِذَا غَابَ ، وَالْبَشَاشَةُ إِذَا حَضَرَ  
وَالْمُكَافَأَةُ إِذَا قَدَرَ ، وَالشَّنَاءُ عَلَيْهِ إِنْ أَمَكْنَ ، وَتَرَكَ  
الْخُضُوعَ لَهُ وَالْتِحْفِظُ مِنْ ذَهَابِ الدِّينِ مَعَهُ وَتَقِي  
الطَّمَعِ ثَانِيًا .

\* \* \*

« آدَابُ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ » الْبُدْءَةُ قَبْلَ السُّؤَالِ آداب اصطناع  
المعروف  
وَالْمُبَادَرَةُ بِهِ عِنْدَ الْوَعْدِ ، وَالتَّوْقِيرُ لَهُ عِنْدَ الْعَطَاءِ ،  
وَالسَّتْرُ لَهُ بَعْدَ الْأَخْذِ ، وَتَرَكَ الْمِنَّةَ بَعْدَ الْقَبُولِ ،  
وَالْمُدَاوِمَةُ عَلَى اصْطِنَاعِهِ ، وَالْحَذَرُ مِنْ انْقِطَاعِهِ .

\* \* \*

« آدَابُ الصِّيَامِ » طَيْبُ الْغِذَاءِ ، وَتَرَكَ الْمِرَاءِ ، آداب الصيام

وَمُجَانَبَةُ الْعَيْبَةِ ، وَرَفْضُ الْكَذِبِ ، وَتَرْكُ الْأَذَى ،  
وَصَوْنُ أَجْوَارِ حِ عَنِ الْقَبَائِحِ .

\*\*\*

« آدَابُ الْحَيِّجِّ »

آداب الطريق « آدَابُ الطَّرِيقِ » طَيْبُ النَّفَقَةِ وَالْإِحْسَانُ إِلَى

الْمُسْكِرِي وَمُعَاوَنَةُ الرُّفْقَةِ (١) ، وَالرَّفْقُ بِالْمُنْقَطِعِ ،  
وَبَذْلُ الزَّادِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَطَيْبُ الْكَلِمَةِ وَالْمِزَاحُ  
مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَأَخْتِيَارُ الصَّدِيقِ وَالِاسْتِشْشَارُ بِهِ عِنْدَ  
رُؤْيَتِهِ وَالْإِصْفَاءُ عِنْدَ مُحَادَثَتِهِ ، وَقَلَّةُ الْمَمَارَاةِ (٢) لَهُ عِنْدَ  
صَجَرِهِ ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ زَلَّتِهِ ، وَالشُّكْرُ لَهُ عِنْدَ خِدْمَتِهِ  
وَالتَّوَصُّلُ إِلَى إِشَارِهِ وَمُسَاعَدَتِهِ .

\*\*\*

« آدَابُ الْإِحْرَامِ » غَسْلُ الْجَسَدِ وَنِظَافَةُ الْإِزَارَيْنِ

آداب الاحرام

وَطَيْبُ الرَّائِحَةِ وَتَعَاهُدُ الْجِيَاعِ ، وَالتَّلْبِيَةُ (٣) بِالْهَيْبَةِ

(١) الرفقة : مثلثة الراء ، الجماعة ترافقهم في سفر (٢) أى المجادلة

(٣) أى قوله لبيك اللهم لبيك الخ

وَرَفَعُ الصَّوْتِ بِحَلَاوَةِ الْإِجَابَةِ وَالطَّوَافِ بِتَعْظِيمِ الْحُرْمَةِ  
وَالسَّمْعِ بِطَلَبِ الرِّضَاءِ ، وَالْوُقُوفِ بِمُشَاهَدَةِ الْقِيَامَةِ ،  
وَشُهُودِ الْمَشْعَرِ بِرُؤْيَةِ الرَّحْمَةِ وَالْحَلْقِ بِرُؤْيَةِ الْعِتْقِ  
وَالذَّبْحِ بِرُؤْيَةِ الْكَفَّارَةِ وَالرَّمْيِ بِرُؤْيَةِ الطَّاعَةِ ،  
وَطَوَافِ الزِّيَارَةِ بِمُشَاهَدَةِ الْمُرُورِ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ حَدِّ  
وَالرَّدِّ بِحَقِيقَةِ الْأَسْفِ وَالْإِنْصِرَافِ بِمَحَبَّةِ الرَّجُوعِ .

\*\*\*

« آدَابُ دُخُولِ مَكَّةَ » دُخُولُ الْحَرَمِ بِالتَّعْظِيمِ آداب دخول مكة  
وَالنَّظَرِ إِلَى مَكَّةَ بِالتَّحَسُّرِ ، وَرُؤْيَةِ الْمَسْجِدِ بِالتَّقْضِيلِ  
وَالنَّظَرِ إِلَى الْبَيْتِ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ ، وَدَوَامُ الطَّوَافِ  
وَمُوَاصَلَةُ الْعُمْرَةِ ، وَدُخُولُ الْبَيْتِ بِتَعْظِيمِ الْحُرْمَةِ ،  
وَدَوَامُ التَّوْبَةِ بَعْدَ دُخُولِهِ .

\*\*\*

« آدَابُ دُخُولِ الْمَدِينَةِ » يَدْخُلُهَا بِالْوَقَارِ مَعَ آداب دخول المدينة  
السَّكِينَةِ ، وَالْمُشَاهَدَةَ لِمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَالنَّظَرَ  
إِلَيْهَا بِالْعَيْنِ الرَّفِيعَةِ ، ثُمَّ يَأْتِي مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْبَرَهُ كَأَنَّهُ مُشَاهِدٌ لِصَلَاتِهِ وَخُطْبَتِهِ ، ثُمَّ  
يَأْتِي قَبْرَهُ وَكَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى شَخْصِهِ الْكَرِيمِ ، وَخُطَابَتَهُ  
مَعَ خَفْضِ الصَّوْتِ بِحَضْرَتِهِ كَأَنَّهُ مُعَايِنٌ لِجَلْسَتِهِ ، فَيَبْدُوهُ  
بِالسَّلَامِ ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى ضَجِيعِيهِ (١) وَيُشَاهِدُ حَبَّتَهُمَا لَهُ ،  
وَمَشِيَّتَهُ بَيْنَهُمَا ، وَإِقْبَالَهُ عَلَيْهِمَا ، وَإِذَا وَدَّعَ الْقَبْرَ ، فَلَا  
يُؤَلِّيه الظَّهَرَ .

\* \* \*

آداب التاجر « آدابُ التَّاجِرِ » لَا يَجْلِسُ فِي طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ

فِيضِيقَ عَلَيْهِمْ ، وَيَسْتَعْمِلُ غُلَامًا كَيْسًا لَا يَبْخَسُ فِي كَيْلِهِ ،  
وَلَا يَنْقِصُ فِي وَزْنِهِ ، يَا مَرُوءَةً بِالرُّجْحَانِ ، وَتَرِكَ الْعَجَلَةَ فِي  
الْمِيزَانِ ، يَكُونُ مِيزَانُ دَرَاهِمِهِ فِي حِدَّتِهِ كَالطَّيَّارِ (٢) ، وَمِنْ  
أَعْتِدَالِهِ كَالْمَعْيَارِ ، طَوِيلَةٌ خِيُوطُهُ ، دَقِيقَةٌ ذَوَائِبُهُ ، مُعِيرَةٌ (٣)  
صَنْجَاتُهُ ، مُعْتَدِلَةٌ حَبَاتُهُ ، يَتَسَدَّى كُلَّ يَوْمٍ بِمَسْحِ

(١) هما : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . (٢) الطيار : لسان الميزان

(٣) معيرة صنجاته : أي موزونة . والصنجات : القطع النحاسية المدورة

التي يوزن بها .

مِيزَانِهِ ، وَيَتَعَاهَدُ تَقْصَ أَرْطَالِهِ وَصَنْجَاتِهِ ، يَأْمُرُ غُلَامَهُ  
بِالتَّوَقُّفِ فِي كَيْسِلِهِ الْأَذْهَانَ ، وَإِذَا وَقَفَ عَلَيْهِ شَرِيفٌ  
أَكْرَمَهُ ، أَوْ جَارٌ فَضَّلَهُ ، أَوْ ضَعِيفٌ رَحِمَهُ ، أَوْ غَيْرُ  
هُوَ لَأَنْ أَنْصَفَهُ ، يَبِيعُ عَلَى قَدْرِ أَسْعَارِهِ ، إِنْ تَقَصَّ سِعْرُهُ  
زَادَ زَبُونُهُ <sup>(١)</sup> ، كَمَا أَنَّهُ إِنْ زَادَ سِعْرُهُ تَقَصَّ زَبُونُهُ ،  
وَيَسْكُونُ هِمَّتُهُ فِي جُلُوسِهِ دَرَسَ الْقُرْآنِ وَغَضَّ الطَّرْفِ  
عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْعِلْمَانِ ، يَشْتَرِي عِرْصَهُ بِالْبَيْسِ مِنْ سَقِيهِ  
يَقِفُ عَلَيْهِ ، لَا يَرُدُّ السَّائِلَ وَلَا يَمْنَعُ الْبَشَرَ مِنَ النَّائِلِ  
فَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُتَوَلَّى لِأَمْرِهِ كَانَ مَا يَلْزَمُ غُلَامَهُ هُوَ  
أَوْلَى بِهِ ، وَيَشْتَرِي الْأَرْطَالَ وَالصَّنَجَاتِ وَالْمِكْيَالَ مِنْ  
الثَّقَاتِ مُعَيَّرَاتٍ وَيَتْرُكُ الْمَدْحَ لِلْسَّلْمَةِ عِنْدَ الْبَيْعِ ، وَالذَّمَّ  
لَهَا عِنْدَ الشَّرَاءِ ، وَيَلْزَمُ الصَّدَقَ عِنْدَ الْإِخْبَارِ ، وَيَحْذَرُ  
الْفُحْشَ عِنْدَ الْمَزَايِدَةِ ، وَالْكَذِبَ عِنْدَ الْمُحَادَثَةِ ،  
وَيُقِلُّ انْخَوْضَ مَعَ أَهْلِ الشُّوقِ وَمُدَاعِبَةَ الْأَحْدَاثِ  
وَيَقْصِرُ فِي الْخُصُومَاتِ .

(١) الزبون : عند أهل البصرة المشتري

\*\*\*

آداب الصيرفي « آدابُ الصيرفيِّ » يَعْتَقِدُ الصَّحَّةَ وَيُوَدِّي الْأَمَانَةَ  
وَيَحْذَرُ الرَّبَّاءَ وَيُقَرِّبُ النَّسِيبَةَ وَلَا يُنْفِقُ<sup>(١)</sup> الرَّدِيئَةَ ، وَيُوفِي  
الْوِزْنَ ، وَلَا يَعْتَقِدُ الْغِشَّ وَالْعَبْنَ ، مُتَّفَقًا لِمَعْيَارِهِ خَائِفًا  
مِنْ نَقْصَانِ صَنْجَاتِهِ وَمَثَاقِيلِهِ .

\*\*\*

آداب الصائغ « آدابُ الصَّائِغِ » أَسْتَعْمَلُ النَّصِيحَةَ وَالْإِجْتِهَادُ فِي  
الْجُودَةِ ، وَقَلَّةُ الْمَطْلِ<sup>(٢)</sup> وَوَفَاءُ الْوَعْدِ وَتَرْكُ التَّمَدِّي  
فِي الْأَجْرَةِ .

\*\*\*

آداب الأكل « آدابُ الْأَكْلِ » غَسَلُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ  
وَالتَّسْمِيَةَ ، وَالْأَكْلُ بِالْيَمِينِ وَمِمَّا يَلِيهِ ، وَيُصَغَّرُ اللَّقْمَةَ  
وَإِجَادَةُ الْمَضْغِ وَقَلَّةُ النَّظَرِ إِلَى وُجُوهِ الْخَاضِرِينَ ، وَلَا  
يَأْكُلُ مُتَّكِنًا وَلَا يَأْكُلُ فَوْقَ الشَّمْعِ وَفَوْقَ الْجُوعِ ،

(١) أى لابروجا (٢) أى النسويف



وَيَعْتَذِرُ إِذَا شَبِعَ حَتَّى لَا يَخْجَلَ الضَّيْفُ أَوْ مِنْ بِهِ حَاجَةٌ ،  
وَيَأْكُلُ مِنْ جَوَانِبِ الْقَصْعَةِ وَلَا يَأْكُلُ مِنْ ذِرْوَتِهَا ،  
وَلَا يَلْمَقُ الْأَصَابِعَ بَعْدَ الْفَرَاغِ وَيَحْمَدُ اللَّهَ وَلَا يَذْكُرُ  
الْمَوْتَ عِنْدَ الْأَكْلِ إِثْلًا يُنْغِصَ عَلَى الْخَاضِرِينَ .

\*\*\*

« آدَابُ الشُّرْبِ » يَنْظُرُ فِي إِنَائِهِ قَبْلَ شُرْبِهِ ، آدَابُ الشُّرْبِ  
وَيُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَهُ وَيَحْمَدُهُ بَعْدَهُ ، وَيُحْضَهُ مَصًّا ،  
وَلَا يَعْْبُهُ عِبًّا<sup>(١)</sup> ، وَيَتَنَفَّسُ فِي شُرْبِهِ ثَلَاثًا يُتْبِعُهُ  
بِالتَّحْمِيدِ ، وَيَرُدُّ بِالتَّسْمِيَةِ ، وَلَا يَشْرَبُ قَائِمًا ، وَيُنَاقِلُ  
مَنْ كَانَ عَلَى يَمِينِهِ إِنْ كَانَ مَعَهُ غَيْرُهُ .

\*\*\*

« آدَابُ الرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ النِّسْكَاحَ » يَطْلُبُ الدِّينَ آدَابُ الرَّجُلِ إِذَا  
أَرَادَ النِّسْكَاحَ  
ثُمَّ بَعْدَهُ الْجَمَالَ وَالْمَالَ إِنْ أَرَادَهُ ، وَلَا يُشَارِطُ عَلَى مَا يَأْتِيهِ  
وَلَا يُضْمِرُهُ وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ ، وَلَا يَأْذَنُ

(١) أى لا يشربه دفعة واحدة كرعا بلا تنفس

فِي إِمْلَاكِهِ وَعُرْسِهِ بِمَا يَبَاعِدُهُ مِنْ رَبِّهِ وَيُزْرِيه وَلَا يَجْلِسُ  
فِي خَلْوَاتِهِ حَيْثُ يَرَى غَيْرَهُ حُرْمَتَهُ ، وَلَا يَقْبَلُهَا بَيْنَ  
أَهْلِهِ وَأَهْلِهَا ، وَيَبْدُوهَا إِذَا خَلَا فِي سُؤَالِهِ ، وَلَا يَكُونُ  
سَفِيرُهُ <sup>(١)</sup> كَذَابًا ، وَلَا الْمُخْبِرُ لَهُ نَمَامًا بَلْ مِنْ خَاصَّتِهَا  
وَيَسْأَلُهُ عَنْ دِينِهَا هُوَ وَمُواظِبَتِهَا عَلَى صَلَاتِهَا وَمُرَاعَاتِهَا  
لِصِيَامِهَا ، وَعَنْ حَيَاتِهَا وَنَظَافَتِهَا وَحُسْنِ الْفَاطِحَاتِ وَقُبْحِهَا  
وَلَزُومِ عَقْرِ بَيْتِهَا وَبِرِّهَا بِوَالِدَيْهَا ، وَيَتَلَطَّفُ قَبْلَ الْعَقْدِ  
فِي النَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَبَعْدَهُ بِمَا يَبْلُغُهَا مِنَ الْكَلَامِ الْجَمِيلِ  
وَيَبْحَثُ عَنْ خِصَالِ الْوَالِدَاتِ وَدِينِهِ وَحَالِ الْوَالِدَاتِ وَدِينِهَا  
وَأَعْمَالِهَا .

\* \* \*

« آدَابُ الْمَرْأَةِ إِذَا خَطَبَهَا الرَّجُلُ » تَأْمُرُ مَنْ  
تَأْمُرُ <sup>(٢)</sup> بِهِ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ صَدُوقًا أَنْ يَسْأَلَ عَنْ  
مَذْهَبِ أَخْطَابِ وَدِينِهِ وَأَعْتِقَادِهِ وَمُرُوءَتِهِ فِي نَفْسِهِ ،

آداب المرأة اذا  
خطبها الرجل

(١) أي رسوله . والسفير: الرسول الذي يصلح بين القوم

(٢) أي تثق به

وَصِدْقِهِ فِي وَعْدِهِ ، وَتَنْظُرُ مَنْ أَقْرَبَاؤُهُ وَمَنْ يَغْشَاهُ فِي  
بَيْتِهِ ، وَعَنْ مُوَاطَّبَتِهِ عَلَى صَلَوَاتِهِ وَجَمَاعَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ فِي  
تِجَارَتِهِ وَضِعَّتِهِ ، وَتَكُونُ رَغْبَتُهَا فِي دِينِهِ دُونَ  
مَالِهِ أَوْ فِي سِيرَتِهِ دُونَ شُهْرَتِهِ ، تَعَزُّمُ مَعَهُ عَلَى  
الْقَنَاعَةِ . وَتَكُونُ لِأَمْرِهِ مُطِيعَةً فَهُوَ آكِدٌ لِلْأَلْفَةِ  
وَإِثْبَتٌ لِلْمَوَدَّةِ .

\*\*\*

« آدَابُ الْجَمَاعِ » طِيبُ الرَّائِحَةِ وَلَطَافَةُ الْكَلِمَةِ  
وَإِظْهَارُ الْمَوَدَّةِ وَتَقْيِيلُ الشَّهْوَةِ وَالتَّزَامُ الْمَحَبَّةِ . ثُمَّ  
التَّسْمِيَةُ وَتَرْكُ النَّظَرِ إِلَى الْفَرْجِ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْعَمَى ،  
وَالسَّرُّ تَحْتَ الْأِزَارِ وَتَرْكُ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ .

\*\*\*

« آدَابُ الرَّجُلِ مَعَ الزَّوْجَةِ » حُسْنُ الْعِشْرَةِ وَلَطَافَةُ  
الْكَلِمَةِ وَإِظْهَارُ الْمَوَدَّةِ وَالْبَسْطُ فِي الْخُلُوةِ وَالتَّنَافُلُ  
عَنِ الزَّلَّةِ ، وَإِقَالَةُ الْعَثْرَةِ ، وَصِيَانَةُ عَرْضِهَا ، وَقِلَّةُ

مُجَادَلَتِهَا ، وَبَذْلُ الْمَثُونَةِ بِلاَ بَحْلِ لَهَا ، وَإِكْرَامُ أَهْلِهَا  
وَدَوَامُ الْوَعْدِ الْجَمِيلِ ، وَشِدَّةُ الْغَيْرَةِ عَلَيْهَا .

\* \* \*

« آدَابُ الْمَرْأَةِ مَعَ زَوْجِهَا » دَوَامُ أَحْيَاءِ مِنْهُ وَقَلَّةُ  
المُماراةِ لَهُ وَلزُومُ الطَّاعَةِ لِأَمْرِهِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ كَلَامِهِ  
وَالْحِفْظُ لَهُ فِي غَيْبَتِهِ وَتَرْكُ الْخِيَانَةِ فِي مَالِهِ ، وَطِيبُ  
الرَّايِحَةِ ، وَتَعَهُدُ الْقَمِّ ، وَنِظَافَةُ الثَّوْبِ ، وَإِظْهَارُ الْقَنَاعَةِ  
وَأَسْتِعْمَالُ الشَّفَقَةِ وَدَوَامُ الزَّيْنَةِ وَإِكْرَامُ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ  
وَرُؤْيَاةُ حَالِهِ بِالْفَضْلِ وَقَبُولُ فِعْلِهِ بِالشُّكْرِ وَإِظْهَارُ  
الْحُبِّ لَهُ عِنْدَ اقْتِرَابِ مِنْهُ ، وَإِظْهَارُ الشُّرُورِ عِنْدَ  
الرُّؤْيَاةِ لَهُ .

\* \* \*

« آدَابُ الرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ » لُزُومُ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ  
وَنِظَافَةُ الْمَلْبَسِ وَإِدَامَةُ السُّوَالِكِ ، وَلَا يَلْبَسُ الْمَشْهُورَ  
وَلَا الْمَحْقُورَ ، وَلَا يُطِيلُ ثِيَابَهُ تَكَبُّرًا وَلَا يُقَصِّرُهَا

آداب الرجل  
في نفسه

تَمَسَّكْنَا ، وَلَا يُكْثِرُ التَّلَفُّتَ فِي مَشِيَّتِهِ ، وَلَا يَنْظُرُ  
إِلَى غَيْرِ حُرْمَتِهِ ، وَلَا يَمُصُّقُ فِي حَالِ مُحَادَثَتِهِ ، وَلَا يُكْثِرُ  
الْقُعُودَ عَلَى بَابِ دَارِهِ مَعَ جِيرَانِهِ وَلَا يُكْثِرُ لِإِخْوَانِهِ  
الْحَدِيثَ عَنِ زَوْجَتِهِ وَمَا فِي بَيْتِهِ .

\* \* \*

« آدَابُ الْمَرْأَةِ فِي نَفْسِهَا » لَازِمَةٌ لِمَنْزِلِهَا ، قَاعِدَةٌ آدَابِ الْمَرْأَةِ فِي  
نَفْسِهَا  
فِي قَعْرِ (١) بَيْتِهَا لَا تُكْثِرُ صُعُودَهَا وَلَا إِطْلَاعَهَا الْكَلَامَ  
لِجِيرَانِهَا ، وَلَا تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ إِلَّا فِي حَالٍ يُوجِبُ الدُّخُولَ  
تَسْرُ بَعْمَلِهَا فِي نَظَرِهِ ، وَتَحْفَظُهُ فِي غَيْبَتِهِ ، وَلَا تَخْرُجُ  
مِنْ بَيْتِهِ وَإِنْ خَرَجَتْ فَمُخْتَبِئَةً تَطْلُبُ الْمَوَاضِعَ الْخَالِيَةَ  
مَصُونَةً فِي حَاجَاتِهَا ، بَلْ تَتَنَاكَّرُ مِمَّنْ يَعْرِفُهَا . هِمَّتِهَا  
إِصْلَاحُ نَفْسِهَا وَتَدْيِيرُ بَيْتِهَا ، مُقْبِلَةٌ عَلَى صَلَاتِهَا وَصَوْمِهَا  
نَازِرَةٌ فِي عَيْبِهَا ، مُتَفَكِّرَةٌ فِي دِينِهَا ، دَائِمَةٌ صَمْتِهَا  
غَاضَةٌ طَرَفِهَا ، مُرَاقِبَةٌ أَرْبَئِهَا ، كَثِيرَةٌ الذِّكْرِ لَهُ ، طَائِعَةٌ

(١) كناية عن ملازمتها للبيت

لِبَعْلِهَا ، تَحْتُهُ عَلَى طَلَبِ الْخَلَالِ ، وَلَا تَطْلُبُ مِنْهُ الْكَثِيرَ  
مِنَ النَّوَالِ . ظَاهِرَةُ أَحْيَاءَ ، قَلِيلَةُ الْحَفَاءِ ، صَبُورٌ  
شَكُورٌ ، مُؤَثِّرَةٌ فِي نَفْسِهَا مُوَاسِيَةٌ مِنْ حَالِهَا وَقُوَّتِهَا ،  
وَإِذَا أُسْتَأْذِنَ بِبَابِهَا صَدِيقٌ لِبَعْلِهَا وَلَيْسَ بِعَلْمِهَا حَاضِرًا لَمْ  
تَسْتَفْهِمَهُ ، وَلَا فِي الْكَلَامِ تَعَاوُدُهُ ، غَيْرَةٌ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهَا  
وَبَعْلِهَا مِنْهُ .



آداب الاستئذان

« آدَابُ الْإِسْتِئْذَانِ » الْمَشَى بِجَانِبِ الْجِدَارِ ، وَلَا  
يُقَابِلُ الْبَابَ ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ قَبْلَ الدَّقِّ ، وَالسَّلَامُ  
بَعْدَهُ ، وَتَرْكُ السَّمْعِ إِلَى مَنْ فِي الْمَنْزِلِ وَالِاسْتِئْذَانِ  
بَعْدَ السَّلَامِ فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا رَجَعَ وَلَمْ يَقِفْ ، وَلَا  
يَقُولُ : أَنَا : بَلْ يَقُولُ : فُلَانٌ ، إِذَا اسْتَفْهِمَ



آداب الجلوس

« آدَابُ الْجُلُوسِ عَلَى الطَّرِيقِ » غَضُّ الْبَصَرِ ،  
وَنَصْرُ الْمَظْلُومِ ، وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ ، وَإِعَانَةُ الضَّعِيفِ  
عَلَى الطَّرِيقِ

وإرشادُ الضَّالِّ ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ وَتَرْكُ  
التَّلَفُتِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالرَّفْقِ  
وَاللُّطْفِ ، فَإِنْ أَصْرَ فَبِالرَّهْبَةِ وَالْعُنْفِ ، وَلَا يُصْنَعُ  
إِلَى السَّاعِي إِلَّا بِيَتْنَةٍ وَلَا يَتَجَسَّسُ <sup>(١)</sup> وَلَا يَطْنُ بِالنَّاسِ  
إِلَّا خَيْرًا .

\*\*\*

« آدَابُ الْمُعَاشَرَةِ » إِذَا دَخَلَ مَجْلِسًا أَوْ جَمَاعَةً سَلَّمَ  
وَجَلَسَ حَيْثُ الْمَتَسَعُ ، وَتَرَكَ التَّخَطُّيَّ ، وَخَصَّ بِالسَّلَامِ  
مَنْ قَرُبَ مِنْهُ إِذَا جَلَسَ ، وَإِنْ مُبْلِى بِمُجَالَسَةِ الْعَامَّةِ تَرَكَ  
أَنْخُوضَ مَعَهُمْ وَلَا يُصْنَعُ إِلَى أَرَاجِيفِهِمْ <sup>(٢)</sup> وَيَتَعَاقَلُ عَمَّا  
يَجْرِي مِنْ سُوءِ أَلْفَظِهِمْ ، وَيُقِلُّ اللَّقَاءَ لَهُمْ إِلَّا عِنْدَ  
الْحَاجَةِ ، وَلَا يَسْتَضَعِرُّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيهِلِكَ ، وَلَا  
يَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَطْوَعُ لِلَّهِ مِنْهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ

(١) لا يتجسس: لا يبحث عن عورات الناس ، وبواطن أمورهم .

(٢) الأراجيف: أخبار الفتن والشر - واحدها إرجاف .

بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ فِي دُنْيَاهُمْ لِأَنَّ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ  
صَغِيرٌ مَا فِيهَا وَلَا يُعْظَمُ قَدْرُ الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ فَيُعْظَمُ أَهْلُهَا  
لِأَجْلِهَا فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ ، وَلَا يَبْدُلُ لَهُمْ دِينَهُ لِيُنَالَ مِنْ  
دُنْيَاهُمْ فَيَصْغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَلَا يُمَادِيهِمْ فَتَطَهَّرَ لَهُمُ الْعِدَاوَةُ  
وَلَا يُطَبِقَ ذَلِكَ وَلَا يَصْبِرَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُعَادَاةً فِي  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُعَادِي أَعْمَالَهُمُ الْقَبِيحَةَ ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ  
بِعَيْنِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَلَا يَشْكُرُ إِلَيْهِمْ فِي مَوَدَّتِهِمْ  
لَهُ ، وَإِكْرَامِهِمْ إِيَّاهُ وَحُسْنَ بَشَاشَتِهِمْ فِي وَجْهِهِ وَثَنَائِهِمْ  
عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ لَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي  
الْأَقْلِ ، وَإِنْ سَكَنَ <sup>(١)</sup> إِلَيْهِمْ وَكَلَهُ الْحَقُّ إِلَيْهِمْ فَهَلَكَ ، وَلَا  
يَطْمَعُ أَنْ يَكُونُوا لَهُ فِي الْغَيْبِ كَمَا هُمْ لَهُ فِي الْعِلَاقَةِ  
فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ ذَلِكَ أَبَدًا . وَلَا يَطْمَعُ فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ فَيَبْدُلُ  
لَهُمْ وَيَذْهَبَ دِينُهُ مَعَهُمْ ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ . وَإِذَا  
سَأَلَ أَحَدًا مِنْهُمْ حَاجَةً فَقَضَاهَا فَهُوَ أَخٌ مُسْتَفَادٌ ،

(١) سكن إليهم : ارتاح إليهم



وَإِنْ لَمْ يَقْضِهَا فَلَا يَذْمُهُ فَيَكْتَسِبَ عَدَاوَتَهُ ، وَلَا يَمْطُ  
أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَرَى فِيهِ أَثَرَ الْقَبُولِ وَإِلَّا عَادَاهُ وَلَمْ  
يَسْمَعْ مِنْهُ . وَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ خَيْرًا أَوْ كَرَامَةً أَوْ ثَنَاءً  
فَلْيَرْجِعْ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْمَدُهُ وَيَسْأَلُهُ إِلَّا  
يَكِلَهُ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ شَرًّا أَوْ كَلَامًا قَبِيحًا أَوْ  
غِيبةً أَوْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ ، فَلْيَكِلِ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،  
وَيَسْتَعِينُ بِهِ مِنْ شَرِّهِمْ وَيَسْتَعِينُهُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُعَابِتْهُمْ  
فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ عِنْدَهُمْ لِلْعِتَابِ مَوْضِعًا وَيَصِيرُونَ لَهُ أَعْدَاءً  
وَلَا يَشْفِي غَيْظَهُ بَلْ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي  
بِهِ سَلَطَهُمْ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ . وَليَكُنْ سَمِيعًا  
لِحَقِّهِمْ أَصَمَّ عَنْ بَاطِلِهِمْ .

\*\*\*

آداب الولد مع  
والديه

« آداب الولد مع والديه » يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَيَقُومُ  
لِقِيَامِهِمَا وَيَمْتَثِلُ لِأَمْرِهِمَا وَيُلَبِّي دَعْوَتَهُمَا ، وَيَخْفِضُ لَهَا  
جَنَاحَ (١) الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَلَا يُبْرِئُهُمَا (٢) بِالْإِلْحَاحِ

(١) يخفض لهما جناح الذل الخ : أي يستكين لهما ويخضع لاوامرهما

(٢) ولا يبرئهما الخ : ولا يضجرهما بالالاح فاصدا افحامهما

وَلَا يَمُنُّ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِمَا بِالْبِرِّ لَهُمَا وَلَا بِالْقِيَامِ بِأَمْرِهِمَا ، وَلَا  
يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا شَرًّا<sup>(٢)</sup> وَلَا يَعْصِي لَهُمَا أَمْرًا .

\* \* \*

« آدَابُ الْوَالِدِ مَعَ أَوْلَادِهِ » يُعِينُهُمْ عَلَى بِرِّهِ وَلَا  
يُكَلِّفُهُمْ مِنَ الْبِرِّ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ ، وَلَا يُلِحُّ عَلَيْهِمْ فِي  
وَقْتِ ضَجْرِهِمْ ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَلَا يَمُنُّ  
عَلَيْهِمْ بِتَرْبِيَّتِهِ .

آداب الوالد مع  
أولاده

\* \* \*

« آدَابُ الْإِخْوَانِ » الْإِسْتِبْشَارُ بِهِمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ ،  
وَالْإِبْتِدَاءُ بِالسَّلَامِ ، وَالْمُؤَانَسَةُ وَالْتَوْسِيعَةُ عِنْدَ الْجُلُوسِ ،  
وَالْتَشْيِيعُ<sup>(٣)</sup> عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَالْإِنْصَاتُ عِنْدَ الْكَلَامِ ،  
وَتُكْرَهُ الْمُجَادَلَةُ فِي الْمَقَالِ وَحُسْنُ الْقَوْلِ لِلْحِكَايَاتِ ،  
وَتَرْكُ الْجَوَابِ عِنْدَ تَقْضَاءِ الْخِطَابِ وَالنَّدَاءُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ .

آداب الاخوان

(١) ولا يمن عليهما الخ: ولا يعد عليهما ما فعله من الصنائع لهما (٢) شزرا:  
أى نظرا فيه اعراض ، أو نظر الغضبان (٣) التشييع: النوديع والخروج مع  
الضعيف حتى يبلغه منزله

\*\*\*

« آدَابُ الْجَارِ » ابْتَدَاؤُهُ بِالسَّلَامِ ، وَلَا يُطِيلُ مَعَهُ  
الْكَلَامَ وَلَا يُكْثِرُ عَلَيْهِ السُّؤَالَ ، وَيَعُوذُهُ فِي مَرَضِهِ  
وَيُعِزُّ بِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ وَيَهْنِئُهُ عِنْدَ فَرَحِهِ وَيَتَلَطَّفُ لَوْلَدِهِ  
وَعَبْدَهُ فِي الْكَلَامِ ، وَيَصْفَحُ عَنْ زَلَّتِهِ ، وَمُعَاتَبَتِهِ بِرِفْقٍ  
عِنْدَ هَفْوَتِهِ ، وَيَغُضُّ عَنْ حُرْمَتِهِ وَيُعِينُهُ عِنْدَ صَرَخَتِهِ (١)  
وَلَا يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَى خَادِمَتِهِ .

\*\*\*

« آدَابُ السَّيِّدِ مَعَ عَبْدِهِ » لَا يُكَلِّفُهُ مَا لَا يُطِيقُ  
مِنْ خِدْمَتِهِ ، وَيُرْفُقُ بِهِ عِنْدَ ضَجْرِهِ ، وَلَا يُكْثِرُ ضَرْبَهُ  
وَلَا يُدِيمُ سَبَّهُ فَيَجْرُؤُ عَلَيْهِ وَيَصْفَحُ عَنْ زَاتِهِ وَيَقْبَلُ  
مَعذِرَتَهُ وَإِذَا أَصْلَحَ لَهُ طَعَامًا أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ  
أَوْ أَعْطَاهُ أَقْعًا مِنْ طَعَامِهِ .

\*\*\*

« آدَابُ الْعَبْدِ مَعَ سَيِّدِهِ » يَا تَمْرُ لِأَمْرِهِ وَيَنْصَحُهُ

سَيِّدِهِ

(١) صرخته : استغاثته

فِي غَيْبَتِهِ ، وَيَبْدُلُ لَهُ خِدْمَتَهُ وَيَحْفَظُهُ فِي حُرْمَتِهِ وَيَرِقُّ  
عَلَى وَلَدِهِ وَلَا يَخُونُهُ فِي مَالِهِ .

\*\*\*

آداب السلطان  
مع الرعية

X

« آدَابُ السُّلْطَانِ مَعَ الرَّعِيَّةِ » أُسْتَعْمَالَ الرَّفْقِ وَتَرْكُ  
التَّعْنِيفِ وَالْفِكْرُ قَبْلَ الْأَمْرِ ، وَتَرْكُ التَّكْبُرِ عَلَى  
الْخَاصَّةِ مَعَ مَنْعِ الْعُدْوَانِ مِنْهُمْ ، وَالنُّوْذُودُ إِلَى الْعَامَّةِ مَعَ  
مَرْجِ الرِّهْبَةِ لَهُمْ ، وَالتَّطَلُّعُ عَلَى أُمُورِ الْحَاشِيَةِ<sup>(١)</sup> وَأُسْتَعْمَالُ  
الْمَرْوَةِ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّوَسُّعُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْأَصْحَابِ  
وَالْأَقَارِبِ ، وَالرَّفْقُ فِي الْجَنَائِبِ وَدَوَامُ الْجِمَائَةِ .

\*\*\*

آداب الرعية مع  
السلطان

« آدَابُ الرَّعِيَّةِ مَعَ السُّلْطَانِ » قَلَّةُ الْعَشِيَانِ لِبَابِهِ  
وَتَرْكُ الْأِسْتِعَانَةِ بِهِ إِلَّا بِشَيْءٍ يَلْزَمُ أَمْرَهُ ، وَدَوَامُ الْهَيْبَةِ  
لَهُ وَإِنْ كَانَ ذَا رِفْقٍ ، وَتَرْكُ الْأِسْتِجْرَاءِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ  
ذَا إِيْنٍ ، وَقَلَّةُ السُّؤَالِ وَإِنْ كَانَ مُجِيبًا ، وَالدُّعَاءُ لَهُ

(١) الحاشية : الصغار من الناس

إِذَا ظَهَرَ ، وَتَرَكَ الْكَلَامَ فِيهِ ، وَالْإِنْشَادُ إِذَا غَابَ .

\* \*

« آدَابُ الْقَاضِي » إِذْمَانُ السُّكُوتِ وَأَسْتِعْمَالُ الْوَقَارِ  
وَهُدُوءُ الْجَوَارِحِ وَمَنْعُ الْحَاشِيَةِ مِنَ الْفَسَادِ وَالطُّغْيَانِ ،  
وَالرَّفْقُ بِالْأْرَامِلِ وَالْإِحْتِيَاظُ لِلْيَتِيمِ وَالتَّوَقُّفُ فِي الْجَوَابِ  
وَالرَّفْقُ بِالْمُخْصَرِّمِ ، وَمَنْعُ الْمَيْلِ إِلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ  
وَالْمَوْعِظَةُ لِلْمُخَالِفِ وَدَوَامُ الْأَجْلِ إِلَى اللَّهِ فِي صَوَابِ  
الْقَضَاءِ (١) .

\* \*

« آدَابُ الشَّاهِدِ » أَسْتِشْعَارُ الْأَمَانَةِ وَإِظْهَارُ الصِّيَانَةِ  
وَأَسْتِعْمَالُ الدِّيَانَةِ وَتَرَكَ الْخِيَانَةِ وَالتَّثَبُّتُ فِي الشَّهَادَةِ  
وَالتَّحَفُّظُ مِنَ النِّسْيَانِ وَقَلَّةُ الْمُجَادَلَةِ لِلسُّلْطَانِ .

\* \*

« آدَابُ الْجِهَادِ » صِدْقُ النِّيَّةِ وَالغَيْرَةُ لِلَّهِ تَعَالَى

وَبَذَلَ الْمَجْهُودِ وَالسَّخَاءِ بِالْمُهْجَةِ وَتَقَى شَهْوَةَ الرُّجُوعِ  
وَالْقَصْدُ فِي أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَتَرْكُ  
الْعُلُولِ <sup>(١)</sup> وَقَضَاءُ دَيْنِهِ قَبْلَ الْخُرُوجِ وَأَسْتِصْحَابُ ذِكْرِ اللَّهِ  
عِنْدَ الْقِتَالِ وَفِي كُلِّ حَالٍ .

\* \* \*

آداب الأسير « آدابُ الأَسِيرِ » لَا يُؤْمَلُ فَرَجًا <sup>(٢)</sup> مِنْ غَيْرِ اللَّهِ  
تَعَالَى ، وَلَا يُذَلُّ نَفْسُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يَيْئَسُ  
مِنْ رَوْحِ <sup>(٣)</sup> اللَّهِ تَعَالَى وَيَجْمَعُ هَمَّهُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى ،  
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ بَعِينٌ <sup>(٤)</sup> اللَّهُ ، وَلَا يَنْبَسِطُ فِي مَالِ الْعَدُوِّ بِمَا  
لَا يُبِيحُهُ اللَّهُ وَلَا يَقْزَعُ <sup>(٥)</sup> إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

\* \* \*

« آدابُ جَامِعَةٍ »

آداب جامعة قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مِنَ الْأَدَبِ : أَلْقَ صَدِيقَكَ

(١) العلول : الحيانة في الغنم (٢) فرجا : خلاصا وخرجنا (٣) روح الله  
رحمته ونصرته (٤) بعين الله . برعايته وحفظه (٥) لا يقزع . لا يلجأ

وَعَدْوُكَ بِوَجْهِ الرِّضَاءِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ أَهُمْ وَلَا هَيْبَةٍ مِنْهُمْ  
وَتَوَقَّرَ مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ ، وَكُنْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فِي  
أَوْسَاطِهَا ، وَلَا تَنْظُرْ فِي عِطْفَيْكَ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تَكْثِرِ الْإِلْتِفَاتَ  
وَلَا تَقِفْ عَلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِذَا جَلَسْتَ فَتَرَفَّعْ وَتَحَدَّرْ مِنْ  
تَشْبِيكِ أَصَابِعِكَ وَالْعَبَثِ بِخَاتَمِكَ وَتَخْلِيلِ أَسْنَانِكَ  
وَإِدْخَالِ يَدِكَ فِي أَنْفِكَ وَتَرْكِ <sup>(٢)</sup> الذُّبَابِ عَلَى وَجْهِكَ  
وَكَثْرَةِ التَّمَطَّى <sup>(٣)</sup> وَالتَّثَاؤُبِ . وَلَيْسَ كُنْ مَجْلِسُكَ هَادِنًا  
وَكَلامُكَ مَقْسُومًا وَأَصْغِ إِلَى الْكَلَامِ الْحَسَنِ مِمَّنْ يُحَدِّثُكَ  
بِغَيْرِ إِظْهَارِ عُجْبٍ مِنْكَ وَلَا مَسْكَنَةٍ وَلَا إِعَادَةَ ،  
وَعُضَّ عَنْ <sup>(٤)</sup> الْمَضَاحِكِ وَالْحِكَايَاتِ وَلَا تُحَدِّثْ عَنْ  
إِعْجَابِكَ بِوَالِدِكَ وَلَا جَارِيَتِكَ وَلَا تَتَصَنَّعَ <sup>(٥)</sup> كَمَا تَتَصَنَّعُ  
الْمَرْأَةُ . وَلَا تَتَبَدَّلْ كَمَا يَتَبَدَّلُ الْعَبْدُ . وَكُنْ مُعْتَدِلًا فِي  
جَمِيعِ أُمُورِكَ ، وَتَوَقَّ كَثْرَةَ الْكُحْلِ وَالْإِسْرَافِ فِي

(١) لا تنظر في عطفك . العطف بالكسر الجانب - أى لا تكبر  
معرضاً (٢) فى الاصل : وطرده الذباب عن وجهك (٣) التمثي . التبخر  
ومد اليدين فى المشى (٤) فى الاصل : من (٥) لا تصنع . لاتزين

الدُّهْنِ وَلَا تُلَجِّجِ فِي الْحِكَايَاتِ وَلَا تُعْلِمِ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ  
فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ عَنْ مَالِكَ فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قَلِيلًا  
هُنَّتْ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ رَأَوْهُ كَثِيرًا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى رِضَاهُمْ ،  
وَأَجِبَهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، وَلِنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَإِذَا  
خَاصَمْتَ فَتَوَقَّرْ . وَتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ ، وَلَا تَكْثِرِ الْإِشَارَةَ  
بِيَدِكَ ، وَلَا تَجُثُّ عَلَى رُكْبَتَيْكَ ، وَإِذَا هَدَأَ غَضَبُكَ  
فَتَكَلَّمْ . وَإِنْ بُلِيتَ بِضُحْبَةِ السُّلْطَانِ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى  
حَذَرٍ ، وَلَا تَأْمَنْ مِنْ انْقِلَابِهِ عَلَيْكَ ، وَأَرْفُقْ بِهِ رِفْقَكَ  
بِالْصَّبِيِّ وَكَلِمَهُ بِمَا يَشَاءُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَحَشَمِهِ <sup>(١)</sup> وَأَوْ كَانَ مُسْتَمِعًا لِذَلِكَ . وَإِيَّاكَ  
وَصَدِيقَ الْعَافِيَةِ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْأَعْدَاءِ لَكَ وَلَا تَجْعَلْ  
مَالَكَ أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْ عَرَضِكَ . وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ  
الْبُصَاقِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يُنْسَبُ إِلَى التَّائِبِ .  
وَلَا تُظْهِرْ لِصَدِيقِكَ كُلَّ مَا يُؤْذِيكَ فَإِنَّهُ مَتَى رَأَى مِنْكَ



وَقَعَةً أَعْقَبَكَ الْمَدَاوَةَ . وَلَا تُعَارِخَ لَبِيبًا فَيَحْقِدَ عَلَيْكَ  
وَلَا سَفِيهَا فَيَجْتَرِيَّ عَلَيْكَ ، لِأَنَّ الْمُرَاحَ يَخْرِقُ الْهَيْبَةَ  
وَيُسْقِطُ الْمَنْزِلَةَ وَيُذْهِبُ مَاءَ الْوَجْهِ وَيُعْقِبُ الْخُزْنَ  
وَيُزِيلُ حَلَاوَةَ الْوُدِّ . يُشِيرُ فَقَهُ <sup>(١)</sup> الْفَقِيهِ وَمُجَرِّئُ  
السَّفِيهِ وَيُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُبَاعِدُ مِنَ الرَّبِّ . وَيُعْقِبُ  
الذَّمَّ ، وَيَفْسُخُ الْعِزَّمَ ، وَيُظْلِمُ السَّرَائِرَ <sup>(٢)</sup> وَيُمِيتُ  
الْخَوَاطِرَ ، وَيُكْثِرُ الذُّنُوبَ ، وَيَمِينُ الْعُيُوبَ ، نَسَّالُ  
اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَهْدِينَا فِيمَنْ هَدَى ، وَيُعَافِينَا فِيمَنْ عَافَى ،  
وَيَتَوَلَّانَا فِيمَنْ تَوَلَّى ، وَيُبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَى ، وَيَقِينَا  
شَرَّ مَا قَضَى ، وَلَا يَعْزُ مِنْ عَادَى ، وَلَا يَذِكَ مَنْ وَآلَى ،  
تَبَارَكَ رَبُّنَا وَتَعَالَى ، نَسْتَغْفِرُهُ وَتَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَسْأَلُهُ  
أَنْ يُصَلِّيَ بِأَفْضَلِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا عَلَى عَبْدِهِ الْمُصْطَفَى ،

(١) يُشِيرُ فَقَهُ الْفَقِيهِ : أَي يَهِيحُ فَهْمَهُ وَيُغْضِبُهُ .

(٢) وَيُظْلِمُ السَّرَائِرَ : السَّرَائِرُ : الْفِتْمَاتُ : وَإِظْلَامُهَا . إِشَابَتُهَا وَجَعَلَهَا  
غَيْرَ مُخْلِصَةٍ وَافْسَادُهَا .

وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَغْلَامِ الْهُدَى ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
النَّبِيِّ الْأَمِينِ ، آمِينَ .



« رسالة المنقذ من الضلال »

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُفْتَتِحُ بِحَمْدِهِ كُلَّ رِسَالَةٍ وَمَقَالَةٍ ،  
وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ - الْمُصْطَفَى - صَاحِبِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ  
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْهَادِينَ مِنَ الضَّلَالَةِ .

أَبَا بَعْدُ : فَقَدْ سَأَلْتِي أَيُّهَا الْأَخُ فِي الدِّينِ ، أَنْ  
أُبَيِّنَ<sup>(١)</sup> إِلَيْكَ غَايَةَ الْعُلُومِ وَأَسْرَارَهَا ، وَغَائِلَةَ<sup>(٢)</sup>  
الْمَذَاهِبِ وَأَغْوَارَهَا<sup>(٣)</sup> ، وَأَحْكِي لَكَ مَا فَاسَيْتُهُ فِي اسْتِخْلَاصِ  
الْحَقِّ مِنْ بَيْنِ أَضْطِرَابِ الْفِرَاقِ ، مَعَ تَبَايُنِ الْمَسَالِكِ  
وَالطَّرِيقِ ، وَمَا اسْتَجْرَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْإِرْتِفَاعِ عَنْ حَضِيضِ  
التَّقْلِيدِ ، إِلَى يَفَاعِ<sup>(٤)</sup> الْإِسْتِبْصَارِ ، وَمَا اسْتَفَدْتُهُ أَوْلَا مِنْ

(١) أى أشرح وأظهر (٢) الغائلة : مؤنث الغائل وهى فى الأصل الداهية  
والشر (٣) الغور : القعر من كل شىء ، وغار الماء فى الأرض ذهب ، وفلان  
بعيد الغور ، أى متعمق النظر : يريد ما تشعب من المذاهب وشرورها  
وما بعدت مسالكه واستعصى فهمه (٤) اليفاع : التل وما ارتفع من الأرض

عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَمَا اجْتَوَيْتُهُ <sup>(١)</sup> ثَانِيًا مِنْ طُرُقِ أَهْلِ  
 التَّعْلِيمِ الْقَاصِرِينَ لِدَرْكِ الْحَقِّ عَلَى تَقْلِيدِ الْإِمَامِ ، وَمَا  
 أزدَرَيْتُهُ <sup>(٢)</sup> ثَالِثًا مِنْ طُرُقِ التَّفَلُّسِ ، وَمَا أرتَضَيْتُهُ  
 آخِرًا مِنْ طَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ ، وَمَا أَنْجَلِي لِي فِي تَضَاعِيفِ  
 تَفْتِيثِي عَنْ أَقْوَالِ الْخَلْقِ مِنْ لُبَابِ الْحَقِّ ، وَمَا صَرَفَنِي  
 عَنْ نَشْرِ الْعِلْمِ بِيَعْدَادَ ، مَعَ كَثْرَةِ الطَّلَبَةِ ، وَمَا دَعَانِي إِلَى  
 مُعَاوَدَتِي بِنَيْسَابُورَ <sup>(٣)</sup> بَعْدَ طَوْلِ الْمُدَّةِ ، فَأَبْتَدَرْتُ لِإِجَابَتِكَ  
 إِلَى طَلَبِكَ ، بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى صِدْقِ رَغْبَتِكَ ، وَقُلْتُ  
 مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ وَمُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ ، وَبِاسْتَوْفِقًا <sup>(٤)</sup> مِنْهُ ،  
 وَمُلْتَجِيًا إِلَيْهِ .

اعلموا - أحسن الله إرشادكم ، والآن للحق قيادكم -  
 أن اختلاف الخلق في الأديان والميل ، ثم اختلاف

(١) أي كرهته (٢) أي احتقرته وكرهته (٣) بلدة عظيمة من بلاد فارس فتحت في أيام عمر وانتقض أهلها فأعاد فتحها عبد الله بن عامر في أيام عثمان وأنجبت كثيرين من أعلام العلماء وكانت بها مجالس للعلم مشهورة (٤) أي مستمدا منه التوفيق

الْأُمَّةِ فِي الْمَذَاهِبِ عَلَى كَثْرَةِ الْفِرَقِ وَتَبَايُنِ الطَّرِيقِ ،  
بِحُرِّ عَمِيقٍ غَرِقَ فِيهِ الْأَكْثَرُونَ ، وَمَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا  
الْأَقْلُونَ ، وَكُلُّ فَرِيقٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ النَّاجِي ، وَكُلُّ حِزْبٍ  
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ، وَهُوَ الَّذِي وَعَدْنَا بِهِ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الصَّادِقُ الصَّدُوقُ حَيْثُ  
قَالَ : « سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، النَّاجِيَةُ  
مِنْهَا وَاحِدَةٌ » ، فَقَدْ كَادَ مَا عَدَّ أَنْ يَكُونَ .

وَلَمْ أَزَلْ فِي عُنُقُوَانِ شَبَابِي ، مُنْذُ رَأَيْتُ الْبُلُوغَ  
قَبْلَ بُلُوغِ الْعِشْرِينَ إِلَى الْآنَ ، وَقَدْ أَنَا<sup>(١)</sup> أَلْسَنُ عَلَى  
الْخَمْسِينَ ، أَتَجَمُّ<sup>(٢)</sup> لُجَّةَ هَذَا الْبَحْرِ الْعَمِيقِ وَأَخْرُصُ  
عَمْرَانِهِ خَوْضَ الْجُسُورِ ، لَأَخْرُصَ الْجَبَانَ الْخُدُورَ ، وَأَتَوَعَّلُ  
فِي كُلِّ مُظْلَمَةٍ ، وَأَتَهَجَّمُ عَلَى كُلِّ مُشْكِلَةٍ ، وَأَتَقَحَّمُ  
كُلَّ وَرْطَةٍ ، وَأَتَفَحَّصُ<sup>(٣)</sup> عَنِّ عَقِيدَةَ كُلِّ فِرْقَةٍ ،  
وَأَسْتَكْشِفُ أَسْرَارَ مَذْهَبِ كُلِّ طَائِفَةٍ لِأَمِيرِ بَيْنِ مُحِقِّ

(١) أي أشرف (٢) التي بنفسى بشدة ومشقة (٣) أبحث بامعان

وَمُبْطِلٍ وَمُتَسِّنٍّ وَمُبْتَدِعٍ<sup>(١)</sup> ، لَا أَغَادِرُ بَاطِنِيًّا إِلَّا وَأُحِبُّ  
أَنْ أَطْلِعَ عَلَى بَطَانَتِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا ظَاهِرِيًّا إِلَّا وَأُرِيدُ أَنْ  
أَعْلَمَ حَاصِلَ ظَهَارَتِهِ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا فَلَاسَفِيًّا إِلَّا وَأَقْصِدُ الْوُقُوفَ  
عَلَى كُنْهِ فَلَاسَفَتِهِ ، وَلَا مُتَكَلِّمًا إِلَّا وَأُجْتَهِدُ فِي  
الْإِطْلَاعِ عَلَى غَايَةِ كَلَامِهِ وَمُجَادَلَتِهِ ، وَلَا صُوفِيًّا إِلَّا  
وَأُحْرِصُ عَلَى الْعُمُورِ عَلَى سِرِّ صَفْوَتِهِ ، وَلَا مُتَعَبِّدًا إِلَّا  
وَأَتَرَصَّدُ<sup>(٤)</sup> مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَاصِلُ عِبَادَتِهِ ، وَلَا زَنْدِيقًا<sup>(٥)</sup>  
مُعْطَلًا<sup>(٦)</sup> إِلَّا وَأَتَجَسَّسُ وَرَاءَهُ لِلتَّنْبِهِ لِأَسْبَابِ جُرْأَتِهِ  
فِي تَعْطِيلِهِ وَزَنْدِيقَتِهِ .

وَقَدْ كَانَ التَّعَطُّشُ إِلَى دَرْكِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ رَأْيِي  
وَدَيْدَنِي مِنْ أَوَّلِ أَمْرِي وَرِيْعَانٍ<sup>(٧)</sup> مُجْمَرِي ، غَرِيْزَةٌ وَفِطْرَةٌ

(١) أي مخترع، وقد غلب الابتداء على الحدث المكروه في الدين . ومنه  
كل بدعة ضلالة (٢) العقيدة الباطنية (٣) الظاهرية: فرقة تنسب إلى داود  
الظاهرى تأخذ بظاهر لفظ القرآن والحديث دون تكلف تأويل أو تفسير  
بعيد (٤) الترصد: الترقب (٥) الزنديق: من يخفى الكفر ويظهر الإيمان  
كالمنافق - والفرق بينهما أن المنافق يظهر الإسلام خاصا ، والزنديق  
تظهر على أقواله وأفعاله بواطن عقيدته (٦) التعطيل: انكار صفات  
الحائق (٧) ريعان كل شيء : أوله ، ومنه ريعان الشباب

مِنَ اللَّهِ وَضِعَتَا فِي جِبَلَتِي ، لَا بِاخْتِيَارِي وَحِيلَتِي ، حَتَّى  
أُنْحَلْتُ عَنِّي رَابِطَةُ التَّقْيِيدِ ، وَأُنْكَسَرَتْ عَلَيَّ الْعَقَائِدُ  
الْمُورُوثَةُ ، عَلَى قُرْبِ عَهْدِ سِنِّ الصَّبَا ، إِذْ رَأَيْتُ  
صَبِيَّانَ <sup>(١)</sup> النَّصَارَى لَا يَكُونُ لَهُمْ نُشُوءٌ إِلَّا عَلَى التَّنَصُّرِ  
وَصَبِيَّانَ الْيَهُودِ لَا نُشُوءَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى التَّهَوُّدِ ، وَصَبِيَّانَ  
الْمُسْلِمِينَ لَا نُشُوءَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى الْإِسْلَامِ . وَسَمِعْتُ  
الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
حَيْثُ قَالَ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ <sup>(٢)</sup> فَأَبَوَاهُ  
يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ » فَتَحَرَّكَ بَاطِنِي إِلَى حَقِيقَةِ  
الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ، وَحَقِيقَةِ الْعَقَائِدِ الْعَارِضَةِ بِتَقْلِيدِ الْوَالِدَيْنِ  
وَالْأَسْتَاذِينَ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ هَذِهِ التَّقْلِيدَاتِ ، وَأَوَائِلِهَا  
تَلْقِينَاتٌ . وَفِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنْهَا عَنِ الْبَاطِلِ اخْتِلَافَاتٌ

(١) صبيان وصبية : جمع صبي . وهو الطفل قبل المراهقة

(٢) الفطرة : بالكسر الحلقة ومنها الجبلة . والمراد من الحديث أنه

يولد على الدين الحق جبلة وفطرة

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَوَّلًا ، إِنَّمَا مَطْلُوبِي الْعِلْمُ بِحَقَائِقِ  
الْأُمُورِ ، فَلَا بَدَّ مِنْ طَلَبِ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ مَا هِيَ ؟ فَظَهَرَ  
لِي أَنَّ الْعِلْمَ الْيَقِينِيَّ هُوَ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ الْمَعْلُومُ  
أَنْكِشَافًا لَا يَبْقَى مَعَهُ رَيْبٌ ، وَلَا يُقَارَنُ بِإِمْكَانِ الْغَلَطِ  
وَالْوَهْمِ ، وَلَا يَتَّسِعُ الْقَلْبُ لِتَقْدِيرِ ذَلِكَ ، بَلِ الْأَمَانُ  
مِنْ الْخَطَا يُذْبَعِي أَنْ يَكُونَ مُقَارِنًا لِلْيَقِينِ مُقَارَنَةً لَوْ  
تَحَدَّى بِإِظْهَارِ بُطْلَانِهِ مَثَلًا مَنْ يَقْلِبُ الْحَجَرَ ذَهَبًا  
وَالْعَصَا ثُعْبَانًا ، لَمْ يُورَثْ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ شَكًّا وَإِنْكَارًا ،  
فَإِنِّي إِذَا عَلِمْتُ أَنَّ الْعَشْرَةَ أَكْثَرُ مِنَ الثَّلَاثَةِ ، فَلَوْ  
قَالَ لِي قَائِلٌ : لَا ، بَلِ الثَّلَاثَةُ أَكْثَرُ بِدَلِيلٍ أَنِّي أَقْلِبُ  
هَذِهِ الْعَصَا ثُعْبَانًا وَقَلْبَهَا ، وَشَاهَدْتُ ذَلِكَ مِنْهُ ، لَمْ  
أَشْكُ بِسَبَبِهِ فِي مَعْرِفَتِي ، وَلَمْ يَحْصُلْ لِي مِنْهُ إِلَّا  
التَّعْجَبُ مِنْ كَيْفِيَّةِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ ! فَأَمَّا الشُّكُّ فِيمَا  
عَلِمْتُهُ ، فَلَا .

(١) يحدث .



ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ مَا لَا أَعْلَمُهُ عَلَى هَذَا أَلْوَجْهِ وَلَا  
أَتَيَّقَنُهُ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْيَقِينِ ، فَهُوَ عِلْمٌ لَا ثِقَّةَ بِهِ ،  
وَلَا أَمَانَ مَعَهُ ، وَكُلُّ عِلْمٍ لَا أَمَانَ مَعَهُ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ  
يَقِينِي .



﴿مَدَاخِلُ السَّفْسَطَةِ<sup>(١)</sup> وَجَعْدُ الْعُلُومِ﴾

نَمَّ فَتَشْتُ عَنْ عُلُومِي فَوَجَدْتُ نَفْسِي عَاطِلًا مِنْ  
عِلْمٍ مَوْصُوفٍ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا فِي الْحِسِّيَّاتِ وَالضَّرُورِيَّاتِ  
فَقُلْتُ : الْآنَ بَعْدَ حُضُورِ الْيَأْسِ ، لَا مَطْمَعٍ فِي اقْتِبَاسِ  
الْمُشْكِلَاتِ إِلَّا مِنَ الْجَلِيَّاتِ وَهِيَ الْحِسِّيَّاتُ وَالضَّرُورِيَّاتُ ،  
فَلَا بَدَّ مِنْ إِحْكَامِهَا أَوْ لَا لِأَتَيْقَنَ أَتَقِي بِالْمَحْسُوسَاتِ  
وَأَمَانِي مِنَ الْعَلَطِ فِي الضَّرُورِيَّاتِ ، مِنْ جِنْسِ أَمَانِ  
الَّذِي كَانَ مِنْ قَبْلُ فِي التَّقْلِيدِيَّاتِ ، وَمِنْ جِنْسِ أَمَانِ  
أَكْثَرِ الْخَلْقِ فِي النَّظَرِيَّاتِ ، أَمْ هُوَ أَمَانٌ مُحَقَّقٌ لَا غَدَرَ  
فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ لَهُ ؟ فَأَقْبَلْتُ بِجِدِّ بَلِيغٍ أَتَأَمَّلُ فِي  
الْمَحْسُوسَاتِ وَالضَّرُورِيَّاتِ ، وَأَنْظُرُ : هَلْ يُمَكِّنُنِي أَنْ  
أَشْكَكَ نَفْسِي فِيهَا ؟ فَأَنْتَهَى بِي طَوْلُ التَّشْكِيكِ إِلَى  
أَنْ لَمْ تَسْمَحْ نَفْسِي بِتَسْلِيمِ الْأَمَانِ فِي الْمَحْسُوسَاتِ أَيْضًا ،

(١) السفسطة : كلمة تطلق على من دأبهم المغالطة بالقضايا الفاسدة

والأقاويل الخلابة ابتغاء الغلب دون اعتبار للحق

وَأَخَذَ يَتَسَمَّعَ هَذَا الشُّكَّ فِيهَا وَيَقُولُ : مِنْ أَيْنَ  
 الثَّقَةُ بِالْمَحْسُوسَاتِ ، وَأَقْوَاهَا حَاسَةُ الْبَصَرِ ، وَهِيَ تَنْظُرُ  
 إِلَى الظِّلِّ فَتَرَاهُ واقفاً غَيْرَ مُتَحَرِّكٍ ، وَتَحْكُمُ بِنَفْسِ  
 الْحَرَكَةِ ؟ ثُمَّ بِالتَّجَرُّبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ ، بَعْدَ سَاعَةٍ ، تَعْرِفُ  
 أَنَّهُ مُتَحَرِّكٌ وَأَنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ دَفْعَةً بَعْتَةً ، بَلْ عَلَى التَّدْرِيجِ  
 ذَرَّةً ذَرَّةً ، حَتَّى لَمْ تَكُنْ لَهُ حَالَةٌ وَقُوفٍ ، وَتَنْظُرُ إِلَى  
 الْكُوكَبِ فَتَرَاهُ صَغِيرًا فِي مِقْدَارِ دِينَارٍ ، ثُمَّ الْأَدِلَّةُ  
 الْهَنْدَسِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ فِي الْمِقْدَارِ .  
 هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ يَحْكُمُ فِيهَا حَاكِمُ الْحَسِّ  
 بِأَحْكَامِهِ ، وَيُكَذِّبُهُ حَاكِمُ الْعَقْلِ وَيُخَوِّنُهُ تَكْذِيبًا  
 لَأَسْبِيلَ إِلَى مُدَافَعَتِهِ . فَقُلْتُ : قَدْ بَطَلَتِ الثَّقَةُ  
 بِالْمَحْسُوسَاتِ أَيْضًا ، فَلَعَلَّهُ لَاقِئَةٌ إِلَّا بِالْعَقْلِيَّاتِ الَّتِي  
 هِيَ مِنَ الْأَوَّلِيَّاتِ <sup>(١)</sup> ، كَقَوْلِنَا : الْعَشْرَةُ أَكْثَرُ مِنْ  
 الثَّلَاثَةِ وَالنَّفْيُ وَالْإِبْتَاتُ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ ،

(١) أي التي لا تحتاج إلى نظر ولا إلى استدلال كالضروريات

وَالشَّيْءُ الْوَاحِدُ لَا يَكُونُ حَدِيثًا قَدِيمًا ، مَوْجُودًا مَعْدُومًا  
وَاجِبًا مُخَالًا . فَقَالَتْ الْمَحْسُوسَاتُ : لِمَ <sup>(١)</sup> تَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ  
ثِقَتِكَ بِالْعَقْلِيَّاتِ كَثِقَتِكَ بِالْمَحْسُوسَاتِ ، وَقَدْ كُنْتَ  
وَاثِقًا بِي ، فَجَاءَ حَاكِمُ الْعَقْلِ فَكَذَّبَنِي ، وَلَوْ لَا حَاكِمُ  
الْعَقْلِ لَكُنْتَ تَسْتَمِرُّ عَلَى تَصْدِيقِي ؟ فَلَمَلَّ وَرَاءَ إِذْرَاكِ  
الْعَقْلِ حَاكِمًا آخَرَ ، إِذَا تَجَلَّى كَذَبَ الْعَقْلِ فِي حُكْمِهِ  
كَمَا تَجَلَّى حَاكِمُ الْعَقْلِ فَكَذَّبَ الْحَسَّ فِي حُكْمِهِ ،  
وَعَدَمُ تَجَلِّي ذَلِكَ الْإِذْرَاكِ ، لَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحَالَتِهِ ، فَتَوَقَّعَتْ  
النَّفْسُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ قَلِيلًا ، وَأَيَّدَتْ إِشْكَالَهَا بِالْمَنَامِ  
وَقَالَتْ : أَمَا تَرَكَ تَعْتَقِدُ فِي النَّوْمِ أُمُورًا وَتَتَخَيَّلُ أَحْوَالَ  
وَتَعْتَقِدُ لَهَا ثَبَاتًا وَاسْتِقْرَارًا ، وَلَا تَشْكُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِيهَا ،  
ثُمَّ تَسْتَيْقِظُ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِجَمِيعِ مُتَخَيَّلَاتِكَ  
وَمُعْتَقَدَاتِكَ أَصْلٌ وَطَائِلٌ ؟ فَبِمَ تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ  
مَا تَعْتَقِدُهُ فِي يَقْظَتِكَ بِحَسِّ أَوْ عَقْلِ هُوَ حَقٌّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى  
حَالَتِكَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا ، لَكِنْ يُمَكِّنُ أَنْ تَطْرَأَ عَلَيْكَ

حَالَةٌ تَكُونُ نِسْبَتُهَا إِلَى يَقْظَتِكَ ، كَنِسْبَةِ يَقْظَتِكَ إِلَى  
مَنَامِكَ ، وَتَكُونُ يَقْظَتُكَ نَوْمًا بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهَا ! فَإِذَا  
وَرَدَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ جَمِيعَ مَا تَوَهَّمْتَ بِعَقْلِكَ  
خَيَالَاتٌ لَا حَاصِلَ لَهَا ، وَلَعَلَّ تِلْكَ الْحَالَةَ مَا تَدَّعِيهِ  
الصُّوفِيَّةُ أَنَّهَا حَالَتُهُمْ : إِذْ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ يُشَاهِدُونَ فِي  
أَحْوَالِهِمُ الَّتِي لَهُمْ إِذَا غَاصُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَغَابُوا عَنْ  
حَوَاسِنِهِمْ أَحْوَالًا لَا تُوَافِقُ هَذِهِ الْمَعْقُولَاتِ . وَلَعَلَّ تِلْكَ  
الْحَالَةَ هِيَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
« النَّاسُ نِيَامٌ إِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا » فَلَعَلَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
نَوْمٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْآخِرَةِ ، فَإِذَا مَاتَ ظَهَرَ لَهُ الْأَشْيَاءُ  
عَلَى خِلَافِ مَا يُشَاهِدُهُ الْآنَ ، وَيُقَالُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ :  
« فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » فَلَمَّا  
خَطَرَتْ لِي هَذِهِ الْخَوَاطِرُ وَأُنْقَدَحَتْ فِي النَّفْسِ حَاوَلْتُ  
لِذَلِكَ عِلَاجًا فَلَمْ يَتَيَسَّرْ إِذْ لَمْ يَكُنْ دَفْعُهُ إِلَّا بِالذَّلِيلِ  
وَلَمْ يُمَكِّنْ نَصْبُ دَلِيلٍ إِلَّا مِنْ تَرْكِيبِ الْعُلُومِ

الْأَوَّلِيَّةِ . فَإِذَا لَمْ تَكُنْ مُسَلِّمَةً لَمْ يُمَكِّنْ تَرْتِيبُ  
 الدَّلِيلِ ، فَأَعْضَلَ هَذَا الدَّاءَ <sup>(١)</sup> ، وَدَامَ قَرِيبًا مِنْ شَهْرَيْنِ  
 أَنَا فِيهِمَا عَلَى مَذْهَبِ السَّفْسَطَةِ بِحُكْمِ الْحَالِ ، لَا بِحُكْمِ  
 النُّطْقِ وَالْمَقَالِ ، حَتَّى شَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ ،  
 وَعَادَتِ النَّفْسُ إِلَى الصِّحَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ وَرَجَعَتِ الضَّرُورِيَّاتُ  
 الْعَقْلِيَّةُ مَقْبُولَةً مَوْثُوقًا بِهَا عَلَى أَمْنٍ وَيَقِينٍ ، وَلَمْ يَكُنْ  
 ذَلِكَ بِنِظْمِ دَلِيلٍ وَتَرْتِيبِ كَلَامٍ ، بَلْ بِنُورٍ قَذَفَهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى فِي الصَّدْرِ ، وَذَلِكَ النُّورُ هُوَ مِفْتَاحُ أَكْثَرِ الْمَعَارِفِ  
 فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْكَشْفَ مَوْثُوقٌ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْمُحَرَّرَةِ فَقَدْ  
 ضَيَّقَ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى الْوَاسِعَةَ . وَلَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَنِ « الشَّرْحِ » وَمَعْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :  
 « فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ » قَالَ :  
 « هُوَ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ » فَقِيلَ : « وَمَا  
 عِلَامَتُهُ ؟ » فَقَالَ : « التَّجَافِي عَنِ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالْإِنَابَةُ  
 إِلَى دَارِ الْخُلُودِ » وَهُوَ الَّذِي قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ



## أَصْنَافُ الطَّالِبِينَ

أصناف الطالبين

وَلَمَّا شَفَانِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْمَرَضِ بِفَضْلِهِ وَسَعَةِ

جُودِهِ ، أَنْحَصَرَتْ أَصْنَافُ الطَّالِبِينَ عِنْدِي فِي أَرْبَعِ فِرَاقٍ :

١ - الْمُتَكَلِّمُونَ : وَهُمْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الرَّأْيِ

وَالنَّظَرِ .

٢ - الْبَاطِنِيَّةُ : وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ التَّعْلِيمِ

وَالْمَخْصُوصُونَ بِالِاقْتِبَاسِ مِنَ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ .

٣ - الْفَلَّاسِفَةُ : وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْمَنْطِقِ

وَالْبُرْهَانِ .

٤ - الصُّوْفِيَّةُ : وَهُمْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ خَوَاصُّ الْخُضْرَةِ

وَأَهْلُ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُكَاشَفَةِ .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : الْحَقُّ لَا يَعْدُو هَذِهِ الْأَصْنَافَ

الْأَرْبَعَةَ ، فَهَوِّ لَاءَهُمْ السَّالِكُونَ سُبُلَ طَلَبِ الْحَقِّ ، فَإِنْ

شَدَّ الْحَقُّ عَنْهُمْ فَلَا يَبْقَى فِي دَرَكِ الْحَقِّ مَطْمَعٌ ، وَلَا<sup>(١)</sup>

مَطْمَعٌ فِي الرُّجُوعِ إِلَى التَّقْلِيدِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ ، إِذْ مِنْ

(١) في الاصل: اذ لا مطمع الخ



شَرَطِ الْمُقَلَّدِ الْأَيْعَلِمَ أَنَّهُ مُقَلَّدٌ، فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ أَنْكَسَرَتْ  
زُجَاجَةٌ تَقْلِيدِهِ، وَهُوَ شَعْبٌ لَا يُرَابٌ<sup>(١)</sup>، وَشَعَتْ لَا يَلْمُ<sup>(٢)</sup>  
بِالتَّلْفِيْقِ وَالتَّأْيِيفِ، إِلَّا أَنْ يُذَابَ بِالنَّارِ، وَيُسْتَأْنَفَ  
لَهُ صَنَعَةٌ أُخْرَى مُسْتَجِدَّةٌ. فَأَبْتَدَرْتُ<sup>(٣)</sup> بِسُلُوكِ هَذِهِ  
الطَّرِيقِ، وَاسْتَقْصَاةً<sup>(٤)</sup> مَا عِنْدَ هَذِهِ الْفَرِيقِ، مُبْتَدِنًا بِعِلْمِ  
الْكَلَامِ، وَمُثْنِيًا بِعِلْمِ الْفَلَسَفَةِ، وَمُثَلِّنًا بِتَعْلِيمِ الْبَاطِنِيَّةِ  
وَمُرَبِّمَا بِطَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ.

(١) لا يراب : لا يصلح (٢) شعت : بفتح العين : مصدر . ويقال في

الدعاء « لم الله شعشعكم » أى أمركم . لا يلم : أى لا يجمع (٣) فابتدرت :

أى بادرت وأسرعت (٤) الاستقصاء : التبع والاستقراء

١ - عِلْمُ الْكَلَامِ

مَقْصُودُهُ وَحَاصِلُهُ

علم الكلام  
ومقصوده

ثُمَّ إِنِّي أَبْتَدَأْتُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ (١) ، فَحَصَلَتْهُ وَعَقَلَتْهُ  
وَطَالَعْتُ كِتَابَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمْ وَصَنَّفْتُ فِيهِ مَا أَرَدْتُ  
أَنْ أَصْنِفَ ، فَصَادَقْتُهُ عِلْمًا وَافِيًا بِمَقْصُودِهِ ، غَيْرَ وَافٍ  
بِمَقْصُودِي ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُهُ حِفْظُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ « عَلَى  
أَهْلِ السُّنَّةِ » ، وَحِرَاسَتُهَا عَنْ تَشْوِيشِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ ،  
فَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عَقِيدَةً  
هِيَ الْحَقُّ ، عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، كَمَا نَطَقَ  
بِمَعْرِفَتِهِ الْقُرْآنُ وَالْأَخْبَارُ . ثُمَّ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي وَسْوَاسِ  
الْمُبْتَدِعَةِ أُمُورًا مُخَالِفَةً لِلْسُّنَّةِ ، فَلَهَجُوا (٢) بِهَا وَكَادُوا  
يُشَوِّشُونَ عَقِيدَةَ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِهَا . فَأَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى طَائِفَةً  
الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَحَرَّكَ دَوَاعِيَهُمْ لِنُصْرَةِ السُّنَّةِ بِكَلَامِ

(١) هو العلم الذي يتضمن الحجاج والدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة  
العقلية والرد على الخارجين عن مذاهب أهل السنة (٢) لهجوا بها :  
أغروا بها فتابروا عليها

مُرْتَبٍ ، يَكْشِفُ عَنْ تَلْبِيسَاتِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ الْمُحَدَّثَةِ ،  
عَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ الْمَأْثُورَةِ ، فَمِنْهُ نَشَأَ عِلْمُ الْكَلَامِ  
وَأَهْلُهُ . فَلَقَدْ قَامَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِمَا نَدَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى  
إِلَيْهِ ، فَأَحْسَنُوا الذَّبَّ <sup>(١)</sup> عَنِ السُّنَّةِ ، وَالنُّضَالَ عَنِ الْعَقِيدَةِ  
الْمُتَلَقَّاتِ بِالْقَبُولِ مِنَ النُّبُوَّةِ ، وَالتَّغْيِيرِ فِي وَجْهِ مَا أُخْدِتَ  
مِنَ الْبِدْعَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ اعْتَمَدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى مُقَدِّمَاتٍ  
تَسَلَّمُوهَا مِنْ خُصُومِهِمْ وَأَضْطَرَّهُمْ إِلَى تَسْلِيمِهَا ، إِمَّا  
التَّقْلِيدُ ، أَوْ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ ، أَوْ مُجَرَّدُ الْقَبُولِ مِنَ الْقُرْآنِ  
وَالْأَخْبَارِ . وَكَانَ أَكْثَرُ خَوْضِهِمْ فِي اسْتِخْرَاجِ مُنَاقَضَاتِ  
الْخُصُومِ ، وَمُواخَذَتِهِمْ بِلِوَازِمِ مُسَلِّمَاتِهِمْ . وَهَذَا قَلِيلُ  
النَّفْعِ فِي حَقِّ مَنْ لَا يُسَلِّمُ سِوَى الضَّرُورِيَّاتِ شَيْئًا أُضْلًا .  
فَلَمْ يَكُنِ الْكَلَامُ فِي حَقِّي كَافِيًا ، وَلَا لِإِدَائِي الَّذِي كُنْتُ  
أَشْكُوهُ شَافِيًا . نَعَمْ : لَمَّا نَشَأَتْ صِنْعَةُ الْكَلَامِ وَكَثُرَتْ  
أَخْوُضُ فِيهِ وَطَالَتِ الْمُدَّةُ ، تَشَوَّقَ الْمُتَكَلِّمُونَ إِلَى  
مُحَاوَلَةِ الذَّبِّ عَنِ السُّنَّةِ بِالْبَحْثِ عَنِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ ،

وَخَاضُوا فِي الْبَحْثِ عَنِ الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ وَأَحْكَامِهَا  
وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَقْصُودَ عَلَيْهِمْ ، لَمْ يَبْلُغْ  
كَلَامُهُمْ فِيهِ أَلْغَايَةَ الْقُصُوصِ ، فَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ مَا يَتَّجُو  
بِالْكَلِيَّةِ ظُلُمَاتِ الْخَيْرَةِ فِي اخْتِلَافَاتِ الْخَلْقِ ، وَلَا أْبَعُدُ  
أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ ذَلِكَ لِغَيْرِي ! بَلْ لَسْتُ أَشْكُ فِي  
حُصُولِ ذَلِكَ إِطَائِفَةٍ ، وَلَكِنْ حُصُولًا مَشُوبًا <sup>(١)</sup>  
بِالتَّقْلِيدِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنَ الْأَوَّلِيَّاتِ .  
وَالْعَرَضُ الْآنَ حِكَايَةُ حَالِي ، لَا الْإِنْكَارُ عَلَى مَنْ  
أَسْتَشْفَى بِهِ ، فَإِنَّ أَدْوِيَةَ الشِّفَاءِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الدَّاءِ  
وَكَمْ مِنْ دَوَاءٍ يَنْتَفِعُ بِهِ مَرِيضٌ وَيَسْتَضِرُّ بِهِ آخَرٌ .

α

٢ - الفلّسفة

الفلسفة

أَحَاصِيلُهَا - مَا يَدُمُّ مِنْهَا وَمَا لَا يَدُمُّ ، وَمَا يَكْفُرُ قَائِلُهُ  
 وَمَا لَا يَكْفُرُ ، وَمَا يَبْدِعُ فِيهِ وَمَا لَا يَبْدِعُ ، وَيَبَيِّنُ مَا سَرَّ قُوَّهُ  
 مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْحَقِّ وَمَزَجُوهُ بِكَلَامِهِمْ لِتَرْوِيجِ بَاطِلِهِمْ  
 فِي دَرَجِ ذَلِكِ ، وَكَيْفِيَّةُ حُصُولِ تَفْرِةِ النُّفُوسِ مِنْ ذَلِكَ  
 الْحَقِّ ، وَكَيْفِيَّةُ اسْتِخْلَاصِ صَرَافِ الْحَقَائِقِ الْحَقِّ الْخَالِصِ  
 مِنَ التَّرْيِيفِ وَالتَّبَهْرِجِ <sup>(١)</sup> مِنْ مُجَلَّةِ كَلَامِهِمْ .

ثُمَّ إِنِّي أَبْتَدَأْتُ ، بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ ،  
 بِعِلْمِ الْفَلْسَفَةِ . وَعَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّهُ لَا يَقِفُ عَلَى فَسَادِ نَوْعِ  
 مِنَ الْعُلُومِ مَنْ لَا يَقِفُ عَلَى مُنْتَهَى ذَلِكَ الْعِلْمِ ، حَتَّى يُسَاوِيَ  
 أَعْلَمَهُمْ فِي أَصْلِ ذَلِكَ الْعِلْمِ ، ثُمَّ يَزِيدَ عَلَيْهِ وَيُجَاوِزَ  
 دَرَجَتَهُ ، فَيَطَّلِعَ عَلَى مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْعِلْمِ مِنْ  
 غَوْرٍ وَغَائِلَةٍ . وَإِذْ ذَاكَ ، يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَا يَدَّعِيهِ

(١) يقال درهم بهرج ومبهرج : ردى الفضة . ثم استعير للكلام

الباطل .

مِنْ فَسَادِهِ حَقًّا ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ صَرَفًا  
عِنَايَتَهُ وَهَمَّتَهُ إِلَى ذَلِكَ :

وَلَمْ يَكُنْ فِي كُتُبِ « الْمُتَكَلِّمِينَ » مِنْ كَلَامِهِمْ  
حَيْثُ اشْتَغَلُوا بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، إِلَّا كَلِمَاتٌ مُعَقَّدَةٌ مُبَدَّدَةٌ ،  
ظَاهِرَةٌ التَّنَاقُضِ وَالْفَسَادِ ، لَا يُظَنُّ الْإِغْتِرَارُ بِهَا بِعَاقِلِ  
عَامِّيٍّ ، فَضْلًا عَمَّنْ يَدَّعِي ذِقَائِقَ الْعُلُومِ . فَعَلِمْتُ أَنَّ رَدَّ  
الْمَذْهَبِ قَبْلَ فَهْمِهِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى كُنْهِهِ (١) رَدٌّ فِي عَمَايَةٍ (٢)  
فَشَمَرْتُ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ ، فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ الْعِلْمِ مِنْ  
الْكَتُبِ ، بِمَجَرَّدِ الْمُطَالَعَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِعَانَةٍ بِأُسْتَاذٍ ،  
وَأَقْبَلْتُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ فَرَاحِي مِنَ التَّصْنِيفِ وَالتَّدْرِيسِ  
فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَنَا مَمْنُوءٌ (٣) بِالتَّدْرِيسِ وَالْإِفَادَةِ  
لِلشَّيْئَةِ نَفْسٍ مِنَ الطَّلَبَةِ بِيَعْدَادٍ ، فَأَطَاعَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى ، بِمَجَرَّدِ الْمُطَالَعَةِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمُحْتَلَسَةِ (٤)  
عَلَى مُنْتَهَى عُلُومِهِمْ فِي أَقَلِّ مِنْ سَدَّتَيْنِ . ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَوَاطِبُ

(١) كنه الشيء : حقيقته (٢) أى على غير استبصار (٣) ممنوء :

مبتلى (٤) المستلبة

عَلَى التَّفَكُّرِ فِيهِ بَعْدَ فَهْمِهِ قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ ، أَعَاوِدُهُ  
وَأَرَدَّدُهُ وَأَتَقَقَّدُ غَوَائِلَهُ <sup>(١)</sup> وَأَغْوَارَهُ <sup>(٢)</sup> حَتَّى أَطَّلَعْتُ عَلَى  
مَا فِيهِ مِنْ خِدَاعٍ وَتَلْبِيسٍ ، وَتَحْقِيقٍ وَتَخْيِيلٍ ، أَطَّلَاعًا  
لَمْ أَشْكُ فِيهِ .

فَأَسْمَعِ الْآنَ حِكَايَتَهُ وَحِكَايَةَ حَاصِلِ عُلُومِهِمْ ،  
فَإِنِّي رَأَيْتُهُمْ أَصْنَافًا ، وَرَأَيْتُ عُلُومَهُمْ أَقْسَامًا ، وَهُمْ عَلَى  
كَثْرَةِ أَصْنَافِهِمْ يَلْزَمُهُمْ وَصْمَةٌ <sup>(٣)</sup> الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ ،  
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْأَقْدَمَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَقْدَمِينَ ، وَبَيْنَ الْأَوَاخِرِ  
مِنْهُمْ وَالْأَوَائِلِ ، تَفَاوُتٌ عَظِيمٌ فِي الْبُعْدِ عَنِ الْحَقِّ  
وَالْقُرْبِ مِنْهُ .

(١) ما يغتال العقول (٢) غور كل شيء نهايته (٣) الوصمة : العار والعيب

\* \*

### أَصْنَافُ الْفَلَاسِيفَةِ

وَشُمُولُ وَصْمَةِ الْكُفْرِ كَأَقْتَهُمْ

إِعْلَمْ : أَنَّهُمْ عَلَى كَثْرَةِ فِرْقِهِمْ وَأَخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ ،  
يَنْقَسِمُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الدَّهْرِيُّونَ ، وَالطَّبِيعِيُّونَ ،  
وَالْإِلَهِيُّونَ .

\* \*

الصَّنْفُ الْأَوَّلُ - الدَّهْرِيُّونَ - وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ

الدهر يون

الْأَقْدَمِينَ جَعَدُوا الصَّانِعَ الْمُدَبِّرَ ، الْعَالِمَ الْقَادِرَ ، وَزَعَمُوا  
أَنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا كَذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَبِلَا صَانِعٍ ،  
وَلَمْ يَزَلِ الْحَيَوَانُ مِنَ النُّطْفَةِ ، وَالنُّطْفَةُ مِنَ الْحَيَوَانِ ،  
كَذَلِكَ كَانَ ، وَكَذَلِكَ يَسْكُونُ أَبَدًا . - وَهَؤُلَاءِ هُمُ  
الزَّانِقَةُ -

وَالصَّنْفُ الثَّانِي - الطَّبِيعِيُّونَ - وَهُمْ قَوْمٌ أَكْثَرُوا

الطبيعيون

بِحُجَّتِهِمْ عَنِ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ ، وَعَنْ عَجَائِبِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ  
وَأَكْثَرُوا الْخَوْضَ فِي عِلْمِ تَشْرِيحِ أَعْضَاءِ الْحَيَوَانَاتِ ،



فَرَأَوْا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَدَائِعِ حِكْمَتِهِ  
مَا اضْطَرُّوا مَعَهُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِفَاطِرٍ <sup>(١)</sup> حَكِيمٍ ، مُطَّلِعٍ  
عَلَى غَايَاتِ الْأُمُورِ وَتَقَاصِدِهَا . وَلَا يُطَالِعُ التَّشْرِيحَ  
وَعَجَائِبَ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ مُطَالِعٌ ، إِلَّا وَيَحْصُلُ لَهُ هَذَا  
الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ بِكَمَالِ تَدْيِيرِ الْبَآئِنِ لِبُنْيَةِ الْحَيَوَانِ ،  
وَلَا سِيَّآ بُنْيَةِ الْإِنْسَانِ ، إِلَّا أَنْ هُوَ لَاءِ لِكثْرَةِ بَحْثِهِمْ  
عَنِ الطَّبِيعَةِ ظَهَرَ عِنْدَهُمْ لِإِعْتِدَالِ الْمِزَاجِ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ  
فِي قِوَامِ قُوَى الْحَيَوَانِ بِهِ . فَظَنُّوا أَنَّ الْقُوَّةَ الْعَاقِلَةَ مِنَ  
الْإِنْسَانِ تَابِعَةٌ لِمِزَاجِهِ <sup>(٢)</sup> أَيْضًا ، وَأَنَّهَا تَبْطُلُ بِبُطْلَانِ  
مِزَاجِهِ فَيَنْعَدِمُ . ثُمَّ إِذَا أُنْعِمَ ، فَلَا يُعْقَلُ إِعَادَةُ الْمَعْدُومِ  
كَمَا زَعَمُوا . فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ النَّفْسَ تَمُوتُ وَلَا تَعُودُ ،  
فَجَحَدُوا الْآخِرَةَ وَأَنْكَرُوا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَالْحَشَرَ وَالنَّشَرَ  
وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ لِلطَّاعَةِ ثَوَابٌ ،  
وَلَا لِلْمَعْصِيَةِ عِقَابٌ ، فَأَنْحَلَّ عَنْهُمْ الْأَجَامُ ، وَأَنْهَمَكُوا  
فِي الشَّهَوَاتِ إِنْهَمَاكَ الْأَنْعَامِ .

(١) الفطر : الابتداء والاختراع (٢) مزاج البدن ما ركب عليه من  
الطباع ومزاج الشراب ما يخلط به

وَهُوَ لِأَيْضًا زَنَادِقَةٌ : لِأَنَّ أَصْلَ الْإِيْمَانِ هُوَ الْإِيْمَانُ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَهُوَ لِأَيْضًا جَعْدُوا الْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَإِنْ  
آمَنُوا بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ .

\* \* \*

الاهيون

الصَّنْفُ الثَّلَاثُ - الْإِلَهِيُّونَ - وَهُمْ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ  
مِثْلُ : سُقْرَاطَ ، وَهُوَ أُسْتَاذُ أَفْلَاطُونِ ، وَأَفْلَاطُونُ أُسْتَاذُ  
أَرِسْطَاطَالِيسَ ، وَأَرِسْطَاطَالِيسُ هُوَ الَّذِي رَتَّبَ لَهُمُ  
الْمَنْطِقَ ، وَهَدَّبَ لَهُمُ الْعُلُومَ ، وَحَرَّرَ لَهُمُ مَالِمَ يَسْكُنُ  
مُحَرَّرًا مِنْ قَبْلُ ، وَأَنْضَجَ لَهُمُ مَا كَانَ فَجًّا (١) مِنْ عُلُومِهِمْ  
وَهُمْ بِجُمْلَتِهِمْ رَدُّوا عَلَى الصَّنَفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ  
وَالطَّبِيعِيَّةِ . وَأُورِدُوا فِي الْكَشْفِ عَنْ فَضَائِحِهِمْ مَا اغْنَوْا  
بِهِ غَيْرَهُمْ ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، بِتَقَاتِلِهِمْ  
مُّمَّ رَدَّ أَرِسْطَاطَالِيسُ عَلَى أَفْلَاطُونِ وَسُقْرَاطَ ، وَمَنْ كَانَ  
قَبْلَهُ مِنَ الْإِلَهِيِّينَ ، رَدَّا لَمْ يُقْصَرْ فِيهِ حَتَّى تَبْرَأَ عَنْ  
جَمِيعِهِمْ . إِلَّا أَنَّهُ أُسْتَبْقِيَ أَيْضًا مِنْ رَدَائِلِ كُفْرِهِمْ وَبِدْعَتِهِمْ

(١) الفج بكسر الفاء من الفا كهة مالم ينضج

بِقَائِلَمْ يُوفَّقَ لِلزُّوْعِ عَنْهَا، فَوَجَبَ تَكْفِيرُهُمْ وَتَكْفِيرُ شِيَعَتِهِمْ  
مِنَ الْمُتَفَلِّسِفَةِ الْإِسْلَامِيِّينَ ، كَابْنِ سِينَا <sup>(١)</sup> وَالْفَارَابِيِّ <sup>(٢)</sup>  
وغيرِهِمَا . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِنَقْلِ عِلْمِ أَرِسْطَاطَالِيسَ أَحَدُ  
مِنَ مُتَفَلِّسِفَةِ الْإِسْلَامِيِّينَ كَقِيَامِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، وَمَا  
تَقَلَّهُ غَيْرُهُمَا لَيْسَ يَخْلُو عَنْ تَخْبِيْطٍ وَتَخْلِيْطٍ يَتَشَوَّشُ  
فِيهِ قَلْبُ الْمُطَالِعِ حَتَّى لَا يَفْهَمَ ، وَمَا لَا يَفْهَمُ كَيْفَ يَرُدُّ  
أَوْ يَقْبَلُ ؟ وَمَجْمُوعُ مَا صَحَّ عِنْدَنَا مِنْ فَلَاسِفَةِ أَرِسْطَاطَالِيسَ  
بِحَسَبِ تَقْلِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، يَنْحَصِرُ فِي ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ  
١ - قِسْمٌ يَجِبُ التَّفَكِيرُ بِهِ . ٢ - وَقِسْمٌ يَجِبُ  
التَّبَدُّعُ بِهِ . ٣ - وَقِسْمٌ لَا يَجِبُ إِنْكَارُهُ أَصْلًا  
فَلِنَقْصِلُهُ ...

(١) من أكبر فلاسفة المسلمين ومن كتبه « القانون » ظل قانون  
أوربا الطبي عدة قرون ومن كتبه أيضا « الشفاء » و « النجاة » ولد سنة  
٣٧٠ وتوفي سنة ٤٢٨

(٢) هو الملقب بالمعلم الثاني اذ كان أرسطو معروفا بأنه المعلم الأول ولد  
عام ٢٦٠ وتوفي عام ٣٣٩ هـ . وهو أحد أعلام الفلسفة الإسلامية وأصله  
فارسي .

\* \* \*

### أقسام علومهم

أقسام علومهم

اعلم: أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام: رياضية، ومنطقية، وطبيعية، وإلهية وسياسية، وخلقية.

أما الرياضيات: فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس تتعلق بشيء منها بالأمر الدينية نفيًا وإثباتًا بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفة فيها، وقد تولدت منها آفتان:

الأولى: من ينظر فيها يتعجب من دقتها ومن ظهور براهينها، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم. ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطلهم وتأولهم بالشرع ما تداولته الألسنة، فيكفر بالتقليد المحض ويقول: لو كان الدين حقًا لما اختلف على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم! فإذا عرف بالتسامع كفرهم

وَجَعَدَهُمْ ، فَيَسْتَدِلُّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ هُوَ الْجَعْدُ وَالْإِنْكَارُ  
لِلدِّينِ . وَكَمْ رَأَيْتُ مَنْ يَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ بِهَذَا الْقَدْرِ وَلَا  
مُسْتَنَدَ لَهُ سِوَاهُ ! وَإِذَا قِيلَ لَهُ : الْحَازِقُ فِي صِنَاعَةٍ  
وَاحِدَةٍ لَيْسَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ حَازِقًا فِي كُلِّ صِنَاعَةٍ ،  
فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْحَازِقُ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ حَازِقًا  
فِي الطَّبِّ ، وَلَا أَنْ يَكُونَ الْجَاهِلُ بِالْعَقْلِيَّاتِ جَاهِلًا  
بِالنَّحْوِ ، بَلْ لِكُلِّ صِنَاعَةٍ أَهْلٌ بَلَّغُوا فِيهَا رُبَّةَ الْبِرَاعَةِ  
وَالسَّبْقِ ، وَإِنْ كَانَ الْحَمَقُ وَالْجَهْلُ قَدْ يَلْزَمُهُمْ فِي غَيْرِهَا  
فَكَلَامَ الْأَوَائِلِ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ بُرْهَانِيٌّ ، وَفِي الْإِلَهِيَّاتِ  
تَحْمِينِيٌّ ، لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَرَّبَهُ وَخَاصَّ فِيهِ .  
فَهَذَا إِذَا قُرِّرَ عَلَى هَذَا الَّذِي أُتِّخَذَ بِالتَّقْلِيدِ ، لَمْ يَقَعْ مِنْهُ  
مَوْعِظَةُ الْقَبُولِ ، بَلْ تَحْمِلُهُ غَلْبَةُ الْهَوَى ، وَشَهْوَةُ الْبَطَالَةِ  
وَحُبُّ التَّكَايُسِ <sup>(١)</sup> عَلَى أَنْ يُصِرَّ عَلَى تَحْسِينِ الظَّنِّ بِهِمْ  
فِي الْعُلُومِ كُلِّهَا .

(١) التكايس : مأخوذ من الكيس وهو ضد الحمق . ورجل كيس  
ومكيس أى ظريف ، فالمتكايس من يريد أن يظهر للناس عقله وعلمه وظرفه

فَهَذِهِ آفَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَجْلِهَا يَجِبُ زَجْرُ كُلِّ مَنْ يَخُوضُ  
فِي تِلْكَ الْعُلُومِ فَإِنَّهَا وَإِنْ لَمْ تَتَعَلَّقْ بِأَمْرِ الدِّينِ ، وَلَكِنْ  
لَمَّا كَانَتْ مِنْ مَبَادِي الْعُلُومِ ، يَسْرِي إِلَيْهِ شَرُّهُمْ  
وَسُوءُهُمْ ، فَقَلَّ مَنْ يَخُوضُ فِيهِ إِلَّا وَيَنْخَلِعُ مِنَ الدِّينِ  
وَيَنْحَلُّ عَنْ رَأْسِهِ لِحَامُ التَّقْوَى .

الْآفَةُ الثَّانِيَةُ : نَشَأَتْ مِنْ صَدِيقٍ لِلْإِسْلَامِ جَاهِلٍ  
ظَنَّ أَنَّ الدِّينَ يَدْبَعِي أَنْ يُنْصَرَ بِإِنْكَارِ كُلِّ عِلْمٍ مَنْسُوبٍ  
إِلَيْهِمْ : فَأَنْكَرَ جَمِيعَ عُلُومِهِمْ وَأَدَّعَى جَهْلَهُمْ فِيهَا ،  
حَتَّى أَنْكَرَ قَوْلَهُمْ فِي الْكُشُوفِ وَالْخُسُوفِ ، وَزَعَمَ أَنَّ  
مَا قَالُوهُ عَلَى خِلَافِ الشَّرْعِ ، فَلَمَّا قَرَعَ ذَلِكَ سَمِعَ مَنْ  
عَرَفَ ذَلِكَ بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ ، لَمْ يَشْكُ فِي بُرْهَانِهِ ،  
لَكِنْ أَعْتَقَدَ أَنَّ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْجَهْلِ وَإِنْكَارِ  
الْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ ، فَازْدَادَ لِلْفَلَسَفَةِ حُبًّا وَاللْإِسْلَامِ بُغْضًا ،  
وَلَقَدْ عَظُمَ عَلَى الدِّينِ جِنَايَةٌ مِنْ ظَنَّ أَنَّ الْإِسْلَامَ يُنْصَرُ  
بِإِنْكَارِ هَذِهِ الْعُلُومِ ، وَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ تَعَرُّضٌ لِهَذِهِ

الْمَعْلُومِ بِالنَّقْيِ وَالْإِبْتَاتِ ، وَلَا فِي الْمَعْلُومِ تَعْرِضٌ لِلْأُمُورِ  
الدِّينِيَّةِ ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَنْحَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا  
لِحَيَاتِهِ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى  
وَإِلَى الصَّلَاةِ » لَيْسَ فِي هَذَا مَا يُوجِبُ انْكَارَ عِلْمِ  
الْحِسَابِ الْمَعْرُوفِ بِمَسِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاجْتِمَاعِهِمَا أَوْ  
مُقَابَلَتِهِمَا عَلَى وَجْهِ مُخْصُوصٍ . أَمَّا قَوْلُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -  
لَكِنَّ اللَّهَ إِذَا تَجَلَّى لَشَيْءٍ خَضَعَ لَهُ ، فَلَيْسَ تُوْجَدُ هَذِهِ  
الزِّيَادَةُ فِي الصَّحَاحِ <sup>(١)</sup> أَصْلًا .

فَهَذَا حُكْمُ الرِّيَاضِيَّاتِ وَآفَتْهَا .

٢ - وَأَمَّا الْمَنْطِقِيَّاتُ : فَلَا يَتَعَلَّقُ شَيْءٌ مِنْهَا بِالذِّينِ  
نَفِيًّا أَوْ إِثْبَاتًا ، بَلْ هُوَ النَّظَرُ فِي طُرُقِ الْأَدِلَّةِ <sup>(٢)</sup>  
وَالْمَقَائِدِ <sup>(٣)</sup> وَشُرُوطِ مُقَدِّمَاتِ الْبُرْهَانِ <sup>(٤)</sup> وَكَيْفِيَّةِ

(١) الأحاديث الصحيحة التي لامطعن في أسانيدها أو كتب الحديث  
الصحيحة ، وهي مشهورة لدى العلماء (٢) الدليل في الاصطلاح هو ما يلزم  
من العلم به العلم بشيء آخر (٣) القياس: قول مؤلف من قضايا إذا سلمت  
لزم عنها لذاتها قول آخر (٤) البرهان : القياس المؤلف من اليقينيَّات

تَرَكِيهًا ، وَشُرُوطِ اخْتِذِ الصَّحِيحِ وَكَيْفِيَّةِ تَرْتِيبِهِ .  
وَأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا تَصَوَّرَ<sup>(١)</sup> ، وَسَبِيلُ مَعْرِفَتِهِ الْخَدُّ<sup>(٢)</sup> ، وَإِنَّمَا  
تَصَدِّيقُهُ وَسَبِيلُ مَعْرِفَتِهِ الْبُرْهَانُ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ  
يُنْكَرَ ، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ مَا ذَكَرَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ وَأَهْلُ النَّظَرِ  
فِي الْأَدِلَّةِ ، وَإِنَّمَا يُفَارِقُونَهُمْ بِالْعِبَارَاتِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ ،  
وَبِزِيَادَةِ الْاِقْتِصَادِ فِي التَّعْرِيفَاتِ وَالتَّشْعِيمَاتِ ، وَمِثَالُ  
كَلَامِهِمْ فِيهَا قَوْلُهُمْ : إِذَا ثَبَتَ أَنَّ كُلَّ « أ » « ب » لَزِمَ  
أَنَّ بَعْضَ « ب » « أ » أَي إِذَا ثَبَتَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ  
لَزِمَ أَنَّ بَعْضَ الْحَيَوَانِ إِنْسَانٌ ، وَيَعْبُرُونَ عَنْ هَذَا بِأَنَّ  
الْمَوْجِبَةَ الْكُلِّيَّةَ تَعَكِّسُ مُوجِبَةً جُزْئِيَّةً ، وَأَيُّ تَعَلُّقٍ  
لِهَذَا بِبُهْمَاتِ الدِّينِ حَتَّى يُجْحَدَ وَيُنْكَرَ ؟ فَإِذَا أُنْكَرَ  
لَمْ يَحْصُلْ مِنْ إِنْكَارِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَنْطِقِ إِلَّا سُوءُ  
الِاعْتِقَادِ فِي عَقْلِ الْمُنْكَرِ بَلْ فِي دِينِهِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ

(١) التصور : هو ادراك الماهية بدون أن يحكم عليها بنفي أو اثبات

(٢) الحد: قول دال على ماهية الشيء بتركبه من جنس الشيء وفصله

القريبين كقولهم : الانسان حيوان ناطق



مَوْقُوفٌ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْإِنْكَارِ ، نَعَمْ ، لَهُمْ نَوْعٌ مِنَ  
الظُّلْمِ فِي هَذَا الْعِلْمِ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ لِلْبُرْهَانِ شُرُوطًا  
يُعْلَمُ أَنَّهَا تُورِثُ الْيَقِينَ لَا مُحَالَةَ ، لَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى  
الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ مَا أُمَكَّنَهُمُ الْوَفَاءُ بِتِلْكَ الشُّرُوطِ ، بَلْ  
تَسَاهَلُوا غَايَةَ التَّسَاهُلِ ، وَرُبَّمَا يَنْظُرُ فِي الْمَنْطِقِ أَيْضًا مَنْ  
يَسْتَحْسِنُهُ وَيَرَاهُ وَاضِحًا ، فَيَظُنُّ أَنَّ مَا يُنْقَلُ عَنْهُمْ مِنْ  
الْكُفْرِ يَأْتِي مُؤَيَّدَةً بِمِثْلِ تِلْكَ الْبُرَاهِينِ ، فَاسْتَمَجَلَ  
بِالْكُفْرِ قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ .

فَهَذِهِ الْأَفَةُ أَيْضًا مُتَطَرِّقَةٌ إِلَيْهِ .

٣ - وَأَمَّا عِلْمُ الطَّبِيعِيَّاتِ : فَهُوَ بَحْثٌ عَنْ عَالَمِ  
السَّمَوَاتِ وَكَوَاكِبِهَا وَمَا تَحْتَهَا مِنَ الْأَجْسَامِ الْمُفْرَدَةِ :  
كَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالتُّرَابِ وَالنَّارِ ، وَمِنَ الْأَجْسَامِ الْمُرَكَّبَةِ  
كَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ ، وَعَنْ أَسْبَابِ تَغْيِيرِهَا  
وَأَسْتِحَالَاتِهَا <sup>(١)</sup> وَامْتِزَاجِهَا . وَذَلِكَ يُضَاهِي بَحْثَ الطَّبِّ

(١) الاستحالة : التحول والتغير من حال الى حال

عَنْ جِسْمِ الْإِنْسَانِ وَأَعْضَائِهِ الرَّئِيسِيَّةِ وَالْخَادِمَةِ ، وَأَسْبَابِ  
أُسْتِحَالَةِ مَزَاجِهَا . وَكَمَا لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الدِّينِ إِنْكَارُ  
عِلْمِ الطَّبِّ فَلَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَيْضًا إِنْكَارُ ذَلِكَ الْعِلْمِ ،  
إِلَّا فِي مَسَائِلٍ مُعَيَّنَةٍ ذَكَرْنَاهَا فِي كِتَابِ « تَهَافُتِ  
الْفَلَسِيفَةِ » وَمَا عَدَاهَا مِمَّا يَجِبُ الْمُخَالَفَةُ فِيهَا ، فَعِنْدَ  
التَّأَمُّلِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهَا مُنْدرِجَةٌ تَحْتَهَا ، وَأَصْلُ مُجْمَلَتِهَا أَنْ  
تَعْلَمَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ مُسَخَّرَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، لَا تَعْمَلُ بِنَفْسِهَا ،  
بَلْ هِيَ مُسْتَعْمَلَةٌ مِنْ جِهَةِ فَاطِرِهَا . وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ لَا فِعْلَ لِشَيْءٍ مِنْهَا بِذَاتِهِ  
عَنْ ذَاتِهِ .

٤ - وَأَمَّا الْإِلَهِيَّاتُ : فَفِيهَا أَكْثَرُ أَغَالِيظِهِمْ ، فَمَا  
قَدَرُوا عَلَى الْوَفَاءِ بِالْبَرَاهِينِ عَلَى مَا شَرَطُوهُ فِي الْمُنْطِقِ  
وَلِذَلِكَ كَثُرَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ فِيهَا ، وَلَقَدْ قَرُبَ مَذْهَبُ  
أَرِسْطَاطَالِسَ فِيهَا مِنْ مَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيِّينَ ، عَلَى مَا تَقَلَّه  
الْفَارَابِيُّ وَابْنُ سِينَا . وَلَكِنْ مَجْمُوعٌ مَاعْلَطُوا فِيهَا يَرْجِعُ

إِلَى عِشْرِينَ أَصْلًا ، يَجِبُ تَكْفِيرُهُمْ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْهَا ،  
وَتَبْدِيلُهُمْ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ . وَلَا يَبْطُلُ مَذْهَبُهُمْ فِي هَذِهِ  
الْمَسَائِلِ الْعِشْرِينَ ، صَنَّفْنَا كِتَابَ « التَّهَابِتِ » . أَمَّا  
الْمَسَائِلُ الثَّلَاثُ ، فَقَدْ خَالَفُوا فِيهَا كَافَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ  
فِي قَوْلِهِمْ :

١ - إِنْ الْأَجْسَادَ لَا تُحْشَرُ ، وَإِنَّمَا الْمَثَابُ وَالْمُعَاقِبُ  
هِيَ الْأَرْوَاحُ الْمَجْرَدَةُ ، وَالْمَثُوبَاتُ وَالْعُقُوبَاتُ رُوحَانِيَّةٌ  
لَا جِسْمَانِيَّةٌ .

وَلَقَدْ صَدَقُوا فِي إِثْبَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ  
أَيْضًا ، وَاسَكُنْ كَذَبُوا فِي انْكَارِ الْجِسْمَانِيَّةِ ، وَكَفَرُوا  
بِالشَّرِيعَةِ فِيمَا نَطَقُوا بِهِ .

٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ  
الْكَلِمَاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ » . وَهَذَا أَيْضًا كُفْرٌ صَرِيحٌ ،  
بَلِ الْحَقُّ أَنَّهُ : « لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِنْتَقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ  
وَلَا فِي الْأَرْضِ »

٣ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِقَدَمِ الْعَالَمِ وَأَزَلَّتِهِ ، فَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ .

٤ - وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَفْهِيمِ الصِّفَاتِ وَقَوْلِهِمْ

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِالذَّاتِ لَا بِعِلْمِ زَائِدٍ عَلَى الذَّاتِ وَمَا يَجْرِي

مَجْرَاهُ ، فَمَذْهَبُهُمْ فِيهَا قَرِيبٌ مِنْ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ<sup>(١)</sup> وَلَا

يَجِبُ تَكْفِيرُ الْمُعْتَزِلَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ

« فَيُصَلِّ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدَقَةِ » مَا يَتَّبِعِينَ فِيهِ

فَسَادُ رَأْيٍ مَنْ يَتَسَارَعُ إِلَى التَّكْفِيرِ فِي كُلِّ مَا يُخَالَفُ

مَذْهَبَهُ .

٥ - وَأَمَّا السِّيَاسِيَّاتُ : فَجَمِيعُ كَلَامِهِمْ فِيهَا يَرْجِعُ

إِلَى الْحُكْمِ الْمَصْلَحِيِّ الْمَتَمَلِّقَةِ بِالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْإِيَالَةِ<sup>(٢)</sup>

السُّلْطَانِيَّةِ ، وَإِنَّمَا أَخَذُوهَا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ

وَمِنْ الْحُكْمِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ سَلَفِ الْأَنْبِيَاءِ .

(١) شبهة المعتزلة في نفي صفات المعاني « تعدد القدمات » وهي شبهة

مردودة واهية لأن الصفات لا تنفك عن الذات فلا تعدد إذن (٢) الإيالة:

السياسة ، أو البلد يحكمها أمير

٦ - وَأَمَّا الْخُلُقِيَّةُ : فَجَمِيعُ كَلَامِهِمْ فِيهَا يَرْجِعُ إِلَى  
 حَضْرِ صِفَاتِ النَّفْسِ وَأَخْلَاقِهَا ، وَذِكْرِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا  
 وَكَيْفِيَّةِ مُعَالَجَتِهَا وَمُجَاهَدَتِهَا ، وَإِنَّمَا أَخَذُوهَا مِنْ كَلَامِ  
 السُّوْفِيَّةِ ، وَهُمْ الْمُتَاهِلُونَ <sup>(١)</sup> الْمُشَابِرُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ  
 تَعَالَى ، وَعَلَى مُخَالَفَةِ الْهَوَى وَسُلُوكِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
 بِالْإِعْرَاضِ عَنِ مَلَأِ الدُّنْيَا . وَقَدْ أَنْكَشَفَ لَهُمْ فِي  
 مُجَاهَدَتِهِمْ مِنْ أَخْلَاقِ النَّفْسِ وَعُيُوبِهَا ، وَآفَاتِ أَعْمَالِهَا  
 مَاصِرُوهَا بِهَا ، فَأَخَذَهَا الْفَلَاسِفَةَ وَمَزَجُوهَا بِكَلَامِهِمْ ،  
 تَوَسَّلًا بِالتَّجَمُّلِ بِهَا إِلَى تَرْوِيجِ بَاطِلِهِمْ . وَلَقَدْ كَانَ فِي  
 عَصْرِهِمْ ، بَلْ فِي كُلِّ عَصْرِ ، جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَالِهِينَ ،  
 لَا يُخْلِي اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - الْعَالَمَ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ أَوْتَادُ <sup>(٢)</sup>  
 الْأَرْضِ ، يَبْرَكَاتِهِمْ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا  
 وَرَدَ فِي الْخَبَرِ حَيْثُ قَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : « بِهِمْ تُمَطَّرُونَ  
 وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ ، وَمِنْهُمْ كَانَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ » .

(١) ناله : تعبدون تنسك (٢) أوتاد الأرض : جبالها ، وأعلامها فالإطلاق

وَكَانُوا فِي سَالِفِ الْأُزْمِنَةِ ، عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ  
فَتَوَلَّدَ مِنْ مَزْجِهِمْ كَلَامَ النُّبُوَّةِ وَكَلَامَ الصُّوفِيَّةِ بِكُتُبِهِمْ  
أَفْتَانِ ، آفَةٌ فِي حَقِّ الْقَابِلِ ، وَآفَةٌ فِي حَقِّ الرَّادِّ .

١ - أَمَا الْآفَةُ الَّتِي فِي حَقِّ الرَّادِّ فَعَظِيمَةٌ ، إِذْ  
خَلَّتْ طَائِفَةٌ مِنَ الضُّعَفَاءِ أَنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ  
مُدَوَّنًا فِي كُتُبِهِمْ ، وَمَمْزُوجًا بِبَاطِلِهِمْ ، يَنْبَغِي أَنْ يُهَجَرَ  
وَلَا يُذَكَّرَ ، بَلْ يُنْكَرَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَذْكُرُهُ ، إِذْ لَمْ  
يَسْمَعُوهُ أَوْلًا ، إِلَّا مِنْهُمْ ، فَسَبَقَ إِلَى عُقُولِهِمُ الضَّعِيفَةِ  
أَنَّهُ بَاطِلٌ ، لِأَنَّ قَائِلَهُ مُبْطِلٌ ، كَالَّذِي يَسْمَعُ مِنَ النَّصْرَانِيِّ  
قَوْلَ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَيْسَى رَسُولُ اللَّهِ » ، فَيُنْكَرُهُ  
وَيَقُولُ . « هَذَا كَلَامُ النَّصْرَانِيِّ » ، وَلَا يَتَوَقَّفُ رِيثًا  
يَتَأَمَّلُ أَنَّ النَّصْرَانِيَّ كَافِرٌ بِاعْتِبَارِ هَذَا الْقَوْلِ ، أَوْ بِاعْتِبَارِ  
إِنْكَارِهِ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا  
إِلَّا بِاعْتِبَارِ إِنْكَارِهِ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَالَفَ فِي غَيْرِ مَا هُوَ  
بِهِ كَافِرٌ مِمَّا هُوَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَيْضًا حَقًّا عِنْدَهُ ،

وَهَذِهِ عَادَةٌ ضَعْفَاءُ الْعُقُولِ يُعْرِفُونَ الْحَقَّ بِالرَّجَالِ ،  
 لَا الرَّجَالَ بِالْحَقِّ . وَالْعَاقِلُ يَقْتَدِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ : « لَا تَعْرِفِ  
 الْحَقَّ بِالرَّجَالِ بَلْ أَعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ » وَالْعَارِفُ  
 الْعَاقِلُ يُعْرِفُ الْحَقَّ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي نَفْسِ الْقَوْلِ ، فَإِنْ  
 كَانَ حَقًّا قَبْلَهُ ، سِوَايَ كَانَ قَائِلُهُ مُبْطِلًا أَوْ مُحِقًّا ، بَلْ  
 رَبَّمَا يَحْرِصُ عَلَى انْتِزَاعِ الْحَقِّ مِنْ أَقْوَابِ أَهْلِ الضَّلَالِ ،  
 عَالِمًا بِأَنَّ مَعْدِنَ الذَّهَبِ الرَّغَامُ <sup>(١)</sup> . وَلَا بَأْسَ عَلَى الصَّرَافِ  
 إِنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي كَيْسِ الْقَلَابِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَنْتَزَعَ الْإِبْرِيْزَ  
 الْخَالِصَ مِنَ الزَّيْفِ وَالْبَهْرَجِ ، مَهْمَا كَانَ وَائِقًا بِبَصِيرَتِهِ  
 وَإِنَّمَا يُزَجِّرُ عَنْ مُعَامَلَةِ الْقَلَابِ الْقَرَوِيِّ ، دُونَ الصَّيْرِفِيِّ  
 الْبَصِيرِ وَيُمْنَعُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْزَقِ <sup>(٣)</sup> ، دُونَ السَّبَّاحِ  
 الْحَازِقِ ، وَيُصَدُّ عَنْ مَسِّ الْحَيَّةِ الصَّبِيِّ دُونَ الْمُعْزَمِ <sup>(٤)</sup>  
 الْبَارِعِ .

(١) الرغام بالفتح التراب (٢) يريد بالقلاب هنا المزيف (٣) يقصد  
 من لا يحسن السباحة (٤) الذي يتلو الرقي

وَلَعَمْرِي ! لَمَا غَلَبَ عَلَى أَكْثَرِ الْخَلْقِ ظَنُّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ  
الْحَدَاقَةَ وَالْبَرَاعَةَ وَكَمَالَ الْعَقْلِ وَتَمَامَ الْأَلَةِ ، فِي تَمْيِيزِ  
الْحَقِّ عَنِ الْبَاطِلِ ، وَالْهُدَى عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَجَبَ حَسْمُ  
الْبَابِ فِي زَجْرِ الْكَافَّةِ عَنِ مُطَالَعَةِ كُتُبِ أَهْلِ الضَّلَالَةِ  
مَا أُمْكِنَ ، إِذْ لَا يَسْلَمُونَ مِنَ الْآفَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي سَنَدُّ كُرْهَا  
أَصْلًا ، وَإِنْ سَلِمُوا مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

وَلَقَدْ أَعْرَضَ عَلَى بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْمَبْثُوتَةِ فِي  
تَصَانِيفِنَا فِي أَسْرَارِ عُلُومِ الدِّينِ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ لَمْ  
تَسْتَحْكِمِ فِي الْعُلُومِ سَرَائِرُهُمْ ، وَلَمْ تَنْفَتِحْ إِلَى  
أَقْصَى غَايَاتِ الْمَذَاهِبِ بِصَائِرِهِمْ ، وَزَعَمَتْ أَنَّ تِلْكَ  
الْكَلِمَاتِ مِنْ كَلَامِ الْأَوَائِلِ ، مَعَ أَنَّ بَعْضَهَا مِنْ مُوَلَّدَاتِ  
الْخَوَاطِرِ ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ الْخَافِرُ عَلَى الْخَافِرِ ، وَبَعْضَهَا  
يُوجَدُ فِي الْكُتُبِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَأَكْثَرُهَا مَوْجُودٌ مَعْنَاهُ  
فِي كُتُبِ الصُّوفِيَّةِ . وَهَبْ أَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ إِلَّا فِي كُتُبِهِمْ  
فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ مَعْقُولًا فِي نَفْسِهِ ، مُؤَيَّدًا بِالْبُرْهَانِ  
وَلَمْ يَسْكُنْ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَلِمَ يَنْبَغِي أَنْ



يُهْجَرَ وَيُتْرَكَ؟ فَلَوْ فَتَحْنَا هَذَا الْبَابَ ، وَتَطَرَّفْنَا إِلَى أَنْ  
 نَهْجَرَ كُلَّ حَقٍّ سَبَقَ إِلَيْهِ خَاطِرُ مُبْطِلٍ ، لَزِمْنَا أَنْ نَهْجَرَ  
 كَثِيرًا مِنَ الْحَقِّ ، وَلَزِمْنَا أَنْ نَهْجَرَ جُمْلَةَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ  
 الْقُرْآنِ ، وَأَخْبَارِ الرَّسُولِ وَحِكَايَاتِ السَّلَفِ ، وَكَلِمَاتِ  
 الْحُكَمَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ ، لِأَنَّ صَاحِبَ كِتَابِ « إِخْوَانِ  
 الصِّفَا » <sup>(١)</sup> أوردَهَا فِي كِتَابِهِ مُسْتَشْهِدًا بِهَا ، وَمُسْتَدْرِجًا  
 قُلُوبَ الْحَمَقَى بِوَأَسِطَتِهَا إِلَى بَاطِلِهِ ، وَيَتَدَاعَى ذَلِكَ إِلَى  
 أَنْ يَسْتَخْرِجَ الْمُبْطِلُونَ الْحَقَّ مِنْ أَيْدِينَا بِأَيْدَائِهِمْ إِيَّاهُ  
 فِي كُتُبِهِمْ . وَأَقْلُ دَرَجَاتِ الْعَالَمِ : أَنْ يَتَمَيَّزَ عَنِ الْعَامِيِّ  
 الْعُمَرِ <sup>(٢)</sup> ، فَلَا يَمَافَ الْعَسَلَ وَإِنْ وَجَدَهُ فِي مِحْجَمَةِ  
 الْحُجَّامِ ، وَيَتَحَقَّقَ أَنَّ الْمِحْجَمَةَ لَا تُغَيِّرُ ذَاتَ الْعَسَلِ ،  
 فَإِنَّ نُفْرَةَ الطَّبْعِ مِنْهُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى جَهْلِ عَابِيٍّ مَنْشُوءُهُ أَنْ

(١) رسائل إخوان الصفا واخلان الوفا وضعتها جماعة سرية ظهرت  
 في منتصف القرن الرابع في البصرة وتعد هذه الرسائل موسوعة فلسفية  
 علمية وهي مصوغة في قالب أدبي بديع وقد طبعت في مصر سنة ١٩٢٨ .  
 (٢) العمر : الجاهل

الْمِحْجَمَةَ ، إِنَّمَا صُنِعَتْ لِلدَّمِّ الْمُسْتَقْدَرِ ، فَيُظَنُّ أَنَّ الدَّمَّ  
 مُسْتَقْدَرٌ لِكَوْنِهِ فِي الْمِحْجَمَةِ ، وَلَا يُدْرَى أَنَّهُ مُسْتَقْدَرٌ  
 لِصِفَةِ فِي ذَاتِهِ ، فَإِذَا عُدِمَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ فِي الْعَسَلِ ،  
 فَكَوْنُهُ فِي ظَرْفِهِ لَا يُكْسِبُهُ تِلْكَ الصِّفَةَ ، فَلَا يَنْبَغِي  
 أَنْ يُوجِبَ لَهُ الْأِسْتِقْدَارُ ، وَهَذَا وَهُمْ بَاطِلٌ ، وَهُوَ غَالِبٌ عَلَى  
 أَكْثَرِ الْخَلْقِ ، فَهَمَّا نَسَبَتِ الْكَلَامَ وَأُسْنَدَتَهُ إِلَى  
 قَائِلٍ حَسَنٍ فِيهِ أَعْتِقَادُهُمْ ، قَبْلُوهُ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ، وَإِنْ  
 أُسْنَدَتَهُ إِلَى مَنْ سَاءَ فِيهِ أَعْتِقَادُهُمْ ، رَدُّوهُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا  
 فَبَدَا يَمْرِفُونَ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ وَلَا يَمْرِفُونَ الرِّجَالَ بِالْحَقِّ  
 وَهُوَ غَايَةُ الضَّلَالِ !  
 هَذِهِ آفَةُ الرَّدِّ .

\*\*\*

٢ - آفة القبول : إن من نظر في كتبهم

آفة القبول

« كَأَخْوَانِ الصَّفَا » وَغَيْرِهِ ، فَرَأَى مَا زَجَّوهُ بِكَلَامِهِمْ  
 مِنْ الْحِكْمِ النَّبَوِيِّ ، وَالْكَلِمَاتِ الصَّوْفِيَّةِ ، رُبَّمَا  
 أَمْتَحَسَنَهَا وَقَبَلَهَا ، وَحَسَنَ أَعْتِقَادَهُ فِيهَا ، فَيَسَارِعُ إِلَى

قَبُولِ بَاطِلِهِمُ الْمَمْرُوجِ بِهِ لِحُسْنِ ظَنِّ حَصَلِ فِيمَا رَأَاهُ  
وَأَسْتَحْسَنَهُ ، وَذَلِكَ نَوْعُ اسْتِدْرَاجٍ إِلَى الْبَاطِلِ .

وَلِاجْلِ هَذِهِ الْآفَةِ يَجِبُ الزَّجْرُ عَنِ مُطَالَعَةِ كُتُبِهِمْ

لِإِذَا فِيهَا مِنَ الْعَدْرِ وَالْخَطَرِ ، وَكَمَا يَجِبُ صَوْنُ مَنْ

لَا يُحْسِنُ السَّبَاحَةَ عَنِ مَزَاقِ الشُّطُوطِ <sup>(١)</sup> ، يَجِبُ صَوْنُ

الْخَلْقِ عَنِ مُطَالَعَةِ تِلْكَ الْكُتُبِ ، وَكَمَا يَجِبُ صَوْنُ

الصَّبِيَّانِ عَنِ مَسِّ الْحَيَّاتِ ، يَجِبُ صَوْنُ الْأَسْمَاعِ مِنْ

مُخْتَلِطِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ ، وَكَمَا يَجِبُ عَلَى الْمُعَزَّمِ الْأَ

يَمَسُّ الْحَيَّةَ بَيْنَ يَدَيْ وَلَدِهِ الْوَلَدِ الْوَلَدِ ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ سَيَقْتَدِي

بِهِ وَيَظُنُّ أَنَّهُ مِثْلُهُ ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَذِّرَهُ مِنْهُ بِأَنْ

يُحَذِّرَ هُوَ فِي نَفْسِهِ وَلَا يَمَسَّهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَكَذَلِكَ

يَجِبُ عَلَى الْعَالِمِ الرَّاسِخِ مِثْلُهُ وَكَمَا أَنَّ الْمُعَزَّمِ الْحَادِقِ

إِذَا أَخَذَ الْحَيَّةَ وَمَيَّزَ بَيْنَ التَّرْيَاقِ <sup>(٢)</sup> وَالسَّمِّ ، فَاسْتَخْرَجَ

مِنْهُ التَّرْيَاقَ وَأَبْطَلَ السَّمَّ ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَشِيعَ بِالتَّرْيَاقِ

(١) الشطوط جمع شط (٢) الترياق دواء يبطل فعل السموم

عَلَى الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ . وَكَذَلِكَ الصَّرَافُ النَّافِدُ الْبَصِيرُ ، إِذَا  
أَدْخَلَ يَدَهُ فِي كَيْسِ الْقَلَابِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْإِبْرِيذَ  
الْخَالِصَ ، وَأَطْرَحَ الزَّيْفَ وَالْبَهْرَجَ ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَشَحَّ  
بِالْجَيْدِ الْمَرْضِيِّ عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، كَذَلِكَ الْعَالِمُ .  
وَكَأَنَّ الْمُحْتَاجَ إِلَى التَّرْيَاقِ ، إِذَا أَشْمَزَتْ نَفْسُهُ مِنْهُ  
حَيْثُ عَلِمَ أَنَّهُ مُسْتَخْرَجٌ مِنَ الْحَيَّةِ الَّتِي هِيَ مَرَكُزُ  
السُّمِّ وَجَبَ تَعْرِيفُهُ . وَالْفَقِيرُ الْمُضْطَّرُّ إِلَى الْمَالِ ، إِذَا  
تَفَرَّعَ عَنِ قَبُولِ الذَّهَبِ الْمُسْتَخْرَجِ مِنْ كَيْسِ الْقَلَابِ ،  
وَجَبَ تَنْبِيهُهُ عَلَى أَنْ تُفَرِّتَهُ جَهْلٌ مُحْضٌ ، هُوَ سَبَبُ  
حِرْمَانِهِ الْفَائِدَةِ الَّتِي هِيَ مَطْلَبُهُ ، وَيَخْتِمُ تَعْرِيفُهُ  
أَنْ قُرْبَ الْجَوَارِ بَيْنَ الزَّيْفِ وَالْجَيْدِ لَا يَجْعَلُ الْجَيْدَ زَيْفًا ،  
كَمَا لَا يَجْعَلُ الزَّيْفَ جَيْدًا . فَكَذَلِكَ قُرْبُ الْجَوَارِ بَيْنَ  
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، لَا يَجْعَلُ الْحَقَّ بَاطِلًا ، كَمَا لَا يَجْعَلُ  
الْبَاطِلَ حَقًّا .

فَهَذَا مِقْدَارُ مَا رَدْنَا ذِكْرَهُ مِنْ آفَةِ الْفَلَسَفَةِ وَغَائِلَتِهَا

\* \* \*

٣ - مَذْهَبُ التَّعْلِيمِ (١) وَغَائِلَتُهُ

مذهب التعلیم  
وغائلته

ثُمَّ إِنِّي لَمَافَرَعْتُ مِنْ عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ وَتَحْصِيلِهِ وَتَفْهِيمِهِ  
وَتَرْيِيفِ مَا يُزَيِّفُ مِنْهُ ، عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا غَيْرٌ وَافٍ  
بِكَمَالِ الْغَرَضِ ، وَأَنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا بِالْإِحَاطَةِ  
بِجَمِيعِ الْمَطَالِبِ ، وَلَا كَاشِفًا لِلْغِطَاءِ عَنْ جَمِيعِ الْمُعْضَلَاتِ  
وَكَانَ قَدْ نَبَغَتْ نَابِغَةُ التَّعْلِيمِيَّةِ ، وَشَاعَ بَيْنَ الْخَلْقِ  
تَحَدُّثُهُمْ بِمَعْرِفَةِ مَعْنَى الْأُمُورِ مِنْ جِهَةِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ  
الْقَائِمِ بِالْحَقِّ ، عَنِّي لِي أَنَّ أُنْبَحَثَ عَنْ مَقَالَاتِهِمْ ، لِأَطْلَعُ  
عَلَى مَا فِي كُتُبِهِمْ . ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ وَرَدَ عَلَيَّ أَمْرٌ جَازِمٌ مِنْ  
حَضْرَةِ الْخُلَافَةِ ، بِتَصْنِيفِ كِتَابٍ يَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَةِ  
مَذْهَبِهِمْ . فَلَمَّ يَسَعْنِي مُدَافَعَتُهُ ، وَصَارَ ذَلِكَ مُسْتَحْتَجًّا مِنْ  
خَارِجٍ ، ضَمِيمَةً لِلْبَاعِثِ الْأَصْلِيِّ مِنَ الْبَاطِلِ ، فَابْتَدَأْتُ  
بِطَلَبِ كُتُبِهِمْ وَجَمْعِ مَقَالَاتِهِمْ . وَكَانَ قَدْ بَلَغَنِي بَعْضُ

(١) مذهب التعلیم ، ويدعی الباطنیة وهو عقیده إحدى الفرق التي  
نسب نفسها إلى إسماعیل بن جعفر الصادق ولذلك یسمون أنفسهم الإسماعیلیة  
وكان بدء ظهورهم دینیا محضاً، ثم اصطبغوا صبغة سياسية حتى خشی منهم  
على مركز الخلافة فأخذ في مناهضتهم .

كَلِمَاتِهِمُ الْمُسْتَحْدَثَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا خَوَاطِرُ أَهْلِ الْعَصْرِ ،  
لَا عَلَى الْمِنَاجِجِ الْمَهُودِ مِنْ سَلَفِهِمْ . فَجَمَعْتُ تِلْكَ  
الْكَلِمَاتِ ، وَرَتَّبْتُهَا تَرْتِيبًا مُحْكَمًا مُقَارِنًا لِلتَّحْقِيقِ ،  
وَاسْتَوْفَيْتُ الْجَوَابَ عَنْهَا ، حَتَّى أَنْكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَقِّ  
مِنِّي مُبَالَغَتِي فِي تَقْرِيرِ حُجَّتِهِمْ ، وَقَالَ : « هَذَا سَعْيٌ  
لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْجِزُونَ عَنْ نُصْرَةِ مَذْهَبِهِمْ لِمِثْلِ هَذِهِ  
الشُّبُهَاتِ لَوْلَا تَحْقِيقُكَ لَهَا ، وَتَرْتِيبُكَ إِيَّاهَا » وَهَذَا  
الْإِنْكَارُ مِنْ وَجْهِ حَقٍّ ، فَلَقَدْ أَنْكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (١)  
عَلَى الْحَارِثِ الْمُحَاسِنِيِّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - تَصْنِيفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى  
الْمُعْتَزَلَةِ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : « الرَّدُّ عَلَى الْبِدْعَةِ فَرَضٌ »  
فَقَالَ أَحْمَدُ : « نَعَمْ ، وَلَكِنْ حَاكَيْتَ شُبُهَتَهُمْ أَوْلَا ،  
ثُمَّ أَجَبْتَ عَنْهَا ، فَبِمَ تَأْمَنُ أَنْ يُطَالَعَ الشُّبُهَةُ مَنْ يَعْلَقُ  
ذَلِكَ بِفَهْمِهِ ، وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْجَوَابِ ، أَوْ يَنْظُرَ إِلَى

(١) هو أحد الأئمة الأربعة كان شديدا على المعتزلة فعذب من أجل ذلك أيام المأمون ابان سطوتهم وسلطانهم ، ولد سنة ١٦٤ هـ . وتوفي سنة ٢٤١ .

الْجَوَابِ ، وَلَا يَفْهَمُ كُنْهَهُ ؟ »

وَمَاذَكَرَهُ أَحْمَدُ حَقًّا ، وَلَكِنْ فِي شُبْهَةٍ لَمْ تَنْدَشِرْ  
وَلَمْ تَشْتَهَرْ ، فَأَمَّا إِذَا انْتَشَرَتْ ، فَالْجَوَابُ عَنْهَا وَاجِبٌ  
وَلَا يُمَكِّنُ الْجَوَابُ عَنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْحِكَايَةِ . نَعَمْ ،  
يَنْبَغِي إِلَّا يَتَكَلَّفَ لَهُمْ شُبْهَةٌ لَمْ يُتَكَلَّفْ إِيْرَادُهَا ،  
وَلَمْ أَتَكَلَّفْ أَنَا ذَلِكَ ، بَلْ كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ تِلْكَ الشُّبْهَةَ  
مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي الْمُخْتَلِفِينَ <sup>(١)</sup> إِلَيَّ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ  
قَدْ التَّحَقَّقَ بِهِمْ ، وَأَتَّحَلَ مَذْهَبَهُمْ ، وَحَاكَى أَنَّهُمْ  
يَضْحَكُونَ عَلَى تَصَانِيفِ الْمُصَنِّفِينَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ ،  
فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا بَعْدَ حُجَّتِهِمْ ، وَذَكَرَ تِلْكَ الْحُجَّةَ  
وَحَاكَاهَا عَنْهُمْ ، فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي أَنْ يُظَنَّ بِي الْغَفْلَةَ  
عَنْ أَصْلِ حُجَّتِهِمْ ، فَلِذَلِكَ أوردتها ، وَلَا أَنْ يُظَنَّ بِي أَنِّي  
وَإِنْ سَمِعْتُهَا فَلَمْ أَفِيْمَهَا ، فَلِذَلِكَ قَرَرْتُهَا .

وَالْمَقْصُودُ ، أَنِّي قَرَرْتُ شُبْهَتَهُمْ إِلَى أَقْصَى الْإِمْكَانِ  
ثُمَّ أَظْهَرْتُ فَسَادَهَا بِغَايَةِ الْبُرْهَانِ .

(١) المختلفين إلى : أي المترددين

وَالْحَاصِلُ : أَنَّهُ لَا حَاصِلَ عِنْدَ هُوَؤَلَاءِ وَلَا طَائِلَ  
لِكَلَامِهِمْ . وَلَوْلَا سُوءُ نَصْرَةِ الصِّدِّيقِ الْجَاهِلِ ، لَمَا  
انْتَهَتْ تِلْكَ الْبِدْعَةُ مَعَ ضَعْفِهَا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، وَلَسَكِنَّ  
شِدَّةَ التَّعَصُّبِ ، دَعَتْ الذَّائِبِينَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى تَطْوِيلِ  
النِّزَاعِ مَعَهُمْ فِي مُقَدِّمَاتِ كَلَامِهِمْ ، وَإِلَى مُجَادَّتِهِمْ فِي  
كُلِّ مَا نَظَفُوا بِهِ ، فَجَادُّوهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ : « الْحَاجَةُ  
إِلَى التَّمْلِيمِ وَالْمُعَلِّمِ » ، وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُ : « لَا يَصْلُحُ كُلُّ مُعَلِّمٍ  
بَلَّ لَابُدَّ مِنْ مُعَلِّمٍ مَعْصُومٍ » . وَظَهَرَتْ حُجَّتُهُمْ فِي إِظْهَارِ  
الْحَاجَةِ إِلَى التَّمْلِيمِ وَالْمُعَلِّمِ ، وَضَعْفَ قَوْلِ الْمُنْكَرِينَ فِي  
مُقَابَلَتِهِ ، فَأَعْتَرَّ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ مَذْهَبِهِمْ  
وَضَعْفِ مَذْهَبِ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ ، وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ ذَلِكَ  
لِضَعْفِ نَاصِرِ الْحَقِّ وَجَهْلِهِ بِطَرِيقِهِ بَلِ الصَّوَابِ الْإِعْتِرَافِ  
بِالْحَاجَةِ إِلَى الْمُعَلِّمِ ، وَأَنَّهُ لَابُدَّ وَأَنَّ يَكُونُ الْمُعَلِّمُ مَعْصُومًا <sup>(١)</sup>

(١) المعصوم : من لا يرتكب الخطأ . والعصمة : صفة توجب لصاحبها  
التنزه عن الخطايا ، ولا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام ، وهل تثبت لهم  
بعد النبوة أو قبلها قولان ، ثالثها أنهم معصومون قبل النبوة عن الكبائر  
جميعها وعن الصغائر الحبيسة المزرية بالشرف ، وأما بعدها فمعصومون  
مطلقا عن كل صغيرة وكبيرة ، وهذا هو الأرجح من أقوال أهل السنة



وَلَكِنَّ مُعَلِّمَنَا الْمَعْصُومَ هُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَإِذَا  
قَالُوا « هُوَ مَيِّتٌ » . فنقولُ : « فَمُعَلِّمُكُمْ غَائِبٌ » .  
فَإِذَا قَالُوا : « مُعَلِّمَنَا قَدْ عَلَّمَ الدُّعَاةَ وَبَثَّهُمْ فِي الْبِلَادِ ،  
وَهُوَ يَنْتَظِرُ مُرَاجَعَتَهُمْ إِنْ اِخْتَلَفُوا أَوْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ  
مُشْكِلٌ » . فنقولُ : « وَمُعَلِّمَنَا قَدْ عَلَّمَ الدُّعَاةَ وَبَثَّهُمْ  
فِي الْبِلَادِ وَأَكْمَلَ التَّعْلِيمَ ، إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « الْيَوْمَ  
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » .  
وَبَعْدَ كَمَالِ التَّعْلِيمِ لَا يَضُرُّ مَوْتَ الْمُعَلِّمِ ، كَمَا لَا يَضُرُّ  
غَيْبَتَهُ .

فَبَقِيَ قَوْلُهُمْ : « كَيْفَ تَحْكُمُونَ فِيمَا لَمْ تَسْمَعُوهُ ؟  
أَبِالنَّصِّ وَلَمْ تَسْمَعُوهُ ؟ أَمْ بِالِاجْتِهَادِ وَالرَّأْيِ وَهُوَ مَظَنَّةٌ  
أَخْلَافٍ ؟ » فنقولُ : « نَفْعَلُ مَا فَعَلَهُ مُعَاذٌ <sup>(١)</sup> إِذْ بَعَثَهُ

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الحزرجي ، كان  
أبيض وضيء الوجه جميلاً ، شهد بدرًا وهو ابن إحدى وعشرين سنة ،  
وأمره النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن وأوصاه بوصيته المشهورة ،  
كان من أفضل شباب الأنصار حياءً وسخاءً ، وعن عمر ، « عجزت  
النساء أن يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر » وكانت وفاته بالطاعون  
سنة سبع عشرة ولم يبلغ الأربعين

رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْيَمَنِ : أَنْ نَحْكُمَ بِالنَّصِّ  
عِنْدَ وُجُودِ النَّصِّ ، وَبِالْإِجْتِهَادِ عِنْدَ عَدَمِهِ . بَلْ كَمَا  
يَفْعَلُهُ دُعَاتُهُمْ إِذَا بَعُدُوا عَنِ الْإِمَامِ إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ ،  
إِذَا لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِالنَّصِّ ، فَإِنَّ النُّصُوصَ  
الْمُتَنَاهِيَةَ لَا تَسْتَوْعِبُ الْوَقَائِعَ الْغَيْرَ الْمُتَنَاهِيَةَ ، وَلَا  
يُمْكِنُهُ الرُّجُوعُ فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ إِلَى بَلَدَةِ الْإِمَامِ ، وَإِلَى  
أَنْ يَقْطَعَ الْمَسَافَةَ وَيَرْجِعَ فَيَكُونَ الْمُسْتَفْتَى قَدِمَاتَ ،  
وَقَاتَ الْإِنْتِفَاعُ بِالرُّجُوعِ . فَمَنْ أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ  
لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَّا أَنْ يُصَلِّيَ بِالْإِجْتِهَادِ ، إِذْ لَوْ سَافَرَ  
إِلَى بَلَدَةِ الْإِمَامِ لِمَعْرِفَةِ الْقِبْلَةِ ، لَفَاتَ وَقْتُ الصَّلَاةِ ،  
فَإِذَنْ جَازَتْ الصَّلَاةُ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ بِنَاءً عَلَى الظَّنِّ . وَيُقَالُ :  
« إِنَّ الْمُخْطِئَ فِي الْإِجْتِهَادِ لَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَلِلْمُصِيبِ  
أَجْرَانِ » ، فَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمُجْتَهَدَاتِ ، وَكَذَلِكَ  
أَمْرٌ صَرَفَ الزَّكَاةَ إِلَى الْفَقِيرِ ، وَرُبَّمَا يَظُنُّهُ فَقِيرًا  
بِاجْتِهَادِهِ وَهُوَ غَنِيٌّ بَاطِنًا بِإِخْفَائِهِ مَالَهُ ، وَلَا يَكُونُ

هُوَ مُوَآخِذَا بِهِ وَإِنْ أَخْطَأَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُوَآخِذْ إِلَّا بِمُوجِبِ  
ظَنِّهِ ، فَإِنْ قَالَ : « ظَنْ مُخَالَفِهِ كَظَنِّهِ » . فَنَقُولُ : « هُوَ  
مَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِ ظَنْ نَفْسِهِ ، كَالْمُجْتَهِدِ فِي الْقِبْلَةِ يَتَّبِعُ ظَنْ نَفْسِهِ  
وَإِنْ خَالَفَهُ غَيْرُهُ » . وَإِنْ قَالَ : « فَالْمُقَلِّدُ يَتَّبِعُ  
أَبَا حَنِيفَةَ <sup>(١)</sup> وَالشَّافِعِيَّ <sup>(٢)</sup> - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - أَوْ غَيْرَهُمَا »  
فَأَقُولُ : « فَالْمُقَلِّدُ فِي الْقِبْلَةِ عِنْدَ الْأَشْتِبَاهِ ، إِذَا اخْتَلَفَ  
عَلَيْهِ الْمُجْتَهِدُونَ ، كَيْفَ يَصْنَعُ بِهِ » فَيَقُولُ : « لَهُ مَعَ  
نَفْسِهِ اجْتِهَادٌ فِي مَعْرِفَةِ الْأَفْضَلِ الْأَعْلَمِ بِدَلَالِ الْقِبْلَةِ ،  
فَيَتَّبِعُ ذَلِكَ الْاجْتِهَادَ ، فَكَذَلِكَ فِي الْمَذَاهِبِ » .  
فَرَدَّ أَخْلُقَ إِلَى الْاجْتِهَادِ - صَرُورَةَ - الْأَنْبِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ  
مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ قَدْ يُخْطِئُونَ ، بَلْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ : « أَنَا أَحْكَمُ بِالظَّاهِرِ وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ » <sup>(٣)</sup>

(١) هو الامام الأعظم فارسي الاصل نشأ بالكوفة وعاصر بعض الصحابة . رضى أن يعيش تاجر خز ورغب عن القضاء ووظائف الملوك والامراء ولد سنة ٨٠ وتوفى عام ١٥٠ (٢) هو الامام المعروف ولد بغزة سنة ١٥٠ ومات سنة ٢٠٤ وهو أنبغ سلالة قریش بعد عصر الصحابة كان واسع العلم بالكتاب والسنة ضليعا باللغة العربية (٣) ليس في كتب السنة هذا القول وإن ذكره الفقهاء

أَيُّ أَنَا أَحْكَمُ بِغَالِبِ الظَّنِّ الْخَاصِلِ مِنْ قَوْلِ الشُّهُودِ ،  
وَرُبَّمَا أَخْطَأُوا فِيهِ . وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْأَمْنِ مِنْ ائْخَاطِ  
لِلْأَنْبِيَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُجْتَهِدَاتِ فَكَيْفَ نَطْمَعُ فِي ذَلِكَ ؟  
وَلَهُمْ هَهُنَا سُؤَالَانِ : أَحَدُهُمَا قَوْلُهُمْ هَذَا ، وَإِنْ  
صَحَّ فِي الْمُجْتَهِدَاتِ فَلَا يَصِحُّ فِي قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ ، إِذِ  
الْمُخْطِئُ فِيهِ غَيْرُ مَعْدُورٍ ، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ ؟ فَأَقُولُ :  
« قَوَاعِدُ الْعَقَائِدِ يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ، وَمَا  
وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَالْمُتَنَازَعُ فِيهِ ، يُعْرَفُ أَحَقُّ  
فِيهِ بِالْوِزْنِ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهِيَ الْمَوَازِينُ الَّتِي  
ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، وَهِيَ خَمْسَةٌ ذَكَرْتَهَا فِي  
كِتَابِ « الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ » . فَإِنْ قَالَ : « خُصُومُكَ  
يُخَالِفُونَكَ فِي ذَلِكَ الْمِيزَانِ » . فَأَقُولُ : « لَا يَتَصَوَّرُ  
أَنْ يُفْهَمَ ذَلِكَ الْمِيزَانُ ثُمَّ يُخَالَفُ فِيهِ إِذْ لَا يُخَالَفُ فِيهِ  
أَهْلُ التَّعْلِيمِ ، لِأَنِّي اسْتَخْرَجْتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَتَعَلَّمْتُهُ مِنْهُ  
وَلَا يُخَالَفُ فِيهِ أَهْلُ الْمَنْطِقِ ، لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِمَا شَرَطَرُهُ

فِي الْمَنْطِقِ ، غَيْرُ مُخَافٍ لَهُ ، وَلَا يُخَافُ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُ  
لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لِمَا يَذْكَرُهُ فِي أُدِلَّةِ النَّظَرِيَّاتِ ، وَبِهِ يُعْرَفُ  
الْحَقُّ فِي الْكَلَامِيَّاتِ . فَإِنْ قَالَ : « فَإِنْ كَانَ فِي يَدِكَ  
مِثْلُ هَذَا الْمِيزَانِ ، فَلِمَ لَا تَرْفَعُ الْخِلَافَ بَيْنَ الْخَلْقِ ؟ »  
فَأَقُولُ : « لَوْ أَصْعَوْا إِلَى لَرْفَعْتَ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ ، وَذَكَرْتُ  
طَرِيقَ رَفْعِ الْخِلَافِ فِي كِتَابِ « الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ »  
فَتَأَمَّلْهُ لَتَعْلَمَ أَنَّهُ حَقٌّ وَأَنَّهُ يَرْفَعُ الْخِلَافَ قِطْعًا لَوْ  
أَصْعَوْا ، وَلَا يُصْعُونَ إِلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ ! بَلْ قَدْ أَصْعَى إِلَى  
طَائِفَةٍ ، فَرَفَعْتُ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ . وَإِمَامُكَ يُرِيدُ رَفْعَ  
الْخِلَافِ بَيْنَهُمْ مَعَ عَدَمِ إِصْعَائِهِمْ ، فَلِمَ لَمْ يُرْفَعِ إِلَى  
الْآنِ ؟ وَلِمَ لَمْ يُرْفَعِ <sup>(١)</sup> عَلَيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ رَأْسُ  
الْأُمَّةِ ؟ أَوْ يَدْعَى أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ كَافَتِهِمْ عَلَى الْإِصْعَاءِ  
قَهْرًا ، فَلِمَ لَمْ يَحْمِلْهُمْ إِلَى الْآنِ ؟ وَلاَئِي يَوْمٍ أَجَلُهُ ؟ وَهَلْ  
حَصَلَ بَيْنَ الْخَلْقِ بِسَبَبِ دَعْوَتِهِ إِلَّا زِيَادَةُ خِلَافٍ وَزِيَادَةُ

(١) لم لم يرفع : هكذا بالاصل ، والاصل يرفعه ليعود الضمير إلى الخلاف

مُخَالَفٍ؟ نَعَمْ! كَانَ يُخْشَى مِنَ الْخِلَافِ نَوْعٌ مِنَ الضَّرَرِ  
لَا يَنْتَهِي إِلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ، وَتَخْرِيبِ الْبِلَادِ، وَإِيْتَامِ  
الْأَوْلَادِ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَالْإِغَارَةِ عَلَى الْأَمْوَالِ. وَقَدْ  
حَدَّثَ فِي الْعَالَمِ مِنْ بَرَكَاتِ فَيُعَلِّمُ الْخِلَافُ مِنَ الْخِلَافِ  
مَا لَمْ يَكُنْ بِمِثْلِهِ عَهْدٌ. «فَإِنْ قَالَ: «أَدْعَيْتَ أَنَّكَ  
تَرْفَعُ الْخِلَافَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَلَكِنَّ الْمُتَحَيِّرَ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ  
الْمُتَعَارِضَةِ، وَالْإِخْتِلَافَاتِ الْمُتَقَابِلَةِ، أَمْ يَلْزَمُهُ الْإِصْغَاءُ  
إِلَيْكَ دُونَ خَصْمِكَ وَأَكْثَرُ الْخُصُومِ يُخَالِفُونَكَ، وَلَا  
فَرَقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ»، وَهَذَا هُوَ سُؤَالُهُمُ الثَّانِي، فَأَقُولُ:  
«هَذَا أَوْ لَا يَنْقَلِبُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ إِذَا دَعَوْتَ هَذَا الْمُتَحَيِّرَ  
إِلَى نَفْسِكَ، فَيَقُولُ الْمُتَحَيِّرُ: بِمِ صِرْتِ أَوْلَى مِنْ  
مُخَالَفَتِكَ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ يُخَالِفُونَكَ؟ فَلَيْتَ شِعْرِي!  
بِمَاذَا تُجِيبُ؟ أَتُجِيبُ بِأَنْ تَقُولَ: إِمَامِي مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ؟  
فَمَنْ يُصَدِّقُكَ فِي دَعْوَى النَّصِّ، وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْ النَّصَّ  
مِنَ الرَّسُولِ؟ وَإِنَّمَا يَسْمَعُ دَعْوَاكَ مَعَ تَطَابُقِ أَهْلِ الْعِلْمِ

عَلَىٰ اخْتِرَائِكَ وَتَكْذِيبِكَ . ثُمَّ هَبْ أَنَّهُ سَلَّمَ لَكَ النَّصَّ  
فَإِنْ كَانَ مُتَحَيِّرًا فِي أَصْلِ النُّبُوَّةِ ، فَقَالَ : هَبْ أَنْ إِمَامَكَ  
يُدْنِي بِمُعْجِزَةِ عَيْسَىٰ فَيَقُولُ : الدَّلِيلُ عَلَىٰ صِدْقِ أَنِّي أَحْيَىٰ  
أَبَاكَ ، وَأَحْيَاهُ ، فَنَاطِقُنِي بِأَنَّهُ مُحِقٌّ ، فَبِمَاذَا أَعْلَمُ صِدْقَهُ ؟  
وَلَمْ يَعْرِفْ كَافَّةً الْخَلْقِ صِدْقَ عَيْسَىٰ بِهَذِهِ الْمُعْجِزَةِ ، بَلْ  
عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْئَلَةِ الْمَشْكَلَةِ مَا لَا يُدْفَعُ إِلَّا بِدَقِيقِ النَّظَرِ  
الْعَقْلِيِّ ، وَالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ لَا يُوثَقُ بِهِ عِنْدَكَ ، وَلَا يَعْرِفُ  
دِلَالَةَ الْمُعْجِزَةِ عَلَىٰ الصِّدْقِ مَا لَمْ يَعْرِفِ السَّحْرَ وَالتَّمْيِيزَ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعْجِزَةِ ، وَمَا لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عِبَادَهُ  
- وَسُؤَالُ الْإِضْلَالِ وَعُسْرُ تَحْرِيرِ الْجَوَابِ عَنْهُ مَشْهُورٌ -  
فَبِمَاذَا تَدْفَعُ جَمِيعَ ذَلِكَ ؟ وَلَمْ يَكُنْ إِمَامَكَ أُولَىٰ بِالْمُتَابَعَةِ  
مِنْ مُخَالَفِهِ ! فَيَرْجِعُ إِلَىٰ الْأَدِلَّةِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي يُنْكِرُهَا  
وَخَصَمُهُ يُدْنِي بِمِثْلِ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ وَأَوْضَحَ مِنْهَا . وَهَذَا  
السُّؤَالُ قَدْ انْقَلَبَ عَلَيْهِمْ انْقِلَابًا عَظِيمًا ، لَوْ اجْتَمَعَ أَوْلَاهُمْ  
وَآخِرُهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُجِيبُوا عَنْهُ جَوَابًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ .  
( ١٠ - النزالي - ثالث )

وَإِنَّمَا نَشَأُ الْفَسَادُ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الضَّعْفَةِ نَظَرُوا وَهُمْ ،  
فَلَمْ يَشْتَعِلُوا بِالْقَلْبِ ، بَلْ بِالْجَوَابِ ، وَذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ  
فِيهِ الْكَلَامُ ، وَلَا يَسْبِقُ سَرِيعًا إِلَى الْأَفْهَامِ ، فَلَا يَصْلُحُ  
لِلْإِفْحَامِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : « فَهَذَا هُوَ الْقَلْبُ ، فَهَلْ عَنْهُ  
جَوَابٌ ؟ » فَأَقُولُ : « نَعَمْ ! جَوَابُهُ أَنَّ الْمُتَحِيرَ لَوْ قَالَ  
أَنَا مُتَحِيرٌ ، وَلَمْ يُعَيِّنِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي هُوَ مُتَحِيرٌ فِيهَا ،  
يُقَالُ لَهُ : أَنْتَ كَمَرِيضٍ يَقُولُ : أَنَا مَرِيضٌ ، وَلَا يَذْكُرُ  
عَيْنَ مَرَضِهِ ، وَيَطْلُبُ عِلَاجَهُ » فَيُقَالُ لَهُ : « لَيْسَ فِي  
الْوُجُودِ عِلَاجٌ لِلْمَرَضِ الْمُطْلَقِ ، بَلْ لِمَرَضٍ مُعَيَّنٍ : مِنْ  
صُدَاعٍ أَوْ إِسْهَالٍ أَوْ غَيْرِهِمَا » . فَكَذَلِكَ الْمُتَحِيرُ يَنْبَغِي  
أَنْ يُعَيِّنَ مَا هُوَ مُتَحِيرٌ فِيهِ ، فَإِنْ عَيَّنَ الْمَسْأَلَةَ عَرَفَتْهُ  
الْحَقُّ فِيهَا بِالْوِزْنِ بِالْمَوَازِينِ الْخَمْسَةِ ، الَّتِي لَا يَفْهَمُهَا  
أَحَدٌ إِلَّا وَيَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ الْمِيزَانُ الْحَقُّ ، الَّذِي يُوثَقُ  
بِكُلِّ مَا يُوزَنُ بِهِ ، فَيَفْهَمُ الْمِيزَانَ ، وَيَفْهَمُ أَيْضًا مِنْ  
صِحَّةِ الْوِزْنِ ، كَمَا يَفْهَمُ مُتَعَلِّمُ الْحِسَابِ نَفْسَ الْحِسَابِ ،



وَ كَوْنِ الْمُحَاسِبِ الْمُعَلِّمِ عَالِمًا بِالْحِسَابِ وَ صَادِقًا فِيهِ .  
وَ قَدْ أَوْضَحْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « الْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ »  
فِي مِقْدَارِ عِشْرِينَ وَرَقَةً ، فَلْيَتَأَمَّلْ .

وَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ الْآنَ بَيَانُ فِسَادِ مَذْهَبِهِمْ ، فَقَدْ  
ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ « الْمُسْتَظْهِرِيِّ » أَوَّلًا ، وَ فِي  
كِتَابِ « حُجَّةِ الْحَقِّ » ثَانِيًا ، وَ هُوَ جَوَابُ كَلَامِ لَهُمْ  
عَرِضَ عَلِيٍّ بِيَعْدَادَ ، وَ فِي كِتَابِ « مُفَصَّلِ الْخِلَافِ »  
الَّذِي هُوَ اثْنَا عَشَرَ فَصْلًا ثَالِثًا ، وَ هُوَ جَوَابُ كَلَامِ عَرِضِ  
عَلِيٍّ بِهَمْدَانَ ، وَ فِي كِتَابِ « الدَّرَجِ » الْمَرْقُومِ « بِالْجَدَاوِلِ »  
رَابِعًا ، وَ هُوَ مِنْ رَفِيقِ كَلَامِهِمْ الَّذِي عَرِضَ عَلِيٌّ بِطُوسِ  
وَ فِي كِتَابِ « الْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ » خَامِسًا ، وَ هُوَ كِتَابُ  
مُسْتَقِلِّ بِنَفْسِهِ ، مَقْصُودُهُ بَيَانُ مِيزَانِ الْعُلُومِ ، وَ إِظْهَارُ  
الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ لِمَنْ أَحَاطَ بِهِ .

بَلِ الْمَقْصُودُ أَنْ هُوَ لَاءَ ، لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الشُّفَاءِ  
الْمُنْجِي مِنَ ظُلُمَاتِ الْآرَاءِ ، بَلْ هُمْ مَعَ عَجْزِهِمْ عَنِ

إِقَامَةِ الْبُرْهَانِ عَلَى تَعْيِينِ الْإِمَامِ ، طَالَمَا جَارَيْنَاهُمْ فَصَدَّقْنَاهُمْ  
فِي الْحَاجَةِ إِلَى التَّعْلِيمِ ، وَإِلَى الْمُعَلِّمِ الْمَعْصُومِ ، وَأَنَّهُ  
الَّذِي عَيَّنُوهُ ، ثُمَّ سَأَلْنَاهُمْ عَنِ الْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمُوهُ مِنْ  
هَذَا الْمَعْصُومِ ، وَعَرَضْنَا عَلَيْهِمْ إِشْكَالَاتٍ فَلَمْ يَفْهَمُوهَا ،  
فَضَلَّاهُ عَنِ الْقِيَامِ بِحِلَّتِهَا ! فَلَمَّا عَجَزُوا أَحَالُوا عَلَى الْإِمَامِ  
الْغَائِبِ ، وَقَالُوا : « إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ السَّفَرِ إِلَيْهِ » . وَالْعَجَبُ  
أَنَّهُمْ ضَيَعُوا عُمْرَهُمْ فِي طَلَبِ الْمُعَلِّمِ ، وَفِي التَّبَجُّحِ بِالظَّفَرِ  
بِهِ وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا مِنْهُ شَيْئًا أَصْلًا ، كَالْمُتَضَمِّخِ بِالنَّجَاسَةِ  
يَتَعَبُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ ، وَبَقِيَ  
مُتَضَمِّخًا بِالْغَبَابَةِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِمْ ، فَكَانَ حَاصِلُ  
مَا ذَكَرَهُ شَيْئًا مِنْ رَكِيكِ فِلْسَفَةِ فَيْثَاغُورَسَ<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ  
رَجُلٌ مِنْ قَدَمَاءِ الْأَوَائِلِ ، وَمَذْهَبُهُ أَرْكَ مَذَاهِبِ الْفِلَاسِفَةِ  
وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَرِسْطَاطَالِيسُ ، بَلِ اسْتَرَكَّ كَلَامَهُ وَأَسْتَرَدَلَّهُ ،

(١) أحد فلاسفة الاغريق

وَهُوَ الْمَحْكِيُّ فِي كِتَابِ « إِخْوَانِ الصِّفَا » ، وَهُوَ عَلَى  
التَّحْقِيقِ حَشْوُ الْفَلَسَفَةِ .

فَالْمَجِبُ مِمَّنْ يَتَعَبُ طَوْلَ الْعُمُرِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ثُمَّ  
يَقْنَعُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْعِلْمِ الرَّكِيكِ الْمُسْتَنْتِ ، وَيَظُنُّ بِأَنَّهُ  
ظَفِرٌ بِأَقْصَى مَقَاصِدِ الْعُلُومِ ! فَهَوَّءَ لَأَيْضًا جَرَّ بِنَاهُمْ  
وَسَبَرْنَا ظَاهِرَهُمْ وَبَاطِنَهُمْ ؛ فَرَجَعَ حَاصِلُهُمْ إِلَى اسْتِدْرَاجِ  
الْعَوَامِّ ، وَضَعْفَاءِ الْعُقُولِ بَيَانِ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَعْلَمِ وَمُجَادَلَتِهِمْ  
فِي إِنْكَارِهِمُ الْحَاجَةَ إِلَى التَّعْلِيمِ بِكَلَامٍ قَوِيٍّ مُفْجِعٍ ،  
حَتَّى إِذَا سَاعَدَهُمْ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَى الْمَعْلَمِ مُسَاعِدٌ ، وَقَالَ :  
« هَاتِ عِلْمَهُ وَأَفِيدْنَا مِنْ تَعْلِيمِهِ ! » وَقَفَ وَقَالَ : « الْآنَ  
إِذَا سَأَلْتَنِي هَذَا فَاطْلُبْنِي ، فَإِنَّمَا غَرَضِي هَذَا الْقَدْرُ فَقَطُّ »  
إِذْ عُلِمَ أَنَّهُ لَوْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ لَافْتَضَحَ وَلَمَجَزَ عَنْ حَلِّ أَدْنَى  
الْإِشْكَالَاتِ ، بَلْ عَجَزَ عَنْ فَهْمِهِ ، فَضَلَّاهُ عَنْ جَوَابِهِ .  
فَهَذِهِ حَقِيقَةُ حَالِهِمْ ، فَخَبِّرْهُمْ تَقْلَهُمْ <sup>(١)</sup> . فَلَمَّا  
خَبَرْنَا عَنْهُمْ نَقَضْنَا الْيَدَ عَنْهُمْ أَيْضًا .

(١) أى تبغضهم وتكرههم

\* \* \*

٤ - طُرُقُ الصُّوفِيَّةِ (١)

طريق الصوفية

ثُمَّ إِنِّي لَمَّا فَرَعْتُ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ ، أَقْبَلْتُ بِهِمَّتِي  
عَلَى طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ طَرِيقَهُمْ إِنَّمَا يَنْبَغُ بِعِلْمٍ  
وَعَمَلٍ ، وَكَانَ حَاصِلُ عَمَلِهِمْ قَطْعَ عَقَبَاتِ النَّفْسِ ، وَالْتِزَاهَ  
عَنْ أَخْلَاقِهَا الْمَذْمُومَةِ وَصِفَاتِهَا الْخَبِيثَةِ ، حَتَّى يُتَوَصَّلَ  
بِهَا إِلَى تَخْلِيَةِ الْقَلْبِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَحْلِيَّتِهِ  
بِذِكْرِ اللَّهِ .

وَكَانَ الْعِلْمُ أَيْسَرَ عَلَى مَنْ أَعْمَلَ ، فَأَبْتَدَأْتُ بِتَحْصِيلِ  
عِلْمِهِمْ مِنْ مُطَالَعَةِ كُتُبِهِمْ ، مِثْلُ : « قُوَّةِ الْقُلُوبِ »

(١) الصوفية : أهل التصوف ، والصوفي في عرفهم ، من فنى بنفسه ،  
ويبقى بالله تعالى ، مستخلصا من الطبائع ، متصلا بحقيقة الحقائق ، وهو  
نسبة إلى الصوف ، لأنه كان شعارهم ، أو نسبة إلى الصفاء ، وعليه قوله :  
صافي فصوفي لهذا سمي الصوفي . أو نسبة إلى « سوقوس » بمعنى حكمة  
كاملة يونانية ، وعلم التصوف ، يبحث عن كيفية تطهير النفس والقلب  
من أدوائهما ، وإزالة كل ما فيهما من العسل بأدوية الشرع الشريف  
وحكمه وأسراره وما اشتمل عليه من عبادات ومعاملات .

(لِأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ) - رَحِمَهُ اللهُ - وَكُتِبَ (الْعَارِثِ  
الْمُحَاسِبِيِّ) ، وَالْمُتَّفَرِّقَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ (الْجَنِيدِ)  
وَ (الشُّبَلِيِّ) وَ (أَبِي يَزِيدِ الْبَسْطَامِيِّ) - قَدَّسَ اللهُ  
أَرْوَاحَهُمْ - ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ مَشَايِخِهِمْ ، حَتَّى أَطْلَعْتُ  
عَلَى كُنْهٍ مَقَاصِدِهِمْ الْعِلْمِيَّةِ ، وَحَصَلْتُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ  
يُحْصَلَ مِنْ طَرِيقِهِمْ بِالْتَعَلُّمِ وَالسَّمَاعِ . فَظَهَرَ لِي أَنَّ أَحْصَى  
خَوَاصَّهُمْ ، مَا لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِالتَّعَلُّمِ بَلْ بِالذَّوْقِ  
وَالْحَالِ وَتَبَدُّلِ الصِّفَاتِ ، وَكَمْ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ أَنْ يُعْلَمَ  
حَدُّ الصِّحَّةِ وَحَدُّ الشُّبَعِ ، وَأَسْبَابُهُمَا وَشُرُوطُهُمَا ، وَبَيْنَ  
أَنْ يَكُونَ صَاحِبًا وَشَبَعَانًا ! وَبَيْنَ أَنْ يُعْرِفَ حَدُّ  
السُّكْرِ ، وَأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ حَالَةٍ تَحْصُلُ مِنْ أُسْتِيلَاءِ  
أُبْجُرَةٍ تَتَصَاعَدُ مِنَ الْمَعِدَةِ عَلَى مَعَادِنِ الْفِكْرِ ، وَبَيْنَ أَنْ  
يَكُونَ سَكْرَانًا ! بَلِ السُّكْرَانُ لَا يُعْرِفُ حَدَّ السُّكْرِ ،  
وَعِلْمُهُ وَهُوَ سَكْرَانٌ وَمَا مَعَهُ مِنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ! وَالصَّاحِبِ  
يُعْرِفُ حَدَّ السُّكْرِ وَأَزْكَانَهُ وَمَا مَعَهُ مِنَ السُّكْرِ شَيْءٌ ؛

وَالطَّيِّبُ فِي حَالَةِ الْمَرَضِ يَعْرِفُ حَدَّ الصِّحَّةِ وَأَسْبَابَهَا  
وَأَدْوِيَّتَهَا ، وَهُوَ فَاقِدُ الصِّحَّةِ . فَكَذَلِكَ فَرَقَ بَيْنَ أَنْ  
تَعْرِفَ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ وَشُرُوطَهَا وَأَسْبَابَهَا ، وَيَبْزُ أَنْ يَكُونَ  
حَالِكَ الزُّهْدِ ، وَعُزُوفَ النَّفْسِ عَنِ الدُّنْيَا !

فَعَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّهُمْ أَرْبَابُ الْأَحْوَالِ ، لَا أَصْحَابُ  
الْأَقْوَالِ . وَأَنَّ مَا يُمَكِّنُ تَحْصِيلَهُ بِطَرِيقِ الْعِلْمِ فَقَدْ  
حَصَلَتْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا لَسَبِيلَ إِلَيْهِ بِالسَّمَاعِ وَالتَّعَلُّمِ  
بَلْ بِالدَّوْقِ وَالسُّلُوكِ . وَكَانَ قَدْ حَصَلَ مَعِيَ مِنَ الْعُلُومِ  
الَّتِي مَارَسْتُهَا ، وَالْمَسَالِكِ الَّتِي سَلَكَتُهَا ، فِي التَّفْتِيْشِ  
عَنْ صِنْفِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ إِيْمَانٌ يَقِينٌ بِاللَّهِ  
تَعَالَى ، وَبِالثَّبُوتِ ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ .

فَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْإِيْمَانِ كَانَتْ رَسَخَتْ فِي  
نَفْسِي ، بِدَلِيلٍ مُعَيَّنٍ مُحَرَّرٍ ، بَلْ بِأَسْبَابٍ وَقِرَائِنٍ وَتَجَارِيِبَ  
لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَضَرِ تَفَاصِيلُهَا .

وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ عِنْدِي أَنَّهُ لَا مَطْمَعَ لِي فِي سَعَادَةٍ

الْآخِرَةَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، وَكَفَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، وَأَنَّ  
رَأْسَ ذَلِكَ كُلَّهُ ، قَطَعُ عِلَاقَةَ الْقَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا : بِالتَّجَافِي  
عَنْ دَارِ الْعُرُورِ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالْإِقْبَالَ  
بِكُنْهِ الْهِمَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَمُتُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ  
عَنِ النَّجَاهِ وَالْمَالِ ، وَالْهَرَبِ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَالْعَلَائِقِ .

ثُمَّ لَاحَظْتُ أَحْوَالِي ، فَإِذَا أَنَا مُنْعَمِسٌ فِي الْعَلَائِقِ ،  
وَقَدْ أَخَذَتْ بِي مِنَ الْجَوَانِبِ ، وَلَاحَظْتُ أَعْمَالِي - وَأَحْسَنَهَا  
التَّدْرِيسُ وَالتَّعْلِيمُ - فَإِذَا أَنَا فِيهَا مُقْبِلٌ عَلَى عُلُومٍ غَيْرِ  
مُهِّمَةٍ وَلَا نَافِعَةٍ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ .

ثُمَّ تَفَكَّرْتُ فِي نَيْتِي فِي التَّدْرِيسِ ، فَإِذَا هِيَ غَيْرُ  
خَالِصَةٍ لِرُؤْجِهِ اللَّهُ تَعَالَى ، بَلْ بَاعَيْتُهَا وَمُحَرَّرْتُهَا طَلَبُ الْجَاهِ  
وَأَنْتِشَارُ الصِّبْتِ . فَتَيَقَّنْتُ أَنِّي عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ، وَأَنِّي  
قَدْ أَشْفَيْتُ<sup>(١)</sup> عَلَى النَّارِ ، إِنْ لَمْ أَشْتَغَلْ بِتَسْلَافِي<sup>(٢)</sup>  
الْأَحْوَالِ .

(١) أشرفت (٢) أي بتداركها .

فَلَمْ أَزَلْ أَتَفَكَّرُ فِيهِ مُدَّةً ، وَأَنَا بَعْدُ عَلَى مُقَامِ  
الِاخْتِيَارِ ، أَصَمُّ الْعَزْمِ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَادَ وَمُفَارَقَةِ  
تِلْكَ الْأَحْوَالِ يَوْمًا ، وَأَحُلُّ الْعَزْمِ يَوْمًا ، وَأَقْدَمُ فِيهِ  
رَجُلًا وَأَوْخَرُ عَنْهُ أُخْرَى . لَا تَصْدُقُ لِي رَغْبَةٌ فِي طَلَبِ  
الْآخِرَةِ بُكْرَةً ، إِلَّا وَتَحْمِلُ عَلَيْهَا جُنْدَ الشَّهْوَةِ حَمْلَةً  
فَتَفْتَرِهَا عَشِيَّةً : فَصَارَتْ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا تُجَاذِبُنِي بِسَلْسِلِهَا  
إِلَى الْمَقَامِ ، وَمُنَادِي الْإِيمَانِ يُنَادِي : الرَّحِيلَ ! الرَّحِيلَ !  
فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْعُمُرِ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ السَّفَرُ  
الطَّوِيلُ ، وَجَمِيعُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ رِيَاءٌ  
مُتَخَيِّلٌ ! فَإِنْ لَمْ تَسْتَعِدَّ الْآنَ لِلْآخِرَةِ ، فَمَتَى تَسْتَعِدُّ ؟  
وَإِنْ لَمْ تَقْطَعْ الْآنَ هَذِهِ الْعَلَاقِقَ فَمَتَى تَقْطَعُ ؟ فَمَعْنَدَ  
ذَلِكَ يَذْبَعُ الدَّاعِيَةَ ، وَيَنْجِزُ الْعَزْمَ عَلَى الْهَرَبِ  
وَالْفِرَارِ !

ثُمَّ يَمُودُ الشَّيْطَانُ وَيَقُولُ : « هَذِهِ حَالُ عَارِضَةٍ ،

إِيَّاكَ أَنْ تَطَاوِعَهَا ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الزَّوَالِ ، فَإِنْ أذْعَنْتَ لَهَا



وَتَرَكْتَ هَذَا الْجَاهَ الْعَرِيضَ ، وَالشَّانَ الْمَنْظُومَ الْخَلَالِي  
عَنِ التَّكْدِيرِ وَالتَّنْغِيصِ ، وَالْأَمْنَ الْمُسَلَّمَ الصَّافِي عَنْ  
مُنَازَعَةِ الْخُصُومِ ، رَبَّمَا التَّفَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ ، وَلَا تَيْسَّرُ  
لَكَ الْمُعَاوَدَةُ .

فَلَمْ أَزَلْ أَتَرَدَّدُ بَيْنَ تَجَادُبِ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، وَدَوَاعِي  
الْآخِرَةِ ، قَرِيبًا مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ أَوْلَاهَا رَجَبُ سَنَةِ ثَمَانِ  
وِثْمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَفِي هَذَا الشَّهْرِ جَاوَزَ الْأَمْرُ حَدَّ  
الِاخْتِيَارِ إِلَى الْإِضْطِرَارِ ، إِذْ أَقْفَلَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِي حَتَّى  
أَعْتَقِلَ عَنِ التَّدْرِيسِ ، فَكُنْتُ أَجَاهِدُ نَفْسِي أَنْ أُدْرَسَ  
يَوْمًا وَاحِدًا تَطْيِيبًا لِقُلُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ إِلَيَّ ، فَكَانَ لَا يَنْطِقُ  
لِسَانِي بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَا أَسْتَطِيعُهَا الْبَتَّةَ ، حَتَّى أَوْرَثَتْ  
هَذِهِ الْعَقْلَةَ فِي اللُّسَانِ حُزْنَاً فِي الْقَلْبِ ، بَطَلَتْ مَعَهُ قُوَّةُ  
الْهَضْمِ وَمَرَأَةٌ <sup>(١)</sup> الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَكَانَ لَا يَتَسَاغُ  
لِي شَرِيدٌ ، وَلَا تَنْهَضُمُ لِي لُقْمَةٌ ، وَتَعَدَّى إِلَيَّ ضَعْفُ الْقُوَى ،

(١) مرأة الطعام مصدر مرؤ: أى صار مريثا وساغ من غير غصص

حَتَّى قَطَعَ الْأَطِبَّاءُ طَمَعَهُمْ مِنَ الْعِلَاجِ ، وَقَالُوا : « هَذَا  
أَمْرُهُ نَزَلَ بِالْقَلْبِ ، وَمِنْهُ سَرَى إِلَى الْعِزَاجِ ، فَلَا سَبِيلَ  
إِلَيْهِ بِالْعِلَاجِ ، إِلَّا بَأَنْ يُتَرَوَّحَ الْمُرُّ عَنْ أَلْهَمِ الْمَلِيمِ .

ثُمَّ لَمَّا أَحْسَسْتُ بِعَجْزِي ، وَسَقَطَ بِالْكُلِّيَّةِ اخْتِيَارِي  
الْتَجَّاتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَاءَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ ،  
فَأَجَابَنِي الَّذِي « يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ » ، وَسَهَّلَ عَلَيَّ  
قَلْبِي الْإِعْرَاضَ عَنْ أُلْجَاهِ وَالْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَصْحَابِ ،  
وَأُظْهِرْتُ عَزْمَ الْخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَنَا أَدْبَرُ فِي نَفْسِي  
سَفَرَ الشَّامِ ، حَذَرًا أَنْ يَطَّلِعَ الْخَلِيفَةُ وَجُمَلَةُ الْأَصْحَابِ  
عَلَى عَزْمِي فِي الْمَقَامِ بِالشَّامِ ؛ فَتَلَطَّفْتُ بِلَطَائِفِ الْحِيلِ  
فِي الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَادَ عَلَى عَزْمٍ إِلَّا أَعَاوَدَهَا أَبَدًا ،  
وَأَسْتَهْدَفْتُ لِأَيْمَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ كَافَّةً إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ  
مَنْ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ الْإِعْرَاضُ عَمَّا كُنْتُ فِيهِ سَبَبًا  
دِينِيًّا ، إِذْ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَنْصِبُ الْأَعْلَى فِي الدِّينِ ،  
وَكَانَ ذَلِكَ مَبْلَغَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .

ثُمَّ أَرْتَبَكَ النَّاسُ فِي الْإِسْتِنْبَاطَاتِ ، وَظَنَّ مَنْ بَعْدَ  
عَنِ الْعِرَاقِ ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِاسْتِشْعَارِ مِنْ جِهَةِ الْوَلَاةِ ؛  
وَأَمَّا مَنْ قَرُبَ مِنَ الْوَلَاةِ وَكَانَ يُشَاهِدُ إِحَاحَهُمْ فِي  
التَّعَلُّقِ بِي ، وَالْإِنْكِبَابِ عَلَيَّ ، وَإِعْرَاضِي عَنْهُمْ ، وَعَنِ  
الْإِلْتِفَاتِ إِلَى قَوْلِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : « هَذَا أَمْرٌ سَمَاوِيٌّ ،  
وَلَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا عَيْنٌ أَصَابَتْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَزُمُرَةَ  
الْعِلْمِ » .

\*\*\*

انتقال الغزالي  
الى الشام

فَفَارَقْتُ بَعْدَادَ ، وَفَرَّقْتُ مَا كَانَ مَعِيَ مِنَ الْمَالِ ،  
وَأَمَّ أَدْخِرَ إِلَّا قَدْرَ الْكِفَافِ ، وَقَوْتَ الْأَطْفَالِ ، تَرَخُّصًا  
بِأَنَّ مَالَ الْعِرَاقِ مُرْصَدٌ لِلْمَصَالِحِ ، لِيَكُونَ وَفَقًا عَلَيَّ  
الْمُسْلِمِينَ . فَلَمْ أَرَ فِي الْعَالَمِ مَالًا يَأْخُذُهُ الْعَالِمُ لِعِيَالِهِ  
أَصْلَحَ مِنْهُ .

ثُمَّ دَخَلْتُ الشَّامَ ، وَأَقَمْتُ بِهِ قَرِيبًا مِنْ سَتَيْنِ  
لَا شُغْلَ لِي إِلَّا الْعَزْلَةُ وَالْخَلْوَةُ ، وَالرِّيَاضَةُ وَالْمُجَاهَدَةُ (١) ،

(١) حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى .

أَشْتِغَالًا بِتَرْكِيَةِ النَّفْسِ ، وَتَهْدِيبِ الْأَخْلَاقِ ، وَتَصْفِيَةِ  
الْقَلْبِ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا كُنْتُ حَصَلْتُهُ مِنْ عِلْمِ  
الصُّوفِيَّةِ ، فَكُنْتُ أَعْتَكِفُ مُدَّةً فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ ،  
أَصْعَدُ مَنَارَةَ الْمَسْجِدِ طُولَ النَّهَارِ ، وَأَغْلِقُ بَابَهَا عَلَى نَفْسِي .

\*\*\*

ثُمَّ رَحَلْتُ مِنْهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، أَدْخَلْتُ كُلَّ يَوْمٍ  
الصَّخْرَةَ وَأَغْلِقُ بَابَهَا عَلَى نَفْسِي .

رحلة الغزالي الى  
بيت المقدس  
والحجاز

ثُمَّ تَحَرَّ كَتَّ فِي دَاعِيَةِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، وَالِاسْتِمْدَادِ  
مِنْ بَرَكَاتِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَزِيَارَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى  
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَعْدَ الْفَرَاعِ مِنْ زِيَارَةِ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَسَرْتُ إِلَى الْحِجَازِ .

\*\*\*

ثُمَّ جَذَبْتَنِي الْهَمَمُ وَدَعَوَاتُ الْأَطْفَالِ إِلَى الْوَطَنِ ،  
فَمَا وَدَّتُهُ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ أَبْعَدَ الْخَلْقِ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ .  
فَأَثَرْتُ الْعُزْلَةَ بِهِ أَيْضًا حِرْصًا عَلَى الْخُلُوةِ ، وَتَصْفِيَةِ  
الْقَلْبِ لِلذِّكْرِ .

عودة الغزالي  
الى وطنه

وَكَانَتْ حَوَادِثُ الزَّمَانِ ، وَمُهَمَّاتُ الْعِيَالِ ، وَضُرُورَاتُ  
الْمَعَاشِ تُغَيِّرُ فِي وَجْهِ الْمُرَادِ ، وَتُشَوِّشُ صَفْوَةَ الْخُلُوعِ  
وَكَانَ لَا يَصْفُو لِي الْحَالُ إِلَّا فِي أَوْقَاتٍ مُنْفَرِقَةٍ . لَكِنِّي  
مَعَ ذَلِكَ لَا أَقْطَعُ طَمَعِي مِنْهَا ، فَتَدْفَعُنِي عَنْهَا الْعَوَاقِبُ ،  
وَأَعُودُ إِلَيْهَا .

وَدُمْتُ عَلَى ذَلِكَ مِقْدَارَ عَشْرِ سِنِينَ ، وَأُنْكَشَفَتْ  
لِي فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْخُلُوعَاتِ أُمُورٌ لَا يُمَكِّنُ إِحْصَاؤُهَا  
وَأَسْتَقْصَاؤُهَا ؛ وَالْقَدْرُ الَّذِي أَذْكَرُهُ لِيُنْتَفَعَ بِهِ : أَنِّي  
عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمْ السَّالِكُونَ لِطَرِيقِ اللَّهِ  
تَعَالَى خَاصَّةً ، وَأَنَّ سَيْرَتَهُمْ أَحْسَنُ السَّيْرِ ، وَطَرِيقَهُمْ  
أَصْوَبُ الطَّرِيقِ ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ . بَلْ لَوْ  
مُجِعَ عَقْلُ الْعُقَلَاءِ ، وَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ ، وَعِلْمُ الْوَاقِفِينَ  
عَلَى أَسْرَارِ الشَّرْعِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، لِيُغَيِّرُوا شَيْئًا مِنْ سِرِّهِمْ  
وَأَخْلَاقِهِمْ ، وَيُبَدِّلُوهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ  
سَبِيلًا . فَإِنَّ جَمِيعَ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ ، فِي ظَاهِرِهِمْ

وَبَاطِنِهِمْ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِ مِسْكَانَةِ النُّبُوَّةِ . وَلَيْسَ وَرَاءَ  
نُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَمَاذَا يَقُولُ الْقَائِلُونَ فِي طَرِيقَةِ طَهَارَتِهَا  
- وَهِيَ أَوَّلُ شُرُوطِهَا - تَطْهِيرُ الْقَلْبِ بِالْكَلِمَةِ عَمَّا سِوَى  
اللَّهِ تَعَالَى ، وَمِفْتَاحُهَا الْجَارِي مِنْهَا مَجْرَى التَّحْرِيمِ مِنَ  
الصَّلَاةِ (١) ، اسْتِعْرَاقُ الْقَلْبِ بِالْكَلِمَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ ،  
وَآخِرُهَا الْفَنَاءُ بِالْكَلِمَةِ فِي اللَّهِ ؟ وَهَذَا آخِرُهَا بِالإِضَافَةِ  
إِلَى مَا يَكَادُ يَدْخُلُ تَحْتَ الإِخْتِيَارِ وَالْكَسْبِ مِنْ  
أَوَائِلِهَا . وَهِيَ عَلَى التَّحْقِيقِ أَوَّلُ الطَّرِيقَةِ ، وَمَا قَبْلَ  
ذَلِكَ كَالدَّهْلِيزِ لِلِسَّالِكِ إِلَيْهِ .

وَمِنْ أَوَّلِ الطَّرِيقَةِ تَبْتَدِيءُ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمَشَاهِدَاتِ  
حَتَّى إِنَّهُمْ فِي يَقْظَتِهِمْ يُشَاهِدُونَ الْمَلَائِكَةَ ، وَأَرْوَاحَ

---

(١) يعني أن أول شرط للصلاة هو طهارة الجسد والثوب والمكان الذي  
لا تصح الصلاة إلا به ، كذلك أول شرط في الطريقة هو طهارة القلب ،  
ثم أن مفتاح الصلاة هو تكبيرة الاحرام التي تبدأ بها فتحرم على المصلي  
كل شيء ، كذلك مفتاح الطريقة استعراق القلب بالكلمة بذكر الله

الأنبياء، وَيَسْمَعُونَ مِنْهُمْ أَصْوَاتًا، وَيَقْتَبِسُونَ مِنْهُمْ فَوَائِدَ  
تُمْ يَتَرَقَّى الْحَالُ مِنْ مُشَاهَدَةِ الصُّورِ وَالْأَمْثَالِ، إِلَى دَرَجَاتٍ  
يَضِيقُ عَنْهَا نِطَاقُ النُّطْقِ، فَلَا يُحَاوِلُ مُعَبَّرٌ أَنْ يُعَبِّرَ  
عَنْهَا إِلَّا أَشْتَمَلَ لَفْظُهُ عَلَى خَطَأٍ صَرِيحٍ لَا يُمَكِّنُهُ  
الِاحْتِرَازُ عَنْهُ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ، يَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَى قُرْبٍ، يَسْكَادُ تَخَيُّلٌ  
مِنْهُ طَائِفَةٌ الْحُلُولِ، وَطَائِفَةٌ الْإِتِّحَادِ، وَطَائِفَةٌ الْوُصُولِ  
وَكُلُّ ذَلِكَ خَطَأٌ. وَقَدْ بَيَّنَّا وَجْهَ الْخَطَأِ فِيهِ فِي كِتَابِ  
« الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى » بَلِ الَّذِي لَابَسْتَهُ تِلْكَ الْحَالَةُ  
لَا يَنْبَغِي أَنْ يَزِيدَ عَلَى أَنْ يَقُولَ :

وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكَرُهُ

فَظُنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبْرِ !

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ لَمْ يُرْزَقْ مِنْهُ شَيْئًا بِالدُّوْقِ، فَلَيْسَ  
يُدْرِكُ مِنْ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْإِسْمَ، وَكَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ  
عَلَى التَّحْقِيقِ هِيَ بَدَايَاتُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ حَالٍ  
( ١١ - الغزالي - ثالث )

رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حِينَ أَقْبَلَ إِلَى جَبَلٍ « حِرَاءٍ »<sup>(١)</sup>  
وَحِينَ كَانَ يَخْلُو فِيهِ رَبَّهُ وَيَتَعَبَّدُ ، حَتَّى قَالَتْ الْعَرَبُ  
« إِنَّ مُحَمَّدًا عَشِقَ رَبَّهُ ! » .

وَهَذِهِ حَالَةٌ ، يَتَحَقَّقُهَا بِالدَّوْقِ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهَا ،  
فَمَنْ لَمْ يُرْزَقِ الدَّوْقَ ، فَيَتَيَقَّنُهَا بِالتَّجْرِبَةِ وَالتَّسَامُعِ ،  
إِنْ أَكْثَرَ مَعَهُمُ الصُّحْبَةَ حَتَّى يَفْهَمَ ذَلِكَ بِقَرَائِنِ الْأَحْوَالِ  
يَقِينًا ، وَمَنْ جَالَسَهُمْ أَسْتَفَادَ مِنْهُمْ هَذَا الْإِيمَانَ ، فَهُمْ  
الْقَوْمُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ . وَمَنْ لَمْ يُرْزَقِ صُحْبَتَهُمْ ،  
فَلْيَعْلَمْ إِمَّا كَانَ ذَلِكَ يَقِينًا بِشَوَاهِدِ الْبُرْهَانِ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا  
فِي كِتَابِ « عَجَائِبِ الْقَلْبِ » مِنْ كُتُبِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ  
الدِّينِ » .

وَالْتَحْقِيقُ بِالْبُرْهَانِ عِلْمٌ ، وَمُلَابَسَتُهُ عَيْنِ تِلْكَ  
الْحَالَةِ ذَوْقٌ ، وَالتَّجْرِبَةُ مِنَ التَّسَامُعِ وَالتَّجْرِبَةُ بِجَسْنِ  
الظَّنِّ إِيَّانٌ .

(١) أحد جبال مكة وهو على ثلاثة أميال منها وفيه هبط الوحي على  
محمد صلوات الله عليه بالرسالة العظمى



فَهَذِهِ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » .

وَوَرَاءَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ جُهَالٌ ، هُمُ الْمُنْكَرُونَ لِأَصْلِ ذَلِكَ ، الْمُتَعَجِّبُونَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ، يَسْتَمِعُونَ وَيَسْخَرُونَ وَيَقُولُونَ : الْعَجَبَ ! إِنَّهُمْ كَيْفَ يَهْدُونَ ! وَفِيهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَاصْمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ »

وَمَا بَانَ لِي بِالضَّرُورَةِ مِنْ مُمَارَسَةِ طَرِيقَتِهِمْ ، « حَقِيقَةُ النُّبُوءَةِ وَخَاصِيَّتُهَا » ، وَلَا بُدَّ مِنَ التَّنْذِيهِ عَلَى أَصْلِهَا ، لِشِدَّةِ مَسَبِسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا .



حَقِيقَةُ النُّبُوَّةِ

حقيقة النبوة

وَأَضْطَرَّارُ كَافَّةِ الْخَلْقِ إِلَيْهَا

اعْلَمْ: أَنَّ جَوْهَرَ الْإِنْسَانِ فِي أَصْلِ الْفِطْرَةِ، خُلِقَ خَالِيًا  
سَادَجًا لَا خَبَرَ مَعَهُ مِنْ عَوَالِمِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَالْعَوَالِمُ  
كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى كَمَا قَالَ : « وَمَا يَعْلَمُ  
جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ » ، وَإِنَّمَا جُنْدُهُ فِي الْعَالَمِ بِوَاسِطَةِ  
الْإِذْرَاكِ ، وَكُلُّ إِذْرَاكِ مِنَ الْإِذْرَاكِاتِ خُلِقَ لِيَطَّلِعَ  
الْإِنْسَانُ بِهِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَنَعْنَى بِالْعَوَالِمِ ، أَجْنَاسَ  
الْمَوْجُودَاتِ .

فَأَوَّلُ مَا يُخْلَقُ فِي الْإِنْسَانِ حَاسَّةُ اللَّمْسِ ، فَيُدْرِكُ  
بِهَا أَجْنَاسًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ : كَالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ ،  
وَالرُّطُوبَةِ وَالْيَبُوسَةِ ، وَاللِّينِ وَالْحَشُونَةَ ، وَغَيْرِهَا .  
وَاللَّمْسُ قَاصِرٌ عَنِ الْأَلْوَانِ وَالْأَصْوَاتِ قَطْعًا ، بَلْ هِيَ  
كَالْمَعْدُومِ فِي حَقِّ اللَّمْسِ .

مُّمَّ يُخَلِّقُ لَهُ حَاسَّةَ الْبَصْرِ فَيُدْرِكُ بِهَا الْأَلْوَانَ  
وَالْأَشْكَالَ ، وَهُوَ أَوْسَعُ عَوَالِمِ الْمَحْسُوسَاتِ .

مُّمَّ يُنْفِخُ فِيهِ السَّمْعُ ، فَيَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ وَالنِّعَمَاتِ .  
مُّمَّ يُخَلِّقُ لَهُ الذَّوْقُ ، وَكَذَلِكَ إِلَى أَنْ يُجَاوِزَ عَالَمَ  
الْمَحْسُوسَاتِ ، فَيُخَلِّقُ فِيهِ التَّمْيِيزُ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ  
سَبْعِ سِنِينَ ، وَهُوَ طَوْرٌ آخَرٌ مِنْ أَطْوَارِ وُجُودِهِ :  
فَيُدْرِكُ فِيهِ أُمُورًا زَائِدَةً عَلَى عَالَمِ الْمَحْسُوسَاتِ ، لَا يُوجَدُ  
مِنْهَا شَيْءٌ فِي عَالَمِ الْحِسِّ .

مُّمَّ يَتَرَقَّى إِلَى طَوْرٍ آخَرَ فَيُخَلِّقُ لَهُ الْعَقْلُ ، فَيُدْرِكُ  
الْوَاجِبَاتِ وَالْجَائِزَاتِ وَالْمُسْتَجِيلَاتِ ، وَأُمُورًا لَا تُوجَدُ  
فِي الْأَطْوَارِ الَّتِي قَبْلَهُ .

وَوَرَاءَ الْعَقْلِ طَوْرٌ آخَرٌ تَنْفَتِحُ فِيهِ عَيْنٌ أُخْرَى  
يُبْصِرُ بِهَا الْغَيْبَ وَمَا سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَأُمُورًا  
أُخْرَى ، الْعَقْلُ مَعزُولٌ عَنْهَا كَعَزْلِ قُوَّةِ التَّمْيِيزِ عَنْ إِدْرَاكِ  
الْمَعْقُولَاتِ ، وَكَعَزْلِ قُوَّةِ الْحِسِّ عَنْ مُدْرَكَاتِ التَّمْيِيزِ .

وَكَمَّا أَنَّ الْمُمَيِّزَ لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مُدْرَكَاتُ الْعَقْلِ لِأَبَاهَا  
وَأُسْتَبَعْدَهَا ، فَكَذَلِكَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ أَبُو مُدْرَكَاتِ النُّبُوَّةِ  
وَأُسْتَبَعْدُوهَا ، وَذَلِكَ عَيْنُ الْجَهْلِ ، إِذْ لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ  
إِلَّا أَنَّهُ طَوْرٌ لَمْ يَبْلُغْهُ وَلَمْ يُوْجَدْ فِي حَقِّهِ ، فَيُظَنُّ أَنَّهُ  
غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي نَفْسِهِ . وَالْأَكْمَهُ لَوْ لَمْ يَعْلَمْ بِالتَّوَاتُرِ  
وَالْتَّسَامُعِ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ ، وَحُكِّيَ لَهُ ذَلِكَ أَبْتَدَاءً  
لَمْ يَفْهَمَهَا وَلَمْ يُقِرَّ بِهَا . وَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ  
بِأَنَّ أُعْطَاهُمْ أَنْمُودَجًا مِنْ خَاصِيَةِ النُّبُوَّةِ ، وَهُوَ النَّوْمُ ،  
إِذِ النَّائِمُ يُدْرِكُ مَا سَيَكُونُ مِنَ الْغَيْبِ إِمَّا صَرِيحًا وَإِمَّا  
فِي كُسُوفَةٍ مِثَالِ يَكْشِفُ عَنْهُ التَّعْبِيرُ ، وَهَذَا إِذَا لَمْ  
يُجْرَبْهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ - وَقِيلَ لَهُ : « إِنَّ مِنَ النَّاسِ  
مَنْ يَسْقُطُ مَعْشِيًا عَلَيْهِ كَأَمِيَّتٍ وَيَزُولُ عَنْهُ إِحْسَاسُهُ  
وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ فَيُدْرِكُ الْغَيْبَ » - أَنْكَرَهُ - وَأَقَامَ  
الْبُرْهَانَ عَلَى اسْتِحْضَالَتِهِ ، وَقَالَ : « الْقُوَى الْحَسَّاسَةُ أَسْبَابُ  
الْإِدْرَاقِ ، فَمَنْ لَا يُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ مَعَ وُجُودِهَا وَحُضُورِهَا

فَبِأَنَّ لَا يُدْرِكُ مَعَ رُكُودِهَا ، أَوْلَى وَأَحَقُّ . وَهَذَا نَوْعٌ  
فِيكَاسٍ يُكْذِبُهُ الوجودُ وَالْمُشَاهَدَةُ . فَكَمَا أَنَّ الْعَقْلَ  
طَوْرًا مِنْ أَطْوَارِ الْأَدْمِيِّ ، يَحْصُلُ فِيهِ عَيْنٌ يُبْصِرُ بِهَا أَنْوَاعًا  
مِنَ الْمُعْقُولَاتِ ، وَالْحَوَاسُ مَعزُومَةٌ عَنْهَا ، فَالثَّبُوتُ أَيْضًا  
عِبَارَةٌ عَنْ طَوْرٍ يَحْصُلُ فِيهِ عَيْنٌ لَهَا نُورٌ يَظْهَرُ فِي نُورِهَا  
الْغَيْبِ ، وَأُمُورٌ لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ .

وَالشَّكُّ فِي الثَّبُوتِ ، إِمَّا أَنْ يَقَعَ : فِي إِمْسَاكِهَا ، أَوْ  
فِي وُجُودِهَا وَوُقُوعِهَا ، أَوْ فِي حُصُولِهَا لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ .

وَدَلِيلُ إِمْسَاكِهَا وَوُجُودِهَا ، وَدَلِيلُ وُجُودِهَا وَوُجُودِ  
مَعَارِفِ فِي الْعَالَمِ لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ تُنَالَ بِالْعَقْلِ ، كَعِلْمِ الطَّبِّ  
وَالنُّجُومِ ، فَإِنَّ مَنْ بَحَثَ عَنْهَا عَلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهَا لَا تُدْرِكُ  
إِلَّا بِالْإِهَامِ إِلَهِيِّ وَتَوْفِيقٍ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا سَبِيلَ  
إِلَيْهَا بِالتَّجَرُّبَةِ . فَمِنَ الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ مَا لَا يَقَعُ إِلَّا  
فِي كُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مَرَّةً ، فَكَيْفَ يُنَالُ ذَلِكَ بِالتَّجَرُّبَةِ ؟  
وَكَذَلِكَ خَوَاصُّ الْأَدْوِيَةِ . فَتَبَيَّنَ بِهَذَا الْبُرْهَانِ أَنَّ

فِي الْإِمْسَاكِ وَجُودِ طَرِيقِ لِإِدْرَاكِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي  
لَا يُدْرِكُهَا الْعَقْلُ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالنُّبُوءَةِ ، لَا أَنَّ النُّبُوءَةَ  
عِبَارَةٌ عَنْهَا فَقَطْ ، بَلْ إِدْرَاكُ هَذَا الْجِنْسِ الْخَارِجِ عَنِ  
مُدْرَكَاتِ الْعَقْلِ إِحْدَى خَوَاصِّ النُّبُوءَةِ ، وَلَهَا خَوَاصُّ  
كَثِيرَةٌ سِوَاهَا . وَمَا ذَكَرْنَا فَقَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِهَا ، وَإِنَّمَا  
ذَكَرْنَاهَا لِأَنَّ مَعَكَ أَنْمُودَجًا مِنْهَا ، وَهُوَ مُدْرَكَاتُكَ فِي  
النُّوْمِ ، وَمَعَكَ عُلُومٌ مِنْ جِنْسِهَا فِي الطَّبِّ وَالنُّجُومِ ،  
وَهِيَ مُعْجِزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهَا لِلْعُقْلَاءِ بِبِضَاعَةِ  
الْعَقْلِ أَصْلًا .

وَأَمَّا مَا عَدَا هَذَا مِنْ خَوَاصِّ النُّبُوءَةِ ، فَأِنَّمَا يُدْرِكُ  
بِالذَّوْقِ ، مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ التَّصَوُّفِ ، لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا  
فَهْمَتُهُ بِأَنْمُودَجِ رِزْقَتِهِ ، وَهُوَ النَّوْمِ ، وَلَوْلَاؤُهُ لَمَا صَدَّقَتْ  
بِهِ . فَإِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ خَاصَّةٌ لَيْسَ لَكَ مِنْهَا أَنْمُودَجٌ ، وَلَا  
تَفْهَمُهَا أَصْلًا ، فَكَيْفَ تُصَدِّقُ بِهَا ؟ وَإِنَّمَا التَّصَدِيقُ بَعْدَ  
الْفَهْمِ ، وَذَلِكَ الْأَنْمُودَجُ يُحْصَلُ فِي أَوَائِلِ طَرِيقِ التَّصَوُّفِ ،

فِيحْصُلُ بِهِ نَوْعٌ مِنَ الذَّوْقِ بِالْقَدْرِ الْحَاصِلِ ، وَنَوْعٌ مِنْ  
التَّصْدِيقِ بِمَا أَمَّ يَحْصُلُ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ . فَهَذِهِ الْخَاصِّيَّةُ  
الْوَّاحِدَةُ تَكْفِيكَ لِلِإِيمَانِ بِأَصْلِ النُّبُوَّةِ .

فَإِنْ وَقَعَ لَكَ الشَّكُّ فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ ، إِنَّهُ نَبِيٌّ أَمْ لَا ،  
فَلَا يَحْصُلُ الْيَقِينُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِ ، إِمَّا بِالشَّاهِدَةِ  
أَوْ بِالتَّوَاتُرِ وَالتَّسَامُعِ ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ الطَّبَّ وَالْفِقْهَ  
يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ الْفُقَهَاءَ وَالْأَطِبَّاءَ بِمُشَاهِدَةِ أَحْوَالِهِمْ ،  
وَسَمَاعِ أَقْوَالِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ تُشَاهِدْهُمْ ، وَلَا تَعَجِزْ أَيْضًا عَنْ  
مَعْرِفَةِ كَوْنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِقْهِيًّا ، وَكَوْنِ جَالِينُوسٍ<sup>(١)</sup>  
طَبِيبِيًّا ، مَعْرِفَةَ بِالْحَقِيقَةِ لَا بِالتَّقْلِيدِ عَنِ الْغَيْرِ : بَلْ بَانَ  
تَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الْفِقْهِ وَالطَّبِّ ، وَتَطَالَعَ كِتَابَهُمَا وَتَصَانِيفَهُمَا  
فِيحْصُلُ لَكَ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِحَالِهِمَا . فَكَذَلِكَ إِذَا فَهِمْتَ  
مَعْنَى النُّبُوَّةِ فَأُكْثِرْتَ النِّظَرَ فِي الْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ ،  
يَحْصُلُ لَكَ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ بِكَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) من أطباء الاغريق سادت آراؤه في الطب حتى أوائل القرن  
السابع عشر

عَلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ ، وَأَعْضُدْ ذَلِكَ بِتَجَرِبَةِ مَا قَالَهُ  
فِي الْعِبَادَاتِ وَتَأْثِيرِهَا فِي تَصْفِيَةِ الْقُلُوبِ ، وَكَيْفَ صَدَقَ  
فِي قَوْلِهِ : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَأَى أَنَّ اللَّهَ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »  
وَكَيْفَ صَدَقَ فِي قَوْلِهِ : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَهُ اللَّهُ  
عَلَيْهِ » وَكَيْفَ صَدَقَ فِي قَوْلِهِ : « مَنْ أَصْبَحَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
هُوَ وَاحِدٌ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هُمُومَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » ، فَإِذَا  
جَرَّبْتَ ذَلِكَ فِي أَلْفٍ وَالْأَلْفَيْنِ وَآلَافٍ حَصَلَ لَكَ عِلْمٌ  
ضَرُورِيٌّ لَا تَتَمَارَى <sup>(١)</sup> فِيهِ .

فَمَنْ هَذَا الطَّرِيقِ أَطْلُبِ الْيَقِينَ بِالنُّبُوَّةِ ، لَا مِنْ  
قَلْبِ الْعَصَا ثُعْبَانًا ، وَشَقِّ الْقَمَرِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا نَظَرْتَ  
إِلَيْهِ وَحَدَهُ ، وَلَمْ تَنْضَمْ إِلَيْهِ الْقَرَائِنَ الْكَبِيرَةَ الْخَارِجَةَ  
عَنِ الْحَصْرِ ، رَبَّمَا ظَنَنْتَ أَنَّهُ سِحْرٌ وَتَخْيِيلٌ ، وَأَنَّهُ مِنْ  
اللَّهِ إِضْلَالٌ ، فَإِنَّهُ « يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » .  
وَتَرِدُ عَلَيْكَ أَسْئَلَةُ الْمُعْجَزَاتِ ، فَإِنْ كَانَ مُسْتَدِنْدُ

(١) لا تتماهى فيه : أى لا تتشكك



إِيمَانِكَ إِلَى كَلَامٍ مَنْظُومٍ فِي وَجْهِ دِلَالَةِ الْمُعْجَزَةِ ، فَيَنْجَزِمُ  
إِيمَانُكَ بِكَلَامٍ مُرْتَبٍ فِي وَجْهِ الْإِشْكَالِ وَالشُّبْهَةِ عَلَيْهَا  
فَلْيَكُنْ مِثْلَ هَذِهِ الْخَوَارِقِ إِحْدَى الدَّلَائِلِ وَالْقَرَائِنِ فِي  
جُمْلَةِ نَظَرِكَ ، حَتَّى يَحْصُلَ لَكَ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ لَا يُمَكِّنُكَ  
ذِكْرُ مُسْتَنَدِهِ عَلَى التَّعْيِينِ ، كَالَّذِي يُخْبِرُ جَمَاعَةً بِخَبَرٍ  
مُتَوَاتِرٍ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَذْكَرَ أَنَّ الْيَقِينَ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِ  
وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ ، بَلْ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ جُمْلَةٍ  
ذَلِكَ وَلَا بِتَعْيِينِ الْآحَادِ . فَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الْقَوِيُّ الْعِلْمِيُّ  
وَأَمَّا الذُّوقُ فَهُوَ كَالْمُشَاهَدَةِ وَالْأَخْذِ بِالْيَدِ ، وَلَا  
يُوجَدُ إِلَّا فِي طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ .

فَهَذَا الْقَدْرُ مِنْ حَقِيقَةِ الثُّبُوتِ ، كَافٍ فِي الْغَرَضِ  
الَّذِي أَقْصِدُهُ الْآنَ ، وَسَأَذْكَرُ وَجْهَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .



سبب نشر العلم

سَبَبُ نَشْرِ الْعِلْمِ

بَعْدَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ

ثُمَّ إِنِّي لَمَّا وَاطَبْتُ عَلَى الْعِزْلَةِ وَأَخْلَوَةَ قَرِيبًا مِنْ  
عَشْرِ سِنِينَ ، وَبَانَ لِي فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ عَلَى الضَّرُورَةِ مِنْ  
أَسْبَابٍ لَا أُحْصِيهَا ، مَرَّةً بِالذُّوقِ ، وَمَرَّةً بِالْعِلْمِ الْبُرْهَانِيِّ  
وَمَرَّةً بِالْقَبُولِ الْإِيمَانِيِّ : أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ بَدَنِ وَقَلْبِ  
وَأَعْنَى بِالْقَلْبِ حَقِيقَةَ رُوحِهِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ  
دُونَ اللَّحْمِ وَالْدَمِ الَّذِي يُشَارِكُ فِيهِ الْمَيِّتَ وَالْبَهِيمَةَ ، وَأَنَّ  
الْبَدْنَ لَهُ صِحَّةٌ بِهَا سَعَادَتُهُ وَمَرَضٌ فِيهِ هَلَاكُهُ ، وَأَنَّ  
الْقَلْبَ كَذَلِكَ لَهُ صِحَّةٌ وَسَلَامَةٌ ، وَلَا يَنْجُو « إِلَّا مَنْ أتَى  
اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » وَلَهُ مَرَضٌ فِيهِ هَلَاكُهُ الْأَبَدِيُّ  
الْأُخْرَوِيُّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » وَأَنَّ  
الْجَهْلَ بِاللَّهِ سُمٌّ مُهْلِكٌ ، وَأَنَّ مَعْصِيَةَ اللَّهِ بِمُتَابَعَةِ الْهَوَى  
دَاوَةٌ الْمَرِضِ ، وَأَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَرِياقَهُ الْمُحْيِي ؛

وَطَاعَتُهُ بِمُخَالَفَةِ الْهَوَى ، دَوَاؤُهُ الشَّافِي ، وَانَّهُ لَأَسْبِيلٌ  
إِلَى مُعَالَجَتِهِ بِإِزَالَةِ مَرَضِهِ وَكَسْبِ صِحَّتِهِ ، إِلَّا بِأَدْوِيَةٍ  
كَمَا لَأَسْبِيلٌ إِلَى مُعَالَجَةِ الْبَدَنِ إِلَّا بِذَلِكَ . وَكَمَا أَنَّ أَدْوِيَةَ  
الْبَدَنِ تَوَثَّرُ فِي كَسْبِ الصِّحَّةِ بِخَاصِّيَّةٍ فِيهَا ، لَا يُدْرِكُهَا  
الْعُقْلَاءُ بِبِضَاعَةِ الْعَقْلِ ، بَلْ يَجِبُ فِيهَا تَقْلِيدُ الْأَطِبَّاءِ  
الَّذِينَ أَخَذُوهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، الَّذِينَ أَطْلَعُوا بِخَاصِّيَّةِ النُّبُوَّةِ  
عَلَى خَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ ، فَكَذَلِكَ بَانَ لِي ، عَلَى الضَّرُورَةِ ،  
أَنَّ أَدْوِيَةَ الْعِبَادَاتِ بِحُدُودِهَا ، وَمَقَادِيرُهَا الْمَحْدُودَةِ  
الْمُقَدَّرَةِ مِنْ جِهَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، لَا يُدْرِكُ وَجْهَ تَأْثِيرِهَا بِبِضَاعَةِ  
عَقْلِ الْعُقْلَاءِ ، بَلْ يَجِبُ فِيهَا تَقْلِيدُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا  
تِلْكَ الْخَوَاصِّ بِنُورِ النُّبُوَّةِ ، لَا بِبِضَاعَةِ الْعَقْلِ . وَكَمَا أَنَّ  
الْأَدْوِيَةَ تُرَكَّبُ مِنْ أَخْلَاطٍ مُخْتَلِفَةٍ الْتَوَعِ وَالْمِقْدَارِ ،  
وَبَعْضُهَا ضِعْفُ الْبَعْضِ فِي الْوِزْنِ وَالْمِقْدَارِ ، فَلَا يَحِلُّ  
اِخْتِلَافُ مَقَادِيرِهَا عَنْ سِرِّ هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْخَوَاصِّ ، فَكَذَلِكَ  
الْعِبَادَاتُ الَّتِي هِيَ أَدْوِيَةٌ دَاهِ الْقَلْبِ ، مُرَكَّبَةٌ مِنْ أَعْمَالِ

مُخْتَلِفَةَ النَّوْعِ وَالْمِقْدَارِ ، حَتَّى إِنَّ السُّجُودَ ضِعْفُ الرُّكُوعِ  
وَصَلَاةُ الصُّبْحِ نِصْفُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي الْمِقْدَارِ ، وَلَا يَخْلُو  
عَنْ سِرِّ مِنَ الْأَسْرَارِ ، هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْخَوَاصِّ الَّتِي لَا يُطْلَعُ  
عَلَيْهَا إِلَّا بِنُورِ النُّبُوَّةِ ، وَلَقَدْ تَحَامَقَ وَتَجَاهَلَ جِدًّا  
مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنْبِطَ ، بِطَرِيقِ الْعَقْلِ ، لَهَا حِكْمَةٌ ، أَوْ  
ظَنَّ أَنَّهَا ذُكِرَتْ عَلَى الْإِتْفَاقِ ، لَا عَنْ سِرِّ إِلَهِي فِيهَا ،  
يَقْتَضِيهَا بِطَرِيقِ الْخَاصِّيَّةِ . وَكَمَا أَنَّ فِي الْأَدْوِيَّةِ أَصُولًا  
هِيَ أَرْكَانُهَا ، وَزَوَائِدُ هِيَ مُتَمَّمَاتُهَا ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
خُصُوصٌ تَأْثِيرٌ فِي أَعْمَالِ أَصُولِهَا ، كَذَلِكَ النَّوَافِلُ وَالسَّنَنُ  
مُتَمَّمَاتٌ لِتَكْمِيلِ آثَارِ أَرْكَانِ الْعِبَادَاتِ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ : فَأَلَا نُبَيِّأُ أَطِبَاءَ أَرْضِ الْقُلُوبِ ،  
وَإِنَّمَا فَائِدَةُ الْعَقْلِ وَتَصَرُّفُهُ ، أَنْ عَرَفْنَا ذَلِكَ ، وَيَشْهَدُ  
لِلنُّبُوَّةِ بِالتَّصْدِيقِ وَلِنَفْسِهِ بِالْعَجْزِ عَنْ دَرْكِ مَا يُدْرِكُ بِعَيْنِ  
النُّبُوَّةِ ، وَأَخَذَ بِأَيْدِينَا وَسَلَّمْنَا إِلَيْهَا تَسْلِيمَ الْعُمَيَّانِ إِلَى  
الْقَائِدِينَ ، وَتَسْلِيمَ الْمَرْضَى الْمُتَحَيِّرِينَ إِلَى الْأَطِبَّاءِ الشَّافِينَ

وَالِي هُنَا مَجْرَى الْعَقْلِ وَمَخْطَاهُ وَهُوَ مَعزُولٌ عَمَّا بَعْدَ  
ذَلِكَ ، إِلَّا عَنْ تَفَهُمِ مَا يُلْقِيهِ الطَّيِّبُ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup> .

فَهَذِهِ أُمُورٌ عَرَفْنَاهَا بِالنَّضْرَةِ الْجَارِيَةِ مَجْرَى  
الْمُشَاهَدَةِ ، فِي مُدَّةِ الْخُلُوعِ وَالْعُزْلَةِ .

ثُمَّ رَأَيْنَا فُتُورَ الْأَعْتِقَادَاتِ فِي أَصْلِ النُّبُوءَةِ ، ثُمَّ فِي  
حَقِيقَةِ النُّبُوءَةِ ، ثُمَّ فِي الْعَمَلِ بِمَا شَرَحَتْهُ النُّبُوءَةُ ، وَتَحَقَّقْنَا  
شُيُوعَ ذَلِكَ بَيْنَ الْخَلْقِ ، فَظَنَرْتُ إِلَى أَسْبَابِ فُتُورِ الْخَلْقِ ،  
وَضَعْفِ إِيمَانِهِمْ ، فَإِذَا هِيَ أَرْبَعَةٌ :

- ١ - سَبَبٌ مِنْ الْخَائِضِينَ فِي عِلْمِ الْفَلَسَفَةِ .
- ٢ - وَسَبَبٌ مِنَ الْخَائِضِينَ فِي طَرِيقِ التَّصَوُّفِ .
- ٣ - وَسَبَبٌ مِنَ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَى دَعْوَى التَّعْلِيمِ .
- ٤ - وَسَبَبٌ مِنْ مُعَامَلَةِ الْمَوْسُومِينَ بِالْعِلْمِ فِيمَا  
بَيْنَ النَّاسِ .

فَإِنِّي تَبَعْتُ مُدَّةَ أَحَادِ الْخَلْقِ ، أَسْأَلُ مَنْ يُقَصِّرُ

---

(١) يقصد الغزالي بهذا كانه أن يقول : ان نطاق العقل محدود

مِنْهُمْ فِي مُتَابَعَةِ الشَّرْعِ ، وَأَسْأَلُهُ عَنِ شُبُهَتِهِ وَأَبْحَثُ عَنْ  
عَقِيدَتِهِ وَسِرِّهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : « مَا لَكَ تُقَصِّرُ فِيهَا ؟ فَإِنْ  
كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ وَلَسْتَ مُسْتَعِدًّا لَهَا وَتَتَّبِعُهَا بِالذُّنْيَا  
فَهَذِهِ حِمَاقَةٌ ! فَإِنَّكَ لَا تَتَّبِعُ إِلَّا اثْنَيْنِ بِوَاحِدٍ ، فَكَيْفَ  
تَتَّبِعُ مَا لَانَهَايَةَ لَهُ بِأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ ؟ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُؤْمِنُ  
فَأَنْتَ كَافِرٌ ! فَدَبَّرْ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ الْإِيمَانِ ، وَأَنْظِرْ  
مَا سَبَبُ كُفْرِكَ الْخَفِيُّ الَّذِي هُوَ مَذْهَبُكَ بَاطِنًا ، وَهُوَ  
سَبَبُ جُرْأَتِكَ ظَاهِرًا ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُصْرِّحُ بِهِ تَجَمُّلاً  
بِالْإِيمَانِ وَتَشْرُفًا بِذِكْرِ الشَّرْعِ ! » .

فَقَابِلٌ يَقُولُ : « هَذَا أَمْرٌ لَوْ وَجِبَتْ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ  
لَسَكَانَ الْعُلَمَاءِ أَجْدَرَ بِذَلِكَ ، وَفُلَانٌ مِنَ الْمَشَاهِيرِ بَيْنَ  
الْفُضَلَاءِ لَا يُصَلِّي ، وَفُلَانٌ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَفُلَانٌ يَأْكُلُ  
أَمْوَالَ الْأَوْقَافِ وَأَمْوَالَ الْيَتَامَى ، وَفُلَانٌ يَأْكُلُ إِذْرَارَ  
السُّلْطَانِ وَلَا يَحْتَرِزُ عَنِ الْحَرَامِ ، وَفُلَانٌ يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ عَلَى  
الْقَضَاءِ وَالشَّهَادَةِ ! » وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى أَمْثَالِهِ ...

وَقَائِلُهُ ثَانٍ يَدْعِي عِلْمَ التَّصَوُّفِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ  
مَبْلَغًا تَرَقَّى عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْعِبَادَةِ !  
وَقَائِلُهُ ثَالِثٌ يَتَعَمَّلُ بِشُبُهَةِ أُخْرَى مِنْ شُبُهَاتِ أَهْلِ  
الْإِبَاحَةِ !

وَهُوَ لِأَنَّ هُمُ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنِ التَّصَوُّفِ .  
وَقَائِلُهُ رَابِعٌ لَقِيَ أَهْلَ التَّعْلِيمِ فَيَقُولُ : « الْحَقُّ  
مُشْكِلٌ ، وَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ مُسْتَوَعِرٌ ، وَالِاخْتِلَافُ فِيهِ كَثِيرٌ ،  
وَأَيْسَ بَعْضُ الْمَذَاهِبِ أَوْلَى مِنْ بَعْضٍ ، وَادِلَّةُ الْعُقُولِ  
مُتَعَارِضَةٌ ، فَلَا ثِقَّةَ بِرَأْيِ أَهْلِ الرَّأْيِ ، وَالِدَّاعِي إِلَى التَّعْلِيمِ  
مُتَحَكِّمٌ لِاحْتِجَةِ لَهُ ، فَكَيْفَ أَدْعُ الْيَقِينَ بِالشَّكِّ » .  
وَقَائِلُهُ خَامِسٌ يَقُولُ : « لَسْتُ أَفْعَلُ هَذَا تَقْلِيدًا ،  
وَلَكِنِّي قَرَأْتُ عِلْمَ الْفَلَسَفَةِ ، وَأَدْرَكْتُ حَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ  
وَأَنَّ حَاصِلَهَا يَرْجِعُ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ ، وَأَنَّ  
الْمَقْصُودَ مِنْ تَعَبُدَاتِهَا : صَبْطُ عَوَامِّ الْخَلْقِ وَتَقْيِيدُهُمْ  
عَنِ التَّقَاتِلِ وَالتَّنَازُعِ وَالِاسْتِرْسَالِ فِي الشَّهَوَاتِ ، فَمَا أَنَا  
( ١٢ - النزالي - ثالث )

مِنَ الْعَوَامِّ الْجُهَالِ حَتَّى أُدْخِلَ فِي حَجْرِ التَّكْلِيفِ ، وَإِنَّمَا  
أَنَا مِنَ الْحُكَمَاءِ أَتْبِعُ الْحِكْمَةَ وَأَنَا بَصِيرٌ بِهَا ، مُسْتَعْنٍ  
فِيهَا عَنِ التَّقْلِيدِ ! » .

هَذَا مُنْتَهَى إِيمَانِ مَنْ قَرَأَ مَذْهَبَ فَلَاسِفَةِ الْإِلَهِيِّينَ مِنْهُمْ ،  
وَتَعَلَّمَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ ابْنِ سَيْنَا <sup>(١)</sup> وَأَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ .  
وَهُوَ لِأَنَّ هُمُ الْمُتَجَمِّلُونَ بِالْإِسْلَامِ .

وَرُبَّمَا تَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَيَحْضُرُ  
الْجَمَاعَاتِ وَالصَّلَوَاتِ ، وَيُعْظَمُ الشَّرِيعَةَ بِلِسَانِهِ ، وَلَكِنَّهُ  
مَعَ ذَلِكَ لَا يَتْرُكُ شُرْبَ الْخَمْرِ ، وَأَنْوَاعًا مِنَ الْفِسْقِ  
وَالْفُجُورِ ! وَإِذَا قِيلَ لَهُ : « إِنْ كَانَتِ النَّبُوَّةُ غَيْرَ صَاحِبِحَةٍ  
فَلِمَ تُصَلَّى ؟ » فَرُبَّمَا يَقُولُ : « لِرِيَاضَةِ الْجِسْمِ ، وَلِعَادَةِ  
أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَحِفْظِ الْمَالِ وَالْوَالِدِ ! » وَرُبَّمَا قَالَ : « الشَّرِيعَةُ  
صَاحِبِحَةٌ ، وَالنَّبُوَّةُ حَقٌّ » فَيُقَالُ : « فَلِمَ تَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ »

(١) الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور  
وكان نادرة عصره ، في علمه وذكائه ، وأصانيفه ، وهو أحد فلاسفة  
المسلمين ؟ وكانت ولادته في سنة سبعين وثلاثمائة ، في شهر صفر ، ونوفي  
بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على  
الأشهر ، ودفن بها



فَيَقُولُ : « إِنَّمَا نُهِيَ عَنِ الْخَمْرِ لِأَنَّهَا تُورِثُ الْعِدَاوَةَ  
وَالْبَغْضَاءَ ، وَأَنَا بِحِكْمَتِي مُحْتَرِزٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَإِنِّي أَقْصِدُ  
بِهِ تَشْحِيدَ خَاطِرِي » . حَتَّى إِنْ أَبْنِ سَيْنَا ذَكَرَ فِي وَصِيَّةِ  
لَهُ مَا نَصَّهُ : « أَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ عَلَى كَذَا وَكَذَا ، وَأَنْ يُعْظَمَ  
الْأَوْضَاعَ الشَّرْعِيَّةَ ، وَلَا يُقْصَرَ فِي الْعِبَادَاتِ الدِّيْنِيَّةِ ،  
وَلَا يُشْرَبَ تَلْهِيمًا بَلْ تَدَاوِيًا وَتَشَافِيًا » . فَكَانَ مُتَّهَى  
حَالَتِهِ فِي صَفَاءِ الْإِيمَانِ ، وَالتَّزَامِ الْعِبَادَاتِ ، أَنْ أُسْتَنْتَى  
شُرْبَ الْخَمْرِ لِعَرَضِ التَّشَافِي .

فَهَذَا إِيْمَانٌ مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَخَذَ  
بِهِمْ جَمَاعَةٌ ، زَادَهُمْ أَنْخِدَادُهُمْ ضَعْفُ اعْتِرَاضِ الْمُعْتَرِضِينَ  
عَلَيْهِمْ ، إِذَا اعْتَرَضُوا بِمُجَاحِدَةِ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ وَالْمَنْطِقِ ،  
وَعَبْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ ضَرُورِيٌّ لَهُمْ ، عَلَى مَا بَيَّنَّا عَلَيْهِ  
مِنْ قَبْلُ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَصْنَافَ الْخَلْقِ مِمَّنْ ضَعُفَ إِيمَانُهُمْ إِلَى هَذَا  
الْحَدِّ بِهَذِهِ الْأَسْبَابِ ، وَرَأَيْتُ نَفْسِي مُكَبَّئَةً <sup>(١)</sup> عَلَى كَشْفِ

(١) أكب على الأمر : لزمه

هَذِهِ الشُّبْهَةِ ، حَتَّى كَانَ إِفْضَاحُ هَوِّ لَاهِ أَيْسَرَ عِنْدِي مِنْ  
شَرِبَةِ مَاءٍ ، لِكَثْرَةِ خَوْضِي فِي عُلُومِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، أَعْنِي  
طُرُقَ الصُّوفِيَّةِ وَالْفَلَّاسِفَةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ وَالْمَتَوَسِّمِينَ مِنْ  
الْعُلَمَاءِ ، انْقَدَحَ فِي نَفْسِي أَنَّ ذَلِكَ مُتَعَيَّنٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ  
مَحْتَمٌ . فَمَاذَا تُعْنِيكَ <sup>(١)</sup> الْخَلْوَةُ وَالْعَزَلَةُ ، وَقَدْ عَمَّ الدَّاءُ ؟  
وَمَرِضَ الْأَطِبَّاءُ ، وَأَشْرَفَ الْخَلْقُ عَلَى الْهَلَاكِ ؟ ثُمَّ قُلْتُ  
فِي نَفْسِي : « مَتَى تَشْتَغِلُ أَنْتَ بِكَشْفِ هَذِهِ النُّعْمَةِ وَمُصَادَمَةِ  
هَذِهِ الظُّلْمَةِ ، وَالزَّمَانُ زَمَانُ الْفِتْرَةِ ، وَالذَّوْرُ ذَوْرُ الْبَاطِلِ  
وَلَوْ أَشْتَغَلْتَ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ ، عَنْ طُرُقِهِمْ إِلَى الْحَقِّ ،  
لَمَادَكَ أَهْلُ الزَّمَانِ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَأَتَى ثِقَابِهِمْ ، فَكَيْفَ  
تُعَايِشُهُمْ ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِزَمَانٍ مُسَاعِدٍ ، وَسُلْطَانٍ  
مُتَدَيِّنٍ قَاهِرٍ ؟ » .

فَرَخَّصْتُ يَدَيَّ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى الْعَزَلَةِ  
وَتَعَلَّلًا بِالْعَجْزِ عَنْ إِظْهَارِ الْحَقِّ بِالْحُجَّةِ ، نَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى  
أَنَّ حَرَكَ دَاعِيَةَ سُلْطَانِ الْوَقْتِ ، مِنْ نَفْسِهِ ، لَا يَتَجَرَّيكَ

(١) كانت في الاصل : تعنيك بالعين المهملة . عمر

مِنْ خَارِجٍ . فَأَمَرَ أَمْرَ إِلْزَامٍ بِالنُّهُوضِ إِلَى نَيْسَابُورَ ،  
 لِتَدَارِكِ هَذِهِ الْفِتْرَةَ ، وَبَلَغَ الْإِلْزَامُ حَدًّا كَانَ يَنْتَهِي ،  
 لَوْ أَصْرَرْتُ عَلَى الْخِلَافِ ، إِلَى حَدِّ الْوَحْشَةِ . فَخَطَرَ لِي  
 أَنْ سَبَبَ الرُّخْصَةَ قَدْ ضَمَعُ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ  
 بِاعْتِكَ عَلَى مُلَازِمَةِ الْعُزْلَةِ الْكَسَلِ وَالِاسْتِرَاحَةِ ، وَطَلَبَ  
 عِزَّ النَّفْسِ وَصَوْنَهَا عَنْ أَذَى الْخَلْقِ ، وَلَمْ تُرَخِّصْ لِنَفْسِكَ  
 لِعُسْرِ مُعَانَاةِ <sup>(١)</sup> الْخَلْقِ ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « بِسْمِ اللَّهِ  
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . آ لَمْ . أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ  
 يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »  
 الْآيَةَ . وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ وَهُوَ أَعَزُّ خَلْقِهِ :  
 « وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا  
 وَأَوْدُوا ، حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا ؛ وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ .  
 وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ » . وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ :  
 « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَسَّ . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ »

(١) كانت هذه الكلمة في الاصل : معافاة بالفاء . وكانت كلمة  
 لنفسك في الاصل بغير اللام . عمر عبد الخالق

إِلَى قَوْلِهِ : إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ . فَشَاوَرْتُ  
فِي ذَلِكَ جَمَاعَةً مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَالْمُشَاهِدَاتِ ، فَاتَّفَقُوا  
عَلَى الْإِشَارَةِ بِتَرْكِ الْعُزْلَةِ ، وَالْخُرُوجِ مِنَ الزَّوَايَةِ ، وَأَنْضَافَ  
إِلَى ذَلِكَ مَنَامَاتٍ مِنَ الصَّالِحِينَ كَثِيرَةً مُتَوَابِرَةً ، تَشْهَدُ  
بِأَنَّ هَذِهِ الْحُرَاةَ مَبْدَأُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، قَدَّرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمِائَةِ ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِإِحْيَاءِ دِينِهِ  
عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ . فَاسْتَحْكَمَ الرَّجَاءُ ، وَغَلَبَ حُسْنُ  
الظَّنِّ بِسَبَبِ هَذِهِ الشَّهَادَاتِ ، وَيَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْحُرَاةَ  
إِلَى تَبَسُّبُورٍ ، لِلْقِيَامِ بِهَذَا الْمُهَمِّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ  
تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَكَانَ الْخُرُوجُ مِنْ بَغْدَادَ  
فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَبَلَغَتْ  
مُدَّةُ الْعُزْلَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً . وَهَذِهِ حَرَاكَةُ  
قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَهِيَ مِنْ عَجَائِبِ تَقْدِيرَاتِهِ الَّتِي لَمْ  
يَكُنْ لَهَا أَنْقِدَاحٌ فِي الْقَلْبِ فِي هَذِهِ الْعُزْلَةِ ، كَمَا لَمْ  
يَكُنْ الْخُرُوجُ مِنْ بَغْدَادَ ، وَالنُّزُوعُ عَنْ تِلْكَ الْأَحْوَالِ  
مِمَّا خَطَرَ إِمْكَانُهُ أَصْلًا بِالْبَالِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُقَلِّبُ

الْقُلُوبِ وَالْأَحْوَالِ وَ « قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ  
أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » وَأَنَا أَعْلَمُ أُنِّي ، وَإِنْ رَجَعْتُ إِلَى نَشْرِ  
الْعِلْمِ ، فَمَا رَجَعْتُ ! فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَوْدًا إِلَى مَا كَانَ ،  
وَكَنتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنْشُرُ الْعِلْمَ الَّذِي بِهِ يُكْتَسَبُ  
الْجَاهُ ، وَأَدْعُو إِلَيْهِ بِقَوْلِي وَعَمَلِي ، وَكَانَ ذَلِكَ قَصْدِي  
وَنِيَّتِي . وَأَمَّا الْآنَ ، فَأَدْعُو إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي بِهِ يُتْرَكُ  
الْجَاهُ ، وَتُعْرَفُ بِهِ سُقُوطُ رُتَبَةِ الْجَاهِ . هَذَا هُوَ الْآنَ  
نِيَّتِي وَقَصْدِي وَأَمْنِيَّتِي ، يَعْلَمُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنِّي ، وَأَنَا أُنْبِئُ  
أَنْ أُصْلِحَ نَفْسِي وَغَيْرِي ، وَلَسْتُ أَذْرِي أَصِلُ إِلَى مُرَادِي  
أَمْ أُخْتَرَمُ <sup>(١)</sup> دُونَ غَرَضِي ؟ إِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَإِنِّي لَمْ أَتَحَرَّكَ ، لَكِنَّهُ حَرَّكَنِي ،  
وَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ ، لَكِنَّهُ اسْتَعْمَلَنِي ، فَاسْأَلُهُ أَنْ يُصْلِحَنِي  
أَوَّلًا ، ثُمَّ يُصْلِحَ بِي ، وَيَهْدِيَنِي ، ثُمَّ يَهْدِيَ بِي ، وَأَنْ  
يُرِيَنِي الْحَقَّ حَقًّا ، وَيَرْزُقَنِي اتِّبَاعَهُ ، وَيُرِيَنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا ،  
وَيَرْزُقَنِي اجْتِنَابَهُ .

(١) اخترمه الدهر: اقتطعه واستأصله يربد الموت قبل بلوغ المراد

وَنَعُودُ الْآنَ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ  
بِذِكْرِ طَرِيقِ إِرْشَادِهِمْ وَإِنْقَادِهِمْ مِنْ مَهَالِكِهِمْ :  
أَمَّا الَّذِينَ أَدَّعَوْا الْحَيْرَةَ بِمَا سَمِعُوهُ مِنْ أَهْلِ التَّعْلِيمِ ،  
فَعِلَاجُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي رِسَالَةِ « الْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ »  
وَسَتَأْتِي بِنَصِّهَا ، وَلَا نُطَوِّلُ بِذِكْرِهَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ .  
وَأَمَّا مَا تَوَهَّمَهُ أَهْلُ الْإِبَاحَةِ ، فَقَدْ حَصَرْنَا شُبُهَهُمْ فِي  
سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ وَكَشَفْنَاهَا فِي كِتَابِ « كِيمِيَاءِ السَّعَادَةِ » .  
وَأَمَّا مَنْ فَسَدَ إِيمَانُهُ بِطَرِيقِ الْفَلَسَفَةِ ، حَتَّى أَنْكَرَ  
أَصْلَ النُّبُوَّةِ ، فَقَدْ ذَكَرْنَا حَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ وَوُجُودَهَا  
بِالضَّرُورَةِ ، بِدَلِيلِ وَجُودِ عِلْمِ خَوَاصِّ الْأَدْوِيَةِ وَالنُّجُومِ  
وَعَيْرِهِمَا . وَإِنَّمَا قَدَّمْنَا هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ لِأَجْلِ ذَلِكَ . وَإِنَّمَا  
أُورَدْنَا الدَّلِيلَ مِنْ خَوَاصِّ الطَّبِّ وَالنُّجُومِ ، لِأَنَّهُ مِنْ  
نَفْسِ عِلْمِهِمْ . وَنَحْنُ نُبَيِّنُ لِكُلِّ عَالِمٍ بَفَنِّ مِنَ الْعُلُومِ  
كَالنُّجُومِ وَالطَّبِّ وَالطَّبِيعَةِ وَالسَّحْرِ وَالظُّلُمَاتِ مَثَلًا مِنْ  
نَفْسِ عِلْمِهِ ، بُرْهَانَ النُّبُوَّةِ :

وَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ النُّبُوَّةَ بِلِسَانِهِ ، وَسَوَّى أَوْضَاعَ  
الشَّرْعِ عَلَى الْحِكْمَةِ ، فَهُوَ عَلَى التَّحْقِيقِ كَافِرٌ بِالنُّبُوَّةِ ،  
وَإِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ بِحُكْمٍ لَهُ طَائِعٌ مَخْصُوصٌ ، يَقْتَضِي  
طَالِعُهُ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا ؛ وَلَيْسَ هَذَا مِنَ النُّبُوَّةِ فِي  
شَيْءٍ . بَلِ الْإِيمَانُ بِالنُّبُوَّةِ : أَنْ يُقَرَّرَ بِإِثْبَاتِ طَوْرِ وَرَاءِ  
العَقْلِ ، تَنْفَتِيحُ فِيهِ عَيْنٌ يُدْرِكُ بِهَا مُدْرَكَاتٌ خَاصَّةٌ ،  
وَالعَقْلُ مَعْرُوفٌ عِنهَا ، كَمَزَلِ السَّمْعِ عَنِ إِدْرَاكِ الْأَلْوَانِ ،  
وَالْبَصَرِ عَنِ إِدْرَاكِ الْأَصْوَاتِ ، وَجَمِيعِ الْخَوَاصِّ عَنِ  
إِدْرَاكِ الْمَعْقُولَاتِ . فَإِنْ لَمْ يُجَوِّزْ هَذَا ، فَقَدْ أَقْمَنَا  
الْبُرْهَانَ عَلَى إِمْكَانِهِ ، بَلْ عَلَى وُجُودِهِ . وَإِنْ جَوَّزَ هَذَا  
فَقَدْ أَثْبَتَ ، أَنَّ هَهُنَا أُمُورًا تُسَمَّى خَوَاصًّا ، لَا يَدُورُ  
تَصَرُّفُ العَقْلِ حَوْلَ يَئِهَا أَصْلًا ، بَلْ يَكَادُ العَقْلُ يُكَدِّبُهَا  
وَيَقْضِي بِاسْتِحْالَتِهَا . فَإِنَّ وَزْنَ دَانِقٍ <sup>(١)</sup> مِنْ الْأَفْيُونِ ؛  
سُمٌّ قَاتِلٌ لِأَنَّهُ يُجَمِّدُ الدَّمَ فِي العُرُوقِ إِفْرَطٍ بُرُودَتِهِ .

وَالَّذِي يَدْعِي عِلْمَ الطَّبِيعَةِ ، يَزْعُمُ أَنَّ مَا يَبْرُدُ مِنَ  
الْمَرْكَبَاتِ ، إِنَّمَا يَبْرُدُ بِمَنْصَرِي الْمَاءِ وَالتُّرَابِ ؛ فَهَمَا  
الْعُنْصُرَانِ الْبَارِدَانِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَرْطَالَآ مِنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ  
لَا يَبْلُغُ تَبْرِيدُهُمَا فِي الْبَاطِنِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ . فَلَوْ أُخْبِرَ  
طَبِيعِيٌّ بِهَذَا وَلَمْ يُجَرِّبْهُ ، لَقَالَ : « هَذَا مُحَالٌ ، وَالذَّلِيلُ  
عَلَى اسْتِحَالَتِهِ أَنْ فِيهِ نَارِيَّةٌ وَهَوَائِيَّةٌ ، وَالْهَوَائِيَّةُ وَالنَّارِيَّةُ  
لَا تَزِيدُ بِهَا بُرُودَةٌ ؛ فَتَقْدَرُ الْكُلُّ مَاءً وَتُرَابًا ، فَلَا يُوجِبُ  
هَذَا الْإِفْرَاطَ بِالتَّبْرِيدِ ، فَإِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِ حَارَّانِ فَبِأَنْ لَا يُوجِبَ  
أَوْلَى » وَيَقْدَرُ هَذَا بُرْهَانًا ! وَأَكْثَرُ بَرَاهِينِ الْفَلَاسِفَةِ  
فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى هَذَا الْجِنْسِ ! فَإِنَّهُمْ  
تَصَوَّرُوا الْأُمُورَ عَلَى قَدْرِ مَا وَجَدُوهُ وَعَقَلُوهُ ، وَمَالَمْ  
يَأْلَفُوهُ قَدَرُوا اسْتِحَالَتَهُ . وَلَوْ لَمْ تَكُنِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ  
مَأْلُوفَةً ، وَادَّعَى مُدَّعٍ ، أَنَّهُ عِنْدَ رُكُودِ الْحَوَاسِّ ، يَعْلَمُ  
الْغَيْبَ ، لَأَنْكَرَهُ الْمُتَّصِفُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعُقُولِ . وَلَوْ قِيلَ  
لِوَاحِدٍ : « هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ ، هُوَ



بِمِقْدَارِ حَبَّةٍ ، يُوضَعُ فِي بَلْدَةٍ ، فَيَأْكُلُ تِلْكَ الْبَلْدَةَ بِجُمْلَتِهَا  
 ثُمَّ يَأْكُلُ نَفْسَهُ فَلَا يَبْقَى شَيْئًا مِنَ الْبَلْدَةِ وَمَا فِيهَا ، وَلَا  
 يَبْقَى هُوَ فِي نَفْسِهِ ؟ لَقَالَ : « هَذَا مُحَالٌ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ  
 الْخُرَافَاتِ ! » وَهَذِهِ حَالَةُ النَّارِ ، يُنْكَرُهَا مَنْ لَمْ يَرَ  
 النَّارَ إِذَا سَمِعَهَا . وَأَكْثَرُ إِنْكَارِ عَجَائِبِ الْآخِرَةِ هُوَ  
 مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . فَنَقُولُ لِلطَّبِيعِيِّ : « قَدْ اضْطُرِرْتَ إِلَى أَنْ  
 تَقُولَ : فِي الْأَفْيُونِ خَاصِيَّةٌ فِي التَّبْرِيدِ ، لَيْسَ عَلَى قِيَاسِ  
 الْمَعْقُولِ بِالطَّبِيعَةِ . فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَوْضَاعِ  
 الشَّرْعِيَّةِ مِنْ أَخْوَاصٍ ، فِي مُدَاوَاةِ الْقُلُوبِ وَتَصْفِيَّتِهَا ،  
 مَا لَا يُدْرِكُ بِالْحِكْمَةِ الْعَقْلِيَّةِ ، بَلْ لَا يُبْصَرُ ذَلِكَ إِلَّا بِعَيْنِ  
 النُّبُوَّةِ ؟ » بَلْ قَدْ اعْتَرَفُوا بِخَوَاصِّ هِيَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا  
 فِيمَا أوردوهُ فِي كِتَابِهِمْ ، وَهِيَ مِنْ أَخْوَاصِّ الْعَجِيبَةِ الْمَجْرَبَةِ  
 فِي مُعَالَجَةِ الْحَامِلِ الَّتِي عَمَّرَ عَلَيْهَا الطَّلُقُ بِهَذَا الشَّكْلِ :

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

د	ط	ب
ج	هـ	ز
ح	ا	و

يُكْتَبُ عَلَى خِرْقَتَيْنِ لَمْ يُصِيبْهُمَا مَاءٌ ، وَتَنْظَرُ إِلَيْهِمَا  
الْحَامِلُ بِعَيْنَيْهَا ، وَتَضَعُهُمَا تَحْتَ قَدَمَيْهَا ، فَيُسْرِعُ الْوَلَدُ  
فِي الْحَالِ إِلَى الْخُرُوجِ . وَقَدْ أَقْرَأُوا بِإِمْسَاكِ ذَلِكَ وَأُورِدُوهُ  
فِي كِتَابِ « عَجَائِبِ الْخَوَاصِّ » وَهُوَ شَكْلٌ فِيهِ تِسْعَةٌ  
يُوتِ ، يُرَقَّمُ فِيهَا رُقُومٌ مَخْصُوصَةٌ ، يَكُونُ مَجْمُوعُ  
مَا فِي جَدْوَلٍ وَاحِدٍ خَمْسَةَ عَشَرَ ، قَرَأْتُهُ فِي طُولِ الشَّكْلِ  
أَوْ فِي عَرْضِهِ أَوْ عَلَى التَّارِبِ (١) .

فِيَالَيْتَ شِعْرِي ! مَنْ يُصَدِّقُ بِذَلِكَ ، كَيْفَ (٢) لَا يَتَّسِعُ  
عَقْلُهُ لِلتَّصَدِيقِ ، بِأَنَّ تَقْدِيرَ صَلَاةِ الصُّبْحِ بِرَكْعَتَيْنِ ،  
وَالظُّهْرِ بِأَرْبَعٍ ، وَالْمَغْرِبِ بِثَلَاثٍ ، هِيَ لِخَوَاصِّ غَيْرِ  
مَعْلُومَةٍ بِنَظَرِ الْحِكْمَةِ ؟ وَسَبَبُهَا اخْتِلَافُ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ  
وَإِنَّمَا تُدْرِكُ هَذِهِ الْخَوَاصُّ بِنُورِ النُّبُوَّةِ . وَالْعَجَبُ أَنَا  
لَوْ غَيْرْنَا الْعِبَارَةَ إِلَى عِبَارَةِ الْمُتَجَمِّعِينَ ، لَعَقَلُوا اخْتِلَافَ  
هَذِهِ الْأَوْقَاتِ ، فَتَقُولُ : « أَلَيْسَ يَخْتَلِفُ الْحُكْمُ فِي الطَّلَاعِ

(١) يقصد بالتأرب: قراءة ما في المربع من إحدى زواياه إلى الزاوية المقابلة

لها ويلوح لي أن أصلها التأويب بالواو ومعناه الرجوع . عمر

(٢) كانت هذه الكلمة في الأصل : ثم

بأن تكون الشمس في وسط السماء ، أو في الطالع ،  
 أو في الغارب ، حتى يبنوا على هذا في تسيراتهم اختلاف  
 العلاج ، وتفاوت الأعمار والآجال ، ولا فرق بين الزوال  
 وبين كون الشمس في وسط السماء ، ولا بين المغرب  
 وبين كون الشمس في الغارب ، فهل لتصديقه سبيل ؟  
 إلا أن ذلك يسمعه بعبارة منجم ، لعله جرب كذبه  
 مائة مرة ، ولا يزال يعاود تصديقه ، حتى لو قال  
 المنجم له : « إذا كانت الشمس في وسط السماء ، ونظر  
 إليها الكوكب الفلاني ، والطالع هو البرج الفلاني ،  
 فلبست ثوباً جديداً في ذلك الوقت قتلت في ذلك  
 الثوب ! » فإنه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت ؛ وربما  
 يقاسى فيه البرد الشديد ، وربما سمعه من منجم وقد  
 عرف كذبه مرات !

فليت شعري ! من يتسع عقله لقبول هذه البدائع  
 ويضطر إلى الاعتراف بأنها خواص - معرفتها معجزة

لِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ - فَكَيْفَ يُنْكِرُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فِيمَا يَسْمَعُهُ  
مِنْ قَوْلِ نَبِيِّ صَادِقٍ مُؤَيَّدٍ بِالْمُعْجِزَاتِ ، لَمْ يُعْرِفْ قَطُّ  
بِالْكُذِبِ ؟ .

فَإِنْ أَنْكَرَ فَلَسْفِيٌّ إِمَّا كَانَ هَذِهِ الْخَوَاصُّ فِي أَعْدَادِ  
الرَّكْعَاتِ ، وَرَمَى الْجِمَارِ ، وَعَدَدِ أَرْكَانِ الْحُجِّ ، وَسَائِرِ  
تَعَبُّدَاتِ الشَّرْعِ ، لَمْ يَجِدْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَوَاصِّ الْأَذْوِيَةِ  
وَالنُّجُومِ فَرْقًا أَصْلًا . فَإِنْ قَالَ : « قَدْ جَرَّبْتُ شَيْئًا مِنْ  
النُّجُومِ وَشَيْئًا مِنَ الطَّبِّ ، فَوَجَدْتُ بَعْضَهُ صَادِقًا ،  
فَأَنْقَدَحَ فِي نَفْسِي تَصَدِيقُهُ ، وَسَقَطَ مِنْ قَلْبِي اسْتِبْعَادُهُ  
وَأُفْرِتُهُ ، وَهَذَا لَمْ أُجْرِبْهُ ، فِيمَ أَعْلَمُ وَجُودَهُ وَتَحْقِيقَهُ ؟  
وَإِنْ أَقْرَرْتُ بِإِمْكَانِهِ » فَأَقُولُ : « إِنَّكَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى  
تَصَدِيقِ مَا جَرَّبْتَهُ بَلْ سَمِعْتَ أَخْبَارَ الْمُجْرِبِينَ وَقَلَّدْتَهُمْ ،  
فَأَسْمَعُ أَقْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ جَرَّبُوا وَشَاهَدُوا الْحَقَّ فِي جَمِيعِ  
مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ ، وَأَسْأَلُكَ سَبِيلَهُمْ تُدْرِكُ بِالشَّاهِدَةِ  
بَعْضَ ذَلِكَ » .

عَلَى أَنِّي أَقُولُ : « وَإِنْ لَمْ تُجَرِّبْهُ ، فَيَقْضِي عَقْلَكَ  
بِوُجُوبِ التَّصْدِيقِ وَالِاتِّبَاعِ قَطْعًا . فَإِنَّا لَوْ فَرَضْنَا رَجُلًا  
بَلَّغَ وَعَقَلَ وَلَمْ يُجَرِّبِ الْمَرَضَ ، فَمَرِضَ ، وَلَهُ وَالِدٌ  
مُشْفِقٌ حَادِقٌ بِالطَّبِّ ، يَسْمَعُ دَعْوَاهُ فِي مَعْرِفَةِ الطَّبِّ  
مُذْنَعِلَ ، فَعَجَنَ لَهُ وَالِدُهُ دَوَاءً فَقَالَ : « هَذَا يَصْلُحُ  
لِمَرَضِكَ وَيَشْفِيكَ مِنْ سَقَمِكَ » . فَمَاذَا يَقْتَضِيهِ عَقْلُهُ ،  
وَإِنْ كَانَ الدَّوَاءُ مُرًّا كَرِيهَ المَذَاقِ ، أَيَتَنَاوَلُ ؟ أَوْ يُكْذِبُ  
وَيَقُولُ : « أَنَا لَا أَعْقِلُ مُنَاسَبَةَ هَذَا الدَّوَاءِ لِتَحْصِيلِ  
الشِّفَاءِ ، وَلَمْ أُجَرِّبْهُ ! » فَلَا شَكَّ أَنَّكَ تَسْتَحْمِقُهُ إِنْ فَعَلَ  
ذَلِكَ ! وَكَذَلِكَ يَسْتَحْمِقُكَ أَهْلُ البَصَائِرِ فِي تَوْفِيقِكَ !  
فَإِنْ قُلْتَ : « فَبِمَ أَعْرِفُ شَفَقَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَعْرِفَتَهُ  
بِهَذَا الطَّبِّ . فَأَقُولُ : « وَبِمَ عَرَفْتَ شَفَقَةَ أَبِيكَ وَوَلَدِكَ  
ذَلِكَ أَمْرًا مُحْسُوسًا ، بَلْ عَرَفْتَهَا بِقَرَائِنِ أَحْوَالِهِ وَشَوَاهِدِ  
أَعْمَالِهِ فِي مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ عِلْمًا ضَرُورِيًّا لَا تَتَمَارَى  
فِيهِ . »

وَمَنْ نَظَرَ فِي أَقْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
وَمَا وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي اهْتِمَامِهِ بِإِرْشَادِ الْخَلْقِ وَتَلَطُّفِهِ  
فِي جَرِّ النَّاسِ بِأَنْوَاعِ الرَّفْقِ وَاللُّطْفِ ، إِلَى تَحْسِينِ الْأَخْلَاقِ  
وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَبِالْجُمْلَةِ إِلَى مَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِهِ  
دِينُهُمْ وَدُنْيَاهُمْ ، حَصَلَ لَهُ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ ، بِأَنَّ شَفَقَتَهُ  
عَلَى أُمَّتِهِ أَعْظَمُ مِنْ شَفَقَةِ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ .

وَإِذَا نَظَرَ إِلَى عَجَائِبِ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْعَالِ ،  
وَإِلَى عَجَائِبِ الْغَيْبِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى  
لِسَانِهِ وَفِي الْأَخْبَارِ ، وَإِلَى مَا ذَكَرَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَظَهَرَ  
ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَهُ ، عِلْمٌ عِلْمًا ضَرُورِيًّا أَنَّهُ بَلَغَ الطُّورَ  
الَّذِي وَرَاءَ الْعَقْلِ ، وَأَنْفَجَتْ لَهُ الْعَيْنُ الَّتِي يَنْكَشِفُ  
مِنْهَا الْغَيْبُ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ ، وَالْأُمُورُ  
الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا الْعَمَلُ .

فَهَذَا هُوَ مِنْهَاجُ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ بِتَصَدِيقِ  
النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَجَرَّبَ وَتَأَمَّلِ الْقُرْآنَ وَطَالِعِ الْأَخْبَارَ  
تَعْرِفَ ذَلِكَ بِالْبَيَانِ .

وَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِي فِي تَنْبِيهِ الْمُتَفَلِّسِفَةِ ، ذَكَرْنَاهُ  
لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ .

وَأَمَّا السَّبَبُ الرَّابِعُ - وَهُوَ ضَعْفُ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ  
سُوءِ سِيرَةِ الْعُلَمَاءِ - فَيُدَاوِي هَذَا الْمَرَضَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ :  
أَحَدُهَا : أَنْ تَقُولَ : « إِنَّ الْعَالِمَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ  
يَأْكُلُ الْحَرَامَ ، مَعْرِفَتُهُ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ الْحَرَامِ ، كَمَعْرِفَتِكَ  
بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَالْحَمِ الْخَنْزِيرِ وَالرَّبَا ، بَلْ بِتَحْرِيمِ الْغَيْبَةِ  
وَالكُذْبِ وَالنَّمِيمَةِ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ ذَلِكَ وَتَفْعَلُهُ ،  
لَا لِعَدَمِ إِيْمَانِكَ بِأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ ، بَلْ لِشَهْوَتِكَ الْغَالِبَةِ عَلَيْكَ ،  
فَشَهْوَتُهُ كَشَهْوَتِكَ ، وَقَدْ غَلَبَتْهُ كَمَا غَلَبَتْكَ ، فَعِلْمُهُ  
بِمَسَائِلِ وَرَاءِ هَذَا يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْكَ ، لَا يَنْسَبُ زِيَادَةَ زَجْرِ  
عَنْ هَذَا الْمَحْظُورِ الْمُعَيَّنِ .

« وَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ بِالطَّبِّ لَا يَصْبِرُ عَنِ الْفَاكِهَةِ  
وَعَنِ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، وَإِنْ زَجَرَهُ الطَّيِّبُ عَنْهُ ! وَلَا يَدُكُ  
ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ ضَارٍّ ، أَوْ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِالطَّبِّ غَيْرُ

صَحِيحٌ ، فَهَذَا مَحْمَلُ هَفَوَاتِ الْعُلَمَاءِ .

الثَّانِي : أَنْ يُقَالَ لِلْعَامِي : « يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ الْعَالِمَ  
أَتَّخَذَ عِلْمَهُ ذُخْرًا لِنَفْسِهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَيَظُنُّ أَنَّ عِلْمَهُ  
يُنَجِّيه ، وَيَكُونُ لَهُ شَفِيعًا ، حَتَّى يُتَسَاهَلَ مَعَهُ فِي  
أَعْمَالِهِ ، لِفِضِيلَةِ عِلْمِهِ . وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ زِيَادَةَ حُجَّةٍ  
عَلَيْهِ ، فَهُوَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ زِيَادَةَ دَرَجَةٍ لَهُ ، وَهُوَ  
مُمْكِنٌ . فَهُوَ ، وَإِنْ تَرَكَ الْعَمَلَ ، يُدَلِّي بِالْعِلْمِ ، وَأَنْتَ  
أَيْهَا الْعَامِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَتَرَكَتَ الْعَمَلَ وَأَنْتَ عَنِ  
الْعِلْمِ عَاطِلٌ ، فَتَهْلِكُ بِسُوءِ عَمَلِكَ وَلَا شَفِيعَ لَكَ ! » .

الثَّلَاثُ : وَهُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَنَّ الْعَالِمَ الْحَقِيقِيَّ ، لَا يُقَارِفُ  
مَعْصِيَةً إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْهَفْوَةِ ، وَلَا يَكُونُ مُصِرًّا عَلَى  
الْمَعَاصِي أَصْلًا . إِذِ الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ مَا يُعْرِفُ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ  
سُمٌّْ مُهْلِكٌ ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا . وَمَنْ عَرَفَ  
ذَلِكَ لَا يَبِيعُ أَخْبَرَ بِمَا هُوَ أَذِنَ مِنْهُ .



وَهَذَا الْعِلْمُ لَا يَحْصُلُ بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ الَّتِي يَشْتَعِلُ  
بِهَا أَكْثَرُ النَّاسِ . فَلِذَلِكَ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ الْعِلْمُ إِلَّا  
جُرْأَةً عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَأَمَّا الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ ، فَيَزِيدُ  
صَاحِبَهُ خَشْيَةً وَخَوْفًا وَرَجَاءً ، وَهَذَا يَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
الْمَعَاصِي إِلَّا الْهَفَوَاتِ الَّتِي لَا يَنْفَكُ عَنْهَا الْبَشَرُ فِي الْفَرَاتِ ،  
وَذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ . فَالْمُؤْمِنُ مُفْتَنٌ (١)

تَوَابٌ ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْإِصْرَارِ وَالْإِكْبَابِ .

هَذَا مَا أَرَدْتُ أَنْ أَذْكَرُهُ فِي ذِمِّ الْفَلَسَفَةِ وَالتَّعْلِيمِ

وَأَفَاتِهِمَا وَآفَاتِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمَا ، لَا بِطَرِيقِهِ .

وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ آثَرِهِ وَأُجْتَبَاهُ ،

وَأَرْشَدَهُ إِلَى الْحَقِّ وَهَدَاهُ ، وَأَلْهَمَهُ ذِكْرَهُ حَتَّى لَا يَنْسَاهُ ،

وَعَصَمَهُ عَنْ شَرِّ نَفْسِهِ حَتَّى لَمْ يُؤْثِرْ عَلَيْهِ سِوَاهُ ، وَأَسْتَخْلَصَهُ

لِنَفْسِهِ حَتَّى لَا يَعْْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ .

رِسَالَةُ الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نوطاة

أَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلًا ، وَأَصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى

ثَانِيًا ، وَأَقُولُ :

إِخْوَانِي ، هَلْ فِيكُمْ مَنْ يُعِيرُنِي سَمْعَهُ لِأَحَدٍ مِنْهُ  
بِشَيْءٍ مِنْ أَسْمَارِي <sup>(١)</sup> ، فَقَدْ اسْتَقْبَلَنِي فِي بَعْضِ أَسْفَارِي .  
رَفِيقٌ مِنْ رُفَقَاءِ أَهْلِ التَّعْلِيمِ ، وَغَافِصِي <sup>(٢)</sup> بِالسُّؤَالِ  
وَالْجِدَالِ ، مُغَافِصَةً مَنْ يَتَّحَدَى <sup>(٣)</sup> بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَالْحُجَّةِ  
الْفَرَاءِ ، وَقَالَ لِي : أَرَأَيْكَ تَدَّعَى كَمَالَ الْمَعْرِفَةِ فَبِأَيِّ مِيزَانٍ  
تَزِنُ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ ؟ أَمِيزَانِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ ؟ وَذَلِكَ  
فِي غَايَةِ التَّعَارُضِ وَالْإِلْتِبَاسِ ، وَلِأَجْلِهِ ثَارَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ  
النَّاسِ ، أَمْ بِمِيزَانِ التَّعْلِيمِ ؟ فَيَلْزَمُكَ اتِّبَاعَ الْإِمَامِ

(١) أَسْمَارِي : جمع فله لسمر وهو الحديث ليلا (٢) غَافِصِي : فاجأني

وأخذني على غرة (٣) يَتَّحَدَى : يبرز ويتعمد وينازع الغلبة

الْمَعْصُومِ الْمُعَلِّمِ وَمَا أَرَاكَ تَحْرِصُ عَلَى طَلَبِهِ . فَقُلْتُ :  
 أَمَا مِيزَانُ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ ، فَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ أُعْتَصِمَ بِهِ فَإِنَّهُ  
 مِيزَانُ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ زَعَمَ مِنْ أَصْحَابِي أَنْ ذَلِكَ مِيزَانُ  
 الْمَعْرِفَةِ ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكْفِيَنِي شَرَّهُ عَلَى <sup>(١)</sup> الدِّينِ ،  
 فَإِنَّهُ لِلدِّينِ صَدِيقٌ جَاهِلٌ ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ ، وَلَوْ  
 رُزِقَ سَعَادَةٌ مَذْهَبِ أَهْلِ التَّعْلِيمِ ، لَتَعَلَّمَ أَوَّلًا الْجِدَالَ  
 مِنْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « ادْعُ إِلَى  
 سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي  
 هِيَ أَحْسَنُ » . وَعَلِمَ أَنَّ الْمَدْعُوَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْحِكْمَةِ  
 قَوْمٌ وَبِالْمُجَادَلَةِ قَوْمٌ ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ إِنْ غُدِّيَ بِهَا أَهْلُ  
 الْمَوْعِظَةِ ، أَضَرَّتْ بِهِمْ كَمَا تَضُرُّ بِالطِّفْلِ الرَّصِيعِ التَّغْذِيَةُ  
 بِلَحْمِ الطَّيْرِ ، وَإِنَّ الْمُجَادَلَةَ إِنْ اسْتَعْمِلَتْ مَعَ أَهْلِ  
 الْحِكْمَةِ ، اُسْمَأَزُوا مِنْهَا كَمَا يَشْمَهُرُ طَبَعُ الرَّجُلِ الْقَوِيِّ  
 مِنَ الْإِرْتِضَاعِ بِلَبَنِ الْآدَمِيِّ ، وَإِنْ مَنْ اسْتَعْمَلَ الْجِدَالَ  
 مَعَ أَهْلِ الْجِدَالِ لَا بِالطَّرِيقِ الْأَحْسَنِ كَمَا تَعَلَّمَ مِنْ

(١) كانت هذه الكلمة في الاصل : عن .عمر

الْقُرْآنِ ، كَانَ كَمَنْ غَذَى الْبَدْوَى بِحُبْرِ الْبُرِّ وَهُوَ لَمْ  
يَأْلَفْ إِلَّا التَّمْرَ ، أَوْ الْبَلْدِيَّ بِالتَّمْرِ وَهُوَ لَمْ يَأْلَفْ إِلَّا  
الْبُرَّ ، وَلَيْتَهُ كَانَتْ لَهُ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ كَمَا تَعَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ  
فِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - حَيْثُ حَاجَّ  
خَصْمَهُ فَقَالَ : « رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ » فَلَمَّا رَأَى أَنْ  
ذَلِكَ لَا يُنَاسِبُهُ وَلَيْسَ حَسَنًا عِنْدَهُ حِينَ قَالَ : أَنَا أُحْيِي  
وَأُمِيتُ ، عَدَلَ إِلَى الْأَوْفَقِ لِطَبْعِهِ وَالْأَقْرَبِ إِلَى فَهْمِهِ  
فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ  
الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ . وَلَمْ يَرَ كِبَ الْخَلِيلِ  
ظَهَرَ اللَّجَاجِ فِي تَحْقِيقِ عَجْزِهِ عَنِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، إِذْ عَلِمَ  
أَنَّ ذَلِكَ يَعْسُرُ عَلَيْهِ فَهَمُّهُ ، فَإِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الْقَتْلَ إِمَانَةً مِنْ جِهَتِهِ ،  
وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ لَا يَلِائِمُ قَرِيحَتَهُ <sup>(١)</sup> وَلَا يُنَاسِبُ حَدَّهُ فِي  
الْبَصِيرَةِ وَدَرَجَتِهِ ، وَلَمْ يَسْكُنْ مِنْ قَصْدِ الْخَلِيلِ إِفْنَائُوهُ  
بَلْ إِحْيَاؤُهُ ، وَالتَّغْذِيَةَ بِالْعِذَاءِ الْمُوَافِقِ إِحْيَاؤَهُ ، وَاللَّجَاجُ

(١) القريحة : طبيعة الانسان التي جبل عليها ، والضمير راجع الى عمرو

بِالْإِرْهَاقِ إِلَى مَا لَا يُرَافِقُ إِفْنَاءَهُ ، فَهَذِهِ دَقَائِقُ لَا تُدْرِكُ إِلَّا  
بِنُورِ التَّعْلِيمِ الْمُقْتَبَسِ مِنْ إِشْرَاقِ عَالَمِ النُّبُوَّةِ . فَلِذَلِكَ  
حُرِّمُوا التَّفَطُّنَ لَهُ ، إِذْ حُرِّمُوا مِنْ سِرِّ مَذْهَبِ التَّعْلِيمِ  
فَقَالَ : إِذَا اسْتَوْعَرْتَ <sup>(١)</sup> سَبِيلَهُمْ ، وَاسْتَوْهَنْتَ دَلِيلَهُمْ ،  
فَبِمَاذَا تَرِنُ مَعْرِفَتَكَ ؟ فَقُلْتُ : أَرِنِيهَا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ  
لِيُظَهَرَ إِلَى حَقِّهَا وَبَاطِلِهَا ، وَمُسْتَقِيمِهَا وَمَائِلِهَا ، أَتْبَاعًا لِلَّهِ  
تَعَالَى ، وَتَعْلِيمًا مِنَ الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ  
حَيْثُ قَالَ : « وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ » فَقَالَ : وَمَا  
الْقِسْطُ الْمُسْتَقِيمُ ؟ قُلْتُ : هِيَ الْمَوَازِينُ الْخَمْسُ ، الَّتِي  
أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَعَلَّمَ أَنْبِيََاءَهُ الْوِزْنَ بِهَا . فَمَنْ  
تَعَلَّمَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَوَزَنَ  
بِمِيزَانِ اللَّهِ فَقَدْ أَهْتَدَى ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهَا إِلَى الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ  
فَقَدْ ضَلَّ وَتَرَدَّى . فَقَالَ : أَيْنَ الْمَوَازِينُ فِي الْقُرْآنِ ،  
وَهَلْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ وَبُهْتَانٌ ؟ قُلْتُ : أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى

(١) استوعر : استصعب والسبيل : الطريق

فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ: «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ  
 عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا  
 فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ»  
 أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ  
 بِالْقِسْطِ» أَتَظُنُّ أَنَّ الْمِيزَانَ الْمَقْرُونِ بِالْكِتَابِ هُوَ مِيزَانُ  
 الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ، وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؟ أَتَوَهَّمُ أَنَّ الْمِيزَانَ  
 الْمُقَابِلَ وَضَعُهُ بِرَفْعِ السَّمَاءِ فِي قَوْلِهِ: «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا  
 وَوَضَعَ الْمِيزَانَ» هُوَ الطَّيَّارُ وَالْقَبَّانُ. مَا أَبْعَدَ هَذَا  
 الْحُسْبَانَ. وَأَعْظَمَ هَذَا الْبُهْتَانَ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَتَعَسَّفْ فِي  
 التَّأْوِيلِ، وَأَعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ هَذَا الْمِيزَانَ، هُوَ مِيزَانُ مَعْرِفَةِ  
 اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْرِفَةِ مَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَمُلْكِهِ  
 وَمَلَكَوْتِهِ، لِتَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ الْوَزْنِ بِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، كَمَا  
 تَعَلَّمُوا هُمْ مِنْ مَلَائِكَتِهِ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُعَلِّمُ  
 الْأَوَّلُ، وَالثَّانِي جِبْرِيلُ، وَالثَّلَاثُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاخْلَقُوا كُلَّهُمْ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الرُّسُلِ مَا لَيْسَ  
لَهُمْ طَرِيقٌ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِهِ إِلَّا بِهِمْ . فَقَالَ : فِيمَ عَرَفْتَ  
أَنَّ ذَلِكَ الْمِيزَانَ صَادِقٌ أَمْ كَاذِبٌ ؟ أِبِعَمَلِكَ وَنَظَرِكَ  
فَالْعُقُولُ مُتَعَارِضَةٌ ؟ ! أَمْ بِالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الصَّادِقِ الْقَائِمِ  
بِالْحَقِّ فِي الْعَالَمِ ؟ وَهُوَ مَذْهَبِي الَّذِي أَدْعُو إِلَيْهِ . فَقُلْتُ :  
ذَلِكَ أَيْضًا أَعْرِفُهُ بِالتَّعْلِيمِ وَلَكِنْ مِنْ إِمَامِ الْأَئِمَّةِ  
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرَاهُ فَإِنِّي أَسْمَعُ تَعْلِيمَهُ الَّذِي تَوَاتَرَ  
إِلَيَّ تَوَاتُرًا لَا أَشْكُ فِيهِ ، وَإِنَّمَا تَعْلِيمُهُ الْقُرْآنُ . وَبَيَّانُ  
صِدْقِ مَوَازِينِ الْقُرْآنِ ، مَعْلُومٌ مِنْ نَفْسِ الْقُرْآنِ . فَقَالَ :  
هَاتِ بُرْهَانَكَ وَأَخْرِجْ مِنْ الْقُرْآنِ مِيزَانَكَ ، وَأُظْهِرْ لِي  
كَيْفَ فَهِمْتَ مِنْ نَفْسِ الْقُرْآنِ صِدْقَهُ وَصِحَّتَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ :  
حَدَّثَنِي أَنْتَ بِهَمْ تَعْرِفُ صِحَّةَ مِيزَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
وَصِدْقَهُ ؟ وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ فَرَضٌ دِينِكَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ دِينٌ  
حَتَّى تَقْضِيَهُ تَامًّا مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ ، أَوْ كَانَ لَكَ عَلَى غَيْرِكَ

دَيْنٌ حَتَّى تَأْخُذَهُ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ رُجْحَانٍ ، فَإِذَا دَخَلْتَ  
سُوقًا مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَخَذْتَ مِيزَانًا مِنَ الْمَوَازِينِ ،  
وَقَضَيْتَ أَوْ اسْتَقْضَيْتَ بِهِ الدَّيْنَ ، فَبِمَ تَعْرِفُ أَنَّكَ لَمْ  
تُظْلَمَ بِنُقْصَانٍ فِي الْأَدَاءِ أَوْ بِرُجْحَانٍ فِي الْإِسْتِيفَاءِ ؟ فَقَالَ :  
أَحْسِنُ الظَّنَّ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَأَقُولُ : إِنَّهُمْ لَا يَسْتَفْلُونَ  
بِالْمَعَامَلَةِ إِلَّا بَعْدَ تَعْدِيلِ الْمَوَازِينِ ، فَإِنْ عَرَضَ لِي شَكٌّ  
فِي بَعْضِ الْمَوَازِينِ أَخَذْتُهُ وَرَفَعْتُهُ وَنَظَرْتُ إِلَى كِفَّتَيْ  
أَلِ زَانٍ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا اسْتَوَى انْتِصَابُ اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ  
مَيْلٍ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ ، وَرَأَيْتُ مَعَ ذَلِكَ تَقَابُلَ الْكِفَّتَيْنِ  
عَرَفْتُ أَنَّهُ مِيزَانٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ ، قُلْتُ : « هَبْ أَنْ  
اللِّسَانَ قَدْ انْتَصَبَ عَلَى الْإِسْتِوَاءِ وَأَنَّ الْكِفَّتَيْنِ مُتْحَازِيَتَانِ  
عَلَى السَّوَاءِ . فَمِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمِيزَانَ صَادِقٌ ؟ فَقَالَ :  
أَعْلَمُ ذَلِكَ عِلْمًا ضَرُورِيًّا يَحْصُلُ لِي مِنْ مُقَدَّمَتَيْنِ . إِحْدَاهُمَا  
تَجْرِبِيَّةٌ ، وَالْأُخْرَى حِسِّيَّةٌ .

أَمَّا التَّجْرِبِيَّةُ . فَهِيَ أَنِّي عَلِمْتُ بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّ الثَّقِيلَ



يَهْوِي إِلَى أَسْفَلَ ، وَأَنَّ الْأَثْقَلَ أَشَدُّ هَوِيًّا ، فَأَقُولُ : لَوْ  
كَانَتْ إِحْدَى الْكَفَّتَيْنِ أَثْقَلَ ، لَكَانَتْ أَشَدَّ هَوِيًّا .  
فَهَذِهِ مُقَدِّمَةٌ كَلِمِيَّةٌ تَجْرِبِيَّةٌ حَاصِلَةٌ عِنْدِي ضَرُورَةٌ ،  
وَالْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَّةُ . هِيَ أَنَّ هَذَا الْمِيزَانَ بِعَيْنِهِ رَأَيْتُهُ لَمْ  
تَهْوِ إِحْدَى كَفَّتَيْهِ بَلْ حَاذَتْ الْأُخْرَى مُحَاذَاةً مُسَاوَاةً .  
وَهَذِهِ مُقَدِّمَةٌ حِسِّيَّةٌ شَاهَدْتُهَا بِالْبَصْرِ ، فَلَا أَشْكُ لَافِي  
الْمُقَدِّمَةِ الْحِسِّيَّةِ ، وَلَا فِي الْأُولَى ، وَهِيَ مُقَدِّمَةٌ التَّجْرِبَةِ  
فَيَلْزَمُ فِي قَلْبِي مِنْ هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ تَدْبِجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ ،  
وَهِيَ الْعِلْمُ بِاسْتِوَاءِ الْمِيزَانِ . إِذْ أَقُولُ : لَوْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا  
أَثْقَلَ لَكَانَتْ أَهْوَى ، وَخُشُوسٌ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَهْوَى .  
فَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَثْقَلَ . قُلْتُ لَهُ : فَهَلْ هَذَا إِلَّا رَأْيٌ  
وَقِيَاسٌ عَقْلِيٌّ ؟ قَالَ : هَيْهَاتَ ، فَإِنَّ هَذَا عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ  
لَزِمَ مِنْ مُقَدِّمَاتٍ يَقِينِيَّةٍ حَصَلَ الْيَقِينُ بِهَا مِنَ التَّجْرِبَةِ  
وَالْحِسِّ ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا رَأْيًا وَقِيَاسًا ؟ وَالرَّأْيُ  
وَالْقِيَاسُ حَدْسٌ وَتَخْمِينٌ لَا يُفِيدَانِ بَرْدَ الْيَقِينِ ؟ وَأَنَا أَحْسُ

فِي هَذَا بَرْدَ الْيَقِينِ . قُلْتُ : فَإِنَّ عَرَفْتُ صِحَّةَ الْمِيزَانِ  
 بِهَذَا الْبُرْهَانِ ، فِيمَ عَرَفْتُ الصَّنْجَةَ <sup>(١)</sup> وَالْمِثْقَالَ ؟ فَلَعَلَّهُ  
 أَخَفُّ وَأَثْقَلُ مِنَ الْمِثْقَالِ الصَّحِيحِ . فَقَالَ : إِنْ شَكَّكَتُ  
 فِي هَذَا أَخَذْتُ عِيَارَةً مِنْ صَنْجَةٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدِي فَأَقَابِلُهَا بِهَا ،  
 فَإِذَا سَاوَى عَلِمْتُ أَنَّ الذَّهَبَ إِذَا سَاوَاهُ كَانَ مُسَاوِيًا  
 لِصَنْجَتِي ، فَإِنَّ الْمُسَاوِيَّ لِلْمُسَاوِيِ مُسَاوٍ . قُلْتُ : وَهَلْ  
 تَعْلَمُ وَاضِعَ الْمِيزَانِ فِي الْأَصْلِ مَنْ هُوَ ؟ وَهَلْ هُوَ الْوَاضِعُ  
 الْأَوَّلُ ؟ وَالَّذِي وَضَعَهُ مِنْهُ يَعْلَمُ هَذَا الْوِزْنَ ؟ قَالَ :  
 لَا ، وَمِنْ أَيْنَ أُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَقَدْ عَرَفْتُ صِحَّةَ الْمِيزَانِ  
 بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ ؟ بَلْ آكُلُ الْبَقْلَ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَى بِهِ ،  
 وَلَا أَسْأَلُ عَنِ الْمَبْقَلَةِ فَإِنَّ وَاضِعَ الْمِيزَانِ لَا يُرَادُ لِعَيْنِهِ  
 بَلْ يُرَادُ لِيُعْرَفَ مِنْهُ صِحَّةُ الْمِيزَانِ وَكَيْفِيَّةُ الْوِزْنِ بِهِ  
 وَأَنَا قَدْ عَرَفْتُهُ كَمَا حَكَيْتُهُ ، وَعَرَفْتُهُ فَاسْتَعْنَيْتُ عَنْ  
 مُرَاجَعَةِ صَاحِبِ الْمِيزَانِ عِنْدَ كُلِّ وَزْنٍ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَطُولُ

(١) الصنجة : لليزان عياره أو معياره وهي فارسية معربة

وَلَا يُظْفَرُ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ مَعَ أَنِّي فِي غُنْيَةٍ عَنْهُ . قُلْتُ :  
فَإِنْ أَتَيْتَكَ بِمِيزَانٍ فِي الْمَعْرِفَةِ مِثْلَ هَذَا وَأَوْضَحَ مِنْهُ ،  
وَأَزِيدُ عَلَيْهِ بِأَبْنٍ أُعْرِفُ وَاضِعَهُ وَمُعَلِّمَهُ وَمُسْتَعْمِلَهُ ،  
فَيَكُونُ وَاضِعُهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمُعَلِّمُهُ جِبْرِيلُ ،  
وَمُسْتَعْمِلُهُ الْخَلِيلُ وَمُحَمَّدٌ وَسَائِرُ النَّبِيِّينَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ  
أَجْمَعِينَ - .

وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي ذَلِكَ بِالصِّدْقِ ، فَهَلْ  
تَقْبَلُ ذَلِكَ مِنِّي ؟ وَهَلْ تُصَدِّقُ بِهِ ؟ فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ .  
وَكَيْفَ لَا أُصَدِّقُ بِهِ إِنْ كَانَ فِي الظُّهُورِ مِثْلَ مَا حَكَيْتَهُ  
لِي ؟ فَقُلْتُ : الْآنَ أَتَوَسَّمُ فِيكَ شِمَائِلَ الْكِيَاسَةِ ،  
وَقَدْ صَدَقَ رَجَائِي فِي تَقْوِيمِكَ وَتَفْهِيمِكَ حَقِيقَةَ مَذْهَبِكَ فِي  
تَعْلِيمِكَ ، فَأَكْشِفُ لَكَ عَنِ الْمَوَازِينِ الْخَمْسِ الْمُنْزَلَةَ فِي الْقُرْآنِ  
لِتَسْتَعْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ إِمَامٍ وَتُجَاوِزَ حَدَّ الْعَمِيَانِ ، فَيَكُونُ  
إِمَامُكَ الْمُصْطَفَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَائِدُكَ الْقُرْآنُ  
وَمَعْيَارُكَ الْمَشَاهِدَةُ وَالْعَمِيَانُ .

فَاعْلَمُ أَنَّ مَوَازِينَ الْقُرْآنِ فِي الْأَصْلِ ثَلَاثَةٌ :

مِيزَانُ التَّعَادُلِ .

مِيزَانُ التَّلَازُمِ .

مِيزَانُ التَّعَانُدِ .

لَكِنَّ مِيزَانَ التَّعَادُلِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

إِلَى الْأَكْبَرِ ، وَالْأَوْسَطِ ، وَالْأَصْغَرِ ، فَيَصِيرُ الْجَمِيعُ

خَمْسَةً .



« الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ الْأَكْبَرِ »

ميزان التعادل  
الأكبر

مِنْ مَوَازِينِ التَّعَادُلِ

ثُمَّ قَالَ لِي هَذَا الرَّفِيقُ الْكَيِّسُ مِنْ رُفَقَاءِ أَهْلِ

التَّعْلِيمِ : أَسْرَحَ لِي الْمِيزَانَ الْأَكْبَرَ مِنْ مَوَازِينِ التَّعَادُلِ

أَوَّلًا ، وَأَسْرَحَ لِي مَعْنَى هَذِهِ الْأَلْقَابِ ، وَهِيَ التَّعَادُلُ ،

وَالتَّلَازُمُ ، وَالتَّعَانُدُ ، وَالْأَكْبَرُ ، وَالْأَوْسَطُ ، وَالْأَصْغَرُ

فَإِنَّهَا الْقَابُ عَجِيبَةٌ غَرِيبَةٌ .

وَلَا أَشْكُ فِي أَنْ تَحْتَهَا مَعَانِي دَقِيقَةٌ . فَقُلْتُ : أَمَا  
مَعْنَى هَذِهِ الْأَقْبَابِ ، فَلَا تَفْهَمُهَا إِلَّا بَعْدَ شَرْحِهَا وَفَهْمِ  
مَعَانِيهَا، لِتُدْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَاسَبَةَ الْأَقْبَابِ لِحَقَائِقِهَا ، وَأَعْلَمُكَ  
أَوَّلًا أَنْ هَذَا الْمِيزَانَ يُشْبِهُ الْمِيزَانَ الَّذِي حَاكَيْتَهُ فِي  
الْمَعْنَى دُونَ الصُّورَةِ ، فَإِنَّهُ مِيزَانُ رُوحَانِيٍّ فَلَا يَسَاوِي  
الْجُسْمَانِيَّ . وَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ أَنْ يُسَاوِيَهُ ، وَالْمَوَازِينَ  
الْجُسْمَانِيَّةَ أَيْضًا تَخْتَلِفُ ؟ فَإِنَّ الْقَلْسَطُونَ <sup>(١)</sup> مِيزَانَ  
وَالطَّيَّارَ مِيزَانَ ، بَلِ الْأَصْطُرْلَابَ مِيزَانَ لِمَقَادِيرِ حَرَكَاتِ  
الْفَلَكَ ، وَالْمِسْطَرَّةَ مِيزَانَ لِمَقَادِيرِ الْأَبْعَادِ فِي الْأَخْطُوطِ ،  
وَالشَّائُولَ مِيزَانَ لِتَحْقِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْإِنْجِنَاءِ ، وَهِيَ  
وَإِنْ اخْتَلَفَتْ صُورُهَا مُشْتَرِكَةٌ فِي أَنَّهَا تُعْرَفُ بِهَا الزِّيَادَةُ  
وَالنَّقْصَانُ . بَلِ الْعَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ يُعْرَفُ بِهِ أَوْزَانُ  
الشَّعْرِ لِتَمَيُّزِ مُنْزَجِفِهِ عَنِ مُسْتَقِيمِهِ ، وَهُوَ أَشَدُّ رُوحَانِيَّةً

(١) القلسطون والطيار : هما ميزانان من أنواع الموازين الجسمانية  
واسمها اصطلاحى فى عصر المؤلف وبعضهم فسر القلسطون بالقبان

مِنَ الْمَوَازِينِ الْمُجَسَّمَةِ ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُتَجَرِّدٍ عَنِ عِلَاقِ  
الْأَجْسَامِ ، لِأَنَّهُ مِيزَانُ الْأَصْوَاتِ ، وَلَا يَنْفَصِلُ الصَّوْتُ  
عَنِ الْجِسْمِ ، وَأَشَدُّ الْمَوَازِينِ رُوحَانِيَّةً مِيزَانُ يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ ، إِذْ بِهِ تُوزَنُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ وَعَقَائِدُهُمْ وَمَعَارِفُهُمْ  
وَالْمَعْرِفَةُ وَالْإِيمَانُ لَا تَعْلُقُ لَهُمَا بِالْأَجْسَامِ ، وَلِذَلِكَ  
كَانَ مِيزَانُهُمَا رُوحَانِيًّا صَرَفًا - وَكَذَلِكَ مِيزَانُ الْقُرْآنِ  
لِلْمَعْرِفَةِ رُوحَانِيٌّ لَكِنْ يَرْتَبِطُ تَعْرِيفُهُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ  
بِعِلَاقِ ذَلِكَ الْعِلَاقِ التَّصَاقُ بِالْأَجْسَامِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ  
جِسْمًا ، فَإِنَّ تَعْرِيفَ الْغَيْرِ فِي هَذَا الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا  
مُشَافَهَةً وَذَلِكَ بِالْأَصْوَاتِ . وَالصَّوْتُ جُسْمَانِيٌّ ، أَوْ  
بِالْمُكَاتَبَةِ وَهِيَ الرُّفُومُ ، وَهِيَ أَيْضًا تَقَشُّ فِي وَجْهِ  
الْقِرْطَاسِ وَهُوَ جِسْمٌ ، هَذَا حُسْمُ غِلَافِهِ الَّذِي يَعْضُ  
فِيهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي نَفْسِهِ رُوحَانِيٌّ مَحْضٌ لِأَعْلَاقِهِ لَهُ مَعَ  
الْأَجْسَامِ ، إِذْ تُوزَنُ بِهِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ الْخَارِجَةُ عَنِ عَالَمِ  
الْأَجْسَامِ الْمُقَدَّسِ ، عَنِ أَنْ يُنَاسِبَ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارَ

فَضْلًا عَنِ نَفْسِ الْأَجْسَامِ ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ ذُو عَمُودٍ  
وَكَفَّتَيْنِ ، وَالْكَفَّتَانِ مُتَمَلِّقَتَانِ بِالْعَمُودِ ، فَالْعَمُودُ  
مُشْتَرِكٌ فِي الْكَفَّتَيْنِ لِأَزْتِبَاطِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِهِ ،  
هَذَا فِي مِيزَانِ التَّعَادُلِ .

\* \* \*

وَأَمَّا مِيزَانُ التَّلَازُمِ فَهُوَ بِالْقَبَّانِ أَشْبَهُ لِأَنَّهُ ذُو  
مِيزَانِ التَّلَازُمِ  
كِفَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَكِنْ يُقَابِلُهَا مِنْ الْأَجَانِبِ الْآخَرَ  
الرُّمَانَةَ ، وَبِهَا يُظْهِرُ التَّفَاوُتُ وَالتَّقْدِيرُ ، فَقَالَ : هَذِهِ  
حَنْطَنَةٌ عَظِيمَةٌ فَأَيْنَ الْمَعْنَى ؟ فَأِنِّي « أَسْمَعُ جَمْعَةً » (١)  
وَلَا أَرَى طِحْنًا . فَقُلْتُ لَهُ : أَصْبِرْ « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا »  
وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَالتَّائِي مِنَ اللَّهِ ،  
وَاعْلَمْ أَنَّ الْمِيزَانَ الْأَكْبَرَ هُوَ مِيزَانُ الْأَمَلِ - صَلَوَاتُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - الَّذِي أَسْتَعْمَلُهُ مَعَ نَمْرُودَ ، فَمِنْهُ  
تَعَلَّمْنَا هَذَا الْمِيزَانَ ، لَكِنْ بِوَسَاطَةِ الْقُرْآنِ ، وَذَلِكَ

(١) مثل : يضرب فيمن بعد ولا يني

أَنَّ مُرُودَ ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ وَكَانَتْ الْإِلَهِيَّةُ عِنْدَهُ بِالِاتِّفَاقِ  
 عِبَارَةً عَنِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : الْإِلَهُ  
 إِلَهِي لِأَنَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ ، وَأَنْتَ  
 لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُحْيِي  
 النُّطْفَةَ بِالْوُقَاعِ وَيُمِيتُ بِالْقَتْلِ فَعَلِمَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ - أَنَّ ذَلِكَ يَعْسُرُ عَلَيْهِ فَهَمَّ بِطُلَانِهِ فَمَدَلَ إِلَى  
 مَا هُوَ أَوْضَحُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ  
 الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ <sup>(١)</sup> الَّذِي كَفَرَ »  
 وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا  
 إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ » فَعَلِمْتُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْحُجَّةَ وَالْبُرْهَانَ  
 فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ وَمِيزَانِهِ ، فَنَظَرْتُ فِي كَيْفِيَّةِ وَزْنِهِ ،  
 كَمَا نَظَرْتُ أَنْتَ فِي مِيزَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَرَأَيْتُ  
 فِي هَذِهِ الْحُجَّةِ أَصْلَيْنِ قَدْ ازْدَوَجَا ، فَتَوَلَّدَ مِنْهُمَا نَدِيجَةٌ  
 هِيَ الْمَعْرِفَةُ ، إِذِ الْقُرْآنُ مَبْنَاهُ عَلَى الْحَدْفِ وَالِإِيحَازِ .  
 وَكَمَالُ صُورَةِ هَذَا الْمِيزَانِ أَنْ تَقُولَ : كُلُّ مَنْ يَقْدِرُ

(١) بهت : بالبناء للمجهول أى ندم ولم يحرج جواباً



عَلَى إِطْلَاعِ الشَّمْسِ فَهُوَ الْإِلَهِ فَهَذَا أَصْلُ . وَالْإِلَهِي هُوَ  
 الْقَادِرُ عَلَى الْإِطْلَاعِ وَهَذَا أَصْلٌ آخَرُ فَلَزِمَ مِنْ مَجْمُوعِهِمَا  
 أَنَّ إِلَهِي هُوَ الْإِلَهِ دُونَكَ يَا نَمْرُودُ . فَانظُرْ الْآنَ هَلْ  
 يُسَكِّنُ أَنْ يَعْتَرِفَ بِالْأَصْلَيْنِ مُعْتَرِفٌ ثُمَّ يَشْكُ فِي  
 النَّتِيجَةِ ؟ أَوْ هَلْ يُتَّصَرُّ أَنْ يَشْكُ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ  
 شَاكٌّ ؟ فَإِنَّ قَوْلَنَا : الْإِلَهِ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِطْلَاعِ الشَّمْسِ  
 لَا يُشْكُ فِيهِ ، لِأَنَّ الْإِلَهِ كَانَ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ  
 عِبَارَةٌ عَنِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِطْلَاعِ الشَّمْسِ هُوَ مِنْ  
 جُمْلَةِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ ، وَهَذَا أَصْلٌ مَعْلُومٌ بِالْوَضْعِ وَالِاتِّفَاقِ  
 وَقَوْلُنَا الْقَادِرُ عَلَى الْإِطْلَاعِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى دُونَكَ ، مَعْلُومٌ  
 بِالْمُشَاهَدَةِ ، فَإِنَّ عَجْزَ نَمْرُودَ وَعَجْزَ كُلِّ أَحَدٍ سِوَى  
 مَنْ يَحْرُكُ الشَّمْسَ مُشَاهِدٌ بِالْحِسِّ ، وَتَعْنِي بِالْإِلَهِ مُحْرِكُ  
 الشَّمْسِ وَمُطْلِعُهَا ، فَيَلْزَمُنَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ  
 الْمَعْلُومِ بِالْوَضْعِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ وَمِنَ الْأَصْلِ الثَّانِي الْمَعْلُومِ  
 بِالْمُشَاهَدَةِ ، أَنَّ نَمْرُودَ لَيْسَ هُوَ الْقَادِرَ عَلَى تَحْرِيكِ

الشَّمْسِ . فَتَعَلَّمُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ أَنَّ نُمُرُودَ  
 لَيْسَ بِإِلَهِ ، وَإِنَّمَا الْإِلَهِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى . فَرَأَجَعُ نَفْسَكَ  
 الْآنَ ، هَلْ تَرَى هَذَا أَوْضَحَ مِنَ الْمُقَدَّمَةِ التَّجْرِيدِيَّةِ وَالْحُسِّيَّةِ  
 اللَّتَيْنِ بَنَيْتَ عَلَيْهِمَا صِحَّةَ مِيزَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ؟؟ فَقَالَ :  
 هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ لَازِمَةٌ مِنْهُ بِالضَّرُورَةِ وَلَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَشْكَّ  
 فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَلَا أَنْ أَشْكَّ فِي لُزُومِ هَذِهِ النَّتِيجَةِ مِنْهُمَا ،  
 وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُنِي إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَعَلَى  
 الْوَجْهِ الَّذِي اسْتَعْمَلَهُ الْخَلِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -  
 وَذَلِكَ فِي نَفْيِ الْإِهْيَةِ نُمُرُودَ وَإِفْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ لِمَنْ تَقَرَّدَ  
 بِإِطْلَاعِ الشَّمْسِ ، فَكَيْفَ إِذْ نَأْغُرُفُ بِهَا سَائِرَ الْمَعَارِفِ الَّتِي  
 تُشْكِلُ عَلَيَّ ، وَأَحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزِ الْحَقِّ فِيهَا عَنِ الْبَاطِلِ ؟  
 فَقُلْتُ : مَنْ وَزَنَ الذَّهَبَ بِمِيزَانٍ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَزِنَ بِهِ  
 الْفِضَّةَ وَسَائِرَ الْجَوَاهِرِ ، لِأَنَّ الْمَوْزُونَ عُرِفَ مِقْدَارُهُ ،  
 لَا لِأَنَّهُ ذَهَبٌ بَلْ لِأَنَّهُ ذُو مِقْدَارٍ ، وَلِذَلِكَ هَذَا الْبُرْهَانُ  
 كَشَفَ لَنَا عَنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ لَا لِعَيْنِهَا بَلْ لِأَنَّهَا حَقِيقَةٌ

مِنَ الْحَقَائِقِ ، وَمَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي ، فَتَنَامَلُ أَنَّهُ لِمَ لَزِمَتْ  
 مِنْهُ هَذِهِ النَّتِيجَةُ وَنَأْخُذُ رُوحَهُ وَنُجَرِّدُهُ عَنْ هَذَا الْمِثَالِ  
 الْخَاصِّ حَتَّى نَنْتَفِعَ بِهِ حَيْثُ أَرَدْنَا . وَإِنَّمَا لَزِمَ هَذَا لِأَنَّ  
 الْحُكْمَ عَلَى الصِّفَةِ حُكْمٌ عَلَى الْمَوْصُوفِ بِالضَّرُورَةِ ،  
 وَيَبَيِّنُهُ أَنْ إِجْازَ هَذِهِ الْحُجَّةِ ، إِنْ رَبِّي مُطَّلِعٌ وَالْمُطَّلِعُ  
 الْإِلَهِ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ إِنْ رَبِّي إِلَهُ ، فَالْمُطَّلِعُ صِفَةُ الرَّبِّ  
 وَقَدْ حَكَمْنَا عَلَى الْمُطَّلِعِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ بِالْإِلَهِيَّةِ ،  
 فَلَزِمَ مِنْهُ الْحُكْمُ عَلَى رَبِّي بِالْإِلَهِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ  
 مَقَامٍ حَصَلَتْ لِي مَعْرِفَةٌ بِصِفَةِ الشَّيْءِ وَحَصَلَتْ مَعْرِفَةٌ  
 أُخْرَى بِبُيُوتِ حُكْمِ لِتِلْكَ الصِّفَةِ ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا مَعْرِفَةٌ  
 ثَالِثَةٌ بِبُيُوتِ الْحُكْمِ عَلَى الْمَوْصُوفِ بِالضَّرُورَةِ . فَقَالَ :  
 هَذَا يَكَادُ دَرَكُهُ يَدِيقُ عَلَى فَهْمِي ، فَإِنْ تَشَكَّكْتُ  
 فِيهِ فَمَاذَا أَصْنَعُ حَتَّى يَزُولَ الشَّكُّ ؟ . قُلْتُ : خُذْ عِيَارَهُ  
 مِنَ الصَّنَجَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَكَ كَمَا فَعَلْتَ فِي مِيزَانِ الذَّهَبِ  
 وَالْفِضَّةِ . فَقَالَ : كَيْفَ آخُذُ عِيَارَهَا ؟ وَأَيْنَ الصَّنَجَةُ

الْمَعْرُوفَةَ فِي هَذَا الْفَنِّ . قُلْتُ : الصَّنِجَةُ الْمَعْرُوفَةُ هِيَ  
الْعُلُومُ <sup>(١)</sup> الْأَوَّلِيَّةُ الضَّرُورِيَّةُ الْمُسْتَفَادَةُ إِمَّا مِنْ أَحْسَسِّ  
أَوْ التَّجْرِبَةِ أَوْ غَرِيزَةِ الْعَقْلِ ، فَأَنْظِرْ فِي الْأَوَّلِيَّاتِ هَلْ  
تَتَصَوَّرُ أَنْ يَنْبُتَ الْحُكْمُ عَلَى صِفَةٍ إِلَّا وَيَتَعَدَّى إِلَى  
الْمَوْصُوفِ ؟ فَإِذَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْكَ - مَثَلًا - حَيَوَانٌ مُنْتَفِخٌ  
الْبَطْنِ وَهُوَ بَعْلٌ ، فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا حَامِلٌ ، فَقُلْتُ لَهُ :  
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْبَعْلَ عَقِيمٌ لَا يَلِدُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ أَعْلَمُ هَذَا  
بِالتَّجْرِبَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا بَعْلٌ ؟ فَنَظَرَ  
فَقَالَ : نَعَمْ قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ بِالْحَسِّ وَالْإِبْصَارِ ، فَقُلْتُ :  
فَالآنَ هَلْ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَامِلٍ ؟ فَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَشْكَّ  
فِيهِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْأَصْلَيْنِ الَّذِينَ أَحَدُهُمَا تَجْرِبِيٌّ وَالْآخَرُ  
حِسِّيٌّ ، بَلْ يَكُونُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِحَامِلٍ عِلْمًا ضَرُورِيًّا  
مُتَوَلِّدًا مِنْ بَيْنِ الْعِلْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ ، كَمَا تَوَلَّدَ عِلْمُكَ فِي  
الْمِيزَانِ مِنَ الْعِلْمِ التَّجْرِبِيِّ بِأَنَّ الثَّقِيلَ هَاوٍ ، وَالْعِلْمُ الْحِسِّيُّ

(١) يعنى بالعلوم الاولى اليقينيات المؤلفة للقياس

بأن إحدى الكفتين ليست هاديةً بالإضافة إلى الأخرى  
فقال : قد فهمتُ هذا فهما واضحًا ، ولكن لم يظهر  
لي أن سبب لزومه أن الحكم على الصفة حكم على  
الموصوف . فقلت : تأمل فإن قولك : هذا بغلٌ ، وصف  
والصفة هو البغلٌ ، وقولك : كلُّ بغلٍ عقيمٌ حكم على  
البغل الذي هو صفةٌ بالمعنى ، فلزم الحكم بالمعنى  
على الحيوان الموصوف بأنه بغلٌ ، وكذلك إذا ظهر  
لك مثلاً أن كلَّ حيوانٍ حساسٌ ، ثم ظهر لك في الدود  
أنه حيوانٌ ، فلا يمكنك أن تشك في أنه حساسٌ ،  
ومنهأجه أن تقول : كلُّ دودٍ حيوانٌ وكلُّ حيوانٍ حساسٌ ،  
فكلُّ دودٍ حساسٌ لأن قولك كلُّ دودٍ حيوانٌ وصف  
الدود بأنه حيوانٌ ، والحيوان صفةٌ فإذا حكمت على  
الحيوان بأنه حساسٌ أو جسمٌ أو غيره دخل فيه الدود  
لأحالة ، وهذا ضروريٌ لا يمكن الشك فيه . نعم ،  
شرط هذا أن تكون الصفة مساويةً للموصوف أو أعم

مِنْهُ ، حَتَّى يَكُونَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ يَشْمَلُ الْمَوْصُوفَ بِهِ  
بِالضَّرُورَةِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ سَلَّمَ فِي النَّظَرِ الْفِقْهِيَّ أَنَّ كُلَّ  
نَبِيذٍ مُسْكِرٍ . وَكُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، لَمْ يُمَكِّنْهُ أَنْ  
يَشُكَّ فِي أَنَّ كُلَّ نَبِيذٍ حَرَامٌ ، لِأَنَّ الْمُسْكِرَ وَصَفُ  
النَّبِيذِ ، فَالْحُكْمُ عَلَيْهِ بِالتَّحْرِيمِ يَتَنَاوَلُ النَّبِيذَ إِذْ يَدْخُلُ  
فِيهِ الْمَوْصُوفُ لَا مُحَالَةً ، فَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ  
النَّظَرِيَّاتِ . فَقَالَ : قَدْ فَهِمْتُ فَهْمًا ضَرُورِيًّا أَنَّ إِيقَاعَ  
الْإِزْدِوَاجِ بَيْنَ أَصْلَيْنِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَوْلَدٌ لِنَتِيجَةٍ  
ضَرُورِيَّةٍ ، وَأَنَّ بُرْهَانَ الْخَلِيلِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ -  
بُرْهَانٌ صَحِيحٌ ، وَمِيزَانُهُ صَادِقٌ ، وَتَعَلَّمْتُ حَدَّهُ  
وَحَقِيقَتَهُ وَعَرَفْتُ عِيَارَهُ مِنَ الصَّنَجَاتِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدِي ،  
وَلَكِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أُعْرِفَ . ثَالِثًا لِاسْتِعْمَالِ هَذَا الْمِيزَانِ  
فِي مَظَانٍ <sup>(١)</sup> الْإِشْكَالِ فِي الْعُلُومِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُثَلَةَ  
وَاضِحَةٌ بِأَنْفُسِهَا لَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى مِيزَانٍ وَبُرْهَانٍ . فَقَالَتْ :

(١) مظان : مراجع وأما كن

هَيْهَاتَ (١) فَبَعْضُ هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ لَيْسَتْ مَعْلُومَةٌ بِأَنْفُسِهَا ،  
بَلْ هِيَ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ أَزْدِوَاجِ الْأَصْلَيْنِ إِذْ لَا يَعْرِفُ كَوْنَ  
هَذَا الْحَيْوَانِ مِثْلًا عَقِيًّا إِلَّا مَنْ عَرَفَ بِالْحِسِّ أَنَّهُ بَعْلٌ  
وَبِالتَّجَرُّبَةِ أَنَّ الْبَعْلَ لَا يَلِدُ . وَإِنَّمَا الْوَاضِحُ بِنَفْسِهِ هُوَ  
الْأَوَّلُ . فَأَمَّا الْمُتَوَلِّدُ مِنَ أَصْلَيْنِ فَلَهُ أَبٌ وَأُمٌّ فَلَا يَكُونُ  
أَوَّلِيًّا وَاضِحًا بِنَفْسِهِ بَلْ بغيرِهِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْغَيْرُ أَعْنَى  
الْأَصْلَيْنِ قَدْ يَكُونُ وَاضِحًا فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ  
التَّجَرُّبَةِ وَبَعْدَ الْإِبْصَارِ ، وَكَذَلِكَ كَوْنُ التَّيْدِ حَرَامًا لَيْسَ  
وَاضِحًا بِنَفْسِهِ ، بَلْ يُعْرَفُ بِأَصْلَيْنِ (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ مُسْكِرٌ  
وَهَذَا يُعْلَمُ بِالتَّجَرُّبَةِ (وَالثَّانِي) أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ،  
وَهَذَا بِالتَّجَرُّبِ الْوَارِدِ عَنِ الشَّارِعِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -  
فَهَذَا يُعْرَفُ كَيْفِيَّةَ الْوِزْنِ بِهَذَا الْمِيزَانِ وَكَيْفِيَّةَ اسْتِعْمَالِهِ .  
وَإِنْ أَرَدْتَ مِثَالًا أَعْمَضَ مِنْ هَذَا ، فَأَمْثِلُهُ ذَلِكَ عِنْدَنَا  
لَا تَنْحَصِرُ وَلَا تَتَنَاهَى . بَلْ بِهَذَا الْمِيزَانِ عَرَفْنَا أَنَّ كَثْرَ  
الْعَوَامِضِ فَاقْنَعُ مِنْهُ بِمِثَالٍ وَاحِدٍ .

(١) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد

فَمِنْ الْغَوَامِضِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ حَادِثًا بِنَفْسِهِ ،  
إِذْ لَهُ مُسَبَّبٌ وَصَانِعٌ وَكَذَلِكَ الْعَالَمُ . فَإِذَا رَاجَعْنَا هَذَا  
الْمِيزَانَ عَرَفْنَا أَنَّ لَهُ صَانِعًا وَأَنَّ صَانِعَهُ عَالِمٌ . فَإِنَّا نَقُولُ :  
كُلُّ جَائِزٍ فَلَهُ سَبَبٌ ، وَأَخْتِصَاصُ الْعَالَمِ أَوْ الْإِنْسَانِ  
بِمَقْدَارِهِ الَّذِي أُخْتِصَّ بِهِ جَائِزٌ . فَإِذْ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ لَهُ  
سَبَبًا ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّشَكُّكِ فِي هَذِهِ النِّتِيجَةِ مَنْ سَلَّمَ  
الْأَصْلِينَ وَعَرَفَهُمَا ، لَكِنْ إِنْ شَكَّ فِي الْأَصْلِينَ فَيَسْتَنْتِجُ  
أَيْضًا مَعْرِفَتَهُمَا مِنْ أَصْلَيْنِ آخَرَيْنِ وَاصِحَيْنِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ  
إِلَى الْعُلُومِ الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ التَّشَكُّكُ فِيهَا ،  
فَإِنَّ الْعُلُومَ الْجَلِيَّةَ الْأَوَّلِيَّةَ ، هِيَ أَصُولُ الْعُلُومِ الْغَامِضَةِ  
الْخَفِيَّةِ وَهِيَ بُدُورُهَا ، وَلَكِنْ يَسْتَمُرُّهَا مِنْهَا مَنْ يُحْسِنُ  
الِاسْتِمْرَارَ بِالْحِرَاطَةِ وَالِاسْتِنْتِاجَ بِإِيقَاعِ الْإِزْدِوَاجِ بَيْنَهُمَا .  
فَإِنْ قُلْتَ : أَنَا شَاكٌّ فِي الْأَصْلَيْنِ جَمِيعًا ، فَلِمَ قُلْتَ :  
إِنَّ كُلَّ جَائِزٍ فَلَهُ سَبَبٌ ؟ وَلِمَ قُلْتَ : إِنَّ أُخْتِصَاصَ  
الْإِنْسَانِ بِمَقْدَارٍ مَخْصُوصٍ جَائِزٌ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ ؟ فَأَقُولُ :



أَمَّا قَوْلِي : كُلُّ جَائِزٍ لَهُ سَبَبٌ فَوَاضِحٌ إِذَا فَهِمْتَ مَعْنَى  
الْجَائِزِ ، لِأَنِّي أَعْنِي بِالْجَائِزِ مَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ قِسْمَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ ،  
فَإِذَا تَسَاوَى شَيْئَانِ لَمْ يَخْتَصَّ أَحَدُهُمَا بِوُجُودٍ وَعَدَمٍ مِنْ  
ذَاتِهِ ، لِأَنَّ مَا ثَبَتَ لِلشَّيْءِ ثَبَتَ لِمِثْلِهِ بِالضَّرُورَةِ ، وَهَذَا  
أَوَّلِي . وَأَمَّا قَوْلِي اخْتِصَّاصُ الْإِنْسَانِ بِهَذَا الْمِقْدَارِ مَثَلًا  
جَائِزٌ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ ، كَقَوْلِي : إِنَّ الْخَطَّ الَّذِي يَكْتُبُهُ  
الْكَاتِبُ وَهُوَ مِقْدَارٌ مَخْصُوصٌ جَائِزٌ ، إِذِ الْخَطُّ مِنْ حَيْثُ  
إِنَّهُ خَطٌّ لَا يَتَعَيَّنُ لَهُ مِقْدَارٌ وَاحِدٌ ، بَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ  
يَكُونَ أَطْوَلَ وَأَقْصَرَ . فَاخْتِصَّاصُهُ بِمِقْدَارٍ عَمَّا هُوَ أَطْوَلُ  
وَأَقْصَرُ ، سَبَبُهُ الْفَاعِلُ لِاحْتِمَالِهِ إِذْ نِسْبَةُ الْمَقَادِيرِ إِلَى قَبُولِ  
الْخَطِّ لَهَا مُتَسَاوِيَةٌ . وَهَذَا ضَرُورِيٌّ ، كَذَلِكَ نِسْبَةُ الْمَقَادِيرِ  
إِلَى شَكْلِ الْإِنْسَانِ وَأَطْرَافِهِ مُتَسَاوِيَةٌ ، فَتَخْصِيصُهَا  
لِاحْتِمَالِهِ بِفَاعِلٍ . ثُمَّ أَتَرَقَى مِنْهُ وَأَقُولُ : فَاعِلُهُ عَالِمٌ لِأَنَّ  
كُلَّ فِعْلٍ مُرْتَبٍ مُحْكَمٍ فَيُسْنَدُ إِلَى عِلْمِ فَاعِلِهِ ، وَبِنَيْتِهِ  
الْإِنْسَانِ بِنَيْتِهِ مُرْتَبَةٌ مُحْكَمَةٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَنِدَ تَرْتِيبُهَا

وَتَدْبِيرُهَا إِلَى عِلْمِ فَاعِلٍ بِهَا . فَهَاهُنَا أَصْلَانِ إِذَا عَرَفْتَهُمَا  
لَمْ تَشْكُ فِي النَّتِيجَةِ . أَحَدُهُمَا : إِنَّ بِنْيَةَ الْأَدَمِيِّ بِنْيَةٌ  
مُرْتَبَةٌ مُحْكَمَةٌ هَذَا يُعْرَفُ بِالمُشَاهَدَةِ مِنْ تَنَاسُبِ  
أَعْضَائِهِ وَاسْتِعْدَادِ كُلِّ وَاحِدٍ لِمَقْصُودٍ خَاصٍّ ، كَالْيَدِ  
لِلْبَطْشِ ، وَالرَّجْلِ لِلْمَشْيِ . وَمَعْرِفَةُ تَشْرِيحِ الْأَعْضَاءِ يُورِثُ  
عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِهِ . وَأَمَّا افْتِقَارُ الْمُرْتَبِ الْمَنْظُومِ إِلَى عِلْمٍ  
فَهُوَ وَاضِحٌ أَيْضًا ، فَلَا يَشْكُ الْعَاقِلُ فِي أَنْ الْخَطَّ الْمَنْظُومَ  
لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ بِالْكِتَابَةِ وَإِنْ كَانَ بِوِاسِطَةِ الْقَلَمِ  
الَّذِي لَا يَعْلَمُ ، وَأَنَّ الْبِنَاءَ الصَّالِحَ لِإِفَادَةِ مَقَاصِدِ  
الْاِكْتِنَانِ كَالْبَيْتِ وَالْحَمَامِ وَالطَّاحُونَةِ وَغَيْرِهَا ، لَا يَصْدُرُ  
إِلَّا مِنْ عَالِمٍ بِالْبِنَاءِ . فَإِنْ أُمِكنَ التَّشَكُّكُ فِي شَيْءٍ  
مِنْ هَذَا ، فَطَرِيقُهُ أَنْ يَتَرَقَّى مِنْهُ إِلَى أَوْصَحَ مِنْهُ ، حَتَّى  
يَتَرَقَّى إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَشَرَحَ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ غَرَضِنَا ، بَلْ  
الْغَرَضُ أَنْ نُبَيِّنَ أَنَّ أَزْدِوَجَ الْأَوَّلِيَّاتِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي  
أَوْقَعَهُ ائْتِخَالِيفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِيزَانَ صَادِقٍ مُفِيدٍ لِمَعْرِفَةِ

حَقِيقَةٍ . وَلَا قَائِلَ بِإِبْطَالِ هَذَا فَإِنَّهُ إِبْطَالُ لِتَعْلِيمِ اللَّهِ  
تَمَّ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ، وَإِبْطَالُ لِمَا أُمِنَى اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ قَالَ « وَتِلْكَ  
حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ » وَالتَّعْلِيمُ لِمَحَالَّةِ حَقِّ  
إِنْ لَمْ يَكُنِ الرَّأْيُ حَقًّا وَفِي إِبْطَالِ هَذَا إِبْطَالُ الرَّأْيِ  
وَالتَّعْلِيمُ جَمِيعًا وَلَا قَائِلَ بِهِ أَصْلًا .



( الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ الْأَوْسَطِ )

قَالَ : قَدْ فَهِمْتُ الْمِيزَانَ الْأَكْبَرَ وَحَدَّهُ وَعِيَارَهُ  
وَمَظَنَّتَهُ وَحَقِيقَةَ اسْتِعْمَالِهِ ، فَأَشْرَحُ لِي الْمِيزَانَ الْأَوْسَطَ  
مَا هُوَ وَمِنْ أَيْنَ حَصَلَ تَعْلِيمُهُ وَمَنْ وَضَعَهُ وَمِنْ اسْتِعْمَلَهُ .  
فَقُلْتُ : الْمِيزَانُ الْأَوْسَطُ أَيْضًا لِلْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -  
حَيْثُ قَالَ : « لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ <sup>(١)</sup> » وَكَمَالُ صُورَةِ هَذَا  
الْمِيزَانِ أَنَّ الْقَمَرَ آفِلٌ وَالْإِلَهُ لَيْسَ بِآفِلٍ ، فَالْقَمَرُ لَيْسَ  
بِإِلَهٍ . وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ مَبْنَاهُ عَلَى الْإِيحَازِ وَالْإِضْمَارِ لَكِنَّ  
الْعِلْمَ بِنَفْيِ الْإِلَهِيَّةِ عَنِ الْقَمَرِ لَا يَصْدُرُ ضَرُورِيًّا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ  
هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ ، وَهُوَ أَنَّ الْقَمَرَ آفِلٌ وَأَنَّ الْإِلَهَ لَيْسَ  
بِآفِلٍ ، فَإِذَا عَرَفْتَ الْأَصْلَيْنِ صَارَ الْعِلْمُ بِنَفْيِ الْإِلَهِيَّةِ  
عَنِ الْقَمَرِ ضَرُورِيًّا . فَقَالَ : أَنَا لَا أَشُكُّ فِي أَنَّ نَفْيَ  
الْإِلَهِيَّةِ عَنِ الْقَمَرِ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ إِنْ عُرِفَا

(١) أفل النجم : اذا غاب واحتجب عن الانظار

جَمِيعًا ، لَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّ الْقَمَرَ أَفِلٌ ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِأَحْسَنِ  
أَمَّا الْإِلَهِ لَيْسَ بِأَفِلٍ ، فَلَا أَعْلَمُهُ ضَرُورَةً وَلَا حِسًّا ،  
قُلْتُ : وَلَيْسَ غَرَضِي مِنْ حِكَايَةِ هَذَا الْمِيزَانِ أَنْ  
أَعْرِفَكَ أَنَّ الْقَمَرَ لَيْسَ بِأَفِلٍ ، بَلْ إِنِّي أَعْلَمُكَ أَنَّ هَذَا  
الْمِيزَانَ صَادِقٌ وَالْمَعْرِفَةَ الْخَاصِلَةَ مِنْهُ بِهَذَا الطَّرِيقِ مِنَ  
الْوِزْنِ ضَرُورِيَّةٌ ، وَإِنَّمَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِهِ فِي حَقِّ الْخَلِيلِ  
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُ أَنَّ الْإِلَهَ لَيْسَ  
بِأَفِلٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْعِلْمُ أَوْلِيَاءَهُ بَلْ مُسْتَفَادًا  
مِنْ أَصْلَيْنِ آخَرَيْنِ يُنْتِجَانِ الْعِلْمَ بِأَنَّ الْإِلَهَ لَيْسَ بِمُتَغَيِّرٍ  
وَكَلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ وَالْأَفُولُ هُوَ التَّغْيِيرُ قَبْلِي الْوِزْنِ عَلَى  
الْمَعْلُومِ عِنْدَهُ ، فَحُذِّ أَنْتَ الْمِيزَانَ وَأَسْتَعْمِلُهُ حَيْثُ يُحْصَلُ  
لَكَ الْعِلْمُ بِالْأَصْلَيْنِ . قَالَ : فَهَمْتُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ هَذَا  
الْمِيزَانَ صَادِقٌ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ تَلْزَمُ مِنَ الْأَصْلَيْنِ  
إِذْ صَارَا مَعْلُومَيْنِ ، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَشْرَحَ حَدَّ هَذَا  
الْمِيزَانِ وَحَقِيقَتَهُ ، ثُمَّ تَشْرَحَ لِي عِيَارَهُ وَمِنْ الصَّنْجَةِ

الْمَعْرُوفَةَ عِنْدِي ، ثُمَّ مِثَالِ اسْتِعْمَالِهِ فِي مَظَانِّ النُّعُوضِ ،  
 فَإِنَّ نَفْيَ الْإِلَهِيَّةِ عَنِ الْقَمَرِ كَأَوْضَاحِ عِنْدِي . قُلْتُ : أَمَا حَدُّهُ  
 فَهُوَ أَنَّ كُلَّ مِثْلَيْنِ وَصِفَ أَحَدُهُمَا بِوَصْفٍ فَسَلِبَ ذَلِكَ  
 الْوَصْفُ عَنِ الْآخَرِ فَهُمَا مُتَبَايِنَانِ أَيْ أَنَّ أَحَدَهُمَا يُسَلَبُ ذَلِكَ  
 الْوَصْفَ الَّذِي فِي الْآخَرِ وَلَا يُرْصَفُ بِهِ ، وَلَمَّا كَانَ حَدُّ  
 الْمِيزَانِ الْأَكْبَرِ أَنَّ الْحُكْمَ عَلَى الْأَعْمِّ حُكْمٌ عَلَى  
 الْأَخْصِّ ، وَيَنْدَرِجُ فِيهِ لِأَمْحَالَةٍ ، فَحَدُّ هَذَا أَنَّ الَّذِي يُنْفَى  
 عَنْهُ مَا يَثْبُتُ لِغَيْرِهِ مُبَايِنٌ لِذَلِكَ الْغَيْرِ ، فَالْإِلَهُ يُنْفَى عَنْهُ  
 الْأَفْوَلُ ، وَالْقَمَرُ يَثْبُتُ لَهُ الْأَفْوَلُ ، فَهَذَا يُوجِبُ التَّبَايُنَ  
 بَيْنَ الْإِلَهِ وَالْقَمَرِ ، وَهُوَ لَا يَسْكُرُنَ الْقَمَرُ إِلَهًا وَلَا الْإِلَهُ  
 قَمَرًا ، وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ - الْوِزْنَ بِهَذَا الْمِيزَانِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ  
 الْقُرْآنِ ، أَقْدَاءَ بِأَيِّهِ الْخَلِيلِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا -  
 فَكَتَفَ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى مَوْضِعَيْنِ أَوْ أُطْلِبَ الْبَاقِي مِنْ آيَاتِ  
 الْقُرْآنِ ( أَحَدُهُمَا ) قَوْلُهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ « قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ » وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَدْعَوْا  
أَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ فَعَلِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَيْفِيَّةَ إِظْهَارِ خَطِيئَتِهِمْ  
بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَقَالَ : قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ .  
وَكَمَالُ صُورَةِ هَذَا الْمِيزَانِ أَنَّ الْبَيْنَ لَا يُعَذِّبُونَ وَأَنْتُمْ  
مُعَذِّبُونَ، فَإِذَا اسْتَمَّ أَبْنَاءُ، فَهِنَا أَضْلَانِ أَمَا أَنَّ الْبَيْنَ لَا يُعَذِّبُونَ  
فَيَعْرِفُ بِاتَّخَرِ بَةِ، وَأَمَا أَنْتُمْ مُعَذِّبُونَ فَيَعْرِفُ بِالمَشَاهِدَةِ،  
وَيَلْزِمُ مِنْهُمَا ضَرُورَةُ نَفْيِ الْبُنُوَّةِ ( وَثَابِتِيهِمَا ) قَوْلُهُ تَعَالَى :  
« قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ  
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَلَا تَتَمَنَّوْا  
أَبَدًا بِمَا قَدَمْتُمْ أَيْدِيهِمْ » وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَدْعَوْا الْوَلَايَةَ ،  
وَكَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْوَلِيَّ يَتَمَنَّى لِقَاءَ وَليِّهِ ، وَكَانَ مِنَ  
الْمَعْلُومِ أَنَّهُمْ لَا يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ اللِّقَاءِ ،  
فَلَزِمَ ضَرُورَةَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ . وَكَمَالُ صُورَةِ هَذَا  
الْمِيزَانِ أَنْ يُقَالَ : كُلُّ وَليٍّ يَتَمَنَّى لِقَاءَ وَليِّهِ ، وَالْيَهُودِيُّ  
لَيْسَ يَتَمَنَّى لِقَاءَ اللَّهِ ، فَلَزِمَ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَلِيٍّ لِلَّهِ .  
وَحَدِّثُهُ أَنَّ التَّمَنَّى يُوصَفُ بِهِ الْوَلِيُّ وَيُنْفَى عَنِ الْيَهُودِيِّ ،  
( ١٥ - النزالي - ثالث )

فَيَكُونُ أُولَىٰ وَالْيَهُودِيَّ مُتَبَايِنِينَ لِسَلْبِ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ،  
فَلَا يَكُونُ أُولَىٰ يَهُودِيًّا ، وَلَا يَهُودِيَّ وَرِثًا . وَأَمَّا عِبَارَةُ  
مِنَ الصَّنَجَةِ الْمَعْلُومَةِ فَمَا عِنْدِي أَنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَعَ  
وَضُوحِهِ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ اسْتِظْهَارًا فَانظُرْ إِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ  
أَنَّ الْحَجَرَ حَجَادٌ ، ثُمَّ عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِحَمَادٍ ، كَيْفَ  
يَلْزِمُكَ مِنْهُ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِحَجَرٍ ، لِأَنَّ  
الْجُمَادِيَّةَ تَثْبُتُ لِلْحَجَرِ وَتُنْفَىٰ عَنِ الْإِنْسَانِ ، فَلَا جَرَمَ يَكُونُ  
الْإِنْسَانُ مَسْلُوبًا عَنِ الْحَجَرِ وَالْحَجَرُ مَسْلُوبًا عَنِ الْإِنْسَانِ  
فَلَا الْإِنْسَانُ حَجَرًا وَلَا الْحَجَرُ إِنْسَانًا . وَأَمَّا مِظَنَّةُ اسْتِعْمَالِهِ  
فِي مَوَاضِعِ النُّمُوضِ فَكَثِيرٌ ، وَأَحَدُ شَطْرِي الْمَعْرِفَةَ  
مَعْرِفَةَ التَّقْدِيسِ ، وَهُوَ مَا يَتَقَدَّسُ عَنْهُ الرَّبُّ تَعَالَىٰ عَلَوهَا  
كَبِيرًا ، وَجَمِيعُ مَعَارِفِهِ تُوزَنُ بِهَذَا الْمِيزَانِ ، إِذِ الْخَلِيلُ  
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَعْمَلَ هَذَا الْمِيزَانَ فِي التَّقْدِيسِ  
وَعَلَّمَنَا كَيْفِيَّةَ الْوِزْنِ بِهِ إِذْ عَرَفَ بِهَذَا الْمِيزَانِ تَفَىٰ  
الْجِسْمِيَّةَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ . وَكَذَلِكَ تَقُولُ : إِنَّ الْإِلَهَ لَيْسَ



بِجَوْهَرٍ مُتَحَيِّزٍ لِأَنَّ الْإِلَهَ لَيْسَ بِمَعْلُولٍ ، وَكُلُّ مُتَحَيِّزٍ  
فَاخْتِصَّاصُهُ بِحَيْزِهِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ مَعْلُولٌ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ  
أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَتَقُولُ لَيْسَ بِعَرَضٍ لِأَنَّ الْعَرَضَ لَيْسَ  
بِحَيِّ عَالِمٍ ، وَالْإِلَهُ حَيٌّ عَالِمٌ فَلَيْسَ بِعَرَضٍ . وَكَذَلِكَ  
سَائِرُ أَبْوَابِ التَّقْدِيسِ تَتَوَلَّدُ مَعْرِفَتُهَا أَيْضًا مِنْ أَرْوَاجِ  
أَصْلَيْنِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ( أَحَدُهُمَا ) أَصْلٌ سَالِبٌ مَضْمُونُهُ  
النَّفْيُ ( ثَانِيهِمَا ) أَصْلٌ مُوجِبٌ مَضْمُونُهُ الْإِثْبَاتُ ، وَتَتَوَلَّدُ  
مِنْهُمَا مَعْرِفَةُ النَّفْيِ وَالتَّقْدِيسِ .



(الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ الْأَصْغَرِ)

الميزان الأصغر

قَالَ : قَدْ فَهِمْتُ هَذَا أَيْضًا فَهَمًّا ضَرُورِيًّا فَاشْرَحَ لِي  
الْمِيزَانَ الْأَصْغَرَ وَحَدَّهُ وَعِيَارَهُ وَمِظْنَةَ اسْتِعْمَالِهِ مِنْ  
الْغَوَامِضِ . قُلْتُ : الْمِيزَانُ الْأَصْغَرُ تَعَلَّمَاهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى  
حَيْثُ عَلَّمَهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْقُرْآنِ  
وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » إِذْ  
قَالُوا : « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ  
الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ » .  
وَوَجْهُ الْوِزْنِ بِهَذَا الْمِيزَانِ ، أَنْ تَقُولَ : قَوْلُهُمْ بِنَفِيٍّ أَنْزَلَ  
الْوَحْيَ عَلَى الْبَشَرِ قَوْلٌ بَاطِلٌ الْإِزْدِوَاجِ الْمُنْتَجِعِ بَيْنَ  
الْأَصْلَيْنِ ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَشَرٌ  
( وَالثَّانِي ) أَنَّ مُوسَى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ  
بِالضَّرُورَةِ قَضِيَّةٌ خَاصَّةٌ وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الْبَشَرِ أَنْزَلَ عَلَيْهِ  
الْكِتَابَ وَتَبَطَّلُ بِهِ الدَّعْوَى الْعَامَّةُ بِأَنَّهُ لَا يَنْزِلُ كِتَابٌ

عَلَى بَشَرٍ أَصْلًا . أَمَّا الْأَصْلُ الْأَوَّلُ وَهُوَ قَوْلُنَا : مُوسَى  
بَشَرٌ فَمَعْلُومٌ بِالْحَسِّ . وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ أَنَّ مُوسَى مُنْزَلٌ  
عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَكَانَ مَعْلُومًا بِإِعْتِرَافِهِمْ إِذْ كَانُوا يُخْفُونَ  
بَعْضَهُ وَيُظْهِرُونَ بَعْضَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : « يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ  
كَثِيرًا » وَإِنَّمَا ذُكِرَ هَذَا فِي مَعْرِضِ الْمُجَادَلَةِ بِالْأَحْسَنِ  
وَمِنْ خَاصِيَةِ الْمُجَادَلَةِ أَنَّهُ يَكْفِي فِيهِ أَنْ يَكُونَ  
الْأَصْلَانِ مُسَلَّمَيْنِ مِنَ الْخُصْمِ مَشْهُورَيْنِ عِنْدَهُ ، وَإِنْ  
أَمَكَنَّ الشَّكُّ فِيهِ لِغَيْرِهِ فَإِنَّ النَّتِيجَةَ تَلْزِمُهُ ، إِذْ كَانَ  
هُوَ مُعْتَرِفًا بِهِ ، وَأَكْثَرُ أُدْلَةٍ الْقُرْآنِ تَجْرِي عَلَى هَذَا  
الْوَجْهِ ، فَإِنْ صَادَقْتَ مِنْ نَفْسِكَ إِمْكَانَ الشَّكِّ فِي  
بَعْضِ أَصُولِهَا وَمُقَدِّمَاتِهَا فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا مُحَاجَّةُ  
مَنْ لَمْ يَشْكُ فِيهِ . وَأَمَّا أَنْتَ فَالْمَقْصُودُ فِي حَقِّكَ أَنْ  
تَتَعَلَّمَ مِنْهُ كَيْفِيَّةَ الْوِزْنِ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ . وَأَمَّا عِيَارُ  
هَذَا الْمِيزَانِ أَنْ مَنْ يَقُولُ : لَا يُتَّصَرَّفُ أَنْ يَمْشِيَ الْحَيَوَانُ  
بِغَيْرِ رِجْلٍ فَيَعْلَمُ مِنْكَ إِذَا قُلْتَ الْحَيَّةُ حَيَوَانٌ وَالْحَيَّةُ

تَمْشِي بِغَيْرِ رِجْلٍ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ بَعْضَ أَحْيَوَانَ يَمْشِي  
بِغَيْرِ رِجْلٍ وَأَنَّ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ لَا يَمْشِي أَحْيَوَانٌ إِلَّا بِرِجْلٍ  
قَوْلٌ بَاطِلٌ مَنْقُوضٌ . وَأَمَّا مَوْضِعُ اسْتِعْمَالِهِ مِنَ الْغَوَامِضِ  
فَكَثِيرٌ ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ مَثَلًا يَقُولُ : كُلُّ كَذِبٍ فَهُوَ  
قَبِيحٌ لِعَيْنِهِ . فَتَقُولُ : مَنْ رَأَى نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ وَلِيًّا  
مِنَ الْأَوْلِيَاءِ قَدْ اخْتَفَى مِنْ ظَالِمٍ فَسَأَلَهُ الظَّالِمُ عَنْ مَوْضِعِهِ  
فَأَخْفَاهُ فَقَوْلُهُ هَلْ هُوَ كَذِبٌ ؟ . قَالَ : نَعَمْ قُلْنَا فَهَلْ  
هُوَ قَبِيحٌ ؟ قَالَ لَا ، بَلِ الْقَبِيحُ الصِّدْقُ الْمُنْفِي إِلَى  
هَلَاكِهِ ، فَتَقُولُ لَهُ : أَنْظِرْ إِلَى الْمِيزَانِ فَإِنَّا نَقُولُ : قَوْلُهُ  
فِي إِخْفَاءِ مَحَلِّهِ كَذِبٌ فَهُوَ أَصْلٌ مَعْلُومٌ ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ  
بِقَبِيحٍ وَهُوَ الْأَصْلُ الثَّانِي ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ كُلَّ كَذِبٍ  
لَيْسَ بِقَبِيحٍ ، فَتَأْمَلِ الْآنَ هَلْ يُتَّصَرُّ الشَّكُّ فِي هَذِهِ  
النتيجة بعد الاعتراف بالأصلين ؟ وهل هذا أوضح مما  
ذكرته من المقدمة التجريبية والحسية بعد الاعتراف  
بالأصلين ؟ وهل هذا أوضح مما ذكرته من المقدمة

التَّجْرِبِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ فِي مَعْرِفَةِ مِيزَانِ التَّقْدِيسِ . وَأَمَّا حَدُّ  
هَذَا الْمِيزَانِ فَهُوَ أَنَّ كُلَّ وَصْفَيْنِ اجْتَمَعَا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ ،  
فَبَعْضُ آحَادِ الْوَصْفَيْنِ لَابَدٌّ وَأَنْ يُوصَفَ بِالْآخِرِ بِالضَّرُورَةِ  
وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ كُلُّهُ لُزُومًا ضَرُورِيًّا ، بَلْ قَدْ  
يَكُونُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَقَدْ لَا يَكُونُ فَلَا يُوثَقُ  
بِهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْوَصْفُ بِأَنَّهُ  
حَيَوَانٌ وَأَنَّهُ جِسْمٌ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ بِالضَّرُورَةِ أَنْ بَعْضُ  
الْجِسْمِ حَيَوَانٌ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ كُلُّ جِسْمٍ حَيَوَانٌ ،  
وَلَا يَفْرَتُكَ إِمْكَانُ وَصْفِ كُلِّ حَيَوَانٍ بِأَنَّهُ جِسْمٌ فَإِنَّ  
وَصْفَ كُلِّ وَصْفٍ بِالْآخِرِ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ضَرُورِيًّا فِي  
كُلِّ حَالٍ ، لَمْ تَكُنِ الْمَعْرِفَةُ الْخَاصِلَةُ بِهِ ضَرُورِيَّةً .  
ثُمَّ قَالَ الرَّفِيقُ : قَدْ فَهِمْتُ هَذِهِ الْمَوَازِينَ الثَّلَاثَةَ وَلَكِنْ  
لِمَ خَصَّصْتَ الْأَوَّلَ بِاسْمِ الْأَكْبَرِ وَالثَّانِي بِالْأَوْسَطِ  
وَالثَّلَاثَ بِالْأَصْغَرِ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّ الْأَكْبَرَ هُوَ الَّذِي  
يَتَّسَعُ لِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، وَالْأَصْغَرَ خِلَافُهُ ، وَالْأَوْسَطُ بَيْنَهُمَا

وَالْمِيزَانُ الْأَوَّلُ أَوْسَعُ الْمَوَازِينِ إِذْ يُمَكِّنُ أَنْ تُسْتَفَادَ  
مِنْهُ الْمَعْرِفَةُ بِالْإِثْبَاتِ الْعَامِّ وَالْإِثْبَاتِ الْخَاصِّ وَالنَّفْيِ الْعَامِّ  
وَالنَّفْيِ الْخَاصِّ ، فَقَدْ أُمِكَنَ أَنْ يُوزَنَ بِهِ أَرْبَعَةٌ أَجْنَاسٍ  
مِنَ الْمَعَارِفِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوزَنَ بِهِ إِلَّا  
النَّفْيُ وَلَكِنْ يُوزَنُ بِهِ النَّفْيُ الْعَامُّ وَالْخَاصُّ سَجِيعًا .  
وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَلَا يُوزَنُ بِهِ إِلَّا الْخَاصُّ ، كَمَا ذَكَرْتُ  
لَكَ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ بَعْضُ أَحَدِ الْوَصْفَيْنِ يُوصَفُ بِهِ  
الْآخَرُ لِاجْتِمَاعِهِمَا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ ، وَمَا لَا يَتَّسِعُ إِلَّا لِلْحُكْمِ  
الْوَاحِدِ الْجُزْئِيِّ فَهُوَ أَصْغَرُ لِامْتِحَالِهِ . نَعَمْ وَزَنُ الْحُكْمِ  
الْعَامِّ بِهِ مِنْ مَوَازِينِ الشَّيْطَانِ وَقَدْ وَزَنَ بِهِ أَهْلُ التَّعْلِيمِ  
بَعْضَ مَعَارِفِهِمْ ، وَالْقَاهُ فِي أُمَّيَّةِ الْخَلِيلِ - صَلَاتُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - فِي قَوْلِهِ : هَذَا رَبِّي هَذَا كَبْرُ . وَسَاتَلُو  
عَلَيْكَ قِصَّةَهُ بِمَدِّ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

\* \* \*

مِيزَانِ النَّازِمِ ( أَلْقَوْلُ فِي مِيزَانِ النَّازِمِ <sup>(١)</sup> )

قَالَ : فَأَشْرَحُ لِي مِيزَانَ النَّازِمِ فَقَدْ فِيمَتْ الْأَقْسَامَ  
 الثَّلَاثَةَ مِنْ مَوَازِينِ التَّعَادُلِ ، قُلْتُ هَذَا الْمِيزَانُ مُسْتَفَادٌ  
 مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »  
 وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ  
 إِذَا لَا يَتَّبِعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا » . وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :  
 « لَوْ كَانَ هُوَ آلِهَةٌ مَاوردوها » وَتَحْقِيقُ صُورَةِ هَذَا  
 الْمِيزَانِ أَنْ تَقُولَ : لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ إِلَهَانِ لَفَسَدَ ، فَهَذَا  
 أَصْلٌ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَفْسُدْ ، وَهَذَا أَصْلٌ آخَرٌ . فَيَلْزَمُ  
 عَنْهُمَا نَتِيجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ وَهِيَ نَفْيُ أَحَدِ الْإِلَهَيْنِ ، وَلَوْ كَانَ  
 مَعَ ذِي الْعَرْشِ آلِهَةٌ لَا يَتَّبِعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ،  
 وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ أَمْ يَتَّبِعُوا ، فَيَلْزَمُ نَفْيُ آلِهَةٍ سِوَى ذِي  
 الْعَرْشِ . وَأَمَّا عِيَارُ هَذَا الْمِيزَانِ بِالصَّنْجَةِ الْمَعْلُومَةِ

(١) النَّازِمِ : هُوَ أَنْ يَلْزَمَ مِنْ وَجُودِ الشَّيْءِ وَجُودَ شَيْءٍ آخَرَ

فَقَوْلُكَ : إِنْ كَانَتْ الشَّمْسُ طَالِمَةً فَالْكَوَاكِبُ خَفِيَّةٌ .  
وَهَذَا يُعْلَمُ بِالتَّجْرِبَةِ ، ثُمَّ تَقُولُ : وَمَعَارُفُ أَنَّ الشَّمْسَ  
طَالِمَةً وَهَذَا يُعْلَمُ بِالْحَسِّ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ الْكَوَاكِبَ  
خَفِيَّةٌ ، وَتَقُولُ : إِنْ أَمْ يَا كُلُّ فُلَانٍ فَهُوَ شَبَعَانٌ وَهَذَا يُعْلَمُ  
بِالتَّجْرِبَةِ ، ثُمَّ تَقُولُ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ أَكَلَ وَهَذَا يُعْلَمُ بِالْحَسِّ ،  
فَيَلْزَمُ مِنَ الْأَصْلِ التَّجْرِبِيِّ وَالْأَصْلِ الْحِسِّيِّ بِالضَّرُورَةِ  
أَنَّهُ غَيْرُ شَبَعَانَ . وَأَمَّا مَوْضِعُ اسْتِعْمَالِهِ فِي النُّوَامِضِ  
فَكَثِيرٌ حَتَّى يَقُولَ الْفَقِيهُ : إِنْ كَانَ يَبِيعُ الْعَائِبِ صَحِيحًا  
فَيَلْزَمُ بِتَصْرِيحِ الْإِلْزَامِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ بِتَصْرِيحِ  
الْإِلْزَامِ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَيُعْلَمُ الْأَصْلُ  
الْأَوَّلُ بِالِاسْتِقْرَاءِ الشَّرْعِيِّ الْمُفِيدِ لِلظَّنِّ وَإِنْ لَمْ يُفِدِ الْعِلْمَ ،  
وَالثَّانِي بِتَسْلِيمِ الْخُصْمِ وَمُسَاعَدَتِهِ . وَتَقُولُ فِي النُّظَرِيَّاتِ :  
إِنْ كَانَ صَنْعَةُ الْعَالِمِ وَتَرْكِيبُ الْأَدْمِيِّ مُرْتَبًا عَجِيبًا  
مُحْكَمًا فَصَانِعُهُ عَالِمٌ وَهَذَا فِي الْعَقْلِ أَوْلَى ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ  
عَجِيبٌ مُرْتَبٌ وَهَذَا مُدْرَكٌ بِالْعِيَانِ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ صَانِعُهُ



عَالِمٌ ثُمَّ تَرَقَّى فَنَقُولُ : إِنْ كَانَ صَانِعُهُ عَالِمًا فَهُوَ حَيٌّ  
وَمَعْلُومٌ بِالْمِيزَانِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ عَالِمٌ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ حَيٌّ ، ثُمَّ  
نَقُولُ : إِنْ كَانَ حَيًّا عَالِمًا فَهُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ ،  
وَمَعْلُومٌ بِالْمِيزَانَيْنِ السَّابِقَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ أَنَّهُ حَيٌّ عَالِمٌ ،  
فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ ، وَكَذَلِكَ تَعْرِجُ مِنْ صِفَةِ  
تَرْكِيبِ الْأَدَمِيِّ إِلَى صِفَةِ صَانِعِهِ وَهُوَ الْعِلْمُ ثُمَّ تَعْرِجُ  
مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْحَيَاةِ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الذَّاتِ ، وَهَذَا هُوَ  
الْمِعْرَاجُ الرُّوحَانِيُّ ، وَهَذِهِ الْمَوَازِينُ سَلَالِمُ الْعُرُوجِ  
إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ إِلَى خَالِقِ السَّمَاءِ ، وَهَذِهِ الْأُصُولُ دَرَجَاتُ  
السَّلَالِمِ - وَأَمَّا الْمِعْرَاجُ الْجِسْمَانِيُّ فَلَا تَنِي بِهِ كُلُّ قُوَّةٍ  
بَلْ يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِقُوَّةِ النُّبُوَّةِ - وَأَمَّا حَدُّ هَذَا الْمِيزَانِ ،  
فَإِنَّ كُلَّ مَا هُوَ لِأَزْمٍ لِلشَّيْءِ فَهُوَ تَابِعٌ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ ،  
فَنَقِي الْأَلْزِمِ يُوجِبُ بِالضَّرُورَةِ نَقِي الْمَلْزُومِ ، وَوُجُودُ  
الْمَلْزُومِ يُوجِبُ بِالضَّرُورَةِ وُجُودَ الْأَلْزِمِ - أَمَّا نَقِي  
الْمَلْزُومِ وَوُجُودُ الْأَلْزِمِ فَلَا نَتَّجِعُ لَهُمَا ، بَلْ هُمَا مِنْ

مَوَازِينِ الشَّيْطَانِ وَقَدْ يَزِنُ بِهِ بَعْضُ أَهْلِ التَّعْلِيمِ مَعْرِفَتَهُ  
أَمَا تَرَى أَنَّ صِحَّةَ الصَّلَاةِ يَلْزَمُهَا لَا مَحَالَةَ كَوْنُ الْمُصَلِّي  
مُتَطَهِّرًا ، فَلَا جَرَمَ يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ : إِنْ كَانَتْ صَلَاةُ زَيْدٍ  
صَحِيحَةً ، فَهُوَ مُتَطَهِّرٌ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَطَهِّرٍ ، وَهُوَ  
نَفْيُ اللَّازِمِ ، فَلَزِمَ مِنْهُ أَنَّ صَلَاتَهُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ ، وَهُوَ نَفْيُ  
الْمَلْزُومِ ، وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْتَ : وَمَعْلُومٌ أَنَّ صَلَاتَهُ صَحِيحَةٌ  
وَهَذَا وَجُودُ الْمَلْزُومِ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ مُتَطَهِّرٌ وَهُوَ وَجُودُ  
اللَّازِمِ . أَمَا إِنْ قُلْتَ : وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مُتَطَهِّرٌ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ  
صَلَاتَهُ صَحِيحَةٌ فَهَذَا خَطَأٌ ، لِأَنَّهُ رَبَّمَا بَطَلَتْ صَلَاتُهُ بِعِلَّةٍ  
أُخْرَى فَهَذَا وَجُودُ اللَّازِمِ وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى وَجُودِ الْمَلْزُومِ ،  
وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْتَ : وَمَعْلُومٌ أَنَّ صَلَاتَهُ لَيْسَتْ بِصَحِيحَةٍ  
فَهُوَ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَطَهِّرٍ وَهَذَا خَطَأٌ غَيْرُ لَازِمٍ ، لِأَنَّهُ يُجُوزُ  
أَنْ يَكُونَ عَدَمُ صِحَّةِ الصَّلَاةِ لِفَقْدَانِ شَرْطٍ آخَرَ سِوَى  
الطَّهَارَةِ . فَهَذَا نَفْيُ الْمَلْزُومِ وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى نَفْيِ اللَّازِمِ .



ميزان التعماد

( الْقَوْلُ فِي مِيزَانِ التَّعْمَادِ )

ثُمَّ قَالَ: أَشْرَحُ لِي مِيزَانَ التَّعْمَادِ وَأَذْكُرُ لِي مِنَ الْقُرْآنِ مَوْضِعَهُ وَعِيَارَهُ وَمَحَلَّ اسْتِعْمَالِهِ . قُلْتُ أَمَا مَوْضِعُهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي تَعْلِيمِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ قَوْلَهُ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ فِي مَعْرِضِ التَّسْوِيَةِ وَالتَّشْكِيكِ بَلْ فِيهِ إِضْمَارٌ أَصْلٌ آخَرَ وَهُوَ لَسْنَا عَلَى ضَلَالٍ فِي قَوْلِنَا : إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ الَّذِي يَرْزُقُ مِنَ السَّمَاءِ بِإِنزَالِ الْمَاءِ وَمِنَ الْأَرْضِ بِإِنْبَاتِ النَّبَاتِ ، فَإِذَا أَنْتُمْ ضَالُونَ بِإِنْكَارِ ذَلِكَ . وَكَمَا لَمْ صُورَةَ هَذَا الْمِيزَانَ ، إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى ضَلَالٍ مُبِينٍ وَهَذَا أَصْلٌ . ثُمَّ تَقُولُ : وَمَعْلُومٌ أَنَّا لَسْنَا فِي ضَلَالٍ ، وَهَذَا أَصْلٌ آخَرَ فَيَلْزَمُ مِنْ أَرْبَعِ أَوْجِهٍ مَا

تَدِيحَةٌ ضَرُورِيَّةٌ وَهُوَ أَنْكُمْ فِي ضَلَالٍ . وَأَمَّا عِيَارُهُ  
مِنَ الصَّنَجَاتِ الْمَعْرُوفَةِ فَهُوَ إِنْ مَنْ دَخَلَ دَارًا لَيْسَ فِيهَا  
إِلَّا بَيْتَانِ ثُمَّ دَخَلْنَا أَحَدَهُمَا فَلَمْ نَرَهُ فِيهِ فَنَعْلَمُ عِلْمًا  
ضَرُورِيًّا أَنَّهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي . وَهَذَا الْإِزْدِوَاجُ مِنْ أَصْلَيْنِ  
أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ : إِنَّهُ فِي أَحَدِ الْبَيْتَيْنِ قَطْعًا ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَيْسَ  
فِي هَذَا الْبَيْتِ أَصْلًا ، فَيَلْزَمُ مِنْهُمَا أَنَّهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي  
فَإِذَا نَعْلَمُ أَنَّهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ، فَإِذَا نَعْلَمُ كَوْنَهُ فِي الْبَيْتِ  
الثَّانِي تَارَةً بِأَنْ نَرَاهُ فِيهِ ، وَتَارَةً بِأَنْ نَرَى الْبَيْتَ الْأَوَّلَ خَالِيًا  
عَنْهُ فَإِنْ عَلِمْنَاهُ بِرُؤْيُنَا إِيَّاهُ فِي الثَّانِي كَانَ عِلْمًا عِيَانِيًّا ، وَإِنْ  
عَرَفْنَاهُ بِأَنْ لَمْ نَرَهُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ كَانَ هَذَا عِلْمًا مِيزَانِيًّا ،  
وَيَكُونُ هَذَا الْعِلْمُ الْمِيزَانِيُّ قَطْعِيًّا كَالْعِيَانِ . وَأَمَّا حَدُّ  
هَذَا الْمِيزَانِ فَهُوَ أَنْ كُلَّ مَا انْحَصَرَ فِي قِسْمَيْنِ فَيَلْزَمُ مِنْ  
ثُبُوتِ أَحَدِهِمَا نَقْيُ الْآخَرِ وَمِنْ نَقْيِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ  
الْآخَرِ وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ الْقِسْمَةُ مُنْحَصِرَةً  
لَا مُنْتَشِرَةً ، فَالْوِزْنُ بِالْقِسْمَةِ الْمُنْتَشِرَةِ وَزْنُ الشَّيْطَانِ ، وَبِهِ

وَزَنَ بَعْضُ أَهْلِ التَّمْلِيمِ كَلَامَهُمْ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ  
ذَكَرْنَا فِي الْقَوَاصِمِ، وَفِي جَوَابِ مُفْصَلِ اخْتِلَافِ وَالْكِتَابِ  
الْمُسْتَظْهِرِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْكُتُبِ الْمُسْتَعْمَلَةِ. وَأَمَّا مَوْضِعُ  
اسْتِعْمَالِ هَذَا مِنَ الْقَوَاصِمِ فَلَا يَنْحَصِرُ، وَلَعَلَّ أَكْثَرَ  
الظُّرَيَّاتِ تَدَوُّرٌ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَنْ أَنْكَرَ مَوْجُودًا قَدِيمًا  
فَنَقُولُ لَهُ الْمَوْجُودَاتُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا حَادِثَةً أَوْ  
بَعْضُهَا حَادِثٌ وَبَعْضُهَا قَدِيمٌ، وَهَذَا حَاصِرٌ لِأَنَّهُ بَيْنَ النَّفْيِ  
وَالْإِثْبَاتِ دَائِرَةٌ. ثُمَّ نَقُولُ: وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلُّهَا لَيْسَتْ بِحَادِثَةٍ  
فَيَلْزَمُ أَنَّ فِيهَا قَدِيمًا. فَإِنْ قِيلَ فَلِمَ قِيلَ إِنْ كُلُّهَا لَيْسَتْ  
حَادِثَةً، فَنَقُولُ: لِأَنَّ كُلُّهَا لَوْ كَانَتْ حَادِثَةً لَكَانَ حُدُوثُهَا  
بِأَنْفُسِهَا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ فَيَبْطَلُ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا حَادِثَةً  
فَثَبَّتَ أَنَّ فِيهَا مَوْجُودًا قَدِيمًا.

وَنَظَائِرُ اسْتِعْمَالِ هَذَا الْوِزَانِ لَا تَنْحَصِرُ، فَقَالَ: قَدْ  
فَهِمْتُ بِالْحَقِيقَةِ صِدْقِ هَذِهِ الْمَوَازِينِ الْخَمْسَةِ وَلَكِنْ  
أَشْتَهِي أَنْ أَعْرِفَ مَعْنَى الْقَابِهَا وَلِمَ خَصَّصْتَ الْأَوَّلَ بِأَنَّهُ

مِيزَانَ التَّعَادُلِ وَالثَّانِي بِالِتَّلَازِمِ وَالثَّلَاثِ بِالتَّعَانُدِ قُلْتُ :  
سَمَّيْتُ الْأَوَّلَ مِيزَانَ التَّعَادُلِ لِأَنَّ فِيهِ أَصْلَيْنِ مُتَعَادِلَيْنِ  
كَأَنَّهُمَا كِفَّتَانِ مُتَحَاذِيَتَانِ ، وَسَمَّيْتُ الثَّانِي مِيزَانَ التَّلَازِمِ  
لِأَنَّ أَحَدَ الْأَصْلَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى جُزْأَيْنِ أَحَدُهُمَا لَازِمٌ  
وَالْآخَرُ مَلْزُومٌ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ  
إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فَإِنَّ قَوْلَهُ لَفَسَدَتَا لَازِمٌ وَالْمَلْزُومُ  
قَوْلُهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَانزِمْتَ النَّدِيجَةُ مِنْ  
نَفْيِ اللَّازِمِ . وَسَمَّيْتُ الثَّلَاثَ مِيزَانَ التَّعَانُدِ لِأَنَّهُ رَجَعَ إِلَى  
حَضْرٍ قِسْمَيْنِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ  
أَحَدِهِمَا نَفْيُ الْآخَرِ وَمِنْ نَفْيِ أَحَدِهِمَا ثُبُوتُ الْآخَرِ  
فَبَيْنَ الْقِسْمَيْنِ تَعَانُدٌ وَتَضَادٌ فَقَالَ : هَذِهِ الْأَسْمَاءُ أَنْتَ  
أَبْتَدَعْتَهَا وَهَذِهِ الْمَوَازِينُ أَنْتَ أَنْفَرَدْتَ بِاسْتِخْرَاجِهَا أَمْ  
سُبِقَتْ لِيَهَيَا ؟ قُلْتُ : أَمَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ فَإِنِّي أَبْتَدَعْتُهَا  
وَأَمَا الْمَوَازِينُ فَإِنَّا اسْتَخْرَجْتُمَا مِنَ الْقُرْآنِ وَمَا عِنْدِي  
أَنِّي سُبِقْتُ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنَ الْقُرْآنِ لَكِنِّ أَصْلُ

الْمَوَازِينِ قَدْ سُبِقَتْ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَهَذَا عِنْدَ مُسْتَخْرِجِهَا  
مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَسْمَاءُ أُخَرَ سِوَى مَا ذَكَرْتُهُ، وَعِنْدَ بَعْضِ  
الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ عَلَى بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ وَعِيسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا  
وَسَلَّمَ - أَسَامٌ أُخَرَ كَانُوا قَدْ تَعَلَّمُوها مِنْ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ  
وَمُوسَى - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَاسْكِنِ بَعْثِي عَلَى  
إِبْدَالِ كُتُوبِهَا بِأَسَامٍ أُخَرَ غَيْرِ مَا سَمَوُهَا بِهِ مَا عَرَفْتُ  
مِنْ ضَعْفِ قَرِيحَتِكَ وَطَاعَةِ نَفْسِكَ إِلَى الْأَوْهَامِ، فَإِنِّي  
رَأَيْتُكَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالظُّوَاهِرِ بِحَيْثُ لَوْ سُقِيتَ عَسَلًا  
أَحْمَرَ فِي قَارُورَةٍ حَجَّامٍ لَمْ تُطِيقِ تَنَاوُلَهُ لِئِنْفُورِ طَبْعِكَ عَنِ  
الْمِحْجَمَةِ، وَضَعْفِ عَقْلِكَ عَنِ أَنْ يُعْرَفَكَ أَنَّ الْعَسَلَ طَاهِرٌ  
فِي أَيِّ زُجَاجَةٍ كَانَ، بَلْ تَرَى التُّرْكَيَّ يَلْبَسُ الْمُرْقَمَةَ  
وَالدَّرَاعَةَ فَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ صُوفِيٌّ أَوْ فُقَيْهٌ، وَلَوْ لَبَسَ  
الصُّوفِيُّ الْقُبَاءَ وَالْقَلَنْسُوتَةَ حَكَمَ عَلَيْهِ وَهَمَكَ بِأَنَّهُ  
تُرْكَيٌّ، فَأَبْدًا يَتَحَرَّكُ وَهَمَكَ إِلَى مُلَاحَظَةِ غِلَافِ الْأَشْيَاءِ  
دُونَ الْأَبَابِ وَكَذَلِكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى الْقَوْلِ مِنْ نَفْسِ الْقَوْلِ

وَذَاتِهِ بَلْ مِنْ حُسْنِ صَنَعَتِهِ أَوْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِقَائِلِهِ ، فَإِذَا  
 كَانَتْ عِبَارَتُهُ مُسْتَكْرَهَةً عِنْدَكَ أَوْ قَائِلُهُ قَبِيحَ أَحْضَالٍ  
 فِي أُعْتِقَادِكَ رَدَدْتَ الْقَوْلَ ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَسَنًا وَحَقًّا  
 فَلَوْ قِيلَ لَكَ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَيْسَى رَسُولُ اللَّهِ ، نَقَرَ  
 عَنْ ذَلِكَ ، طَبْعُكَ وَقُلْتَ : هَذَا قَوْلُ النَّصَارَى فَكَيْفَ أَقُولُهُ  
 وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنَ الْعَقْلِ مَا تَعْرِفُ بِهِ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ  
 فِي نَفْسِهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّصْرَانِيَّ مَا مُقِتَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَلَا  
 لِسَائِرِ الْكَلِمَاتِ بَلْ لِكَلِمَتَيْنِ فَقَطْ إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ : اللَّهُ  
 ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ : مُحَمَّدٌ لَيْسَ بِرَسُولِ اللَّهِ وَسَائِرُ  
 أَقْوَالِهِ وَرَاءَ ذَلِكَ حَقٌّ ، فَلَمَّا رَأَيْتُكَ وَرَأَيْتُ رُفَقَاءَكَ مِنْ  
 أَهْلِ التَّعْلِيمِ ضِعْفَاءَ الْعُقُولِ لَا تَخْدَعُهُمْ إِلَّا الظُّلُومُ نَزَلْتُ  
 إِلَى حَدِّكَ فَسَقَيْتُكَ الدَّوَاءَ فِي كَوْزِ الْمَاءِ وَسَقَيْتُكَ بِهِ إِلَى  
 الشِّفَاءِ وَتَلَطَّفْتُ بِكَ تَلَطُّفَ الطَّيِّبِ بِعَمْرِيضٍ ، وَلَوْ ذَكَرْتُ  
 لَكَ أَنَّهُ دَوَاءٌ وَعَرَضْتُهُ فِي قَدَحِ الدَّوَاءِ لَكَانَ يَشْمَنِ  
 عَنْ قَبُولِهِ طَبْعُكَ ، وَلَوْ قَبِلْتَهُ لَكُنْتَ تَتَجَرَّعُهُ وَلَا تَكَادُ



تُسَيِّغُهُ ، فَهَذَا غَرَضِي فِي إِبْدَالِ تِلْكَ الْأَسَامِي وَإِبْدَاعِ هَذِهِ  
يَعْرِفُهُ مَنْ يَعْرِفُهُ وَيَجْهَلُهُ مَنْ يَجْهَلُهُ وَيُنْكِرُهُ مَنْ  
يُنْكِرُهُ . فَقَالَ : لَقَدْ فَهِمْتُ هَذَا كُلَّهُ وَلَكِنْ أَيْنَ مَا كُنْتَ  
وَعَدْتَهُ بِهِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْمِيزَانَ لَهُ كِفَتَانِ وَعَمُودٌ وَاحِدٌ  
تَتَعَلَّقُ بِهِ الْكِفَتَانِ جَمِيعًا .

وَلَسْتُ أَرَى فِي هَذَا الْمِيزَانِ الْكِفَّةَ وَالْعَمُودَ  
وَأَيْنَ مَا ذَكَرْتَهُ مِنَ الْعَوَازِينِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِالْقَبَّانِ  
قُلْتُ : هَذِهِ الْمَعَارِفُ الَّتِي قَدْ اسْتَفَدْتَهَا مِنْ أَصْلَيْنِ  
فَكُلُّ أَصْلٍ كِفَّةٌ وَالْجُزْءُ الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الْأَصْلَيْنِ الدَّاخِلُ  
فِيهَا عَمُودٌ وَأَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا مِنَ الْفَقِهِيَّاتِ فَلَعَلَّهُ أَقْرَبُ  
إِلَى فَهْمِكَ فَأَقُولُ : قَوْلُنَا كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ كِفَّةٌ وَقَوْلُنَا  
كُلُّ نَبِيدٍ مُسْكِرٌ كِفَّةٌ أُخْرَى وَالنَّتِيجَةُ أَنَّ كُلَّ نَبِيدٍ حَرَامٌ  
فَهَاهُنَا فِي الْأَصْلَيْنِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ فَقَطْ : النَّبِيدُ وَالْمُسْكِرُ  
وَالْحَرَامُ .

أَمَّا النَّبِيدُ فَإِنَّهُ يُوجَدُ فِي أَحَدِ الْأَصْلَيْنِ فَقَطْ فَهُوَ كِفَّةٌ

وَأَمَّا الْحَرَامُ فَيُوجَدُ فِي الْأَصْلِ الثَّانِي قَطْعُ فَهُوَ  
الْكِفَّةُ الثَّانِيَةُ .

وَأَمَّا الْمُسْكِرُ فَمَذْكُورٌ فِي الْأَصْلَيْنِ جَمِيعًا وَهُوَ  
مُكَرَّرٌ فِيهِمَا مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُمَا فَهُوَ الْعَمُودُ وَالْكِفَّتَانِ  
مُتَعَلِّقَتَانِ بِهِ إِذْ يَتَعَلَّقُ بِهِ أَحَدُهُمَا تَعَلُّقَ الْمَوْصُوفِ  
بِالْصِّفَةِ، وَهُوَ قَوْلُكَ: كُلُّ نَبِيذٍ مُسْكِرٍ فَإِنَّ النَّبِيذَ مَوْصُوفٌ  
بِالْمُسْكِرِ وَالْآخَرُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ تَعَلُّقَ الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ  
وَهُوَ قَوْلُكَ: وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ فَتَأْمَلْ ذَلِكَ حَتَّى تَعْرِفَ  
فَإِنَّ فَسَادَ هَذَا الْمِيزَانِ تَارَةٌ يَكُونُ مِنَ الْكِفَّةِ وَتَارَةٌ  
يَكُونُ مِنَ الْعَمُودِ وَتَارَةٌ يَكُونُ مِنْ تَعَلُّقِ الْكِفَّةِ  
بِالْعَمُودِ عَلَى مَا أَنْبَهَكَ عَلَى رَمَزِهِ يَسِيرٌ مِنْهُ فِي مِيزَانِ  
الشَّيْطَانِ .



وَأَمَّا الْمُسَبَّهُ بِالْقَبَّانِ فَهُوَ مِيزَانُ التَّلَازِمِ إِذْ أَحَدُ  
طَرَفَيْهِ أَطْوَلُ مِنَ الْآخَرِ كَثِيرًا فَإِنَّكَ تَقُولُ لَوْ كَانَ يَبْعُ  
الْغَائِبِ صَحِيحًا لِلزَّمِ بِصَرِيحِ الْإِزْزَامِ وَهَذَا أَصْلُ طَوِيلٌ

ميزان التلازم

مُشْتَمِلٌ عَلَى جُزْأَيْنِ لَازِمٍ وَمَلْزُومٍ ، وَالثَّانِي وَهُوَ قَوْلُكَ :  
وَلَيْسَ يَلْزَمُ بِصَرِيحِ الْإِلْزَامِ وَهَذَا أَصْلُ آخِرِ أَقْصَرُ مِنْهُ  
فَكَانَ أَشْبَهَ بِالرُّمَانَةِ الْقَصِيرَةِ الْمُقَابِلَةِ لِكَفَّةِ الْقَبَانِ .

\* \*

ميزان التعادل

وَأَمَّا مِيزَانُ التَّعَادُلِ فَتَتَعَادَلُ فِيهِ كِفَتَانِ لَيْسَتْ  
إِحْدَاهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الْأُخْرَى بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَشْتَمِلُ  
عَلَى صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ فَقَطْ فَافْهَمْ ؛ هَذَا مَعَ مَا عَرَفْتِكَ مِنْ  
أَنَّ الْمِيزَانَ الرُّوحَانِيَّ لَا يَكُونُ كَالْمِيزَانِ الْجُسْمَانِيِّ بَلْ  
يُنَاسِبُهُ مُنَاسَبَةً مَا وَلِذَلِكَ يُمَكِّنُ تَشْبِيهِهُ بِتَوَلُّدِ النَّتِيجَةِ مِنْ  
أَزْدِوَاجِ الْأَصْلِيَّاتِ إِذْ يَجِبُ أَنْ يَدْخُلَ شَيْءٌ مِنْ أَحَدِ  
الْأَصْلِيَّاتِ فِي الْآخِرِ وَهُوَ الْمُسْكِرُ الْمَوْجُودُ فِي الْأَصْلِيَّاتِ  
حَتَّى تَتَوَلَّدَ النَّتِيجَةُ ، فَإِنْ لَمْ يَدْخُلْ جُزْءٌ مِنْ أَحَدِ الْأَصْلِيَّاتِ  
فِي آخِرِ لَمْ تَتَوَلَّدْ نَتِيجَةٌ ، كَمَا لَمْ تَتَوَلَّدْ مِنْ قَوْلِكَ كُلُّ  
مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَكُلُّ مَعْصُوبٍ مَضْمُونٌ نَتِيجَةٌ أَصْلًا وَهُمَا  
أَصْلَانِ لَكِنْ لَمْ يَجْرِ بَيْنَهُمَا نِكَاحٌ وَأَزْدِوَاجٌ إِذْ لَيْسَ  
يَدْخُلُ جُزْءٌ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ ، وَإِنَّمَا النَّتِيجَةُ تَتَوَلَّدُ

مِنْ أجزءه المُشْتَرَكِ الدَّاخِلِ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ وَهُوَ  
 الَّذِي سَمَّيْنَاهُ عَمُودَ الْمِيزَانِ، وَلَوْ فَتِحَ بَابُ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ  
 الْمَحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ لَانْفَتَحَ لَكَ بَابٌ عَظِيمٌ فِي مَعْرِفَةِ  
 الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَبَيْنَ عَالَمِ الْغَيْبِ  
 وَالشَّهَادَةِ وَتَحْتَهُ أَسْرَارٌ عَظِيمَةٌ، مَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا  
 حَرِمَ الْاِقْتِيَّاسَ مِنْ أَنْوَارِ الْقُرْآنِ وَالتَّعَلَّمَ مِنْهُ وَلَمْ يُحِطْ  
 مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِالقُشُورِ، فَكَمَا أَنَّ فِي الْقُرْآنِ مَوَازِينَ كُلِّ  
 الْعُلُومِ فَكَذَلِكَ فِيهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ الْعُلُومِ كَمَا أَشْرَفْتُ إِلَيْهِ  
 فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ الْقُرْآنِ فَاطْلُبْهُ مِنْهُ. وَلَيْسَتْ الْمُوَازَنَةُ  
 بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ وَعَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ إِلَّا  
 بِمَا يَتَجَلَّى بَعْضُهُ فِي الْمَنَامِ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي الْأَمْثَلَةِ  
 ائْخِيَالِيَّةِ لِأَنَّ الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنَ النُّبُوءَةِ وَفِي عَالَمِ النُّبُوءَةِ  
 يَتَجَلَّى تَمَامُ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَمِثَالُهُ مِنْ النُّوْمِ رَجُلٌ  
 رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ فِي يَدِهِ خَاتَمًا يَخْتِمُ بِهِ أَفْوَاهَ الرُّجَالِ  
 وَفُرُوجَ النِّسَاءِ فَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ: إِنَّكَ

مُؤَدَّنٌ تُؤَدَّنُ فِي رَمَضَانَ قَبْلَ الصُّبْحِ . فَقَالَ هُوَ كَذَلِكَ  
 فَانظُرْ الْآنَ لِمَ تَجَلَّى لَهُ حَالُهُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ فِي هَذَا  
 الْمِثَالِ وَأَطْلُبِ الْمُوَازَنَةَ بَيْنَ هَذَا الْمِثَالِ وَالْأَذَانَ قَبْلَ  
 الصُّبْحِ فِي رَمَضَانَ ، وَرُبَّمَا يَرَى هَذَا الْمُؤَدَّنُ نَفْسَهُ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ وَفِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ نَارٍ وَيُقَالُ لَهُ هَذَا هُوَ الْخَاتَمُ  
 الَّذِي كُنْتَ تَخْتَمُ بِهِ أَفْوَاهَ الرِّجَالِ وَفُرُوجِ النِّسَاءِ . فَيَقُولُ :  
 وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ هَذَا ، فَيُقَالُ : نَعَمْ كُنْتَ تَفْعَلُهُ وَلَكِنْ تَجْهَلُهُ  
 لِأَنَّ هَذَا رُوحٌ فَمَلِكٌ وَلَا تَتَجَلَّى حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ وَأَرْوَاحُهَا  
 إِلَّا فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَيَكُونُ الرُّوحُ فِي غِطَاءٍ مِنَ الصُّورِ  
 فِي عَالَمِ التَّلْبِيسِ عَالَمِ الْحِسِّ وَالْخِيَالِ ، وَالْآنَ قَدْ كَشَفْنَا  
 عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ، وَكَذَلِكَ يَفْتَضِّحُ كُلُّ مَنْ  
 تَرَكَ حَدًّا مِنْ حُدُودِ الشَّرْعِ وَإِنْ أَرَدْتَ لَهُ حَقِيقَةً فَاطْلُبْهُ  
 مِنْ بَابِ حَقِيقَةِ الْمَوْتِ فِي الْأَحْيَاءِ أَوْ مِنْ كِتَابِ جَوَاهِرِ  
 الْقُرْآنِ فَتَرَى فِيهِ الْعَجَائِبَ وَأَطِلِ التَّأَمُّلَ فِيهِ فَعَسَاكَ  
 يَنْفَتِّحُ لَكَ بَابُ رُؤْيَاةٍ إِلَى عَالَمِ الْمَلَكَوَاتِ اسْتَرَقَ مِنْهَا

السَّمْعَ فَإِنِّي مَا أَرَاكَ يَنْفَتِحُ لَكَ بِأَبْهَا . وَأَنْتَ إِنَّمَا تَنْتَظِرُ  
مَعْرِفَةَ الْحَقَائِقِ مِنْ مُعَلِّمٍ غَائِبٍ لَا تَرَاهُ وَلَوْ رَأَيْتَهُ لَوَجَدْتَهُ  
أَضْعَفَ مِنْكَ فِي الْمَعْرِفَةِ كَثِيرًا فَخُذْهَا مِنْ سَافِرٍ وَتَعَرَّفَ  
وَبَحَثَ فَعَلَى الْخَيْرِ سَقَطَتْ فَتْنَتُهُ . فَقَالَ هَذَا الْآنَ حَدِيثٌ  
آخَرَ يَطُولُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ اللَّجَاجُ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا الْمُعَلِّمَ  
الْغَائِبَ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرِ مَنْظَرَهُ فَقَدْ سَمِعْتُ خَبْرَهُ كَاللَّيْلِ  
إِنْ لَمْ أَرَهُ فَقَدْ رَأَيْتُ أَثْرَهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَالِدَتِي إِلَى أَنْ  
مَاتَتْ وَمَوْلَانَا <sup>(١)</sup> صَاحِبَ قَلْعَةِ الْمَوْتِ يُشْنِيَانِ عَلَيْهِ ثَنَاءً  
بِالْفَاءِ حَتَّى قَالَا إِنَّهُ الْمُطَّلَعُ عَلَى كُلِّ مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ  
وَلَوْ عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ أَوْ كَذَّبُ وَالِدَتِي وَهِيَ الْعَجُوزُ  
الْعَفِيفَةُ السَّتِيرَةُ أَوْ مَوْلَانَا وَهُوَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ السَّرِيرَةُ

جاء في تاريخ ابن الوردي عن مولانا المذكور ما يأتي :

(١) هو الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيليه صاحب قلعة الموت وهو  
الذي أظهر بدعة الطائفة الاسماعيليه قال الشهرستاني : واستظهر المذكور  
بالرجال وتحصن بالقلاع، وكان بدء صعوده على قلعة الموت، في شعبان سنة  
ثلاث وثمانين وأربعمائة، وهو الذي دعا الناس إلى تعيين إمام صادق، ومنع  
العوام من الخوض في العلوم، ومنع الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة .  
توفي سنة ثمانى عشرة وخمسمائة

وَالسَّرِيرَةَ؟ كَلَّا بَلْ هُمَا شَاهِدَانِ صَادِقَانِ، كَيْفَ وَقَدْ  
طَابَقَهُمَا عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ رُفَقَائِي مِنْ أَهْلِ دَامَغَانَ وَأَصْبَهَانَ  
وَالهُمُ الْأَمْرُ الْمُطَاعُ وَفِي حُكْمِهِمْ سُكَّانُ الْقِلَاعِ، أَفْتَرَى  
أَنَّهُمْ مُنْخَدِعُونَ وَهُمْ الْأَذْكِيَاءُ؟ أَوْ مُتَمَسِّسُونَ وَهُمْ الْأَتْقِيَاءُ؟  
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ دَعَّ عَنْكَ الْغَيْبَةَ فَإِنَّ مَوْلَانَا يَطَّلِعُ عَلَى  
مَا يَجْرِي بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ، إِذْ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ  
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ فَأَخْشَى أَنْ أَعْرَضَ لِمَقْتَبِهِ  
بِمَجْرَدِ السَّمَاعِ وَالْإِصْغَاءِ فَاطُورِ طُومَارِ الْهَيْدِيَانِ، وَأَرْجِعُ  
إِلَى حَدِيثِ الْمِيزَانِ، وَأَشْرَحُ لِي مِيزَانَ الشَّيْطَانِ وَكَيْفِيَّةَ  
وَزْنِ أَهْلِ التَّعْلِيمِ بِهِ .



ميزان الشيطان

( الْقَوْلُ فِي مَوَازِينِ الشَّيْطَانِ )

وَ كَيْفِيَّةِ أَهْلِ التَّعْلِيمِ بِهَا

فَقُلْتُ أَسْمَعُ الْآنَ يَا مَسْكِينُ شَرْحَ مِيزَانِ رُفْقَائِكَ  
فَإِنَّكَ بَعْدُ فِي غُلُوَائِكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مِيزَانٍ ذَكَرْتَهُ مِنْ  
مَوَازِينِ الْقُرْآنِ فَلِلشَّيْطَانِ فِي جَانِبِهِ مِيزَانٌ مُلصَقٌ بِهِ  
يُمَثِّلُهُ بِالْمِيزَانِ الْحَقِّ لِيُوزَنَ بِهِ فَيَغْلَطَ لَكِنَّ الشَّيْطَانَ  
إِنَّمَا يَدْخُلُ مِنْ مَوَاقِعِ الثَّلَمِ فَمَنْ سَدَّ الثَّلَمَ وَأَحْكَمَهَا  
أَمِنَ الشَّيْطَانَ .

وَمَوَاقِعُ ثَلَمِهِ عَشْرَةٌ قَدْ جَمَعْتُهَا وَشَرَحْتُهَا فِي كِتَابِ  
مَحْكِّ النَّظَرِ وَكِتَابِ مَعْيَارِ الْعِلْمِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الدَّقَائِقِ فِي شُرُوطِ الْمِيزَانِ لَمْ أَذْكَرْهَا الْآنَ لِقُصُورِ فَهْمِكَ  
عَنْ إِدْرَاكِهَا، فَإِنْ أُرِدْتَ مَعَاوِدَ جُمْلِهَا الْفَيْتَهَا فِي كِتَابِ  
الْمَحْكِّ، وَإِنْ أُرِدْتَ شَرْحَ تَفَاصِيلِهَا وَجَدْتَهَا فِي كِتَابِ  
الْمَعْيَارِ، لَكِنَّ أَقْدَمُ الْآنَ أَنَّهُ مَوْجِبٌ وَاحِدًا وَذَلِكَ هُوَ



الَّذِي أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي خَاطِرِ إِبْرَاهِيمَ أَخْلِيلٍ - عَلَيْهِ  
السَّلَامُ - إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ  
فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ »  
وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي مُبَادَرَتِهِ إِلَى الشَّمْسِ وَقَوْلُهُ هَذَا رَبِّي هَذَا  
أَكْبَرُ، لِأَجْلِ أَنَّهُ أَكْبَرُ، أَرَادَ أَنْ يَحْدَعَهُ بِهِ : وَكَيْفِيَّةُ  
الْوَزْنِ بِهِ أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْأَكْبَرُ فَهَذَا أَصْلُ مَعْلُومٌ  
بِالِاتِّفَاقِ وَالشَّمْسُ هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَهَذَا أَصْلُ  
آخَرُ مَعْلُومٌ بِالْحَسِّ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ الشَّمْسَ إِلَهُ وَهِيَ  
النَّبِيَّةُ، وَهَذَا مِيزَانُ الصِّقَةِ الشَّيْطَانُ بِالْمِيزَانِ الْأَصْغَرِ  
مِنْ مَوَازِينِ التَّعَادُلِ لِأَنَّ الْأَكْبَرَ وَصِفٌ وَجِدَ لِلِإِلَهِ  
وَوُجِدَ لِلشَّمْسِ فَيُوهَمُ أَنَّ أَحَدَهُمَا يُوصَفُ بِالْآخِرِ وَهُوَ  
عَكْسُ الْمِيزَانِ الْأَصْغَرِ، وَحَدُّ ذَلِكَ الْمِيزَانِ أَنْ يُوجَدَ شَيْئَانِ  
لِشَيْءٍ وَاحِدٍ لِأَنَّ يُوجَدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لِشَيْئَيْنِ فَإِنَّهُ إِذَا وَجِدَ  
شَيْئَانِ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ وَصِفَ بَعْضُ أَحَدِهِمَا بِالْآخِرِ كَمَا  
سَبَقَ ذِكْرُهُ . أَمَّا إِذَا وَجِدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لِشَيْئَيْنِ فَلَا يُوصَفُ

أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ بِالْآخِرِ ، فَانظُرْ كَيْفَ يُلْبَسُ الشَّيْطَانُ  
بِالْعَكْسِ . وَعِيَارُ هَذَا الْمِيزَانِ الْبَاطِلِ مِنَ الصَّنْجَةِ الظَّاهِرَةِ  
الْبُطْلَانِ اللَّوْنُ فَإِنَّهُ يُوجَدُ لِلسَّوَادِ وَالْبِيَاضِ جَمِيعًا ثُمَّ  
لَا يَلْزَمُ أَنْ يُوصَفَ الْبِيَاضُ بِالسَّوَادِ أَوِ السَّوَادُ بِالْبِيَاضِ ،  
بَلْ لَوْ قَالَ قَائِلٌ : الْبِيَاضُ لَوْنٌ وَالسَّوَادُ لَوْنٌ ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ  
السَّوَادَ بِيَاضٌ كَانَ خَطَأً بَاطِلًا ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : الْإِلَهِ أَكْبَرُ  
وَالشَّمْسُ أَكْبَرُ فَالشَّمْسُ إِلَهُ فَهَذَا خَطَأٌ إِذْ يَجُوزُ أَنْ  
يُوصَفَ الْمُتَضَادَّانِ بِوَصْفٍ وَاحِدٍ فَاتَّصَفَ شَيْئَيْنِ بِوَصْفٍ  
وَاحِدٍ لَا يُوجِبُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ اتِّصَالًا ، أَمَا اتَّصَفَ شَيْءٌ  
وَاحِدٌ بِشَيْئَيْنِ فَيُوجِبُ بَيْنَ الوَصْفَيْنِ اتِّصَالًا ، وَكُلُّ مَنْ  
فَهِمَّ أَدْرَكَ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ اتِّصَافِ شَيْءٍ وَاحِدٍ بِشَيْئَيْنِ وَبَيْنَ  
اتِّصَافِ شَيْئَيْنِ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ . فَقَالَ : قَدْ اتَّضَحَ لِي بُطْلَانُ  
هَذَا لَكِنْ مَتَى وَزَنَ أَهْلُ التَّمْلِيمِ كَلَامَهُمْ بِهِ ؟ قُلْتُ :  
وَزَنُوا بِهِ كَلَامًا كَثِيرًا أَشِخَّ عَلَى أَوْقَاتِي أَنْ أُضِيعَهَا  
بِحِكَايَتِهِ لَكِنْ أَرِيكَ أَنْموذَجًا وَاحِدًا فَلَقَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا

مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ الْحَقَّ مَعَ الْوَحْدَةِ وَالْبَاطِلَ مَعَ الْكَثْرَةِ  
وَمَذْهَبُ الرَّأْيِ يُفْضِي إِلَى الْكَثْرَةِ وَمَذْهَبُ التَّعْلِيمِ  
يُفْضِي إِلَى الْوَحْدَةِ فَيَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ فِي مَذْهَبِ  
التَّعْلِيمِ. قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ هَذَا كَثِيرًا وَأَعْتَقَدْتُ هَذَا  
بُرْهَانًا وَأَعْرِفُهُ بُرْهَانًا قَاطِعًا لَا أَشْكُ فِيهِ. فَقُلْتُ: هَذَا  
مِيزَانُ الشَّيْطَانِ فَانظُرْ كَيْفَ أَنْتَ كَسَرْتَ رُفْقَاؤُكَ وَأَسْتَعْمَلُوا  
قِيَاسَ الشَّيْطَانِ وَمِيزَانَهُ فِي إِبْطَالِ مِيزَانِ الْخَلِيلِ - صَلَوَاتُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - وَسَائِرِ الْمَوَازِينِ. قَالَ: وَمَا وَجْهُ  
تَخْرِيجِهِ عَلَيْهِ؟ فَقُلْتُ: الشَّيْطَانُ إِنَّمَا يَلْبَسُ فِي الْمَوَازِينِ بَتَكْثِيرِ  
الْكَلَامِ فِيهِ وَتَشْوِيشِهِ حَتَّى لَا يُعْلَمَ مِنْهُ مَوْضِعُ التَّلْيِيسِ  
وَهَذَا الْكَلَامُ كَثِيرٌ حَاصِلُهُ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْحَقَّ يُوصَفُ  
بِالْوَحْدَةِ فَهَذَا أَصْلُهُ وَأَنَّ مَذْهَبَ التَّعْلِيمِ يُوصَفُ بِالْوَحْدَةِ  
فَهَذَا أَصْلُ آخَرُ فَلَزِمَ مِنْهُ أَنَّ مَذْهَبَ التَّعْلِيمِ يُوصَفُ  
بِالْوَحْدَةِ وَصَفَ وَاحِدٍ بِالْحَقِّ لِأَنَّ الْوَحْدَةَ فِي شَيْءٍ  
وَاحِدٍ فَاتَّصَفَ بِهِ شَيْئَانِ فَيَجِبُ اتِّصَافُ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ

بِالْآخِرِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : اللَّوْنُ وَصْفٌ وَاحِدٌ اتَّصَفَ بِهِ  
الْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ جَمِيعًا فَيَلْزَمُ اتِّصَافُ الْبَيَاضِ بِالسَّوَادِ  
وَ كَقَوْلِ الشَّيْطَانِ الْأَكْبَرَ وَصْفٌ وَاحِدٌ يَتَّصَفُ بِهِ  
الْإِلَهُ وَالشَّمْسُ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ تَتَّصَفَ الشَّمْسُ بِالْإِلَهِ فَلَا  
فَرْقَ بَيْنَ هَذِهِ الْمَوَازِينِ الثَّلَاثَةِ أَعْنِي وَجُودَ اللَّوْنِ لِلْسَّوَادِ  
وَالْبَيَاضِ ، وَوَجُودَ الْأَكْبَرِ لِلْإِلَهِ وَالشَّمْسِ ، وَوَجُودَ الْوَحْدَةِ  
لِلتَّعْلِيمِ وَالْحَقِّ فَتَأْمَلْ لِتَفْهَمَ ذَلِكَ . فَقَالَ : قَدْ فَهَمْتُ هَذَا  
قَطْعًا وَلَكِنِّي لَا أَقْنَعُ بِمِثَالِ وَاحِدٍ فَاذْكَرْ لِي مِثَالًا آخَرَ  
مِنْ مَوَازِينِ رُفُقَائِي لِيَزِدَادَ قَلْبِي سُكُونًا إِلَى مَعْرِفَةِ  
أَنْخِدَاعِهِمْ بِمَوَازِينِ الشَّيْطَانِ ، قُلْتُ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ  
إِنَّ الْحَقَّ إِمَّا أَنْ يُعْرَفَ بِالرَّأْيِ الْمَحْضِ ، أَوْ بِالتَّعْلِيمِ  
الْمَحْضِ ، وَإِذَا بَطَلَ أَحَدُهُمَا ثَبَتَ الْآخَرُ وَبَاطِلٌ أَنْ يَكُونَ  
مُدْرَكًا بِالرَّأْيِ الْعَقْلِيِّ الْمَحْضِ لِتَعَارُضِ الْعُقُولِ وَالْمَذَاهِبِ  
فَثَبَّتَ أَنَّهُ بِالتَّعْلِيمِ فَقَالَ إِي وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ ذَلِكَ كَثِيرًا  
وَهُوَ مِفْتَاحُ دَعْوَتِهِمْ وَعُنْوَانُ حُجَّتِهِمْ . قُلْتُ : فَهَذَا وَزَنَ

يُمِيزَانِ الشَّيْطَانَ الَّذِي أَلْصَقَهُ بِمِيزَانِ التَّعَانُدِ، فَإِنَّ إِبْطَالَ  
أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ يُنتِجُ بُتُوتَ الْآخَرِ، وَلَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ  
تَكُونَ الْقِسْمَةُ مُنْحَصِرَةً لَا مُنْتَشِرَةً، وَالشَّيْطَانُ يُلبَسُ  
الْمُنْتَشِرَةَ بِالْمُنْحَصِرَةِ فَهَذِهِ مُنْتَشِرَةٌ، إِذْ لَبَسَتْ دَائِرَةَ بَيْنَ  
النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ بَلْ يُمَكِّنُ بَيْنَهُمَا قِسْمٌ ثَالِثٌ وَهُوَ أَنْ  
يُدْرِكَ بِالْعَقْلِ وَالتَّعْلِيمِ جَمِيعًا وَعِيَارُهُ مِنَ الصَّنَجَاتِ الْمَعْلُومِ  
بُطْلَانُهَا قَوْلُ الْقَائِلِ: الْأَوْانُ لَا تُدْرِكُ بِالْعَيْنِ بَلْ بِنُورِ  
الشَّمْسِ فَقُلْنَا: لِمَ؟ فَقَالَ: لَا تَخْلُو إِمَّا أَنْ تُدْرِكَ بِالْعَيْنِ أَوْ  
بِنُورِ الشَّمْسِ وَبَاطِلٌ أَنْ تُدْرِكَ بِالْعَيْنِ لِأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بِاللَّيْلِ  
فثَبَّتَ أَنَّهُ يُدْرِكُ بِنُورِ الشَّمْسِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَأْمَسُ كَيْنُ مَمَّ  
قِسْمٌ ثَالِثٌ وَهُوَ أَنْ يُدْرِكَ بِالْعَيْنِ وَلَكِنْ عِنْدَ نُورِ الشَّمْسِ  
فَقَالَ: قَدْ فَهِمْتُ هَذَا أَيْضًا، لَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَزِيدَنِي شَرْحًا  
لِلْغَلَطِ الْوَاقِعِ فِي الْأَنْمُودَجِ الْأَوَّلِ وَهُوَ حَدِيثُ الْحَقِّ  
وَالْوَحْدَةِ فَإِنَّ التَّفْطِنَ لِمَوْضِعِ الْغَلَطِ مِنْهُ لَطِيفٌ جِدًّا.  
قُلْتُ: وَجْهُ الْغَلَطِ مَا ذَكَرْتُ وَهُوَ التَّبَاسُ اتِّصَافُ

شَيْءٌ وَاحِدٌ بِشَيْئَيْنِ بِاتِّصَافِ شَيْئَيْنِ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ وَلَكِنَّ  
أَصْلَ هَذَا الْفَلَطِ إِيهَامُ الْعَكْسِ فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ  
وَاحِدٍ حَقٌّ رُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّ كُلَّ حَقٍّ وَاحِدٌ . وَلَيْسَ يَلْزَمُ  
هَذَا الْعَكْسُ بَلْ الْإِلْزَامُ مِنْهُ عَكْسٌ خَاصٌّ ، وَهُوَ أَنَّ  
بَعْضَ الْوَاحِدِ حَقٌّ ، فَإِنَّ قَوْلَكَ كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ لَا يَلْزَمُ  
مِنْهُ عَكْسٌ عَامٌّ ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ حَيَوَانٍ إِنْسَانٌ بَلْ الْإِلْزَامُ  
أَنَّ بَعْضَ الْحَيَوَانِ إِنْسَانٌ ، وَلَا يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ بِحَيْلِهِ عَلَى  
الضَّمْعَاءِ بِأَشَدِّ وَأَكْثَرَ مِنْ تَحْيِيلِهِ بِإِيهَامِ الْعَكْسِ الْعَامِّ  
حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَحْسُوسَاتِ حَتَّى إِنْ مَنْ رَأَى حَبْلًا أَسْوَدَ  
مُبْرِقَشَ اللَّوْنِ يَرْتَاعُ مِنْهُ لِشَبَهِهِ بِالْحَيَّةِ وَسَبَبُهُ مَعْرِفَتُهُ  
أَنَّ كُلَّ حَيَّةٍ طَوِيلٌ مُتَبَرِّقَشُ اللَّوْنِ فَيَسْبِقُ وَهْمُهُ إِلَى  
عَكْسِهِ الْعَامِّ وَيَحْكُمُ بِأَنَّ كُلَّ طَوِيلٍ مُتَبَرِّقَشُ اللَّوْنِ  
فَهُوَ حَيَّةٌ فَيَظُنُّ مِنْهُ عَكْسًا عَامًّا ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ طَوِيلٍ  
مُتَبَرِّقَشِ اللَّوْنِ أَسْوَدٌ فَهُوَ حَيَّةٌ ، وَإِنَّمَا الْإِلْزَامُ مِنْهُ عَكْسٌ  
خَاصٌّ وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الطَّوِيلِ الْمُتَبَرِّقَشِ حَيَّةٌ لِأَنَّ كَلَّهُ

كَذَلِكَ، وَفِي الْعَكْسِ وَالنَّقِيضِ دَقَائِقُ كَثِيرَةٌ لَا تَقْهَمُهَا إِلَّا  
 مِنْ كِتَابِ مَحَكِّ النَّظَرِ وَمَعْيَارِ الْعِلْمِ . فَقَالَ : إِنِّي أَجِدُ  
 بِكُلِّ مِثَالٍ تَذَكُّرُهُ طُمَأْنِنَةٌ أُخْرَى لِمَعْرِفَةِ مَوَازِينِ  
 الشَّيْطَانِ فَلَا تَبْخُلْ عَلَيَّ بِمِثَالٍ آخَرَ مِنْ مَوَازِينِ الشَّيْطَانِ  
 قُلْتُ : إِنْ فَسَادَ ذَلِكَ الْمِيزَانِ تَارَةً يَكُونُ مِنْ سُوءِ  
 التَّرْكِيبِ بَلَا يَكُونُ تَعَلُّقُ الْكِفَّتَيْنِ بِالْعُمُودِ تَعَلُّقًا  
 مُسْتَقِيمًا، وَتَارَةً يَكُونُ مِنْ نَفْسِ الْكِفَّةِ وَفَسَادِ طِينَتِهَا  
 الَّتِي مِنْهَا أُتْخِذَتْ، فَإِنَّهَا إِمَّا أَنْ تُتَّخَذَ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ نُحَاسٍ  
 أَوْ جِلْدِ حَيَوَانَ، فَلَوْ أُتْخِذَتْ مِنَ الشَّلْجِ أَوْ الْقُطْنِ لَمْ  
 يُمَكِّنِ الْوِزْنَ بِهِ، وَالسَّيْفُ تَارَةً يَفْسُدُ لِخَلَلِ شَكْلِهِ بِأَنْ  
 يَكُونَ عَلَى هَيْئَةِ الْعَصَا غَيْرِ مُعْتَرِضٍ وَلَا حَادٍ، وَتَارَةً يَكُونُ  
 مِنْ فَسَادِ طِينَتِهِ وَمَادَّتِهِ الَّتِي مِنْهَا أُتْخِذَ، بِأَنْ يَكُونَ  
 مُتَّخَذًا مِنْ خَشَبٍ أَوْ طِينٍ، وَكَذَلِكَ مِيزَانُ الشَّيْطَانِ قَدْ  
 يَكُونُ فَسَادُهُ لِفَسَادِ تَرَكِيمِهِ كَمَا ذَكَرْتُهُ فِي مِثَالِ كِبَرِ  
 الشَّمْسِ وَوَحْدَةِ الْحَقِّ، فَإِنْ صُورَتَهُمَا مُخْتَلَةً مَعْكُوسَةً

كَالَّذِي يَجْعَلُ الْكِفَتَيْنِ فَوْقَ الْعُمُودِ فَيُرِيدُ أَنْ يَزِنَ بِهِ  
 وَتَارَةً يَكُونُ لِفَسَادِ الْمَادَّةِ كَقَوْلِ إبْلِيسَ: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ  
 خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» فِي جَوَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى:  
 «مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ  
 كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» وَقَدْ أَدْرَجَ إبْلِيسُ فِي هَذَا مِيزَانَيْنِ  
 إِذْ عَمَلٌ مَنَعَ السُّجُودَ بِكَوْنِهِ خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ أَثْبَتَ الْخَيْرِيَّةَ  
 بِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ نَارٍ، وَإِذَا صَرَّحَ بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ حُجَّتِهِ وَجَدَ  
 مِيزَانَهُ مُسْتَقِيمَ التَّرْكِيبِ لَكِنِ فَاسِدَ الْمَادَّةِ، وَكَمَالَ  
 صُورَتِهِ أَنْ يَقُولَ: مَا خُلِقَ مِنْ نَارٍ خَيْرٌ وَأَخْيَرُ لَا يَسْجُدُ  
 فَأَنَا إِذَا لَا أَسْجُدُ هَذَا الْقِيَاسَ مَمْنُوعٌ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ،  
 وَالْمَعْلُومُ الْخَفِيَّةُ تُوزَنُ بِالْمَعْلُومِ الْجَلِيَّةِ وَمَا ذَكَرَهُ  
 غَيْرُ جَلِيٍّ وَلَا مُسَلَّمٍ، إِذْ نَقُولُ لَهُ: لَا نُسَلِّمُ أَنَّكَ خَيْرٌ  
 مِنْهُ وَهَذَا مَنَعَ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرُ أَنَا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ  
 أَخْيَرَ لَا يَلْزَمُهُ السُّجُودُ لِأَنَّ الزُّرُومَ وَالِاسْتِحْقَاقَ بِالْأَمْرِ  
 لَا بِالْخَيْرِيَّةِ، لَكِنِ تَرَكَ إبْلِيسُ الدَّلَالََةَ عَلَى الْأَصْلِ الثَّانِي



وَهُوَ أَنَّ اللُّزومَ وَالِاسْتِحْقاقَ بِالْأَمْرِ لَا بِالْخَيْرِيَّةِ، وَأَشْتَعَلَ  
بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ لِأَنِّي خُلِقْتُ مِنْ نَارٍ، وَهَذِهِ  
دَعْوَى الْخَيْرِيَّةِ بِالنَّسَبِ، وَكَمالُ صُورَةِ دَلِيلِهِ وَمِيزَانِهِ  
أَنْ يَقُولَ: الْمَنْسُوبُ إِلَى الْخَيْرِ خَيْرٌ وَأَنَا مَنْسُوبٌ إِلَى الْخَيْرِ  
فَإِذَا أَنَا خَيْرٌ، وَكِلْتَا هَاتَيْنِ الْكُفَيَّتَيْنِ أَيْضًا فَاسِدَةٌ فَإِنَّا  
لَا نُسَلِّمُ أَنْ الْمَنْسُوبَ إِلَى الْخَيْرِ خَيْرٌ بَلْ الْخَيْرِيَّةُ بِصِفَاتِ  
الذَّاتِ لَا بِالنَّسَبِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيدُ خَيْرًا مِنْ  
الزُّجَّاجِ ثُمَّ يَتَّخَذُ مِنَ الزُّجَّاجِ بِحُسْنِ الصَّنَعَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ  
مِنَ الْمُتَّخَذِ مِنَ الْحَدِيدِ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ: إِبْرَاهِيمُ - صَلَوَاتُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ - خَيْرٌ مِنْ وَلَدِ نُوحٍ وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مَخْلُوقًا  
مِنْ آزَرَ وَهُوَ كَافِرٌ وَوَلَدُ نُوحٍ مِنْ نَبِيِّ . وَأَمَّا أَصْلُهُ  
الثَّانِي وَهُوَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ خَيْرٍ لِأَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ  
فَهَذَا أَيْضًا غَيْرُ مُسَلِّمٍ بَلْ الطِّينُ خَيْرٌ لِأَنَّهُ مِنَ التُّرابِ  
وَالْماءِ . وَرُبَّمَا يُقَالُ: إِنَّ بَامْتِزَاجِهِمَا قِوَامَ الْحَيَوانِ وَالنَّبَاتِ  
وَبِهِمَا يَخْضُلُ النُّشوءُ وَالنُّمُوهُ .

وَأَمَّا النَّارُ فَمُفْسِدَةٌ وَمُهْلِكَةٌ لِجَمِيعٍ . فَقَوْلُهُ :

إِنَّ النَّارَ خَيْرٌ بِاطِلٍ .

فَهَذِهِ الْمَوَازِينُ صَحِيحَةٌ الصُّورَةَ فَاسِدَةٌ الْمَادَّةُ تَشْبِيهَا

بِالسَّيْفِ الْمُتَّخِذِ مِنَ الْخَشَبِ بَلْ هِيَ كَسْرَابٍ بَقِيعَةٍ

يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا

وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابَهُ ،

وَكَذَا يَرَى أَهْلُ التَّعْلِيمِ أَحْوَالَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِذَا كُشِفَتْ لَهُمْ حَقَائِقُ مَوَازِينِهِمْ . وَهَذَا أَيْضًا

مَدْخَلٌ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ يَنْبَغِي أَنْ يُسَدَّ بَلْ الْمَادَّةُ

الصَّحِيحَةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي النَّظَرِ كُلُّ أَصْلِ مَعْلُومٍ

قَطْعًا ، إِمَّا بِالْحُسِّ ، وَإِمَّا بِالتَّجْرِبَةِ ، وَإِمَّا بِالتَّوَاتُرِ

الْكَامِلِ ، أَوْ بِأَوَّلِ الْعَقْلِ ، أَوْ بِالِاسْتِنْتِاجِ مِنْ هَذِهِ

الْجُمْلَةِ .

أَمَّا الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُحَاجَّةِ ، وَالْمُجَادَلَةِ فَمَا

يَعْتَرَفُ بِهِ الْخَصْمُ وَيُسَمُّهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا

فِي نَفْسِهِ فَإِنَّهُ تَصِيرُ حُجَّتُهُ عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ تَجْرِي  
بَعْضُ أُدْلَةٍ الْقُرْآنِ فَلَا يَدْبَغِي أَنْ تُنْكَرَ أُدْلَةُ الْقُرْآنِ  
إِذَا أُمَكَّنَكَ التَّشْكِيكُ فِي أُصُولِهَا لِأَنَّهَا أُورِدَتْ عَلَى  
طَوَائِفَ كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِهَا .

\*  
\*  
\*

الاستغناء بحمد

عليه السلام

(الْقَوْلُ فِي الْإِسْتِغْنَاءِ بِحَمْدِ ﷺ وَبِعِلْمَاءِ أُمَّتِهِ عَنْ  
إِمَامٍ مَعْصُومٍ آخَرَ وَبَيَانُ مَعْرِفَةِ صِدْقِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِطَرِيقٍ أَوْضَحَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمُعْجَزَاتِ  
وَأَوْثَقَ مِنْهُ وَهُوَ طَرِيقُ الْعَارِفِينَ)

فَقَالَ: لَقَدْ أَكْمَلْتَ الشِّفَاءَ وَكَشَفْتَ الْغِطَاءَ وَأَتَيْتَ  
بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ لَكِنِ بَنَيْتَ قَصْرًا وَهَدَمْتَ مِصْرًا فَأَنِّي  
إِلَى الْآنَ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنْ أَعْلَمَ مِنْكَ الْوِزْنَ بِالْعِزَّانِ  
وَأَسْتَفْنِي بِكَ وَبِالْقُرْآنِ عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ فَإِلَّا نَ إِذْ  
ذَكَرْتَ هَذِهِ الدَّقَائِقَ فِي مَدَاخِلِ الْغَلَطِ فَقَدْ آيَسْتُ مِنَ  
الْإِسْتِقْلَالِ بِهِ، فَأَنِّي لَا أَمْنُ أَنْ أَغْلَطَ لَوْ أَشْتَعَلْتُ بِالْوِزَنِ  
وَقَدْ عَرَفْتُ الْآنَ لِمَ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْمَذَاهِبِ  
وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَقَّطُوا هَذِهِ الدَّقَائِقَ كَمَا فَطِنْتُ فَغَلِطَ  
بَعْضُهُمْ وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ فَإِذَا أَقْرَبَ الطَّرِيقَ لِي أَنْ أَعُولَ

عَلَى الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ حَتَّى أَتَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الدَّقَائِقِ .  
فَقُلْتُ : يَا مَسْكِينُ ! مَعْرِفَتُكَ بِالْإِمَامِ الصَّادِقِ لَيْسَتْ  
ضَرُورِيَّةً فَهِيَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ تَقْلِيدًا لِلْوَالِدَيْنِ ، أَوْ مَوْزُونَةً  
بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَازِينِ فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ لَيْسَ أَوْلِيًّا  
فِي الضَّرُورَةِ يَكُونُ حَاصِلًا عِنْدَ صَاحِبِهِ بِقِيَامِ هَذِهِ الْمَوَازِينِ  
فِي نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ هُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ ، فَإِنَّكَ عَرَفْتَ صِحَّةَ  
مِيزَانِ التَّقْدِيرِ بِانْتِظَامِ الْأَصْدِقِينَ فِي ذَهْنِكَ التَّجْرِبِيِّ وَالْحَمْسِيِّ  
وَكَذَلِكَ سَائِرُ النَّاسِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهِ وَمَنْ يَعْرِفُ  
مِثْلًا أَنَّ هَذَا الْحَيَّوَانَ غَيْرُ حَامِلٍ لِأَنَّهُ بَعْلٌ عَرَفَهُ بِانْتِظَامِ  
الْأَصْدِقِينَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا هُمَا فِي صَدْرِ الْكِتَابِ وَإِنْ كَانَ  
لَا يَشْعُرُ بِمَصْدَرِ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ ، كُلُّ عِلْمٍ فِي الْعَالَمِ  
يَحْضُلُ لِلْإِنْسَانِ فَيَكُونُ كَذَلِكَ فَأَنْتَ إِنْ أَخَذْتَ أَعْتِقَادَ  
الْمِصْنَمَةِ فِي الْإِمَامِ الصَّادِقِ بَلْ فِي مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - تَقْلِيدًا لِلْوَالِدَيْنِ وَالرُّفَقَاءِ لَمْ تَتَمَيَّزْ عَنِ الْيَهُودِ  
وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ فَإِنَّهُمْ كَذَلِكَ فَعَمَلُوا ، وَإِنْ أَخَذْتَهُ مِنْ

الْوَزْنَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَازِينِ فَلَمَّا غَلَطْتَ فِي دَقِيقَةٍ  
 مِنْ دَقَائِقِهِ فَيَذْبَعِي عَلَى زَعْمِكَ أَلَا تَتَّقِي بِهِ فَقَالَ : صَدَقْتَ  
 فَأَيْنَ الطَّرِيقُ فَلَقَدْ سَدَدْتَ عَلَى طَرِيقِ التَّعْلِيمِ وَالْوَزْنَ  
 جَمِيعًا. قُلْتُ : هِيَآتِ رَاجِعَ الْقُرْآنِ فَقَدْ عَلِمَكَ الطَّرِيقَ إِذْ  
 قَالَ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ  
 تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ » وَلَمْ يَقُلْ سَافِرُوا إِلَى الْإِمَامِ  
 الْمَعْصُومِ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، فَأَنْتَ تَعَلَّمُ أَنَّ الْمَعَارِفَ  
 كَثِيرَةٌ فَلَوْ ابْتَدَأْتَ فِي كُلِّ مُشْكِلَةٍ سَفَرًا إِلَى الْإِمَامِ  
 الْمَعْصُومِ بِزَعْمِكَ طَالَ عَنَاؤُكَ وَقَلَّ عِلْمُكَ ، لَكِنَّ طَرِيقَكَ  
 أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنِّي كَيْفِيَّةَ الْوَزْنِ وَتَسْتَوْفِيَ شُرُوطَهُ فَإِنْ أَشْكَلَ  
 عَلَيْكَ شَيْءٌ عَرَضْتَهُ عَلَى الْمِيزَانِ وَتَفَكَّرْتَ فِي شُرُوطِهِ  
 بِفِكْرٍ صَافٍ وَجِدِّ وَافٍ فَإِذَا أَنْتَ مُبْصِرٌ وَهَذَا كَمَا لَوْ  
 حَسَبْتَ مَا لِلْبِقَالِ عَلَيْكَ أَوْ لَكَ عَلَيْهِ أَوْ قَسَمْتَ فِي مَسْأَلَةٍ  
 مِنْ مَسَائِلِ الْفَرَائِضِ وَشَكَكْتَ فِي الْإِصَابَةِ وَالْخَطَأِ  
 فَيَطُولُ عَلَيْكَ أَنْ تُسَافِرَ إِلَى الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ وَلَكِنْ

تُحْكِمُ عِلْمَ الْحِسَابِ وَتَتَذَكَّرُهُ وَلَا تَزَالُ تُعَاوِدُهُ مَرَّةً  
 بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى تَسْتَيْقِنَ قَطْعًا أَنَّكَ مَا غَلِطْتَ فِي دَقِيقَةٍ  
 مِنْ دَقَائِقِهَا، وَهَذَا يَعْرِفُهُ مَنْ يَعْرِفُ عِلْمَ الْحِسَابِ وَكَذَلِكَ  
 مَنْ يَعْرِفُ الْوِزْنَ بِهِ كَمَا أَعْرِفُهُ فَيَنْتَهِي بِهِ التَّذَكُّرُ  
 وَالتَّفَكُّرُ وَالْمُؤَادَّةُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى إِلَى الْيَقِينِ الضَّرُورِيِّ  
 بِأَنَّهُ مَا غَلِطَ فَإِنْ لَمْ تَسْلُكْ هَذِهِ الطَّرِيقَ لَمْ تُفْلِحْ قَطُّ  
 وَصِرْتَ تَشْكُكُ بِلَعَلِّ وَعَسَى، وَلَمَّا كَدَّ غَلِطْتَ  
 فِي تَقْلِيدِكَ لِإِمَامِكَ بَلِّ لِلنَّبِيِّ الَّذِي آمَنْتَ بِهِ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ  
 صِدْقِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيْسَرُ ضَرُورِيَّةٍ  
 فَقَالَ : لَقَدْ سَاعَدْتَنِي عَلَى أَنْ أَتَّعِلِمَ حَقًّا وَأَنَّ الْإِمَامَ  
 هُوَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَعْتَرَفْتَ بِأَنَّ كُلَّ  
 وَاحِدٍ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْعِلْمَ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دُونَ مَعْرِفَةِ الْمِيزَانِ وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ  
 مَعْرِفَةُ تَمَامِ الْمِيزَانِ إِلَّا مِنْكَ، فَكَأَنَّكَ أَدْعَيْتَ الْإِمَامَةَ  
 لِنَفْسِكَ خَاصَّةً فَمَا بُرْهَانُكَ وَمُعْجِزَتُكَ فَإِنَّ إِمَامِي إِمَامًا

أَنْ يُقِيمَ مُعْجِزَةً وَإِمَّا أَنْ يَحْتَجَّ بِالنَّصِّ الْمُتَعَاقِبِ مِنْ آبَائِهِ  
إِلَيْهِ، فَإِنَّ نَصَّكَ وَأَيْنَ مُعْجِزَتِكَ؟ فَقُلْتُ: أَمَا قَوْلُكَ إِنَّكَ  
تَدْعِي الْإِمَامَةَ لِنَفْسِكَ خَاصَّةً فَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو  
أَنْ يُشَارِكَنِي غَيْرِي فِي هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فَيُمْكِنُ أَنْ يُتَعَلَّمَ  
مِنْهُ كَمَا يُتَعَلَّمُ مِنِّي فَلَا أَجْعَلُ التَّعْلِيمَ وَقَفًا عَلَى نَفْسِي .  
وَأَمَّا قَوْلُكَ تَدْعِي الْإِمَامَةَ لِنَفْسِكَ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِمَامَ قَدْ نَعْنَى  
بِهِ الَّذِي يُتَعَلَّمُ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ وَهَذَا  
لَا أَدْعِيهِ لِنَفْسِي وَقَدْ نَعْنَى بِهِ الَّذِي يُتَعَلَّمُ مِنَ اللَّهِ بِغَيْرِ  
جِبْرِيلَ أَوْ مِنْ جِبْرِيلَ بِوَاسِطَةِ الرَّسُولِ وَهَذَا سُمِّيَ عَلِيٌّ  
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِمَامًا فَإِنَّهُ تَعَلَّمَ مِنَ الرَّسُولِ لَا مِنْ  
جِبْرِيلَ وَأَنَا بِهَذَا الْمَعْنَى أَدْعِي الْإِمَامَةَ لِنَفْسِي . أَمَا بُرْهَانِي  
عَلَيْهِ فَأَوْضَحُ مِنَ النَّصِّ وَمِمَّا تَمْتَقِدُهُ مُعْجِزَةً، فَإِنَّ ثَلَاثَةَ  
أَنْفُسٍ لَوْ أَدْعَوْا عِنْدَكَ أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ . فَقُلْتُ:  
مَا بُرْهَانُكُمْ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ بُرْهَانِي أَنَّهُ نَصَّ عَلَى الْكِسَائِي  
أُسْتَاذُ الْمُقْرئينَ إِذْ نَصَّ عَلَى أُسْتَاذِي وَأُسْتَاذِي نَصَّ عَلَى



فَكَانَ الْكِسَائِيُّ نَصَّ عَلَيَّ . فَقَالَ الثَّانِي : إِنِّي أَقْلِبُ الْعَصَا  
حَيَّةً فَمَلَبَّ الْعَصَا حَيَّةً . وَقَالَ الثَّلَاثُ : بُرْهَانِي أَنِّي أَقْرَأُ  
جَمِيعَ الْقُرْآنِ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ غَيْرِ مُصْحَفٍ فَلَيْتَ شِعْرِي  
أَيُّ هَذِهِ الْبُرَاهِينِ أَوْضَحُ عِنْدَكَ وَقَلْبِكَ بِأَيِّهَا أَشَدُّ تَصَدِيقًا  
فَقَالَ : بِالَّذِي قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَهُوَ غَايَةُ الْبُرَاهِينِ إِذْ لَا يُخَالِجُنِي  
فِيهِ رَيْبٌ . أَمَّا نَصُّ أَسْتَاذِهِ عَلَيْهِ وَنَصُّ الْكِسَائِيِّ عَلَيَّ  
أَسْتَاذِهِ فَيَتَصَوَّرُ أَنْ تَقَعَ فِيهِ أَغَالِيطٌ لَاسِيَّمَا عِنْدَ طَوْلِ  
الْأَسْفَارِ . وَأَمَّا قَلْبُ الْعَصَا حَيَّةً فَلَمَعْلُهُ فَعَلَّ ذَلِكَ بِحِيلَةٍ  
وَتَلْبِيسٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَلْبِيسًا فَعَايَتُهُ أَنَّهُ فَعَلَّ عَجِيبٌ  
وَمَنْ أَيْنَ يَلْزَمُ أَنْ مَنْ قَدَرَ عَلَى فِعْلٍ عَجِيبٍ يَنْبَغِي أَنْ  
يَكُونَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ . قُلْتُ : فَبُرْهَانِي إِذَا أَيْضًا أَنِّي  
كَمَا عَرَفْتُ هَذِهِ الْمَوَازِينَ فَقَدْ عَرَفْتُ وَأَفْهَمْتُ وَأَزَلْتُ  
الشَّكَّ عَنْ قَلْبِكَ فِي صِحَّتِهِ فَيَلْزَمُكَ الْإِيمَانُ بِإِمَامَتِي كَمَا أَنَّكَ  
إِذَا تَعَلَّمْتَ الْحِسَابَ وَعَلِمْتَهُ مِنْ أَسْتَاذٍ فَإِنَّهُ إِذَا عَلَّمَكَ الْحِسَابَ  
حَصَلَ لَكَ عِلْمٌ بِالْحِسَابِ وَعِلْمٌ آخِرُ ضَرُورِيٌّ بِأَنْ أَسْتَاذَكَ

حَاسِبٌ وَعَالِمٌ بِالْحِسَابِ كَذَلِكَ ، فَقَدْ عَلِمْتَ مِنْ تَعْلِيمِهِ  
عِلْمَهُ وَصِحَّةَ دَعْوَاهُ أَيْضًا فِي أَنَّهُ حَاسِبٌ وَكَذَلِكَ آمَنْتُ  
أَنَا بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصِدْقِ مُوسَى  
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَا بَشَقَّ الْقَمَرِ وَلَا بِقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةٌ  
بِمَجْرَدِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ حِينَئِذٍ التَّيَّاسُ كَثِيرٌ  
فَلَا يُوثِقُ بِهِ بَلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةٌ يَكْفُرُ  
بِحُورِ الْعِجْلِ . فَإِنَّ التَّمَارِضَ فِي عَالَمِ الْحِسِّ وَالشَّهَادَةِ  
كَثِيرٌ جِدًّا لَكِنِّي تَعَلَّمْتُ الْمَوَازِينَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ وَزَنْتُ بِهَا  
جَمِيعَ الْمَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ بَلَّ أَحْوَالِ الْمَعَادِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ  
وَعَذَابِ أَهْلِ الْفُجُورِ وَثَوَابِ أَهْلِ الطَّاعَةِ ، كَمَا ذَكَرْتُهُ  
فِي كِتَابِ جَوَاهِرِ الْقُرْآنِ فَوَجَدْتُ جَمِيعَهَا مُوَافِقَةً لِمَا  
فِي الْقُرْآنِ وَلِمَا فِي الْأَخْبَارِ فَتَيَقَّنْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَادِقٌ وَأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ وَفَعَلْتُ كَمَا قَالَ  
عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِذْ قَالَ : ( لَا تَعْرِفِ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ  
أَعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ ) فَكَانَتْ مَعْرِفَتِي بِصِدْقِ

النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ضَرُورِيَّةً كَمَعْرِفَتِكَ إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا  
غَرِيبًا يُنَاطِرُ فِي مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْفِقْهِ وَيُحْسِنُ فِيهَا  
وَيَأْتِي بِالْفِقْهِ الصَّحِيحِ الصَّرِيحِ فَإِنَّكَ لَا تَتَمَارَى فِي أَنَّهُ  
فَقِيهٌ وَيَقِينُكَ الْحَاصِلُ بِهِ أَوْضَحُ مِنَ الْيَقِينِ الْحَاصِلِ بِفِقْهِ لَوْ  
قَلَبَ أَلْفَ عَصَا ثُعْبَانًا لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ أَحْتِمَالُ السَّحْرِ  
وَالْتَلْيِيسِ وَالطَّلْسَمِ <sup>(١)</sup> وَغَيْرِهَا وَلَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ بِالْقُرْآنِ  
وَالْتَفْرِيقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَكَوْنُهَا مُعْجِزَةً إِلَّا بَعْدَ  
بَحْثٍ طَوِيلٍ وَنَظَرٍ دَقِيقٍ وَيَحْصُلُ بِهِ إِيمَانٌ ضَعِيفٌ هُوَ إِيمَانُ  
الْعَوَامِّ وَالْمَتَكَلِّمِينَ ، فَأَمَّا إِيمَانُ أَرْبَابِ الْمَشَاهِدَةِ النَّاطِرِينَ  
مِنْ مَشْكَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ فَكَذَلِكَ يَكُونُ فَقَالَ : فَأَنَا أَيْضًا  
أَشْتَهِي أَنْ أَعْرِفَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا عَرَفْتَهُ  
وَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِأَنْ تُوزَنَ جَمِيعُ  
الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ بِهَذَا الْمِيزَانِ وَمَا أَنْضَحَ عِنْدِي أَنَّ جَمِيعَ

(١) الطلسم: بكسر الطاء وفتح اللام المشددة، عبارة عن تخريج القوى

السموية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة، بواسطة خطوط مخصوصة

الْمَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ يُمَكِّنُ وَزْنَهَا بِهَذِهِ الْمَوَازِينِ فِيمَ أَعْلَمُ  
ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : هِيَ هَاتَا لَا أَدْعِي أَنِّي أَزِنُ بِهَا الْمَعَارِفَ  
الدِّينِيَّةَ فَقَطْ بَلْ أَزِنُ بِهَا الْعُلُومَ الْحِسَابِيَّةَ وَالْهَنْدَسِيَّةَ  
وَالطَّبِيعِيَّةَ وَالْفِقْهِيَّةَ وَالْكَلَامِيَّةَ وَكُلَّ عِلْمٍ حَقِيقِيٍّ غَيْرِ  
وَضَعِيٍّ فَإِنِّي أُمِيزُ حَقَّهُ عَنِ بَاطِلِهِ بِهَذِهِ الْمَوَازِينِ وَكَيْفَ  
لَا وَهُوَ الْقِسْطَانُ الْمُسْتَقِيمُ وَالْمِيزَانُ الَّذِي هُوَ رَفِيقُ  
الْكِتَابِ وَالْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا  
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ  
بِالْقِسْطِ » وَأَمَّا مَعْرِفَتُكَ بِقُدْرَتِي عَلَى هَذَا فَلَا تَحْصُلُ  
بِنَصِّ وَلَا بِقَلْبِ الْعَصَا ثُعْبَانًا وَلَكِنْ تَحْصُلُ بِأَنْ  
تَسْتَكْشِفَ ذَلِكَ تَجْرِبَةً وَأَمْتِحَانًا فَمَدَّعِي الْفُرُوسِيَّةِ  
لَا يَنْكَشِفُ صِدْقُهُ حَتَّى يَرَى كَبَّ فَرَسًا وَيَرَى كُضَّ مِيدَانًا  
فَسَلَّنِي عَمَّا شِدَّتْ مِنَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ لِأَنَّ كَشْفَ لَكَ الْغِطَاءِ  
عَنِ الْحَقِّ فِيهِ وَاحِدًا وَاحِدًا وَأَزِنَهُ بِهَذَا الْمِيزَانِ وَزْنَا  
يَحْصُلُ لَكَ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِأَنَّ الْوِزْنَ صَحِيحٌ وَأَنَّ الْعِلْمَ

الْمُسْتَفَادَ مِنْهُ مُسْتَيْقِنٌ وَمَنْ لَمْ يُحَرِّبْ لَمْ يَعْرِفْ . فَقَالَ :  
وَهَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُعْرِفَ جَمِيعَ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ  
جَمِيعَ الْخَلْقِ فَتَرْفَعَ الْإِخْتِلَافَاتِ الْوَاقِعَةَ بَيْنَهُمْ .

قُلْتُ : هِيَئَاتِ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّ إِمَامَكَ الْمَعْمُومَ  
إِلَى الْآنِ قَدْ رَفَعَ الْإِخْتِلَافَاتِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ، وَأَزَالَ  
الْإِشْكَالَاتِ عَنِ الْقُلُوبِ . بَلَى الْأَنْبِيَاءُ مَتَى رَفَعُوا  
الْإِخْتِلَافَ وَمَتَى قَدَرُوا عَلَيْهِ ؟ بَلَى اخْتِلَافُ الْخَلْقِ حُكْمٌ  
ضَرُورِيٌّ أَزَلِيٌّ . «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ  
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» ، أَفَادَعِي أَنْ أُرَدَّ قَضَاءُ  
اللَّهِ الَّذِي قَضَى بِهِ فِي الْأَزَلِ ، أَوْ يَقْدِرُ إِمَامُكَ أَنْ يَدْعِيَ  
ذَلِكَ ؟ فَإِنْ كَانَ يَدْعِيهِ فَلِمَ أَدَّخَرَهُ إِلَى الْآنِ ؟ وَالذُّنْيَا  
طَافِحَةٌ بِالْإِخْتِلَافَاتِ . وَآيَتَ شِعْرِي رَئِيسُ الْأُمَّةِ عَلِيُّ  
أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ سَبَبَ رَفْعِ الْإِخْتِلَافَاتِ  
بَيْنَ الْخَلْقِ أَوْ سَبَبَ تَأْسِيسِ اخْتِلَافَاتِ لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا  
الذَّهْرُ ؟



( الْقَوْلُ فِي طَرِيقِ نَجَاةِ الْخَلْقِ )

مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَخْتِلَافَاتِ

نجاه الخلق  
من ظلمات  
الاختلاف

فَقَالَ : كَيْفَ نَجَاةُ الْخَلْقِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْتِلَافَاتِ ؟  
قُلْتُ : إِنْ أَصْعَوْا إِلَى رَفَعَتْ الْأَخْتِلَافَاتِ بِيَدِنَهُمْ بِكِتَابِ  
اللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنْ لَاحِيَلَةَ فِي إِصْغَائِهِمْ . فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصْفَوْا  
بِأَجْمَعِهِمْ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَلَا إِلَى إِمَامِكَ . فَكَيْفَ يَصْفَوْنَ إِلَى ؟  
وَكَيفَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْإِصْغَاءِ ؟ وَقَدْ حُكِمَ عَلَيْهِمْ فِي الْأَزَلِ  
بِأَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقْتُهُمْ ،  
وَكَوْنُ الْأَخْلَافِ بَيْنَهُمْ ضَرُورِيًّا تَعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ جَوَابِ  
مُفَصَّلِ الْخِلَافِ ، وَهُوَ الْفُصُولُ الْإِثْنَا عَشَرَ . فَقَالَ :  
فَلَوْ أَصْعَوْا كَيْفَ كُنْتَ تَفْعَلُ . قُلْتُ : كُنْتُ أَعَامِدُهُمْ  
بِآيَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ قَالَ : « وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ »  
الآيَةَ وَإِنَّمَا أَنْزَلَ هَذِهِ الثَّلَاثَ لِأَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ ،

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحَدِيدِ وَالْمِيزَانِ عِلَاجٌ قَوْمٍ .  
فَقَالَ : فَمَنْ هُمْ ؟ وَكَيْفَ عِلَاجُهُمْ ؟ قُلْتُ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ  
أَصْنَافٍ عَوَامٌ ، وَهُمْ أَهْلُ السَّلَامَةِ ، أُنْبُلُهُ ، وَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ،  
وَخَوَاصُّ ، وَهُمْ أَهْلُ الذِّكَاةِ وَالْبَصِيرَةِ . وَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمْ  
طَائِفَةٌ هُمْ أَهْلُ الْجِدْلِ وَالشَّغَبِ ، فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْ  
الْكِتَابِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ .

\* \* \*

أَمَّا الْخَوَاصُّ فَإِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِأَنَّ أَعْلَمَهُمُ الْمَوَازِينَ معالجة الخوارج  
الْقِسْطَ وَكَيْفِيَّةَ الْوَزْنِ بِهَا ، فَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ عَلَى  
قُرْبٍ ، وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ اجْتَمَعَ فِيهِمْ ثَلَاثُ خِصَالٍ :  
« إِحْدَاهَا » : الْقَرِيحَةُ النَّافِذَةُ ، وَالْفِطْنَةُ الْقَوِيَّةُ ،  
وَهَذِهِ عَطِيَّةٌ فِطْرِيَّةٌ ، وَغَرِيزَةٌ جِبَلِيَّةٌ لَا يُمَسِّكُنُ كَسْبُهَا  
« وَالثَّانِيَةُ » : خُلُوعُ بَاطِنِهِمْ مِنْ تَقْلِيدِ وَتَعْصَبِ لِمَذْهَبٍ  
مَوْزُوثٍ وَمَسْمُوعٍ ، فَإِنَّ الْمُقَلِّدَ لَا يُصْنَعِي وَالْبَلِيدَ وَإِنْ  
أُصْنَعِيَ فَلَا يَفْهَمُ .

« التَّالِثَةُ » : أَنْ يَمْتَقِدَ فِي أَنِّي مِنْ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ  
بِالْمِيزَانِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِأَنَّكَ تَعْرِفُ الْحِسَابَ لَا يُمْكِنُهُ  
أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْكَ ...

\* \* \*

معالجة البله

« وَالصَّنْفُ الثَّانِي البُهْلَةُ » وَهُمْ جَمِيعُ الْعَوَامِّ ، وَهُوَ لِأَنَّ  
هُمُ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِطْنَةٌ لِفَهْمِ الْحَقَائِقِ ، وَإِنْ كَانَتْ  
لَهُمْ فِطْنَةٌ فِطْرِيَّةٌ فَلَيْسَ لَهُمْ دَاعِيَةُ الطَّلَبِ ، بَلْ شَغَلَتْهُمْ  
الصَّنَاعَاتُ وَالْحِرَفُ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ أَيْضًا دَاعِيَةُ الْجِدَالِ بِخِلَافِ  
الْمُتَكَايِسِينَ فِي الْعِلْمِ مَعَ قُصُورِ الْفَهْمِ عَنْهُ ، فَهُوَ لِأَنَّ  
لَا يَخْتَلِفُونَ وَلَكِنْ يَتَحَيَّرُونَ بَيْنَ الْأَثْمَةِ الْمُخْتَلِفِينَ ،  
فَادْعُوا هَؤُلَاءِ إِلَى اللَّهِ بِالْمَوْعِظَةِ ، كَمَا أَدْعُو أَهْلَ الْبَصِيرَةِ  
بِالْحِكْمَةِ ، وَادْعُوا أَهْلَ الشَّغَبِ بِالْمُجَادَلَةِ ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ -  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هَذِهِ الثَّلَاثَةَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا تَلَوْتُهُ  
عَلَيْكَ أَوَّلًا ، فَأَقُولُ لَهُمْ : مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَعْرَابِيٍّ جَاءَهُ فَقَالَ : عَلَّمَنِي مِنْ غَرَائِبِ



الْعِلْمِ فَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ لَيْسَ  
أَهْلًا لِذَلِكَ ، فَقَالَ : وَمَاذَا عَمِلْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ أَيِ الْإِيمَانِ  
وَالْتَقْوَى وَالْإِسْتِمْدَادِ لِلْآخِرَةِ ، أَذْهَبَ فَأَحْكِمَ رَأْسَ  
الْعِلْمِ ثُمَّ أَرْجِعْ لِأَعْلَمَكَ مِنْ غَرَائِبِهِ . فَأَقُولُ لِلْعَامِي :  
لَيْسَ الْخَوْضُ فِي الْإِخْتِلَافَاتِ مِنْ عَشِّكَ فَأَدْرُجْ ، فَإِيَّاكَ  
أَنْ تَخْوِضَ فِيهِ ، أَوْ تَصْنَعِيَ إِلَيْهِ فَتَهْلِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا صَرَفْتَ  
عُمُرَكَ فِي صِنَاعَةِ الصِّيَاغَةِ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاكَةِ ،  
وَقَدْ صَرَفْتَ عُمُرَكَ فِي غَيْرِ الْعِلْمِ ، فَكَيْفَ تَكُونُ مِنْ  
أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْخَوْضِ فِيهِ ، فَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ  
أَنْ تَهْلِكَ نَفْسَكَ فَكُلُّ كَبِيرَةٍ تَجْرِي عَلَى الْعَامِيٍّ أَهْوَنُ  
مِنْ أَنْ يَخْوِضَ فِي الْعِلْمِ فَيَكْفُرَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي .  
فَإِنْ قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ دِينٍ أَعْتَقِدُهُ وَأَعْمَلُ بِهِ لِأَصِلَ بِهِ  
إِلَى الْمَغْفِرَةِ ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْأَدْيَانِ ، فَبِأَيِّ دِينٍ  
تَأْمُرُنِي أَنْ أَخْذَ أَوْ أَعُولَ عَلَيْهِ ؟ فَأَقُولُ لَهُ : لِلدِّينِ  
أُصُولٌ وَفُرُوعٌ وَالْإِخْتِلَافُ إِنَّمَا يَقَعُ فِيهِمَا . أَمَّا الْأُصُولُ

فَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْتَقِدَ فِيهَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
لَمْ يَسْتُرْ عَنِ عِبَادِهِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَاءَهُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَقِدَ  
أَنَّ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهَ، وَأَنَّ اللَّهَ حَيُّ عَالِمٌ قَادِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ جَبَّارٌ  
مُتَكَبِّرٌ قُدُّوسٌ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، إِلَى جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِي  
الْقُرْآنِ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ، فَذَلِكَ كَافٍ فِي صِحَّةِ الدِّينِ،  
وَإِنْ تَشَابَهَ عَلَيْكَ شَيْءٌ فَقُلْ آمَنَّا كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا،  
وَأَعْتَقِدْ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَنَفْيِهَا عَلَى غَايَةِ  
التَّعْظِيمِ وَالتَّقْدِيسِ مَعَ نَفْيِ الْمُمَآئِلَةِ وَأَعْتِقَادِ أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
شَيْءٌ، وَبَعْدَ هَذَا لَا تَلْتَفِتْ إِلَى الْقِيلِ وَالْقَالِ فَإِنَّكَ غَيْرُ  
مَأْمُورٍ بِهِ، وَلَا هُوَ عَلَى حَدِّ طَاقَتِكَ، فَإِنْ أَخَذَ يَتَحَدَّقُ (١)  
وَيَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ عَالِمٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ  
أَنَّهُ عَالِمٌ بِالذَّاتِ، أَوْ بِعِلْمِ زَائِدٍ عَلَيْهِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ  
فِيهِ الْأَشْعَرِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ، فَقَدْ خَرَجَ بِهِدَا عَنْ حَدِّ الْعَوَامِّ،  
إِذِ الْعَامُّ لَا يَلْتَفِتُ قَلْبُهُ إِلَى مِثْلِ هَذَا مَالٍ يُحْرَكُهُ

(١) تحذلق: أظهر الحذق وادعى بأكثر مما عنده

شَيْطَانُ الْجَدَلِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُهْلِكُ قَوْمًا إِلَّا يُؤْتِيهِمُ الْجَدَلَ  
ذَلِكَ وَرَدَّ الْخَبْرُ ، وَإِذَا التَّحَقَّ بِأَهْلِ الْجَدَلِ فَسَادُ كُرْمِ  
عِلَاجِهِمْ ، هَذَا مَا أُعْطِيَ بِهِ فِي الْأُصُولِ وَهُوَ الْإِحَالَةُ عَلَى  
كِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْحَدِيدَ ،  
وَهُوَ لِأَهْلِ الْإِحَالَةِ عَلَى الْكِتَابِ .

وَأَمَّا الْفُرُوعُ فَأَقُولُ : لِأَنَّهُ شَغَلَ قَلْبَكَ بِمَوَاقِعِ الْخِلَافِ  
مَا لَمْ تَفْرُغْ مِنْ جَمِيعِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ  
عَلَى أَنَّ زَادَ الْآخِرَةَ هُوَ التَّقْوَى وَالْوَرَعُ ، وَأَنَّ الْكَسْبَ  
الْحَرَامَ وَالْمَالَ الْحَرَامَ وَالْغَيْبَةَ وَالنَّمِيمَةَ وَالزُّنَا وَالسَّرِقَةَ  
وَالْخِيَانَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ حَرَامٌ ، وَالْفَرَائِضُ  
كُلُّهَا وَاجِبَةٌ ، فَإِنْ فَرَّغْتَ مِنْ جَمِيعِهَا عَلِمْتَكَ طَرِيقَ الْخِلَاصِ  
مِنَ الْخِلَافِ فَإِنَّ هُوَ طَالِبِنِي بِهَا قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنْ هَذَا  
كُلِّهِ ، فَهُوَ جَدَلِيٌّ وَلَيْسَ بِعَامِيٍّ . وَمَتَى تَفَرَّغَ الْعَامِيُّ مِنْ  
هَذَا إِلَى مَوَاضِعِ الْخِلَافِ ؟ أَفَرَأَيْتَ رُقُقَاءَكَ قَدْ  
فَرَّغُوا مِنْ جَمِيعِ هَذَا ، ثُمَّ أَخَذَ إِشْكَالَ الْخِلَافِ

بِعَنْقِهِمْ<sup>(١)</sup> . هِيَهَاتَ مَا أَشْبَهُ ضَعْفَ عُقُولِهِمْ فِي خِلَافِهِمْ  
إِلَّا بِعَقْلِ مَرِيضٍ بِهِ مَرَضٌ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ لَهُ عِلَاجٌ  
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْأَطِبَّاءِ ، وَهُوَ يَقُولُ : قَدْ اخْتَلَفَ الْأَطِبَّاءُ  
فِي بَعْضِ الْأَدْوِيَةِ أَنَّهُا حَارَّةٌ أَوْ بَارِدَةٌ ، وَرُبَّمَا افْتَقَرْتُ  
إِلَيْهِ يَوْمًا ، فَأَنَا لَا أَعَالِجُ نَفْسِي حَتَّى أَجِدَ مَنْ يُعَلِّمُنِي رَفَعُ  
الْخِلَافِ فِيهِ . نَعَمْ لَوْ رَأَيْتُمْ صَالِحًا قَدْ فَرَّغَ مِنْ حُدُودِ  
التَّقْوَى كُلِّهَا . وَقَالَ هَانَا تُشْكِلُ عَلَيَّ مَسَائِلُ فَإِنِّي لَا أَدْرِي  
أَتَوَضَّأُ مِنَ اللَّمَسِ وَالنَّقْيِ وَالرُّعَافِ وَأَنْوِي الصَّوْمَ بِاللَّيْلِ  
فِي رَمَضَانَ أَوْ بِالنَّهَارِ؟ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . فَأَقُولُ لَهُ : إِنْ كُنْتَ  
تَطْلُبُ الْأَمَانَ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ فَاسْأَلْكَ سَبِيلَ الْإِحْتِيَاظِ  
وَخُذْ بِمَا يَتَّفَقُ عَلَيْهِ الْجَمِيعُ فَتَوَضَّأْ مِنْ كُلِّ مَا فِيهِ خِلَافٌ  
فَإِنَّ كُلَّ مَنْ لَا يُوجِبُهُ يَسْتَجِبُهُ وَأَنْوِ الصَّوْمَ بِاللَّيْلِ فِي  
رَمَضَانَ فَإِنَّ مَنْ لَا يُوجِبُهُ يَسْتَجِبُهُ . فَإِنْ قَالَ : هُوَ ذَا  
يَمْتَقِلُ عَلَيَّ الْإِحْتِيَاظُ ، وَيَعْرِضُ لِي مَسَائِلَ تَدُورُ بَيْنَ النَّفْيِ

(١) الخنق : موضع جبل الخنق من العنق

وَالْإِثْبَاتِ وَقَالَ: لَا أَدْرِي، أَأَقْنْتُ فِي الصُّبْحِ أَمْ لَا؟ وَأَجْهَرُ  
بِالتَّسْمِيَةِ أَمْ لَا؟ فَأَقُولُ لَهُ: الْآنَ اجْتَهِدْ مَعَ نَفْسِكَ، وَانظُرْ  
إِلَى الْأَيْمَةِ أَيُّهُمْ أَفْضَلُ عِنْدَكَ؟ وَصَوَابُهُ أَغْلَبُ عَلَى قَلْبِكَ.  
كَمَا لَوْ كُنْتَ مَرِيضًا وَفِي الْبَلَدِ أَطِبَّاءَ، فَإِنَّكَ تَخْتَارُ بَعْضَ  
الْإِطِبَّاءِ بِاجْتِهَادِكَ لَا بِهَوَاكَ وَطَبْعِكَ، فَيَكْفِيكَ مِثْلُ ذَلِكَ  
الْاجْتِهَادِ فِي أَمْرِ دِينِكَ، فَمَنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّكَ أَنَّهُ الْأَفْضَلُ  
فَاتَّبِعْهُ، فَإِنْ أَصَابَ فِيمَا قَالَ عِنْدَ اللَّهِ فَلَهُ فِي ذَلِكَ أَجْرَانِ،  
وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَكَذَلِكَ  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ قَالَ: «مَنْ  
اجْتَهِدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَمَنْ اجْتَهِدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ  
وَاحِدٌ» وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِ الْاجْتِهَادِ، وَقَالَ تَعَالَى  
«لَمَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» وَارْتَضَى الْاجْتِهَادَ لِأَهْلِهِ  
إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمُعَاذٍ «بِمِ  
تَحْكُمُ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ  
بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: فَإِنْ لَمْ

تَجِدُ؟ قَالَ أَجْتَهُدُ بِرَأْيِي قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَمُرَهُ بِهِ رَسُولُ  
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأُذِنَ لَهُ فِيهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ  
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ  
رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يَرْضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ « فَفُهِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ  
مَرْضِيٌّ بِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمُعَاذٍ  
وغيرِهِ كَمَا قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنِّي هَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ ،  
وَاقَعْتُ أَهْلِي فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَقَالَ أَعْتَقَ رَقَبَةً فَفُهِمَ أَنَّ  
التَّرَكِيَّ أَوْ الهِنْدِيَّ لَوْ جَامَعَ أَيضًا لَزِمَهُ الْإِعْتَاقُ وَهَذَا  
لِإِنَّ الْخَلْقَ مَا كُفُّوا الصَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ  
مَقْدُورٍ عَلَيْهِ وَلَا تَكْلِيفَ بِمَا لَا يُطَاقُ بَلْ كُفُّوا  
مَا يَظُنُّونَهُ صَوَابًا كَمَا لَمْ يُكَلِّفُوا الصَّلَاةَ بِشُوبٍ طَاهِرٍ ،  
بَلْ بِشُوبٍ يَظُنُّونَهُ أَنَّهُ طَاهِرٌ ، فَلَوْ تَذَكَّرُوا نَجَاسَتَهُ لَمْ  
يَلْزَمَهُمُ الْقَضَاءُ ، إِذْ نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - تَعْلَهُ فِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ لَمَّا أَنْبَأَهُ جِبْرِيلُ أَنَّ  
عَلَيْهِ قَدْرًا ، وَلَمْ يُعِدِّ الصَّلَاةَ وَلَمْ يَسْتَأْنِفْ ، وَكَذَلِكَ لَمْ

يُكَلِّفُ أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى الْقِبْلَةِ بَلْ إِلَى جِهَةٍ يَظُنُّ أَنَّهَا الْقِبْلَةُ  
بِالِاسْتِدْلَالِ بِالْجِبَالِ وَالْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ ، فَإِنْ  
أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِلَّا فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ ، وَلَمْ يُكَلِّفُوا  
أَدَاءَ الزَّكَاةِ إِلَى الْفَقِيرِ بَلْ إِلَى مَنْ ظَنُّوا فَقْرَهُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ  
لَا يُعْرَفُ بَاطِنُهُ وَلَمْ يُكَلِّفِ الْقَضَاءُ فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ  
وَإِبَاحَةِ الْفُرُوجِ طَلَبَ شُهُودٍ يَعْلَمُونَ صِدْقَهُمْ ، بَلْ مَنْ  
يَظُنُّونَ صِدْقَهُ ، وَإِذَا جَازَ سَفْكَ دَمٍ يَظُنُّ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ  
وَهُوَ ظَنُّ صِدْقِ الشُّهُودِ ، فَلَيْمَ لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ بِظَنِّ  
شَهَادَةِ الْأَدِلَّةِ عِنْدَ الْاجْتِهَادِ . وَآيَتِ شِعْرِي مَاذَا يَقُولُ  
رُفَقَاؤُكَ فِي هَذَا ؟ يَقُولُونَ إِذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ يُؤَخَّرُ  
الصَّلَاةَ حَتَّى يُسَافِرَ إِلَى الْإِمَامِ وَيَسْأَلَهُ أَوْ يُكَلِّفُهُ الْإِصَابَةَ  
الَّتِي لَا يُطِيقُهَا أَوْ يَقُولُ اجْتَهِدْ لِمَنْ لَا يُمَكِّنُهُ الْاجْتِهَادُ  
إِذَا لَا يُعْرَفُ أَدِلَّةُ الْقِبْلَةِ ، وَكَيْفِيَّةُ الْاسْتِدْلَالِ بِالْكَوَاكِبِ  
وَالْجِبَالِ وَالرِّيَاحِ ، قَالَ : لَا أَشُكُّ فِي أَنَّهُ يَأْذَنُ لَهُ فِي  
الْاجْتِهَادِ ، ثُمَّ لَا يُؤْتِمُّهُ إِذَا بَدَلَ كُنْهَ مَجْهُودِهِ ، وَإِنْ

أَخْطَأَ أَوْ صَلَّى إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ . قُلْتُ : فَإِذَا كَانَ مَنْ جَعَلَ  
الْقِبْلَةَ خَلْفَهُ مَعذُورًا مَأْجُورًا ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَنْ  
أَخْطَأَ فِي سَائِرِ الْأَجْتِهَادَاتِ مَعذُورًا ، فَالْمُجْتَهِدُونَ وَمُقَلِّدُوهُمْ  
كُلُّهُمْ مَعذُورُونَ ، بَعْضُهُمْ يُصِيبُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَبَعْضُهُمْ  
يُشَارِكُونَ الْمُصِيبِينَ فِي أَحَدِ الْأَجْرَيْنِ ، فَمَا نَصَابُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ  
وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَتَعَانَدُوا ، وَأَنْ يَتَعَسَّبَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ ،  
لَأَسِيًّا وَالْمُصِيبُ لَا يَتَّعِنُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ  
مُصِيبٌ ، كَمَا لَوْ اجْتَهَدَ مُسَافِرَانِ فِي الْقِبْلَةِ فَاخْتَلَفَا فِي الْأَجْتِهَادِ ،  
فَحَقَّقَهُمَا أَنْ يُصَلِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي غَلَبَتْ  
عَلَيْ ظَنِّهِ وَأَنْ يَكْفَىٰ إِنْكَارُهُ وَإِعْرَاضُهُ وَأَعْتِرَاضُهُ عَلَى  
صَاحِبِهِ ، لِأَنَّهُ أَمُّ يُكَلِّفُ إِلَّا اسْتِعْمَالَ مُوجِبٍ ظَنَّهُ .  
أَمَّا اسْتِقْبَالُ عَيْنِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ اللَّهِ فَلَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ  
وَكَذَلِكَ كَانَ مُعَاذٌ فِي الْيَمَنِ يَجْتَهِدُ لَا عَلَىٰ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ  
لَا يُتَّصَرُّ مِنْهُ الْخَطَأُ ، لَكِنِ عَلَىٰ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ إِنْ أَخْطَأَ  
كَانَ مَعذُورًا ، وَهَذَا لِأَنَّ الْأُمُورَ الْوَضْعِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي



يُتَصَوَّرُ أَنْ تَخْتَلِفَ بِهَا الشَّرَائِعُ يَقْرُبُ فِيهَا الشَّيْءُ مِنْ تَقْيِضِهِ بَعْدَ كَوْنِهِ مَظْنُونًا فِي سِرِّ الإِسْتِبْصَارِ .  
 وَأَمَّا مَا لَا تَتَغَيَّرُ فِيهِ الشَّرَائِعُ فَلَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ ،  
 وَحَقِيقَةُ هَذَا الْفَصْلِ تَعْرِفُهُ مِنْ أَسْرَارِ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَقَدْ  
 ذَكَرْتُهُ فِي الْأَصْلِ الْعَاشِرِ مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ مِنْ كِتَابِ  
 « جَوَاهِرِ الْقُرْآنِ » .

\* \* \*

« وَأَمَّا الصَّنْفُ الثَّلَاثُ » وَهُمْ أَهْلُ الْجَدَلِ فَإِنَّ  
 أَذْعُوهُمْ بِالتَّلَطُّفِ إِلَى الْحَقِّ وَأَعْنِي بِالتَّلَطُّفِ ، أَلَّا أْتَمَصَّبَ  
 عَلَيْهِمْ ، وَلَا أَعْنَفَهُمْ ، لَكِنْ أَرْفُقْ وَأَجَادِلْ بِالَّتِي هِيَ  
 أَحْسَنُ ، وَكَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ، وَمَعْنَى الْمُجَادَلَةِ  
 بِالْأَحْسَنِ أَنْ أَخَذَ الْأُصُولَ الَّتِي يُسَلِّمُهَا الْجَدَلِيُّ ، وَأَسْتَنْتِجُ  
 مِنْهَا الْحَقَّ بِالْمِيزَانِ الْمُحَقِّقِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أوردتهُ فِي  
 كِتَابِ « الْاِقْتِصَادِ فِي الْاِعْتِقَادِ » وَإِلَى ذَلِكَ أَحْدٌ فَإِنْ لَمْ  
 يُقْنِعْهُ ذَلِكَ ، لِتَشَوُّفِهِ بِفِطْنَتِهِ إِلَى مَزِيدِ كَشْفِ رَغْبَتِهِ

الصنف الثالث  
 أهل الجدل

فِي تَعَلُّمِ الْمَوَازِينِ ، فَإِن لَّمْ يُقْنِعْهُ لِبِلَادَتِهِ وَإِصْرَارِهِ عَلَى  
 تَعْصِبِهِ وَلِجَاجِهِ وَعِنَادِهِ ، عَالَجْتُهُ بِالْحَدِيدِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى جَعَلَ الْحَدِيدَ وَالْمِيزَانَ قَرِينِي الْكِتَابِ ، لِيُفْهَمَ مِنْهُ  
 أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ لَا يَقْوَمُونَ بِالْقِسْطِ إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثِ  
 فَالْكِتَابُ لِلْعَوَامِّ ، وَالْمِيزَانُ لِلْخَوَاصِّ ، وَالْحَدِيدُ الَّذِي  
 فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْ الْكِتَابِ  
 ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ  
 مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ  
 فِي الْعِلْمِ دُونَ أَهْلِ الْجِدْلِ ، وَأَعْنِي بِأَهْلِ الْجِدْلِ طَائِفَةٌ  
 فِيهِمْ كِيَاَسَةٌ تَرَفُّوا بِهَا عَنِ الْعَوَامِّ ، وَلَكِنَّ كِيَاَسَتَهُمْ  
 نَاقِصَةٌ ، إِذْ كَانَتْ الْفِطْرَةُ كَامِلَةً ، لَكِنَّ فِي بَاطِنِهِمْ خُبْتُ  
 وَعِنَادٌ وَتَعْصِبٌ وَتَقْلِيدٌ ، فَذَلِكَ يَمْنَعُهُمْ عَنِ إِذْرَاكِ الْحَقِّ ،  
 وَتُكُونُ هَذِهِ الصِّفَاتُ أَكِنَّةً عَلَى قُلُوبِهِمْ ، أَنْ يَفْقَهُوهُ  
 وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرًّا<sup>(١)</sup> ، لَكِنَّ لَمْ تُهْلِكْهُمْ إِلَّا كِيَاَسَتَهُمْ

(١) وقرت أذنه : ثقلت أو ذهب سمعه كله وصم

النَّاقِصَةُ فَإِنَّ الْفِطْنَةَ الْبِتْرَاءِ وَالْكِيَاسَةَ النَّاقِصَةَ شَرٌّ مِنَ  
الْبَلَاةِ بِكَثِيرٍ .

وَفِي الْخَبْرِ، أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلَهُ، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ لِدْوَى  
الْأَبَّابِ، وَيَخْرُجُ مِنْ جُمْلَةِ الْفَرِيقَيْنِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ  
اللَّهِ وَأَوْلِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ، وَيَزَعُ (١) اللَّهُ بِالْمُلْطَانِ  
مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ لَوَلَاءُ يَنْبَغِي أَنْ يُنْتَعَمُوا مِنَ الْجِدَالِ  
بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، كَمَا فَعَلَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِرَجُلٍ  
إِذْ سَأَلَهُ عَنْ آيَتَيْنِ مُتَشَابِهَتَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلَّاهُ  
بِالدَّرَّةِ وَكَأَمَا قَالَ مَالِكٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمَّا سُئِلَ عَنْ  
الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ فَقَالَ: الْإِسْتِوَاءُ حَقٌّ، وَالْإِيمَانُ بِهِ  
وَاجِبٌ، وَالْكَيْفِيَّةُ مَجْهُولَةٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَحَسَمَ  
بِذَلِكَ بَابَ الْجِدَالِ . وَكَذَلِكَ فَعَلَ السَّلَفُ كُلُّهُمْ وَفِي  
فَتْحِ بَابِ الْجِدَالِ ضَرَرٌ عَظِيمٌ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا  
مَذْهَبِي فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ  
الضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْحَقِّ، وَذَلِكَ بِأَنَّ دَعْوَةَ الْخَوَاصِّ إِلَى

(١) يزع : يكف ويمنع ويحبس

الْحِكْمَةَ بِتَعْلِيمِ الْمِيزَانِ حَتَّى إِذَا تَعَلَّمَ الْمِيزَانَ الْقِسْطَ  
لَمْ يَقْدِرْ بِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ بَلْ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ، فَإِنَّ  
مَنْ مَعَهُ مِيزَانٌ فَإِنَّهُ يَعْرِفُ بِهِ تَقَادِيرَ أَعْيَانٍ لَانِهَائِيَّةَ لَهَا  
كَذَلِكَ مَنْ مَعَهُ الْقِسْطَاسُ الْمُسْتَقِيمُ فَمَعَهُ الْحِكْمَةُ الَّتِي  
مَنْ أُوتِيَهَا فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا لَانِهَائِيَّةَ لَهُ ، وَلَوْ لَا اسْتِمَالُ  
الْقُرْآنِ عَلَى الْمَوَازِينِ لَمَا صَحَّ تَسْمِيَةُ الْقُرْآنِ نُورًا لِأَنَّ  
النُّورَ مَا يُبْصَرُ بِنَفْسِهِ وَيُبْصَرُ بِهِ غَيْرُهُ ، وَهُوَ نَعْتُ الْمِيزَانِ  
وَلَمَا صَدَقَ قَوْلُهُ «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»  
فَإِنَّ جَمِيعَ الْعُلُومِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْقُرْآنِ بِالتَّصْرِيحِ  
وَلَكِنْ مَوْجُودَةٌ فِيهِ بِالْقُوَّةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَوَازِينِ الْقِسْطِ  
الَّتِي بِهَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْحِكْمَةِ الَّتِي لَا نِهَائِيَّةَ لَهَا ، فَبِهَذَا  
أَدْعُو الْخَوَاصَّ وَدَعَوْتُ الْعَوَامَّ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالْإِحَالَةِ  
عَلَى الْكِتَابِ وَالْإِقْتِصَارِ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ  
لِلَّهِ تَعَالَى ، وَدَعَوْتُ أَهْلَ الْجَدَلِ بِالْمُجَادَلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
فَإِنَّ أَبِي أَعْرَضْتُ عَنْ مُخَاطَبَتِهِ وَكَفَفْتُ شَرَّهُ بِنَأْسِ

السُّلْطَانِ وَالْحَدِيدِ أُنْزِلَ مَعَ الْمِيزَانِ. فَلَيْتَ شِعْرِي الْآنَ  
- يَا رَفِيقِي - بِمِ يَمَاجُجِ إِمَامِكَ هُوَ لَأَهْلُ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ؟ أَيْعَلْمُ  
الْعَوَامَّ فَيُكَلِّفُهُمْ مَا لَا يَفْهَمُونَ، وَيُخَالِفُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ يُخْرِجُ الْجِدَالَ مِنْ أَدْمِنَةِ الْمُجَادِلِينَ  
بِالْمُحَاجَّةِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - مَعَ كَثْرَةِ مُحَاجَّةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ مَعَ الْكُفَّارِ؟  
فَمَا أَعْظَمَ قُدْرَةَ إِمَامِكَ إِذْ صَارَ أَقْدَرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ  
رَسُولِهِ أَوْ يَدْعُو أَهْلَ الْبَصِيرَةِ إِلَى تَقْلِيدِهِ وَهُمْ لَا يَقْبَلُونَ  
قَوْلَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالتَّقْلِيدِ، وَلَا يَقْنَعُونَ  
بِقَلْبِ الْعَصَا ثُعْبَانًا، بَلْ يَقُولُونَ هُوَ فِعْلٌ غَرِيبٌ وَلَكِنْ  
مِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ مِنْهُ صِدْقُ فَاعِلِهِ، وَفِي الْعَالَمِ مِنْ غَرَائِبِ  
السَّحْرِ وَالطَّلْسَمَاتِ مَا تَتَحَيَّرُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَلَا يَقْوَى عَلَى  
تَمْيِيزِ الْمُعْجِزَةِ عَنِ السَّحْرِ وَالطَّلْسَمِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ جَمِيعَهُمَا  
وَجُمْلَةَ أَنْوَاعِهَا لِيَعْلَمَ أَنَّ الْمُعْجِزَ خَارِجٌ عَنْهَا، كَمَا عَرَفَ  
سَحْرَةَ فِرْعَوْنَ مُعْجِزَةَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذْ كَانُوا

مِنْ أُمَّةِ السَّجَرَةِ . وَمَنْ الَّذِي يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ بَلْ أَهْلُ  
الْبَصِيرَةِ يُرِيدُونَ مَعَ الْمُعْجِزَةِ أَنْ يَعْلَمُوا صِدْقَهُ مِنْ قَوْلِهِ  
كَمَا يَعْلَمُ مُتَعَلِّمُ الْحِسَابِ مِنْ نَفْسِ الْحِسَابِ صِدْقَ أُسْتَاذِهِ  
فِي قَوْلِهِ إِنِّي حَاسِبٌ ، فَهَذِهِ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الْيَقِينِيَّةُ الَّتِي بِهَا  
يَقْنَعُ أُولُو الْأَلْبَابِ وَأَهْلُ الْبَصَائِرِ وَلَا يَقْنَعُونَ بِغَيْرِهَا الْبَتَّةَ  
وَهُمْ إِذَا عَرَفُوا بِمِثْلِ هَذَا الْمِنْهَاجِ صِدْقَ الرَّسُولِ - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصِدْقَ الْقُرْآنِ وَفَهِمُوا مَوَازِينَ الْقُرْآنِ  
كَمَا ذَكَرْتُ لَكَ وَأَخَذُوا مِنْهُ مَفَاتِيحَ الْعُلُومِ كُلِّهَا مَعَ  
الْمَوَازِينِ ، كَمَا ذَكَرْتُهُ فِي كِتَابِ «جَوَاهِرِ الْقُرْآنِ» فَمِنْ أَيْنَ  
يَحْتَاجُونَ إِلَى إِمَامِكَ الْمَعْصُومِ وَمَا الَّذِي حَلَّ مِنْ إِشْكَالَاتِ  
الدِّينِ وَعَنْ مَاذَا كَشَفَ مِنْ غَوَامِضِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «هَذَا  
خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» وَقَدْ سَمِعْتَ  
الآنَ مِنْهَا جِي فِي مَوَازِينِ الْعُلُومِ فَأَرِنِي مَاذَا أَقْتَبَسْتَهُ مِنْ  
غَوَامِضِ الْعُلُومِ مِنْ إِمَامِكَ إِلَى الآنَ ، وَمَا الَّذِي يَتَعَلَّمُونَ  
مِنْهُ ، وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي تَعَلَّمْتَ مِنْ إِمَامِكَ الْمَعْصُومِ  
أَرِنِي مَا رَأَيْتَهَا :

ما يسدى بي - تسدى أوت

خرابن وقلب يآرفوت (١)

فَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْمَائِدَةِ مُجَرَّدَ الدَّعْوَةِ  
حُونَ الْأَكْلِ وَالتَّنَاوُلِ مِنْهَا، وَإِنِّي أَرَاكُمْ تَدْعُونَ النَّاسَ  
إِلَى الْإِمَامِ، ثُمَّ أَرَى الْمُسْتَجِيبَ لِإِمَامِكَ بَعْدَ الْإِسْتِجَابَةِ عَلَى  
جَهْلِهِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ لَمْ يَحُلْ لَهُ الْإِمَامُ عَقْدًا، بَلْ رُبَّمَا عَقَدَ  
لَهُ حَلًّا وَلَمْ تُفِدْهُ اسْتِجَابَتُهُ لَهُ عِلْمًا، بَلْ رُبَّمَا زَادَ بِهِ طُغْيَانًا  
وَجَهْلًا. فَقَالَ: قَدْ طَلَّتْ صُحْبَتِي مَعَ رُفَقَائِي وَلَكِنْ مَا تَعَلَّمْتُ  
مِنْهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكَ بِمَذْهَبِ التَّعْلِيمِ، وَإِيَّاكَ  
وَالرَّأْيَ وَالْقِيَاسَ فَإِنَّهُ مُتَعَارِضٌ مُخْتَلِفٌ. قُلْتُ: فَمِنَ  
الْغَرَائِبِ أَنْ يَدْعُوا إِلَى التَّعْلِيمِ فَاسْتَجَبْتُ فَعَلَّمُونِي مَا عِنْدَكُمْ  
فَقَالَ: مَا أَرَاهُمْ يَزِيدُونِي عَلَى هَذَا شَيْئًا. قُلْتُ: فَإِنِّي  
قَائِلٌ أَيْضًا بِالتَّعْلِيمِ وَبِالْإِمَامِ وَيُطْلَانِ الرَّأْيَ وَالْقِيَاسَ  
وَأَنَا أَرِيدُكَ عَلَى هَذَا لَوْ أَطَقْتَ تَرَكَ التَّقْلِيدَ تَعْلِيمَ غَرَائِبِ

(١) وجد هذا البيت بالأصل هكذا

الْعُلُومِ وَأَسْرَارِ الْقُرْآنِ فَاسْتَخْرِجْ لَكَ مِنْهُ مَفَاتِيحَ الْعُلُومِ  
كُلِّهَا كَمَا اسْتَخْرَجْتَ مِنْهُ مَوَازِينَ الْعُلُومِ كُلِّهَا عَلَى مَا أَشْرَفْتَ  
إِلَى كَيْفِيَّةِ انْشِعَابِ الْعُلُومِ كُلِّهَا مِنْهُ فِي كِتَابِ «جَوَاهِرِ  
الْقُرْآنِ» لَكِنِّي لَسْتُ أَذْعُو إِلَى إِمَامٍ سِوَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا إِلَى كِتَابٍ سِوَى الْقُرْآنِ فَمِنْهُ  
أَسْتَخْرِجُ جَمِيعَ أَسْرَارِ الْعُلُومِ : وَبُرْهَانِي عَلَى ذَلِكَ لِسَانِي  
وَيَبَانِي . وَعَلَيْكَ إِنْ شَكَكَتَ تَجْرِبِي وَامْتِحَانِي أَفْتَرَانِي  
أَوْ لِي بِأَنْ يُتَعَلَّمَ مِنِّي مِنْ رُفَقَائِكَ أَمْ لَا ؟





تصاویر الرأی  
والقیاس

« أَلْقَوْلُ فِي تَصَاوِيرِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ »

وَإِظْهَارِ بُطْلَانِهِمَا

فَقَالَ أَمَّا الْإِنْقِطَاعُ عَنِ الرَّفْقَاءِ وَالتَّعْلِيمِ مِنْكَ فَرُبَّمَا  
يَمْنَعُنِي مِنْهُ مَا حَكَمْتَهُ لَكَ مِنْ وَصِيَّةٍ وَالِدَتِي حِينَ كَانَتْ  
تَمُوتُ، وَلَكِنِّي أَشْتَهِي أَنْ تَكْشِفَ عَنِّي وَجْهَ فَسَادِ الرَّأْيِ  
وَالْقِيَاسِ فَإِنِّي أَظُنُّكَ تَسْتَضْعِفُ عَقْلِي فَمَتَلَبَّسَ عَلَيَّ فَتَسَمَّى  
الْقِيَاسَ، وَالرَّأْيَ مِيزَانًا وَتَمَلَّوْا عَلَيَّ وَفَقِ ذَلِكَ قُرْآنًا وَأَنَا أَظُنُّهُ  
أَنَّهُ بَعَيْنُهُ الْقِيَاسُ الَّذِي يَدَّعِيهِ أَصْحَابُكَ. قُلْتُ: هِيَ هَاتِ  
فَهَا أَنَا أَشْرَحُ لَكَ مَا أُرِيدُهُ وَأَرَادُوهُ بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ،  
أَمَّا الرَّأْيُ وَالْقِيَاسُ، فَمِثَالُهُ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ: يَجِبُ عَلَى اللَّهِ -  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - رِعَايَةَ الْأَصْلَحِ لِعِبَادِهِ وَإِذَا طَوَّلُوا بِتَحْقِيقِهِ  
لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا أَنَّهُ رَأْيٌ اسْتَحْسَنُوهُ يُعْقَلُونَهُمْ  
مِنْ مُقَايَسَةِ الْخَالِقِ عَلَى الْخَلْقِ وَتَشْبِيهِهِ حِكْمَتِهِ بِحِكْمَتِهِمْ  
وَمُسْتَحْسَنَاتُ الْعُقُولِ هُوَ الرَّأْيُ الَّذِي لَا أَرَى التَّعْوِيلَ

عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُنْتِجُ نَتَائِجَ تَشْهَدُ مَوَازِينَ الْقُرْآنِ بِفَسَادِهَا  
كَهَذِهِ الْمَقَالَةِ ، فَإِنِّي إِذَا وَزَنْتُهَا بِمِيزَانِ التَّلَازُمِ قُلْتُ :  
لَوْ كَانَ الْأَصْلَحُ وَاجِبًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لَفَعَلَهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ  
لَمْ يَفْعَلْهُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ فَإِنَّهُ لَا يَتْرُكُ الْوَاجِبَ ،  
فَإِنْ قِيلَ : سَلِمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ وَاجِبًا لَفَعَلَهُ وَلَكِنْ لَا أَسْلَمُ  
أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ . فَأَقُولُ : لَوْ فَعَلَ الْأَصْلَحَ لِخَلْقِهِمْ فِي الْجَنَّةِ  
وَتَرَ كُفْرَهُمْ فِيهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ لَهُمْ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ  
يَفْعَلْ ذَلِكَ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ الْأَصْلَحَ وَهَذِهِ أَيْضًا  
نَتِيجَةٌ مِنْ مِيزَانِ التَّلَازُمِ . وَالْآنَ الْخَصْمُ يَبِينُ أَنْ يُنْكَرَ  
وَيَقُولَ تَرَ كُفْرَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَشَاهِدِ كَذِبِهِ أَوْ يَقُولَ : كَانَ  
الْأَصْلَحُ لَهُمْ أَنْ يُخْرَجُوا إِلَى الدُّنْيَا دَارِ الْبَلَايَا وَيُعْرَضَ لَهُمْ  
لِلْخَطَايَا ، ثُمَّ يَقُولَ لِآدَمَ يَوْمَ يَكْشِفُ عَنِ الْخَفَايَا : أَخْرِجْ  
يَا آدَمُ نَصِيبَ النَّارِ فَيَقُولُ كَمْ ؟ فَيَقُولُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ  
تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ .  
وَيَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ لَهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَتَرَ كُفْرَهُمْ

فِيهَا لِأَنَّ نَعِيمَهُمْ إِذْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ لِسَعِيمِهِمْ وَأَسْتَحْقَاقِهِمْ  
فَتَعْظُمُ الْمِنَّةُ عَلَيْهِمْ وَالْمِنَّةُ ثَقِيلَةٌ وَإِذَا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا  
كَانَ مَا أَخَذُوهُ جِزَاءً وَأُجْرَةً لِمِنَّةٍ فِيهَا ، وَأَنَا أَنْزَلُهُ سَمْعَكَ  
وَأَسَانِي عَنْ حِكَايَةِ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ فَضْلًا عَنِ الْجَوَابِ عَنْهُ .  
فَانظُرْ فِيهِ لَتَرَى قَبَائِحَ تَتَأْتِي الرُّأْيَ كَيْفَ هِيَ؟ وَأَنْتَ تَعْلَمُ  
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ الصِّبْيَانَ إِذَا مَا تَوَافَى مِنْزِلٌ مِنَ الْجَنَّةِ  
دُونَ مَنْزِلِ الْبَالِغِينَ الْمُطِيعِينَ . فَاذْأَقَالُوا : إلهنا أنت لا تبخلُ  
بِالْأَصْلَحِ لَنَا ، وَالْأَصْلَحُ لَنَا أَنْ تُبَلِّغَنَا دَرَجَتَهُمْ ، فَيَقُولُ  
اللَّهُ عَلَى زَعْمِ الْمُعْتَرِلَةِ : كَيْفَ أَبَلِّغُكُمْ دَرَجَتَهُمْ وَقَدْ بَلَّغُوا  
وَتَعْبُوا وَأَطَاعُوا وَأَنْتُمْ مُثَمَّ صِبْيَانًا ؟ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أُمَّتِنَا  
فَحَرَمْتَنَا طُولَ الْمَقَامِ فِي الدُّنْيَا وَمَعَالِيَ الدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ ،  
فَكَانَ الْأَصْلَحُ لَنَا وَالْأَصْلَحُ بِنَا أَنْ تُبَلِّغَنَا دَرَجَتَهُمْ أَوْ  
أَلَّا تُمَيِّدَنَا ، فَلِمَ أُمَّتِنَا ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَأْيِ الْمُعْتَرِلَةِ :  
إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ لَوْ بَلَّغْتُمْ لَكُفْرْتُمْ وَأَسْتَحْقَقْتُمْ النَّارَ  
خَالِدِينَ فِيهَا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْأَصْلَحَ لَكُمْ الْمَوْتُ فِي الصَّبَا ،

وَعِنْدَ هَذَا يُنَادِي الْكُفَّارُ الْبَالِغُونَ مِنْ دَرَكَاتِ النَّارِ  
يَصْطَرِحُونَ يَقُولُونَ : أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَا إِذَا بَلَّغْنَا كَفْرَنَا فَهَلَّا  
أَمْتْنَا فِي الصَّبَا فَإِنَّا رَاضُونَ بِعُشْرِ عُشْرِ دَرَجاتِ الصَّبِيَانِ ،  
فَعِنْدَ هَذَا لَا يَبْقَى لِمُعْتَرِيٍّ جَوَابٌ يُجِيبُ بِهِ عَنِ اللَّهِ  
تَعَالَى ، فَتَكُونُ الْحُجَّةُ لِلْكَفَّارِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، تَعَالَى  
اللَّهُ عَنِ قَوْلِ الظَّالِمِينَ عُلُومًا كَبِيرًا . نَعَمْ لِفِعْلِ الْأَصْلَحِ  
سِرٌّ يُسْتَمَدُّ مِنْ مَعْرِفَةِ سِرِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ ، وَلَكِنَّ  
الْمُعْتَرِيَّ لَا يَنْظُرُ مِنْ ذَلِكَ الْأَصْلِ فَإِنَّهُ لَا يَطَّلِعُ بِبِضَاعَةِ  
الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ السِّرِّ فَمِنْ هَذَا خَبَطَ خَبَطَ عَشَوَاءَ ،  
وَأَصْطَرَبَتْ عَلَيْهِ الْآرَاءُ ، فَهَذَا مِثَالُ الرَّأْيِ الْبَاطِلِ عِنْدِي  
وَأَمَّا مِثَالُ الْقِيَاسِ فَهُوَ إِثْبَاتُ الْحُكْمِ فِي شَيْءٍ  
بِالْقِيَاسِ عَلَى غَيْرِهِ ، كَقَوْلِ الْمُجَسِّمَةِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
وَتَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِهِمْ جِسْمٌ . قُلْنَا : لِمَ ؟ قَالُوا : لِأَنَّهُ فَاعِلٌ  
صَانِعٌ فَكَانَ جِسْمًا قِيَاسًا عَلَى سَائِرِ الصَّنَاعِ وَالْفَاعِلِينَ ،  
وَهَذَا هُوَ الْقِيَاسُ الْبَاطِلُ كَمَا قُلْنَا ، لِمَ قُلْتُمْ إِنَّ الْفَاعِلَ

كَانَ جِسْمًا لِأَنَّهُ فَاعِلٌ ؟ وَذَلِكَ لَا يُقَدَّرُ عَلَى إِظْهَارِهِ مَهْمَا  
 وَزَنَ بِمِيزَانِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ مِيزَانَهُ هُوَ الْمِيزَانُ الْأَكْبَرُ  
 مِنْ مَوَازِينِ التَّعَادُلِ وَصُورَةٌ وَزَنِهِ : كُلُّ فَاعِلٍ جِسْمٌ وَالْبَارِيُّ  
 تَعَالَى فَاعِلٌ فَهُوَ أَيْضًا جِسْمٌ ، فَتَقُولُ : نُسَلِّمُ أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى  
 فَاعِلٌ وَلَكِنْ لَا نُسَلِّمُ الْأَصْلَ الْأَوَّلَ وَهُوَ إِنْ كُلِّ فَاعِلٍ  
 جِسْمٌ فَمِنْ أَيْنَ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ ؟ وَعِنْدَ هَذَا لَا يَبْقَى لَهُمْ  
 إِلَّا الْأَعْتِصَامُ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالْقِسْمَةِ الْمُنْتَشِرَةِ وَكِلَاهُمَا  
 لَا حُجَّةَ فِيهِ . أَمَّا الْإِسْتِقْرَاءُ فَهُوَ أَنْ يَقُولَ تَصَفَّحْتُ  
 الْفَاعِلِينَ مِنْ حَائِكٍ وَحَجَّامٍ وَإِسْكَافٍ وَخِيَّاطٍ وَنَجَّارٍ  
 وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ فَوَجَدْتُهُمْ أَجْسَامًا فَعَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ فَاعِلٍ  
 جِسْمٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَصَفَّحْتَ كُلَّ الْفَاعِلِينَ أَوْ شَدَّ عَنكَ  
 فَاعِلٌ ؟ فَإِنْ قَالَ تَصَفَّحْتُ الْبَعْضَ فَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْحُكْمُ عَلَى  
 الْكُلِّ ، وَإِنْ قَالَ تَصَفَّحْتُ الْكُلَّ فَلَا نُسَلِّمُ لَهُ ذَلِكَ فَلَيْسَ  
 كُلُّ الْفَاعِلِينَ مَعْلُومًا عِنْدَهُ ، كَيْفَ وَهَلْ تَصَفَّحَ فِي مُجْلَةٍ  
 ذَلِكَ فَاعِلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنْ لَمْ يَتَصَفَّحْ الْكُلَّ بَلِ

الْبَعْضَ لَمْ يَلْزَمَ الْكُلُّ وَإِنْ تَصَفَّحَ فَهَلْ وَجَدَ جِسْمًا  
فَإِنْ قَالَ نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ فَإِذَا وَجَدْتَ ذَلِكَ فِي مُقَدِّمَةِ قِيَاسِكَ  
فَكَيْفَ جَعَلْتَهُ أَصْلًا تَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَجَعَلْتَ نَفْسَ  
وَجِدَانِكَ دَلِيلَ مَا وَجَدْتَهُ وَهَذَا خَطَأٌ. بَلْ مَا هُوَ فِي  
تَصَفُّحِهِ إِلَّا كَمَنْ يَتَصَفَّحُ الْفَرَسَ وَالْإِبِلَ وَالْفِيلَ وَالْحَشْرَاتِ  
وَالطُّيُورَ فَيَرَاهَا تَمْشِي بِرِجْلِ وَهُوَ لَمْ يَرَ الْحَيَّةَ وَالذُّودَ  
فَيَحْكُمُ بِأَنَّ كُلَّ حَيْوَانٍ يَمْشِي بِرِجْلٍ. وَكَمَنْ يَتَصَفَّحُ  
الْحَيَوَانَاتِ فَيَرَاهَا عِنْدَ الْمَضْغِ جَمِيعًا تُحْرِكُ الْفِكَ الْأَسْفَلَ  
فَيَحْكُمُ بِأَنَّ كُلَّ حَيْوَانٍ يُحْرِكُ عِنْدَ الْمَضْغِ الْفِكَ الْأَسْفَلَ  
وَهُوَ لَمْ يَرَ التَّمْسَاحَ فَإِنَّهُ يُحْرِكُ الْفِكَ الْأَعْلَى. وَهَذَا  
لِأَنَّهُ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفُ شَخْصٍ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ عَلَى  
حُكْمٍ وَيَخَالَفُ الْأَلْفَ وَاحِدٌ وَهُوَ لَا يُفِيدُ بَرْدَ الْيَقِينِ  
فَهُوَ الْقِيَاسُ الْبَاطِلُ.

وَأَمَّا اعْتِصَامُهُ بِالْقِسْمَةِ الْمُنْتَشِرَةِ فَكَقَوْلِهِ: سَبَرْتُ  
أَوْصَافَ الْفَاعِلِينَ فَكَأَنَّهُمْ أَجْسَامًا لِكُونِهِمْ فَاعِلِينَ أَوْ

لِكَوْنِهِمْ مَوْجُودِينَ أَوْ كَيْتَ وَ كَيْتَ ثُمَّ يُبْطَلُ جَمِيعَ  
الْأَجْسَامِ فَيَقُولُ فَيَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ أَجْسَامٌ لِأَنََّّهُمْ فَاعِلُونَ  
وَهَذِهِ هِيَ الْقِسْمَةُ الْمُنْتَشِرَةُ الَّتِي بِهَا يَزِنُ الشَّيْطَانُ  
مَقَابِيِسَهُ وَقَدْ ذَكَرْنَا بَطْلَانَهَا، فَقَالَ: أَظُنُّ أَنَّهُ إِذَا بَطَلَ  
سَائِرُ الْأَقْسَامِ تَعَيَّنَ الْقِسْمُ الَّذِي أَرَادَهُ وَأَرَى هَذَا بُرْهَانًا  
قَوِيًّا عَلَيْهِ تَعْوِيلُ أَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي عَقَائِدِهِمْ فَإِنَّهُمْ  
يَقُولُونَ فِي مَسْأَلَةِ رُؤْيَةِ الْبَارِي تَعَالَى مَرَّتَيْنِ لِأَنَّ الْعَالَمَ  
مَرَّتَيْنِ وَبَاطِلٌ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ مَرَّتَيْنِ لِأَنَّهُ ذُو بَيَاضٍ لِأَنَّ  
السَّوَادَ يُرَى وَبَاطِلٌ أَنْ يُرَى لِكَوْنِهِ جَوْهَرًا لِأَنَّ الْعَرَضَ  
يُرَى وَبَاطِلٌ أَنْ يَكُونَ عَرَضًا لِأَنَّ الْجَوْهَرَ يُرَى وَإِذَا  
بَطَلَتِ الْأَقْسَامُ بَقِيَ أَنَّهُ يُرَى مَوْجُودًا فَارِيدُ أَنْ تَكْشِفَ  
لِي عَنْ فَسَادِ هَذَا الْمِيزَانِ كَشْفًا ظَاهِرًا لِأَشْكُ فِيهِ. فَقُلْتُ:  
فَأَنَا أُورِدُ فِي ذَلِكَ مِثَالًا حَقًّا لَمْ يَنْتُجْ مِنْ قِيَاسِ بَاطِلٍ  
وَأَكْشِفُ الْغِطَاءَ عَنْهُ فَأَقُولُ: قَوْلُنَا الْعَالَمُ حَادِثٌ حَقٌّ  
وَلَكِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ إِنَّهُ حَادِثٌ لِأَنَّهُ مُصَوَّرٌ قِيَاسًا عَلَى

الْبَيْتِ وَسَائِرِ الْأَبْنِيَةِ الْمُصَوَّرَةِ قَوْلُ بَاطِلٍ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ  
بِحُدُوثِ الْعَالَمِ ، إِذْ يُقَالُ مِيزَانُهُ أُلْحِقُ أَنْ يُقَالَ كُلُّ مُصَوَّرٍ  
حَادِثٌ وَالْعَالَمُ مُصَوَّرٌ فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ حَادِثٌ وَالْأَصْلُ  
الْآخِرُ مُسَلَّمٌ لَكِنَّ قَوْلَكَ كُلُّ مُصَوَّرٍ حَادِثٌ لَا يَسْلَمُهُ  
الْخُصْمُ وَعِنْدَ هَذَا يَعْدِلُ إِلَى الْأَسْتِقْرَاءِ ، فَيَقُولُ : اسْتَقْرَيْتُ  
كُلَّ مُصَوَّرٍ فَوَجَدْتُهُ حَادِثًا كَالْبَيْتِ وَالْقَدَحِ وَالْقَمِيصِ  
وَكَيْتٍ وَكَيْتٍ وَقَدْ عَرَفْتَ فَسَادَ هَذَا وَقَدْ يَرْجِعُ إِلَى  
السَّبْرِ فَيَقُولُ الْبَيْتُ حَادِثٌ فَسَبْرُهُ أَوْصَافُهُ وَهُوَ أَنَّهُ جِسْمٌ  
وَقَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَمَوْجُودٌ وَمُصَوَّرٌ وَهَذِهِ أَرْبَعُ صِفَاتٍ وَقَدْ  
بَطَلَ تَعْلِيلُهُ بِكَوْنِهِ جِسْمًا وَقَائِمًا بِنَفْسِهِ وَمَوْجُودًا فَتَبَّتْ  
أَنَّهُ مُعَلَّلٌ بِكَوْنِهِ مُصَوَّرًا وَهُوَ الرَّابِعُ فَيُقَالُ لَهُ هَذَا بَاطِلٌ  
مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ وَأَذْكَرُ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ :

الْأَوَّلُ أَنَّهُ إِنْ سَلَّمَ لَكَ بُطْلَانَ الثَّلَاثِ فَلَا تَثْبُتُ  
الْعِلْمَةُ الَّتِي طَلَبْتَهَا فَلَعَلَّ الْحُكْمَ مُعَلَّلٌ بِعِلْمَةٍ قَاصِرَةٍ غَيْرِ  
عَامَّةٍ وَلَا مُتَعَدِّيَةٍ كَكَوْنِهِ مَثَلًا يَتَنَا ، فَإِنْ ثَبَّتَ كَوْنُ



الْبَيْتِ غَيْرُ مُحَدَّثٍ أَيْضًا فَلَمَعَلَّ الْحُكْمَ مُعَلَّلٌ بِالْمَعْنَى الْقَاصِرِ  
عَلَى مَا يُظْهِرُ كَوْنَهُ حَادِثًا إِذْ يُمَكِّنُ تَقْدِيرُ وَصْفِ خَاصٍ  
يَجْمَعُ الْجَمِيعَ وَلَا يَتَعَدَّى .

الثَّانِي أَنَّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا تَمَّ السَّبْرُ عَلَى الْإِسْتِقْصَاءِ  
بِحَيْثُ لَا يُتَّصَرَّفُ أَنْ يَشِدَّ مِنْهُ قِسْمٌ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ حَاصِرًا  
بَيْنَ التَّقْيِ وَالْإِبْتَاتِ دَائِرًا تُصَوَّرُ أَنْ يَشِدَّ مِنْهُ قِسْمٌ وَلَيْسَ  
الْإِسْتِقْصَاءُ الْحَاصِرُ أَمْرًا هَيِّنًا وَالْعَالِبُ أَنَّهُ لَا يَهْتَمُّ بِهِ  
الْمُتَكَلِّمُونَ وَالْفُقَهَاءُ بَلْ يَقُولُونَ : إِنْ كَانَ فِيهِ قِسْمٌ  
آخَرَ فَابْرِزْهُ وَرُبَّمَا قَالَ الْآخَرُ لَا يَلْزُمُنِي إِبْرَازُهُ وَطَالَ  
اللَّجَاجُ فِيهِ وَرُبَّمَا اسْتَدَلَ الْقَائِسُ وَقَالَ : أَوْ كَانَ فِيهِ قِسْمٌ  
آخَرَ لَعَرَفْنَاهُ وَلَعَرَفْتُهُ فَعَدَمُ مَعْرِفَتِنَا تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ قِسْمِ  
آخَرَ إِذْ عَدَمُ رُؤْيَيْنَا الْفِيلَ فِي مَجْلِسِنَا تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْفِيلِ  
وَلَا يَدْرِي قَطُّ هَذَا الْمَسْكِينُ أَنَّهُ لَمْ نَعْبُدْ قَطُّ فَيَلَّا حَاضِرًا  
لَمْ نَرَهُ ثُمَّ رَأَيْنَاهُ وَكَمْ رَأَيْنَا مَعَانِي حَاضِرَةً عَجَزْنَا جَمِيعًا  
عَنْ إِدْرَاكِهَا ثُمَّ تَنَبَّهْنَا لَهَا بَعْدَ مُدَقِّ فَلَمَعَلَّ فِيهِ قِسْمًا آخَرَ

شَدَّ عَنَّا لَسْنَا نَنْبَهُ لَهُ الْآنَ وَرُبَّمَا لَمْ نَنْبَهُ لَهُ طُولَ  
عُمْرِنَا .

الثَّالِثُ : أَنَا وَإِنْ سَلَّمْنَا الْحَضَرَ فَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِبْطَالِ  
ثَلَاثَةِ ثُبُوتِ رَابِعٍ بَلِ التَّرْكِيبُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْ أَرْبَعَةٍ  
يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةٍ وَعَشْرِينَ إِذْ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْعِلَّةُ أَحَادَ  
هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَوْ اثْنَيْنِ مِنْهَا أَوْ ثَلَاثَةً مِنْهَا ثُمَّ لَا يَتَمَيَّنُ  
الِإِثْنَانِ مِنْهَا وَلَا الثَّلَاثَةُ بَلِ يَتَّصَرُّ أَنْ تَكُونَ الْعِلَّةُ كَوْنَهُ  
مَوْجُودًا أَوْ جِسْمًا أَوْ مَوْجُودًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ جِسْمًا  
مَوْجُودًا وَقَائِمًا بِنَفْسِهِ وَمَوْجُودًا أَوْ مَوْجُودًا وَيَتَنَا أَوْ  
يَتَنَا وَمُصَوَّرًا أَوْ يَتَنَا قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ يَتَنَا وَجِسْمًا أَوْ  
جِسْمًا وَمُصَوَّرًا أَوْ جِسْمًا وَقَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ جِسْمًا وَمَوْجُودًا  
أَوْ قَائِمًا بِنَفْسِهِ وَمَوْجُودًا - فَهَذِهِ بَعْضُ تَرَكَيبَاتِ الْإِثْنَيْنِ  
فَقِسْ عَلَى هَذِهِ التَّرْكَيبَاتِ مِنَ الثَّلَاثِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَحْكَامَ تَتَوَقَّفُ عَلَى وُجُودِ أَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ  
مُجْتَمِعَةٍ فَلَيْسَ يُرَى الشَّيْءُ إِسْكَوْنِ الرَّائِي ذَا عَيْنٍ إِذْ لَا يَرَى

بِاللَّيْلِ وَلَا سِتَارِ الْمَرْتِيِّ بِالشَّمْسِ إِذْ لَا يَرَى الْأَعْمَى  
وَلَا لَهْمَا جَمِيعًا إِذْ لَا يَرَى الْهَوَاءَ وَلَكِنْ لِحُمْلَةِ ذَلِكَ مَعَ  
كَوْنِ الْمَرْتِيِّ مُتَلَوِّنًا وَأُمُورٌ أُخْرَى هَذَا حُكْمُ الْوُجُودِ .  
أَمَّا حُكْمُ الرُّوْيَةِ فِي الْآخِرَةِ فَحَدِيثٌ أُخْرَى .

الرَّابِعُ أَنَّهُ إِنْ سَلَّمَ الْأَسْتِقْصَاءَ وَسَلَّمَ الْخَصْرُ فِي  
أَرْبَعَةٍ وَتَرَ كُنَا التَّرَاكِبَ فَإِبْطَالُ ثَلَاثَةٍ لَا يُوجِبُ تَعَلُّقَ  
الْحُكْمِ بِالرَّابِعِ مُطْلَقًا بَلْ بِانْحِصَارِ الْحُكْمِ فِي الرَّابِعِ  
وَلَعَلَّ الرَّابِعَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ وَالْحُكْمُ يَتَعَلَّقُ بِأَحَدِهِمَا  
أَرَأَيْتَ لَوْ قَسَمَ أَوْ لَا وَقَالَ أَمَّا كَوْنُهُ جِسْمًا أَوْ مَوْجُودًا  
أَوْ قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ مُصَوَّرًا مَثَلًا بِصُورَةٍ مُرْبَعَةٍ أَوْ مُصَوَّرًا  
بِصُورَةٍ مُدَوَّرَةٍ ثُمَّ أَبْطَلَ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ لَمْ يَتَعَلَّقْ الْحُكْمُ  
بِالصُّورَةِ مُطْلَقًا، بَلْ رُبَّمَا اخْتَصَّ بِصُورَةٍ مَخْصُوصَةٍ فَبِسَبَبِ  
الْغَفْلَةِ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الدَّقَائِقِ خَبَطَ الْمُتَكَلِّمُونَ وَكَثُرَ  
نِزَاعُهُمْ، إِذْ تَمَسَّكُوا بِالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ، وَذَلِكَ لَا يُفِيدُ بَرْدَ  
الْيَقِينِ بَلْ يَصْلُحُ لِلْأَفْسَسَةِ الْفَقْهِيَّةِ الطَّنِيَّةِ وَالْإِمَالَةِ قُلُوبِ

الْعَامَّةِ إِلَى صَوْبِ الصَّوَابِ وَالْحَقِّ فَإِنَّهُ لَا يَمْتَدُّ فِكْرُهُمْ  
 إِلَى الْإِحْتِمَالَاتِ الْبَعِيدَةِ بَلْ يَنْجَزِمُ اعْتِقَادُهُمْ بِأَسْبَابِ  
 ضَعِيفَةٍ، أَمَا تَرَى الْعَامِيَ الَّذِي بِهِ صُدَاعٌ يَقُولُ لَهُ غَيْرُهُ  
 اسْتَعْمِلْ مَاءَ الْوَرْدِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ بِصُدَاعٍ فَاسْتَعْمَلْتَهُ انْتَفَعْتُ  
 بِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ هَذَا صُدَاعٌ فَيَنْفَعُهُ مَاءُ الْوَرْدِ قِيَاسًا عَلَى صُدَاعِي  
 فَيَمِيلُ قَلْبُ الْمَرِيضِ إِلَيْهِ فَيَسْتَعْمِلُهُ، وَلَا يَقُولُ لَهُ أَثْبِتْ  
 أَوْ لَا أَنْ مَاءَ الْوَرْدِ يَصْلُحُ لِكُلِّ صُدَاعٍ كَانَ مِنَ الْبُرُودَةِ  
 أَوْ مِنَ الْحَرَارَةِ أَوْ مِنَ الْجُرْحَةِ الْمَعِدَةِ وَأَنْوَاعِ الصُّدَاعِ  
 كَثِيرَةٌ فَأَثْبِتْ أَنَّ صُدَاعِي كَصُدَاعِكَ وَمِزَاجِي كَمِزَاجِكَ  
 وَسِنِّي كَسِنِّكَ وَصِنَاعَتِي كَصِنَاعَتِكَ وَأُحْوَالِي كَأُحْوَالِكَ فَإِنَّ  
 جَمِيعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِهِ الْعِلَاجُ، فَإِنَّ طَلَبَ تَحْقِيقِ هَذِهِ  
 الْأُمُورِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَوَامِّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهَا  
 وَلَا مِنْ شَأْنِ الْمُتَكَلِّمِينَ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ تَشَوَّقُوا إِلَيْهَا عَلَى  
 خِلَافِ الْعَوَامِّ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَفِيدَةِ بَرْدَ الْيَقِينِ  
 وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ شَيْئِنَا<sup>(١)</sup> قَوْمٍ عَرَفُوهَا مِنْ أَحْمَدَ - صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُمْ قَوْمٌ أَهْتَدُوا بِنُورِ اللَّهِ إِلَىٰ ضِيَاءِ  
الْقُرْآنِ وَأَخَذُوا مِنْهُ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ  
وَأَصْبَحُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ بِالْقِسْطِ ، فَقَالَ : الْآنَ هَا هُوَ ذَا يَلُوحُ  
لِي مَخَائِلُ الْحَقِّ وَتَبَاشِيرُهُ مِنْ كَلَامِكَ فَهَلْ تَأْذَنُ لِي فِي أَنْ  
أَتْبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَامَّتْ رُشْدًا . قُلْتُ : هِيَئَاتَ  
إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ  
بِهِ خُبْرًا . قَالَ : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ  
أَمْرًا قُلْتُ : أَتَظُنُّ أَنِّي نَسِيتُ اتِّعَاظَكَ بِنَصِيحَةِ رُفَقَائِكَ  
وَوَالِدَتِكَ وَمَنْ نَبَضَ عَلَيْهِ عِرْقٌ مِنْ عُرُوقِ التَّقْلِيدِ فَلَا  
تَصْلُحُ لِصُحْبَتِي وَلَا أَصْلُحُ لِصُحْبَتِكَ فَاذْهَبْ عَنِّي فَهَذَا فِرَاقُ  
بَيْنِي وَبَيْنِكَ فَإِنِّي مَشْغُولٌ بِتَقْوِيمِ نَفْسِي عَنْ تَقْوِيمِكَ وَبِالتَّعْلِيمِ  
مِنَ الْقُرْآنِ عَنْ تَعْلِيمِكَ فَلَا تَرَانِي بَعْدَ هَذَا وَلَا أَرَاكَ فَلَا  
تَسْعَ أَوْقَاتِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا . لِإِصْلَاحِ الْفَاسِدِ وَالضَّرْبِ  
فِي الْحَدِيدِ الْبَارِدِ . قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَنْجِبُونَ  
النَّاصِحِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ  
عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِينَا سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ .

فَهَأَ كُمْ إِخْوَانِي قِصَّتِي مَعَ رَفِيقِي تَلَوْتُمَهَا عَلَيْكُمْ بِمُجَرِّهَا  
 وَبُجَرِّهَا لَتَقْضُوا مِنْهَا الْعَجَبَ وَتَتَفَعَّلُوا فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الْمُحَادَثَاتِ  
 بِالتَّفْطُنِ لِأُمُورٍ هِيَ أَجَلُّ مِنْ تَقْوِيمِ مَذْهَبِ التَّعْلِيمِ فَلَمْ  
 يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ غَرَضِي وَلَكِنْ إِيَّاكَ أَعْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَةَ  
 وَالتِّمَامِي مِنَ الْمُخْلِصِينَ قَبُولَ مَعْذِرَتِي عِنْدَ مُطَالَعَةِ هَذِهِ  
 الْمُحَادَثَاتِ فِيمَا آثَرْتُهُ فِي الْمَذَاهِبِ مِنَ الْعَقْدِ وَالتَّجْزِئِ  
 وَأَبْدَعْتُهُ فِي الْأَسَامِي مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَأَخْبَرَ عَمَّتُهُ فِي  
 الْمَعَانِي مِنَ التَّخْيِيلِ وَالتَّمثِيلِ ، فَلِي تَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ  
 غَرَضٌ صَحِيحٌ . وَسِرُّ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَائِرِ صَرِيحٌ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ  
 تُغَيِّرُوا هَذَا النُّظَامَ وَتَنْتَزِعُوا هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ هَذِهِ  
 الْكُتُوبِ فَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ يُوزَنُ الْمُعْقُولُ بِالْإِسْنَادِ إِلَى  
 الْمُنْقُولِ لِيَكُونَ الْقَوْلُ مِنْهُمَا أَسْرَعَ إِلَى الْقَبُولِ ، وَإِيَّاكُمْ  
 أَنْ تَجْعَلُوا الْمُعْقُولَ أَصْلًا وَالْمُنْقُولَ تَابِعًا وَرَدِيْفًا فَإِنَّ ذَلِكَ  
 شَيْعٌ مُنْفَرٌ . وَقَدْ أَمَرَ كُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِتَرْكِ الشَّيْعِ وَالمُجَادَلَةِ  
 بِالْأَحْسَنِ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُخَالِفُوا الْأَمْرَ فَتَهْلِكُوا وَتُهْلِكُوا

وَتَضِلُّوا وَتُضَلُّوا وَمَاذَا تَنْفَعُ وَصِيَّتِي وَقَدْ أُنْدَرَسَ الْحَقُّ  
وَأُنْكَسَرَ الْبَيْتُ<sup>(١)</sup>، وَأُنْدَشَرَتِ الشَّمَاعَةُ وَطَارَتْ فِي الْأَفْطَارِ  
وَصَارَتْ ضِحْكَةً فِي الْأَمْصَارِ. فَإِنْ قَوْمًا اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ  
مَهْجُورًا، وَجَعَلُوا التَّعْلِيمَاتِ النَّبَوِيَّةَ هَبَاءً مَمْثُورًا، وَكُلُّ ذَلِكَ  
مِنْ قُصُورِ الْجَاهِلِينَ وَدَعْوَاهُمْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ مَنْصِبَ  
الْعَارِ فِينِ. «وإنَّ كَثِيرَ الْيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».



إِلَى هُنَا تَمَّتْ مُخْتَارَاتُنَا مِنْ كَلَامِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْغَزَالِيِّ  
وَتَرْجُو - إِنْ كَانَ فِي الْعُمُرِ بَقِيَّةٌ - أَنْ نَعْنِي بِإِصْدَارِ  
طَبْعَةِ أُخِيرَةِ لِذَخِيرَتِهِ الْخَالِدَةِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ  
وَالْإِسْلَامِيَّاتِ نَعْنِي بِهَا «كِتَابَ الْإِحْيَاءِ» فِي ضَبْطٍ وَشَرْحٍ  
وَتَعْلِيقٍ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ.

(١) البتق : منبعث من الماء

﴿ انتهى المجلد الثالث من كتاب الغزالي ﴾

الذي خصص بالمختارات

حقوق الطبع محفوظة لناشره

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

جميع النسخ مبهورة بتوقيع ناشره



# فهرست

المجلد الثالث من كتاب الغزالي الذي خصص بالمختارات

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
كلمة العماد الأصمفهانى	٣	٣
رسالة أيها الولد « توطئة »	٦	٥
نص الرسالة	٤٤	٧
الأدب في الدين	٤٦	٤٥
آداب كما يراها الغزالي	٤٧	٤٦
آداب العالم	٤٨	٤٧
آداب المتعلم مع العالم	٤٨	٤٨
آداب المقرئ	٤٩	٤٨
آداب القارئ	٤٩	٤٩
آداب معلم الصبيان	٥٠	٤٩
آداب المحدث	٥١	٥٠
آداب طالب الحديث	٥٢	٥١
آداب السكاتب	٥٢	٥٢
آداب الواعظ	٥٣	٥٣
آداب المستمع	٥٣	٥٣
آداب الناسك	٥٤	٥٣
آداب اعتزال الناس	٥٥	٥٤

٢ فهرست المجلد الثالث من كتاب الفزالي الذي خصص بالمختارات

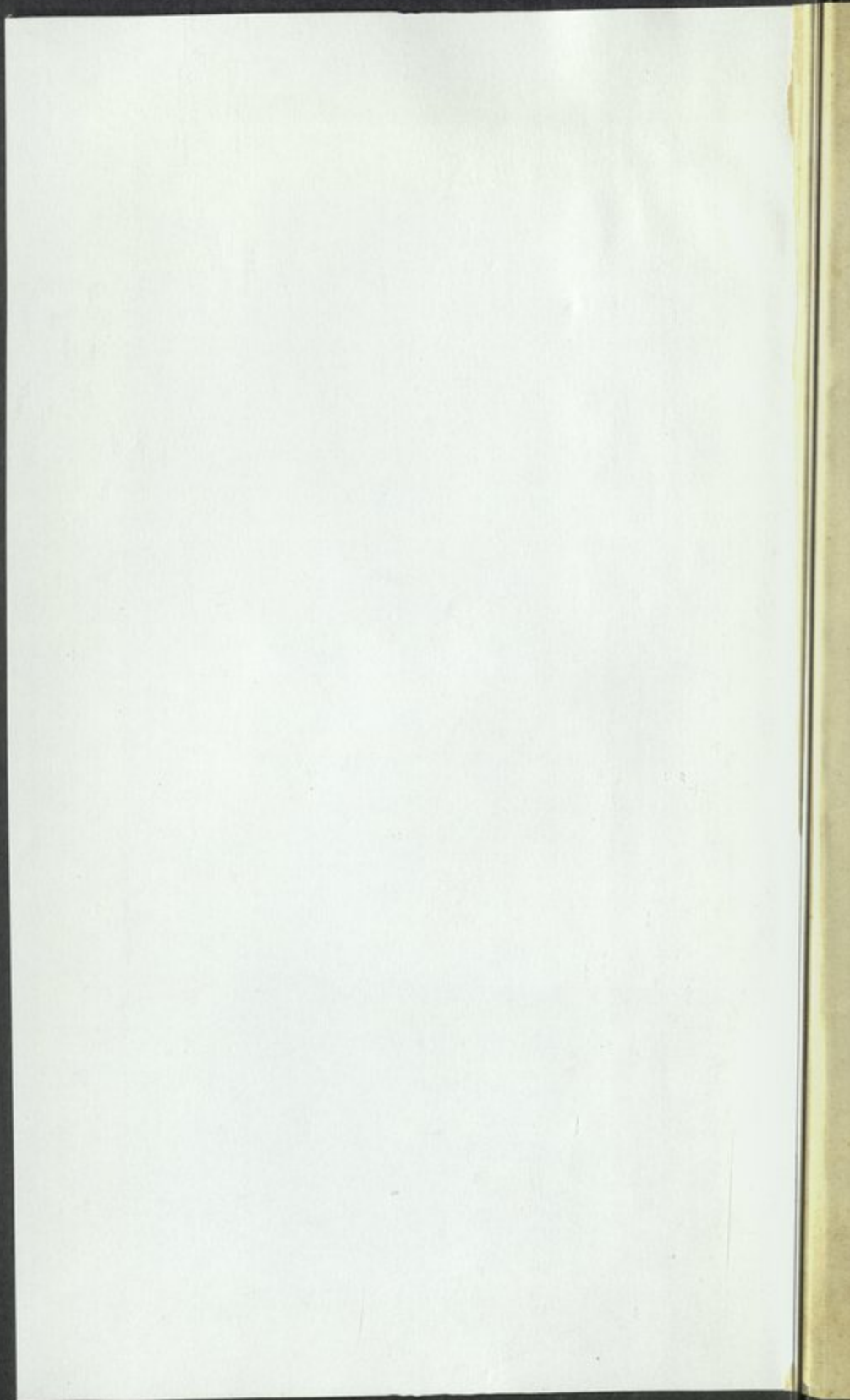
الموضوع	الصفحة	
	من	الى
آداب الصوفي	٥٥	٥٥
آداب الشريف	٥٦	٥٦
آداب النوم	٥٦	٥٦
آداب التهجيد	٥٧	٥٧
آداب الخلاء	٥٧	٥٧
آداب الحمام	٥٨	٥٧
آداب الوضوء	٥٨	٥٨
آداب دخول المسجد	٥٩	٥٨
آداب الاعتكاف	٥٩	٥٩
آداب الأذان	٦٠	٥٩
آداب الامام	٦١	٦٠
آداب الصلاة	٦١	٦١
آداب القراءة	٦٢	٦٢
آداب الدعاء	٦٢	٦٢
آداب الجمعة	٦٣	٦٢
آداب الخطيب	٦٤	٦٣
آداب العيد	٦٤	٦٤
آداب الخسوف	٦٥	٦٥
آداب الاستسقاء	٦٥	٦٥
آداب المريض	٦٦	٦٥
آداب المعزى	٦٦	٦٦
آداب المشى مع الجنائز	٦٦	٦٦

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
آداب المتصدق	٦٦	٦٧
آداب السائل	٦٧	٦٧
آداب الغني	٦٧	٦٨
آداب الفقير	٦٨	٦٨
آداب المهدي	٦٨	٦٩
آداب المهدي اليه	٦٩	٦٩
آداب اصطناع المعروف	٦٩	٦٩
آداب الصيام	٦٩	٧٠
الحج - آداب الطريق	٧٠	٧٠
آداب الاحرام	٧٠	٧١
آداب دخول مكة	٧١	٧١
آداب دخول المدينة	٧١	٧٢
آداب التاجر	٧٢	٧٣
آداب الصيرفي	٧٣	٧٤
آداب الصائغ	٧٤	٧٤
آداب الأكل	٧٤	٧٥
آداب الشرب	٧٥	٧٥
آداب الرجل اذا أراد النكاح	٧٥	٧٦
آداب المرأة اذا خطبها الرجل	٧٦	٧٦
آداب الجماع	٧٦	٧٧
آداب الرجل مع الزوجة	٧٧	٧٧
آداب المرأة مع زوجها	٧٧	٧٨

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
آداب الرجل في نفسه	٧٨	٧٩
آداب المرأة في نفسها	٧٩	٨٠
آداب الاستئذان	٨٠	٨٠
آداب الجلوس على الطريق	٨٠	٨١
آداب المعاشرة	٨١	٨٣
آداب الولد مع والديه	٨٣	٨٤
آداب الوالد مع أولاده	٨٤	٨٤
آداب الاخوان	٨٤	٨٤
آداب الجار	٨٥	٨٥
آداب السيد مع عبده	٨٥	٨٥
آداب العبد مع سيده	٨٥	٨٦
آداب السلطان مع الرعية	٨٦	٨٦
آداب الرعية مع السلطان	٨٦	٨٧
آداب القاضي	٨٧	٨٧
آداب الشاهد	٨٧	٨٧
آداب الجهاد	٨٧	٨٨
آداب الأسير	٨٨	٨٨
آداب جامعة	٨٨	٩٢
رسالة المنقذ من الضلال « توطئة »	٩٣	٩٩
مداخل السفسطة وججد العلوم	١٠٠	١٠٥
أصناف الطالبين	١٠٦	١٠٧
علم الكلام ومقصوده وحاصله	١٠٨	١١٠

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
الفلسفة	١١١	١١٣
أصناف الفلاسفة وسمول وصمة الكفر كافتهم	١١٤	١١٤
الدهريون	١١٤	١١٤
الطبيعيون	١١٤	١١٦
الالهيون	١١٦	١١٧
اقسام علوم الالهيين	١١٨	١٣٢
آفة القبول	١٣٢	١٣٤
مذهب التعليم وغائلته	١٣٥	١٤٩
طرق الصوفية	١٥٠	١٥٧
انتقال الغزالي الى الشام	١٥٧	١٥٨
رحلة الغزالي الى بيت المقدس والحجاز	١٥٨	١٥٨
عودة الغزالي الى وطنه	١٥٨	١٦٣
حقيقة النبوة واضطراب كافة الخلق اليها	١٦٤	١٧١
سبب نشر العلم بعد الاعراض عنه	١٧٢	١٩٥
رسالة الفسطاس المستقيم « توطئة »	١٩٦	٢٠٦
القول في الميزان الأكبر من موازين التعادل	٢٠٦	٢٠٩
ميزان التلازم	٢٠٩	٢٢١
القول في الميزان الأوسط	٢٢٢	٢٢٧
القول في الميزان الأصغر	٢٢٨	٢٣٢
القول في ميزان التلازم	٢٣٣	٢٣٦
القول في ميزان التعمانه	٢٣٧	٢٤٤

الموضوع	الصفحة	
	من	الى
ميزان التلازم	٢٤٤	٢٤٥
ميزان التعادل	٢٤٥	٢٤٩
القول في موازين الشيطان وكيفية أهل التعليم بها	٢٥٠	٢٦١
القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أمته	٢٦٢	٢٧١
القول في طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات	٢٧٢	٢٧٣
معالجة الخواص	٢٧٣	٢٧٤
معالجة البله	٢٧٤	٢٨٣
الصنف الثالث « أهل الجدل »	٢٨٣	٢٩٠
القول في تصاوير الرأي والقياس واظهار بطلانها	٢٩١	٣٠٥

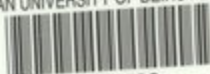






AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00465226

